٢١
ن ٠ خ

لباب التأويل في معالم التنزيل ، تأليف الخازن ،
علي بن محمد - ٧٤١ هـ. بخط محمد بن محمد
الملقب الصغير بن يوسف الحنفي ١١٧٦ هـ.
ج ١ (٢٧٥ ق) ٣٧ س ٥ر٢١ × ٣٢ سم
نسخة حسنة ، خطها نسخ معتاد ، طبع .
الاعلام ٥ : ١٥٦ ، معجم المطبوعات ١ : ٨٠٩
١- التفسير ، القرآن الكريم وعلومه ا- المؤلف
ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ د- تفسير الخازن .

٥١٤٤

الجزء الاول من الخازن

الحمد لله تملك من الجزء المبارك العبد الفقير لرحمة ربه
الغني محمد بن حمود بن عبد الحفيظ بن احمد بن
محمد صوام اليمني [illegible] بالثمن [illegible]
[illegible] والثمن المعلوم [illegible]
٢٠ ريال من يد السمسار [illegible]
[illegible] البصير
وذلك اوايل شعبان
الكريم سنة
١٣٤٦ ع

ربي يسر ولا تعسر بجاه افضل البشر

١٠

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وسلم

الحمد لله الذي خلق الأشياء فقدرها تقديرا، وصور بشكل الإنسان فأحسنه تصويرا، وميزه بالعقل وجعله سميعا بصيرا، وشرفه بما عرفه من العلم ونور قلبه تنويرا، وهداه إلى معرفته فيا لها نعمة وفضلا كبيرا، وأطلق لسانه بالثناء عليه شكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا، وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى كافة الخلق بشيرا ونذيرا، وأنزل عليه كتابا منيرا، وأودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا، وألهم حفاظه تلاوته وتحبيرا، وعلم عباده علومه تعليما وتبصيرا، وضرب فيه الأمثال لذي الجهالة وتذكيرا، وجعله برهانا لأولي النهى وصوابا لأولي الحجا، وقد جعله في الصدور محفوظا وبالألسنة متلوا وفي المصحف مسطورا، يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا، وجعل كل بليغ من الإتيان بسورة مثله حسيرا، قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. أحمده على تواتر إنعامه حمدا كثيرا، وأتوكل عليه مفوض أمري إليه ومستجيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يغدو قائلها مطمئنا مستنيرا، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي بعثه من فضله على أوضح منهاج بشيرا ونذيرا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه كما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. وبعد فإن الله جل ذكره وتعالى أمره أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بدين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وتبشيرا للمؤمنين ونذيرا للغافلين، أكمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة وأتم به مكارم الأخلاق ونشر فضله في الآفاق، وأنزل عليه نورا واهتدى به من الضلالة وأنقذ به من الجهالة، وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه وبالخسران لمن أعرض عنه بعدما سمعه، أعجز الخلائق عن معارضته حين تحداهم على أن يأتوا بسورة من مثله في مقابلته، ثم سهل على عباده المؤمنين مع إعجازه تلاوته ويسر على الألسن قراءته، أمر فيه وزجر وبشر وأنذر، وذكر المواعظ ليتذكر، وضرب فيه الأمثال ليتدبر، وقص فيه من أخبار الماضين ليعتبر، ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر، ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده، ولا بإقامة كلماته دون العمل بمحكماته، ولا بتلاوته دون تدبر آياته في قراءته، ولا بدرسه دون علم حقائقه وتفهم دقائقه، ولا تحصل الفوائد الغامضة إلا بدراية تفسيره وأحكامه ومعرفة حلاله وحرامه وأسباب نزوله وأقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه، فإنه أرسخ العلوم أصلا وأسبغها فرعا وفصلا وأكرمها نتاجا وأنورها سراجا، فلا شرف إلا وهو السبيل إليه ولا خير إلا وهو الدال عليه. وقد قيض الله له تعالى رجالا موفقين بالحول حتى صنفوا في سائر علومه المصنفات وجمعوا أشتات فنونه المنتشرات، كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلق واقتداء بالسلف، فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم. ولما كان كتاب معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الإمام العالم الكامل محيي السنة قدوة الأمة وإمام الأئمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلاها وأنبلها وأسناها جامعا للصحيح من الأقاويل عاريا من الشبه والتصحيف والتبديل محلى بالأحاديث النبوية مطرزا بالأحكام الشرعية موشى بالقصص الغريبة وأخبار الماضين العجيبة مرصعا بأحسن الإشارات مخرجا بأوضح العبارات مفرغا في قالب الجمال بأفصح مقال، فرحم الله تعالى مصنفه وأجزل ثوابه وجعل الجنة منقلبه ومآبه. ولما كان هذا الكتاب كما وصفت أحببت أن أنتخب من غرر فوائده ودرر فرائده وزواهر نصوصه مختصرا جل معاني التفسير ولباب التنزيل والتعبير حاويا لخلاصة منقوله متضمنا لنكته وأصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة، ولم أجعل لنفسي تصرفا سوى النقل والانتخاب مجتنبا حد التطويل والإسهاب، وحذفت منه الإسناد لأنه أقرب إلى تحصيل

المراد

المراد وأسهل، وما فيه من الأحاديث النبوية والأخبار المصطفوية على تفسير آية أو بيان حكم فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليها مدار الشرع وأحكام الدين عزوته إلى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف به ليهون على الطالب طلبه، فما كان من صحيح أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري فعلامته قبل اسم الصحابي الراوي للحديث خ، وما كان من صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فعلامته م، وما كان مما اتفقا عليه فعلامته ق، وما كان من كتب السنن كسنن أبي داود والترمذي والنسائي فإني أذكر اسمه بغير علامة، وما لم أجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد أسنده فلت روى البغوي بسنده الثعلبي، وما كان فيه من أحاديث زائدة وألفاظ متغيرة واعتمدت فإني اجتهدت في تصحيح ما أخرجته من الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع الأصول لابن الأثير الجزري، ثم إني أعرضت عن ذكر الأسانيد وبشرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون أكمل فائدة في هذا الكتاب واشتمل على الطلاب وتعنته بأسهل مأخذ تحصيله من الإيجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب. وينبغي لكل مؤلف كتابا في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد: استنباط شيء إن كان معضلا، أو جمعه إن كان متفرقا، أو شرحه إن كان غامضا، أو حسن نظم وتأليف، أو إسقاط حشو وتطويل. وأرجو أن لا يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت. وسميته لباب التأويل في معاني التنزيل، والله تعالى أسأل التوفيق لإتمام ما قصدت وإليه أرغب في تيسير ما أردت وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبله مني إنه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت وإليه أنيب. وقبل أن أشرع في الكلام على التفسير أقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول. الفصل الأول في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه: م عن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل. وفي رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة. وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما. م عن عمر بن الخطاب قال أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين. عن الحارث الأعور قال مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث قال أوقد فعلوها قلت نعم قال أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، خذها إليك يا أعور. أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وإسناده مجهول وفي الحارث مقال. قوله هو الفصل أي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل أي جد كله ليس فيه هزل. من جبار الجبار هو المتسلط العاتي المتكبر على الناس

استنباط

خطيبا

فضه الله اي اهلكه قوله هو حبل الله المتين الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا
اعتصم به الانسان ادى الى نعيم الله الى جواره والذكر الحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب
والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الاهواء اي لا يميل عن الحق عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت
الخراب وقال حديث صحيح حسن خ عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن
وعلمه وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام
البررة والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران قوله الماهر يعني الحاذق
الكامل الحفظ الجيد التلاوة مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه
يسفر برسالات الله الى انبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى
فيما يامرهم وحسن كونه من الملائكة ان له منازل في الجنة يكون فيها ويرافقهم وقوله يتتعتع
اي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له اجران يعني اجر بسبب القرآن واجر بسبب تعبه فيه
والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له اجرا اكثر من الماهر بل الماهر افضل منه واكثر اجرا
وعن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المومن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة
طعمها طيب وريحها طيب ومثل المومن الذي لا يقرأ كالريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل
الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حامل
القرآن واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف
حرف ولام حرف وميم حرف اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح حسن غريب ومنهم من رفعه وبعضهم عن ابن
مسعود ووقفه بعضهم عليه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله
قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القرآن الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ
وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقرأ بها اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب
حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول ارض عنه فيرضى عنه
فيقال اقرأ وارق ويزداد بكل اية حسنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن سهل بن معاذ
الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل بما فيه البس والداه يوم القيامة
تاجا ضوءه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا اخرجه
ابو داود وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن
فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم
قد وجبت لهم النار اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به يعني
الاذن في اللغة الاستماع ولانه يحمله على الاصغاء فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه
قارئ القرآن واجزال ثوابه وذلك ان سماع الله لا يختلف فوجب تاويل الحديث وقوله يتغنى
بالقرآن اي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة وقيل معناه يتغنى به
عن الناس والقول الاول اولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن

الفصل الثاني

وعيد من قال في القرآن برايه بغير علم ووعيد من اوتي القرآن فنسيه ولم يتعاهده عن ابن
عباس

عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده
من النار وفي رواية من قال في القرآن برايه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله فليتبوأ معناه
فليتخذ له مبوأ اي منزلا من النار عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
في كتاب الله عز وجل برايه فاصاب فقد اخطأ اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب وسئل
ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت
في كتاب الله بغير علم قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالراي انما ورد في من يتاول القرآن
على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو اما ان يكون عن علم ام لا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض
ايات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم ان المراد من الاية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه
بما يقوي حجته في بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من اهل البدع الفاسدة
ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم وذلك عن جهل وذلك ان تكون الاية محتملة
لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في
النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التاويل وهو صرف الاية على طريق الاستنباط على معنى
يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه لاهل العلم فان الصحابة
رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كلما قالوه سمعوه من النبي
صلى الله عليه وسلم لان ابن عباس قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وكان اكثر ما نقل عنه التفسير
والله اعلم وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا
القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو اشد تفلتا من الابل في عقلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها امسكها
وان اطلقها ذهبت الابل المعقلة التي حبست وهذا مثل ضربه الله لصاحب القرآن فيه الحث
على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بئسما لاحدهم ان يقول نسيت اية كيت وكيت بل هو نسي استذكروا
القرآن فانه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية لا يقل احدكم نسيت
كذا وكذا بل هو نسي قوله بئسما لاحدهم اي بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم
غفل عنه حتى نسيه قوله لا يقل احدكم نسيت كذا وكذا معناه انما كره نسبة
النسيان الى النفس لان الله تعالى هو المقدر للاشياء كلها وهو الذي انساه اياه وقيل ان
النسيان الترك فكره ان يقول تركت القرآن او قصدت الى نسيانه وقوله بل نسي بضم النون
وتشديد السين وفتح الياء اي عوقب بالنسيان على ذنب منه او لسوء تعهده القرآن وقوله
اشد تفصيا اي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الابل في عقلها اي تخلصا من العقال
وهو الحبل الذي يربط به عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه الا لقي الله اجذم اخرجه ابو داود الاجذم قيل هو مقطوع
اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي اجور امتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت
علي ذنوب امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة في القرآن او اية اوتيها رجل ثم نسيها وعرضت
علي ذنوب امتي اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب عن عبد الله ابن عمر رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو مخافة ان يناله العدو
اراد بالقرآن المصحف ولا يجوز حمله الى العدو وهي بلاد الكفار المعنى الوارد ولو كتب اليهم
كتابا فيه اية من القرآن فلا باس بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم هكذا

يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم عن عمران بن حصين انه مر على رجل يقرا ثم سال فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا القرآن فليسال الله به فانه سيجيء اقوام يقرؤون القرآن يسالون به الناس اخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بقوي عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة اخرجه الترمذي.

الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة احرف خ عن زيد بن ثابت قال بعث الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر ان عمر جاءني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب من القرآن كثير واني ارى ان تامر بجمع القرآن قال قلت لعمر كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورايت في ذلك الذي راى عمر فقال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح صدر ابي بكر وعمر ورايت في ذلك رايا قال فتتبعت اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او مع ابي خزيمة الانصاري لم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم خاتمة براءة فالحقتها في سورتها قال وكانت الصحف عند ابي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة الحافظ يعني خ عن انس ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا امير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبد الله بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى نسخوا الصحف في المصاحف ورد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة او مصحف ان يحرق قال ابن شهاب واخبرني خارجة ابن زيد انه سمع من زيد بن ثابت يقول فقدت اية من سورة الاحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوا التابوت فانه بلسان قريش

شرح غريب الجامع الاحاديث وما يتعلق بها قوله بعث الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة اي اوان قتلهم واراد به الواقعة التي كانت باليمامة في زمن ابي بكر الصديق وهي واقعة الردة مع اهل الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وهي على اربعة ايام من مكة ولها عمائر وهي في عداد ارض نجد قوله استحر القتل اي كثر وينسب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر سعته وقوله الخير قوله فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع جمع رقعة وهي ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين

جمع عسيب

جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة قوله يغازي اهل الشام في فتح ارمينية بكسر الهمزة والتخفيف لا غير سميت بارمين ابن لنطي ابن كومر ابن يافث بن نوح وهو اول من نزلها فسميت باسمه واذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغيره الكاف في ضبطها وقال ابن جني فيها خمس موانع من الصرف التعريف والتانيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع في بلاد العجم يشتمل على بلاد كثيرة قوله حتى وجدت اخر سورة الاحزاب مع خزيمة او ابي خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية فاعلم ان المذكور في الحديث الاول هو ابو خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة بن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده اخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر واما المذكور في الحديث الثاني فهو ابو عمارة خزيمة بن ثابت بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين مع علي بن ابي طالب قوله فقدت اية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدتها مع خزيمة معناه انه كان يتطلب نسخ القرآن من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه فلم يجد تلك الاية الا مع خزيمة وليس فيه اثبات القرآن بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها وتتبعته الرجال كان للاستظهار لا للاستحداث علم بان القرآن العظيم كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد بن ثابت قلت لانس من ابو زيد قال احد عمومتي اخرجه في الصحيحين اسم ابي زيد سعد بن عبيد واخرج الترمذي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا القرآن من اربعة من ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه انه اكثر القتل من قراء القرآن فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القرآن كان على هذا التاليف والجمع في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته ادى ذلك الى الاختلاف واختلاط امر الدين فحفظ الله كتابه في القلوب الى وقت زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القرآن بين الدفتين كما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه او انقصوا منه شيئا والذي حملهم على جمعه ما جاء مبينا في الحديث وهو انه كان مفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ان ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي بكر فدعوه الى جمعه فراى في ذلك رايهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان قدموا او اخروا شيئا او وضعوا له ترتيبا لم ياخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن اصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو عليه الان في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل اية ان هذه الاية تكتب عقيب كذا في سورة كذا فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه وان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الان وقد صح في حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة في رمضان وانه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم

على جبريل وهي العرضة التي تبين فيها ما نسخ وبقي ما بقي ولهذا اقام ابو بكر زيد بن ثابت في
كتابة المصحف والزمه بها لانه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين فكان
جمع القرآن سببا للمقاربة في الامة رحمة من الله تعالى بعباده وتخفيفا للوعد في حفظه قال تعالى انا
نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون واعلم ان الله تعالى انزل القرآن المجيد في اللوح المحفوظ جملة
واحدة الى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزل مفرقا على لسان جبريل عليه
السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وبحدوث ما يحدث على ما يشاء
الله تعالى وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه في القراءة والمصحف فاما ترتيب نزوله على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول ما نزل من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم نون والقلم
ثم يا ايها المزمل ثم يا ايها المدثر ثم تبت يدا ابي لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك
الاعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم الم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم
انا اعطيناك الكوثر ثم ارايت ثم قل يا ايها الكافرون ثم الفيل ثم قل هو الله احد ثم والنجم ثم
عبس ثم سورة البروج ثم التين ثم لايلاف قريش ثم القارعة ثم القيامة ثم الهمزة ثم
المرسلات ثم ق ثم سورة البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن
ثم يس ثم الفرقان ثم فاطر ثم مريم ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم
بني اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم والصافات ثم لقمان ثم
سبا ثم الزمر ثم المومن ثم السجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم
الاحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبياء ثم المومنون
ثم تنزيل السجدة ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم سال سائل ثم عم يتساءلون ثم النازعات
ثم اذا السماء انفطرت ثم اذا السماء انشقت ثم الروم ثم العنكبوت واختلفوا في اخر ما نزل
بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطا المومنون وقال مجاهد ويل للمطففين فهذا
ترتيب ما نزل من القرآن بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات
واما ما نزل بالمدينة فاحد وثلاثون سورة فاول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانفال ثم
آل عمران ثم الاحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد ثم سورة محمد صلى الله عليه
وسلم ثم الرعد ثم سورة الرحمان ثم هل اتى على الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم العلق
ثم الناس ثم اذا جاء نصر الله والفتح ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم
التحريم ثم الصف ثم الجمعة ثم التغابن ثم التوبة ثم المائدة ومنهم من يقدم المائدة على التوبة
وهذا ترتيب ما نزل من القرآن بالمدينة واختلفوا في سور فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة
وهذا مذكور في الكتب في مواضعها ان شاء الله تعالى فصل في كون القرآن نزل على سبعة احرف وما
قيل في ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من
اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها قال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرأنيها على ما قرأت فانطلقت به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ان القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسر منه قوله
فكدت اساوره في الصلاة اي اواثبه واقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت قوله فلببته

بردائه

بردائه هو بتشديد الباء الاولى ومعناه اخذت بمجامع ردائه في عنقه وجررته به ماخوذ
من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما
سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه العربية واما امر النبي صلى الله عليه وسلم بارساله فانه
لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره وان عمر انما نسبه الى المخالفة في القراءة والنبي صلى الله
عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة وجوهها ما لا يعلمه عمر ولانه اذا قرأ وهو ملبب لا
يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق قوله ان هذا القرآن انزل على سبعة
احرف فاقرأوا ما تيسر منه قال العلماء سبب انزاله على سبعة احرف التخفيف والتسهيل
واختلفوا في المراد بسبعة احرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال
الاكثرون هو حصر العدد في سبعة احرف ثم قيل هي في سبعة من المعاني كالوعد والوعيد
والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال والامر والنهي وقيل هي في صورة
التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من ادغام واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة
لان العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل انسان بما
يوافق لغته ويسهل على لسانه وقال ابو عبيدة هي سبع لغات من لغات العرب يمنها
ومعدها وهي افصح لغات العرب واعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن
وقيل السبع كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة
وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد بين
اسفارنا وبعذاب بئيس وقيل سبع قراءات وهو الصحيح الموافق للحديث لان هذه السبعة
ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة واثبتها عثمان
والجماعة في المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواترا وان هذه الاحرف
تختلف معانيها تارة والفاظها اخرى وليست متضادة ولا متنافية واما من قال ان المراد
بالاحرف السبعة معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص فخطأ محض لان النبي صلى الله
عليه وسلم اشار الى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع
المسلمين انه يحرم ابدال اية امثال باية احكام وقول من قال المراد خواتيم الاية فيجعل مكان
غفور رحيم سميع عليم فاسد ايضا وخطأ للاجماع على انه لا يجوز تغيير نظم القرآن
والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرأني
جبريل على حرف فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف
معنى الحديث لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة
والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة وعن ابي بن كعب رضي
الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة انكرتها عليه ثم دخل اخر
فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت ان هذا قرأ قراءة انكرتها عليه ودخل اخر فقرأ قراءة سوى قراءة
صاحبه فامرهما صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شانهما فسقط
في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكانما انظر الى الله عز وجل فرقا فقال لي يا ابي
ارسل الي ان اقرأ على حرف واحد فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثانية اقرأه
على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم
اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم يرغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم قوله

فسلطت نفسي من التكذيب بما كنت في الجاهلية معناه وسوس الي الشيطان تكذيبا للنبوءة اشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومتشككا فوسوس اليه الشيطان الجزم بالتكذيب لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان لا يواخذ بها فقوله ضرب في صدري ففضت عرقا قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم فقوله وكأنما انظر الى الله تعالى فرقا الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى انه غشيه من الهيبة والخوف والعظمة حين ضرب ما ازال عنه ذلك الخاطر فقوله وان يكاد يرده رده تكفها مسئلة معناه مسئلة مجابة قطعا واما ما في الدعوات فمرجوة الاجابة وليست قطعية الاجابة والله اعلم

وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القرآن نزل على سبعة احرف لكل آية منه حد ولكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد ومطلع وقيل معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر ما حدث عن اقوام انهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما انزل والبطن التفهم والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض فقوله ولكل حد مطلع معناه مصعد يصعد اليه من معرفة عمله وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني ما لا ينفتح لغيره على غيره وفوق كل ذي علم عليم والله اعلم

فصل في معنى التفسير والتأويل اما التفسير فاصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطي وهو بيان المعاني المعقولة فكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفرداته الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصصها واما التأويل فاشتقاقه من الأول وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته اي صرفته فانصرف وهو رد الشيء الى الغاية والمراد منه بيان غاية المقصود منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية والفرق بين التفسير والتأويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله اعلم

القول في الاستعاذة ولفظها المختار اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله التجئ اليه لموافقة قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله التجئ اليه وامتنع به مما اخشاه من عاذ يعوذ والشيطان اصله من شطن اي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عات من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار ولذلك فيه القوة الغضبية والرجيم فعيل بمعنى فاعل اي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اي مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملا الاعلى واما حكم الاستعاذة ففيه مسائل المسئلة الاولى اتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلوات فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا او سهوا ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة ان يتعوذ ايضا وحكي عن عطاء وجوبها سواء كانت في الصلاة او غيرها وقال ابن سيرين ان تعوذ الرجل في عمره

مرة واحدة

مرة واحدة كفى في اسقاط وجوبها دليل الجواب ظاهر قوله تعالى فاستعذ بالله والامر للوجوب وان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا ودليل الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلاة وتأخير البيان عن وقته غير جائز واجيب عن قوله تعالى فاستعذ بالله بان معناه عند جماهير العلماء اذا اردت القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا اردتم القيام الى الصلاة واجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على اشياء كثيرة من افعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها المسئلة الثانية وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور سواء في الصلاة وخارجها وحكي عن النخعي انه بعد القراءة وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن عباس حجة الجمهور ما روي عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا ثم يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث اشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولابي داود والنسائي عن ابي سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقيل الموتة الجنون لان من جن فقد مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلاة ونفخه هو الذي يلقيه من الشبهة في الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور بظاهر قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ واجيب عنه بما تقدم وقال مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة لنا ما تقدم من الاحاديث المسئلة الثالثة المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث جبير بن مطعم وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وقال الثوري والاوزاعي الاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وفي الجملة فالاستعاذة تطهير القلب عن كل شيء يشغل عن الله تعالى ومن لطائف الاستعاذة ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة الباري عز وجل وانه الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة الالتجاء الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله اعلم

تفسير سورة الفاتحة وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة واربعون حرفا واختلف العلماء في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها

ولها عدة أسماء وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وفضله فأولها فاتحة الكتاب سميت
بذلك لأنه بها افتتح القرآن وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة الثاني سورة
الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله الثالث أم القرآن وأم الكتاب سميت بذلك
لأنها أصل القرآن وأم كل شيء أصله وقيل هي إمام لما يتلوها من السور الرابع السبع
المثاني سميت بذلك لأنها تثنى في الصلاة ويقرأ بها في كل ركعة وقيل إن الله تعالى استثناها
لهذه الأمة ولم يخرجها لهم ثم لم ينزلها على غيرهم وقيل لأنها نزلت مرتين الخامس
الوافية سميت بذلك لأنها تقسم في القراءة في الصلاة كما يقسم غيرها من السور السادس
الكافية سميت بذلك لأنها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي غيرها عنها فصل
في ذكر فضلها خ عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيته فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال ألم يقل الله
استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم قال لي لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن
قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له ألم تقل لي لأعلمنك سورة
هي أعظم سورة في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي
أوتيته ورواه مالك في الموطأ عنه وقيل فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم نادى أبي بن
كعب وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في
الزبور مثلها ورواه الترمذي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أبي وهو
يصلي وذكر نحو رواية الموطأ وقال فيه حديث حسن صحيح عن أبي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع
المثاني وهي المقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل أخرجه الترمذي والنسائي
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم
الكتاب والسبع المثاني أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح م عن
ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من
فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم فنزل
منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر
بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن
تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته قوله سمع نقيضا هو بالقاف والضاد المعجمة أي صوتا
كصوت فتح الباب م عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام قال فقلت يا أبا هريرة
إنا أحيانا نكون وراء الإمام فغمز ذراعي وقال اقرأ بها في نفسك يا فارسي فإني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي
نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال
الله حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال أثنى علي عبدي وإذا قال مالك يوم الدين
قال مجدني عبدي وقال مرة فوض إلي عبدي وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال
هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل وإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل
قوله فهي خداج أي ناقصة فغمز ذراعي أي لمس ساعدي بيده قوله قسمت

الصلاة اراد

الصلاة أراد بالصلاة هنا القراءة لأنه فسرها بها ولأن القراءة ركن من أركانها وجزء من أجزائها
قوله نصفين حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده راجعة إلى المعنى لا إلى اللفظ
لأن هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثناء ونصفها مسألة ودعاء وقسم الثناء انتهى
عند قوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذه بيني وبين عبدي
ولعبدي ما سأل قوله تعالى حمدني عبدي ومجدني وأثنى علي لأن الحمد هو الثناء بجميل الفعال
والتمجيد الثناء بصفات الجلال وقيل التمجيد والتمجيد التعظيم قوله وربما قال فوض
إلي عبدي وجه مطابقة هذا القول لقوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض أمره إلى فلان إذا رده إليه
وعول عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وأنها متعينة وهو مذهب الشافعي
وجماعة وستأتي هذه المسألة إن شاء الله بعد ذكر تفسير الفاتحة والله أعلم بسم
الباء في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة
الكلام عليه تقديره أبدأ بسم الله أو بسم الله أبدأ أو اقرأ وإنما طولت الباء في بسم الله
وأسقطت الألف طلبا للخفة وقيل لما أسقطوا الألف ردوه وأطولوه على الباء ليدل طولها على
الألف المحذوفة وأثبت الألف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقيل
إنما طولوا الباء من بسم الله وأظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل لأنهم
أرادوا أن يستفتحوا كلام الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض الصورة فلما اتصلت ببسم
الله ارتفعت واستعلت وقيل إن عمر بن عبد العزيز كان يقول للكتاب طولوا الباء من بسم الله
وأظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم هو المسمى عينه وذاته
قال الله تعالى إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك
وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوي والصحيح المختار أن الاسم غير المسمى وغير
التسمية فالاسم ما تعرف به ذات الشيء وذلك لأن الاسم هو الأصوات المقطعة والحروف
المؤلفة الدالة على ذات الشيء المسمى به فثبت بهذا أن الاسم غير المسمى وأيضا فقد تكون
الأسماء كثيرة والمسمى واحد كقوله تعالى ولله الأسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا
والمسميات به كثيرة كالأسماء المشتركة وذلك يوجب المغايرة وقوله أيضا فقوله
فادعوه بها أمر أن يدعى الله تعالى بأسمائه فالاسم آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى
فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو به وأجيب عن قوله تعالى إنا
نبشرك بغلام اسمه يحيى بأن المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم وأجيب
عن قوله تعالى فسبح باسم ربك وتبارك اسم ربك بأن معنى هذه الألفاظ يقتضي إضافة
الاسم إلى الله تعالى وإضافة الشيء إلى نفسه محال وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه
وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه أسمائه وكون الاسم غير التسمية عبارة عن تعيين
اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق
ظاهر واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشيء ما علاه
حتى ظهر به وعلا عليه فكأنه علا معناه وصار علما وقال الكوفيون من السمة وهي
العلامة فكأنه علامة لمسماه وحجة البصريين لو كان اشتقاقه من السمة لكان
تصغيره وسيم وجمعه أوسام وأجمعوا على أن تصغيره سمي وجمعه أسماء وأسامي
الله هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به الباري سبحانه وتعالى ليس بمشتق
ولا يشركه فيه أحد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى هل تعلم له سميا يعني
لا يقال لغير الله وقيل هو مشتق من أله يأله إلاهة مثل عبد الرجل يعبد عبادة

دليله ويذكر الحنك أي وعبادتك وقيل معناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل من
الوله أي الفزع لأن الخلق يولهون إليه أي يفزعون إليه في حوائجهم قال بعضهم
ولهت إليكم في بلايا تنوبني … فألفيتكم فيها كراما مجملا
وقيل أصله إله بفعال الصفة التي يلاه أي سكنت إليه فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمئنون
بذكره وقيل أصله ولاه فأبدلت الواو همزة سمي بذلك لأن كلا واله نحوه إما بالتحير أو
بالإرادة ومن هذا قيل الله محبوب لكل الأشياء يدل عليه وإن من شيء إلا يسبح بحمده ومن
خصائص هذا الاسم أنك إذا حذفت منه شيئا بقي الباقي يدل عليه فإن حذفت الألف بقي
لله وإن حذفت اللام وأبقيت الألف بقي إله وإن حذفت منه بقي له وإن حذفت الألف واللامين معا
بقي هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم أن هذا الاسم هو الاسم الأعظم لأنه
يدل على الذات وباقي الأسماء تدل على الصفات **الرحمن الرحيم** قال ابن عباس هما اسمان
رقيقان أحدهما أرق من الآخر قيل هما بمعنى مثل ندمان ونديم ومعناهما ذو الرحمة
وإنما جمع بينهما للتأكيد وقيل لكل واحد منهما معنى لأن الآخر تطمينا للقلوب الراغبين إليه وقيل
الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه معنى الخصوص فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو
على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى العفو الكافي للمؤمنين في الآخرة
وهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ورحمة الله إرادة الخير والإحسان
لأهله وقيل هو ترك عقوبة من يستحق العقاب وإسداء الخير والإحسان إلى من لا يستحق فهو على الأول
صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقيل الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفر الذنوب وقيل
الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق **فصل** في حكم البسملة وفيه
مسألتان الأولى في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة اختلف العلماء
في ذلك فمذهب الشافعي وجماعة من العلماء أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في
أولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وسعيد بن جبير وعطا
وابن المبارك وأحمد في إحدى الروايتين عنه وإسحاق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن
أبي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب ومذهب الأوزاعي ومالك وأبي حنيفة أن
البسملة ليست آية من الفاتحة زاد أبو داود ولا من غيرها من السور وإنما هي بعض آية
في سورة النمل وإنما كتبت للفصل والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة
وللشافعي قول أنها ليست من أوائل السور مع القطع بأنها من الفاتحة فأما حجة من منع
كون البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها فحديث أنس المتقدم المخرج في الصحيحين وحديث
عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله
رب العالمين قالوا ولأن أول ما نزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في
أولها فدل على أنها ليست منها قالوا ولأن عمل القرآن لا يثبت إلا بالتواتر والاستفاضة
ولأن الصحابة أجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر
ثلاث آيات وسورة الإخلاص أربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا وأما
حجة من ذهب إلى أنها آية في أوائل السور من جهة النقل فحديث عن أم سلمة أن النبي صلى
الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية منها وعن ابن عباس
في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال هي فاتحة الكتاب قال فأين
السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم أخرجها ابن خزيمة وغيره وروي عن ابن عباس أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل
عليه بسم

عليه بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه أبو داود والحاكم أبو عبد الله في مستدركه وقال
فيه إنه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا قرأتم الحمد لله فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها أم القرآن وأم الكتاب
والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم أحد آياتها قال الدارقطني في رجال إسناده كلهم
ثقات وروي موقوفا وروى الدارقطني عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها قطعها آية آية وعدها عد الأعراب
وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم وأخرج مسلم في أفراده عن أنس قال بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما
أضحكك يا رسول الله فقال أنزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك
الكوثر الحديث قال البيهقي أحسن ما احتج به أصحابنا أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وأنها
من فواتح السور سوى براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وأنهم
كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم
أنهم كتبوا فيها مائة وثلاث عشرة آية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة
عن ابن عباس أنه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن
عمر أنه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه أنه
كان يقول لما كتبت في المصحف لم تقرأ وروى الشافعي عن ابن عباس أنه كان يفعله ويقول انتزع
الشيطان منهم خير آية في القرآن وفي أفراد البخاري من حديث أنس أنه سئل كيف كانت قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ويمد الرحمن
ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الأدلة الصحيحة الواضحة أن البسملة من الفاتحة ومن كل
موضع ذكرت فيه وأيضا فإن الصحابة أجمعوا على إثباتها في المصاحف وأنهم طلبوا
بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فمن أما
وتبرئته من أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وإن كان قد
ورد أنه كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القرآن في أوائل السور لما كتبوها
وكان حكمها حكم آمين المسألة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والإسرار اعلم أن ما
تقدم من الأدلة أن البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها
في الجهر والإسرار حكم الفاتحة فيجهر مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع الفاتحة
في الصلاة السرية وممن قال بالجهر من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير
ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وأبو قلابة والزهري وعكرمة وعطاء وطاوس
ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن
المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار
ومسلم بن خالد وإليه ذهب الشافعي وأحمد في أحد قوليه وابن وهب صاحب مالك وحكي أيضا
عن ابن المبارك وأبي ثور وممن ذهب إلى الإسرار بها من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان
وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي
وإبراهيم النخعي وقتادة والأعمش والثوري وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد
وغيرهم أما حجة من قال بالجهر فقد روي جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن
عباس وأنس وعلي بن أبي طالب وسمرة بن جندب وأم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر
بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في تصريح

الا اسرار بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احدهما ضعيفة وهي رواية عبد الله
بن مغفل والاخرى عن انس وهي في الصحيح وهي معللة بما اوجب سقوطها الاحتجاج حتى لا يحتج
بها وروى نعيم بن عبد الله المجمر قال صليت وراء ابي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم
قرأ بام القرآن وذكر الحديث وفيه ثم يقول اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله
عليه وسلم اخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه قال الامام الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت
وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر الحديث قال الدارقطني اسناده صحيح
وليس له علة وفي رواية عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم
الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح واخرجه النسائي
وقال اسناده بذلك قال الشيخ ابو شامة اي بما قال اسناده ما في الصحيح ولا فرق ان تضم
اليه ما تقدم من الادلة رجح على ما في الصحيح وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر
بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال اسناده صالح وفيه عن محمد بن ابي
السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا احصي صلاة الصبح والمغرب فكان
يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما آلو ان اقتدي
بصلاة انس بن مالك وقال انس بن مالك ما آلو ان اقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال رواة هذا الحديث
عن آخرهم كلهم ثقات قلت وفي الباب احاديث واقوال واثار واجوبة من الجانبين
يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق والله اعلم قوله عز وجل الحمد لله
لفظه خبر كانه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر اي قولوا الحمد
لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما فرق وهو ان المدح
يكون قبل الاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل ان المدح قد يكون منهيا
عنه واما الحمد فمامور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى الثناء بجميل
الافعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون الا على النعمة فالحمد اعم من
الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا وقيل
الحمد باللسان قولا والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الذم واللام في لله لام الاستحقاق كقولك
الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق ورب
العالمين بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء اي مالكه ويكون بمعنى التربية
والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا اصلحها فالله تعالى مالك العالمين
ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشيء مضافا والعالمين جمع
عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق
وقال ابن عباس هم الجن والانس المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من
الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم
فقيل لله الف عالم ستمائة في البحر واربعمائة في البر وقيل ثمانون الف عالم اربعون
الفا في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما
العمران في الخراب الا كفسطاط في صحراء والفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم
وقيل من العلامة وانما سمي بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم فالرحمن
هو المنعم بما لا يتصور صدور جنسه من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور

تلك النعمة

تلك النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم فان قلت قد
سمي مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة وهو قول شاعرهم فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا
قلت هو من باب تعنتهم وكفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا
فان قلت فما ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فائدة تكرارهما مرة ثانية قلت ليعلم
ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكرير
ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل على خلقه قوله تعالى مالك يوم الدين يعني انه تعالى
صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والمالك هو المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر
على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل مالك اوسع من ملك
لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لا يكون مالكا للشيء الا وهو يملكه
وقيل ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين
قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال
كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اي قهرته
فذل فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها قلت لان الملك
والاملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا امر الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى في الدنيا احاد الناس بالملك وذلك
على المجاز لا على الحقيقة قوله تعالى اياك نعبد رجع من الخبر الى الخطاب وفائدة ذلك ان الصورة
الى هنا ثناء والثناء في الغيبة اولى ومن قوله اياك نعبد دعاء والخطاب في الدعاء اولى وقيل
فيه ضمير اي قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين
لك والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة
عبارة عن الفعل الذي يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد
احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد وغاية التعظيم للرب سبحانه وتعالى لانه العظيم
المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم وهي
ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقيا بالخضوع والتذلل
له واياك نستعين اي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا فان قلت
الاستعانة به على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم اخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة
فيه قلت ذكروا فيه وجوها احدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد
الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتاخير الثاني ان
الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا الثالث
كان العبد يقول شرعت في العبادة فانا استعين بك على اتمامها فلا يمنعني من اتمامها مانع
الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له عجب وتلك منزلة عظيمة فيحصل بذلك العجب
فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة اهدنا
الصراط المستقيم اي ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى اعود اليك
ومعناه دم على ما انت عليه وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى سؤال التثبيت
وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهداية من الله لا تتناهى وهذا مذهب اهل السنة والصراط
الطريق قال جرير امير المؤمنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم اي على طريقة حسنة
قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القرآن وروي ذلك مرفوعا وقيل السنة
والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة صراط الذين انعمت عليهم

من الذين أنعمت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الأنبياء والمؤمنون الذين ذكرهم
الله في قوله أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقال
ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم غير المغضوب عليهم يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في
الأصل هو ثوران دم القلب إرادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب هو
فإنه جمرة تتوقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه وإذا وصف
الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا
يلحق عصاة المؤمنين وإنما يلحق الكافرين ولا الضالين أي وغير الضالين عن الهدى وأصل
الضلالة الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء في اللبن إذا غاب فيه وهلك وقيل
غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى عن عدي بن حاتم عن النبي صلى
الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال أخرجه الترمذي وذلك لأن الله
تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال
فقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة
ولا الضالين عن السنة فصل في آمين وحكم الفاتحة وفيه مسألتان الأولى
السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة أن يقول آمين مفصولا عنها بسكتة وهو مخففة
وفيه لغتان المد والقصر قال في المد ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال في القصر أمين
فزاد الله ما بيننا بعدا ومعنى آمين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك
يكون وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به
عنهم الآفات وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أمن الإمام فأمنوا
فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر الله له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين وفي رواية للبخاري أن الإمام إذا قرأ غير المغضوب
عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين
الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة معناه
وافقهم في وقت التأمين فأمن مع تأمينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والإ
خلاص والقول الأول هو الصحيح واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل هم الحفظة وقيل
غيرهم من الملائكة وقوله غفر له ما تقدم من ذنبه يعني تغفر له الذنوب الصغائر
دون الكبائر وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين معناه
أن هذه صفة تأمينه صلى الله عليه وسلم المسألة الثانية في حكم الفاتحة
اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء
إلى وجوب الفاتحة وأنها متعينة في الصلاة ولا تجزئ إلا بها واحتجوا بما روي عن عبادة
بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب
أخرجاه في الصحيحين وبحديث أبي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب
فهي خداج غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب أبو
حنيفة إلى أن الفاتحة لا تتعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة
أو ثلاث آيات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه وبقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث الأعرابي صلاته اقرأ بما تيسر معك من القرآن أخرجاه في الصحيحين المسيء
ودليل الجمهور ما تقدم من الأحاديث وأن المراد من الحديث لا صلاة كاملة

قلت

٩

قلت هذا خلاف لظاهر بعض الحديث ومما يدل عليه حديث أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب أخرجه الدار
قطني وقال إسناده صحيح وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يخرج فينادي
لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد أخرجه أبو داود وأجيب عن حديث الأعرابي بأنه محمول
على الفاتحة فإنها متيسرة أو ما زاد على الفاتحة أو على العاجز عن قراءة الفاتحة والله
أعلم تفسير سورة البقرة قال ابن عباس هي أول ما نزل بالمدينة
قيل سوى آية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فإنها نزلت يوم النحر بمكة
في حجة الوداع وهي مائتان وست وقيل وسبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة وإحدى
وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف فصل في فضلها
عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم
القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة
كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما اقرءوا البقرة
فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغني أن
البطلة السحرة قوله اقرءوا الزهراوين سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر
وقوله كأنهما غمامتان أو غيايتان قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان
فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى أن ثوابهما يأتي كغمامتين قوله فرقان من طير
صواف الفرق الجماعة من الطير والصواف جمع صافة وهي التي تصف أجنحتها عند الطيران
تحاجان المحاجة المجادلة والمخاصمة والخصام والحجة والبطلة السحرة كما جاء في الحديث مفسرا
يقال أبطل إذا جاء بالباطل وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران
وكذلك باقي السور لأنه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال إنما يقال السورة
التي يذكر فيها البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الأول وبه قال الجمهور لورود النص
به عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر
إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة وعنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي
سيدة آي القرآن آية الكرسي أخرجه الترمذي وقال حديث غريب بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الم قيل إن حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي
استأثر الله بعلمه وهي سر الله في القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى
الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه
في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل السور وقال علي بن أبي طالب رضي الله
عنه إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وأورد على هذا القول بأنه
لا يجوز أن يكلف عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار فإنه مما لا يعقل معناه والحكمة
فيه كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الإيمان بها ولا يلزم البحث
عنها وقال آخرون من أهل العلم هي معروفة المعاني ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف
منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى فالألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه
لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه
ووجه هذا أن العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز
قلت لها قفي فقالت قاف   لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

لا يعلمون وأجيب عنه بأنه يجوز
أن يكلف عباده بما

قولها قاف اي وقفت فاكتفى بجزء الكلمة عن كلها ولا مجال للاسراع في التفسير قال
ابن عباس الم انا الله اعلم وقيل هي اسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها
لعلموا اسم الله الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك
سائرها ولا نقدر على تأليفها كلها جميعا وقيل هي اسماء السور وبه قال جماعة من
المحققين وقال ابن عباس هي اقسام قيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها
لانها مباني كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها
وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرأت الحمد لله وتريد انك قرأت السورة بكمالها
فانه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ
وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوا بسورة من مثله بعشر سور مثله فعجزوا
عنه انزل هذه الاحرف ومعناه ان القرآن ليس هو الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها
فكان يجب ان تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر
وقيل انهم لما اعرضوا عن سماع القرآن فاراد الله اعلام بعضهم انزل هذه الاحرف
فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم
فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سببا في ايمانهم وقيل ان الله
تعالى حير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا ان لا سبيل الى معرفة خطابه الا بالاعتراف
بالعجز مع معرفة كنه حقيقة خطابه واعلم ان مجموع هذه الحروف المنزلة في
اوائل السور اربعة عشر حرفا في تسعة وعشرين سورة وهي الالف واللام والميم
والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهي
نصف حروف المعجم وهي مباني الكلام على ما فيها ان شاء الله تعالى قوله تعالى **ذلك الكتاب**
اي هذا الكتاب هو القرآن وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب الذي وعدتك به
وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على
كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك عليه وقيل ان الله وعد بني
اسرائيل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من بني اسماعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة وبها خلق كثير انزل الله هذه الاية الم ذلك الكتاب اي هذا الكتاب الذي وعدت
به على لسان موسى ان انزله على النبي الذي من ولد اسماعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب
واصله الضم والجمع ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فيسمى الكتاب كتابا لانه
يجمع الحروف بعضها الى بعض والكتاب اسم من اسماء القرآن **لا ريب فيه** اي لا شك
فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا فيه فان
قلت فقد ارتاب به قوم فما معنى لا ريب فيه قلت معناه انه في نفسه حق وصدق
فمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك **هدى للمتقين** الهدى عبارة عن الدلالة وقيل هي
الدلالة بلطف وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاد لا ريب في
هدايته والمتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل
التقوى في عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات
قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء
واصله الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي الحديث
كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا اذا اشتد
الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو وكان المتقي يجعل امتثال

اوامر الله

اوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه وبين النار وقيل المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا
من احد وقيل التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على
المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى
الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وفي الحديث اجتماع التقوى في قوله تعالى ان الله
يامر بالعدل والاحسان الاية وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا باس به حذرا مما به باس
وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية
ولو لم يكن للمتقين فضل الا قوله هدى للمتقين لكفاهم فان قلت كيف قال هدى للمتقين
والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب
الزيادة له والدوام على ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم **الذين يؤمنون بالغيب**
اي يصدقون بالغيب واصل الايمان في اللغة التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق
فاذا اقتصر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزأ حتى يتصور كماله
مرة ونقصانه اخرى والايمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان
والعمل بالاركان وانه اذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث
وغيرهم وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسألة وهي ان الرجل لو مات قبل ان يجمع الى تصديقه
العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك مع امكان الوقت هل يموت
مؤمنا ام لا فيه خلاف والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مؤمنا لقوله صلى الله عليه
وسلم لا يزني الزاني وهو مؤمن فنفى عنه اسم الايمان او كمال الايمان وانكر اكثر المتكلمين
زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا وقال
المحققون من متكلمي اهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي
يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب
والسنة التي فيها جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصله من اللغة وقال بعض المحققين
ان نفس التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر في الادلة والبراهين وقلة امعان النظر في
ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى واثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم شبهة
في ايمانهم ولا تتزلزل واما غيرهم من احاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل في ان نفس
تصديق ابي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق غيره من احاد الامة وقيل انما سمي
الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرائعه والدليل على ان الاعمال من الايمان
ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة
افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان اخرجاه
في الصحيحين البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشيء
واماطة الاذى عن الطريق هو عزله وتنحية ذلك عنه والحياء بالمد هو انقباض النفس
عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحيي ينزجر باستحيائه
عن المعاصي فصار من الايمان وقيل الايمان ماخوذ من الامن فسمي المؤمن مؤمنا لانه
يؤمن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل
اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون مسلما في الظاهر غير
مصدق في الباطن وعن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس
فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله
وتؤمن بالبعث الاخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله ولا تشرك به شيئا

وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله
متى الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثكم عن أشراطها إذا ولدت
الأمة ربها فذلك من أشراطها وإذا كانت الحفاة العراة رؤوس الناس فذلك من أشراطها
وإذا تطاول رعاة البهم في البنيان فذلك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى ثم تلا ٤٤
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام
إلى قوله عليم خبير قال ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي هذا الرجل
فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس
دينهم وفي أفراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام
على معنى الإيمان والإسلام وبقي أشياء تتعلق بمعنى الحديث فقوله كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما بارزا أي ظاهرا وقوله وتؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر هو بكسر الخاء
وقيل في الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وبالبعث فإن اللقاء يحصل بمجرد الانتقال في الدار الآخرة
وهو الموت والبعث هو بعد ذلك عند قيام الساعة وفي تقييده بالآخر وجهان أحدهما أن خروجه
إلى الدنيا بعث من الأرحام وخروجه من القبر إلى الآخرة بعث آخر قوله ما الإحسان هو هنا الإخلاص
في العمل وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام لأن من أتى بلفظ الشهادة وأتى بالعمل من غير إخلاص
لم يكن محسنا وقيل أراد بالإحسان المراقبة وحسن الطاعة فإن من راقب الله أحسن عمله وهو
المراد بقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبلها إذا ولدت
الأمة ربها يعني سيدها والمعنى أن الرجل تكون له الأمة فتلد له ولدا فيكون ذلك الولد ابنها
وسيدها ورعاء البهم بكسر الراء وضم الباء وإسكان الهاء من البهم وهي الصغار من أولاد الضأن
والمعنى أنه ينبسط المال على أهل البادية وأشباههم حتى يتباهون في البناء ويسودون الناس
فذلك من أشراط الساعة والله أعلم قوله تعالى بالغيب الغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل
للغائب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كلما أمرت بالإيمان به
مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو
الله تعالى وقيل القرآن وقيل الآخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد
كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود إن
أمر محمد صلى الله عليه وسلم بين لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط أفضل من إيمان بغيب
ثم قرأ الم ذلك الكتاب لا ريب إلى قوله وأولئك هم المفلحون ويقيمون الصلاة أي يداومون
عليها في مواقيتها بحدودها وإتمام أركانها وحفظها من أن يقع فيها خلل في فرائضها وسننها
وآدابها يقال قام بالأمر وأقام الأمر إذا أتى به معطى حقوقه والمراد به الصلوات الخمس والصلاة
في اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم أي ادع لهم وأصله من صليت العود إذا لينته فكأن
المصلي يلين ويخشع وفي الشرع اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء
مع النية ومما رزقناهم أي أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال ولبس
وأصله الحظ والنصيب ينفقون أي يخرجون ويتصرفون في طاعة الله وسبيله ويدخل
فيه إنفاق الواجب كالزكاة والنذر والإنفاق على النفس وعلى من تجب نفقته عليهم والإنفاق
في الجهاد إذا وجب عليه الإنفاق وفي المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الإخوان
وهذه كلها مما يمدح بها وأدخل من التي هي للتبعيض صيا وكفوا عن الطرف والتبذير صيانة لهم
والتقصير عنها في الإنفاق والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك أي يصدقون
بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الأنبياء قيل كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف
الأنبياء

الأنبياء كلها فيجب الإيمان بذلك كله وبالآخرة يعني وبالدار الآخرة سميت آخرة لتأخرها
عن الدنيا وكونها بعدها هم يوقنون من الإيقان وهو العلم والمعنى يتيقنون ويعلمون أنها كائنة
أولئك الذين هذه صفتهم على هدى من ربهم أي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة
وأولئك هم المفلحون أي الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب
أي الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر

لو كان حي مدرك الفلاح
أدركه ملاعب الرماح

يريد البقاء ويكون المعنى أولئك الباقون في النعيم المقيم والفلاح الظفر وإدراك البغية
من السعادة والعز والبقاء والغنى وأصل الفلاح الشق كما قيل إن الحديد بالحديد يفلح أي يشق
فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة واعلم أن الله عز
وجل صدر هذه السورة بأربع آيات أنزلها في المؤمنين وباثنتين أنزلهما في الكافرين وبثلاث
عشرة آية أنزلها في المنافقين فأما التي في الكفار فقوله تعالى إن الذين كفروا أي جحدوا وأنكروا وأصل
الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لأنه يستر الأشياء بظلمته قال الشاعر
في ليلة كفر النجوم غمامها أي يسترها والكفر على أربعة أضرب كفر إنكار وهو أن لا يعرف الله
أصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من إله غيري وكفر جحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا
يقر بلسانه ككفر إبليس وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به ككفر
أمية بن أبي الصلت وأبي طالب حيث يقول في شعر له

ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني بذاك سمحا مبينا

وكفر نفاق وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الأنواع كفر وحاصله
أن من جحد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيئا مما أنزله على رسله أو أنكر نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم أو أحدا من الرسل فهو كافر فإن مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله
له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود سواء عليهم أي متساو لديهم أأنذرتهم
أي خوفتهم وحذرتهم والإنذار إعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا أم لم تنذرهم
لا يؤمنون أي لا يصدقون وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الأزلي
أنهم لا يؤمنون ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال تعالى ختم الله على قلوبهم أي طبع عليها فلا
تعي خيرا ولا تفهمه وأصل الختم التغطية وحقيقته الاستيثاق من الشيء لكيلا يخرج منه ما
جعل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال أهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر
لما سبق في علمه الأزلي فيهم وإنما خص القلب بالختم لأنه محل الفهم والعلم وعلى سمعهم
أي وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانغلاقه وتنبوا على
الإصغاء إليه لأنها مستوثق منها بالختم إنما وحد السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل
إنما وحده لأنه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع وعلى أبصارهم غشاوة هذا ابتداء كلام والغشاوة
الغطاء ومنه غاشية السرج أي وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطاء التعامي
عن آيات الله ودلائل توحيده ولهم عذاب عظيم يعني في الآخرة وقيل الأسر والقتل في
الدنيا والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الإنسان ويوجعه ويشق عليه
وقيل هو الإيجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الإنسان من مراده ومنه الماء العذب لأنه يمنع
العطش والعظيم ضد الحقير قوله عز وجل ومن الناس من يقول آمنا بالله نزلت في المنافقين
عبد الله بن أبي بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم وذلك أنهم أظهروا كلمة

الاستيثاق

الإسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم
من اليهود وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالإيمان ويقر به وينكره بقلبه ويصبح على حال
ويمسي على غيرها والناس جمع إنسان سمي به لأنه عهد إليه فنسي قال الشاعر
وسميت إنسانا لأنك ناسي وقيل سمي إنسانا لأنه يستأنس بمثله وباليوم الآخر أي
آمنا باليوم الآخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لأنه يأتي بعد الدنيا وهو آخر الأيام المعدودة
المعروفة وما بعده فلا آخر له قال الله تعالى ردا على المنافقين وما هم بمؤمنين نفى عنهم
الإيمان كله يخادعون الله والذين آمنوا أي يخالفون الله والمخادعة الحيلة والمكر وأصله
في الإخفاء والمخادع يظهر ضد ما يضمر وهو بمنزلة النفاق وهو خداعهم أي يظهر لهم نعيم الدنيا
ويعجله لهم خلاف ما يغيب لهم من عذاب الآخرة فإن قلت المخادعة مفاعلة وإنما تجيء في
الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة
تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص والمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله
يتعالى عن أن يكون منه خداع فإن قلت كيف يخادعون الله والله تعالى يعلم الضمائر والأسرار
فمخادعة الله ممتنعة وكيف يقال يخادعون الله قلت إن الله تعالى ذكر نفسه وأراد به
رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لأمره وتعظيم لشأنه وقيل أراد به المؤمنين
وإنما أضاف إليه المؤمنين فكأنهم خادعوا الله وذلك أنهم ظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين لا يعلموا حالهم ولتجري عليهم أحكام الإسلام في الظاهر وهم على خلافه في الباطن
وما يخادعون إلا أنفسهم أي أن الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه فلا يكونون في
الحقيقة إلا خادعين أنفسهم وقيل إن الخداع راجع إليهم لأن الله يطلع نبيه صلى الله عليه
وسلم على نفاقهم فيفتضحوا في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى والنفس ذات الشيء
وحقيقته وقيل القلب نفس لأنه قوة البدن وما يشعرون أي لا يعلمون أن وبال خداعهم راجع
إليهم في قلوبهم مرض أي شك ونفاق وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص
بالإنسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لأنه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن
فزادهم الله مرضا يعني أن الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية فكلما كفروا بآية
ازدادوا بذلك كفرا ونفاقا ولهم عذاب أليم أي مؤلم يخلص وجعه إلى قلوبهم بما كانوا
يكذبون أي بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرئ بالتخفيف أي بكذبهم إذ قالوا آمنا
وهم غير مؤمنين وإذا قيل لهم يعني المنافقين وقيل اليهود والمعنى إذا قال لهم المؤمنون
لا تفسدوا في الأرض أي بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
قالوا إنما نحن مصلحون يعني يقولونه كذبا ألا كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب إنهم
هم المفسدون يعني في الأرض بالكفر وهو أشد الفساد ولكن لا يشعرون وذلك لأنهم
يظنون أن ما هم عليه من النفاق وإبطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون بما
أعد الله لهم من العذاب وإذا قيل لهم يعني المنافقين وقيل اليهود آمنوا كما آمن الناس
يعني المهاجرين والأنصار وقيل عبد الله وأصحابه من مؤمني أهل الكتاب والمعنى أخلصوا في بن سلام
إيمانكم كما أخلص هؤلاء في إيمانهم لأن المنافقين كانوا يظهرون الإيمان قالوا أنؤمن كما
آمن السفهاء أي الجهال فإن قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم أنؤمن
كما آمن السفهاء قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله ألا إنهم هم
السفهاء يعني أنهم كذلك قوله تعالى ولكن لا يعلمون يعني الجهال وأصل السفه خفة

العقل

العقل ورقة العلم وإنما سمى الله المنافقين سفهاء لأنهم كانوا عند أنفسهم عقلاء رؤساء فقلب
ذلك عليهم وسماهم سفهاء وإذا لقوا الذين آمنوا يعني المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار
قالوا آمنا كإيمانكم وإذا خلوا وقيل هو من الخلوة إلى قيل بمعنى الباء أي بشياطينهم وقيل بمعنى مع
أي مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب
ابن الأشرف من اليهود بالمدينة وأبو بردة في بني أسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني
أسد وعبد الله بن السوداء بالشام ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له وقيل هم رؤساؤهم الذين
شابهوا الشياطين في تمردهم قالوا إنا معكم أي على دينكم إنما نحن مستهزئون أي بمحمد وأصحابه بما
نظهر لهم من الإسلام لنأمن شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم قال ابن عباس
نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن أبي لأصحابه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم
فذهب فأخذ بيد أبي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فإن المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا أبا
الحسن إني لا أقول هذا والله إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله
لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا الله يستهزئ بهم أي يجازيهم جزاء
استهزائهم بالمؤمنين فسمى الجزاء باسمه لأنه في مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب
الجنة فإذا انتهوا إليه سد عنهم وردوا إلى النار ويمدهم أي يتركهم ويمهلهم والمد والمدد
لا مد واحد وأصله الزيادة وأكثر ما يأتي المد في الشر والإمداد في الخير في طغيانهم
أي في ضلالهم وأصل الطغيان مجاوزة الحد يعمهون أي يترددون في الضلالة متحيرين أولئك
يعني المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى أي استبدلوا الكفر بالإيمان وإنما أخرجه بلفظ
الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لأن الشراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر فإن قلت
كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم
فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوا به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء
فما ربحت تجارتهم أي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال وأضاف الربح إلى التجارة
لأن الربح فيها يكون وما كانوا مهتدين أي مصيبين في تجارتهم لأن رأس المال هو الإيمان فلما
أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم قوله
عز وجل مثلهم المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول قولا آخر بينهما مشابهة ليبين
أحدهما الآخر ويصوره ولهذا ضرب الله الأمثال في كتابه وهو أحد أقسام القرآن العظيمة
ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان
لأنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ولأن المثل تشبيه الخفي
بالجلي فيتأكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الإيضاح وشرطه أن يكون
قولا فيه غرابة من بعض الوجوه كمثل الذي استوقد نارا لينتفع بها فلما أضاءت
يعني النار ما حوله يعني حول المستوقد ذهب الله بنورهم فإن قلت كيف
وحد أولا وجمع ثانيا قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا
وقيل إنما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه مثل واحد منهم كمثل الذي

استوقد نارا (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) قال ابن عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم
في نفاقهم كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى
مما يخاف فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي في ظلمة حائرا متحيرا فكذلك حال المنافقين
أظهروا كلمة الإيمان فأمنوا بها على أنفسهم وأموالهم ونكحوا المسلمين وقاسموهم
في الغنائم فكذلك نورهم فلما ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم
ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في
القبر أو على الصراط فإن قلت ما وجه شبه الإيمان بالنور والكفر بالظلمة قلت
وجه تشبيه الإيمان بالنور أن النور أبلغ الأشياء في الهداية إلى المحجة القصوى وإلى الطريق
المستقيم وإزالة الحيرة وكذلك الإيمان هو الطريق الواضح إلى الله تعالى وإلى جناته وتشبيه
الكفر بالظلمة لأن الضال عن الطريق المستقيم المسلوك في الظلمة لا يزداد إلا حيرة وكذلك
الكفر لا يزداد صاحبه في الآخرة إلا حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم أحدها
أن المستضيء بالنار مستضيء بنور غيره فإذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمة فكأنهم لما
أقروا بالإيمان من غير اعتقاد قلوبهم فكان إيمانهم كالمستعار الثانية أن النار تحتاج
في دوامها إلى مادة الحطب لتدوم فكذلك الإيمان يحتاج إلى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة
أن الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الإنسان من ظلمة لم يجد قبلها ضوءا فشبه
حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال (صم) أي عن سماع الحق لأنهم لا يقبلونه وإذا لم
يقبلوه فكأنهم لم يسمعوه (بكم) أي خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه (عمي) أي لا
بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو أعمى لأن
حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق آذانهم وأبوا أن تنطق به ألسنتهم وأن
ينظروا إليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهبت إدراكه قال الشاعر
صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به … وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا
(فهم لا يرجعون) أي عن ضلالتهم ونفاقهم قوله تعالى (أو كصيب) أي كأصحاب صيب وهو
المطر وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب (من السماء) أي من جهة السماء لأن كل ما
علاك فأظلك فهو سماء ومنه قيل لسقف البيت سماء وقيل من السماء بعينها
وإنما ذكر الله تعالى السماء وإن كان المطر لا ينزل إلا منها ليرد على من زعم أن المطر
ينعقد من أبخرة الأرض كما زعم الحكماء (فيه) أي في الصيب (ظلمات) جمع ظلمة (ورعد) هو
الصوت الذي يسمع من السحاب (وبرق) يعني النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد
اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم
ملك يزجر السحاب إذا تبددت جمعها وضمها فإذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار
فهي البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل الرعد صوته (يجعلون أصابعهم
في آذانهم من الصواعق) جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت بها كل من سمعها
أو يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشاء عن ابن
عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم
لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك أخرجه الترمذي وقال حديث غريب
(حذر الموت) أي مخافة الهلاك (والله محيط بالكافرين) أي عالم بحالهم وقيل يجمعهم
ويهلكهم (يكاد البرق) أي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل (يخطف أبصارهم) أي
يختلسها والخطف استلاب الشيء بسرعة (كلما) أي متى ما جاء (أضاء لهم) يعني البرق

مشوا فيه

(مشوا فيه) أي في ضوئه ونوره (وإذا أظلم عليهم قاموا) أي وقفوا متحيرين وهذا
مثل ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل أن الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم
بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة فأصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة
السحاب من صفة تلك الظلمات أن الساري لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته أن يضم
سامعوه أصابعهم إلى آذانهم من هوله وبرق من صفته أن يخطف أبصارهم ويعميها
من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر هو
القرآن لأنه حياة القلوب كما أن المطر حياة الأرض والظلمات ما في القرآن من ذكر
الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من
الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة والنار والكافرون والمنافقون يسدون آذانهم عند
قراءة القرآن وسماعه مخافة أن تميل قلوبهم إليه لأن الإيمان عندهم كفر والكفر موت
وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للإسلام فالمطر هو الإسلام والظلمات ما فيه من البلاء
والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الآخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون
أصابعهم في آذانهم يعني المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من
الهلاك والله محيط بالكافرين يعني دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من
الشقاوة كلما أضاء لهم يعني المنافقين وإضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان
مشوا فيه يعني على المسالمة بإظهار كلمة الإيمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة
في الإسلام ثبتوا وقالوا إنا معكم وإذا أظلم عليهم قاموا يعني إذا رأوا شدة وبلاء تأخروا
(ولو شاء الله لذهب بسمعهم) أي بصوت الرعد (وأبصارهم) بوميض البرق وقيل لذهب
بسمعهم وأبصارهم الظاهرة كما أذهب الله أسماعهم وأبصارهم الباطنة (إن الله على
كل شيء قدير) أي هو القادر على ما يشاء لا منازع له فيه قوله عز وجل (يا أيها الناس) قال
ابن عباس يا أيها الناس خطاب لأهل مكة ويا أيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة وهو هنا
خطاب عام لسائر المكلفين (اعبدوا ربكم) قال ابن عباس وحدوا ربكم وكل ما ورد في القرآن
من العبادة فمعناه التوحيد وأصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له
غاية الإفضال والإنعام وهو الله تعالى (الذي خلقكم) أي ابتدع خلقكم من غير مثال سبق
(والذين من قبلكم) أي وخلق الذين من قبلكم (لعلكم) لعل وعسى حرفا ترج وهما من كل
منهما من الله واجب (تتقون) أي لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى
بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ورائكم
(الذي جعل لكم الأرض فراشا) أي خلق لكم الأرض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة
لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من الأرض (والسماء بناء) أي سقفا مرفوعا وقيل إذا
تأمل الإنسان المتفكر في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج إليه فالسماء
مرفوعة كالسقف والأرض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والإنسان كمالك
البيت وفيه ضروب النبات المهيأة لمنافعه وأصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب
على الإنسان المسخر له هذه الأشياء شكر الله تعالى عليها (وأنزل من السماء) يعني السحاب
(ماء) يعني المطر (فأخرج به) أي بذلك الماء (من الثمرات) يعني من ألوان الثمرات وأصناف
النبات (رزقا لكم) أي وعلفا لدوابكم (فلا تجعلوا لله أندادا) يعني أمثالا تعبدونهم
كعبادته والند المثل (وأنتم تعلمون) يعني أنكم بعقولكم تعلمون أن هذه الأشياء والأمثال
لا يصح جعلها أندادا لله وأنه واحد خالق لجميع الأشياء وأنه لا مثل له ولا ضد له

قوله تعالى وإن كنتم في ريب أي وإن كنتم في شك لأن الله علم أنهم شاكون مما نزلنا
على عبدنا أي محمد صلى الله عليه وسلم لما تقرر إثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى
وأنه الواحد الخالق وأنه لا ضد له ولا ند أتبعه بإقامة الحجة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة وأنه من عند الله لا من عند نفسه كما يدعون
فيه وقوله على عبدنا إضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن القرآن منزل عليه من عند
الله سبحانه وتعالى فأتوا أي أمر تعجيز بسورة والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول
والآخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه فسميت سورة
لأن القارئ ينال بها المنزلة الرفيعة حتى يستكمل المنازل باستكماله سور القرآن من مثله
أي مثل هذا القرآن وقيل الضمير في مثله راجع إلى عبدنا يعني من مثل محمد صلى الله عليه وسلم
أي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم يأخذ العلم عن أحد وعود الضمير إلى القرآن أوجه
ويدل عليه أن ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في التحدي وإنما وقع الكلام في المنزل
لا في المنزل عليه وأن ارتبتم في القرآن منزل من عند الله فأتوا أنتم بسورة مما يماثله ويجانسه
ولو كان الضمير مردودا إلى محمد صلى الله عليه وسلم لقال وإن ارتبتم في أن محمدا منزل
عليه فهاتوا قرآنا من مثل محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على كون القرآن معجزا ما اشتمل عليه
من الفصاحة والبلاغة في طرفي الإيجاز والإطالة فتارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل
ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الأول وأيضا فارقت أساليبه أساليب الكلام
وأوزانه أوزان الأشعار والخطب والرسائل ولهذا تحيرت العرب فيه وعجزوا عنه وتحيروا
فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الأشعار
والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القرآن والله إن له لحلاوة وإن عليه
لطلاوة وإن أصله لمثمر وإن أعلاه لمغدق وادعوا شهداءكم من دون الله أي استعينوا
بآلهتكم التي تعبدونها من دون الله والمعنى إن كان الأمر كما تقولون إنها تستحق العبادة
فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وإلا فاعلموا أنكم
مبطلون في دعواكم إلهية الآلهة وقيل معناه وادعوا أناسا يشهدون لكم إن كنتم صادقين فإن لم
تفعلوا أي فيما مضى ولن تفعلوا فيما بقي وهذه دلت على عجزهم وأنهم لم يأتوا
بمثله ولا بمثل شيء منه وذلك أن النفوس لا تأبى إلا عن عنت بمثل هذا التحدي مع اتساع
الوسع فلما لم يأتوا بمثل هذا القرآن ولا بمثل سورة منه ولو قدروا على ذلك لأتوا به وحيث لم
يأتوا بشيء ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم وهم أهل الفصاحة
والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا أحرص على إطفاء نوره وإبطال أمره ثم مع هذا
الحرص الشديد لم يتوجه المعارضة من أحد منهم ورضوا بسبي الذراري وأخذ الأموال والقتل
وإذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا كان الأمر كذلك
وجب ترك العناد وهو قوله تعالى فاتقوا النار أي فآمنوا واتقوا النار بالإيمان فإن النار
التي وقودها أي حطبها الناس والحجارة قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت لأنها
أكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل أراد
بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت من حجارة والمعنى أن الناس وهم الحجارة لأنهم كانوا
يعبدونها معتقدين فيها أنها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم
أعدت أي هيئت للكافرين قوله عز وجل وبشر الذين آمنوا أي أخبر المؤمنين
وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة أول الخبر السار على سامع لم يستشعر
به ويظهر

به ويظهر السرور في بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخبر والشر ومنه قوله فبشرهم بعذاب
أليم ولا يكون في السرور والخير أغلب وعملوا الصالحات أي الفعلات الصالحات وهي الطاعات
قيل العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر والإخلاص وقال عثمان بن عفان
وعملوا الصالحات أي أخلصوا الأعمال يعني عن الرياء أن لهم جنات جمع جنة وهي البستان الذي فيه
أشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها بالأشجار والأوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس
ما فيه كرم تجري من تحتها أي من تحت أشجارها ومساكنها الأنهار أي تجري المياه في الأنهار لأن
الأنهار لا تجري وقيل معناه تجري بأمرهم وفي الحديث أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود أي في غير
شق والخد الشق كلما رزقوا أي أطعموا منها أي من الجنة من ثمرة رزقا أي طعاما قالوا هذا الذي
رزقنا من قبل أي في الدنيا وقيل ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فإذا رزقوا
ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى وأتوا به أي بالرزق متشابها قال ابن عباس مختلفا في
الطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لا رداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا في الاسم لا في
الطعم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون
ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء
ورشح كرشح المسك وفي رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح أي يجري على ألسنتهم
كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شيء كما أن النفس لا يشغل عن شيء قوله طعامهم جشاء يعني أن فضول
طعامهم يخرج في الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى ولهم فيها أي في الجنة أزواج
من الحور العين مطهرة يعني من البول والغائط والحيض والولد وسائر الأقذار وقيل هن عجائز كن الغمص
العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوئ الأخلاق في الجنة ما تشتكي ولا تلد وهم فيها
خالدون أي لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقاء الدائم الذي لا انقطاع له عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم
الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبزقون ولا يتمخطون ولا يبولون أمشاطهم الذهب
ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة الألوة عود الطيب أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد
لكل منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم
قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وعن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها
أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا عن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله مم خلق الله
الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وبلاطها المسك الأذفر
وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى
ثيابهم ولا يفنى شبابهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ليس إسناده بذلك القوي عن
عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين
كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون
العرش فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم
فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله
لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا عن علي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق
مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان

لنا وكذا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما أراد الله بذكر هذه الأشياء وذلك أن الكفار واليهود كانوا يتعنتون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى إن الله لا يستحيي الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبائح هذا أصله في وصف الإنسان والله تعالى منزه عن ذلك كله فإذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك أن لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحياء هو التغير الذي يلحق الإنسان من خوف أن ينسب إليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فإذا ورد وصف الحياء في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحياء وغايته فيكون معنى إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا أي لا يترك ضرب المثل لقول الكفار واليهود. ما قيل ما صلة فيكون المعنى أن يضرب أنه مثلا بعوضة وقيل البعوضة صلة بل هو للإبهام والنكرة والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فإنه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع هذا الصغر يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى أن الجمل يموت من قرصته فما فوقها يعني الذباب والعنكبوت وما هو أعظم منهما في الجثة وقيل معناه فما دونها وأصغر منها وهذا القول أشبه بالآية لأن الغرض بيان أن الله تعالى لا يستحيي من التمثيل بالشيء الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو أصغر منها وقد ضرب العرب المثل بالحقرات فقيل هو أصغر من ذرة وأجمع من نملة وأحقر من ذبابة والأم من ذبابه **فأما الذين آمنوا** يعني بمحمد والقرآن **فيعلمون** يعني ضرب المثل **أنه الحق** يعني الصدق **من ربهم** الثابت الذي لا يجوز إنكاره لأن ضرب المثل من الأمور المستحسنة في العقل عند العرب **وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا** أي بهذا المثل **يضل به كثيرا** أي من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا **ويهدي به كثيرا** يعني المؤمنين يصدقونه ويعلمون أنه حق **وما يضل به إلا الفاسقين** يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ومنهم من قال نعت **الذين ينقضون** أي يخالفون ويتركون وأصل النقض الفسخ وفك المركب **عهد الله** أي أمر الله وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال **من بعد ميثاقه** أي من بعد عقده وتوكيده وفي معنى العهد أقوال أحدها أنه الذي أخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله ألست بربكم قالوا بلى الثاني أن المراد به ما أخذ على أحبار اليهود في التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وليبينوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقين يعني الذين نقضوا عهد الله الذي أبرمه الله تعالى وأحكمه بما أنزله في كتابه من الآيات الدالة على توحيده **ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل** يعني الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل أراد به قطع الأرحام التي أمر الله بوصلها **ويفسدون في الأرض** يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن **أولئك هم الخاسرون** أي المغبونون وأصل الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لأن فيه تبكيت وتعنيف لهم **كيف تكفرون بالله** يعني بعد نصب الدلائل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر تلك الدلائل فقال تعالى **وكنتم أمواتا** يعني نطفا في أصلاب آبائكم **فأحياكم** يعني في الأرحام والدنيا **ثم يميتكم** أي عند انقضاء آجالكم **ثم يحييكم** يعني بعد الموت للبعث **ثم إليه ترجعون** أي في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم قوله عز وجل

هو الذي

هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الأرض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا أما مصالح الدين فهو الاعتبار والتفكر في عجائب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته وأما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها **ثم استوى إلى السماء** أي قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد قال ابن عباس أي ارتفع وفي رواية عنه صعد وقال الأزهري معناه صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك أن الله تعالى خلق الأرض أولا ثم عمد إلى خلق السماء فإن قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها قلت الدحو البسط فيحتمل أن الله خلق جرم الأرض ولم يبسطها ثم خلق السماء وبسط جرم الأرض بعد ذلك فإن قلت هذا مشكل أيضا لأن قوله تعالى خلق لكم ما في الأرض جميعا يقتضي أن ذلك لا يكون إلا بعد الدحو قلت يحتمل أنه ليس هنا ترتيب وإنما هو على سبيل تعديد النعم كقول الرجل لمن لا يذكر ما أنعم الله عليه ألم أعطك ألم أرفع قدرك ألم أدفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله أعلم **فسواهن سبع سماوات** خلقهن سبع سماوات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسيأتي خلق الأرض والسماء عند قوله قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين في سورة حم السجدة إن شاء الله تعالى **وهو بكل شيء عليم** يعني يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات قوله تعالى **وإذ قال ربك** أي اذكر يا محمد إذ قال ربك وكلما ورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وقيل إذ زائدة والأول أوجه **للملائكة** جمع ملك وأصله مألك وهي الرسالة وأراد بالملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك أن الله تعالى خلق الأرض والسماء وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا واقتتلوا فبعث الله إليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجان ورأسهم إبليس وهم خزان الجنان فهبطوا إلى الأرض وطردوا الجن إلى جزائر البحور وأطراف الجبال وشعوب الجبال وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة وأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك الدنيا وخزانة الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما أعطاني الله هذا الملك إلا أني أكرم الملائكة عليه فقال له ولجنده **إني جاعل في الأرض خليفة** أي خالق خليفة يعني بدلا منكم ورافعكم إلي فكرهوا ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هنا آدم عليه السلام لأنه خلف الجن وجاء بعدهم وقيل لأنه يخلفه غيره والصحيح أنه إنما سمي خليفة لأنه خليفة الله في أرضه لإقامة حدوده وتنفيذ قضاياه **قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها** أي بالمعاصي **ويسفك الدماء** أي بغير حق كما فعل بنو الجان فإن قلت من أين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول قلت يحتمل أن يكون عرفوا ذلك بإخبار الله إياهم أو قاسوا الحاضر على الغائب وقيل إنهم لما رأوا آدم خلق من أخلاط مركبة علموا أنه يكون فيه الحلم والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله النار خافت الملائكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال إني جاعل في الأرض خليفة قالوا هو ذلك فإن قلت الملائكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض قلت ذهب بعضهم إلى أنهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه منها قوله أتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب إلى عصمتهم أجاب عنهم بأن هذا السؤال إنما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الإنكار والاعتراض فإنهم تعجبوا من كمال حكمة الله تعالى وإحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا أجابهم بقوله إني أعلم ما لا تعلمون وقيل إن العبد المخلص في حب سيده يكره أن يكون له عبد آخر يعصيه فكان سؤالهم على وجه المبالغة في إعظام الله عز وجل **ونحن نسبح بحمدك** أي نقول سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الكلام أفضل قال ما اصطفى الله لملائكته

او لعبادة سبحان الله وبحمده قال ابن عباس كل ما جاء في القرآن من التسبيح فالمراد به الصلاة فيكون
المعنى ونحن نصلي لك وقيل اصل التسبيح تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن
ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعناه نحمدك فامر بذلك وملتبسين بحمدك فانه لولا انعامك
علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك ونقدس لك اصل التقديس التطهير اي نطهرك عن النقائص
وكل سوء ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل معناه نطهر
انفسنا لطاعتك وعبادتك قال اني اعلم ما لا تعلمون قيل انه جواب لقول الملائكة
اتجعل فيها فقال الله تعالى اعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم من
يعبدني ويطيعني وهم الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس وقيل
اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم فصل في ماهية الملائكة وقصة خلق
آدم عليه الصلاة والسلام قيل ان الملائكة اجسام لطيفة هوائية خلقوا من نار وتقدر ان
تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم السماوات عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع
الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث حسن غريب واما
صفة خلق آدم عليه الصلاة والسلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله تعالى ان يخلق آدم اوحى
الله تعالى الى الارض اني جاعل منك خليفة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن اطاعني
ادخلته الجنة ومن عصاني ادخلته النار قالت الارض اتخلق مني خلقا للنار قال نعم فبكت الارض
فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث اليها جبريل لياتيه بقبضة منها من احمرها واسودها
وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بالله بعزة الله الذي ارسلك ان لا تاخذ
مني شيئا فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استعاذت بك مني فكرهت ان اقدم عليها فقال
الله تعالى لميكائيل انطلق فاتني بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت
لجبريل فرجع الى ربه فقال ما قالت فقال لعزرائيل انطلق فاتني بقبضة منها من الارض فلما
اتاها قالت له الارض اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان لا تاخذ مني شيئا فقال وانا اعوذ بعزة الله
ان لا اعصي له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها
وخبيثها وصعد به الى السماء فساله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فاخبره بما قالت له
وبما رد عليها فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لاخلقن مما جئت به خلقا ولاسلطنك على
قبض ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم
تركها ما شاء الله ثم اخرجها طينا لازبا مرة ثم حما مسنونا ثم صلصالا ثم جعلها جسدا
والقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا مثله
وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق لا يتمالك
وقال يوما للملائكة ان فضل عليكم هذا ما تصنعون قالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال
ابليس في نفسه لئن فضل علي لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد الله ان ينفخ
فيه الروح امرها ان تدخل في جسد آدم فنظرت فرات مدخلا ضيقا فقالت يا رب كيف
ادخل هذا الجسد فقال الله عز وجل ادخليه كرها وستخرجين منه كرها ثم دخلت في يافوخه
فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا فسارت الى ان وصلت منخريه فعطس
فلما بلغت لسانه فقال الحمد لله رب العالمين وهي اول كلمة قالها فناداه الله تعالى
يرحمك ربك يا ابا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال
الله تعالى وخلق الانسان عجولا فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قائما بشرا سويا
من لحم

لحما ودما

لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا واحشاء وكسي لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل
يوم وجعل في جسده تسعة ابواب سبعة في راسه وهي الاذنان ليسمع بهما والعينان ليبصر بهما
والمنخران ليشم بهما والفم فيه اللسان ليتكلم به والاسنان يطحن بها ما ياكله ويعرف لذة المطعومات
بها وبابان في اسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثفل طعامه وشرابه وجعل عقله
في دماغه وفكره وصرامته في قلبه وشرهه في كليته وغضبه في كبده ورغبته في رئته
وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق
بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحياء عن ابي هريرة قال خلق الله آدم عليه
الصلاة والسلام وطوله ستون ذراعا ثم قال له اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة فاستمع
ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله
فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال فلم يزل الخلق ينقص الى الان عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس
يطوف به ينظر ما هو فلما راه اجوف علم انه لا يتمالك عن ابي موسى قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على
قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه
الترمذي وابو داود قوله عز وجل وعلم آدم الاسماء كلها سمي آدم لانه خلق من اديم الارض
وقيل انه كان آدم اللون وكنيته ابو محمد وقيل ابو البشر فلما خلق الله آدم وتم خلقه علمه اسماء
الاشياء كلها وذلك ان الملائكة قالوا ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان
فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله وراينا ما لم يره فاظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم وفيه دليل
لمذهب اهل السنة ان الانبياء افضل من الملائكة وان كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم كل شيء
حتى القصعة والقصيعة وقيل خلق الله كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم اسماءها
كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى اتى على آخرها وقيل علم آدم اسماء الملائكة
وقيل اسماء ذريته وقيل علمه الكتب كلها ثم عرضهم على الملائكة يعني تلك الاشخاص وانما قال
عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب
العقلاء عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور على الملائكة فقال يعني تعجيزا لهم انبئوني
اي اخبروني باسماء هؤلاء يعني الاشخاص ان كنتم صادقين اني لم اخلق خلقا الا كنتم افضل منهم
واعلم قالوا يعني الملائكة سبحانك تنزيها لك ولما ظهر عجزهم لا علم لنا الا ما علمتنا اي انك
اجل من ان نحيط بشيء من علمك الا ما علمتنا انك انت العليم اي بخلقك وهو من اسماء الصفات
التامة وهو المحيط بكل المعلومات الحكيم في امرك وله معنيان احدهما القاضي العدل الثاني
المحكم للامور كي لا يتطرق اليه الفساد قال يعني الله تعالى يا آدم انبئهم باسمائهم
وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شيء باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لها
فلما انباهم باسمائهم قال يعني الله تعالى الم اقل لكم يعني يا ملائكتي اني اعلم غيب السماوات
والارض يعني ما كان وما سيكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم احوال آدم قبل ان يخلقه ولهذا
واعلم ما تبدون يعني قول الملائكة اتجعل فيها وما كنتم تكتمون يعني قولكم لن يخلق الله
خلقا اكرم عليه منا وقال ابن عباس اعلم ما تبدون من الطاعة وما تكتمون يعني ابليس
من المعصية قوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم قيل هذا الخطاب مع
الملائكة الذين كانوا سكان الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله فسجد
الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس فسجدوا يعني الملائكة وفي هذا السجود قولان احدهما

انه كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحناء وكان السجود
تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف في قوله وخروا له سجدا فلما جاء الاسلام
ابطل ذلك بالسلام وقيل معنى سجود الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى وامتثال امره والقول
الثاني ان آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت القبلة قبلة للصلاة والصلاة لله
وفي هذه الآية دليل لمذهب اهل السنة في تفضيل الانبياء على الملائكة الا ابليس سمي به
لانه ابلس من رحمة الله اي يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى
غير اسمه فصار ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملائكة بدليل انه
استثناه منهم وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولانه اصل الجن
كما ان آدم اصل الانس ولان الخطاب كان مع الملائكة فدخل فيهم ثم استثناه منهم
ابى اي امتنع من السجود فلم يسجد واستكبر اي تكبر وتعظم عن السجود لآدم وكان من
الكافرين كان في علم الله تعالى وانه وجبت له النار السابق في علم الله تعالى بشقاوته عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل
الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية يا ويلي امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة
وامرت بالسجود فعصيت فلي النار قوله عز وجل وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
اي اتخذاها مأوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل اسكنا الجنة لانه خلق لعمارة الارض
ولما اسكن الله آدم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستأنس به فالقى الله عليه النوم
واخذ ضلعا من اضلاع جنبه الايسر فخلق منه زوجته حواء ووضع مكان الضلع لحما من غير ان يحس
بذلك آدم ولم يجد الما ولو وجد الما ما عطف رجل على امرأة قط وسميت حواء لانها خلقت
من حي فلما استيقظ آدم من نومه رآها جالسة كاحسن ما خلق الله تعالى فقال لها من انت
فقالت انا زوجتك حواء قال ولماذا خلقت قالت لتسكن الي واسكن اليك واختلفوا في الجنة
التي امر الله بسكناها فقيل انها جنة كانت في الارض بدليل انها لو كانت الجنة التي هي
دار الجزاء والثواب لما اخرج منها واجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطوا بان المراد بالهبوط
التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا والقول الصحيح انها الجنة التي هي دار الجزاء
والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين معروفة معهودة التي هي دار الجزاء والثواب
وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع وكلا منها رغدا اي واسعا كثيرا حيث شئتما
اي كيف شئتما ومتى شئتما واين شئتما والمقصود منه الاطلاق في الاكل من الجنة فلا
منع الا ما نهي عنه وهو قوله عز وجل ولا تقربا هذه الشجرة يعني بالاكل انما وقع هذا النهي
عن جنس من الشجر وقيل على شجرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرمة
وقيل شجرة التين وقيل هي شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على
التعيين اذ لا حاجة اليه لانه ليس المقصود تعريف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا
لا يجب بيانه فتكونا من الظالمين يعني ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمتما انفسكما وفيه
جواز ارتكاب الذنوب على الانبياء فان الظلم نقيصة بالمعصية واصل الظلم وضع الشيء في
غير موضعه ومن لم يجوز ذلك على الانبياء احمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعله
وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل النبوة فان قلت هل يجوز وصف الانبياء بالظلم او
بظلم انفسهم قلت لا يجوز ان يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم قوله عز وجل فازلهما
الشيطان عنها اي استزل آدم وحواء ودعاهما الى الزلة وهي الخطيئة وسيأتي الكلام
ان شاء الله تعالى على عصمة الانبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى آدم

ربه فغوى

ربه فغوى في سورة طه فاخرجهما مما كانا فيه يعني من النعيم وذلك ان ابليس اراد ان يدخل
الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة فاتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من احسن
الدواب لها اربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسألها ان تدخله الجنة في فمها
فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما راهما على باب الجنة لانهما كانا
يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك ان آدم لما دخل الجنة وراى ما
فيها من النعيم قال لو ان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان لكما منه واتاه من قبل الخلد وقيل
لما دخل الجنة وقف على آدم وهما لا يعلمان انه ابليس فبكى وناح نياحة احزنتهما وهو اول
من ناح فقالا له ما يبكيك قال ابكي عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعمة فوقع
ذلك في انفسهما واغتما ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد
فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا ان احدا يحلف بالله كاذبا
فبادرت حواء الى اكل الشجرة ثم ناولت آدم فاكل منها قال ابراهيم بن ادهم اورثتنا تلك الاكلة
حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى
يا رب وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش
فيها الا نكدا فاهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ
واستحصد حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه
بالجهد وفي رواية عن ابن عباس لما اكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى يا آدم ما حملك
على ما صنعت قال يا رب زينته لي حواء قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها
وادميتها في الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت
فلما اكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل
وقلنا اهبطوا اي انزلوا الى الارض آدم وحواء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من ارض
الهند على جبل يقال له نود واهبطت حواء بجدة وابليس بالابلة من اعمال البصرة والحية باصبهان
بعضكم لبعض عدو يعني العداوة التي بين المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس واليه الاشارة بقوله
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ
حاربناهن اخرجه ابو داود عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات
كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي رواية فاقتلوا الحيات كلها الا الجان الابيض الذي كانه قضيب
فضة وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا
فاذا رايتم منهم شيئا فاذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفي
رواية ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منهم شيئا فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه
فانه كافر ولكم في الارض مستقر اي موضع قرار ومتاع بلغة ومستمتع الى حين
اي وقت انقضاء آجالكم قوله عز وجل فتلقى آدم اي فتلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم
وقيل هو التعليم من ربه كلمات اي كانت سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات هي قوله
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت
نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني
انك انت ارحم الراحمين وقيل قال آدم يا رب ارايت ما اتيت شيئا ابتدعته من
تلقاء نفسي ام شيء قدرته علي قبل ان تخلقني قال بل شيء قدرته عليك قبل ان اخلقك
قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل ان الله تعالى امر آدم بالحج وعلمه اركانه

وطاف بالبيت سبعا وهي يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك
تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي
ذنوبي فاوحى الله اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان آدم لما اهبط الى الارض مكث ثلاث اليم
مائة سنة لا يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى وقيل هي ثلاثة اشياء الحياء والدعاء
والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم ياكلا ولم
يشربا اربعين يوما وقيل لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر منها حيث
اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر حيث اخرجه
من الجنة **فتاب عليه** اي تجاوز عنه وغفر له واصل التوبة الرجوع يقال تاب يتوب ولا تحصل التوبة منه أي رجع
الا بثلاثة امور علم وحال وعمل اما العلم فهو ان يعلم العبد ضرر الذنب ويعزم في المستقبل ان لا
يعود اليه وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تالم القلب وبعد ذلك يحصل الندم وهو
الحال فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل ان لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت هذه الثلاثة
امور حصلت التوبة وسياتي بسط هذا عند قوله توبوا الى الله توبة نصوحا في سورة التحريم ان
شاء الله تعالى **انه هو التواب** اي الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب في وصف الله سبحانه
وتعالى المبالغة في قبول التوبة عن عباده **الرحيم** اي بخلقه ووصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا
بانه رحيم **قلنا اهبطوا منها جميعا** يعني هؤلاء الاربعة وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى
سماء الدنيا والهبوط الثاني من سماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال في الهبوط الاول
ولكم في الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه للتاكيد **فاما ياتينكم
مني هدى** فيه تنبيه على عظم نعم الله على آدم وحواء كانه قال وان اهبطتكم من الجنة الى
الارض فقد انعمت عليكم بهدايتي التي تؤديكم الى الجنة مرة اخرى وعلى الدوام الذي لا ينقطع
وقيل الخطاب لهم ولذريته اي فاما ياتينكم يا ذرية آدم اما ياتينكم مني رشد وبيان وشريعة
وقيل كتاب ورسول **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم** يعني فيما يستقبلهم **ولا هم يحزنون**
اي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة **والذين كفروا** اي جحدوا **وكذبوا
باياتنا** اي بالقرآن **اولئك اصحاب النار** اي يوم القيامة **هم فيها خالدون** اي لا يخرجون منها ولا
يموتون فيها قوله عز وجل **يا بني اسرائيل** اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب بن
اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم اجمعين ومعنى اسرا ايل عبد الله وقيل صفوة الله
والمعني بالاولاد يعقوب **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي اشكروا نعمتي وانما عبر عنه
بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب
ويكون باللسان وحد النعمة انها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه
ان المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة
لانه لم يقصد بها الغير ثم ان النعم ثلاثة نعمة تفرد الله تعالى بها وهي ايجاد الانسان ورزقه
ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لان الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة
هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهي ايضا من الله تعالى فالله هو المنعم
المطلق في الحقيقة لان حصول النعم كلها منه واما النعم المختصة ببني اسرائيل فكثيرة لان
قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله تعالى انقذهم من فرعون
وفلق البحر لهم واغرق فرعون وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى في التيه عليهم وانزال
التوراة في نعم غير هذا كثيرة فان قلت اذا قصرت النعمة بهم فما كانت على
المخاطبين بها بل كانت على آبائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى يذكروها قلت

انما ذكر

انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الآباء فخر للابناء وعار الآباء عار للابناء اذا تبين ان الله انعم على آبائهم
بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعمة هي ادراك المخاطبين
زمان محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان بها **واوفوا بعهدي** اي امتثلوا امري **اوف
بعهدكم** اي بالقبول والثواب واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمي
الموثق الذي يلزم مراعاته عهدا وقيل اراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص ببعض
التكاليف دون بعض وقيل اراد به ما ذكر في سورة المائدة وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله لاكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله اوف بعهدكم
وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته
في كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث في آخر الزمان وذلك
ان الله عهد الى بني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام اني باعث من بني اسماعيل نبيا اميا فمن
تبع النور الذي ياتي به غفرت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته **واياي فارهبون**
اي فخافوني في نقضكم العهد **وآمنوا بما انزلت** يعني بالقرآن **مصدقا لما معكم** يعني ان القرآن موافق
لما في التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت النبي صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان في التوراة الاشارة الى بعث محمد صلى الله عليه وسلم
وانه نبي مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كفر بمحمد فقد كذب بالتوراة
ولا تكونوا اول كافر به الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود والمعنى فلا تكونوا
يا معشر اليهود اول من كفر به فان قلت كيف جعلوا اول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به
مشركو العرب من اهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض بهم والمعنى كان يجب ان تكونوا اول من آمن
به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان امر
اليهود بالعكس وقيل معناه ولا تكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوؤوا
بالحكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك **ولا تشتروا** اي ولا تستبدلوا **باياتي** اي ببيان صفة
محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة **ثمنا قليلا** اي عرضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة
الى الآخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا ياخذونه من الدنيا كالشيء اليسير
بالنسبة الى جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وذلك
ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون الماكل من سفلتهم وجهالهم وكانوا
ياخذون منهم في كل سنة شيئا معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم فخافوا
ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوه ان تفوتهم تلك الماكل فغيروا نعته وكتموا
اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة واصروا الكفر **واياي فاتقون** اي فخافوني في امر محمد صلى الله
عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب
والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف قوله عز وجل **ولا تلبسوا الحق بالباطل** اي ولا تكتبوا
في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي انزل
عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل اي بصفة الدجال وذلك لانهم الذي
تكتبونه بايديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل
اي بصفة الدجال وذلك انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس
هو الذي ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعنون الدجال وكذبوا فيما قالوا **وتكتمون الحق وانتم
تعلمون** يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم تغيروه وانتم تعلمون يعني ان محمدا النبي مرسل

وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار هذا الخطاب وإن كان خاصا في الصورة لأنه عام في المعنى
فعلى كل أحد أن لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة أيضا على أن
العالم بالحق يجب عليه إظهاره ويحرم عليه كتمانه «وأقيموا الصلاة» يعني الصلوات الخمس
بمواقيتها وحدودها وجميع أركانها «وآتوا الزكاة» أي أدوا الزكاة المفروضة عليكم في أموالكم
«واركعوا مع الراكعين» أي صلوا مع المصلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعبر عن الصلاة
بالركوع لأنه ركن من أركانها وهذا خطاب لليهود لأن صلاتهم ليس فيها ركوع فكأنه قال صلوا صلاة ذات
ركوع فلهذا المعنى أعاده بقوله وأقيموا الصلاة لأن الأول خطاب للكافرين والثاني خطاب بقوم مخصوصين
وهم اليهود وفيه حث على إقامة الصلاة في الجماعة فكأنه قال صلوا مع المصلين في الجماعة قوله عز وجل
«أتأمرون الناس بالبر» لفظه استفهام فيه للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم والبر اسم جامع
لجميع أعمال الخير والطاعة نزلت هذه الآية في علماء اليهود وذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه
وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فإن أمره حق وقوله
صدق وقيل إن جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب إن رسولا سيظهر منكم ويدعوكم إلى الحق
وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم
ووبخهم بذلك حيث أنهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه وأعرضوا عنه
وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وأنواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله بذلك
«وتنسون أنفسكم» أي وتغفلون عما فيه نفعها والنسيان عبارة عن السهو الحادث بعد حصول
العلم والمعنى أتتركون أنفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم «وأنتم تتلون الكتاب»
يعني تقرؤون التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وفيها أيضا الحث
على الأفعال الحسنة والإعراض عن الأفعال القبيحة والإثم «أفلا تعقلون» يعني أنه حق فتتبعونه
والعقل قوة تهيئ قبول العلم وقيل العلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ومنه قول
علي بن أبي طالب العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع إذا لم يك مسموع كما لا
تنفع الشمس وضوء العين ممنوع وأصل العقل الإمساك لأنه مأخوذ من عقال الدابة كعقال البعير
بالعقال يمنعه من الشرود وكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والأفعال القبيحة ومعنى
الآية أن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو إرشاد الغير إلى تحصيل المصلحة وتحذيره
عما يوقعه في المفسدة والإحسان إلى النفس أولى من الإحسان إلى الغير وذلك أن الإنسان إذا وعظ
غيره ولم يتعظ هو فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال أفلا تعقلون وقيل إن من وعظ
الناس ينبغي أن تنفع موعظته في القلوب فإذا خالف قوله فعله كان ذلك سببا لتنفير القلوب
عن قبول موعظته وعن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل
يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل
النار فيقولون يا فلان ما لك ألم تكن تأمر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر
بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه قوله فتندلق أي تخرج أقتاب بطنه أي أمعاء بطنه
واحدها قتب وروى البغوي بسنده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة
أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء من أمتك
يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون وقيل مثل الذي يعلم الناس
الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن
وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم فابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإن انتهت عنه
فأنت حكيم فهناك يسمع ما تقول ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم قوله عز وجل
واستعينوا

«واستعينوا بالصبر والصلاة» قيل إن الخطاب بهذا للمؤمنين لأن من ينكر الصلاة والصبر
على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلا جرم وجب صرفه إلى من
صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل أن يكون الخطاب لبني إسرائيل لأن صرف الخطاب إلى
غيرهم يوجب تفكيك نظم القرآن ولأن اليهود لم ينكروا أصل الصلاة والصبر ولكن صلاتهم غير
صلاة المؤمنين فعلى هذا القول أن الله تعالى لما أمرهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام
شرائعه وترك الرياسة وحب الجاه والمال قال لهم استعينوا بالصبر أي بحبس النفس عن اللذات
وإن ضممتم إلى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما أنتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول
الأول يكون معنى الآية واستعينوا على حوائجكم إلى الله وقيل على ما يشغلكم من أنواع البلاء وقيل
على طلب الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار النفس
والصلاة أي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها
من تصحيح النية وإحضار القلب ومراعاة الأركان والآداب مع الخشوع والخشية فإن من اشتغل بالصلاة
ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة أي إذا أهمه أمر لجأ إلى الصلاة
عن ابن عباس أنه نعي له أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال
فيهما السجود ثم قام إلى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة «وإنها» يعني الصلاة وقيل الاستعانة
«لكبيرة» أي لثقيلة «إلا على الخاشعين» يعني المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله
وأصل الخشوع السكون والخاشع ساكن إلى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة وأكثر ما تستعمل في الجوارح
وإنما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لأن من لم يرج لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي
ثقيلة عليه والخاشع الذي يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهي سهلة عليه «الذين يظنون»
أي يستيقنون وقيل يعلمون «أنهم ملاقوا ربهم» يعني في الآخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في
الآخرة «وأنهم إليه راجعون» يعني بعد الموت فيجزيهم بأعمالهم قوله عز وجل «يا بني إسرائيل
اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم» إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من
ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم «وأني فضلتكم على العالمين» يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل
وإن كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للأبناء «واتقوا يوما» أي واخشوا عذاب يوم «لا تجزي
نفس عن نفس شيئا» يعني حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة
ولا ترد عنها شيئا مما أصابها بل يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه «ولا يقبل منها شفاعة» أي في
ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة إذا كانت النفس كافرة وذلك أن اليهود قالوا يشفع
لنا آباؤنا فرد الله عليهم بقوله ولا يقبل منها شفاعة وقيل إن طاعة المطيع لا تقضي عن
العاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه أن النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها «ولا يؤخذ
منها عدل» أي فدية وهي مماثلة الشيء بالشيء «ولا هم ينصرون» أي لا يمنعون من العذاب قوله
عز وجل «وإذ نجيناكم» أي اذكروا إذ خلصنا أسلافكم وأجدادكم فعدها نعمة عليهم لأنهم
نجوا بنجاة أسلافهم «من آل فرعون» أي من أتباعه وأهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر
من القبط ومن العماليق وكان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وعمر أكثر من أربعمائة سنة «يسومونكم»
أي يكلفونكم ويذيقونكم «سوء العذاب» أي أشد العذاب وأسوأه وقيل يصرفونكم في
العذاب مرة هكذا ومرة هكذا وذلك أن فرعون جعل بني إسرائيل خدما وخولا وصنفهم في الأعمال
أصنافا فصنف يبنون ويزرعون وصنف يخدمون ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال
وهب كانوا أصنافا في أعمال فرعون فذوو القوة يقطعون السواري من الجبال حتى تقرحت أيديهم
وأعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة يبنون له القصور وطائفة

يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وطائفة حدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج
يجني الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضريبته غلت يمينه إلى
عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجنه وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو
قوله عز وجل يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم أي يتركوهن أحياء وذلك أن فرعون رأى في يسومونكم
منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي ولم تتعرض لبني إسرائيل
وهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك
فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل ووكل بالقوابل يفتشن النساء حتى قتل في طلب موسى
اثني عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل فدخل رؤساء القبط على
فرعون وقالوا إن الموت قد وقع في بني إسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل
علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها وولد موسى
في السنة التي يذبحون فيها وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم أي اختبار وامتحان والبلاء يطلق على
النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر
فإن حمل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء والمحنة وإن حمل على
الإنجاء كان من النعمة قوله عز وجل وإذ فرقنا بكم البحر فجعلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه
مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحرا لاتساعه [illegible] وذلك أنه لما دنا هلاك
فرعون أمر الله عز وجل موسى أن يسري ببني إسرائيل من مصر بالليل فأمر موسى قومه أن يسرجوا يسري
في بيوتهم السراج إلى الصبح وأن يستعيروا حلي القبط لتبقى لهم أو ليتبعوهم لأجل المال وأخرج
الله كل ولد زنى كان في القبط من بني إسرائيل إلى بني إسرائيل وكل ولد زنى كان في بني إسرائيل من
القبط إلى القبط حتى يرجع كل ولد إلى أبيه وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا
بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تخرجوا في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك
وخرج موسى في بني إسرائيل وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن
ستين لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنسانا ما بين رجل وامرأة فلما أرادوا
المسير ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل وسألهم
عن ذلك فقالوا إن يوسف لما حضره الموت أخذ على إخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه
معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي
أنشدكم الله كل من يعلم أين قبر يوسف إلا أخبرني به ومن لم يعلم صمت أذناه عن سماع قولي
فكان يمر بين الرجلين وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيتك إن دللتك
على قبره أتعطيني كل ما أسألك فأبى عليها وقال حتى أسأل ربي فأمره أن يعطيها سؤلها فقالت
إني عجوز لا أستطيع المشي فاحملني معك وأخرجني من مصر هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك
أن لا تنزل غرفة من غرف الجنة إلا نزلتها معك قال نعم قالت إنه في النيل في جوف الماء فادع الله
أن يحسر عنه الماء فدعا الله أن يحسر عنه الماء ودعا أن يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من أمر يوسف
ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه
بالشام ففعل ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني إسرائيل وهو في ساقتهم وهارون
في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من
دهم الخيل سوى سائر الألوان وقيل كان معهم مائة ألف حصان أدهم وكان فرعون في الدهم
وكان على مقدمة عسكره هامان وكان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف ناشب
ومائة ألف حراب ومائة ألف معهم الأعمدة وسار بنو إسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية
الزيادة

الزيادة ونظروا حين أشرقت الشمس فإذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى أين
ما وعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا إن دخلناه غرقنا فأوحى
الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله أن كنّه فضربه وقال انفلق يا أبا
خالد فانفلق وكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق
وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله إليه الريح والشمس على قعر البحر حتى صارت يبسا
وخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضا
فخافوا وقال كل سبط قد هلك إخواننا فأوحى الله إلى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء كالشبابيك
يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى وإذ
فرقنا بكم البحر فأنجيناكم يعني من فرعون وأغرقنا آل فرعون وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر
فرآه منفلقا قال لقومه انظروا إلى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا مني ادخلوا
البحر فهاب قومه أن يدخلوا وقيل قالوا له إن كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على
حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى فجاء جبريل على فرس أنثى وديق فتقدمهم وخاض البحر
فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيئا واقتحمت الخيول خلفه
في البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر
وخرج جبريل من البحر وهم أولهم بالخروج أمر الله البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وغرقهم أجمعين
وكان بين طرفي البحر أربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر
يقال له إساف وكان إغراق آل فرعون بمرأى من بني إسرائيل فذلك قوله تعالى وأنتم تنظرون يعني إلى
هلاكهم وقيل إلى مصارعهم وقيل إن البحر قذفهم حتى نظروا إليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام
موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى قوله عز وجل وإذ واعدنا من المواعدة وهو من الله تعالى الأمر ومن موسى
القبول وذلك أن الله وعده المجيء للميقات موسى اسم عبري معرب فمو هو بالعبرانية الماء وشى
هو الشجر سمي موسى لأنه أخذ من الماء والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمي موسى أربعين ليلة أي
انقضاء أربعين ليلة ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لأن الأشهر
العربية وضعت على مسير القمر وقيل لأن الظلمة أقدم من الضوء ذكر القصة في ذلك قال
العلماء لما أنجى الله بني إسرائيل من البحر وأغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها
وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه إني ذاهب لميقات ربي لآتيكم منه بكتاب فيه
بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هارون فلما جاء الموعد أتاه
جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئا إلا حيي ليذهب بموسى إلى الميقات فرآه
السامري وكان صائغا اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من أهل باجرما
وقيل كرمان وقيل من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الإسلام وكان من قوم
يعبدون البقر فلما جاء جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر في الحال فقال في نفسه
إن لهذا شأنا وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب حافر فرسه وألقي
في روعه أنه إذا ألقي في شيء حيي فلما انطلق موسى إلى الميقات ومكث على الطور أربعين ليلة
وأنزل الله عليه التوراة في الألواح وكانت الألواح من زبرجد ومن زبرجد وقيل [illegible] سمعه صريف الأقلام
وقيل إنه بقي أربعين ليلة لم يحدث فيها [illegible] حتى هبط من الطور وكانت بنو إسرائيل
قد استعاروا حليا كثيرا من القبط حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك فرعون
وقومه بقي ذلك الحلي في أيديهم فلما فصل موسى قال لهم السامري إن الحلي الذي استعرتموه
غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رأيه وقيل

اي هارون امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلي اخذها من تراب فرس جبريل عليه السلام فصار عجلا من ذهب
مرصعا بالجواهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشي فقال لهم السامري هذا الاهكم واله موسى فنسي
اي فتركه ها هنا وخرج يطلبه وكان بنو اسرائيل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى
عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة
فكانت فتنتهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات وراوا العجل
وسمعوا قول السامري عكف عليه ثمانية الاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هارون مع
اثني عشر الف رجل وهذا اصح من ذلك قوله عز وجل ثم اتخذتم العجل يعني الاها من بعده اي من
بعد موسى وانتم ظالمون اي وانتم ضارون انفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير
موضعها ثم عفونا عنكم اي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم من بعد ذلك اي من بعد عبادتكم
العجل لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا عفوي عنكم وحسن صنيعي اليكم واصل الشكر هو تصور
النعمة واظهارها والشكر على ثلاثة اضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو
الثناء على النعمة وشكر بسائر الجوارح وهو مكافاة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو
الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكي
ان موسى عليه الصلاة والسلام قال الاهي انعمت علي النعم السوابغ وامرتني بالشكر وانما شكري
اياك نعمة منك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي ان يعلم ان ما به
من نعمة فمني وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن
شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة قال الجنيد الشكر ان لا يعصى معرفته
الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة ان لا يراها البتة ويرى المنعم
وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافاة ولمن دونك بالاحسان والافضال
قوله عز وجل واذ اتينا موسى الكتاب يعني التوراة والفرقان يعني هو نعت الكتاب والواو
زائدة والمعنى الكتاب الفارق بين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء
والواو اصلية لعلكم تهتدون يعني بالتوراة واذ قال موسى لقومه يعني الذين عبدوا العجل
يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل يعني الاها تعبدونه فكانهم قالوا اي شيء نصنع قال
فتوبوا الى بارئكم اي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال فاقتلوا انفسكم
يعني ليقتل البريء منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم ان لا
يعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد تفسير التوبة
بالقتل بل بيان ان توبتهم لا تتم الا بالقتل فان قلت التائب من الردة لا يقتل فكيف
استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما تختلف فيه الشرائع فلعل شرع موسى
كان يقتضي قتل التائب من الردة اما عاما في حق الكل او خاصا في حق الذين عبدوا العجل
ذلكم خير لكم عند بارئكم يعني القتل وتحمل هذه الشدة لان الموت لا بد منه فلما امرهم
موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن
بثوب وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردودة عليه
توبته واصلتت القوم الخناجر والسيوف واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه
وصديقه وقريبه وجاره فيرق له فلا يمكنهم الا المضي لامر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف
نفعل فارسل الله تعالى عليهم سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتلون الى المساء
فلما كثر القتل دعا موسى وهارون الله وبكيا وتضرعا اليه وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل
البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل فكشفت عن الوف من
القتلى قال

القتلى قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى
فاوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي
مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله عز وجل فتاب عليكم اي فعلتم ما امرتم به فتجاوز عنكم انه هو التواب
اي الرجاع بالمغفرة القابل التوبة الرحيم بخلقه قوله عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك واذ
اي لن نصدقك حتى نرى الله جهرة اي عيانا وذلك ان الله عز وجل امر موسى ان ياتيه في ناس من
بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال
لهم صوموا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى
اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى
الجبل كله فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا
سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع احد ان ينظر اليه
فضرب دونه الحجاب وسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه واسمعهم الله تعالى انا الله لا اله
الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ
موسى وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيدا
للرؤية لئلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم فاخذتكم الصاعقة قيل هي الموت وقيل
ضعف لان قوله وانتم تنظرون يدل على انه لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل
ان الصاعقة هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل نار نزلت من السماء فاحرقتهم
وقيل جاءت صيحة من السماء وقيل ارسل جنودا من الملائكة فسمعوا بحسيسها فخروا صعقين
وانتم تنظرون اي ينظر بعضكم الى بعض كيف ياخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع
ويقول الاهي ما اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعد ما ماتوا يوما
وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم اي احييناكم من بعد
موتكم اي لتستوفوا بقية اجالكم وارزاقكم ولو ماتوا باجالهم ما بعثوا الى يوم
القيامة لعلكم تشكرون قوله عز وجل وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك
انه لم يكن لهم في التيه شيء يستترون به ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فارسل الله غماما
بيضا رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن قمر وانزلنا
عليكم المن والسلوى في التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شيء كالصمغ يقع
على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل المن هو ما يمن الله به من غير تعب
ق عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكماة من المن وماؤها شفاء للعين
ومعنى الحديث ان الكماة شيء انبته الله من غير سعي احد ولا مؤنة وهو بمنزلة المن الذي كان ينزل
على بني اسرائيل وقوله وماؤها شفاء للعين معناه ان يخلط مع الادوية فينتفع به لا انه يقطر
ماؤها مجردا في العين وقيل ان تقطيره في العين ينفع لاجل وجع مخصوص وليس يراد به كل وجع
وكان هذا المن ينزل على اشجارهم في التيه في كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج
لكل انسان صاع فقالوا يا موسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله لنا ربك يطعمنا اللحم
فانزل الله عليهم السلوى وهو طائر يشبه السماني وقيل هو السماني بعينه فكان الرجل ياخذ
ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة ياخذ ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت
شيء كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات اي حلالات ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فجعل العود اذا ادخروا
فدود وفسد فقطع الله عنهم ذلك وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لولا بنوا اسرائيل لم يخنث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر
قوله ولم يخنز اللحم لم ينتن ولم يتغير وما ظلمونا اي وما بخسوا حقنا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون يعني باخذهم اكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذي
كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى قوله عز وجل واذ قلنا ادخلوا
هذه القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هي اريحا قرية الجبارين وقيل
كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة وروسهم عوج بن عنق وعلى هذا يكون القايل
يوشع بن نون لانه هو الذي فتح اريحا بعد موت موسى لان موسى مات في التيه وقيل هي
بيت المقدس وعلى هذا يكون القايل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضي
الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي موسعا عليكم
وادخلوا الباب سجدا من قال ان القرية اريحا قال ادخلوا من اي باب كان من ابوابها وكان لها سبعة
ابواب ومن قال ان القرية هي بيت المقدس قال هو باب حطة سجدا منحنين خضعا متواضعين
كالراكع ولم يرد به نفس السجود وقولوا حطة اي حط عنا خطايانا امروا بالاستغفار وقال
ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسالتنا حطة نغفر لكم
خطاياكم اي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب وسنزيد المحسنين
يعني ثوابا فبدل اي فغير الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اي قالوا قولا غير ما قيل لهم
وذلك انهم بدلوا قوله الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم حطا سمقاثا اي حنطة حمراء وذلك
استخفافا منهم بامر الله تعالى وقيل طوطي لهم الباب ليخفضوا روسهم فابوا ذلك ودخلوا زحفا
على استاههم فخالفوا في الفعل وبدلوا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا
حبة في شعيرة فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء يعني عذابا من السماء قيل ارسل الله
عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا بما كانوا يفسقون اي يعصون
ويخرجون عن امر الله تعالى قوله عز وجل واذ استسقى موسى لقومه اي طلب الله سقيا لقومه
وذلك انهم عطشوا في التيه فسالوا موسى ان يستسقي لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال فيها
فقلنا اضرب بعصاك وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام
ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها آدم معه من الجنة
فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى الحجر قال وهب لم يكن حجرا معينا بل
كان موسى يضرب اي حجر كان فينفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان حجرا
معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا قدر راس الرجل وكان
موسى عليه السلام يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل كان الحجر
اربعة وجوه في كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهي
الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذي وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل ففر به فاتاه جبريل وقال
ان الله يامرك ان ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه في مخلاته فلما سالوه
السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكانوا اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فينفجر منه
عيون لكل سبط عين تسيل اليهم في جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وييبس
الحجر فذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا يعني على عدد اسباط بني اسرائيل
والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست عرقت وانفجرت
سالت قد علم كل اناس مشربهم اي موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره كلوا واشربوا

اي وقلنا

اي وقلنا كلوا واشربوا من رزق الله يعني المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان ياتيهم بلا مشقة
ولا كلفة ولا تعثوا في الارض مفسدين العيث اشد الفساد في هذه الاية وفي هذه الاية معجزة عظيمة
لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روى منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم لانه انفجر الماء من بين اصابعه فروي منه الجم الغفير لان انفجار الماء من اللحم والدم اعظم
من انفجاره من الحجر قوله عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد وذلك انهم سئموا من
المن والسلوى وملوه فاشتهوا غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة
فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل
ولو كان على مائدة الرجل عدة الوان يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد
فادع لنا ربك اي فاسال لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها قال ابن
عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم وعدسها وبصلها انما طلبوا هذه الانواع
لانها تعين على تقوية الشهوة او لانهم ملوا من البقاء في التيه فسالوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا
في البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة قال يعني موسى اتستبدلون الذي هو
ادنى اي الذي هو اخس واردى وهو الذي طلبوه بالذي هو خير يعني بالذي هو اشرف وافضل وهو ما
هم فيه اهبطوا مصرا يعني فان ابيتم الا ذلك فانزلوا مصرا من الامصار وقيل هو مصر البلد الذي كانوا
فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول فان لكم ما سالتم يعني من نبات
الارض وضربت عليهم الذلة اي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان وقيل
الذلة الجزية وزي اليهودية وفيه بعد لانه لم يكن ضربت عليهم الجزية بعد والمسكنة اي الفقر والفاقة
وسمي الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا اغنياء فيما يسرون
كانهم فقراء فلا ترى احدا من اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود وباءوا اي رجعوا ولا يقال باء الا
بشر بغضب من الله وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه ذلك اي الغضب بانهم كانوا يكفرون
بايات الله اي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن
ويقتلون النبيين بغير الحق النبي معناه المخبر من انبا ينبئ وقيل هو بمعنى الرفيع ماخوذ من النبوة
وهو المكان المرتفع بغير الحق اي بغير جرم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فما فائدة
ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما امر الله به وتارة بغير الحق وهو
قتل العدوان فهو كقوله قل رب احكم بالحق فالحق وصف للحكم لان حكمه لا ينقسم الى حق وجور يروى
ان اليهود قتلت سبعين نبيا في اول النهار وقامت سوق بقلها في آخره وقتلوا زكريا ويحيى
وشعيا وغيرهم من الانبياء ذلك بما عصوا اي ذلك القتل والكفر بما عصوا امري وكانوا يعتدون
اي يتجاوزون امري ويرتكبون محارمي قوله عز وجل ان الذين آمنوا والذين هادوا يعني اليهود سموا
بذلك لقولهم انا هدنا اليك اي ملنا اليك وقيل هادوا اي تابوا من عبادة العجل وقيل لانهم مالوا
عن دين الاسلام ودين موسى عليه السلام والنصارى سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار الله
وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها والصابئين اصله من صبا اذا خرج
من دين الى دين آخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب
قال عمر ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم قوم
بين المجوس واليهود لا تحل ذبائحهم ومناكحتهم وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط
رؤوسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة اخذوا
من كل دين شيئا والاقرب انهم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خالق هذا العالم
وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هي التي تقرب الى الله تعالى

ولما ذكر هذه العقوبة قال من آمن بالله واليوم الآخر فإن قلت كيف قال في أول الآية إن الذين آمنوا
وقال في آخرها من آمن بالله فما فائدة التعميم أولا ثم التخصيص آخرا قلت اختلف العلماء في حكم الآية اختلف
وفيما أخرج بقوله إن الذين آمنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين آمنوا
في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرى الراهب
وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي فمنهم من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم
يدركه فكأنه تعالى قال إن الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل
المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم
فلهم أجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الأمم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الأمة
والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا
والصابئين يعني في زمن استقامة أمرهم من آمن منهم ومات وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان تكون
بالوفاة وأما الطريقة الثانية فقالوا إن المذكور من الإيمان في أول الآية إنما هو على طريق المجاز
دون الحقيقة وهم الذين آمنوا بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين آمنوا
بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكأنه تعالى قال هؤلاء المبطلون كل من آمن
منهم الإيمان الحقيقي صار مؤمنا عند الله تعالى وقيل إن المراد من قوله إن الذين آمنوا يعني بمحمد صلى الله
عليه وسلم في الحقيقة في الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من آمن
بالله واليوم الآخر وعمل صالحا أي في إيمانه فلهم أجرهم عند ربهم أي جزاء أعمالهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون أي في الآخرة قوله عز وجل وإذ أخذنا ميثاقكم أي عهدكم يا معشر
اليهود ورفعنا فوقكم الطور يعني الجبل العظيم قال ابن عباس أمر الله جبلا من جبال فلسطين
فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم والسبب في ذلك أن الله تعالى لما أنزل التوراة على موسى وأمر قومه
أن يعملوا بأحكامها فأبوا أن يقبلوها لما فيها من الآصار وهي الأثقال والتكاليف الشاقة فأمر الله
تعالى جبريل عليه السلام أن يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤوسهم
قدر قامة كالظلة وقيل لهم إن لم تقبلوا ما في التوراة وإلا أرسلت هذا الجبل عليكم خذوا أي وقلنا
لهم خذوا ما آتيناكم أي ما أعطيناكم بقوة أي بجد واجتهاد واذكروا ما فيه أي احفظوا ما فيه
لعلكم تتقون أي لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى فلما رضوا وسكن بعد الجبل فلما
رأوا ذلك قالوا لا بد من قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود
اليهود لا يسجدون إلا على أنصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب ثم توليتم أي أعرضتم
من بعد ذلك أي من بعد ما قبلتم التوراة فلولا فضل الله عليكم ورحمته أي بالإمهال لكنتم من بالامهال
الخاسرين أي المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى قوله عز وجل ولقد علمتم الذين اعتدوا
منكم أي جاوزوا الحد في السبت أي السبت اليهود لأنهم يعظمونه ويقطعون فيه أعمالهم
وأصل السبت القطع ذكر الإشارة إلى القصة قال العلماء بالأخبار إنهم كانوا في زمن داود عليه
السلام بقرية بأرض أيلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان إذا دخل يوم السبت لم
يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فإذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن
قعر البحر فذلك قوله تعالى إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ثم إن
الشيطان وسوس إليهم وقال إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت ولم تنهوا عن أخذها في غيره
فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منها إليها أنهارا فإذا كانت عشية الجمعة
فتحوا تلك الأنهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان إلى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرن على الخروج
منها لعمقها وقلة مائها فإذا كان يوم الأحد أخذوها وقيل إنهم كانوا ينصبون الشصوص والحبائل يوم الجمعة
ويخرجونها

ويخرجونها يوم الأحد وفعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤوا على السبت وقالوا ما نرى السبت

إلا قد أحل لنا فأخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا واشتروا فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية ثلاثة أصناف وكانوا
نحو سبعين ألفا صنف أمسك عن الصيد ونهى عن الاعتداء وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهكوا
في الذنب وانتهكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثني عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول نصحهم
قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة وقسموا القرية بينهم بجدار وعبروا على ذلك سنتين فلعنهم المنعب
داود وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم
يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا الباب فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الجدار فإذا هم جميعا قردة
لهم أذناب وهم يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا
ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام قال الله عز وجل فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين أمر
تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتأخير معناه كونوا خاسئين
قردة ولم يقل خاسئات فجعلناها يعني عقوبتهم بالمسخ نكالا أي عقوبة وعبرة لما بين
يديها وما خلفها قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة
قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال وما خلفها أي ما يحدث بعدها
من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل وموعظة للمتقين أي المؤمنين من أمة محمد صلى الله
عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم قوله عز وجل وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة
البقرة واحدة البقر وهي الأنثى وأصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لأنها تشق الأرض للحراثة
ذكر الإشارة إلى القصة في ذلك قال علماء السير والأخبار إنه كان في بني إسرائيل رجل غني
وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى وألقاه على
بابها ثم أصبح يطلب ثأره وجاء بناس إلى موسى يدعي عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه أمر القتيل على
موسى صلى الله عليه وسلم فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم ما أشكل عليهم فسأل موسى
ربه في ذلك فأمره بذبح بقرة وأمره أن يضرب ببعضها فقال إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا القتيل
أتتخذنا هزوا أي تستهزئ بنا نسألك أمر القتيل وأنت تستهزئ بنا وتأمرنا بذبح بقرة وإنما قالوا ذلك
لبعد ما بين الأمرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه قال يعني موسى أعوذ بالله أي أمتنع
بالله أن أكون من الجاهلين أي المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما
علموا أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوها ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة كانت فذبحوها
لأجزأت عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم وكان في ذلك حكمة لله عز وجل وذلك أنه كان رجل
صالح في بني إسرائيل وله طفل وله عجلة فأتى بها غيضة وقال اللهم إني استودعتك هذه العجلة
لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك
الطفل كان بارا بأمه وكان يقسم ليله ثلاثة أجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا
فإذا أصبح انطلق فيحتطب ويأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي
أمه ثلثه فقالت له أمه يا بني إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع
رب إبراهيم وإسماعيل أن يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها تخيل إليك أن شعاع الشمس
يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح
بها فقال أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق فأقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض
على عنقها يقودها فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بأمه اركبني فإنه أهون
عليك فقال الفتى إن أمي لم تأمرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني لم تكن تقدر علي أبدا
فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله لانقلع لبرك بأمك فجاء الفتى بها إلى أمه فقالت له

امه انت رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة
فقال الفتى بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق وبعث الله ملكا ليري خلقه قدرته
وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط
عليك رضى امي فقال له الملك ستة دنانير ولا تستامر امك فقال له الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا
لم اخذه الا برضى امي ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت له ارجع فبعها بستة دنانير
ولا تبعها الا برضاي فرجع بها الى السوق واتى الملك فقال له الملك استامرت امك فقال الفتى نعم
انها امرتني ان لا انقصها عن ستة ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت له ان الذي ياتيك ملك في
صورة ادمي ليختبرك فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب
الى امك فقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني اسرائيل
فلا تبيعها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكاها وقدر الله على بني اسرائيل ذبح البقرة
بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى
على بره بامه فضلا من الله ورحمة من ذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما سنها
قال يعني موسى انه يقول يعني الله عز وجل انها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا كبيرة ولا صغيرة
والفارض المسنة التي لم تلد والبكر الفتية التي لم تلد عوان اي نصف بين ذلك اي بين السنين
فافعلوا ما تؤمرون اي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما
لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها قال ابن عباس شديدة الصفرة وقيل
لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك تسر الناظرين
اي يعجبهم حسنها وصفاء لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اسائمة ام عاملة ان البقر
تشابه علينا اي التبس واشتبه امرها علينا وانا ان شاء الله لمهتدون اي الى وصفها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم الى اخر الدهر قال
انه يقول انها بقرة لا ذلول اي لم يذللها العمل تثير الارض اي تقلبها بالزراعة ولا
تسقي الحرث اي ليست بناضحة والناضحة هي التي تستخرج الماء من البير لتسقي الارض مسلمة
اي بريئة من العيوب لا شية فيها اي لا لون فيها غير لونها قالوا الان جئت بالحق اي بالبيان
التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى فا
شتروها بملء مسكها ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون اي ما قاربوا ان يفعلوا ما امروا
به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزتها ووجودها بهذه الاوصاف جميعا قوله عز وجل
واذ قتلتم نفسا هو خطاب للجماعة بذلك لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها قال ابن عباس
اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا والله مخرج ما كنتم
تكتمون اي مظهر ما كتمتم من امر القتيل لا محالة ولا يتركه مكتوما فقلنا اضربوه يعني
القتيل ببعضها اي ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف
وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمنى ولا فرق
انهم كانوا مخيرين في ذلك البعض والمقصود اذا ضربوا باي جزء منها اجزا وحصل المقصود
وانه ليس في القران ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الاية اضمار
تقديره فضربوه فحيي وقام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان يعني
ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب
البقرة كذلك اي كما احيى الله عاميل صاحب البقرة يحيي الله الموتى يعني يوم القيامة
ويريكم اياته لعلكم تعقلون اي تمنعون انفسكم من المعاصي فان قلت كان

حو هذه

حو هذه القصة ان يقدم ذكر القتيل اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه
القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله تعالى لما ذكر من قصص بني اسرائيل وما وجد من جناياتهم
تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الايات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة
بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في تفسير الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى
امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة
الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر
القتيل فان قلت ما فائدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير
ضرب بشيء قلت الفائدة فيه ان لا تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى
انما احياه بضرب من السحر والحيلة فلما احيي القتيل عندما ضرب ببعض البقرة وما فعلوه ثم انتفت
الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله تعالى وبامره كان ذلك فان قلت هلا امروا بذبح غير البقرة
قلت الكلام في غير البقرة لو امروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوائد منها التقرب
بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم من اعظم القرابين
ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي
اخذه صاحبها من ثمنها فصل في حكم هذه المسألة في شرع الاسلام اذا وقعت
وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعي به واللوث ان
يغلب على الظن صدق المدعي به بان اجتمع جماعة في بيت او صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن
ان القاتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم اعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن
انهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه وان كان الاولياء جماعة
توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطا وان ادعوا
قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب
القود به قال مالك واحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل
وهل يحلف يمينا واحدة او خمسين يمينا تغليظا لامر القتل وعند ابي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدا بيمين
المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه
ولا يعرفون له قاتلا فان حلفوا اخذ الدية من سكانها والدليل على ان البداية بيمين المدعي عند وجود
اللوث ما روي عن سهل بن ابي حثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود الى خيبر وهو
يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة
فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد
الرحمن ليتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال
اتحلفون وتستحقون قاتلكم او قال صاحبكم فقالوا وكيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرئكم يهود بايمان
خمسين منهم فقالوا كيف ناخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية
يقسم خمسين منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة اخرجاه في الصحيحين ووجه الدليل من هذا الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا بايمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث لان اليمين ابدا تكون لمن يقوى
جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته فكان القول قوله
مع يمينه والله اعلم قوله عز وجل ثم قست قلوبكم اي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة
منه وقيل معناه غلظت واسودت من بعد ذلك اي من بعد ظهور الدلالات التي جاء بها موسى
وقيل هي اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة فهي يعني القلوب في الغلظ والقسوة

كالحجارة أي كالشيء الصلب الذي لا تخلخل فيه أو أشد قسوة قيل أو بمعنى بل وقيل الواو أي وأشد
قسوة فإن قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو أشد من الحجارة وأصلب
قلت لأن الحديد قابل للين بالنار ومن لان لداود عليه السلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط
ثم فضل الحجارة على القلب القاسي وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار قيل أراد به جميع الحجارة وقيل
أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الأسباط والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وإن
منها لما يشقق فيخرج منه الماء يعني العيون الصغار التي هي دون الأنهار وإن منها لما يهبط
من خشية الله أي ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع
عما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع فإن قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف
يخشع قلت إن الله تعالى قادر على إفهام الحجر والجماد فيعقل ويخشى بإلهامه لها ومذهب أهل السنة
أن الله تعالى أودع في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليها غيره فلها صلاة وتسبيح
وخشية يدل عليه قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
فيجب على المرء الإيمان به ويكل علمه إلى الله تعالى ثم عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث وإني لأعرفه الآن وعن علي قال كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول
السلام عليك يا رسول الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب ثم عن جابر بن عبد الله قال كان
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت
تسمع من الذكر قال مجاهد ما ينزل الحجر من أعلى إلى أسفل إلا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا
وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد والمعنى أن الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية
قلوبهم وحافظ لأعمالهم حتى يجازيهم بها في الآخرة قوله عز وجل أفتطمعون خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم لأنه هو الداعي إلى الإيمان وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأنهم كانوا يدعون اليهود إلى الإيمان أيضا ومعنى أفتطمعون أفترجون
أن يؤمنوا لكم أي يصدقوكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه أفتطمعون أن يؤمنوا لكم مع أنهم
لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب في خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على
يده وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله قيل المراد بالفريق الذين كانوا مع موسى يوم
الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم وهو الأقرب لأن الضمير راجع إليهم في أفتطمعون أن يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى
يسمعون كلام الله يعني التوراة لأنه يجوز أن يقال لمن يسمع التوراة إنه يسمع كلام الله ثم يحرفونه
أي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق بالذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا
مع موسى صلى الله عليه وسلم استدل بقول ابن عباس إنها نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى
لميقات ربه وذلك أنهم لما رجعوا إلى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله أما الصادقون منهم فأدوا
كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا
فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق بالذين يسمعون كلام الله بالذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم وتبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية
الرجم في التوراة من بعد ما عقلوه أي علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه
وهم يعلمون

وهم يعلمون أي فساد ما خالفوه ويعلمون أيضا أنهم كاذبون قوله عز وجل وإذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا نزلت هذه الآية في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لهم آمنا
بالذي آمنتم به وإن صاحبكم صادق وقوله حق ونحن نجد نعته في كتابنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض
يعني كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهوذا ورؤساء اليهود لأمرائهم منافقي اليهود على
ذلك قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم يعني قص الله في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه
وسلم وأنه حق وقوله صدق ليحاجوكم به أي ليخاصموكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم
بقولكم فيقولون لكم قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك أن اليهود قالوا لأهل المدينة
حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فإنه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا
أتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم أي في الدنيا والآخرة وقيل هو قول
يهود بني قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا إخوان القردة والخنازير فقالوا
من أخبر محمدا بهذا ما خرج هذا إلا منكم وقيل إن اليهود أخبروا بما عذبهم الله به من الجنايات فقال بعضهم
لبعض أتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله أفلا تعقلون
أي أن ذلك لا يليق بما أنتم عليه أولا يعلمون يعني اليهود أن الله يعلم ما يسرون أي ما يخفون وما
يعلنون أي ما يبدون وما يظهرون قوله عز وجل ومنهم أي من اليهود أميون أي لا يحسنون الكتاب ولا
القراءة جمع أمي وهو المنسوب إلى الأم لأنه باق على ما انفصل من الأم لم يتعلم كتابة ولا قراءة
لا يعلمون الكتاب إلا أماني جمع أمنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر
تمنى كتاب الله أول ليلة … تمني داود الزبور على رسل
أي تلا كتاب الله وقال ابن عباس معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل الأماني الأحاديث
المختلقة وهي الأشياء التي كتبها علماؤهم من عند أنفسهم وأضافوها إلى الله تعالى
من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن
تمسنا النار إلا أياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب
لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم وإن هم إلا يظنون أي ليسوا على يقين فويل الويل كلمة تقولها العرب
لكل من وقع في هلكة وأصلها في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن
أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر
أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره أخرجه الترمذي وقال حديث غريب للذين
يكتبون الكتاب بأيديهم تأكيد للكتابة لأنه يحتمل أن يأمر غيره بأن يكتب فقال بأيديهم
يعني هذه الصفة والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك أن رؤساء اليهود خافوا ذهاب
ملكهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم
عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر
أكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوالا أزرق العينين سبط الشعر فكانوا إذا سألهم
سفلتهم عن ذلك قرؤوا عليهم ما كتبوا ثم يقولون هذا من عند الله يعني هذه الصفة التي
كتبوها فإذا نظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى تلك الصفة فيجدونه مخالفا لها فيكذبونه
ويقولون إنه ليس بنبي ليشتروا به بما كتبوا ثمنا قليلا المآكل والرشى التي كانوا يأخذونها
من سفلتهم قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون قوله عز وجل
وقالوا أي اليهود لن تمسنا النار لن تصيبنا النار إلا أياما معدودة أي قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب
قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما ثم
ينقطع عنا العذاب بعد سبعة أيام وقيل إنهم عنوا بالأيام الأربعين يوما التي عبدوا فيها العجل

وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم في امر فاقسم ليعذبنا اربعين يوما تحلة القسم فقال
الله لهم ردا عليهم وتكذيبا لهم قل اي يا محمد لليهود اتخذتم عند الله عهدا اي موثقا الا يعذبكم
الا هذه المدة فلن يخلف الله عهده اي وعده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى اثبات لما بعد
حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بل تمسكم النار ابدا من كسب سيئة السيئة اسم
يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت او صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس واحاطت به
خطيئاته اي احدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل احاطت
به او اهلكته خطيئته واحبطت ثواب طاعته وعلى مذهب اهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة
في هذه الاية بالكفر والشرك لقوله تعالى فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فان الخلود في النار
للكفار والمشركين والذين امنوا وعملوا الصالحات فان قلت العمل الصالح هو خارج عن اسم
الايمان لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل
الصالح بعد الايمان تكريرا قلت اجاب بعضهم بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة
الا ان قوله امنوا لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من فعل الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين امنوا
وعملوا الصالحات وقيل ان قوله امنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه
قال امنوا اولا ثم داوموا عليه اخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحة اولئك اصحاب الجنة هم
فيها خالدون قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل يعني في التوراة والميثاق العهد
الشديد لا تعبدون الا الله امر الله تعالى بعبادته ونهاهم عن عبادة غيره لان الله تعالى
هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا اي برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فيما
لا يخالف امر الله تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب
عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين
يامرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان
شكر المنعم واجب ولله على عبده اعظم النعم لانه هو الذي خلقه واوجده بعد العدم فيجب
تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالدين على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب في كون
الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا وذي القربى اي القرابة لان
حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا حسن عطف القرابة
على الوالدين واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم
ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره ويتمه وخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو
ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه والمساكين جمع مسكين وسياتي بيانه ان شاء الله تعالى وانما
تاخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة وقولوا
للناس حسنا فيه وجهان احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شان محمد صلى الله عليه وسلم فمن
سالكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموه قاله ابن عباس الوجه الثاني ان المخاطبين به
هم الذين كانوا في زمن موسى واخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق
الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم في
الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو
اللين في القول والعشرة وحسن الخلق واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وانما امرهم الله تعالى
بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده لما التزموا به اخبر عنهم انهم ما وفوا
بذلك بقوله تعالى ثم توليتم اي اعرضتم عن العهد الا قليلا منكم يعني من الذين امنوا

منهم كعبد الله

منهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد وانتم معرضون اي كاعراض ابائكم قوله عز وجل
واذ اخذنا ميثاقكم هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لابائهم ٢٦
وفيه تقريع لهم لا تسفكون دماءكم اي لا تريقون دماءكم اي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا
دماء غيركم فيسفك دماءكم فكانكم انتم سفكتم دماء انفسكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا
يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تفعلوا شيئا فتخرجوا بسببه من دياركم ثم اقررتم اي بهذا العهد انه حق
وانتم تشهدون يعني انتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك ثم انتم هؤلاء يعني يا هؤلاء
اليهود تقتلون انفسكم اي يقتل بعضكم بعضا وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اي يخرج بعضكم
بعضا من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اي تتعاونون عليهم بالاثم والمعصية والظلم
وان ياتوكم اسارى جمع اسير تفدوهم اي بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم اي
تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الاية ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان
لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة من بني اسرائيل وجدتموه اسيرا
فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكانت بين
الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا
غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها وكان اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه
به فعيرتهم العرب فقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم فقالوا كيف
تقاتلونهم فقالوا انا نستحيي ان تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم
وفي الاية تقديم وتاخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وهو
محرم عليكم اخراجهم وان ياتوكم اسارى تفدوهم فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك
الاخراج وترك المظاهرة عليهم وفك اسراهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله عز وجل
افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض معناه ان وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وانتم
تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على المناقضة اذ اتوا الذم
لا على العمل لانهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم يعني يا
معشر اليهود الا خزي في الحياة الدنيا اي عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني
النضير الاجلاء والنفي من منازلهم الى اريحاء واذرعات من ارض الشام ويوم القيامة يردون الى اشد والأذرعات
العذاب يعني عذاب النار وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد عظيم اولئك الذين
اشتروا اي استبدلوا الحياة الدنيا بالاخرة لان الجمع بين لذات الدنيا والاخرة غير ممكن فمن
اشتغل بلذات الدنيا فاتته لذات الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب اي فلا يهون عليهم ولا هم ينصرون بتحصيل
اي ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل ولقد اتينا اي اعطينا موسى الكتاب يعني التوراة
جملة واحدة وقفينا اي واتبعنا من التقفية وهو ان يقفو اثر الاخر من بعده اي من بعد موسى بالرسل
يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهما السلام متواترة يظهر بعضهم
بعضا في اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان
وارميا وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله
عيسى عليه السلام فجاء هو بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة فذلك قوله تعالى واتينا
عيسى ابن مريم البينات اي الدلالات الواضحات وهي المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وقيل هي الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد
من الرجال وايدناه اي وقويناه بروح القدس قيل اراد بالروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى
واضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله وامة الله وبيت الله وناقة الله

وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب
سماه روحا كما سمى القرآن روحا وقيل هو جبريل وصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف
ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله سمي جبريل روحا للطافته لانه
روحاني خلق من النور وقيل سمي روحا لمكانه من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس
هنا على جبريل اولى لانه تعالى قال وايدناه بروح القدس اي قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى
ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت اليهود ذكر عيسى قالوا يا محمد
لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبياء فعلت فأتنا بما اتى به عيسى
ان كنت صادقا قال الله تعالى افكلما جاءكم يعني يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم
استكبرتم اي تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم يعني مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
وفريقا تقتلون يعني مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول
بما لا يهوون كذبوه فان تهيا لهم قتله وانما كانوا كذلك لارادتهم الرفعة وطلب الرياسة وقالوا فقتلوه
يعني اليهود قلوبنا غلف يعني اغلف وهو الذي عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه قال ابن عباس غلف
بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك وقيل اوعية من الوعي
لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته ووعته قال
الله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم اي طردهم وابعدهم من كل خير وسبب كفرهم انهم عرفوا
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله تعالى فقليلا ما يؤمنون
اي لن يؤمن منهم الا قليلا لان من آمن من المشركين كان اكثر منهم قوله عز وجل ولما جاءهم كتاب
من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم يعني التوراة وهو التصديق في صفة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة في التوراة وكانوا يعني اليهود من قبل اي من قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون اي يستنصرون به على الذين كفروا يعني مشركي العرب
وذلك انهم كانوا اذا حزبهم امر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر
الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل
زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا اي الذي
عرفوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وانه من غير بني اسرائيل كفروا به
اي جحدوه وانكروه بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم
اي بئس شيئا الذي اختاروا لانفسهم حين اشتروا به انفسهم حين استبدلوا الحق بالباطل واشتروا
تعني باعوا والمعنى لبئس ما باعوا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله يعني القرآن بغيا اي حق
حسدا ان ينزل الله من فضله يعني الكتاب والنبوة على من يشاء من عباده يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم فباءوا اي رجعوا بغضب على غضب يعني مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول
بتضييعهم التوراة وتبديلها والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بعبادتهم
العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وللكافرين يعني الجاحدين بنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم من الناس كلهم عذاب مهين اي يهانون به واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله
يعني بالقرآن وقيل بكل ما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني التوراة وما انزل على
انبيائهم ويكفرون بما وراءه اي بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعني الانجيل والقرآن
وهو الحق يعني القرآن مصدقا لما معهم يعني التوراة قل يا محمد فلم تقتلون انبياء الله
من قبل اضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان اسلافهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم قيل
اذا عملت المعصية في الارض فمن كرهها وانكرها برئ منها ومن رضيها كان من اهلها

ان كنتم

ان كنتم مؤمنين اي بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى
بالبينات اي بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد موسى
لما ذهب الى الميقات وانتم ظالمون انما كرره تبكيتا لهم وتأكيدا للحجة عليهم واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي استجيبوا واطيعوا
اي فيما امرتم به قالوا سمعنا يعني قولك وعصينا يعني امرك وقيل انهم لم يقولوا بالسنتهم
ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم واشربوا في قلوبهم العجل
بكفرهم اي تداخل حبه في قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب وقيل ان
موسى امر ان يبرد العجل ويذرى في النهر وامرهم ان يشربوا منه فمن بقي في قلبه شيء من حب
العجل ظهرت نحالة الذهب على شاربه قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي ان تعبدوا العجل والمعنى
بئس الايمان ايمان يأمر بعبادة العجل ان كنتم مؤمنين اي بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل
علينا فكذبهم الله تعالى بذلك في قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من
دون الناس وذلك ان اليهود ادعوا دعاوي باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله والزمهم الحجة فقال قل يا محمد لليهود ان كانت لكم
الدار الآخرة يعني الجنة خالصة لكم من دون الناس فتمنوا الموت اي فاطلبوه واسألوه لان من علم
ان الجنة مأواه وانها له حن اليها ولا سبيل اليها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني ان كنتم صادقين
اي في قولكم ودعواكم روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه وما بقي على وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى ولن يتمنوه ابدا يعني
لعلمهم انهم في دعواهم كاذبون بما قدمت ايديهم يعني من الاعمال السيئة وانما اضاف
العمل لليد لان اكثر جنايات الانسان تكون باليد والله عليم بالظالمين فيه تخويف وتهديد من
لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر فلهذا كان
اعم وكانوا اولى به ولتجدنهم اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني
اليهود احرص الناس على حياة اي على بقاء في متطاولة والحرص اشد الطلب ومن الذين اشركوا
قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص من الذين اشركوا فان قلت الذين
اشركوا قد دخلوا تحت الناس فلم افردهم بالذكر قلت افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه
توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم
عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم
وقيل ان الواو استئناف تقديره ومن الذين اشركوا اناس يود احدهم وهم المجوس سموا
بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود اي يتمنى احدهم لو يعمر الف سنة اي تعمير الف
سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود ولانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه
هزار سال اي عش الف سنة او الف نيروز والف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود
احرص من المجوس الذين يقولون ذلك وما هو بمزحزحه اي بمباعده من العذاب اي النار ان يعمر
اي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب والله بصير بما يعملون اي لا يخفى عليه خافية
من احوالهم قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية
ان عبد الله بن صوريا حبرا من احبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اي ملك يأتيك من السماء
قال جبريل قال ذاك عدونا ولو كان ميكائيل لآمنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف
وانه عادانا مرارا واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له
بختنصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع

عنه جبريل قال ان الله امره بهذا كهم فلن نسلم عليه وان لم يكن هو فعل اي حق نقتله فلما اخبره ذالك
الغلام وقوي عزاما وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه الاية وقيل قالوا ان الله
امره بان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فلهذا نتخذه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب كان له ارض باعلا
المدينة وكان ممره عليها على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما ما
في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما اتيكم لحبكم
ولا اسئلكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى
اثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي ياتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذالك عدونا يطلع
محمدا على سرنا وهو صاحب عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلامة فقال لهم
تعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل
عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر اشهد انه من كان عدوا لاحدهما
كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل
قد سبقه بالوحي فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وقال لقد وافقك ربك يا عمر فقال
عمر والله لقد رايتني بعد ذالك في دين الله اصلب من الحجر الامر بان بسبب هذه العداوة كون جبريل
كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذالك وقوله
فانه نزله يعني جبريل نزل القران كناية عن غير مذكور على قلبك يا محمد وانما خص القلب بالذكر
لانه محل الحفظ باذن الله اي بامره مصدقا اي موافقا لما بين يديه اي لما قبله من الكتب وهدى
وبشرى للمومنين اي في القران هداية للمومنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها الثواب
والبشرى لهم بثواب الله اذا اتوا بها من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل لما
بين في الاية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل القران على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بين
في هذه الاية ان كل من كان عدوا لاحد من هولاء فانه عدو لجميعهم وبين ان الله عدوه بقوله فان الله
عدو للكافرين فاما عداوة العبد لله فانما لا تضره ولا تؤثر وعداوته لهم توصل اليهم الم العذاب الاليم
الذي لا ضرر اعظم منه وقيل المراد من عداوتهم لله عداوة اوليائه واهل طاعته فهو كقوله
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياء الله واهل طاعته وقوله وملائكته ورسله
يعني ان من عادى احدا من هولاء فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل
وميكائيل انما خصهما بالذكر وان كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو
منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء الارواح وميكائيل
ينزل بالمطر الذي هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان اعجميان ومعناهما عبد الله
لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله ولقد انزلنا اليك ايات بينات قال ابن
عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه
وما انزل عليك من اية بينة فنتبعك بها فانزل الله هذه الاية او كلما استفهام انكار عاهدوا
عهدا اي هو قولهم انه اذا زمان نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهودا
كثيرة ثم نقضوها نبذه اي طرحه ونقضه فريق منهم يعني اليهود بل اكثرهم لا
يومنون يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم بالجحد والحق ولما جاءهم رسول
من عند الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم يعني مصدقا بصفة التورية
وبنبوة موسى صلى الله عليه وسلم وقيل ان التورية بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجيء مبعثه مصدقا للتورية نبذ فريق من الذين
اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم قيل اراد بالكتاب القران وقيل التورية وهو
الامر

وما يكفر بها الا الفاسقون ح

الامر بـ لان النبي لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقران اما نبذهم التورية فلانهم كانوا يقرؤونها
ولا يعملون بها وقيل انهم ادرجوها وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها كانهم لا يعلمون يعني
انهم نبذوا الكتاب ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذالك عداوة النبي صلى الله
عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان اولائك
الاكثر قليل قوله عز وجل واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني اليهود حين نبذوا كتاب الله واتبعوا ما
تتلوا الشياطين ومعنى تتلوا تقرا التلاوة وقيل معناه تفتري وتكذب على ملك سليمان وهو قولهم
ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان اي على زمانه وعهده وقصة ذالك ان الشياطين
كتبوا السحر والنيرنجات على لسان اصف بن برخيا هذا ما علم اصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوه ودفنوه تحت
كرسيه وذالك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذالك وقيل ان بني اسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر
في زمانه فمنعهم سليمان من ذالك واخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين
وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما صلحاء بني اسرائيل وعلماوهم فانكروا ذالك
وقالوا معاذ الله ان يكون هذا العلم من علم سليمان واما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان واقبلوا
على تعليمه وتركوا كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى
الله عليه وسلم وانزل عليه براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان
وما كفر سليمان يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر وذالك ان اليهود انكروا نبوة سليمان
وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت له الجن والانس بسبب السحر وقيل ان السحرة من اليهود زعموا انهم
اخذوا السحر عن سليمان فبراه الله من ذالك وقيل ان بعض احبار اليهود قال الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان
كان نبيا وما كان الا ساحرا فانزل الله تعالى وما كفر سليمان يعني ان سليمان نبيا في كونه ساحرا كافرا ثم
بين الله تعالى ان الذين برؤوه عنه لاحق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا يعني ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم
الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى يعلمون الناس السحر يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب
السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفاء
سببه ولا يفعل الا في خفية وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشيء عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن
كذا اي ما صرفك عنه وكان الساحر لما اري الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه اي صرفه هذا
اصله من حيث اللغة واما حقيقته فقيل انه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب اهل السنة ان له
وجودا وحقيقة والعمل به كفر وذالك اذا اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة في قلب الاعيان وعن الشافعي
انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به وقيل ان السحر يؤثر في قلب الاعيان
فيجعل الانسان في صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر في الهواء وهذا القول ضعيف عند
اهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لكن الساحر هو
الفاعل لهذا المؤثر فيهما والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت وهو على
ذالك ان للكلام تاثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحمى ويغضب وقد مات قوم سمعوه فالسحر بمنزلة
العلل في الابدان واما حكمه فانه من الكبائر التي نهى عنها ويحرم تعلمه لما روي عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر
وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات
المومنات اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وقرنه
بالشرك وامرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين احدهما يكفر به
صاحبه وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذالك وهو المؤثر او يعتقد ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة
فاذا انضم الى السحر هذه الغاية صار كافرا بالله تعالى ويجب قتله فما روي عن جندب ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربة بالسيف أخرجه الترمذي والقسم الثاني من السحر هو
التخييل الذي يشاكل المعجزات والشعبذة ولا يتصور صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا أن الكواكب هي
المؤثرة ويعتقد أن القدرة لله تعالى وأنه هو المؤثر فهذا القول لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو
من الكبائر ويحرم فعله فإن قتل بالسحر قتل قصاصا لما روي عن مالك أنه بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت أخرجه في الموطأ قوله
عز وجل **وما أنزل على الملكين** أي ويعلمون الذي أنزل على الملكين والإنزال هنا بمعنى الإلهام والتعليم
أي ما ألهما وعلما وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل
علجان ووجهه أن الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام فإن قلت كيف يجوز
للملائكة تعليم السحر قلت قال ابن جرير الطبري إن الله تعالى عرف عباده جميع ما أمرهم به وجميع
ما نهاهم عنه ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الأمر على ذلك
لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بني آدم عنه فغير منكر أن يكون الله تعالى
علمه للملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهما
يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما إنما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر
وعن التفريق بين المرء وزوجه فيتميز المؤمن بتركه التعليم ويخزى الكافر بتعلمه للكفر والسحر منهما
ويكون الملكان في تعليمهما ما علما من ذلك مطيعين لله تعالى إذ كانا عن إذن الله تعالى لهما التعليم ذلك
وغير ضارهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك بعد نهيهما إياه عنه بقولهما إنما نحن فتنة فلا تكفر
إذ كانا قد أديا ما أمر الله به وقال غيره إنما لا يمتنع أن ذلك بل يعلمان السحر ويذكران بطلانه ويأمران
باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم السحر من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر
منهما وقيل إن الله تعالى امتحن الناس بهما في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد
من تركه فيبقى له إيمانه ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني إسرائيل بالنهر كما قال فمن
شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني **ببابل** قيل هي بابل أرض العراق وبأرض الكوفة سميت بذلك
لتبلبل الألسنة بها عند سقوط صرح نمرود وقيل إنها دنباوند والأول أصح واشتهر **هاروت وماروت**
اسمان سريانيان وقصة الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره وقال إن الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء
من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام عيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم
يعصونك فقال الله تعالى لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا قالوا سبحانك
ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض فاختاروا هاروت
وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما لما قارفا
الذنب وركب الله فيهما الشهوة وأهبطهما إلى الأرض وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق ونهاهما
عن الشرك والقتل بغير الحق والزنى وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فإذا أمسيا ذكرا
اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل افتتنا في أول يوم وذلك
أنه اختصم إليهما امرأة يقال لها الزهرة وكانت من أجمل أهل فارس وقيل كانت ملكة فلما رأياها
أخذت بقلوبهما فقال أحدهما لصاحبه هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم فراوداها
عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت لا إلا أن تعبدا هذا
الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت
ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها فراوداها عن نفسها
فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب
الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل إنهما

لسجدا للصنم

رحم الله وغفر له الزمخشري

تسجدا للصنم وقيل جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للآخر هل سقط في نفسك مثل
الذي سقط في نفسي قال نعم قال فهل لك أن تقضي لها على زوجها فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة
والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت لا إلا أن تقتلاه فقال
أحدهما لصاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو
والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لا إن لي صنما أعبده إن أنتما صليتما معي عنده فعلت
فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الأول وأجابه عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال
علي بن أبي طالب قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء فقالا باسم الله الأكبر
قالت فما أنتما بمدركي حتى تعلمانيه فقال أحدهما للآخر علمها فقال إني أخاف الله تعالى فقال الآخر
فأين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم إلى أنها
هي الزهرة بعينها وأنكر آخرون ذلك وقالوا إن الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التي أقسم الله
بها فقال فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها
وحسنها فلما بغت مسخها الله شهابا قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما
بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا إدريس النبي عليه السلام
وأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل وقالا له رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما
يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى ربك ففعل ذلك إدريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب
الآخرة فاختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل إنهما معلقان بشعورهما
إلى قيام الساعة وقيل إنهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل إن رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما
معلقين بأرجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا قدر أربع أصابع
وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله فقال لا إله إلا الله فلما سمعا كلامه قالا لا إله إلا الله فمن أنت
قال رجل من الناس فقالا من أي أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقالا أوقد بعث محمد صلى الله
عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله وأظهرا الاستبشار فقال الرجل بم استبشاركما قالا إنه نبي
الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا **فصل** في القول بعصمة الملائكة أجمع المسلمون على أن
الملائكة معصومون فضلاء واتفق أئمة المسلمين على أن حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء
في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل ومن كل شيء ثبتت فيه عصمة الأنبياء فكذلك الملائكة
وأنهم مع الأنبياء في التبليغ إليهم كالأنبياء مع أممهم ثم اختلفوا في غير المرسلين من الملائكة
فذهبت طائفة من المحققين وجميع المعتزلة إلى عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصي
واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهبت طائفة إلى أن غير المرسلين من الملائكة غير
معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت عن علي وما
نقله أهل الأخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل
قصة هاروت وماروت بألفاظ متقاربة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وكعب
الأحبار والسدي والربيع ومجاهد وأجاب من ذهب إلى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وماروت
بأن ما نقله المفسرون وأهل الأخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
شيء وهذه الأخبار إنما أخذت من اليهود وقد علم افتراؤهم على الأنبياء والملائكة وقد ذكر الله
عز وجل في هذه الآيات افتراء اليهود على سليمان أولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت
ثانيا قالوا ومعنى الآية وما كفر سليمان يعني بالسحر الذي افتعله عليه الشياطين واتبعتهم
في ذلك اليهود فأخبر عن افترائهم وكذبهم وذكروا أيضا الجواب عن هذه القصة وأنها باطلة من
وجوه الأول في القصة أن الله تعالى قال للملائكة لو ابتليتم بما ابتليت به بني آدم لعصيتموني

قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت أنهم كانوا معصومين
فلأجل ذلك فلا يقع هذا منهم الوجه الثاني أنهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك
فاسد لأن الله تعالى لا يخير من أشرك وإن كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه الثالث
أن المرأة الفاجرة كيف يعقل أنها صعدت إلى السماء وصارت كوكبا وعظمه الله فوق أن يجعله أقسم
بها بقوله فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة والله أعلم بصحة
ذلك وسقمه والأولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وما يعلمان من أحد حتى يقولا
يعني أحدا حتى ينصحانه أولا ويقولا إنما نحن فتنة أي ابتلاء ومحنة فلا تكفر أي لا تتعلم السحر فتعمل
به فتكفر قيل يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فإن أبى قبول نصحهما وصمم على التعليم يقولان
له ائت هذا الرماد فبل فيه فإذا فعل ذلك خرج منه نور ساطع في السماء فذلك الإيمان والمعرفة
وينزل شيء أسود مثل الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى فيتعلمون منهما يعني من
الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين
كالتمويه والتخييل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضاء والنشوز والخلاف
بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لأن السحر له تأثير في نفسه بدليل وما هم يعني السحرة بضارين به
أي بالسحر من أحد إلا بإذن الله أي بعلمه وقدرته ومشيئته ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم
يعني السحر لأنهم يقصدون به الضرر ولقد علموا يعني اليهود لمن اشتراه أي اختار السحر ما له في
الآخرة من خلاق يعني ما له نصيب في الجنة ولبئس ما شروا به أنفسهم أي باعوا به حظ أنفسهم
حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق لو كانوا يعلمون فإن قلت كيف أثبت الله لهم العلم
أولا في قوله تعالى ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم آخرا في قوله لو كانوا يعلمون قلت
من علموا أن من اشترى السحر ما له في الآخرة من خلاق ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر
وترك العمل بكتاب الله وما جاءت به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بالمن فعل ذلك
منهم من الكتاب فجعلهم حين لم يعملوا بعلمهم كأنهم منسلخين منهم ولو أنهم يعني اليهود
آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واتقوا يعني اليهودية والسحر ما بينهم لمثوبة
من عند الله أي لكان ثواب الله إياهم خير لهم يعني هذا الثواب لو كانوا يعلمون يعني ذلك قوله
عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا سبب نزول هذه الآية أن المسلمين كانوا يقولون
راعنا يا رسول الله من المراعاة أي ارعنا سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبا
قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت وقيل من الرعونة إذا أرادوا أن يحمقوا
إنسانا قالوا راعنا أي يا أحمق فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا كنا نسب
محمدا صلى الله عليه وسلم سرا فأعلنوا به الآن وكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما
بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود عليكم
لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه فقالوا ولستم تقولونها
فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا أي لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقولوا انظرنا أي انظر إلينا وقيل معناه انتظرنا وتأن بنا وتفهمنا
واسمعوا أي ما تؤمرون به وأطيعوا ونهى الله عباده المؤمنين أن يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم راعنا لئلا يتطرق أهل الزيغ إلى شتمه وأمرهم بتوقيره وتعظيمه وأن يتخيروا لخطابه صلى الله
عليه وسلم من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أرقها وأن يسألوا بالتبجيل والتعظيم وليس
ولا تقولوا في حقه ما يقول اليهود وللكافرين يعني اليهود عذاب أليم ما يود أي ما يحب الذين كفروا من
أهل الكتاب يعني اليهود ولا المشركين يعني عبدة الأوثان لأن الكفر اسم جنس تحته نوعان

أهل الكتاب

أهل الكتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الأوثان ومن عبد غير الله أن ينزل عليكم ٣٠
من خير من ربكم يعني ما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي والنبوة وإنما كرهت
اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك أن المسلمين قالوا لحلفائهم من
اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان
خيرا فأنزل الله هذه الآية تكذيبا لهم والله يختص برحمته من يشاء يعني أنه تعالى يختص بنبوته ورسالته
من يشاء من عباده ويتفضل بالإيمان والهداية على من أحب من خلقه رحمة منه لهم والله ذو الفضل
العظيم يعني أن كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فإنه منه ابتداء وتفضلا عليهم من غير
استحقاق منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه قوله عز وجل ما ننسخ من آية أو ننسها الآية
وسبب نزولها أن المشركين قالوا إن محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول
اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول إلا من تلقاء نفسه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله وإذا بدلنا آية
مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر وأنزل ما ننسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة
في النسخ وأنه من عند الله لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم وأصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل
والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو أن ينقل من كتاب إلى كتاب آخر وذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى
بل يقتضي إثبات مثله في كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك أنه نسخ من
اللوح المحفوظ جملة واحدة إلى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والإزالة وهو إزالة شيء
بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه
ناسخا وهو المراد من حكم هذه الآية وهو إزالة الحكم بحكم يعقبه فصل في حكم النسخ
في اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه والنسخ جائز عقلا
وواقع سمعا خلافا لليهود فإن منهم من أنكره عقلا ومنهم من منعه سمعا وشرذمة لا يعتد بها
قليلة من المسلمين فأنكرت النسخ أجمع الجمهور من المسلمين على جواز النسخ بأن الدلائل دلت
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح إلا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله
فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود إلزامات منها أن الله تعالى حرم عليهم العمل في السبت
ولم يحرمه على من كان قبلهم ومنها أنه جاء في التوراة أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند
خروجه من الفلك إني جعلت كل دابة مأكولة لك ولذريتك وأطلقت ذلك لكم ثم إنه حرم على
موسى كثيرا من الحيوانات ومنها أن آدم عليه السلام كان يزوج الأخت للأخ وقد حرمه على
من بعده وعلى موسى عليه السلام فيثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد
اختلفوا فيه على وجوه أحدها أن القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة
والإنجيل وغيرهما الوجه الثاني المراد من النسخ هو نسخ القرآن ونقله من اللوح
المحفوظ إلى سماء الدنيا الوجه الثالث وهو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء أن المراد من
النسخ هو رفع بعض الآيات بدليل آخر يأتي بعده وهو المراد بقوله ما ننسخ من آية أو ننسها
نأت بخير منها أو مثلها لأن الآية إذا أطلقت فالمراد بها آيات القرآن لأنه هو المعهود عندنا
مسألة قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه
الآية وهو أنه تعالى قال ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها وذلك أنه يفيد
أنه هو الآتي به هو من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نأت بخير منها
يفيد أنه هو المنفرد بالإتيان بذلك الخير وهو القرآن الذي هو كلام الله دون السنة ولأن
السنة لا تكون خيرا من القرآن ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بأن
آية الوصية للأقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث أجاب

الشافعي ان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان اية الميراث
مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف في اصول الفقه ثم النسخ في القران على وجوه
احدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روي عن ابي امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا الليلة ليقروا
سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها الوجه الثاني
ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل اية الرجم وروي عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس
على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وانزل عليه الكتاب
فكان فيما انزل عليه الرجم اية فقراناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قايل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك
فريضة انزلها الله وان الرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة
او كان الحمل او الاعتراف اخرجه مسلم والبخاري الوجه الثالث ما رفع حكمه وثبت خطه
وتلاوته وهو كثير في القران مثل اية الوصية للاقربين نسخت باية الميراث عند الشافعي وبالسنة
عند غيره واية عدة الوفاة بالحول نسخت باية اربعة اشهر وعشرا واية القتال وهي قوله ان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مايتين الاية نسخت بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الاية
ومثل هذا كثير في القران واما معنى الاية في قوله ما ننسخ من اية اي نرفعها ونرفع حكمها او
ننسها قرى بضم النون وكسر السين معناها نمحها من قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وكسر
وقيل معناه نامر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه ولا نتركها
او نرفع تلاوتها ونوخر حكمها كاية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال
سعيد بن المسيب وعطا ما ننسخ من اية فهو ما نزل من القران جعلاه من نسخة الكتاب اذا نقلته الى
كتاب اخر ننسها اي نوخرها ونتركها في اللوح المحفوظ ولا ننزلها نات بخير منها اي هو انفع
لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان اية خير من اية لان كلام الله كله واحد او مثلها
اي في المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر كان اسهل في العمل كالذي كان على المومنين من فرض قيام
الليل ثم نسخ ذالك فكان خيرا لهم في عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق
كان اكثر في الثواب كالذي كان عليهم من صيام ايام معدودات في السنة فنسخ ذالك وفرض صيام
شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة اثقل على الابدان واشق من صيام ايام معدودات
فكان ثوابه اكثر واكثر امثالا وكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام و
استواء الاجر في ذالك لان على المصلي التوجه الى حيث امره الله تعالى الم تعلم ان الله على كل
شيء قدير اي على النسخ والتبديل والمعنى الم تعلم يا محمد اني قادر على تعويضك مما نسخت
من احكامي وغيرته من فرايضي التي كنت افترضتها عليك بما اشا مما هو خير لك ولعبادي المومنين
وانفع لك ولهم عاجلا واجلا الم تعلم ان الله له ملك السماوات والارض يعني انه تعالى هو المتصرف
في السماوات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما يشا من امر ونهي ونسخ
وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين انكروا
النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله ان له ملك السماوات والارض
وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بما يشا وعليهم السمع والطاعة وما لكم يعني
يا معشر الكفار عند نزول العذاب من دون الله اي مما سوى الله من ولي اي قريب وصديق وقيل من وال
وهو القيم بالامور ولا نصير اي ناصر يمنعكم من العذاب وقيل في معنى الاية وليس لكم ايها المومنون
بعد الله من قيم بامركم ولا نصير يويدكم ويقويكم على اعدايكم قوله عز وجل ام تريدون ان تسالوا

رسولكم

١

٢١ رسولكم نزلت في اليهود وذالك انهم قالوا يا محمد ايتنا بكتاب من السماء جملة كما اوتي موسى
بالتوراة وقيل انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لن نومن لك حتى تاتي بالله والملايكة
قبيلا كما سال قوم موسى موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اتريدون ان تسالوا
رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم كما سيل موسى من قبل وذالك ان موسى ساله قومه فقالوا
ارنا الله جهرة ففي الاية منعهم ونهيهم عن السوالات المقترحة بعد ظهور الدلالات والمعجزات
وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد
ضل سواء السبيل يعني اخطا قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمومنين اي يستبدل
واعلمهم ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمومنين المكاره فنهاهم الله تعالى ان يقبلوا
من اليهود شيا ينصحونهم به في الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطا قصد السبيل قوله
عز وجل ود كثير من اهل الكتاب نزلت هذه الاية في نفر من اليهود وذالك انهم قالوا لحذيفة بن
اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا
منكم فقال عمار بن ياسر كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله
عليه وسلم ما عشت فقال اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا
وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم انهما اتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذالك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود اي
تمنى كثير من اهل الكتاب يعني اليهود لو يردونكم اي يا معشر المومنين من بعد ايمانكم كفارا
اي ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر حسدا يعني يحسدونكم حسدا والحسد تمني زوال النعمة
عن مستحقها وربما يكون مع ذالك سعي في ازالتها والحسد مذموم لما روي عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب او قال
العشب اخرجه ابو داود واذا انعم الله على عبده نعمة فتمنى اخر زوالها عنه فيحسد
ولا يجرم ذالك مع انه هو الحسد وهو حرام فاذا استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى
اخر زوالها فليس بحسد ولا يحرم ذالك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من
حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد وهو قوله من عند انفسهم اي من تلقا انفسهم
لم يامرهم الله بذالك من بعد ما تبين لهم الحق يعني في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم
١ عـ ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا فتجاوزوا واعرضوا لان منهم من اسماعيل وحسدوه وكان
فاعفوا واصفحوا وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يومر بالقتال حتى ياتي الله بامره اي بعذابه
وهو القتل والسبي لبني قريظة والاجلا والنفي لبني النضير قال ابن عباس هو امر الله له بقتالهم
في قوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية ان الله على كل شيء قدير فيه
وعيد وتهديد لهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة لما امر الله المومنين بالعفو والصفح عن اليهود
امرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذالك على ساير الواجبات
ثم قال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير اي من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعني
صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها تجدوه عند الله يعني ثوابه واجره حتى التمرة واللقمة
مثل احد ان الله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه شيء من قليل الاعمال وكثيرها وفيه ترغيب
في الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصي قوله عز وجل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
يعني يهوديا وقيل هو جمع هايد او نصارى وذالك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا
ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية
نصارى قيل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم

يكذب بعضهم بعضا عداوة قال الله تلك أمانيهم أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله
بغير حق قل يعني يا محمد هاتوا برهانكم أي حجتكم على دعواكم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو
نصارى أنه لا يدخلها غيرهم إن كنتم صادقين يعني فيما تزعمون ثم قال تعالى ردا عليهم بلى أي ليس الأمر كما
تزعمون ولكن من أسلم وجهه لله وهو محسن فإنه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى أسلم وجهه
لله أخلص دينه لله وقيل أخلص عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لأن أصل الإسلام الاستسلام وهو
الخضوع وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء وإذا خضع الإنسان بوضع وجهه على الأرض
بالسجود فقد جاد بجميع أعضائه قال عمرو بن نفيل وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا
ورمالا ثقالا وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا يعني بذلك استسلمت لطاعة
من استسلمت لطاعته الأرض والمزن وهو محسن أي في عمله لله فله أجره عند ربه أي ثواب عمله
ولا خوف عليهم أي في الآخرة ولا هم يحزنون أي على ما فاتهم من الدنيا وقوله عز وجل وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء نزلت في يهود المدينة ونصارى
نجران وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى
ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل وقالت
النصارى لليهود ما أنتم على شيء وكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب يعني كلا الفريقين يقرؤون الكتاب
وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل
وقيل إن الإنجيل الذي تدين بصحته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى وما فرض الله فيها
على بني إسرائيل من الفرائض وإن التوراة التي تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من
عند الله من الأحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما أخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ما قاله
كذلك قال الذين لا يعلمون يعني مشركي العرب قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
وأصحابه ليسوا على شيء مثل قولهم يعني مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل
أمم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في أنبيائهم
ليسوا على شيء فالله يحكم بينهم يوم القيامة يعني فيما بين المحق والمبطل فيما كانوا
فيه يختلفون يعني من أمر الدين قوله عز وجل ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها
اسمه نزلت في خراب بيت المقدس وذلك أن ططوس الرومي غزا بني إسرائيل فقتل مقاتلتهم
وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في زمن
عمر بن الخطاب فأنزل الله تعالى ومن أظلم أي ومن أكفر وأبغى ممن منع مساجد الله يعني بيت
المقدس ومحاريبه أن يذكر فيها اسمه أي يعبد ويصلى له فيها وسعى في خرابها وقيل
إن بختنصر المجوسي من أهل بابل هو الذي غزا بني إسرائيل وخرب بيت المقدس وأعانه على ذلك
النصارى من أجل أن اليهود قتلوا يحيى بن زكريا أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين
وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى ومزارهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها
يهودي أو نصراني إلا خائفا إن علم به قتل وقيل أخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي
والقتل على الحربي وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية
لهم في الدنيا خزي يعني الصغار والذل والقتل والسبي ولهم في الآخرة عذاب عظيم
يعني النار وقيل إن الآية نزلت في مشركي مكة وأراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك أنهم
منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يصلوا فيه في ابتداء الإسلام ومنعوهم من حجه

والصلاة فيه

والصلاة فيه عام الحديبية وإذا منعوا أن يعمره بذكر الله تعالى والصلاة فيه فقد سعوا في خرابه
أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين يعني مشركي مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم أيها المسلمين
حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم ففتحها عليهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادى بالموسم
لما نزلت سورة براءة ألا لا يحج البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا خوفهم وثبت في الشرع
أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم فإن قلت كيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب
على مسجد واحد وهو إما بيت المقدس أو المسجد الحرام قلت يجوز الحكم عاما وإن كان السبب
خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين فإن قلت أي القولين أرجح
قلت رجح الطبري القول الأول وقال إن النصارى هم الذين سعوا في بيت المقدس لأن مشركي
مكة لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وإن كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
الأوقات من الصلاة فيه وأيضا فإن الآية التي قبل هذه والتي بعدها في ذم أهل الكتاب ولم يجر لمشركي مكة
ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين أن يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح غيره القول الثاني بأن النصارى
يعظمون بيت المقدس أكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربي في
أحكام القرآن قولا ثالثا وهو أنه كل مسجد وهو الصحيح لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه
ببعض المساجد أو ببعض الأزمنة محال قوله عز وجل ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه
الله سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل تحويل
القبلة إلى الكعبة فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان
لهم أنهم لم يصيبوا فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن
عامر بن ربيعة عن أبيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر
أين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فأينما تولوا فثم وجه الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال ابن عمر نزلت في المصلي يصلي التطوع
حيث ما توجهت به راحلته وعن ابن عمر قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر
راحلته حيث كان وجهه يومئ وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي
على دابته وهو مقبل من مكة إلى المدينة حيث ما توجهت وفيه نزلت فأينما تولوا فثم وجه الله الآية
وقيل نزلت في تحويل القبلة إلى الكعبة وذلك أن اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة
تارة يستقبلون هكذا وتارة يستقبلون هكذا فأنزل الله هذه الآية وقيل إنما نزلت في تخيير
النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيث شاءوا من النواحي ثم إنها نسخت بقوله تعالى فول وجهك
شطر المسجد الحرام ومعنى الآية أن لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا وإنما خص المشرق
والمغرب اكتفاء عن القبلة فإن القبلة ليست قبلة لذاتها بل لأن الله تعالى جعلها قبلة وأمر بالتوجه
إليها فأينما تولوا فثم وجه الله أي فهنالك قبلة الله التي وجهكم إليها وقيل معناه فثم وجه
الله تعالى بعلمه وقدرته والتوجه صفة ثابتة لا من حيث الصورة وقيل فثم رضاء الله أي يريدون
بالتوجه إليه رضاه إن الله واسع من السعة وهو الغني أي يسع خلقه كلهم بالكفاية
والإفضال والجود والتدبير وقيل هو واسع المغفرة عليم أي بأعمالكم ونياتكم حيث ما
تصلوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء مسألة تتعلق بالآية وهي أن المسافر
إذا كان في مفازة أو في بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فإنه يجتهد في طلبها بنوع من الدلائل
ويصلي إلى الجهة التي أدى إليها اجتهاده ولا إعادة عليه وإن لم يصادف القبلة فإن جهة الاجتهاد
قبلته وكذا الغريق في البحر إذا بقي على اللوح فإنه يصلي على حسب حاله وتجزي صلاته وكذلك
المشدود على جذع بحيث لا يمكنه الاستقبال قوله عز وجل وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت في يهود

المدينة حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب
حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه أي تنزيها لله فنزه الله نفسه عن اتخاذ الولد وعن
قولهم وافترائهم ثم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني
ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده
كما كان وأما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا بل له ما في السموات
والأرض يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب إليه الولد وهو داخل فيهما وقيل إن الولد لا بد
أن يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه عن التشبيه والنظير وقيل إن الولد إنما يتخذ للحاجة
إليه ولا انتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك فإضافة الولد إليه محال
كل له قانتون يعني أن أهل السموات والأرض مطيعون له ومقرون له بالعبودية وأصل
القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل أصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
أفضل الصلاة طول القنوت وعلى هذا يكون معنى الآية كل له قانتون أي من للوقت منه يحضرون ولما
خلق الله واختلف العلماء في حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه (سلكوا)
طريقين أحدهما قالوا هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة الثاني قال ابن عباس
هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام لأن لفظة كل
تقتضي الشمول والإحاطة ثم سلكوا في الكفار طريقين أحدهما أن كلا منهم يسجد لله وتطيعه
والثاني أن هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب إلى تخصيص حكم الآية أجاب عن
لفظة كل بأنها لا تقتضي الشمول والإحاطة بدليل قوله تعالى وأوتينا من كل شيء ولم يؤت ملك
سليمان فدل على أن لفظة كل لا تقتضي ذلك قوله عز وجل بديع السموات والأرض أي خالقهما
ومنشئهما على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبدع الأشياء أي يحدثها مما لم تكن وإذا
قضى أمرا أي قدره وأراد خلقه وقيل إذا أحكم أمرا وحتمه وأنفذه وأصل القضاء الحكم والفراغ
والقضاء في اللغة على وجوه كلها ترجع إلى انقضاء الشيء وتمامه والفراغ منه فإنما يقول له
له كن فيكون أي إذا أحكم أمرا وحتمه فإنما يقول له كن فيكون ذلك الأمر على ما أراد الله تعالى
وجوده فإن قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فإنما يقول له كن فيكون قلت
إن الله تعالى عالم بما هو كائن قبل تكوينه وإذا كان كذلك كانت الأشياء التي لم تكن كائنة
كائنة لعلمه بها فجاز أن يقول لها كوني ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود وقيل
اللام في قوله له لأجل فيكون المعنى وإذا قضى أمرا فإنما يقول لأجل تكوينه وإرادته كن
فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب قوله عز وجل وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس الذين
كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركوا العرب
لولا يكلمنا الله أي عيانا بأنك رسوله أو تأتينا آية أي دلالة وعلامة على صدقك
كذلك قال الذين من قبلهم أي كفار الأمم الخالية مثل قولهم وذلك أن اليهود سألوا
موسى أن يريهم الله جهرة وأن يسمعهم كلام الله وسألوا من الآيات ما ليس لهم مسألته
فأخبر الله عن الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا مثل ما قال من كان
قبلهم تشابهت قلوبهم يعني أن المكذبين للرسل تشابهت أقوالهم وأفعالهم وقيل
تشابهت في الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال قد بينا الآيات أي الدلالات (قلوبهم)
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوم يوقنون يعني أن آيات القرآن وما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين وإنما خص الإيقان (اهل)
بالذكر لأنهم هم أهل التثبت في الأمور ومعرفة الأشياء على يقين قوله عز وجل إنا أرسلناك

بالحق

بالحق أي بالصدق وقال ابن عباس بالقرآن وقيل بالإسلام وقيل معناه إنا لم نرسلك عبثا بل أرسلناك
بالحق بشيرا أي مبشرا لأوليائي وأهل طاعتي بالثواب الكريم ونذيرا أي منذرا ومخوفا لأعدائي وأهل
معصيتي بالعذاب الأليم ولا تسأل قرئ بجزم اللام على النهي قال ابن عباس وذلك أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل أبواي فنزلت هذه الآية والمعنى إنا أرسلناك لتبليغ ما أرسلت به ولا
تسأل عن أحد بالجحيم وقرئ برفع التاء واللام على الخبر وقيل على النفي والمعنى إنا أرسلناك بالحق
لتبليغ ما أرسلت به وإنما عليك البلاغ ولست مسؤولا عمن كفر عن أصحاب الجحيم أي عن أهل النار سميت
النار جحيما لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار قوله عز وجل ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم وذلك أنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه
أنه إن أمهلهم تبعوه فأنزل الله هذه الآية والمعنى أنك إن هادنتهم فلا يرضون بها وإنما يطلبون
ذلك تعللا ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في أمر القبلة وذلك أن يهود المدينة
ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي إلى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة
إلى الكعبة أيسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود إلا باليهودية ولا
النصارى إلا بالنصرانية وهذا شيء لا يتصور لأن الجمع في رجل واحد بين شيئين في وقت واحد هو قوله حتى تتبع
ملتهم يعني دينهم وطريقتهم قل يا محمد إن هدى الله يعني دين الله الذي هو الإسلام هو الهدى
أي هو الحق الذي يصح أن يسمى هدى ولئن اتبعت يا محمد أهواءهم يعني أهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل
أهواءهم أقوالهم التي هي أهوى ولو بعد الذي جاءك من العلم أي البيان بأن دين الله هو الإسلام
وأن القبلة هي قبلة إبراهيم عليه السلام وهي الكعبة ما لك من الله من ولي يعني يلي أمرك ويقوم
بك ولا نصير أي ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل في قوله ولئن اتبعت أهواءهم إنه خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به أمته والمعنى يا أيها المخاطب ولكم الخطاب وأنتم وقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم
قد جاءكم بالحق والصدق وفي عصمته فلا تتبعوا أنتم أهواء الكافرين ولئن اتبعتم أهواءهم بعد الذي
جاءكم من العلم والبيان ما لكم من الله من ولي ولا نصير قوله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب قال ابن عباس
نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب وكانوا أربعين رجلا اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة
وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه
وقيل هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المؤمنون عامة يتلونه حق تلاوته
أي يقرؤونه كما أنزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
معناه ويتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه
ويقفون عنده ويكلون علمه إلى الله تعالى وقيل معناه يتدبرونه حق تدبره ويتفكرون في معانيه وحقائقه
وأسراره أولئك يعني الذين يتلونه حق تلاوته يؤمنون به أي يصدقون به فإن قلنا إن الآية في
أهل الكتاب فيكون المعنى أن المؤمن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم
لأن في التوراة نعته وصفته وإن قلنا إنها نزلت في المؤمنين عامة فظاهر ومن يكفر به أي بمحمد وبما فيه
من شرائع الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فأولئك هم الخاسرون أي خسروا أنفسهم حين استبدلوا
الكفر بالإيمان قوله عز وجل يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم أي أياديّ لديكم
وصنعي بكم واستنقاذي آباءكم من أيدي عدوكم في نعم كثيرة أنعمت بها عليكم وأني فضلتكم على
العالمين أي واذكروا تفضيلي آباءكم على عالمي زمانهم وفي هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا في
زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررها في أول السورة وهنا للتوكيد وتذكير النعم واتقوا
يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا وفي هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بني إسرائيل المبدلين
كتابي المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تغني فيه نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها

شفاعة أي ولا يقبل منها فداء ولا تنفعها شفاعة وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى
ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة إذا وجب عليها العذاب
ولم تستحق سواه وقيل إنه رد على اليهود في قولهم إن آباءنا يشفعون لنا ولا هم
ينصرون أي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله إذا انتقم منهم قوله عز وجل وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات
فأتمهن إبراهيم اسم أعجمي ومعناه أب رحيم وهو إبراهيم بن تارح وهو آزر بن ناحور بن شاروغ
ابن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد إبراهيم
بالسوس من أرض الأهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه
نقله إلى أرض بابل وهي أرض نمرود الجبار وإبراهيم عليه السلام تعترف بفضله جميع الطوائف قديما
وحديثا فأما اليهود والنصارى فإنهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة إليه وأنهم من أولاده وأما
العرب في الجاهلية فإنهم أيضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه
وخدام بيته ولما جاء الإسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن إبراهيم أمورا توجب على المشركين
والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم لأن ما أوجبه الله
على إبراهيم عليه السلام هو من خصائص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى
ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به وتصديقه وأصل الابتلاء الامتحان
والاختبار ليعرف حال الإنسان وإذا قيل ابتلي فلان يكون المقصود ظهر تعرف حاله والوقوف
على ما يجهل من أمره والثاني ظهور جودته ورداءته وهو ابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم
والوقوف على ما يجهل منها لأنه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الأزل إلى الأبد
ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودته ورداءته وعلى هذا يتنزل قوله تعالى وإذ ابتلى إبراهيم ربه
بكلمات واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام قال ابن عباس هي ثلاثون
سهما من شرائع الإسلام لم يبتل بها أحد فأقامها كلها إلا إبراهيم فكتب له البراءة فقال وإبراهيم
الذي وفى ومعنى هذا الكلام أنه لم يبتل أحد قبل إبراهيم فأما بعده فقد ابتلي الأنبياء جميع ما أمروا به من
الدين خصوصا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد وفى بجميع ما أمر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله
إن المسلمين والمسلمات الآية وعشرة في سورة المؤمنين في قوله قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
الآيات وهي مذكورة أيضا في سورة سأل سائل وعن ابن عباس أيضا قال ابتلاه الله بعشرة أشياء من الفطرة
خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس في الجسد تقليم
الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم
الأظفار ونتف الإبط م عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص
الشارب وإعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط
وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة قال وكيع
انتقاص الماء يعني الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه
الأشياء المذكورة في الحديث إنها من الفطرة قيل كانت على إبراهيم عليه السلام فرضا وهي لنا
سنة واتفقت العلماء على أنها من الملة وأما معانيها فقيل قص الشارب وإعفاء اللحية
لمخالفة الأعاجم فإنهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم أو يوفرونهما معا وذلك عكس
الجمال والنظافة وأما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والأنف من الطعام
والقلح والوسخ وأما قص الأظفار فللجمال والزينة فإذا طالت قبح منظرها واحتوت الوسخ
فيها وأما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور الأصابع فإنه يجتمع فيها الوسخ ويشين

المنظر

ابراهيم

٣٤

المنظر وأما حلق العانة ونتف الإبط فللتنظيف والتخفيف عما يجتمع فيهما من البول واختلف العلماء في
وجوبه فذهب الشافعي إلى أن الختان واجب لأنه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك إلا في الواجب وذهب
غيره إلى أنه سنة وأول من اختتن إبراهيم عليه السلام ولم يختتن أحد قبله وعن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن إبراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد
فمن خفف ذهب إلى أنه اسم للآلة التي يقطع بها ومن شدد قال إنه اسم موضع عن يحيى بن سعيد
أنه سمع سعيد بن المسيب يقول كان إبراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول الناس قص
شاربه وأول الناس رأى الشيب قال رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا إبراهيم قال يا رب زدني وقارا
أخرجه مالك في الموطأ وقيل في الكلمات إنها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله بسبعة أشياء بالكوكب
والقمر والشمس فأحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل إن الله
اختبر إبراهيم بكلمة أوحاها إليه وأمره أن يعمل بهن فأتمهن أي أداهن حق التأدية وقام بهن جميعهن
حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينقص منهن شيئا واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل
النبوة أو بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الآية إني جاعلك للناس إماما والتعقيب
متقدم على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لأن التكليف لا يعلم إلا من جهة الوحي إلا في
ذلك بعد النبوة ثم الصواب أنه إن فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وإن فسر
بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة وقوله عز وجل قال إني جاعلك للناس إماما أي يقتدى
بك في الخير ويأتمون بك ويتبعون سنتك وهديك والإمام هو الذي يؤتم به قال ومن ذريتي أي قال إبراهيم واجعل
من ذريتي وأولادي أئمة يقتدى بهم قال الله لا ينال أي لا يصيب عهدي بنبوتي وقيل الإمامة الظالمين
يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظالما من ذريتك وقوله عز وجل
وإذ جعلنا البيت يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فإن الله تعالى وصفه بكونه آمنا
وهذا صفة جميع الحرم مثابة للناس أي مرجعا من ثاب يثوب إذا رجع والمعنى يثوبون إليه من كل جانب
ويحجون وأمنا لأهل مكة وأي موضع إذا أمن ما منون فيه من أذى المشركين فإنهم كانوا لا يتعرضون لأهل مكة
ويقولون هم أهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجأ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم فتح مكة إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى
يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم
القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس
يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وبيوتهم فقال إلا الإذخر معنى الحديث أنه لا يحل لأحد أن
ينصب القتال والحرب في الحرم وإنما أحل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل
لأحد بعده قوله لا يعضد شوكه أي لا يقطع شوك الحرم وأراد به ما لا يؤذي منه كالعوسج فأما ما يؤذي
ولا ينفر صيده أي لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها أي ينشدها
والتنشيد رفع الصوت بالتعريف واللقطة في جميع الأرض لا تحل إلا لمن يعرفها حولا فإن جاء صاحبها
أخذها وإلا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة أن يعرفها على الدوام بخلاف
غيرها من البلاد فإنه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه الخلا مقصور على الرطب من النبات الذي يرعى
وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاه قطعه وقوله لقينهم القين الحداد وقوله تعالى واتخذوا من مقام
إبراهيم مصلى قيل الحرم كله مقام إبراهيم وقيل أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل
عرفة والمزدلفة والرمي وسائر المشاهد والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي يصلي فيه الأئمة
وذلك الحجر هو الذي قام إبراهيم عليه عند بناء البيت وقيل كان أثر أصابع رجلي إبراهيم عليه
السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالأيدي وقيل إنما أمروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله

وعن انس بن مالك قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى
فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث وكان بدء قصة المقام على ما رواه البخاري في صحيحه
عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة
ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم
من اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقا
فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم الى اين تذهب وتتركنا بهذا
الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا
قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل
بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت
وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلبط او قال يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض
يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي رفعت طرف
درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى
احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما
فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت يا من قد
اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء
فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء وهو يفور بعدما تغرف قال ابن عباس قال
النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم
عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان هاهنا بيت الله يبنيه
هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ
عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل
مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا
جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل
عندك فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك
ام اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب
الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام
اسماعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسال امراته عنه
فقالت خرج يبتغي لنا وفي رواية ذهب ليصيد لنا ثم سالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن
بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه فقال اذا جاء زوجك اقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة
بابه فلما جاء اسماعيل كانه انس شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسالنا عنك
فاخبرته وسالني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة فقال هل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرا
عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها
وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ثم اتاهم بعد ذلك فلم يجده فدخل على امراته
فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا فقال كيف انتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن
بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء
قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم
حب لدعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه وفي رواية فجاء فقال اين

اسماعيل

اسماعيل فقالت امراته ذهب يصيد فقالت امراته الا تنزل فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت
طعامنا اللحم وشرابنا الماء قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم فقال ابو القاسم بركة
لدعوة ابراهيم قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه ان يثبت عتبة بابه فلما جاء
اسماعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسالني عنك فاخبرته
فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم يقرا عليك السلام ويامرك ان
تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد
ذلك واسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد
والولد بالوالد ثم قال يا اسماعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك به قال وتعينني قال واعينك قال
فان الله امرني ان ابني هاهنا بيتا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت
فجعل اسماعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه فقام ابراهيم
عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي رواية
حتى اذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل
منا انك انت السميع العليم وقيل ان امراة اسماعيل قالت لابراهيم انزل اغتسل واغسل فلم ينزل فجاءته بالمقام
بالماء فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر
فغسلت شق راسه الايسر فبقي اثر قدميه عليه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان طمس نورهما
لاضاءا ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال هذا يروى عن عمرو موقوفا واختلفوا في قوله مصلى فمن
فسر المقام بمشاهد الحج ومناسكه قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر
قال معناه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قبلة امروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ
الصلاة اذا اطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع
الذي يصلي فيه وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل اي امرناهما والزمناهما واوجبنا عليهما قيل انما
سمي اسماعيل لان ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا ويقول في دعائه اسمع يا ايل وايل بلسان السريانية
هو الله فلما رزق الولد سماه به ان طهرا بيتي يعني الكعبة اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا
اي ابنياه على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان
وقول الزور للطائفين يعني الدائرين حوله والعاكفين يعني المقيمين به والمجاورين له والركع السجود
جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين الغرباء الواردين الى مكة والعاكفين يعني اهل مكة
المقيمين بها قيل ان الطواف للغرباء افضل والصلاة لاهل مكة بمكة افضل قوله عز وجل واذ قال ابراهيم
رب اجعل هذا اشارة الى مكة وقيل الى الحرم بلدا امنا اي ذا امن يامن فيه اهله وانما دعا لها ابراهيم
بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن امنا لم يجلب اليه شيء من النواحي فيتعذر المقام به
فاجاب الله دعاء ابراهيم وجعله بلدا امنا فما قصده جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل
وغيرهم من الجبابرة فان قلت قد غزا مكة الحجاج واخرب الكعبة قلت لم يكن قصده بذلك مكة
ولا اهلها ولا خراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل
قصده اعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها واحسن الى اهلها واختلفوا هل كانت
مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام ام حرمت بدعوته على قولين احدهما انها كانت محرمة قبل دعوته
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السماوات والارض وقول ابراهيم عليه السلام
اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضي ان مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم
القول الثاني انها حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة

وهذا يقتضي أن مكة كانت قبل دعوة إبراهيم حلالا كغيرها من البلاد وإنما حرمت بدعوة إبراهيم ووجه
الجمع بين القولين وهو الصواب أن الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ولكن لم يظهر ذلك التحريم على لسان أحد من أنبيائه ورسله
وإنما كان تعالى يمنعها ممن أرادها بسوء ويدفع عنها وعن أهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من أمرها
حتى بوأها الله إبراهيم وأسكن بها أهله فحينئذ سأل إبراهيم ربه عز وجل أن يظهر تحريم مكة لعباده
على لسانه فأجاب الله دعوته وألزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة إبراهيم وفرض على الخلق
تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو
الصواب والله أعلم **وارزق أهله من الثمرات** إنما سأل إبراهيم ذلك لأن مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب
الله له وجعل مكة حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء **من آمن منهم بالله واليوم الآخر** يعني أن يرزق المؤمنين
من أهله خاصة وسبب هذا التخصيص أن إبراهيم عليه السلام لما سأل ربه عز وجل أن يجعل النبوة في ذريته
والإمامة في ذريته فأجابه الله بقوله لا ينال عهدي الظالمين فصار ذلك تأديبا له في المسألة فلأجل
ذلك هاهنا خص بدعائه المؤمنين دون الكافرين ثم أعلمه أن الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر
بقوله **قال ومن كفر فأمتعه** أي فسأرزق الكافر أيضا **قليلا** أي في الدنيا إلى منتهى أجله وذلك قليل لأنه
ينقطع **ثم أضطره إلى عذاب النار** أي ألجئه وأكرهه وأدفعه إلى عذاب النار والمضطر هو الذي لا يملك
لنفسه الامتناع مما اضطر إليه **وبئس المصير** أي وبئس المكان الذي يصير إليه الكافر وهو العذاب
قوله تعالى **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل** وكان قصة بناء البيت على ما ذكره
العلماء وأصحاب السير أن الله خلق موضع البيت قبل أن يخلق الأرض بألفي عام وكانت زبدة بيضاء على وجه
الماء فدحيت الأرض من تحتها فلما أهبط الله آدم إلى الأرض استوحش فشكا إلى الله تعالى فأنزل البيت
المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه
على موضع البيت وقال يا آدم إني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وأنزل الله عليه
الحجر الأسود وكان أبيض فاسود من لمس الحيض في الجاهلية فتوجه آدم من الهند ماشيا إلى مكة
وأرسل الله إليه ملكا يدله على البيت فحج آدم البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة
وقالوا له بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام قال ابن عباس حج آدم أربعين
حجة من الهند إلى مكة على رجليه فكان على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله إلى السماء الرابعة وهو
البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه وبعث الله جبريل حتى خبأ الحجر الأسود
في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا إلى زمن إبراهيم عليه السلام ثم إن
الله تعالى أمر إبراهيم بعدما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله أن يبين
له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح خجوج لها رأسان تشبه الحية
والخجوج من الرياح هي السريعة المرور الشديدة الهبوب وقيل هي الملتوية في هبوبها وأمر إبراهيم أن يبني
حيث تستقر السكينة فتبعها إبراهيم حتى أتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطوي الحجفة
وقال ابن عباس بعث الله سبحانه وتعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في
ظلها إلى أن وقفت على موضع ونودي منها يا إبراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل إن الريح
كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له أساس البيت الأول ومن ذلك قوله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت
فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت فكان إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى وإذ
يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل جمع قاعدة وهي أساس البيت وقيل جداره من البيت
قال ابن عباس بنى إبراهيم البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان جبل بالشام
والجودي جبل بالجزيرة وبنى القواعد من حراء جبل بمكة فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود

قال لإسماعيل

٢٦

قال لإسماعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال ائتني بأحسن منه فمضى إسماعيل يطلب
حجرا أحسن منه فصاح أبو قبيس يا إبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها فقذف بالحجر الأسود فأخذه إبراهيم
فوضعه مكانه وقيل إن الله تعالى أمر إبراهيم وإسماعيل بسبعة أملاك يعينونهما في بناء البيت فلما
فرغا من بنائه قالا **ربنا تقبل منا** وفي الآية إضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا أي ما عملناه وتقبل
طاعتنا إياك وعبادتنا لك **إنك أنت السميع العليم** يعني بنياتنا قوله عز وجل **ربنا واجعلنا مسلمين**
لك يعني موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك فإن قلت الإسلام إما أن يكون هو الدين أو الاعتقاد
والاستسلام والانقياد ومن كان كذلك حالة هذا الدعاء فما فائدة هذا الطلب قلت فيه وجهان
أحدهما أن الإسلام عرض قائم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعني في المستقبل وذلك
لا ينافي حصوله في الحال الوجه الثاني يحتمل أن يكون المراد منه طلب الزيادة في الإيمان فكأنهما
طلبا زيادة اليقين والبصيرة وذلك لا ينافي حصوله في الحال **ومن ذريتنا** أي ومن أولادنا **أمة** أي
جماعة **مسلمة** أي خاضعة منقادة **لك** وإنما أدخل من التي للتبعيض لأن الله تعالى أعلمهما بقوله لا ينال
عهدي الظالمين أن في ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرية بالدعاء فإن قلت لم خص ذريتهما بالدعاء
قلت لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولأن أولاد الأنبياء إذا
صلحوا صلح بهم غيرهم لأن أولاد المتقين من العلماء والكبراء إذا كانوا على السداد كيف يتسببون
لسداد من وراءهم وقيل المراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم
وأرنا أي علمنا وبصرنا **مناسكنا** أي شرائع ديننا وأعلام حجنا وقيل مناسكنا مذابحنا والنسك
الذبيحة وقيل متعبداتنا وأصل النسك العبادة والناسك العابد فأجاب الله دعاءهما وبعث
جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال أعرفت يا إبراهيم قال إبراهيم نعم
فسمي ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات **وتب علينا** أي تجاوز عنا **إنك أنت التواب** أي المتجاوز
عن عباده **الرحيم** بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الأنبياء ووجهه أن التوبة لا تطلب
من الله إلا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه وأجيب عنه بأن العبد
وإن اجتهد في طاعة ربه عز وجل فإنه لا ينفك عن تقصير في بعض الأوقات إما على سبيل السهو أو ترك
الأولى أو الأفضل فكان الدعاء لأجل ذلك وقيل يحتمل أن الله تعالى أعلم إبراهيم أن في ذريته من هو ظالم
فلا جرم سأل ربه التوبة لأولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من أولادنا حتى يرجعوا إليك فعلى هذا
فيكون ظاهر الكلام الدعاء لأنفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل أنهما لما رفعا قواعد البيت وكان ذلك
المكان أحرى الأماكن بالإجابة فدعوا الله بذلك الدعاء ليجعلا ذلك سنة وليقتدي من بعدهما بهما في
ذلك الدعاء لأن ذلك المكان هو موضع التنصل من الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى قوله عز وجل
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يعني وابعث في الأمة المسلمة أو الذرية وهم العرب من ولد إسماعيل
ابن إبراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعني ليدعوهم إلى الإسلام ويكمل الدين والشرع وإذا كان
الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان أقرب لقبول قوله ويكون هو أشفق عليهم من غيره
وأجمع المفسرون على أن المراد بقوله رسولا منهم محمد صلى الله عليه وسلم لأن إبراهيم عليه السلام إنما
دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن المراد به محمد
صلى الله عليه وسلم وروى البغوي بإسناده عن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إني عند
الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري دعوة إبراهيم وبشارة
عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور الشام وقوله
لمنجدل في طينته معناه مطروح على وجه الأرض صورة من طين لم تجر فيه الروح وأراد بدعوة إبراهيم
قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاء إبراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم

أي لو عاينا

التنصل

في آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر والظلم وأراد بالبشارة بشارة عيسى في قوله في سورة الصف ومبشراً برسول يأتي
من بعدي اسمه أحمد **يتلو عليهم آياتك** أي يقرأ عليهم يعني ما توحي إليه من القرآن وهو الذي
أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لأن الذي كان يتلو عليهم هو القرآن فوجب حمله عليه **ويعلمهم الكتاب**
يعني معاني الكتاب وحقائقه لأن المقصود الأعظم تعلم ما في القرآن من دلائل التوحيد والنبوة والأحكام
الشرعية فلما ذكر الله تعالى أولاً أمر التلاوة وهي حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصوناً على التحريف
والتبديل ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره **والحكمة** أي ويعلمهم الحكمة التي ترد عن الجهل والخطأ
وذلك إنما يكون بما ذكرناه وهي الإصابة في القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا اجتمع فيه
الأمران وقيل هي الحكمة التي ترد عن الجهل والخطأ وذلك إنما يكون بما ذكرناه من الإصابة في القول
والعمل ووضع كل شيء موضعه وقيل الحكمة معرفة الأشياء بحقائقها واختلف المفسرون في
المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع
له وقال قتادة الحكمة هي السنة وذلك لأن الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه
الحكمة فوجب أن يكون المراد بها شيئاً آخر وليس ذلك إلا السنة وقيل الحكمة هي العلم بأحكام
الله تعالى التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هي
الفصل بين الحق والباطل وقيل هي معرفة الأحكام والقضاء وقيل هي فهم القرآن والمعنى ويعلمهم ما في
القرآن من الأحكام والحكمة ما فيه من المصالح الدينية والأحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك
أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة **ويزكيهم** أي ويطهرهم من الشرك وعبادة الأ
وثان ومن سائر الأرجاس والرذائل والخبائث وقيل يزكيهم من التزكية أي يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة
إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ ثم ختم إبراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال **إنك أنت العزيز**
الحكيم قال ابن عباس العزيز الذي لا يوجد مثله وقيل هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع
الذي لا تناله الأيدي وقيل العزيز القوي والعزة القوة من قولهم أرض عزاز إذا صلبة قوية
الحكيم أي العالم الذي لا تخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام
قوله عز وجل **ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه** سبب نزول هذه الآية أن عبد الله
ابن سلام دعا ابني أخيه إلى الإسلام مهاجراً وسلمة وقال لهما قد علمتما أن الله قال في التوراة
إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم
سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فأنزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة إبراهيم أي يترك دينه وشريعته
وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركي العرب لأن اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب إلى
إبراهيم والوصلة إليه لأنهم من بني إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم والعرب يفتخرون
لأنهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم وإذا كان كذلك كان إبراهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول
في آخر الزمان فمن رغب عن الإيمان بهذا الرسول الذي هو دعوة إبراهيم فقد رغب عن ملة إبراهيم
ومعنى يرغب عن ملة إبراهيم أي يترك دينه وشريعته يقال رغب في الشيء إذا أراده ورغب
عنه إذا تركه إلا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل أهلك نفسه وقيل امتهنها
واستخف بها وأصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الرأي وكل سفيه جاهل لأن من عبد غير
الله فقد جهل نفسه لأنه لم يعرف أن الله خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه
ومعناه أن يعرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفناء ويعرف ربه بالعز والقدرة والقوة والبقاء
ويدل على هذا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفني قال يا رب كيف أعرف
نفسي وكيف أعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف والفناء واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء
ولقد اصطفيناه أي اخترناه **في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين** يعني الفائزين وقيل

مع الأنبياء

٢٧

مع الأنبياء في الجنة **إذ قال له ربه أسلم** أي استقم على الإسلام واثبت عليه لأنه كان مسلماً لأن الأنبياء
إنما نشؤوا على الإسلام والتوحيد قال ابن عباس وذلك حين خرج من السرب وذلك حين استدل بالكواكب
والشمس والقمر واطلع على أمارات الحدوث فيها وافتقارها إلى محدث مدبر فلما عرف ذلك قال له ربه
أسلم **قال أسلمت لرب العالمين** أي قال إبراهيم خضعت بالطاعة وأخلصت العبادة لمالك الخلائق
ومدبرها ومحدثها وقيل معناه أسلم أخلص دينك وعبادتك لله واجعلها مسلمة وقيل الإيمان
من صفات القلب والإسلام من صفات الجوارح وإبراهيم كان مؤمناً بقلبه عارفاً بالله فأمره أن يعمل
بجوارحه وقيل معناه أسلم نفسك إلى الله تعالى وفوض أمرك إليه قال أسلمت أي فوضت أمري لرب
العالمين قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقي في النار قوله عز وجل
ووصى بها إبراهيم بنيه يعني بكلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله وقيل هي الملة الحنيفية
وكان لإبراهيم ثمانية أولاد إسماعيل وأمه هاجر القبطية وإسحاق وأمه سارة ومدين ومدان
ومقشان وزمران ونشق وسوخ وأمهم قنطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة
فإن قلت لم قال ووصى بها إبراهيم بنيه ولم يقل أمرهم قلت لأن لفظ الوصية أوكد من لفظ
الأمر لأن الوصية إنما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك الوقت يكون احتياط الإنسان لولده أشد
وأعظم وكانوا أتم الوقعة وصيته أقرب وإنما خص بنيه بهذه الوصية لأن شفقة الرجل على بنيه أكثر
من شفقته على غيرهم وقيل لأنهم كانوا أئمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحاً لغيرهم **ويعقوب**
أي ووصى يعقوب بمثل ما وصى به إبراهيم وسمي يعقوب لأنه هو والعيص كانا توأمين في بطن واحد
فتقدم العيص وقت الولادة في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره وأخذ بعقبه قال ابن عباس
وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا
وريالون ويشجر ودان ونفتالي وجاد وأشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال **يا بني**
إن الله اصطفى لكم الدين أي اختار لكم دين الإسلام **فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** أي مؤمنون مخلصون
والمعنى دوموا على إسلامكم حتى إذا أتاكم الموت وأنتم مسلمون لأنه لا يعلم في أي وقت يأتي الموت
على الإنسان وقيل في معنى وأنتم مسلمون أي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روي عن جابر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو محسن
الظن بالله أخرجاه في الصحيحين قوله عز وجل **أم كنتم شهداء** جمع شهيد يعني الحاضر أي ما كنتم حاضرين
إذ حضر يعقوب الموت أي حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك لأنهم قالوا للنبي صلى
الله عليه وسلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم والمعنى
أكنتم يا معشر اليهود شهوداً على يعقوب إذ حضره الموت أنكم تحضرون ذلك فلا تدعوا على أنبيائي
ورسلي الأباطيل وتنسبوهم إلى اليهودية فإني ما بعثت خليلي إبراهيم وولده وأولادهم
إلا بدين الإسلام وبذلك وصوا أولادهم وبه عهدوا إليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى
إذ قال يعني يعقوب **لبنيه** يعني أولاده الاثني عشر **ما تعبدون** أي أي شيء تعبدون **من بعدي** قيل
إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب وكان قد رأى أهل مصر يعبدون
الأوثان والنيران فقال انظروني حتى أسأل ولدي وأوصيهم فأمهله فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر
أجلي ما تعبدون من بعدي **قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق** وإنما
قدم إسماعيل لأنه كان أكبر من إسحاق وأدخله في جملة الآباء وإن كان عماً لهم لأن العرب تسمي العم
أباً والخالة أماً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه وقال في عمه العباس ردوا
علي أبي **إلهاً واحداً ونحن له مسلمون** أي مخلصون العبودية **تلك** إشارة إلى الأمة المذكورة
يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولادهم **أمة قد خلت** أي مضت لسبيلها والمعنى

يا معشر اليهود والنصارى عن ذكر ابراهيم واسماعيل واسحاق والمسلمين من اولادهم ولا تقولوا فيهم
ما ليس فيهم لها ما كسبت يعني من العمل ولكم يا معشر اليهود والنصارى ما كسبتم اي من العمل
ولا تسألون عما كانوا يعملون يعني كل فريق يسأل عن عمله لا عن عمل غيره قوله عز وجل وقالوا كونوا
هودا او نصارى تهتدوا قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب
ابن يهوذا وابي ياسر بن اخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المؤمنين
في الدين وكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا
التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بعيسى والانجيل ومحمد والقرآن وقالت النصارى
كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عز وجل قل يعني
يا محمد بل ملة ابراهيم يعني ان كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله حنيفا
اصله من الحنيف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان كلها الى
دين الاسلام قال الشاعر   ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين والعرب تسمي كل من اختتن
او اختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية الختان واقامة المناسك مخلصا يعني ان
الحنيفية هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم وما كان من المشركين يعني ابراهيم وفيه تعريض
باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعي اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طريق الايمان
فقال تعالى قولوا آمنا بالله يعني قولوا ايها المؤمنون لهؤلاء اليهود الذين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى
تهتدوا آمنا بالله اي صدقنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن وما انزل الى ابراهيم يعني وآمنا
بما انزل الى ابراهيم وهو عشر صحائف واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وهم اولاد
يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا انبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل
للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب
من بني اسماعيل وكان في الاسباط انبياء وما اوتي موسى يعني التوراة وعيسى يعني الانجيل وما اوتي
النبيون من ربهم والمعنى آمنا ايضا بالتوراة والانجيل والكتب التي اوتي جميع النبيين وصدقنا ان ذلك
كله حق وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع ما ذكر الله من انبيائه كانوا على حق وهدى لا نفرق
بين احد منهم اي لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليه
وسلم واقرت ببعض الانبياء وكما تبرأت النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبياء بل
نؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على حق وهدى ونحن له مسلمون اي ونحن له خاضعون بالطاعة
مذعنون له بالعبودية خ عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها
بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا الآية قوله عز وجل فان آمنوا يعني اليهود والنصارى بمثل ما آمنتم
به اي بما آمنتم به ومثل صلة كقوله ليس كمثله شيء وقيل ان اتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم
فقد اهتدوا والمعنى ان حصلوا دينا آخر يساوي هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتداء
لغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبياء وما انزل اليهم وقيل معناه فان آمنوا
بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا وان تولوا اي اعرضوا فانما هم في شقاق اي في
خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال واصله من الشق كانه صار في شق
غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق
على صاحبه ويؤذيه فسيكفيكهم الله اي يكفيك يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان
من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشيء انجزه وهو اخبار بغيب
وفيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد انجز الله وعده بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء
بني النظير

٣٨

بني النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى وهو السميع لاقوالهم العليم باحوالهم يسمع جميع
ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرونه من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه قوله عز وجل
صبغة الله قال ابن عباس دين الله وانما سماه الله صبغة لان اثر الدين يظهر على المتدين
كما يظهر اثر الصبغ في الثوب وقيل فطرة وقيل سنة الله وقيل اراد به الختان لانه يصبغ المختتن
بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود واتى عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم
اصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه من الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الآن صار نصرانيا
حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام لا ما تفعله النصارى ومن احسن من الله صبغة اي دينا وقيل
تطهيرا لانه يطهر من اوساخ الكفر ونحن له عابدون اي مطيعون قل يعني يا محمد لليهود والنصارى
الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وامروكم باتباعهم اتحاجوننا في الله اي اتخاصموننا وتجادلوننا
في دين الله الذي امرنا ان ندين به والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا
اقدم من دينكم وان الانبياء منا وعلى ديننا فنحن اولى بالله منكم فامر الله المؤمنين ان يقولوا لهم
اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم اي ونحن وانتم في الله سواء فانه ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم
اعمالكم يعني لكل واحد جزاء عمله ونحن له مخلصون اي مخلصوا الطاعة والعبادة فيه وفيه توبيخ
لليهود والنصارى والمعنى وانتم له مشركون والاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك
في دينه ولا يرائي بعمله قال الفضيل بن عياض ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك
والاخلاص ان يعافيك الله منهما وهذه الآية منسوخة باية السيف قوله عز وجل ام تقولون يعني اليهود
والنصارى ومعناه التوبيخ ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
يعني انتم تزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم
فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه قل يا محمد أانتم اعلم يعني بدينهم
ام الله اي الله اعلم بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية والنصرانية ولكن كانوا
مسلمين حنفاء ومن اظلم ممن كتم يعني اخفى شهادة عنده من الله وهي علمهم بان ابراهيم
وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا حق نعته وصفته ويجدون ذلك في كتبهم وكتموه وجحدوه والمعنى ومن اظلم
ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها واخفاها وما الله بغافل عما تعملون يعني من كتمانكم
الحق فيما الزمكم به من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفاء وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية
والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه ثم يعاقبكم عليه في الآخرة تلك امة قد خلت يعني ابراهيم
وبنيه لها ما كسبت اي جزاء ما كسبت ولكم ما كسبتم اي جزاء ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون
يعني ان كل انسان انما يسأل يوم القيامة عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود
ولمن يتكل على فضل الآباء وشرفهم اي لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله وانما كرر هذه الآية
لانه اذا اختلفت مواطن الحجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتاكيده وقيل انما كرره تنبيها لليهود
لئلا يغتروا بالشرف. اما قوله عز وجل سيقول السفهاء من الناس اي الجهال من الناس والسفه خفة في النفس
لنقصان العقل في الامور الدينية والدنيوية ولا شك ان ذلك في باب الدين اعظم لان العادل عن الامر الواضح في امر
دنياه يعد سفيها فمن كان كذلك في امر دينه كان اولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا امكن
حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الآية في اليهود وذلك لانهم طعنوا
في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل انما نزلت في المنافقين
وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين
واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة في التخصيص ولان الاعداء يبالغون في الطعن
والقدح فاذا وجدوا مقالا او مجالا جالوا ما ولاهم يعني اي شيء صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها

الله

صبغة

ويعقوب

يعني بيت المقدس والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي يقابلها وتقابله
ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله قل لله المشرق والمغرب يعني ان له قطري الشرق
والغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شيء ان يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها لله. واحتج وانما تعين
قبلة لان الله تعالى جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله يهدي من يشاء يعني من عباده الى صراط
مستقيم يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه السلام قوله عز وجل وكذلك جعلناكم
الكاف في قوله كذلك كاف التشبيه جاء لمشبه به وفيه وجوه احدها انه معطوف على ما تقدم من قوله
في حق ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا وكذلك جعلناكم امة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم
وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعني عدولا خيارا وخير الامور اوسطها قال زهير
هم وسط يرضى الانام بحكمهم ... اذا نزلت احدى الليالي بمعظم
وقيل من وسطه والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في امر الدين لا كغلو النصارى في
عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم وسبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود
قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا اعدل الناس فقال
معاذ انا على حق وعدل فانزل الله هذه الآية وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وان
هذه الآية توفي سبعين امة نحن آخرها وخيرها واكرمها على الله تعالى وقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس
يعني يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم شهيد على من ترك
الحق من الناس اجمعين ويكون الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا يعني عدلا مزكيا لكم
وذلك ان الله يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم ياتكم نذير فيكفرون ويقولون ما
جاءنا من نذير فيسأل الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو اعلم بهم اقامة
للحجة فيقولون امة محمد تشهد لنا فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم
الماضية من اين علموا وانما اتوا بعدنا فيسأل هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابا
اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله عز وجل عن حال امته
فيزكيهم ويشهد بصدقهم ثم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح وامته يوم
القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اي رب فيسأل امته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح
من يشهد لك فيقول محمد وامته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا اخرجه الترمذي وسطا قال عدلا قوله عز وجل
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها وهي بيت المقدس
وانما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة الكلام عليه وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة
وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة الا لنعلم من يتبع الرسول فان قلت
ما معنى قوله الا لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قلت اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب
فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل
عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية اي لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب
على عقبيه وقيل معناه الا ليعلم رسولي وحزبي واوليائي من المومنين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
وكان من شأن العرب اضافة ما يفعله الاتباع الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك
اتباعه عن امره وقيل انما قال الا لنعلم وهو بذلك قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا عالم
انتم اذ كنتم جهالا به قبل كونه فاضاف العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لعلمنا
لانه تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة آخرين ومعنى من يتبع الرسول اي
يطيعه في امر القبلة ويتوجه حيث ما امر ممن ينقلب على عقبيه اي يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد

وفي الحديث

وفي الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين آبائه وان
كانت لكبيرة اي وقد كانت لكبيرة يعني تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس
الى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجهه اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وانث الكبيرة لتأنيث
القبلة وقيل لتأنيث التولية الا على الذين هدى الله يعني الصادقين في اتباع الرسول وما كان الله
ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت المقدس وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين
اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها
مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون انما الهدى فيما امر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه
قالوا فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة سعد بن زرارة
من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائرهم الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى
بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت المقدس ان الله بالناس لرؤوف
رحيم يعني لا يضيع اجورهم والرأفة اشد من الرحمة وقيل في الفرق بين الرأفة والرحمة ان الرأفة مبالغة في
رحمة خاصة وهي دفع المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه
ايضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرأفة اولا بمعنى انه لا يضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها
اعم واشمل قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله ان يستقبل بيت المقدس ليتألف بذلك اليهود
وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته
في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يتوجه الى
الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا
ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها
قبلة ابي ابراهيم فقال له جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك
فانك عند الله بمكان ثم عرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء
ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء يعني تردد وجهك
وتصرف نظرك الى السماء الى جهة السماء وهذه الآية وان كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى
لانها رأس القصة واول ما نسخ من احكام الشرائع امر القبلة فلنولينك اي فلنحولنك ولنصرفنك قبلة
اي ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة ترضاها اي تحبها وتميل اليها فول وجهك شطر المسجد الحرام
اي نحوه وتلقاءه واراد به الكعبة وعن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في
نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني ان امر القبلة
قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا فهي قبلتكم وعن البراء بن عازب ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل على اجداده او قال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس
ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه اول صلاة صلاها صلاة العصر
وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على اهل المسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان
يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة اهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البراء في حديثه
هذا انه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم
واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كان في يوم الاثنين بعد الزوال النصف من رجب
على راس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء الثمانية

عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة
الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد
مسجد القبلتين وصح الخبر الواحد قبا في صلاة الصبح وعن ابن عمر قال بينما الناس بقبا في صلاة الصبح إذ
جاءهم آت فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها
وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة وقوله تعالى وحيث ما كنتم أي من بر أو بحر مشرق
أو مغرب فولوا وجوهكم شطره أي نحو البيت وتلقاءه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما بين المشرق والمغرب قبلة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل أراد بالمشرق مشرق الشتاء في
أقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في أطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت
عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق أهل المشرق وأن المشرق الشتوي بان
جنوبي متباعد عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستواء بمقدار
الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستواء الذي بينهما هو سمت مكة والفرض لمن بمكة في
القبلة إصابة عين الكعبة ولمن بعد عن مكة إصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها
ولما تحولت القبلة إلى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو إلا شيء ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلي إلى بيت
المقدس وتارة إلى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره فأنزل الله تعالى وإن
الذين أوتوا الكتاب يعني اليهود ليعلمون أنه الحق من ربهم يعني أمر القبلة وتحويلها إلى الكعبة
ثم هددهم فقال تعالى وما الله بغافل عما يعملون يعني وما أنا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فأنا أجازيهم
عليه في الدنيا والآخرة وقرئ تعملون بالتاء قال ابن عباس يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا
بغافل عن ثوابكم وجزائكم فأنا أثيبكم على طاعتكم أفضل الثواب وأجزيكم أحسن الجزاء قوله عز وجل ولئن
أتيت الذين أوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى بكل آية أي بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان وذلك
أنهم قالوا ائتنا بآية على ما تقول فأنزل الله هذه الآية ما تبعوا قبلتك يعني الكعبة وما أنت
بتابع قبلتهم يعني اليهود تصلي إلى بيت المقدس والنصارى إلى المشرق وأنت يا محمد تصلي إلى الكعبة
فكيف يكون سبيل إلى اتباع قبلة أحد هؤلاء مع اختلاف جهاتها فالزم أنت قبلتك التي أمرت بالصلاة
إليها وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة
اليهود لأن النصارى واليهود لا يجتمعون على قبلة واحدة ولئن اتبعت أهواءهم يعني مرادهم ورضاهم
لو رجعت إلى قبلتهم من بعد ما جاءك من العلم أي من أمر القبلة وقيل معناه من بعد ما وصل إليك من العلم
بأن اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق إنك إذا لمن الظالمين يعني إنك إن فعلت ذلك
كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الأمة لأنه صلى
الله عليه وسلم لا يتبع أهواءهم أبدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون على سبيل التذكير والتنبيه قوله عز
وجل الذين آتيناهم الكتاب يعني علماء اليهود والنصارى وقيل أراد به مؤمني أهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام وأصحابه يعرفونه أي يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية بالوصف المعين الذي يجدونه
عندهم كما يعرفون أبناءهم أي لا يشكون فيه ولا يشتبه عليهم كما لا يشتبه عليهم أبناؤهم
من أبناء غيرهم ويروى أن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام إن الله أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر
لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتي بابني فقال عمر
وكيف ذلك فقال أشهد أنه رسول حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء فقبل
عمر رأس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل الضمير في يعرفونه يعود إلى أمر القبلة
التي صرفت إليها في قبلة إبراهيم وقبلة الأنبياء قبلك كما يعرفون أبناءهم لا يشكون فيه وإن

فريقا

فريقا منهم أي من علماء أهل الكتاب ليكتمون الحق يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أمر القبلة
وهم يعلمون يعني أن كتمان الحق معصية وقيل يعلمون أن صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التوراة
والإنجيل وهم مع ذلك يكتمونه الحق أي الذي يكتمونه هو الحق من ربك فلا تكونن من الممترين أي من الشاكين
في أن الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع إلى أمر القبلة والمعنى أن بعضهم عاند وكتم الحق
فلا تشك في ذلك فإن قلت النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يشك فما معنى هذا النهي قلت
هذا الخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد غيره والمعنى فلا تشكون أنتم أيها المؤمنون وقد
تقدم تفسير هذا قوله عز وجل ولكل وجهة أي لكل أهل ملة قبلة والقبلة اسم للمتوجه إليه وقيل
الوجهة الهيئة والحالة في التوجه إلى القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة أن المراد به جميع المؤمنين أي ولكل
أهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون إليها وقيل أراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل
قوم شريعة وطريقة لأن الشرائع مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الزمان والأشخاص
هو موليها أي مستقبلها والمعنى أن لكل أهل ملة وجهة إليها وقيل متوليها أي مختارها وقيل أن هو عائد
على اسم الله تعالى والمعنى أن الله موليها إياه وقرئ مولاها أي مصروف إليها فاستبقوا الخيرات أي بادروا
بالطاعات وقبول الأوامر وفيه حث على المبادرة إلى الأولية والأفضلية فعلى هذا فيكون دليلا لمذهب
الشافعي في أن الصلاة في أول الوقت أفضل فاستبقوا الخيرات لأن ظاهر الأمر للوجوب فإذا لم يفد الوجوب
فلا أقل من الندب أينما تكونوا يعني أنتم وأهل الكتاب يأت بكم الله جميعا يعني يوم القيامة فيجزي
وعد لأهل الطاعة بالثواب ووعيد لأهل المعصية بالعقاب إن الله على كل شيء قدير على الإعادة
بعد الموت والإثابة لأهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام أي من أي موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام وإنه
وإنه يعني التوجه إليه للحق من ربك أي الحق الذي لا شك فيه فحافظ عليه وما الله بغافل عما تعملون
أي ليس هو بساه عن أعمالكم ولا تاركه مجازاتكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فإن قلت ما في
هذا التكرار وما فائدته قلت فيه فائدة عظيمة جليلة وأن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في
شرعنا فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة وإيضاح البيان وقيل كرر فيه لأجل
لتعلقه بما بعده لئلا يكون للناس عليكم حجة قيل أراد بالناس أهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل
هم قريش واليهود فأما قريش فقالوا رجع محمد إلى الكعبة لأنه علم أنها الحق وأنها قبلة آبائه وسيرجع إلى
ديننا كما رجع إلى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه أنه حق إلا أنه يعمل برأيه
فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله إلا الذين ظلموا منهم متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لأحد عليكم إلا مشركو قريش
واليهود فإنهم يحاجونك بالباطل والظلم وإنما سمي الاحتجاج بالباطل حجة لأن استعملها مناظر بحجة إذا غلبه
فكما أنكر حجة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وقيل الاستثناء
منقطع عن الكلام الأول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم بالباطل قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

أي لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل في معنى الآية أن اليهود عرفوا أن الكعبة قبلة إبراهيم ووجدوا في
التوراة أن محمدا سيحول إليها فتكون حجتهم أنهم يقولون إن النبي الذي نجده في كتابنا سيحول إلى الكعبة ولم
تحول أنت فلما حولت إلى الكعبة ذهبت حجتهم إلا الذين ظلموا منهم أي إلا أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من
الحق فلا تخشوهم أي فلا تخافوهم في انصرافكم إلى الكعبة في تظاهرهم عليكم بالمجادلة الباطلة
فإني وليكم وناصركم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة واخشوني أي احذروا عقابي إن أنتم عدلتم عما
ألزمتكم به وفرضته عليكم ولأتم نعمتي عليكم أي ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم

الممترين

هي

بهن فلول

لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم روية الله تعالى ولعلكم
تهتدون اي لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجبة قوله عز وجل كما ارسلنا فيكم كاف
التشبيه تحتاج الى شيء ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا
فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ودعا اجابة
الدعوة الثانية بان يجعل في ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجبت دعوته لبعثة الرسول كذلك اجيب
دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية وقيل
ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكروني اذكركم والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني
ووجه التشبيه ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة فيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله
منكم وفي ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب
الانفة الشديدة من الانقياد للغير وكان بعثة الرسل منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد
له والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يا معشر العرب يتلوا عليكم اياتنا يعني القران
وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر ويزكيكم اي يطهركم من دنس الشرك والذنوب
وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم ازكياء مثل محاسن الاخلاق ومكارم الاعمال ويعلمكم الكتاب
يعني احكام الكتاب وهو القران وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار والحكمة يعني السنة
والفقه في الدين ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون يعني يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية
وقصص الانبياء والخبر عن الحوادث المستقبلة ما لم تكونوا تعلمون ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذكروني قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون
بالقلب وهو ان يتفكر في عظمة الله وفي الدلائل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة
في الاعمال التي امروا بها مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح بها فعل اذكركم اي بالثواب
والرضى عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة
والبلاء وقال اهل المعاني اذكروني بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنة والرضوان وقيل اذكروني
بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب اذكركم بغفران الذنوب اذكروني بالدعاء اذكركم بالعطاء
(ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا
معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم وان
تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة قوله
عز وجل انا عند ظن عبدي بي قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول اذا تاب وبالاجابة اذا دعا وبالكفاية
اذا طلب الكفاية وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتاميل العفو وهذا اصح وقوله فان ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي النفس في اللغة لها معان منها ذات الشيء والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب
فيكون المعنى فان ذكرني خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة بما لا يطلع عليه احد وقوله وان ذكرني
في ملا ذكرته في ملا خير منهم الملا اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع اليهم في رايهم وهذا مما
استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء واجيب عنه بان الذكر يكون غالبا
في جماعة لا نبي فيهم قوله وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا الخ وهذا من احاديث الصفات ويستحيل
ارادة ظاهره ولابد من التاويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والباع والمشي والهرولة استعارة ومجاز فيكون
المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والتقرب والمراد بقرب الله
من العبد قرب نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى
كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان اتاني يمشي في طاعتي اتيته هرولة اي صببت
عليه الرحمة صبا وسبقته بها (م) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وسلم يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه (م) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر كمثل الحي والميت (م) عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون
الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا هم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد
الرجل اذا تفقه واعتزل قوله تعالى واشكروا لي يعني بالطاعة ولا تكفرون اي بالمعصية فمن اطاع الله
فقد شكره ومن عصاه فقد كفره قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة انما خصهما
بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى
وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس
من حمل الصبر على الصوم وصبره به ومنهم من حمله على الجهاد واما الاستعانة بالصلاة فلانها يجب ان
تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الاخرة بالصبر
على الفرائض وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب ان الله مع الصابرين اي بالعون والنصر
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر رجلا ستة
من المهاجرين وهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن ابي وقاص بن وهيب بن عبد مناف
ابن زهرة الزهري اخو سعد بن ابي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن نضلة بن عمرو بن
خزاعة من بني غبشان وعاقل بن البكير من بني سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى عمر بن الخطاب وصفوان
ابن بيضاء من بني الحارث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر
ويزيد بن الحارث بن قيس وعمير بن الحمام ورافع بن معلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحارث
ابن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهي امهما كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان
وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله هذه الاية وقيل ان الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون
انفسهم طلبا لمرضات محمد من غير فائدة فنزلت هذه واخبر ان من قتل في سبيل الله فانه حي لقوله تعالى
بل احياء وانما احياهم الله عز وجل في الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند
الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض النار على ارواح
آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل على ان المطيعين يصل النعيم
ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون في قبورهم فان قلت نحن نراهم
موتى فما معنى قوله بل احياء وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات قلت
معناه لا تقولوا اموات بمنزلة غيرهم من الاموات بل هم احياء لتصل ارواحهم الى الجنان كما ورد ان ارواح
الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فهم احياء من هذه الجهة وان كانوا امواتا من جهة خروج
الروح من اجسادهم وجواب اخر وهو انهم عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم صاروا الى الاخرة فمعنى لا
تقولوا هم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى ولكن لا تشعرون اي لا تدرون انهم احياء فتعلموا ان ذلك
حقيقة وانما تعلمونه باخباري اياكم به فان قلت سائر المطيعين من المسلمين لهم يصل
النعيم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خص الشهداء بالذكر قلت انما خصهم لان الشهداء فضلوا
على غيرهم بمزيد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم منعمون بما دون ذلك
وجواب اخر وهو انه رد لقول من قال ان من قتل في سبيل الله قد مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها
فاخبر الله تعالى بقوله بل احياء بانهم في نعيم دائم قوله عز وجل ولنبلونكم اي ولنختبرنكم يا امة
محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار الطايع من العاصي لا ليعلم شيئا
لم يكن عالما به فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها وحدوثها بشيء انما قال
بشيء ولم يقل باشياء لقلة ما يصيبهم من الاشياء نبه على ضرب من الخوف وكذا الباقي فلما قال بشيء كان التقدير

بشيء من الخوف وبشيء من الجوع وقيل معناه بشيء فقليل من هذه الاشيا. من الخوف قال ابن عباس يعني
خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه الم في القلب والجوع يعني القحط وتعذر حصول القوت ونقص
من الاموال يعني بالهلاك او الخسران والانفس يعني بالموت او القتل والثمرات يعني
الجوائح في الثمار وقيل قد يكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة في الاشجار وحكي عن الشافعي
في تفسير هذه الاية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان ونقص من الاموال يعني اخراج
الزكاة والصدقات والانفس يعني بالامراض والثمرات يعني موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن ابي
موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته اقبضتم
ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة فواده فيقولون نعم فيقول فماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول ابنوا
لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن فان قلت ما الحكمة في تقديم
تعريف هذا الابتلاء في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى بشيء
وطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلاء لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المومنين مقيمين
على دينهم ثابتين عند نزول البلاء صابرين له علموا ان ذلك لصحة الدين فيدعوهم ذلك الى الدخول
فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فاذا وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة في الرزق
فلما اخبر الله تعالى انه مبتل عباده بعرف ذلك تمييز المومن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها
ان الانسان في حال الابتلاء اشد اخلاصا لله في حال الرخاء فاذا علم انه مبتلى دام على التضرع والابتهال
الى الله تعالى ليدفع عنه ما عسى ان ينزل به من البلاء ثم قال تعالى وبشر الصابرين يعني على نزول البلاء والمعنى
وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما امتحنتهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم بقوله الذين
اذا اصابتهم مصيبة اي نائبة وابتلاء قالوا انا لله يعني عبيدا وملكا وانا اليه راجعون يعني
في الاخرة عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة
فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته
واخلف له خيرا منها قيل ما اعطي احد ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو
اعطيها احد لاعطيها يعقوب عليه الصلاة والسلام الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف يا اسفا
على يوسف وقيل في قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله انه راض بكل ما نزل به من
المصائب اولئك يعني من هذه صفتهم عليهم صلوات من ربهم قال ابن عباس اي مغفرة من ربهم
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى اي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات
لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة ورحمة قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله
واحسانه ومن الادميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلاة لان الصلاة من الله رحمة لاختلاف
المعنى واتباع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررها للتاكيد
اي عليهم رحمة بعد رحمة واولئك هم المهتدون يعني الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفائزون بالثواب
وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعم العلاوة فالعدلان الصلاة
والرحمة والعلاوة الهداية فصل في ذكر احاديث وردت في ثواب اهل البلاء واجر الصابرين
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعني
يبتليه بالمصائب حتى يأجره على ذلك ق عن ابي سعيد وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله
عنه خطاياه النصب التعب والاعيا والوصب المرض ق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط عنه من سيئاته كما تحط الشجرة
ورقها

ورقها وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومن كمثل الزرع لا تزال
الريح تفيئه ولا يزال المومن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تهتز حتى تستحصد
الارزة شجر معروف بالشام ويعرف بالعراق ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارز وقيل الارزة
الثابتة في الارض عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له
العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبد شرا امسك عنه حتى يوافي يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى
ومن سخط فله السخط اخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليودن
اهل العافية يوم القيامة حين يعطى اهل البلاء الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض
وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلاء بالمومن والمومنة في نفسه
وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال حديث حسن صحيح م عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المومن عندي جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم
احتسبه الا الجنة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل
فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة هون عليه
فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
قوله ان الصفا والمروة من شعائر الله الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء وقيل
الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمعها مرو ومروات وهذا اصلهما في اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين
المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك ادخل فيهما الالف واللام وشعائر الله اعلام دينه واصلها من الاشعار
وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو
والموقف شعيرة من شعائر الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعائر الله الحج فالمطاف والموقف
والنحر كلها شعائر والمراد بالشعائر هنا المناسك التي جعلها الله اعلاما لطاعته فالصفا والمروة
منها حيث يسعى بينهما فمن حج البيت اي قصد البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن افعال
مخصوصة لاقامة المناسك او اعتمر اي زار البيت والعمرة الزيارة ففي الحج والعمرة القصد وزيادة
فلا جناح عليه اي فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم ان يطوف بهما اي
يدور بهما ويسعى بينهما وسبب نزول هذه الاية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف
ونائلة وكان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما
للصنمين فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة
فانزل الله هذه الاية واذن في السعي بينهما واخبر انه من شعائر الله عن عاصم بن سليمان الاحول
قال قلت لانس كنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة فقال نعم لانها كانت من شعائر الجاهلية حتى
انزل الله ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفي
رواية كانت الانصار يكرهون ان يطوفوا بين الصفا والمروة في الحج والعمرة [illegible]
حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعائر الله فصل اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا
والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن
واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين
الى وذهب الثوري وابو حنيفة انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروي عن ابن الزبير ومجاهد وعطاء من تركه
فلا شيء عليه واختلفت الرواية عن احمد في ذلك فروي عنه انه من ترك السعي بين الصفا والمروة
لم يجزه حجه وروي عنه انه لا شيء في تركه عمدا او سهوا ولا ينبغي ان يتركه ونقل الجمهور عنه
انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله تعالى فلا جناح عليه ان يطوف يدل على انه لا اثم عليه في فعله

فمن تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على أن السعي بين الصفا والمروة واجب
أو ليس بواجب لأن اللفظ الدال على القدر المشترك بين الأقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية أحد
هذه الأقسام فلا بد من دليل خارج يدل على أن السعي واجب أو غير واجب فحجة الشافعي ومن وافقه في
أن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة قالت
أخبرتني بنت أبي تجراة واسمها حبيبة إحدى نساء بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل أبي
حسين فنظرن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وإن مئزره ليدور
من شدة السعي حتى لأقول إني لأرى ركبتيه وسمعته يقول إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا وأخرجه الدار
قطني وعن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت قول الله عز وجل
إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما إنما أنزلت هذه الآية في
الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى إن الصفا والمروة
من شعائر الله الآية خ عن جابر في حديثه الطويل في صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب إلى الصفا
فلما دنا من الصفا قرأ إن الصفا والمروة من شعائر الله أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا الحديث فإن قلت
إن النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا
عني مناسككم والأمر للوجوب ومن القياس أن السعي أشواط شرعت في بقعة من بقاع الحرم ويؤتى به إحرام
كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج أبو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعي بقوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما
وهذا لا يقال في الواجبات ثم إنه تعالى أكد ذلك بقوله ومن تطوع خيرا فبين أنه تطوع وليس بواجب وأجيب
عن الأول بأن قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه إلا أنه لا إثم على فاعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره
كما تقدم فيه فلا يكون دالة على نفي الوجوب وعن الثاني وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا
فضعيف لأن هذا لا يقتضي أن يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور أولا بل يجوز أن يكون المقصود
منه شيء آخر ويدل على ذلك قول الحسن أن المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات في الدين يعني فعل
فعلا زائدا على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من أنواع الطاعات
وقال مجاهد ومن تطوع خيرا فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الأول أولى للعموم فإن الله شاكر
أي مجاز على الطاعة عليم أي بنيته وحقيقة الشاكر في النعمة هو المظهر للإنعام عليه والشكر
هو تصور النعمة وإظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لأنه لا يلحقه المنافع والمضار فالشكر
في صفة الله مجاز إذا وصف به أريد به المجازي على الطاعة بالثواب لأن اللفظ خرج مخرج التلطف
للعباد مظاهرة للإحسان إليهم قوله عز وجل إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى
نزلت في اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرهما من الأحكام التي كانت
في التوراة وقيل إن الآية على العموم فيمن كتم شيئا من أمر الدين لأن اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الأول إنما في اليهود قال إن الكتم لا يصح إلا منهم لأنهم كتموا
صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك إظهار الشيء مع الحاجة إلى بيانه وإظهاره فمن
كتم شيئا من أمر الدين فقد عظمت مصيبته وعن أبي هريرة قال لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه
ما حدثت شيئا أبدا إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى وقوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه إلى آخر الآيتين وهل إظهار علوم الدين فرض كفاية أو
فرض عين فيه خلاف والأصح أنه إذا ظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول إليه لم يبق
مكتوما وقيل متى سئل العالم عن شيء يعلمه من أمر الدين يجب عليه إظهاره وإلا فلا من بعد
ما بيناه للناس في الكتاب يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا
يكون المراد بالناس علماء بني إسرائيل ومن قال إن المراد بالكتمان جميع ما أنزل الله على أنبيائه

من الأحكام

من الأحكام فالمراد بالناس العلماء كافة أولئك يعني الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى
يلعنهم الله أي يبعدهم عن رحمته وأصل اللعن في اللغة الطرد والإبعاد ويلعنهم اللاعنون
قال ابن عباس جميع الخلائق إلا الجن والإنس وذلك أن البهائم تقول إنما منعنا القطر بمعاصي بني آدم وقيل
اللاعنون هم الجن والإنس لأنه وصفهم وصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت إلى
اليهود والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى إلا الذين تابوا أي ندموا على ما
فعلوا فرجعوا من الكفر إلى الإسلام وأصلحوا يعني الأعمال فيما بينهم وبين الله وبينوا ما كتموا من العلم
فأولئك أتوب عليهم أي أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم وأنا التواب أي المتجاوز عن عبادي الرجاع
بقلوبهم المنصرفة عني إلي الرحيم يعني بهم بعد إقبالهم علي قوله عز وجل إن الذين كفروا وماتوا وهم
كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى
بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم يلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس أجمعون فإن قلت الكافر لا يلعن نفسه
ولا يلعنه أهل دينه وملته فما معنى قوله والناس أجمعين قلت فيه أوجه أحدها أنه أراد بالناس من
يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثاني أن الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث أنهم يلعنون الظالمين
والكافر من الظالمين فيكون قد لعن نفسه خالدين فيها أي مقيمين في اللعنة وقيل في النار وإنما أضمرت
لعظم شأنها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون أي لا يمهلون ولا يؤجلون وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا
ينظر إليهم نظر رحمة فصل فيما يتعلق بهذه الآية من الحكم قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لأن
حاله عند الوفاة لا يعلم فلعله يموت على الإسلام وقد شرط الله في هذه الآية إطلاق اللعنة على من
مات على الكفر ويجوز لعن الكفار بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم
فجملوها فباعوها وذهب بعضهم إلى جواز لعن إنسان معين من الكفار بدليل جواز قتاله وأما العصاة من
المؤمنين فلا يجوز لعنة أحد منهم على التعيين وأما على الإطلاق فيجوز لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لعن الله السارق يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة
والمستوشمة وآكل الربا وموكله ولعن من غير منار الأرض ومن انتسب لغير أبيه وكل هذا في الصحيح
قوله عز وجل وإلهكم إله واحد سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه
فأنزل الله هذه الآية وسورة الإخلاص ومعنى الواحد الانفراد وحقيقة الواحد هو الشيء الذي لا يتبعض
ولا ينقسم والواحد في صفة الله أنه واحد لا نظير له وليس كمثله شيء وقيل واحد في الإلهية والربوبية
ليس له شريك لأن المشركين أشركوا معه الآلهة فكذبهم الله تعالى بقوله وإلهكم إله واحد لا شريك له
في الإلهية ولا نظير له في ربوبيته والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في
أفعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من
خلقه لا إله إلا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره من الإلهية وإثباتها له سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم
يعني أنه المولي لجميع النعم أصولها وفروعها فلا شيء سواها إما نعمة وإما منعم عليه وهو المنعم
على خلقه الرحيم بهم عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله
الأعظم في هاتين الآيتين وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا إله إلا
هو الحي القيوم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح وقيل لما نزلت هذه الآية قال المشركون
إن محمدا يقول إن إلهكم إله واحد فليأتنا بآية إن كان صادقا فأنزل الله تعالى إن في خلق السماوات والأرض
وعلمهم كيف الاستدلال على وحدانية الصانع وردهم إلى التفكر في آياته والنظر في عجائب مصنوعاته
وإتقان أفعاله في ذلك أن ذلك على وحدانيته إذ لو كان في الوجود صانعان لعجزت الأفعال لاستحالة اتفاقهما
على أمر واحد ولامتنع في أفعالهما التساوي في صفة الكمال فثبت بذلك أن خالق هذا العالم والمدبر له
واحد قادر مختار وتبيين سبحانه من عجائب مخلوقاته ثمانية أنواع أولها قوله إن في خلق السماوات والأرض

وانما جمع السماوات لانها اجناس مختلفة كل سماء من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد
وهو التراب والاية في السماء هو سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر
والنجوم والاية في الارض مدها وبسطها على الماء وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر
والانهار والاشجار والثمار والنبات النوع الثاني في قوله واختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما
في المجيء والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل
على النهار لان الظلمة اقدم والاية في الليل والنهار انتظام احوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة
لكونه في النهار وطلب النوم للراحة يكون في الليل فالليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد النوع الثالث
والفلك التي تجري في البحر اي السفن واحده وجمعه سواء وسمي البحر بحرا لاتساعه وانبساطه
والاية في الفلك لتسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها
بالريح مقبلة ومدبرة ولتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الماء وهيجان البحر فلا ينجي منه الا الله
تعالى النوع الرابع قوله تعالى بما ينفع الناس يعني ركوبها والحمل عليها في التجارة وحمل الارباح والاية
في ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم وايضا فان
الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشيء معين واحوج الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم
الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوف البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح
والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه النوع الخامس قوله وما انزل الله من السماء من ماء يعني المطر قيل اراد
بالسماء السحاب سمي سماء لان كل ما علاك فهو سماء خلق الله الماء في السحاب ومنه ينزل الى الارض وقيل
اراد السماء بعينها خلق الله الماء في السماء ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض فاحيا به اي بالمطر
الارض بعد موتها اي بعد يبسها وجدبها سماه موتا مجازا لانه اذا لم ينبت شيئا ولم يصبه المطر فهو
كالميتة والاية في انزال المطر واحياء الارض به ان الله تعالى جعله سببا لاحياء الجميع من حيوان ونبات ونزوله
عند وقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقاء والدعاء وانزاله بمكان دون مكان النوع السادس
قوله وبث اي فرق فيها اي في الارض من كل دابة قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق
من جميع الناس وغيرهم والاية في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى اصل واحد وهو ادم ثم ما فيهم من
الاختلاف في الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبائع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس
على بني ادم سائر الحيوان النوع السابع قوله وتصريف الرياح يعني مهابها قبولا ودبورا
وشمالا وجنوبا ونكباء وهي الريح التي تاتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها فهي نكباء
وقيل تصريفها في احوالها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن
عباس اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفاء سقيم او ضده وقيل البشارة في ثلاث رياح
الصبا والشمال والجنوب والدبور وهي الريح العقيم التي اهلكت بها عاد فلا بشارة فيها والاية في
الريح انها جسم لطيف لا يمسك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الاشجار والصخر وتخرب
البنيان العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود فلو مسكت طرفة عين لمات كل ذي روح وانتن ما على وجه
الارض النوع الثامن والسحاب المسخر بين السماء والارض اي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة
سيره كانه يسحب والاية في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها
الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السماء والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه
الاية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير
وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو لايات اي فيما ذكر من دلائل مصنوعاته الدالة
على وحدانيته فصل انما جمع ايات لان في كل واحد مما ذكر من هذه الانواع ايات كثيرة تدل على ان لها
خالقا مدبرا مختارا لقوم يعقلون اي ينظرون بعين عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه

الاشيا

الاشيا خالقا مدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد قوله عز وجل ومن الناس اي بعض الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يعني اصناما يعبدونها والند المثل المنازع فجعلوا الاصنام اندادا بعضها لبعض وليست
انداد الله تعالى وتعالى الله ان يكون له ند او له مثل منازع وقيل الانداد الكبراء من الرجال وهم رؤساؤهم وكبراؤهم
الذين يطيعونهم في معصية الله يحبونهم اي يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا
اي جعلته معرضا بان احبه والمحبة الارادة كحب الله اي كحب المؤمنين لله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المؤمنون
ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله في المحبة فمن
قال بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة لله تعالى ومن قال بالقول الثاني اثبت للكفار محبة لله تعالى لكن جعلوا الاصنام
شركاء له في الحب والذين امنوا اشد حبا لله اي اثبت وادوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه
والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم راوا احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعدلون عن اصنامهم
في الشدائد ويقبلون الى الله تعالى كما اخبر عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمنون
لا يعدلون عن الله في السراء ولا في الضراء ولا في الشدة ولا في الرخاء وقيل ان المؤمنين يحبون ربهم والكفار
يعبدون اصناما كثيرة فينقص الحب لصنم واحد وقيل انما قال والذين امنوا اشد حبا لله لان الله احبهم اولا
ثم احبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم وسياتي بقية الكلام في معنى المحبة عند قوله يحبهم
ويحبونه ولو ترى الذين ظلموا قرئ بالتاء والمعنى ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني اشركوا في شدة العذاب
لرايت امرا عظيما وقرئ بالياء ومعناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم عند رؤية العذاب حين يقذف بهم في النار
لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا معناه لو
راى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الاخرة لعلموا حين يرون العذاب ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى
انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان القوة لله جميعا وان الامر ليس ما كانوا عليه من الشرك والجحود
وان الله شديد العذاب قوله عز وجل اذ تبرا اي تنزه وتباعد الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب
اي القادة من مشركي الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرا بعضهم من بعض
عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرؤون من
الانس والقول هو الاول وتقطعت بهم الاسباب يعني الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها
من قرابة ومصادقة وقيل الاعمال التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي كانت بينهم يتوادون
عليها واصل السبب في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به الى شيء من ذريعة او قرابة
او مودة سببا تشبيها بالحبل الذي يصعد به وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي رجعة الى
الدنيا فنتبرا منهم اي من المتبوعين كما تبرؤوا منا اليوم كذلك يريهم الله اي كما اراهم العذاب يريهم
الله اعمالهم حسرات عليهم لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فاته وشدة الندم عليه
كانه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيئات فيتندمون على تضييعها
وقيل يرفع لهم في الجنة فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين
يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم وما هم بخارجين من النار قوله عز وجل يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا طيبا نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على
انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والحام والحلال المباح الذي احله الشرع والحلال
عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذي هو نقيض العقد والطيب هو الطاهر لان النجس تكرهه النفوس وقيل
ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا سبيله وقيل لا تاتموا به ولا تتبعوا اثاره لانه والمعنى
احذروا ان تتعدوا ما احل الله لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان قيل هو النذور في المعاصي وقيل هي
المحقرات من الذنوب ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وقد
اظهر الله تعالى عداوته بابائه السجود لادم ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى انما يامركم بالسوء

بابابه

الصيح

منازل

يعني بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه والفحشاء يعني بها المعاصي وما قبح من قول او فعل قال ابن
عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد وقيل الفحشاء الزنى وقيل هو البخل وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون يعني من تحريم الحرث والانعام وقيل يتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم ياذن فيها الله
ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي
يجدها الانسان في نفسه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات مقتضية خفية تشبه الكلام في الخارج
ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن الانسان واما الشيطان فكالعرض والله هو
القادر على ذلك وقد ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وانما
قدر على ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان قوله عز وجل واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
هذه قصة مستانفة والضمير في لهم يعود الى غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فهم كانوا
خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الاية وقيل ان الاية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود على قوله
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم مشركوا العرب قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يعني من عبادة
الاصنام وقيل الضمير في لهم يعود على قوله يا ايها الناس كلوا مما في الارض والمعنى اذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا على انفسهم قالوا بل نتبع ما الفينا عليه يعني وجدنا اباءنا من التحريم
والتحليل قال الله تعالى اولو كان اباؤهم يعني الذين يتبعونهم لا يعقلون شيئا اي لا يعلمون شيئا من امر
الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم يعقلون امر الدنيا ولا يهتدون الى الصواب ثم ضرب لهم مثلا
فقال تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء النعق صوت الراعي بالغنم
ولا يقال نعق الا للراعي بالغنم وحدها ومعنى الاية ومثلك يا محمد مثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله تعالى صح
كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تسمع الا صوتا فصار الداعي الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم
بمنزلة الراعي وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه التمثيل ان الغنم تسمع الصوت ولا تعقل المراد
وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل معناه ومثل الذين كفروا
في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به البهائم التي لا تفهم من الامر والنهي الا الصوت فيكون
المعنى بالمثل المنعوق به خارجا عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تفقه
ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم ولا ينتفع من نعيقه بشيء غير انه في عناء من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس له من
دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذي قبله ان المقصود هنا هو المدعو
وهي الاصنام وفي القول الاول المقصود هو الراعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم صم بكم عمي لما شبههم
بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم
الذي لا يسمع يقال المراد لا يسمع ولا يعقل كانه اصم ابكم اي عن النطق بالحق اعمى اي عن طريق الهدى فهم
لا يعقلون قيل المراد بالعقل الكسبي لان العقل الطبيعي كان حاصلا فيهم قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قيل ان الامر في قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس
ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب
هو الحلال عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا
وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين
امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام
ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك قوله اشعث اغبر هو البعيد العهد كلوا الشعث
بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا عن اكل المستلذ من
المطاعم اباح الله لهم ذلك واشكروا لله يعني على نعمه ان كنتم اياه تعبدون امر بالشكر لله الذي
نعم
رزقكم

٤٥

رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون انه الاهكم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه
فاشكروه عليها قوله عز وجل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير لما امرنا الله تعالى في الاية التي
تقدمت باكل الطيبات التي هي الحلالات بين في هذه انواع المحرمات اما الميتة فكل ما فارقته روحه من
غير ذكاة مما يذبح واما الدم فهو الجاري وكانت العرب تجعل الدم في المصارين ثم تشويه وتاكله فحرم الله الدم
واما الخنزير فانما اراد بلحمه جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل وما اهل به لغير
الله يعني وما ذبح للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت وذلك انهم كانوا اذا ذبحوا رفعوا اصواتهم
بذكر الهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك من امرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية
فمن اضطر يعني الى اكل الميتة واحوج اليها غير باغ اصل البغي الفساد ولا عاد اصله من العدوان وهو الظلم
ومجاوزة الحد فلا اثم عليه اي فلا حرج عليه في اكلها ان الله غفور اي لمن اكل في حال
الضرورة رحيم يعني حيث رخص لعباده في ذلك فصل في حكم الاية وفيه مسائل الاولى في حكم الميتة
اجمعت الامة على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى الله
عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه الجماعة غير البخاري ومسلم قال الترمذي فيه حديث حسن
صحيح واما الجراد فلما روي عن ابن ابي اوفى قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات او ستا وكنا ناكل الجراد
ونحن معه اخرجاه في الصحيحين واختلف في السمك الميت الطافي على الماء فقال مالك والشافعي لا باس به وقال ابو حنيفة
واصحابه والحسن بن صالح بن حي انه مكروه وروي عن علي بن ابي طالب انه قال ما طفى من صيد البحر فلا تاكله وعن ابن عباس
وجابر بن عبد الله مثله وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وابي ايوب اباحته واختلف في الجراد فقال ابو حنيفة
والشافعي لا باس باكل الجراد كله ما اخذته حيا وجدته ميتا وروي عن مالك ان ما وجد منه ميتا فلا يحل وما اخذ حيا فيكون
ذكاته مثله بان يقطع راسه او يشوى وان غفل عنه حتى يموت فلا يؤكل المسالة الثانية في حكم الدم اتفق
العلماء على ان الدم حرام نجس لا يؤكل ولا ينتفع به قال الشافعي يحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا او غير
مسفوح وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس ابيض واستثنى الشارع من الدم الكبد
والطحال روى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال احل للناس من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ احلت لنا
ميتتان ودمان فاما الميتتان فالجراد والحوت واما الدمان فالطحال والكبد اخرجه ابن ماجة واحمد بن حنبل قال احمد
وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد ضعيف واخوه عبد الله بن زيد موثوق وضعف ابو بكر بن العربي هذا الحديث
وقال البيهقي روي مرفوعا وموقوفا والصحيح الموقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك تخصيص
لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي لا يعتري الريب فيه وقال الشافعي هما دمان ويشهد لذلك الحديث
فهو مخصوص من العموم المسالة الثالثة في الخنزير اجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وانما ذكر
الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه
طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير الجديد انه
كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة لان الغرض ليعلم ان التغليظ في الكلب لان العرب كانت تالفه
بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ في الكلب تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره المسالة
الرابعة في حكم قوله وما اهل به لغير الله من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان الذين كانوا
يذبحونه لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى اذا سموا عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن
والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وابو
حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم غير الله وروي عن علي بن ابي طالب انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى
يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون
المسالة الخامسة في حكم المضطر المضطر هو المكلف بالشيء الملجا اليه المكره عليه والمراد

بالمضطر في قوله فمن اضطر اي خاف التلف حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكل منها حتى مات دخل
النار والمضطر على ثلاثة اقسام اما باكراه او بجوع في مخمصة او بفقر لا يجد شيئا البتة فان التحريم يرتفع
مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثناء في قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح
ذلك الى زوال الاكراه واما المخمصة فلا يخلو اما ان تكون دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت
نادرة فاختلف العلماء فيه فمذهب الشافعي في احد قوليه انه ياكل ما يسد به الرمق وبه قال ابو حنيفة والثاني
ياكل قدر الشبع وبه قال مالك المسئلة الخامسة في قوله غير باغ ولا عاد قال ابن عباس غير باغ غير
خارج على السلطان ولا عاد اي معتد يعني العاصي بسفره ان ياكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص ساباح له
المسافر حتى يتوب وبه قال الشافعي لان اباحة الميتة اعانة له على فساده وذهب قوم الى ان البغي
والعدوان يرجعان الى الاكل وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وقيل في معنى
قوله غير باغ اي غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد اي غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا
متزود منها قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم
وذلك انهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والماكل وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما
بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اي في الكتاب
صفته ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع
لان التوراة والانجيل قد بلغا من الشهرة والتواتر الى حيث يتعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التاويل لانه
قد كان فيهم من يعرف الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تاويلات باطلة
ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد بالكتمان فيصير
المعنى ان الذين يكتمون معاني ما انزل الله من الكتاب ويشترون به اي بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما
انزل الله من الكتاب ثمنا قليلا اي عوضا يسيرا وهي الماكل التي كانوا ياخذونها من سفلتهم اولئك
ما ياكلون في بطونهم الا النار يعني ما يؤدي بهم الى النار وهي الرشا والحرام فلما كان يفضي بهم
ذلك الى النار فكانهم اكلوها ولا يكلمهم الله يوم القيامة اي كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم
بالتوبيخ وهو قوله اخسئوا فيها وقيل اراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه ولا يزكيهم
اي ولا يطهرهم من دنس الذنوب ولهم عذاب اليم اي وجيع يصل الى قلوبهم اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة معناه انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا
العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه واخفوه وكان في اظهاره الهدى والمغفرة وفي
كتمانه الضلالة والعذاب فلما اقدموا على اخفاء الحق فكانهم كانوا بايعين الهدى بالضلالة والمغفرة
بالعذاب فما اصبرهم على النار اي ما الذي صبرهم واي شيء صبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا
الباطل وهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم في انغماسهم بموجبات النار
من غير مبالاة منهم فلما اقدموا على ما يوجب النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين بالعذاب
والصابرين عليه فتعجب من حالهم بقوله فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق يعني
ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به وانكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك
لان الله انزل الكتاب بالحق فجحدوه فعلى هذا يكون المراد بالكتاب التوراة وان الذين اختلفوا في الكتاب
يعني اختلفوا في معانيه وتاويله فحرفوها وبدلوها وقيل امنوا ببعض وكفروا ببعض لفي شقاق
اي خلاف ومنازعة بعيد يعني عن الحق قوله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس
وزعم كل طائفة منهم ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان البر غير ما زعموا ولكن فيما بينه في

هذه الاية

في هذه الاية وقال ابن عباس هي خطاب للمؤمنين وذلك ان الرجل كان في ابتداء الاسلام اذا اتى بالشهادتين
وصلى الى اي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرائض
وصرفت القبلة الى الكعبة وانزل الله هذه الاية فقال ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولا تفعلوا
ذلك ولكن البر يعني ما بينه لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات وانواع اعمال الخير المقربة الى الله تعالى الموجبة
للثواب والموصلة الى الجنة ثم بين خصال البر فقال تعالى من امن بالله اي ولكن البر بر من امن بالله فالبر
ههنا الايمان بالله والتقوى من الله واليوم الاخر وانما ذكر الايمان باليوم الاخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون
البعث بعد الموت والملائكة اي ومن البر الايمان بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا جبريل عدونا والكتاب
قيل اراد به القران وقيل جميع الكتب المنزلة لنسق ما بعده وهو قوله والنبيين يعني اجمع وانما ختم الايمان
بهذه الامور الخمسة لانه يدخل تحتها كل ما امر به ... كثيرة مما يلزم المؤمن تصديقها وآتى المال على حبه
يعني من اعمال البر اتيان المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالمعنى على هذا وآتى المال على حب المال
وعن ابي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي الصدقة اعظم اجرا فقال ان تصدق
وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتؤمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان
لفلان كذا قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعني الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن
الموصى له قوله وقد كان لفلان كذا كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع الى الله تعالى اي وآتى المال على
حب الله ومرضاته ذوي القربى يعني قرابة اهل المعطي وانما قدمهم لانهم احق بالاعطاء عن سلمان بن عامر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة اخرجه
النسائي وان ميمونة رضي الله عنها اعتقت وليدة ولم تستاذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي
يدور عليها فيه قالت اشعرت يا رسول الله اني اعتقت وليدتي قال او فعلت قالت نعم قال اما انك لو اعطيتها
اخوالك كان اعظم لاجرك اخرجه البخاري ومسلم واليتامى اليتيم هو الذي لا اب له مع الصغر وقيل يدفع المال الى اليتيم
البالغ اي وآتى الفقراء من اليتامى والمساكين جمع مسكين سمي بذلك لان الفقر اسكنه الى الناس لانه لا
شيء له وابن السبيل يعني المسافر المنقطع عن اهله سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وقيل
هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول اشبه ابن السبيل اسم جمع للمسافر
والسائلين يعني الطالبين المستطعمين عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق قال
ولو جاء على فرس اخرجه ابو داود وعن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو
جاء على فرس اخرجه مالك في الموطا عن ام بجيد قالت يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابي فلا اجد شيئا
اعطيه اياه قال ان لم تجدي الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه في يده اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن
صحيح وفي رواية مالك في الموطا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف
محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما اراد به ردوه بشيء تعطوه اياه ولو كان ظلفا وهو
خف الشاة وفي كونه محرقا مبالغة في قلة ما يعطى وفي الرقاب يعني المكاتبين وقيل هو فك النسمة
وآتى وعتق الرقبة وفداء الاسارى واقام الصلاة يعني المفروضة في اوقاتها وآتى الزكاة يعني الواجبة
والموفون بعهدهم يعني ما اخذ الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل
اراد بالعهود ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهود التي كانت بينه وبين الناس
مثل الوفاء بالمواعيد واداء الامانات اذا عاهدوا يعني اذا وعدوا انجزوا واذا نذروا اوفوا واذا حلفوا
بروا في ايمانهم واذا قالوا صدقوا في اقوالهم واذا ائتمنوا ادوا والصابرين في البأساء والضراء
اي في الشدة والفقر والفاقة والضراء يعني المرض والزمانة وحين البأس يعني القتال والحرب في سبيل
الله وسمي الحرب باسا لما فيه من الشدة عن البراء قال كنا والله اذا احمر البأس نتقي به وان الشجاع
منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله احمر البأس اي اشتد الحرب ونتقي به ان نجعله

وقاية لنا من العذاب اولئك الذين صدقوا اي اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم واولئك
هم المتقون. قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى نزلت في حيين من
احياء العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتيل كان بينهم فقتل وضرب وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم
من بعض حتى جاء الاسلام وقيل نزلت في الاوس والخزرج وكان احد الحيين طولا على الاخر في الكثرة والشرف
وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهور فاقسموا ليقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا
الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اولئك فرفعوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله هذه الاية وامره بالمساواة فرضوا واسلموا وقيل انما نزلت هذه الاية لان الاحكام التي
كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى
يوجبون العفو بلا قتل والعرب في الجاهلية كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يعتدون
في الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا وياخذون دية الشريف اضعاف دية الخسيس فلما
بعث محمد صلى الله عليه وسلم اوجب رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص فانزل الله يا ايها الذين آمنوا
كتب عليكم اي فرض عليكم القصاص في القتلى فان ~~قلت~~ كيف يكون القصاص فرضا والولي مخير فيه بين العفو
والقصاص واخذ الدية ~~قلت~~ ان القصاص فرض على القاتل للولي وقيل ان المراد من القصاص فقد فرض عليكم
القصاص والمساواة والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمقصود به ينبغي ان يفعل به
فيفعل مثل ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا او خنقه او شدخ راسه بحجر فيقتل القاتل بمثل الذي قتل به
وهو قول مالك والشافعي واحمد في الرواية عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابي حنيفة والرواية عن
احمد الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ومعناه ان الدماء تتكافأ من الاحرار المسلمين والاحرار
من المعاهدين او العبيد منهم فيقتل كل صنف منهم اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وان قتل مؤمن كافرا
والحر بعبد لا والحر بالعبد ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر ولا الحر بالعبد هذا مذهب مالك والشافعي واحمد
ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابي جحيفة قال سالت عليا هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى
القرآن قال ما عندنا سوى صحيفة قال وما فيها قال العقل وفكاك الاسير وان لا يقتل مؤمن بكافر وفي اخرى مسلم
عن علي نحو هذا من غير رواية ابي جحيفة العقل هنا هو الدية والعاقلة الجماعة من اولياء القاتل الذين يعقلون
عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد
اخرجه الترمذي وذهب اصحاب الراي الى ان المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الاية حجة للاولين وحجة
لمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما
كتبه على بني اسرائيل في التوراة وهذه الاية خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب اصحاب الراي الى ان
هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن
ابن عمر ان غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه اهل صنعاء لقتلتهم قال البخاري وقال مغيرة بن حكيم عن
ابيه ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطأ عن ابن المسيب ان عمر قتل نفرا خمسة او سبعة
برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالأ عليه اهل صنعاء لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة
ومكرا من غير ان يعلم ما يراد به وقوله تمالأ اي تعاونوا واجتمعوا عليه وقوله تعالى فمن عفي له من اخيه
شيء اي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية او العفو عنها وقبول
الدية في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه واراد بالاخ ولي المقتول وانما قال له اخ لانه لابسه من قبل انه
ولي الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما
من الجنسية واخوة الاسلام وفي قوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفى سقط القود ووجبت الدية
لان شيئا من الدم قد بطل فاتباع بالمعروف اي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا ياخذ اكثر من حقه
ولا يعنفه واداء اليه باحسان اي على القاتل اداء الدية الى ولي الدم من غير مماطلة من كل واحد منهما

الاحسان

٤٧

بالاحسان فيما له وعليه وقيل في تفسير الاية واذا عفي ولي الدم عن شيء فليفعل القاتل وهو من عفي له القصاص
فليتبع القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدم الى ولي الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة
وفي الاية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مؤمن ووجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه
بعد القتل بالايمان وسماه مؤمنا بقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فسماه مؤمنا حال ما
وجب عليه القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد العدوان من الكبائر بالاجماع فدل
على ان صاحب الكبيرة مؤمن الوجه الثاني انه نفى اثبات الاخوة بين القاتل وولي الدم بقوله فمن عفي له من
اخيه شيء واراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان باق على القاتل لم تثبت له الاخوة الوجه الثالث انه
ندب الى العفو عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المؤمن لا عن الكافر وقوله عز وجل ذلك تخفيف من ربكم
ورحمة يعني الذي ذكر من الحكم لشرع القصاص والعفو عن القصاص الى اخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة يعني
في حقكم رحمة وذلك لان العفو واخذ الدية كان حراما على اليهود وكان القصاص حقا في التوراة وكان في شرع
النصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير الله
هذه الامة بين القصاص والعفو واخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم فمن اعتدى
بعد ذلك يعني فعل هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية فله عذاب اليم وهو ان يقتل قصاصا
ولا يقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الاخرة قوله عز وجل ولكم في القصاص
حياة اي بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع منه فيكون فيه بقاؤه وبقاء
من هم بقتله وقيل ان في القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل اذا اقتص منه ارتدع غيره من كان يهم بالقتل
واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغيرها لان
الجارح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما افضت الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح
وقيل في معنى الاية ان الحياة سلامته من قصاص الاخرة فانه اذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الاخرة
وفي ذلك حياته واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الاخرة يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول
الذين يعرفون الصواب لان العاقل لا يريد ان لا يعاقب بسبب ما ناله غيره لعلكم تتقون اي لعلكم تتقون من
القتل خوف القصاص قوله عز وجل كتب اي فرض واجب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي قرب ودنا منه
وظهرت اماراته عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لان في ذلك الوقت يعجز
عن الايصاء ان ترك خيرا يعني مالا وقيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل
وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول الاكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذي تقع فيه
الوصية فقيل الف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه
من خمسمائة الى الالف وقيل ان المال الكثير الفاضل عن العيال وروي ان رجلا قال لعائشة اني اريد ان اوصي
قالت كم مالك قال ثلاثة الاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وهذا
شيء يسير فاتركه لعيالك الوصية اي الايصاء والوصية التقدم الى الغير بما يعمل به وقيل هو القول
المبين لما يستانفه من العمل والقيام به بعد الموت للوالدين والاقربين كانت الوصية في ابتداء الاسلام
فريضة للوالدين والاقربين على من مات وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين
طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخت هذه الاية
باية المواريث وبما روي عن عمرو بن خارجة قال كنت اخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه النسائي والترمذي بمعناه وذهب
ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من يرث وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو
قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الاية دالة على وجوب الوصية للوالدين
والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث باية الميراث والحديث المذكور فوجب ان تبقى الاية دالة

على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ بينهما وابعض احكام الآية وذهب الاكثرون
من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة
في حق من لا يرث ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية شيء يريد ان يوصي فيه ان يبيت ليلتين وفي
رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة
منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي مكتوبة عندي اخرجه الجماعة قوله
ما حق امرئ المعنى انه يحتمل معناه على الوجوب والندب والحث فيحمل هنا على الحث في الوصية لانه لا يدري متى
يأتيه الموت فربما اتاه بغتة فيبقى بلا وصية وقوله تعالى بالمعروف اي بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط
فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويترك الفقير وعن سعد بن ابي وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعودني في عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله انه قد بلغ بي من الوجع ما ترى وانا
ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي افأتصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال لا قلت فالثلث قال
الثلث والثلث كثير او قال الثلث كبير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس
العالة الفقراء وقوله يتكففون الناس التكفف المسألة من الناس كأن يمد الطالب بالكف وعن ابن عباس قال في
الوصية لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان النبي صلى الله عليه وسلم قال الثلث والثلث كثير وقال
علي بن ابي طالب لان اوصي بالخمس احب الي من ان اوصي بالربع وان اوصي بالربع احب الي من ان اوصي بالثلث فمن اوصى
بالثلث فلم يترك وقيل الوصية بالسدس او الخمس او الربع حقا اي ثابتا ثبوت نظر لا ثبوت فرض ووجوب على
المتقين اي على المؤمنين الذين يتقون الشرك فمن بدله اي غير الوصية من الاولياء والاوصياء وذلك التغيير
يكون اما في الكتابة او في قسمة الحقوق او الشهود بان يكتموا الشهادة او يغيروها وانما ذكر الكناية في
بدله مع ان الوصية مؤنثة لان الوصية بمعنى الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة اي وعظ والتذكير فمن يرجع الى قول
الميت او ما اوصى له بعد ما سمعه اي من الوصي وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه اي ان اثم
ذلك التبديل لا يعود الا على المبدل لا على الموصي والموصى له بريء منه ان الله سميع يعني لما اوصى
به الموصي عليم يعني بتبديل المبدل فمن خاف اي علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين من موص جنفا
يعني جورا في الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل او اثما فاصلح بينهم اي ظلما وقيل الجنف الخطأ
في الوصية والاثم العمد وقيل في معنى الآية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصي فرآه يميل اما بتقصير
او اسراف او وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج عليه ان يأمره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف
والميل وقيل انه اراد به اذا اخطأ الميت في وصيته او حاف متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه او والي امور
المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق فلا اثم عليه
اي فلا حرج عليه في الصلح ان الله غفور رحيم اي لمن اصلح ووصيته للعدل الحيف والميل عن ابي هريرة رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمرأة ليعملان بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما
الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك
الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذي قوله فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة
في الوصية ان لا تمضي او ينقص بعضها او يوصي لغير اهلها او يحيف في الوصية ونحو ذلك قوله عز وجل يا ايها
الذين آمنوا كتب اي فرض عليكم الصيام والصوم في اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام
قائم الظهيرة ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم في الشرع
عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع
النية كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم الى عصركم والمعنى ان الصوم عبادة
قديمة في الزمن الاول ما اخلى الله امة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك ان الصوم عبادة شاقة

والشيء الشاق

والشيء الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا
رمضان زمانا فوقع الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم في اسفارهم ويضرهم في معايشهم
فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم ان يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتاء فجعلوه في فصل الربيع
ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصاموا اربعين يوما ثم ان بعض ملوكهم اشتكى فمه فجعل لله عليه
ان برئ من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرئ فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم
ملك آخر فقال ما شأن هذه الثلاثة ايام اتموه خمسين يوما فاتموه وقيل اصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم
فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم
يزل الآخر يستن بسنة من قبله حتى بلغ خمسين فلذلك نهي عن صوم يوم الشك لعلكم تتقون يعني ما حرم
عليكم في صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما
وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم من
شعارهم اياما معدودات اي مقدرات وقيل قليلات قيل انه كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة ايام
من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ
بعد الهجرة امر القبلة ثم الصوم عن عائشة قالت كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وامر بصيامه
فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر
رمضان ووجهه ان الله تعالى قال اولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم او يومين ثم بينه بقوله معدودات
على انه اكثر من ذلك لانها غير منحصرة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل
الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الآية غير منسوخة قال ابو حنيفة رمضان نزلت في السنة الثانية
من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على رأس
ثمانية عشر شهرا من الهجرة فمن كان منكم مريضا او على سفر اي فافطر فعليه عدة من ايام اخر يعني غير
ايام مرضه وسفره وعلى الذين يطيقونه اي يطيقون الصوم واختلف العلماء في هذه الآية فذهب اكثرهم
الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا في ابتداء الاسلام
مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا
الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت الآية للتخيير وعن
سلمة بن الاكوع قال لما نزلت هذه الآية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين كان من اراد ان يفطر
ويفتدي فعل حتى نزلت هذه الآية فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير
الذي لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له ان يفطر ويفدي ثم نسخ ذلك وقال الحسن هذا في المريض الذي يقع
عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين ان يفطر ويفدي ثم نسخ وذهب جماعة منهم
ابن عباس الى ان الآية غير منسوخة ومعناها وعلى الذين يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر
فعليهم الفدية بدل الصوم وقرأ ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء وبالواو المشددة
المفتوحة عوض الياء ومعناه يكلفون الصوم خ عن عطاء انه سمع ابن عباس يقرأ وعلى الذين يطوقونه
فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما
فيطعمان مكان كل يوم مسكينا فدية طعام مسكين الفدية الجزاء وهو القدر الذي يبذله الانسان يقي به
نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب على من افطر في رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر ان يطعم مكان
كل يوم مسكينا من غالب قوت البلد وهو قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق وعليه لكل مسكين نصف
صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاع من غيره وقال ابن عباس يعطي لكل مسكين عشاءه
وسحوره فمن تطوع خيرا فهو خير له يعني زاد على مسكين واحد فاطعم عن كل يوم مسكينين فاكثر

وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه فاطعم صاعا وعليه مد فهو خير له وان تصوموا خير
لكم هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا ايها المطيقون وتحملوا المشقة فهو خير لكم
من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل اولى ان
كنتم تعلمون يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة
للخير واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين المكلفين في افطار رمضان من غير عذر والاعذار المبيحة
للفطر ثلاثة احدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهولاء اذا افطروا فعليهم القضاء ولا كفارة الثاني
الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضاء والكفارة واليه ذهب الشافعي وذهب اهل الراي
الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضا
قوله عز وجل شهر رمضان يعني وقت صيامكم شهر رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته يقال للشي اذا اشهرته — للتصحيف
وسمي الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمي الشهر شهرا باسم الهلال واما رمضان فاختلفوا فيه من الرمضا
وهي الحجارة المحماة في الشمس وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة العربية سموها بالازمنة
التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسموه به وقيل ان رمضان اسم لم ينقل الشهر كشهر رجب
وشهر شعبان وشهر رمضان الذي انزل فيه القرآن لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين فيه
تخصيصه بانزال اعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن الشافعي
انه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل وعلى
هذا القول انه ليس بمشتق والاكثرون على انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمي قرآنا لانه يجمع
السور والآيات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات الدالة على وحدانية الله تعالى
قال ابن عباس انزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة
في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله
فلا اقسم بمواقع النجوم وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انزلت صحف ابراهيم في
ثلاث ليال مضين من رمضان وانزل الانجيل في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الزبور [illegible]
في ثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابع والعشرين لست بقين
بعدها فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابي اسحاق
وابي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الاية شهر رمضان الذي انزل في فرض صيامه القرآن كما تقول انزلت هذه
الاية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد والضحاك وهو اختيار الحسين بن الفضل
هدى للناس يعني من الضلال وبينات من الهدى والفرقان فان قلت ما معنى هذا وفيه اشكال وهو انه يقال ما
معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى ثم الهدى على قسمين
تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكانه قال هو هدى في نفسه ثم قال هو البين من الهدى الفارق
بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى في نفسه فكانه قال ان القرآن هدى للناس على الاجمال وبينات
من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات تحتمل الدلالات الواضحة التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام
ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل قوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه اي فمن كان حاضرا مقيما غير
مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة لمشاهدة الشهر وهو رؤية
الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته اخرجاه في الصحيحين ولا خلاف انه
يصوم رمضان من راى الهلال ومن اخبر له واختلف العلماء في وجه الخبر عنه فمنهم من قال يجزي فيه خبر
الواحد قاله ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادة في سائر الحقوق قاله مالك ومنهم من اجرى اوله
مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد واجرى اخره مجرى الشهادة فلا يقبل في اخره اقل من اثنين قاله الشافعي
وهذا للاحتياط في امر العبادة في دخولها وخروجها ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر انما كرره
لان الله تع

لان الله تعالى ذكر في الاية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح بقوله فمن شهد
منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل انه يشمل النسخ الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة
للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كانت عليه فصل في حكم الاية وفيه مسائل الاولى
اختلفوا في المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال احدها وهو قول اهل الظاهر اي مرض كان وهو ما يطلق عليه
اسم المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول
الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على اكمل احواله
القول الثالث وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة علة
غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حاله وصاحب وجع العين يخاف لو صام ان يشتد وجع عينه فالا
فالمرض ما يؤثر في تعويقه قال الشافعي اذا اجهده الصوم افطر والا فهو كالصحيح المسئلة الثانية الفطر
في السفر مباح والصوم جائز به قال عامة العلماء وقال ابن عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لا يجوز
الصوم في السفر ومن صام فعليه القضا واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر
وحمله عامة العلماء على من جهده الصوم في السفر فالاولى له الفطر يدل على ذلك ما روي عن جابر قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فراى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال ليس
من البر الصيام في السفر اخرجه البخاري ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر ما روي عن انس
قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم
اخرجاه في الصحيحين المسئلة الثالثة اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهري اي
سفر كان ولو كان فرسخا وقال الاوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي رحمه الله
ومالك اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه اقله مسيرة ثلاثة ايام المسئلة
الرابعة اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم انشا السفر في اثنائه جاز له ان يفطر حالة السفر ويجوز لمن يصوم
في بعض السفر ان يفطر في بعضه ان احب يدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون بالاحدث
فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على اثنتين
واربعين ميلا من مكة المسئلة الخامسة اختلفوا في الافضل فذهب الشافعي الى ان الصوم افضل من الفطر في
السفر وبه قال مالك وابو حنيفة وقال احمد الفطر افضل من الصوم في السفر وقالت طائفة من العلماء هما
سواء وافضل الامرين ايسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر المسئلة السادسة
يبيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية فلا يجوز للعاصي بسفره ان يترخص برخص السفر وقوله تعالى
فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر فظاهر هذا انه يجوز قضاء الصوم متفرقا وان كان
التتابع اولى وفيه ايضا وجوب القضا من غير تعيين لزمن القضا فيدل على جواز التراخي في القضا ويدل عليه
ما روي عن عائشة قالت (يكون علي) الصوم من رمضان فما استطيع ان اقضيه الا في شعبان لمكان الشغل بالنبي صلى
الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين يريد الله بكم اليسر اي التسهيل في هذه العبادة وهي اباحة الفطر
للمسافر والمريض ولا يريد بكم العسر اي ولم يضيق عليكم الحرج في امر الدين قيل ما خير رجل بين امرين فاختار
ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله تعالى ولتكملوا العدة اي عدة الايام التي افطرتم فيها بعذر السفر
والمرض والحيض لتقضوا العدة هنا وقيل اراد عدد ايام الشهر وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا
له وفي رواية فاكملوا العدة ثلاثين ولتكبروا الله قيل قول احمد هنا ان يكبر ليلة العيد قال ابن عباس
حق على المسلمين اذا راوا هلال شوال ان يكبروا وقال الشافعي واحب اظهار التكبير في العيدين وبه قال
مالك واحمد وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الاضحى حجة الشافعي

ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قال معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان
ولتكبروا الله على ما هداكم إلى أواخر هذه العبادة القول الثاني في معنى قوله ولتكبروا الله **على ما
هداكم** أي ولتعظموا الله شكرا على ما أنعم عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة على ما هو الحق أي
أرشدكم إلى طاعته وإلى ما يرضى عنكم **ولعلكم تشكرون** الله على نعمه **فصل** في فضل شهر رمضان
وفضل صيامه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب
الجنة وغلقت أبواب النيران الصفد الغل أي شدت بالأغلال وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان
إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه
قوله إيمانا واحتسابا أي طلبا لوجه الله تعالى وثوابه وقيل إيمانا بأنه فرض عليه واحتسابا لثوابه عند
الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو أن يصوم على التصديق به والرغبة في ثوابه طيبة بها نفسه غير
كارهة وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة عشر أمثالها
إلى سبعمائة ضعف قال الله إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان
فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك زاد في رواية
والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني
صائم قوله كل عمل ابن آدم له معناه أن له فيه حظا لاطلاع الخلق عليه إلا الصوم فإنه لا يطلع عليه أحد
وإنما خص الصوم بقوله تعالى لي وإن كانت جميع الأعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لأن الصوم لا يظهر من
ابن آدم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وهو من أعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى
إنما هو والأجزاء على ما أحب لا على حسب ما كتب له قوله للصائم فرحتان فرحة عند فطره أي بالطعام
لما بلغ به الجوع لما أخذ النفس حظها منه وقيل فرحه بتمامه وفرحه بما له من تمام الصوم الموعود عليه بالثواب
وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه ولخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم
وريحه لتغير الطعام ومعنى كونه أطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصائم والرضا بفعله لئلا
يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى أن خلوف فم الصائم أبلغ عند الله في القبول من
ريح المسك عندكم قوله الصيام جنة أي جنة من المعاصي لأن الصوم يكسر الشهوة فيحجز عن المعاصي
قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الإنسان من المرأة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الجهر
والجلبة والصياح وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة بابا يقال له الريان
يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا
أغلق فلا يدخل منه أحد وفي رواية إن في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون
عن أبي أمامة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به
قال عليك بالصوم فإنه لا مثل له وفي رواية أي العمل أفضل فقال عليك بالصوم فإنه لا عدل له أخرجه النسائي
قوله عز وجل **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب** قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف
يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وإن غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه
الآية وقيل إنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد
فنناديه وقيل إنهم سألوه في أي ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل إنهم قالوا أين ربنا فنزلت هذه الآية
وهذا السؤال لا يخلو إما أن يكون عن ذات الله أو عن صفاته أو عن أفعاله أما السؤال عن ذات الله فهو سؤال
عن القرب والبعد بحسب الذات وأما السؤال عن صفاته تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يسمع ربنا
دعاءنا وأما السؤال عن أفعاله تعالى فهو أن يكون السائل سأل هل يجيب ربنا إذا دعوناه فقوله تعالى فإني قريب
وإذا سألك عبادي عني يحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فإني قريب فمعناه قريب بالعلم والحفظ
لا يخفى عليه شيء وفيه إشارة إلى سهولة إجابته لمن دعاه وإنجاح حاجة من سأله وعن أبي موسى الأشعري

قال لما غزى

قال لما غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أو قال لما توجه إلى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير
الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم
ولا غائبا إنكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وهو معكم قوله اربعوا على أنفسكم أي ارفقوا بها وقيل معناه أمسكوا
عن الجهر فإنه قريب يسمع دعاءكم قوله تعالى **أجيب دعوة الداع إذا دعان** أي أسمع دعاء عبدي
الداعي إذا دعاني وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا إله إلا أنت فقولك
يا الله فيه دعاء وقولك لا إله إلا أنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمي هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمي
قبوله إجابة لتجانس اللفظ وفيه إشارة إلى أن العبد يعلم أن له ربا ومدبرا يسمع دعاءه ولا يخيب رجاء من رجاه
وذلك لما ظهر من أن العبد إذا دعا ربه بالإخلاص والتضرع أجاب دعوته فإن قلت إنا نرى الداعي يبالغ
في الدعاء والتضرع فلا يجاب له فما وجه قوله أجيب دعوة الداع إذا دعان وقوله تعالى ادعوني أستجب
لكم قلت ذكر العلماء فيه أجوبة أحدها أن هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهو قوله
بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء والمطلق يحمل على المقيد والثاني أن معنى الدعاء هنا هو الطاعة
ومعنى الإجابة هو الثواب وذلك في الآخرة والثالث أن معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاما فيكون معناه
أجيب دعوة الداعي إذا وافق القضاء أو أجيبه إن كانت الإجابة خيرا له وأجيبه إذا لم يسأل إثما أو محالا
والرابع أن معناها عام أي أسمع وهي معنى الآية المذكورة في الآية وأما إعطاء الأمنية فليس بمذكور فيها
فإن حاصله عدم وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله والخامس أن للدعاء
آدابا وشرائط وهي أسباب الإجابة فمن استكملها كان من أهل الإجابة ومن أخل بها كان من أهل
الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم قوله تعالى **فليستجيبوا لي** يعني إذا دعوتهم إلى الإيمان والطاعة
كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم والإجابة في اللغة الطاعة فالإجابة من العبد الطاعة ومن الله الإثابة
والعطاء **وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** أي لكي يهتدوا لمصالح دينهم ودنياهم **فصل** في
فضل الدعاء وآدابه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا
حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له
هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء أحدهما وهو مذهب جمهور السلف
وبعض المتكلمين أنه يجب الإيمان به وبأنه حق على ما يليق به ويكل علمه إلى الله تعالى ورسوله وأن ظاهره
المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن
الانتقال والحركات والمذهب الثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف أنه يتأول على ما يليق به
فعلى هذا نقل عن مالك وغيره أن معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته وقيل إنه على الاستعارة ومعناه
الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف وفي الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه عن سلمان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا
خائبتين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه
متاع عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا
آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم إذا نكثر
قال الله أكثر أخرجه الترمذي قوله الله أكثر معناه الله أكثر إجابة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه أخرجه
الترمذي وقال حديث غريب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله من الدعاء
أخرجه الترمذي وله عن النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة وله عن ابن عمر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما يسأل الله شيئا أحب إليه من
أن يسأل العافية وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وله عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من لم يسأل الله يغضب عليه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لأحدكم ما لم يعجل
يقول قد دعوت فلم يستجب لي ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم
ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر
عند ذلك ويدع الدعاء. قوله يستحسر أي ينقطع عن الدعاء، وأصله من حسر الطرف إذا كل وضعف
وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دعا أحدكم فلا يقول اللهم اغفر لي إن شئت
اللهم ارحمني إن شئت وليعزم المسألة فإن الله لا مكره له زاد البخاري وارزقني إن شئت ليعزم
مسألته فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له. قوله ليعزم المسألة أي لا تكن في دعائك مترددا بل
اعزم وجد في المسألة. عن فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته
فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم
فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء. أخرجه الترمذي
وقال حديث صحيح قوله عز وجل **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم** سبب نزول هذه
الآية أنه كان في ابتداء الأمر بالصوم إذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع إلى أن
يصلي العشاء الأخيرة أو يرقد قبلها فإذا صلى أو رقد حرم عليه ذلك كله إلى الليلة القابلة
ثم إن عمر بن الخطاب واقع أهله بعدما صلى فلما اغتسل وصلى العشاء أخذ يبكي ويلوم نفسه
ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أعتذر إلى الله وإليك من هذه الخطيئة
إني رجعت إلى أهلي بعدما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك
فنزلت في عمر وأصحابه أحل لكم أي أبيح لكم ليلة أراد بالليلة ليالي الصيام الرفث إلى نسائكم
الرفث كلام يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس
إن الله حيي كريم يكني فما ذكر من المباشرة والملامسة وغير ذلك إنما هو الجماع **هن
لباس لكم** أي سكن لكم **وأنتم لباس لهن** أي سكن لهن وقيل لا يسكن شيء إلى شيء كسكون
أحد الزوجين إلى الآخر وسمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب
واحد عند النوم وقيل اللباس اسم لما يواري الشيء فيجوز أن يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل
كما جاء في الحديث من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم**
قال ابن عباس يريد فيما ائتمنكم عليه وقيل المعنى أنهم كانوا يباشرون في ليالي الصوم والمعنى
يظلمونها بالمجامعة بعد العشاء. وهو من الخيانة وأصل الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي
فيه الأمانة وقيل للعاصي خائن لأنه مؤتمن على دينه **فتاب عليكم** أي رجع بكم فتاب عليكم
وتجاوز عنكم **وعفا عنكم** أي محا ذنوبكم عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء
رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا
عنكم الآية قال ابن عباس وكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر **فالآن باشروهن**
أي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرتي كل واحد
بصاحبه **وابتغوا ما كتب الله لكم** أي ما قضي في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة
التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر **وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود** نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الأنصاري
ويقال قيس بن صرمة وذلك أنه ظل يعمل في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر
وقال لأهله قدمي الطعام فأرادت المرأة أن تطعمه شيئا سخنا فأخذت المرأة تعمل له ذلك

فلما فرغ

لعله سقط هنا

فلما فرغ فإذا هو قد نام فقال ... أخرجاه في الصحيحين ومعلوم أنه لا يصح الصوم في الليل. الفرع الثاني
للاعتكاف زمان عند الشافعي وأقله لحظة ولا حد لأكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر أن يعتكف
مطلقا يخرج عن نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي وأحب أن يعتكف يوما وإنما قال ذلك للخروج من الخلاف
فإن أقل زمن الاعتكاف عند مالك وأبي حنيفة يوم بشرط أن يدخل فيه قبل طلوع الفجر ويخرج منه بعد غروب
الشمس. الفرع الثالث الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به وأما دون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا
يفسد به عند أكثر العلماء وهو أظهر قولي الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك وقيل إن أنزل بطل اعتكافه
وإن لم ينزل فلا وهو قول أبي حنيفة وأما الملامسة بغير شهوة فجائز ولا يفسد بها الاعتكاف فلما روي عن عائشة
أنها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها رأسه
زاد في رواية وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفا وفي رواية كان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان أخرجاه
في الصحيحين الترجل تسريح الشعر وقوله إلا لحاجة حوائج الإنسان كثيرة والمراد منها هنا كل ما يضطر الإنسان
إليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه وقوله تعالى **تلك حدود الله** يعني تلك الأحكام التي ذكر في
الصوم والاعتكاف من تحريم الأكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائضه وأصل الحد في اللغة
المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له
عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها **فلا تقربوها** أي فلا تأتوها
ولا تغشوها فإن قلت في الآية إشكال وهو أنه قال تلك حدود الله وهو إشارة لما تقدم من
الأحكام وبعضها فيه إباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا تقربوها وقال في آية أخرى تلك حدود
الله فلا تعتدوها وفي آية أخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الآيات
قلت الجواب عن السؤال الأول من وجهين الجواب الأول أن الأحكام التي تقدمت فيما قبل وإن كانت
كثيرة إلا أن أقربها إلى هذه الآية قوله تعالى ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع
حال الاعتكاف وقوله قبله ثم أتموا الصيام إلى الليل وذلك يوجب تحريم الأكل والشرب في النهار فلما كان أقرب
إلى هذه الآية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الإشكال الثاني أن من كان في طاعة
الله تعالى والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي أن يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي
أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيز الحق والباطل لئلا يداني الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه
وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه وقيل أراد بحدود الله هنا محارمه ومناهيه لقوله ولا
تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ونحوها من التحريم فهي حدود لا تقربوها **كذلك** أي كما بين لكم
ما أمركم به ونهاكم عنه كذلك **يبين الله آياته** أي معالم دينه وأحكام شريعته **للناس** مثل هذا
البيان الشافي الوافي **لعلهم يتقون** أي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب قوله عز وجل **ولا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل** نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمي ألك بينة
قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن حلف على ماله ليأكله
ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فأنزل الله هذه الآية والمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من
غير الوجه الذي أباحه الله وأصل الباطل الشيء الذاهب [illegible] أموالكم الآية فأكل المال
بالباطل على وجوه الأول أن يأكله بطريق التعدي والنهب والغصب الثاني أن يأكله بطريق اللهو
كالقمار وأجرة المغني وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث أن يأكله بطريق الرشوة في الحكم
وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك في الوديعة والأمانة ونحو ذلك وإنما عبر عن أخذ المال بالأكل
لأنه المقصود الأعظم ولهذا وقع في التعارف فلان يأكل أموال الناس بمعنى يأخذها بغير حق **وتدلوا
بها إلى الحكام** أي وتلقوا أمور تلك الأموال التي فيها الحكومة إلى الحكام قال ابن عباس هذا في الرجل

يكون عليه المال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم الى الحكام وهو يعلم ان الحق عليه وهو آثم بمنعه وقيل
هو ان يقيم شهادة الزور وقيل معناه ولا تأكلوا المال بالباطل وتدلوا به الى
الحكام وقيل لا تدل بمال اخيك الى الحكام وانت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضي يقول
اني لأقضي لك واني لأظنك ظالما ولكن لا يسعني الا ان اقضي بما يحضرني من البينة وان قضائي لا يحل لك حراما
عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما انا بشر
وانه يأتيني الخصم فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض وفي رواية الحن بحجته من بعض فأحسب انه صادق وأقضي
له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليأخذها او ليذرها قوله سمع جلبة خصم يعني اصوات
خصم قوله الحن بحجته يعني افطن بحجته من فلان اي اقوم بها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة
لتأكلوا فريقا اي طائفة وقطعة من اموال الناس بالاثم يعني بالظلم وقال ابن عباس باليمين
الكاذبة وقيل بشهادة الزور وانتم تعلمون يعني انكم على الباطل قوله عز وجل يسألونك اي يا محمد
عن الاهلة نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا
ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة واحدة فانزل الله
يسألونك عن الاهلة وهذا السؤال منهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة وتبيين حال الهلال في الزيادة
والاهلة جمع هلال وهو اول حال القمر حين يراه الناس اول ليلة من الشهر قل هي مواقيت للناس
جمع ميقات والمعنى انما جعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم
ومحل ديونهم واجارتهم وعدة النساء واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة
ولهذا بالعز ونقصه وبين الكمال التي هي دائمة على حالة واحدة والحج اي وللحج وانما افرد الحج بالذكر
وان كان داخلا في جملة العبادات لفائدة عظيمة وهي ان العرب في الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل
الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها الشرع الحج بالاهلة
وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التي عينها الله كما كانت العرب تفعله بالنسي وليس البر
بان تأتوا البيوت من ظهورها وعن البراء قال لنا نزلت هذه الاية فينا وكانت الانصار اذا حجوا ظهورها
فجاءوا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت
وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها وفي رواية كانوا اذا
احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله هذه الاية وقيل كان الناس في الجاهلية وفي
اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا
في ظهر بيته منه يدخل ويخرج ويتخذ سلما يصعد منه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء
ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك برا الا ان يكون من الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم
سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة وكانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيوتا البتة ولم
يستظلوا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل دارا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت
الحمس لا يبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من
الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم دخلت من الباب وانت محرم فقال رأيتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني احمسي فقال الرجل ان كنت احمسيا فانا احمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى
هذه الاية وقال الزهري كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء وكان الرجل
يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعدما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من اجل سقف
البيت ان يحول بينه وبين السماء فيقتحم الجدار من ورائه ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته حتى بلغنا ان الباب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بني

سلمة

سلمة على اثره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لاني رأيتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام
اني احمسي فقال الانصاري وانا احمسي يقول انا على دينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من
ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها يعني في حال الاحرام وغيره واتقوا الله لعلكم
تفلحون قوله عز وجل وقاتلوا في سبيل الله اي في طاعة الله وطلب رضوانه عن ابي موسى الاشعري
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اي ذلك في سبيل
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله الذين يقاتلونكم
كان في ابتداء الاسلام امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة
امر بقتال من قاتله منهم بهذه الاية فقال الربيع بن انس هذه اول اية نزلت في القتال ثم امر الله بقتال المشركين
كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت
ناسخة اية السيف ناسخة لهذه الاية وقيل انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين يعدوا انفسهم
للقتال فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم لانهم
لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى ولا تعتدوا اي ولا تقتلوا النساء والصبيان والشيوخ والرهبان ومن
القى اليكم السلم عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش او سرية اوصاه في
خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا
ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله ولا تغلوا الغلول الخيانة وهو ما يأخذه احد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تغدروا
اي لا تنقضوا العهد وقيل في معنى الاية لا تعتدوا اي لا تبدؤوهم بالقتال ولكن الاية منسوخة
بالقتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع
من قابل ويخلوا له مكة ثلاثة ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضاء
خافوا ان لا تفي قريش بما قالوا وان يصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله
وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم يعني محرمين فقتال الذين يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع
عنهم الحرج والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا اي بترك القتال ان الله لا يحب المعتدين قوله عز وجل واقتلوهم
حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم وادركتموهم في الحل والحرم وتحقيق القول ان الله تعالى امر بالجهاد في الاية
الاولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية امر بالجهاد معهم سواء قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى
منه المقاتلة عند المسجد الحرام واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي واخرجوهم من ديارهم كما
اخرجوكم من دياركم والفتنة اشد من القتل اي ان شركهم بالله اشد واعظم من قتلكم اياهم في
الحرم والاحرام وانما سمي الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم وانما جعل اعظم من القتل
بحجة لان الشرك بالله كفر يذهب بصاحبه ويحصل لصاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس
القتل كذلك فثبت ان الفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه اختلف
العلماء في هذه الاية فذهب مجاهد في جماعة من العلماء الى انها محكمة وانه لا يجوز ان يقاتل في المسجد الحرام
الا من قاتل فيه وهو قوله فان قاتلوكم فاقتلوهم اي فقاتلوهم فثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان مكة لا تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم
القيامة فثبت بهذا تحريم القتال في الحرم الا ان يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة الى
ان هذه الاية منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتلهم في الحل والحرم
وقيل ايضا منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا يعني
عن القتال وقيل عن الشرك والكفر فان الله غفور يعني لما سلف رحيم يعني بعباده حيث لم
يعاجلهم بالعقوبة وقاتلوهم اي وقاتلوا المشركين حتى لا تكون فتنة اي شرك والمعنى وقاتلوهم
حتى يسلموا ولا يقبل من الوثني الا الاسلام او القتل بخلاف الكتابي والفرق بينهما ان اهل الكتاب

معهم كتب منزلة وفيها شرائع وأحكام يرجعون إليها وإن كانوا قد حرفوا وبدلوا فأمهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وأمر بإصغارهم وأخذ الجزية منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مؤمني أهل الكتاب الذين عرفوا الحق فأسلموا وأما عبدة الأصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون إليه ويرشدهم إلى الحق فكان إمهالهم زيادة في شركهم وكفرهم فأبى الله عز وجل أن يرضى منهم إلا بالإسلام أو القتل ويكون الدين لله أي الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد من دونه شيء فإن انتهوا يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر فلا عدوان أي فلا سبيل إلا على الظالمين قاله ابن عباس فعلى القول الأول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى القول الآخر الآية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا إلا الظالمين يسمى جزاء الظالمين ظلما على سبيل المجانسة في الكلمة وسمي الكافر ظالما لوضعه العبادة في غير موضعها قوله عز وجل الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت في عمرة القضاء وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضي عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع في ذي القعدة في سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الذي صددتم فيه عن البيت والحرمات جمع حرمة وإنما جمعت لأنه أراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الإحرام قصاص والقصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى أنهم لما منعوكم عن العمرة وأضاعوا هذه الحرمات في سنة ست فقد قضيتم ذلك على رغمهم في سنة سبع وقيل هذا في القتال ومعناه فإن بدؤوكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه فإنه قصاص فمن اعتدى عليكم أي بالقتال فاعتدوا عليه أي فقاتلوه بمثل ما اعتدى عليكم سمي الجزاء بالاعتداء على سبيل المشاكلة واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين قوله عز وجل وأنفقوا في سبيل الله يعني به الجهاد وذلك أن الله تعالى لما أمر بالجهاد والاشتغال به يحتاج إلى الإنفاق فأمر به والإنفاق هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالإنفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفي الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله تعالى لأن كل ذلك مما هو في سبيل الله لأن إطلاق هذه اللفظة ينصرف إلى الجهاد خ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا واحتسابا بالله وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف أخرجه الترمذي والنسائي ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قيل الباء زائدة ومعناه لا تلقوا أيديكم إلى التهلكة والمراد بالأيدي الأنفس والمعنى ولا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب في هلاكها وقيل التهلكة كل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الآية النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الإهلاك قال ابن عباس أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص ولا يقولن أحدكم لا أجد شيئا السهم هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فإما أن يقطع بهم وإما أن يكونوا عالة فأمرهم الله تعالى بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شيء ينفق عليه في الغزو فلا يخرج لئلا يلقي بنفسه في التهلكة وهو أنه يهلك من الجوع والعطش والمشي وقيل نزلت الآية في ترك الجهاد عن أبي عمران

واسمه أسلم

واسمه أسلم قال كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة فقام أبو أيوب الأنصاري فقال يا أيها الناس إنكم لتتأولون هذه الآية هذا التأويل وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم وقيل حديث غريب صحيح ومات أبو أيوب في آخر غزوة غزاها بأرض قسطنطينية ودفن في أصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به م عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى أن ذلك كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الإلقاء إلى التهلكة هو أن يقنط من رحمة الله وهو أن الرجل يصيب الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك على المعاصي فهو المنهي فنهى الله عن ذلك وقيل في معنى الآية أنفقوا في سبيل الله ولا تقولوا إنا نخاف الفقر إن أنفقنا فنهلك فنهوا أن يجعلوا أنفسهم هالكين بالإنفاق خ عن حذيفة قال أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال نزلت في النفقة وأحسنوا أي بالإنفاق وعلى من تلزمكم مؤونته ونفقته وقيل أحسنوا في الإنفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا وانتهوا عن الإسراف والإقتار في الإنفاق وقيل معناه أحسنوا في أداء فرائض الله تعالى إن الله يحب المحسنين أي يثيبهم على إحسانهم قوله عز وجل وأتموا الحج والعمرة لله قال ابن عباس هو أن يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك وقيل أن يفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل إتمامهما أن تكون النفقة حلالا وتنتهي عما نهى الله عنه وقيل إتمامهما أن تخرج من أهلك لهما لا لتجارة ولا لحاجة وقيل إذا شرع فيهما وجب عليه الإتمام فصل اتفقت الأمة على وجوب الحج على من استطاع إليه سبيلا م عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وفي وجوب العمرة قولان للشافعي أصحهما أنها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد وإليه ذهب أحمد بن حنبل والقول الثاني أنها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وإبراهيم النخعي وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة حجة من أوجب العمرة ما روي في حديث الصبي بن معبد أنه قال لعمر بن الخطاب إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي وإني أهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والنسائي بأطول من هذا ووجه الدليل أنه أخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين أنه مهتد بما رآه في وجوبهما عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس أنه قال إنها لقرينتها في كتاب الله وأتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس أحد من خلق الله إلا وعليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع إلى ذلك سبيلا وعن ابن عباس قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة أخرجه النسائي والترمذي وزاد ما من مؤمن يظل يومه محرما إلا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح ووجه الدليل أنه أمر بالمتابعة بين الحج والعمرة والأمر للوجوب ولأنها قرنت مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة كالحج وحجة من قال بأنها سنة ما روي عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة أواجبة هي قال لا

الحديث يرويه ابن ارطاة وحجاج ليس ممن يحتج به
وان تعتمروا خير لكم اخرجه الترمذي واجيب عنه بان هذا
منه ما تعرض له لسوء حفظه مع قلة مراعاته لما يحدث به واجمعت الامة على جواز افراد الحج والعمرة على
ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد ان يحج ثم يعتمر بعد فراغه منه يعتمر من ادنى الحل او يعتمر
قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج ويأتي باعمالها
واذا فرغ من اعمالها احرم بالحج من مكة في تلك السنة وانما سمي تمتعا لانه يستمتع بمحظورات
الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج
ينويهما بقلبه وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف
فيصير قارنا واختلفوا في الافضل فمذهب مالك والشافعي ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران يدل
عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج اخرجه مسلم
وله عن ابن عمر قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج مفردا وفي رواية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله عن جابر قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحج احدكم
واتم لعمرته ان يعتمر في غير اشهر الحج اخرجه مالك في الموطا وذهب الثوري وابو حنيفة الى ان
القران افضل يدل عليه ما روي عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة
جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا اخرجاه في الصحيحين
وذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه الى ان التمتع افضل يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال
تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان واول من نهى عنها معاوية اخرجه الترمذي
وعن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى وساق
معه الهدي من ذي الحليفة وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس
الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى الحج وكان من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لا يحل من شيء حرم منه
حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت والصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل
بالحج وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع الى اهله وطاف رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول شيء ثم خب ثلاثة اطواف من السبع ومشى
اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف فاتى الصفا فطاف
بالصفا والمروة سبعة اشواط ثم لم يحل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وافاض
وطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى
فساق الهدي من الناس اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا
او قارنا وهذه الثلاثة اقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا واحدا عند
ان حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته صلى
الله عليه وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها
على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد اخر الامر ومن روى التمتع
اراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو
الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر
الشافعي عنه في كتاب اختلاف الحديث كلاما مجوزا في ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل
اليه على معنى انه امر به واذن فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما يجوز اضافته الى فاعله

كما يقال

٥٧

كما يقال بنى فلان دارا واريد به انه امر ببنائها وكما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما امر
برجمه واختار الشافعي الافراد واحتج في ترجيحه انه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة
وهؤلاء لهم مزية في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقة لرواية حديث حجة الوداع
فانه ذكرها من حين خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى اخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر
فصح انه كان اخذا بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانه سمعه يلبي بالحج واما ابن عباس
فمحله من العلم والفقه والدين معروف مع كثرة بحثه عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عائشة
فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها ومن
دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين افردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظبوا عليه
واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة والحلق او التقصير
في احد القولين واركان العمرة اربعة الاحرام والطواف والسعي والحلق او التقصير وبهذه الاركان تمام
الحج والعمرة قوله تعالى فان احصرتم اصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف اهل اللغة في
الحصر والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد احصر وان حبس فقد حصر وقال ابن السكيت
احصره المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال الزجاج الرواية
عن اهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف والمرض احصر والمحبوس حصر وقال ابن قتيبة في قوله فان
احصرتم هو ان يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض او كسر او عدو ويقال احصر فهو محصر فان حبس
في دار او سجن قيل حصر فهو محصور وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من
حصرك هنا ومن احصرك وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس وحصر في الحبس اقوى من احصر
وقيل الاحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في المنع
الباطن وقوله فان احصرتم محمول على الامرين وبحسب اختلاف اهل اللغة في معناها اختلف العلماء
في حكمها فذهب قوم الى ان كل مانع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من
احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة ويدل عليه ما روي عن عكرمة
قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه
حجة اخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا صدق اخرجه ابو داود والنسائي
والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم الى انه لا يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر
وابن عباس وانس وبه قال مالك والشافعي واحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول
الاية كان في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لان كفار مكة منعوا
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الاية فحل النبي صلى الله عليه
وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سياق الاية وهو قوله فاذا امنتم والامن
لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو
حصر العدو دون المرض ونحوه واجيب عن حديث الحجاج وابن عمر بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض
ونحوه حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط في الاحرام ما روي عن ابن عباس ان ضباعة بنت الزبير
اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اريد الحج افاشترط قال نعم قالت كيف
اقول قال قولي لبيك اللهم لبيك ومحلي من الارض حيث تحبسني اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح ولغيره ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي
الى انه وقولي اللهم محلي حيث حبستني فمذهب الشافعي واحمد واسحاق ان الاشتراط في الحج يفيد فاذا عرض
له مرض او عذر ان يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الراس وهو المراد من قوله تعالى
فما استيسر من الهدي ومعنى الاية فان احصرتم دون تمام الحج والعمرة فعليكم ما استيسر

من الغنم والهدي ما يهدى الى البيت واعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه شاة قال ابن عباس شاة لانه اقرب
الى التيسير ومحل ذبح هدي المحصر حيث احصر واليه ذهب الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي
عام الحديبية بها وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه هناك
ثم يحل في ذلك الوقت ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي مكانه الذي يجب ان يذبح فيه
وفيه قولان احدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه
الى الحرم وهو قول ابي حنيفة والقول الثاني محل ذبحه حيث احصر سواء كان في الحل او في الحرم ومعنى
محله حيث يحل ذبحه واكله وهو قول مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحلق راسه اخرجه البخاري قوله عز وجل فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه معناه ولا
تحلقوا رؤوسكم في حال الاحرام الا ان تضطروا الى حلقه لمرض او اذى وهو القمل والصداع ففدية
فيه اضمار تقديره فحلق راسه فعليه فدية نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة وعن كعب بن عجرة قال اتى
علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال ايؤذيك
هوام راسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك نسيكة (ستة مساكين)
لا ادري باي ذلك بدا وفي رواية قال في نزلت هذه الآية فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية
من صيام او صدقة او نسك وذكر نحوه وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية
قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما كنت ارى ان الوجع
بلغ منك ما ارى او ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك ما ارى اتجد شاة فقلت لا قال فصم ثلاثة ايام او
اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت في خاصة وهي عامة ومعنى قوله تعالى
ففدية من صيام اي صوم ثلاثة ايام او صدقة يعني اطعام ثلاثة اصوع ستة مساكين لكل مسكين (من صيام)
نصف صاع او نسك واحدتها نسيكة اي ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة
وهذه الفدية على التخيير ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدي او طعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم
الا هدي المحصر فانه يذبح حيث احصر واما الصوم فله ان يصوم حيث شاء قوله تعالى فاذا امنتم
يعني من خوفكم وبرئتم من مرضكم وقيل اذا امنتم من الاحصار فمن تمتع بالعمرة الى الحج فقال
ابن الزبير معناه فمن احصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع
باحلاله ذلك بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه
الثاني في العام المقبل وقيل معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم تعتمروا في تلك
السنة ثم اعتمرتم في السنة القابلة في اشهر الحج واقمتم ثم استمتعتم باحلالكم الى الحج ثم
احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدي وقال ابن عباس هو الرجل يقدم معتمرا من افق من
الآفاق في اشهر الحج فيقضي عمرته واقام بمكة حلالا حتى انشا منها الحج فحج من عامه ذلك (حتى)
فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج ومعنى التمتع في اللغة هو الاستمتاع بعد
الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظورا عليه في حال الاحرام الى احرامه بالحج فما استيسر
من الهدي يعني فعليه ما استيسر من الهدي وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعد ما
احرم بالحج اجزاه عند الشافعي كدم الجبرانات ولا يجزيه ذبحه عند ابي حنيفة قبل يوم النحر
كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط احدها ان يقدم العمرة على الحج الثاني ان يحرم بالعمرة
في اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود (السنة)
الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم منه لم يكن متمتعا الخامس ان لا يكون من حاضري
المسجد الحرام فهذه الشروط معتبرة في وجوب دم التمتع ومن فقد شيئا منها لم يكن متمتعا

ودم التمتع

ودم التمتع دم جبران عند الشافعي فلا يجوز ان ياكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان ياكل
منه قوله فمن لم يجد يعني الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج اي فعليه صيام ثلاثة ايام وقت
اشتغاله بالحج قيل ان يصوم يوما قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب
ان يصوم في ايام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم ايام (المستحب)
التشريق وبه قال مالك واحمد وهو احد قولي الشافعي وقيل بل يصوم بعد ايام التشريق وهو
رواية عن احمد والقول الآخر للشافعي وسبعة اذا رجعتم يعني وصوموا سبعة ايام اذا رجعتم
الى اوطانكم واهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعي فلو صام قبل الرجوع الى اهله لم يجزه عنده
وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ من اعمال الحج وقيل الرجوع الى اهله وبه قال ابو حنيفة تلك
عشرة كاملة يعني في الثواب والاجر وقيل كاملة في قيامها مقام الهدي لانه قد يتوهم ان يظن ان
الثلاثة قد قامت مقام الهدي فاعلم الله ان العشرة بكمالها هي القائمة مقام الهدي وقيل فائدة التكرار
التوكيد كقول العرب ثلاث واثنتان فهن خمس   وسادسة تميل الى الشمام
ولان العرب بلغة العرب والعرب تكرر الشيء تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك التوكيد في علم
الحساب وهو ان يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه مجملا ليحيط به من جهتين ونظير ذلك قوله تعالى فصيام
ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لا يعلمون علم
الحساب وكانوا يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر
ومعناه امر اي اكملوها ولا تنقصوها ذلك اي هذا الحكم الذي تقدم لمن لم يكن اهله حاضري
المسجد الحرام قيل حاضروا المسجد الحرام هم اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه
قال طاوس وقال ابن جريج هم اهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعي من كان وطنه من مكة
على اقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال ابو حنيفة
حاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم وذات عرق
فمن كان من اهل هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل حاضروا المسجد
الحرام من تلزمه الجمعة وفيه على الآية ان المشار اليه في قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو
لزوم الهدي او بدله على المتمتع وهو الاصل فيما على المكي اذا تمتع او قرن فلا هدي عليه ولا بدل
لانه لا يجب عليه ان يحرم من الميقات فاقرانه على التمتع لا يوجب خللا في حجه فلا يجب عليه الهدي
ويدل على ذلك ما اخرجه البخاري تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل
المهاجرون والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع واهللنا فلما قدمنا
مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي فطفنا
بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدي فانه لا يحل من شيء
حتى يبلغ الهدي محله ثم امرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا
بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال تعالى فما استيسر من الهدي فمن لم
يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والشاة تجزي فجمعوا نسكين في (في الحج)
عام بين الحج والعمرة فان الله انزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس غير اهل
مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال
ابن مسعود الدمشقي هذا حديث عزيز لم يروه عنه في صحيحه وعندي ان البخاري انما اخذه من مسلم
وقوله تعالى واتقوا الله اي فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج وفي غيره واعلموا ان الله
شديد العقاب يعني لمن خالف امره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه قوله عز وجل الحج اشهر
معلومات يعني اشهر الحج اشهر معلومات وقيل وقت الحج اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة

وعشر ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله
وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وابي ثور
وحجة الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء
وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من اشهر الحج وايضا فان الاحرام بالحج فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده
ليس من اشهر الحج وقال ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذي الحجة اخرها
يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وعطاء وطاوس والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك
والسدي وابو حنيفة واحمد بن حنبل وهو احد الروايتين عن مالك وحجة هذا القول يوم النحر يوم الحج
الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج وقيل اشهر الحج شوال وذو القعدة وذو
الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر قال الزهري وهي الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول ان الله تعالى
ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث وان كل شهر كان اوله من اشهر الحج كان اخره كذلك
فان قلت هذا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الاية يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت
للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هي مواقيت للناس والحج عام وهذه الاية
وهو قوله تعالى الحج اشهر معلومات خاص مقدم على العام وقيل ان الاية الاولى مجملة وهذه الاية مفسرة
لها فان قلت انما قال اشهر الحج شهران وعشر ليال او عشر على ابي حنيفة وعشرة ايام فما وجه هذا
قلت ان اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض
الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما راه في ساعة منها ولا اشكال فيه على القول
الثالث وهو قول من قال ان اشهر الحج ثلاث شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله **فمن فرض فيهن الحج**
يعني فمن الزم نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير حاجا وهو فعل يفعله
ثم اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه
ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب ان تكون النية كافية في انعقاد الحج وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع
في الاحرام بمجرد النية حتى ينضم اليه التلبية او سوق الهدي ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم
فلابد من انضمام شيء الى النية كالصلاة وفي الاية دليل على ان الاحرام بالحج لا ينعقد الا في اشهره وهو
قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي واحمد واسحاق لان الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها
فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص وجه ولا فائدة وقال مالك والثوري وابو حنيفة ينعقد
احرامه بالحج في جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر
لان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هي مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه
وقوله تعالى **فلا رفث** قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية عنه ان الرفث غشيان النساء والتقبيل
وان يعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول التكلم به في غيبة النساء لا يكون رفثا قال حصين
ابن قيس اخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو محرم ويقول
وهن يمشين بنا هميسا ... ان يصدق الطير ننك لميسا ... فقلت تقول الرفث وانت محرم فقال انما
الرفث ما قيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امراة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره
من ذكر الجماع ودواعيه وقوله فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن
الحديث في ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث اللغو
من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا
يصخب **ولا فسوق** اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هي المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن
وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم حال
الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ الشعر وما اشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز

بالالقاب

بالالقاب وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق
رجع كيوم ولدته امه **ولا جدال في الحج** قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو ان تماري الرجل صاحبه وتخا
صمه حتى تغيظه وقيل هو فخر الرجل في الحج باليوم وقول اخر الحج غدا وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال في حجة الوداع من احرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها
عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة
وبعضهم بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكان يقول الصواب فيما فعلته
فانزل الله ولا جدال في الحج فاخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق السموات والارض وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة وابطل النسيء وقيل ظاهر الاية
خبر ومعناه نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك الحاج باجتنابه
في الحج وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال والازمان واجبا لان الرفث والفسوق والجدال في الحج
اشنع واقبح من غيره **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهو
الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب نهيه عن الشر وهو ان يستعملوا مكان الرفث الكلام
الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير
عبارة عن ضبط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل الفائدة ذكر الخير وان كان عالما بجميع
افعال العباد من الخير والشر لفائدة وهو انه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره واشهره واذا علم منه الشر
ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين
وتزودوا فان خير الزاد التقوى نزلت في ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون للحج من غير زاد ويقولون نحن
متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سالوا الناس وربما افضى بهم الحال الى
النهب والغصب فانزل الله وتزودوا اي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا الابرام
عليهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الاية وتزودوا من التقوى فانه لا بد للانسان
من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الاخرة
لا بد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل
الى مراد النفس وشهواتها وزاد الاخرة يوصل الى النعيم المقيم في الاخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله ... وانك لم ترصد كما كان ارصدا

واتقون اي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله جل جلاله
يا اولي الالباب يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق الامور قوله عز وجل **ليس عليكم جناح** حرج
ان تبتغوا فضلا من ربكم يعني رزقا ونفعا وهو الربح في التجارة خ عن ابن عباس قال كانت عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام كانهم تأثموا ان يتجروا في المواسم فنزلت
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقراها ابن عباس هكذا وفي رواية ان يبتغوا
في مواسم الحج وفي رواية فضلا من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح الجيم وكسرها
سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقي هي باسفل مكة على بريد منها وذو المجاز سوق عند عرفة كانت
العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الاسواق ولها مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذي
القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون ثمانية عشر يوما عشرة ايام من اخر ذي القعدة وثمانية ايام
من ذي الحجة ثم يخرجون الى عرفة في يوم التروية وقال الواحدي مجنة عند عرفة وعن ابي امامة
التيمي قال كنت رجلا اكري في هذا الوجه وكان الناس يقولون لي انه ليس لك حج فلقيت ابن عمر

فقلت له يا أبا عبد الرحمن إني رجل أكري في هذا الوجه وإن أناسا يقولون إنه ليس لك حج فقال ابن عمر
أليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار فقلت بلى فقال إن لك حجا جاء رجل
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتني عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يجبه حتى نزلت هذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فأرسل إليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقرأها عليه فقال لك حج أخرجه أبو داود وقال بعض العلماء إن التجارة إذا أوقعت نقصا
في أعمال الحج لم تكن مباحة وإن لم توقع نقصا فيه كانت التجارة من المباحات التي الأولى تركها لتجريد
العبادة من غيرها لأن الحج بدون التجارة أفضل وأكمل وقوله تعالى **فإذا أفضتم** أي دفعتم والإفاضة
دفع بكثرة **من عرفات** جمع عرفة سميت بذلك وإن كانت القطعة واحدة لأن كل موضع من تلك
المواضع عرفة فسمي مجموع تلك المواضع عرفات وقيل إن اسم الموضع عرفات واسم اليوم
عرفة قال عطاء كان جبريل يري إبراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك كان
المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك إن آدم لما أهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد
منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة فتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات
قال السدي إن إبراهيم لما أذن في الناس بالحج وأجابوه بالتلبية وأتى من أتى أمره الله أن يخرج إلى عرفات
ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان وأن يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل
حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه فطار فلما رأى
الشيطان أنه لا يطيعه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى المجاز فنظر إليه فلم يعرفه فجازه فسمي المجاز
ثم انطلق إبراهيم حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى
إذا أمسى ازدلف إلى جمع فسمي ذلك الموضع المزدلفة وفي رواية عن ابن عباس أن إبراهيم رأى ليلة
التروية في منامه أنه يؤمر بذبح ولده فلما أصبح تروى يومه أجمع أي تفكر هل هذه الرؤية من الله
تعالى أم من الشيطان فسمي يوم التروية ثم رأى ذلك في ليلة عرفة ثانيا فلما أصبح عرف أن ذلك
من الله فسمي اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لأن الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم
وقيل سمي عرفة من العرف وهو الطيب وسمي منى لأنه يمنى فيها من الدماء أي يصب فيكون فيه
الروائح والدماء فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة فاعلم أن
الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج لا يتم الحج إلا به ومن فاته الوقوف بعرفة في وقته فقد فاته الحج ويدخل
وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد إلى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك
نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل أو نهار فقد حصل
له الوقوف وتم حجه وقال أحمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة إلى طلوع الفجر من يوم النحر
ووقت الإفاضة من عرفات بعد غروب الشمس إذا غربت دفع من عرفات وأخر صلاة المغرب حتى
يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة وعن أسامة بن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عرفة حتى إذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء فقلت الصلاة يا رسول الله
فقال الصلاة أمامك ثم ركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى
المغرب ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله ثم أقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا وقوله تعالى
فاذكروا الله عند المشعر الحرام سمي مشعرا من الشعار وهو العلامة لأنه من معالم الحج
وأصل الحرام المنع فهو ممنوع من أن يفعل فيه ما لم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة
من مأزمي عرفة إلى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام
هو المزدلفة وسماه الله بذلك لأن الصلاة والمبيت به والدعاء عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام
هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والأول أصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لأنها
منزلة

منزلة من الله تعالى وقربة وقيل لنزول الناس فيها زلف الليل وقيل للاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعا
لأنه يجمع فيها بين المغرب والعشاء قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء
هناك والدليل عليه أن قوله فاذكروا الله أمر وهو للوجوب ولا يجب هناك إلا الصلاة والذي عليه جمهور
العلماء أن المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وعن ابن عباس أن
أسامة بن زيد كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة إلى المزدلفة ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى
منى وكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة وعن جابر قال دفع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ولم يسبح
بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتى
المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا ودفع قبل
أن تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير سند ولم أجده في الأصول قال طاووس كان أهل الجاهلية
يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون أشرق ثبير كيما نغير
فنسخ الله أحكام الجاهلية فأخر الإفاضة من عرفة إلى بعد غروب الشمس وقدم الإفاضة من المزدلفة
إلى قبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم أشرق ثبير أي ادخل أيها الجبل في الشروق وقولهم كيما نغير
أي نسرع للنحر يقال أغار إذا أسرع في عدوه خ عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان أهل الجاهلية
لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون أشرق ثبير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم
فأفاض قبل طلوع الشمس وقوله تعالى **واذكروه كما هداكم** أي اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم
بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه **وإن كنتم من قبله لمن الضالين** أي لا تعرفون كيف تذكرونه
وتعبدونه والهاء في من قبله راجعة إلى الهدى وقيل إلى الرسول أي من قبل إرسال الرسول لمن الضالين
وهو كناية عن غير مذكور وقيل ترجع إلى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم بكتابه الذي أنزل عليكم
وإن كنتم من قبل أن أنزله لمن الضالين قوله عز وجل **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** أي لتكن إفاضتكم
من حيث أفاض الناس وفي المخاطبين بهذا قولان أصحهما أنه خطاب لقريش قال أهل التفسير وكانت
قريش ومن دان لها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم
ولا نخرج منه ويتعاظمون أن يقفوا مع سائر الناس فيقفوا بهذا الموضع واحتج عليهم أنه سنة إبراهيم
وإسماعيل عليهما السلام وعن عائشة رضي الله عنها قالت كانت قريش ومن دان دينها يقفون
بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى
الله عليه وسلم أن يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وإنما
كانوا يسمون الحمس هو جمع أحمس وأصله من الشدة والشجاعة وإنما سميت قريش وكنانة حمسا
لتشددهم في دينهم فعلى هذا القول الناس معناه جميع العرب سوى الحمس والقول الثاني خطاب
لسائر المسلمين أمرهم الله أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم وهو المراد بقوله من حيث أفاض الناس
وقيل الناس هنا آدم وحده يدل عليه قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناسي بالياء وقيل
هو آدم عهد إليه فنسي ووجه هذا أن الوقوف بعرفات والإفاضة منها شرع قديم وما سواه
مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الآية الإفاضة من المزدلفة إلى منى يوم النحر قبل طلوع
الشمس للرمي والنحر والمراد بالناس إبراهيم وإسماعيل وأتباعهما لأنه كانت إفاضتهم من
المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول أن الإفاضة من المزدلفة بعد عرفات فوقعت ذكرها
في قوله فإذا أفضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فدل على أن هذه
الإفاضة من المزدلفة إلى منى لكن القول الأول هو الأصح الذي عليه جمهور المفسرين فإن قلت
على القول الأول الذي هو قول جمهور المفسرين إشكال وهو أن ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لأن قوله

فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله والإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع فكيف قال ثم أفيضوا
من حيث أفاض الناس فكأنه قال فإذا أفضتم من عرفات فأفيضوا من عرفات وذلك غير جائز فلهذا
أجيب عن هذا الإشكال بأن فيه تقديما وتأخيرا والتقدير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا
الله إن الله غفور رحيم ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا
الله وعلى هذا الترتيب يصح أن تكون هذه الإفاضة تلك الإفاضة بعينها وقيل إن ثم في قوله ثم
أفيضوا بمعنى الواو وأفيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والإفاضة الدفع وعن هشام بن عروة
عن أبيه قال سئل أسامة بن زيد وأنا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في
حجة الوداع قال كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق يعني العنق
ضرب من السير فيه إسراع والفجوة الفرجة وهو المتسع من الأرض والنص
السير السريع حتى يستخرج من الناقة أقصى وسعها عن ابن عباس أنه دفع مع النبي صلى الله
عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للإبل فأشار
بسوطه إليهم وقال يا أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع الإيضاع السير السريع
[illegible] وقوله تعالى واستغفروا الله أي من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم إن الله
غفور رحيم يعني أن الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور يعني المبالغة في الستر وكذا
الرحيم وفيه دليل على أنه تعالى يقبل التوبة عن عباده التائبين ويعفو عنهم لأنه تعالى أمر المذنب
بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بأنه كثير الغفران كثير الرحمة فدل ذلك على أنه تعالى يغفر
للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه قوله عز وجل فإذا قضيتم مناسككم أي فرغتم
من حجكم وعباداتكم وذبحتم نسائككم أي ذبائحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار
بمنى فاذكروا الله يعني بالتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير والثناء عليه كذكركم آباءكم
قال أهل التفسير كانت العرب في الجاهلية إذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد وبين الجبل وقيل
عند البيت فيذكرون مفاخر آبائهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول
أحدهم كان أبي كبير الجفنة رحب الفناء يقري الضيف وكان كذا وكذا يعدد مفاخره ومناقبه ويتناشدون
الأشعار في ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم بذلك الشهرة
والسمعة والرفعة يذكرون مناقب سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالإسلام أمرهم أن يكون
ذكرهم لله لا لآبائهم وقال اذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبهم وأحسنت إليكم وإليهم
قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك أن الصبي أول ما يفصح بالكلام
يقول أبه أمه لا يعرف غير ذلك فأمرهم أن يذكروه كذكر الصبيان الصغار الآباء أو أشد ذكرا
أي بل أشد ذكرا وقيل أو بمعنى الواو وأشد ذكرا أي وأكثر ذكرا للآباء لأنه هو المنعم عليهم وعلى
الآباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الآية وقيل له قد يأتي على الرجل اليوم
ولا يذكر أباه فقال ليس كذلك وذلك أن تغضب لله إذا عصي أشد من غضبك لوالديك إذا شتما
فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا يعني أن المشركين كانوا يسألون الله في حجهم الدنيا
ونعيمها كانوا يقولون اللهم أعطنا إبلا وغنما وبقرا وعبيدا وإماء وكان أحدهم يقوم فيقول اللهم
إن أبي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فأعطني مثل ما أعطيته قال قتادة هذا عبد
نيته الدنيا لها أنفق ولها عمل ونصب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس
عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض تعس وانتكس وإذا
شيك فلا انتقش قوله تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه
من العثار والخميصة ثوب من خز أو صوف معلم قوله وانتكس هذا دعاء عليه أيضا لأن من

انتكس

[margin: في — والعنق — الدينار وعبد الدرهم]

انتكس على رأسه أو في أمره فقد خاب وخسر قوله وإذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله يقال شاكته
الشوكة إذا دخلت في جسمه والانتقاش إخراج الشوكة من الجسم وإنما كان سؤال المشركين الدنيا
ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لأنهم كانوا ينكرون البعث وما له في الآخرة من خلاق
أي وما له في الآخرة من حظ ولا نصيب ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار يعني المؤمنين واعلم أن الله تعالى قسم الداعين فريقين والفريق الثاني هم المؤمنون
الذين جمعوا في الدعاء على طلب الدنيا والآخرة وذلك لأن الإنسان خلق ضعيفا محتاجا لا طاقة له بآلام الدنيا
ومتاعبها فالأولى له أن يستعيذ بالله من شرها وآلامها لأنه لو اضطرب على الإنسان عضو من أعضائه فقد تشوش
عليه حياته في الدنيا وتعطل عن الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك أن طلب الدنيا في الدعاء من
أمر الدين فلذلك قال الله تعالى إخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة قيل إن الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والأمن والكفاية والتوفيق إلى الخير والنصر على الأعداء
والولد الصالح والزوجة الصالحة عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا
متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل
الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفي الآخرة المغفرة والثواب وقيل من آتاه الله الإسلام والقرآن
وأهلا ومالا فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة يعني في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية
عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه قال نعم كنت أقول اللهم
ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا
تطيقه ولا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال
فدعا الله به فشفاه وعن أنس بن مالك قال كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بين الركنين ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك إشارة إلى
المؤمنين الداعين بالحسنيين ووجه هذا القول أن الله ذكر حكم الفريق الأول فقال وما له من خلاق وقيل
يرجع إلى الفريقين جميعا أي لكل فريق من هؤلاء لهم نصيب أي حظ مما كسبوا يعني من الخير والدعاء
بالثواب والجزاء على الدعاء بالدنيا من حظوظ كسبه ودعائه والله سريع الحساب ذكروا في معنى
الحساب أن الله تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى أن الله تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم
بمقادير أعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل إن المحاسبة عبارة
عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكأين من قرية عتت عن أمر ربها فحاسبناها حسابا شديدا وقيل
إن الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم أحوال أعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل إنه تعالى
إذا حاسب عباده فحسابه سريع لأنه لا يحتاج إلى عقد يد ولا روية فكر ووصف الله تعالى نفسه
بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة أعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لأنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن
ولا يحتاج إلى آلة ولا مساعد على الحساب فكان قادرا على أن يحاسب جميع الخلائق في أقل من لمحة البصر
وروي أنه تعالى يحاسب الخلائق في قدر حلب شاة أو ناقة وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب أي سريع
القبول لدعاء عباده والإجابة لهم وذلك أنه تعالى يسأله السائلون في الوقت الواحد كل واحد منهم أشياء
مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيعطي كل واحد مطلوبه من غير أن يشتبه عليه شيء من ذلك لأنه تعالى
عالم بجميع أحوال عباده وأعمالهم وقيل في معنى الآية إن إتيان القيامة قريب لأن كل ما هو كائن وآت
قريب لا محالة وفيه إشارة إلى المبادرة للذكر وسائر الطاعات وطلب الآخرة قوله عز وجل واذكروا الله
يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في أدبار الصلوات وعند رمي الجمرات وذلك أنه يكبر مع كل حصاة

[margin: في الدعاء — ورصله — حزب]

في أيام معدودات

من رمي الجمار فقد ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كبر مع كل حصاة
يعني أيام التشريق وهي أيام منى ورمي الجمار سميت معدودات لقلتهن وهي ثلاثة أيام بعد النحر أولها
اليوم الحادي عشر من ذي الحجة وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعي
وقيل إن الأيام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول علي بن أبي طالب ويروى عن ابن عمر أيضا وهو
مذهب أبي حنيفة م عن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام التشريق أيام أكل
وشرب وذكر الله ومن الذكر في هذه الأيام التكبير خ عن ابن عمر أنه كان يكبر بمنى تلك الأيام وخلف
الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي مجلسه وفي ممشاه في تلك الأيام جميعا وفي رواية أنه
كان يكبر في قبته فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى أخرجه البخاري
بغير إسناد أجمع العلماء على أن المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمار وهو أن يكبر مع كل حصاة يرمي الرمي
بها في جميع أيام التشريق وأجمعوا أيضا على أن التكبير في عيد الأضحى في هذه الأيام في أدبار الصلوات
سنة واختلفوا في وقت التكبير فقيل يبتدئ به من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام
التشريق فيكون التكبير على هذا القول في خمس عشرة صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعي
في أصح أقواله قال الشافعي لأن الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت هو التلبية ويأخذون
في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل إنه يبتدئ به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح
من آخر أيام التشريق فيكون التكبير على هذا القول ثلاث وعشرين صلاة وهو قول علي بن أبي طالب
ومكحول وبه قال أبو يوسف ومحمد وقال ابن مسعود يبتدئ به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر
من يوم النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات وبه قال أبو حنيفة وقال أحمد بن حنبل إذا كان
حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة أولها الصبح من يوم عرفة وآخرها صلاة العصر من آخر أيام
التشريق وإذا كان محرما كبر عقيب سبعة عشر صلاة أولها الظهر من يوم النحر وآخرها عصر آخر أيام
التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي ثلاثا نسقا الله أكبر الله أكبر الله أكبر وهو قول سعيد بن جبير
والحسن وهو قول أهل المدينة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود أنه كبر مرتين
فيقول الله أكبر الله أكبر وهو قول أهل العراق قوله تعالى فمن تعجل في يومين أي فمن تعجل النفر الأول
وهو في الثاني من أيام التشريق فلا إثم عليه أي فلا حرج عليه وذلك أنه يجب على الحاج المبيت بمنى
الليلة الأولى والثانية من ليالي أيام التشريق ليرمي كل يوم بعد الزوال أحدا وعشرين حصاة يرمي عند كل
جمرة سبع حصيات ثم من رمى في اليوم الثاني وأراد أن ينفر ويدع البيتوتة الليلة الثالثة ورمي يومها
فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه يعني فلا إثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني
في تعجيله ومن تأخر فلا إثم عليه يعني ومن تأخر إلى النفر الثاني وهو اليوم الثالث من أيام
التشريق فلا إثم عليه في تأخره واعلم أنه إنما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني
من أيام التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة اليوم وإن غربت عليه الشمس وهو بمنى لزمه المبيت الثالث
بها والرمي اليوم الثالث هذا مذهب الشافعي وأكثر الفقهاء وقال أبو حنيفة يجوز له أن ينفر ما لم
يطلع الفجر لأنه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاة الإبل وأهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالي
منى فإن قلت قوله ومن تأخر فلا إثم عليه فيه إشكال وهو أن الذي أتى بأفعال الحج كاملة تامة
فقد أتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا إثم عليه إنما يخاف من الإثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه
أجوبة أحدها أنه تعالى لما أذن في التعجيل على سبيل الرخصة احتمل أن يخطر ببال قوم أن من لم يجر على موجب
هذه الرخصة فإنه يأثم فأزال الله تعالى هذه الشبهة وبين أنه لا إثم عليه في الأمرين فإن شاء عجل
وإن شاء أخر الجواب الثاني أن من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتأخر وكل فريق يصوب فعله على فعل
الفريق الآخر فبين الله تعالى أن كل واحد من الفريقين مصيب في فعله وأنه لا إثم عليه الجواب الثالث

إنما قال ومن

إنما قال ومن تأخر فلا إثم عليه لمشاكلة اللفظة الأولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم
أن جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع أن فيه دلالة على جواز الأمرين فكأنه تعالى قال فتعجلوا أو تأخروا
فلا إثم في التعجيل ولا في التأخير لمن اتقى أي ذلك التخيير ونفي الإثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى أن يصيب
في حجه شيئا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه أنه ذهب إثمه
إن اتقى فيما بقي من عمره وذلك أن الحاج يرجع مغفورا له بشرط أن لا يرتكب ما نهي عنه فيما بقي من عمره
وهو قوله واتقوا الله أي في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات واعلموا
أنكم إليه تحشرون أي فيجازيكم بأعمالكم وفيه حث على التقوى قوله عز وجل ومن الناس من يعجبك
قوله في الحياة الدنيا نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وإنما سمي
الأخنس لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
أنه أشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم إن محمدا ابن أختكم فإن يك كاذبا كفاكموه الناس
وإن يك صادقا كنتم أسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال إني سأخنس بكم فاتبعوني فخنس فسمي
الأخنس بذلك وكان الأخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه
ويظهر الإسلام ويقول إني لأحبك ويحلف على ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنيه في مجلسه
وكان الأخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله أي يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك
يعني إن حلاوة كلامه فيما يتعلق بأمر الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه يعني قوله والله إني
بك لمؤمن ولك محب وهو ألد الخصام أي شديد الجدال في الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو
شديد القسوة في المعصية جدل في الباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة عن عائشة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم يعني الشديد في الخصومة وإذا تولى
أي أدبر وأعرض بعد إبانة القول وحلاوة المنطق سعى في الأرض أي سار ومشى في الأرض ليفسد
فيها يعني بقطع الأرحام وسفك دماء المسلمين ويهلك الحرث والنسل وذلك أن الأخنس
ابن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فأحرق زرعهم وأهلك مواشيهم وقيل خرج إلى الطائف
مقتضيا دينا كان له على غريم فأحرق له كدسا وعقر له أتانا وقيل معناه إذا تولى أي صار واليا وملك الأمر سعى
في الأرض ليفسد فيها يعني بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع
الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع القطر وقيل إن الآية عامة في حق كل من كان
موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع أن تنزل في رجل واحد ثم تكون عامة في حق كل من كان موصوفا
بهذه الصفات والله لا يحب الفساد قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجت المعتزلة بهذه الآية
على أن المحبة عبارة عن الإرادة وأجيب عنه بأن الإرادة معنى غير المحبة فإن الإنسان قد يريد شيئا ولا يحبه
وذلك بأن يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الإرادة والمحبة وقيل المحبة مدح الشيء وتعظيمه
والإرادة بخلاف ذلك وإذا قيل له اتق الله أي خف الله في سرك وعلانيتك أخذته العزة بالإثم
أي حملته العزة وحمية الجاهلية على الإثم وهو الظلم وترك الالتفات إلى الوعظ وعدم الإصغاء
إليه وأصل العزة المنعة والتكبر فحسبه جهنم أي كافيه له جهنم له جزاء وعذابا وجهنم
اسم من أسماء النار التي يعذب بها الكفار في الآخرة وقيل هو اسم أعجمي وقيل بل هو عربي سميت
النار بذلك لبعد قعرها ولبئس المهاد أي الفراش والمهاد التوطئة أيضا والمعنى أن العذاب
بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد اتق الله فيقول
عليك بنفسك وروي أنه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الأرض تواضعا لله تعالى قوله عز وجل ومن
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله قال ابن عباس نزلت هذه الآية في سرية الرجيع
وكانت بعد أحد عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصما

ابن أبي الأقلح عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذُكروا لحي من هذيل
يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه
فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما
أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق إن
نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنا رسولك
فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر
فأعطوهم العهد والميثاق فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا
أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجروه وعالجوه
أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو
الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيرا حتى إذا
أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فأعارته قالت فغفلت عن صبي لي
فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى
فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى وكانت تقول ما رأيت أسيرا قط خيرا من
خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد وما كان إلا رزقا
رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف إليهم فقال
لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت فكان أول من سن الركعتين عند القتل وقال اللهم أحصهم
عددا فلست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله وبعثت قريش إلى عاصم
ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه
مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء زاد في رواية وأخبر يعني النبي
صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أصيبوا خبرهم الفدفد هو الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع وقوله
عالجوه أي مارسوه وأرادوه أن يخرج معهم ليتبعهم فأبى وقوله ليستحد أي ليستعمل الحديد في حلق العانة
والقطف العنقود من العنب وقوله على أوصال شلو الشلو العضو من أعضاء الإنسان والممزع المفرق
والظلة الشيء الذي يظل الإنسان من فوقه والدبر جماعة النحل والزنابير قال أهل التفسير
إن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة إنا قد أسلمنا فابعث إلينا
نفرا من علماء أصحابك يعلموننا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب
ابن عدي الأنصاري ومرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد
ابن الدثنة وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري وذكر نحو حديث البخاري وزاد فيه
فقالوا فصلبوا خبيبا حيا فقال اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ رسولك فأبلغه سلامي
فقام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له أبو ميسرة
سلامان معه رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك إلا عتوا فطعنه
فأنفذه فذلك قوله تعالى وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم يعني سلامان وأما زيد بن الدثنة
فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس إلى
التنعيم ليقتله في الحل واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين
قدم ليقتل أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك فقال
زيد والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي
فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبي

صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لأصحابه أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير أنا يا رسول الله
وصاحبي المقداد بن الأسود فخرجا يمشيان بالليل ويكمنان بالنهار حتى أتيا التنعيم ليلا وإذا حول الخشبة أربعون من
المشركين نشاوى وهم نيام فأنزلاه عن خشبته فإذا هو رطب لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوما ويده على
جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسار فانتبه الكفار
وقد فقدوا خبيبا فلما ابتلعته الأرض فسمي بليع الأرض وقال الزبير ما جرأكم علينا يا معشر قريش ثم رفع
العمامة عن رأسه وقال أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود
أسدان رابضان يدفعان عن أشبالهما فإن شئتم فاضلتكم وإن شئتم نازلتكم وإن شئتم انصرفتم فانصرفوا
إلى مكة فقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد
إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك ونزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله حين شريا أنفسهما لإنزال خبيب عن خشبته وقال أكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان
الرومي وإنما نسب إلى الروم لأن منازلهم كانت بأرض الموصل فأغارت الروم على تلك الناحية فسبته
وهو غلام صغير فنشأ بالروم وإنما كان من العرب من النمر بن قاسط هكذا قال سعيد بن المسيب وعطاء
أقبل صهيب مهاجرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل
ما كان في كنانته وقال والله لا تصلوا إلي حتى أرمي بكل سهم معي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي
وإن شئتم دللتكم على مالي فإنه بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم ففعل فلما قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الآية فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ربح البيع أبا يحيى وتلا عليه هذه الآية وقال الحسن أتدرون فيم نزلت هذه الآية في
المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا إله إلا الله فيأبى أن يقولها فيقول المسلم والله لأشرين نفسي لله فيتقدم فيقاتل
وحده حتى يقتل وقيل نزلت هذه الآية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس أرى من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم قال هذا
وأنا أشري نفسي ابتغاء مرضات الله فقال عمر إنا لله وإنا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر فقتل عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم الجهاد كلمة
عدل عند سلطان جائر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وأما تفسير الآية فقوله ومن الناس من يشري يعني
يبيع والشراء البيع ومنه قوله وشروه بثمن بخس أي باعوه والمعنى أن المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى
في الدار الآخرة وهذا البيع هو أن يبذل نفسه في طاعة الله فصار كالبائع والله تعالى المشتري
والثمن هو ثواب الله تعالى في الآخرة ابتغاء مرضات الله أي طالب رضى الله والله رؤوف بالعباد
من رأفته بعباده أن جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رأفته أنه يقبل
توبة عبده ومن رأفته أن المشتري للعباد وأموالهم مع أنه تعالى المالك لها كلها فضلا منه
ورحمة وإحسانا قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة نزلت في مؤمني أهل
الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وذلك أنهم لما أسلموا أقاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت
وحرموا لحوم الإبل وألبانها وقالوا إن ترك هذه الأشياء في الإسلام مباح وواجب في التوراة وقالوا
أيضا يا رسول الله إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل فأنزل الله هذه الآية
وأمرهم أن يدخلوا في السلم أي في شرائع الإسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فإنها منسوخة والمعنى
استسلموا لله وأطيعوه فيما أمركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل
الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة أي الإسلام وروى جابر
عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب
بعضها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها

بيضاء نقية ولئن أمر موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي. قوله أمتهوكون أي متحيرون أنتم في دينكم حتى تأخذوه
من اليهود والنصارى. قوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضاء نقية أي لا تحتاج إلى شيء. وقيل
يحتمل أن يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم ادخلوا في السلم
أي الانقياد والطاعة لأن أصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة أي بجملتكم ولا تتبعوا فرادا وقيل
يحتمل أن يرجع إلى الإسلام والمعنى ادخلوا في أحكام الإسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى الذي
يظاهر التفسير لأنهم أمروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية الإسلام على ثمانية
أسهم فعد الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وقد خاب من لا سهم له ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ يعني آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت
ولحوم الإبل وغير ذلك وقيل لا تلتفتوا إلى الشبهات التي يلقيها إليكم أصحاب الضلالة والغواية
والأهواء المضلة لأنه من اتبع سنة إنسان فقد تبع أثره ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ يعني الشيطان فإن قلت
عداوته بإيصال الضرر وإلقاء الوسوسة فكيف يصح هذا الاعتقاد فإن الله هو الفاعل
لجميع الأشياء قلت إنه يحاول إيصال الضرر والبلاء إلينا والله تعالى يمنعه من ذلك ومن عداوته
الوسوسة ومعلوم أنه يزين المعاصي وإلقاء الشبهات وكل سبب لوقوع الإنسان في محل غضب الله
تعالى فيصده بذلك عن الثواب فهذا من أعظم جهات العداوة فإن قلت كيف وصف الشيطان بأنه
مبين مع أنا لا نراه قلت إن الله بين عداوته لهم وكأنه بين ولم يشاهد ﴿فإن زللتم﴾ يعني
ملتم وضللتم وقال ابن عباس أشركتم ﴿من بعد ما جاءتكم البينات﴾ أي الدلالات الواضحات ﴿فاعلموا
أن الله عزيز﴾ أي في نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شيء ﴿حكيم﴾ يعني أنه لا ينتقم إلا بحق والحكيم
ذو الإصابة في الأمور كلها وفي الآية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق أو عنده شبهة في
الدين قوله عز وجل ﴿هل ينظرون﴾ أي ينتظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان
﴿إلا أن يأتيهم الله في ظلل﴾ جمع ظلة ﴿من الغمام﴾ يعني السحاب الأبيض الرقيق سمي غماما
لأنه يغم ويستر وقيل هو شيء كالسحاب ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم وهو كهيئة الضباب الأبيض
﴿والملائكة﴾ أي وتأتيهم الملائكة وروى الطبري في تفسيره بسنده متصلا عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال إن من الغمام طاقات يأتي الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون إلا
أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول
الغمام وقيل الرب تبارك وتعالى اعلم أن هذه الآية من آيات الصفات والعلماء في آيات الصفات
وأحاديث الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب سلف هذه الأمة وأعلام أهل السنة الإيمان
والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديث الصفات وأنه يجب علينا الإيمان بظاهرها ونؤمن
بها كما جاءت ونكل علمها إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الإيمان والاعتقاد بأن الله
تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان
ابن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لأحد أن يفسره
إلا الله ورسوله وكان الزهري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد
وإسحاق بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها أمروها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل
هذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الأمة وأنشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها وأخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فإنها لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثاني وهو قول جمهور العلماء
المتكلمين من العقلاء والمعتمدين من أصحاب النظر أنه تعالى منزه عن المجيء والذهاب وعن ذلك

ان كل

أن كل ما يجوز عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو
محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك أن ظاهر الآية ليس مرادا فلا بد
من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل في معنى الآية هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالآيات فيكون مجيء
الآيات مجيئا له تعالى على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه إلا أن يأتيهم أمر الله ووجه هذا التأويل
أن الله تعالى فسره في آية أخرى هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك فصار هذا المحكم مفسرا لهذا
المجمل في هذه الآية وقيل معناه أن يأتيهم الله بما وعد من الحساب والعذاب فحذف ما يأتي به تهويلا
عليهم إذ لو ذكر ما يأتي به لتهون بمعنى الباء لأن بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون إلا أن يأتيهم
الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذي يأتي من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون
إلا أن يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام فإن قلت لم كان إتيان العذاب في الغمام قلت لأن
الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فإذا نزل منه العذاب كان أعظم وأفظع وقيل نزول الغمام
علامة لظهور القيامة وأهوالها ﴿وقضي الأمر﴾ أي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل الله
القضاء بين العباد يوم القيامة ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ أي إلى الله تصير أمور العباد في الآخرة فإن قلت
هل كانت ترجع إلى غيره قلت إن أمور جميع العباد ترجع إليه في الدنيا والآخرة ولكن المراد من
هذا إعلام الخلق أنه المجازي على الأعمال بالثواب والعقاب وجواب آخر وهو أنه لما عبد قوم غيره
في الدنيا وأضافوا أفعاله إلى سواه ثم إذا كان يوم القيامة انكشف الغطاء ردوا إلى الله ما أضافوه
إلى غيره في الدنيا قوله عز وجل ﴿سل بني إسرائيل﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يسأل يهود المدينة
وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لأنه صلى الله عليه وسلم قد علمها بإعلام الله إياه ولكن
المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة في الزجر عن الإعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل
المراد بهذا السؤال التقرير بتذكير النعم التي أنعم بها على سلفهم ﴿كم آتيناهم من آية﴾ أي من بينة
دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وإنزال المن والسلوى
﴿ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته﴾ يعني يغير آيات الله التي جاءته من الله تعالى لأنها هي سبب
الهدى والنجاة من الضلالة وقيل هو حجج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم ذكروها
وبدلوها وقيل المراد بنعمة الله عهده الذي عهد إليهم ولم يفوا به ﴿فإن الله شديد العقاب﴾
يعني لمن بدل نعمة الله قوله عز وجل ﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾ نزلت في مشركي مكة أبي جهل وأصحابه
لأنهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبد
الله بن أبي وأصحابه وقيل نزلت في رؤساء اليهود ويحتمل أنها نزلت في الكل والمزين هو الله بدليل قراءة
من قرأ بفتح الزاي وذلك لا يمتنع أن يكون الله تعالى هو المزين لهم لما أظهر في الدنيا من الزهرة
والنضارة والطيب واللذة وخلق الأشياء العجيبة والمناظر الحسنة وإنما فعل ذلك ابتلاء لعباده
وذلك أنه جعل دار الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب في الطباع الميل إلى اللذات وحب الشهوات
لا على سبيل الإلجاء والقهر الذي لا يمكن تركه بل على سبيل التحبيب الذي يميل النفس إليه مع إمكان
ردها عنه فنظر الخلق إلى الدنيا أكثر من قدرها فأعجبهم حسنها فأحبوها وفتنوا بها وقيل إن المراد
من التزيين أنه تعالى أمهلهم في الدنيا حتى أقبلوا عليها وأحبوها فكان هذا الإمهال هو التزيين وقيل
إن المزين هو الشيطان وغواة الجن والإنس وذلك أنهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا
لهم أمر الآخرة وقيل أوهموهم أن لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص عليها وهذا
التأويل ضعيف لأن قوله زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن
والإنس وإن لهم مزينا يزين لهم وهذا المزين لا بد أن يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول
المعتزلة ﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾ يعني أن الكفار يستهزئون بفقراء المؤمنين قال عبد الله

أمر

أو تكون في

بينة

بن عباس مثل عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظائرهم وقيل كانوا يقولون انظروا
الى هولاء الذين يزعم محمد انه يغلب بهم والذين اتقوا يعني الفقراء من المومنين فوقهم اي فوق الكفار
يوم القيامة لان الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في اسفل السافلين وعن حارثة بن وهب انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم
على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد
في الخصومة الذي لا ينقاد لخير والجواظ الفاجر المختال في مشيه وقيل هو القصير البطين
والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه او عنده وعن اسامة بن زيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد محبوسون غير ان
اصحاب النار قد امر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء الجد يعني الجاه
وهو الحظ والغنا وكثرة المال والله يرزق من يشاء بغير حساب قال ابن عباس يريد كثيرا بغير
مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه
في الدنيا ولا يحاسبه في الاخرة وقيل معناه انه تعالى نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما
يخرج منها لان الحساب انما يكون لمن يعلم قدر ما يعطي والله غني عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد خزائنه
لانها بين الكاف والنون وقيل معناه ان الله يقتر الرزق على من يشاء ويبسط الرزق على من يشاء ولا يعطي
كل واحد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ولا يحاسب فيما يرزق ولا
يقال له لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولم اعطيت هذا اكثر من ذاك لانه تعالى لا شريك له في ملكه
ينازعه ولا يسال عما يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين في الاخرة من الثواب والكرامة
بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم بغير حساب وذلك ان نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع
وقيل انه تعالى يعطي اهل الجنة الثواب والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم من ذلك الفضل فيعطيهم
بغير حساب قوله عز وجل كان الناس امة واحدة اي على دين واحد قيل هو ادم وذريته كانوا مسلمين
على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من
وقت ادم الى مبعث نوح وكانوا مومنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم
عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهر ادم لاخذ الميثاق
فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما
ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل ان ادم وحده كان امة واحدة يعني اماما
وقدوة يقتدى به وانما ظهر الخلاف بعده وقيل كان الناس امة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث
الله النبيين فان قيل اليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم قيل الجواب
ان الغالب في ذلك الزمان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الاية دلت على ان الناس كانوا امة واحدة
وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج فبعث الله النبيين
وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر المذكورون منهم في التوراة
باسماء الاعلام ثمانية وعشرون نبيا مبشرين يعني بالثواب لمن اطاع وامن ومنذرين يعني مخوفين
بالعقاب لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة للابدان
والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود هو الاول فكان اولى بالتقديم وانزل معهم
الكتاب اي الكتب ويكون التقدير وانزل مع كل واحد كتابه بالحق اي بالعدل والصدق وجملة
الكتب المنزلة من السماء مائة واربع كتب انزل على ادم عشر صحائف وعلى شيث خمسين وعلى
ادريس خمسين وعلى موسى عشر صحائف قبل التوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى
محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ليحكم بين الناس يعني الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب

وان كان الحاكم

٦٥

وان كان الحاكم هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي انزله وقيل معناه ليحكم بين الناس
كل نبي بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب او الى النبي مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة
فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه وما اختلف فيه اي في الحق
الا الذين اوتوه اي اعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل والزبور اوتوه اليهود والنصارى واختلا
فهم هو تكفير بعضهم لبعض بغيا وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية
فيه راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد
وضوح الدلالات في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم
وحسدا من بعد ما جاءتهم البينات اي الدلالات الواضحة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بغيا بينهم اي انهم لم يكن لهم عذر في العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا
وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اي لما اختلفوا
من الحق وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون الدنيا السابقون يوم القيامة اوتوا الكتاب
من قبلنا واوتيناه من بعدهم ثم هذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد غد اليه
للنصارى وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون بيد انهم اوتوا يقول
الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائي
يعني يوم الجمعة ثم اتفقا فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد عن حذيفة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا وكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد
فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة
نحن الاخرون من اهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضي لهم يوم القيامة قبل الخلائق وقيل اختلفوا
في شان القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة
وقيل اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا
وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم فاليهود
فرطوا فيه والنصارى افرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا للحق الذي
اختلف فيه من اختلف باذنه يعني بعلمه وامره وارادته والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان المسلمين
اصابهم ما اصابهم من الجهد والمشقة والخوف والبرد وضيق العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت
في غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة في اول الهجرة اشتد
عليهم الضر لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدي المشركين واثروا رضى الله ورسوله
واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر قوم من الاغنياء النفاق فانزل الله هذه الاية تطييبا
لقلوبهم ومعنى الاية احسبتم والميم صلة وقيل بل حسبتم والمعنى اظننتم ايها المومنون ان تدخلوا
الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما اصاب من كان قبلكم من اتباع الانبياء والرسل من الشدائد
والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم اي شبه الذين مضوا
قبلكم من النبيين واتباعهم من المومنين ومثل محنتهم مستهم الباساء اي اصابهم الفقر والشدة
والمسكنة وهو اسم من البوس والضراء يعني المرض والزمانة وضروب الخوف وزلزلوا اي حركوا
بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك ان الخائف لا يستقر بل لا يزال يضطرب
ويتحرك لقلقه حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله وذلك ان الرسل انما تقول
ذلك من غيرهم واصبروا واستبطؤوا النصر عند تفاقم البلايا وكذا اتباعهم من المومنين والمعنى انه بلغ

بهم الجهد والمشقة والبلاء ولم يزل لهم صبرهم ذلك هو الغاية القصوى في الشدة والبلاء فلما بلغ بهم
الحال في الشدة الى هذه الغاية واستبطئوا النصر قيل لهم **ألا إن نصر الله قريب** اجابة لهم الى
طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى ان اتاهم نصر الله قريب
(خ) عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل
الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل
فيها ثم يوتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه
وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت
لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قوله عز وجل **يسئلونك ماذا ينفقون** نزلت في
عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى
يسئلونك ماذا ينفقون **قل ما انفقتم من خير** أي من مال والمعنى وما تفعلوا من انفاق شيء من المال
قل او كثر **فللوالدين** انما قدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب في
اخراجه من العدم الى الوجود **والاقربين** وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لا يقدر ان يقوم
بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة اولى من غيرهم **واليتامى** وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم
ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم احد ينفق عليهم **والمساكين** وانما اخرهم لان حاجتهم اقل
من حاجة غيرهم **وابن السبيل** يعني المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الحاجة
والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل
الحسن الكامل اتبعه بالاجمال فقال تعالى **وما تفعلوا من خير فان الله به عليم** وما تفعلوا من خير
مع هؤلاء او غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر
علماء التفسير ان هذه الآية منسوخة قال ابن مسعود نسختها آية الزكاة وقال الحسن انها محكمة
ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان وقال ابن زيد هذا في
النفل وهو ظاهر الآية فمن احب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى له ان ينفق في الوجوه المذكورة
في الآية فيقدم ما ينفقون فاجيبوا ببيان المصرف واجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله
ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم انضم اليه جواب السؤال عما يكمل به المقصود
وهو بيان المصرف لان النفقة لا تعتد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر
ان الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى يصاب بها طريق المصنع
قوله عز وجل **كتب عليكم القتال** اي فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء في حكم الآية فقال عطاء
الجهاد تطوع والمراد من الآية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب
الثوري وحكي عن الاوزاعي نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي العمل به
مرة واحدة وقيل من وجه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله عليكم يقتضي
تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل ان الآية على ظاهرها والجهاد فرض
على كل مسلم واحتج لذلك بما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا كان او فاجرا اخرجه ابو داود بزيادة فيه وعن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية
واذا استنفرتم فانفروا وقيل ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض
عن الباقين وهذا القول هو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء قال الزهري كتب الله القتال
على الناس جاهدوا او لم يجاهدوا فمن غزا فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به
اعان وان استنفر نفر وان استغني عنه قعد قال الله فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم

على القاعدين

٦٤

على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعدون تاركين فرضا لم يعدهم الحسنى واختلف علماء الناسخ
والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثاني انها
منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول الثالث انها
ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ
ايجاب الجهاد على الكافة وقوله تعالى **وهو كره لكم** اي القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور
الطبع عن القتال لما فيه من مؤونة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا انهم كرهوا امر الله وقيل
نسخ الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما كان كراهتهم القتال قبل ان يفرض
عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذي تكرهون من القتال هو خير لكم من تركه
لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم **وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم** لفظة عسى توهم الشك
مثل لعل وهي من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهي لا تدل على حصول الشك للقائل وتدل على حصول
الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر واما الغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل
ربما كان الشيء شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه يشق
منه الطبع في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة في المستقبل
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم يعني لما فيه من فوت الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم (هو القعود عن الغزو)
ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجلادة على
القتال كف عنكم **والله يعلم** يعني ما في الجهاد من الغنيمة والاجر والخير **وانتم لا تعلمون** يعني ذلك
والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب
على العبد امتثال امر الله تعالى وان كان يشق على النفس في الحال قوله عز وجل **يسئلونك عن الشهر الحرام قتال
فيه** سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في
سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية وكتب له كتابا وقال له سر على اسم الله
ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك
ولا تستكرهن احدا منهم على المسير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله
الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله تعالى بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش
لعلك تاتينا منها بخير فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهاني ان استكره احدا
منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية
رهط لم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له نجران اضل سعد
ابن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله
ببقية اصحابه حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل
زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف وفيها عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله
بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم
وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتعرض
لهم فاذا راوه محلوقا امنوا فحلقوا راس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما راوه امنوا
وقالوا قوم عمار فلا باس عليكم وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون انه من رجب
فتشاوروا في القوم بينهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا
امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان
اول قتيل من المشركين واسروا الحكم وعثمان ابن كيسان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم
واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش

فقد استحل محمد الشهر الحرام وسفك فيه الدماء وأخذ الحرائب يعني المال وعيّر بذلك أهل مكة من كان بها من
المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والأسيرين
وأبى أن يأخذ شيئا من ذلك وعنف المسلمون أصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا صنعتم ما لم تؤمروا به
وعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أنهم قد هلكوا وسقط في أيديهم وقالوا يا رسول الله إنا قتلنا ابن
الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى وأكثر الناس في ذلك فأنزل
الله هذه الآية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان أول خمس في الإسلام وأول
غنيمة قسمت فقسم الباقي على أصحاب السرية وبعث أهل مكة في فداء أسيريهم فقال بل نقفهما حتى
يقدم سعد وعتبة وإن لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى
مكة فمات بها كافرا وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما
جميعا فقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فإنه خبيث
الجيفة خبيث الدية فأما تفسير الآية فقوله تعالى يسئلونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني رجب سمي
بذلك لتحريم القتال فيه وفي السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان أحدهما أنهم المسلمون
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أخطأوا أم أصابوا وقيل إن المسلمين كانوا يعلمون أن القتال في
الحرم وفي الأشهر الحرم لا يحل فلما كتب عليهم القتال سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال
في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية والقول الثاني أن السائلين هم المشركون وإنما سألوه على وجه
العيب على المسلمين فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل يا محمد قتال فيه كبير
أي عظيم مستنكر واختلف العلماء في حكم هذه الآية على قولين أحدهما أنها محكمة
وأنه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع وروي عن عطاء أنه كان
يحلف بالله ما يحل أن يغزوا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت والقول الثاني الذي عليه
جمهور العلماء وهو الصحيح أنها منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال
جائز في الشهر الحرام وهذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين كافة في الأشهر الحرم وغيرها
وصد عن سبيل الله ابتداء كلام والمعنى وصدكم المسلمين عن الحج أو صدكم عن الإسلام
من يريده وكفر به أي بالله والمسجد الحرام أي وصدكم عن المسجد الحرام وإخراج أهله منه
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين آذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وإنما جعلهم
أهله لأنهم كانوا هم القائمين بحقوق المسجد الحرام دون المشركين أكبر عند الله أي أعظم وزرا
عند الله من القتال في الشهر الحرام والفتنة أي الشرك الذي أنتم عليه أكبر من القتل يعني قتل ابن
الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس وقيل عبد الله بن جحش إلى مؤمني
مكة إن عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مكة والمسلمين ومنعكم إياهم من البيت ولا يزالون يعني مشركي مكة يقاتلونكم يعني
يا معشر المؤمنين حتى يردوكم عن دينكم يعني إلى دينهم وهو الكفر إن استطاعوا يعني إن قدروا
على ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم وهو كقول الرجل لعدوه إن ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق
أنه لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر يعني ومن يطعهم منكم فيرجع إلى
دينهم فيمت على ردته قبل أن يتوب فأولئك حبطت أعمالهم أي بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة
وهو أن المرتد يقتل وتبين زوجته منه ولا يستحق الميراث من أقاربه المؤمنين ولا ينصر ولا يستحق
ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيئا للمسلمين هذا في الدنيا ولا يستحق الثواب على أعماله ويحبط
منه

اجرها في

أجرها في الآخرة وظاهر الآية يقتضي أن الارتداد إنما تحبط به الأعمال إذا مات المرتد على الكفر
أما إذا أسلم بعد الردة لم يبطل عليه شيء من أحكام الردة وفيه دليل للشافعي أن الردة لا تحبط الأعمال
حتى يموت المرتد على ردته وعند أبي حنيفة أن الردة تحبط العمل وإن أسلم وأولئك أصحاب النار يعني الذين
ماتوا على الردة والكفر هم أصحاب النار هم فيها خالدون أي لا يخرجون منها أبدا إن الذين آمنوا والذين
هاجروا وجاهدوا في سبيل الله نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه وذلك أن أصحاب السرية قالوا يا رسول
الله هل نؤجر على وجهنا هذا أو نطمع أن يكون لنا غزو فأنزل الله هذه الآية وعن جندب بن عبد الله قال لما
كان من أمر عبد الله بن جحش وأصحابه وأمر ابن الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين إن لم يكونوا أصابوا في سفرهم
وزرا فليس لهم فيها أجر فأنزل الله هذه الآية إن الذين آمنوا والذين هاجروا أي فارقوا مساكنهم وعشائرهم
وأموالهم وفارقوا مساكنة المشركين وعن بلادهم هم المؤمنون كما وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله
أي في طاعة الله فجعل الله لأصحاب هذه السرية جهادا أولئك يرجون رحمة الله أي يطمعون في نيل رحمة الله
أخبر عنهم أنهم على رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هو القطع بحصول الثواب وإنما ذكر الظن في كيفيته
ووقته فلما قال ذلك أثنى الله تعالى على أصحاب محمد أحسن الثناء فقال إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله هؤلاء خيار الأمة هؤلاء ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وإنه من
رجا طلب ومن خاف هرب والله غفور أي لذنوب عباده رحيم بهم والمعنى أنه تعالى غفر لعبد الله بن جحش وأصحابه
ما لم يعلموا به قوله عز وجل يسئلونك عن الخمر والميسر الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل
وجماعة من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنهما
مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله هذه الآية وأصل الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر
خمرا لأنها تخامر العقل أي تخالطه وقيل لأنها تستره وتغطيه وجملة القول في تحريم الخمر أن الله عز
وجل أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون
يشربونها في أول الإسلام وهي لهم حلال ثم نزلت بالمدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ يسئلونك عن
الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير فتركها قوم لقوله إثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم
إن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا إليه ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمهم
وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون
بحذف لا إلى آخر السورة فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون فحرم الله السكر في أوقات الصلاة فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء فيصبح وقد
زال سكره فيصلي الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحو وقت صلاة الظهر ثم إن عتبان بن مالك اتخذ
صنيعا ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا
وشربوا الخمر حتى أخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الأشعار فأنشد سعد
قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الأنصار فأخذ رجل من الأنصار لحي البعير وضرب به رأس سعد فشجه
شجة موضحة فانطلق سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى إليه الأنصاري فقال عمر
اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر ويروى أن حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقي رجلا
من الأنصار وبيده ناضح له والأنصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الإيواء نصرا وهجرة … فلم ير حي مثلنا في المعاشر
فأحياؤنا من خير أحياء من مضى … وأمواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة أولئك المهاجرون فقال الأنصاري بل نحن الأنصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على
الأنصاري فهرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بفعل حمزة فغضب له رسول الله صلى
الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى هذه الآية

النهي في المائدة الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام
والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان القوم قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم
بذلك كثيرا فعلم انه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل في هذا
التدريج وهذا الرفق قال انس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب منها وما حرم عليهم
اشد من الخمر وعن انس قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم واني لقائم اسقي ابا طلحة وابا ايوب وفلانا
اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقال ارق هذه القلال يا انس فما سالوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل
الفضيخ بالفاء والضاد المعجمتين شراب يتخذ من بسر مفضوخ والمفضوخ المشدوخ والمكسور والاراقة
الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة **فصل** في تحريم الخمر ووعيد من شربها اجمعت الامة
على تحريم الخمر وانه يجب تعزير شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب
قتله وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر
في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الاخرة لفظ مسلم م عن جابر ان رجلا قدم من جيشان
وجيشان من اليمن فسال النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المزر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر
حرام وان على الله عهدا لمن شرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يا رسول الله
قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر
خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة
كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله قال صديد اهل النار اخرجه
ابو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في
بطنه لم يقبل منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شيء من الفرائض وفي
رواية عن القران لم تقبل له صلاة اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا اخرجه النسائي عن عثمان بن عفان
قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبائث فانها والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا يوشك ان يخرج احدهما
صاحبه اخرجه النسائي موقوفا عليه وفي قصة عن انس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر
عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها
وواهبها واكل ثمنها اخرجه الترمذي **فصل** في احكام تتعلق بالخمر وفيه مسائل الاولى في
ماهيتها قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير العنب النيء الشديد الذي قذف بالزبد وكذلك
نقيع الزبيب والتمر والمتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز والذرة وكل ما اسكر فهو خمر
وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه
والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عماله ان ارزق
المسلمين من الطلا ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه
نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد اخرجه النسائي الطلا بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ
من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج ايضا بما روي عن ابن عباس قال حرمت الخمر
بعينها قليلها وكثيرها والمسكر من كل شراب اخرجه النسائي واحتج ايضا على ان المسكر حرام
بما روي عن ابي الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه اخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل
الشافعي على كون الخمر من عدة اشياء بما روي عن ابن عمر قال على منبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة
والشعير والخمر ما خامر العقل ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن
عهدا

عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا اخرجه البخاري ومسلم وعن عائشة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل
اليمن يشربونه عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب وان من البر خمرا
وان من الشعير خمرا وان من التمر خمرا اخرجه ابو داود وزاد في رواية والذرة واني انهاكم عن كل
مسكر والترمذي نحوه وزاد وان من العسل خمرا خ عن ابن عباس انه سئل عن الباذق فقال سبق محمد
الباذق فما اسكر فهو حرام عليك الشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال
صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة وهو الطلا المطبوخ من عصير العنب كان اول من صنعه وسماه
بنو امية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن
الاثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باذه وهو اسم الخمر بالفارسية اي لم يكن في زمانه او سبق قوله فيها
وفي غيرها من جنسها وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اسكر فهو حرام عن ام سلمة
قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر اخرجه ابو داود والمفتر كل شراب احمى
الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما اسكر كثيره فقليله حرام بما روي عن جابر
ابن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذي وابو داود
عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام
اخرجه ابو داود والترمذي وفي رواية الحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا
بالبغدادي واجيب عن حديث عمر في الطلا بانه معارض بما روي عن السائب بن يزيد ان عمر قال وجدت من
فلان ريح شراب وزعم انه شرب الطلا واني سائل عنه فان كان يسكر جلدته فسال فقيل انه يسكر فجلده
عمر الحد تاما اخرجه مالك في الموطا واما حديث ابن عباس فهو موقوف عليه ومعارض بما روي عنه في الباذق
وقوله والمسكر من كل شراب فقد رواه الحفاظ المسكر بضم الميم قال صاحب الغريبين السكر خمر
الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى
ابن هارون وهو الصواب واما حديث ابي الاحوص فجوابه من وجهين احدهما في سنده حيث قال عن ابي بردة
وانما يرويه سماك عن القاسم عن ابي بردة عن ابيه والوجه الثاني في متنه حيث قال اشربوا ولا
تسكروا وانما يرويه الناس لا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما روى مسلم في صحيحه عن محارب بن
دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الاشربة في ظروف
الادم فاشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائي في حديث ابي الاحوص هذا حديث منكر
غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا نعلم ان احدا تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عائشة
ففيه فهو غير ثابت كما تقدم في قول النسائي الثانية في الحكم بنجاسة الخمر وما يلحق بها في نجاسة العين
ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس
في اللغة النجس والشيء المستقذر وقوله تعالى فاجتنبوه امر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل
على نجاستها ايضا انها محرمة التناول لا لاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغي ان الحكم بنجاستها
تاكيدا للزجر عنها المسئلة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على
ذلك ما روي عن جابر قال انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله تعالى حرم
بيع الخمر والانتفاع بها وحرم ثمنها والميتة والخنزير والاصنام اخرجاه في الصحيحين مع
زيادة اللفظ خ عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت التجارة في الخمر
وعن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها عن المغيرة بن شعبة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه ابو داود وقوله

وليشقق الخمار بردائه وليقطعها قطعا كما يقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل
بيع الخنازير وانهما في التحريم سواء، عن ابي طلحة قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجري
فقال اهرق الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن انس ان ابا طلحة كان عنده خمر
لايتام وهو اصح فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعهما اللذة [illegible]
عند شربها والفرح والطرب معها وما كانوا يصيبون من الربح في تجارتها وكان ذلك قبل التحريم
فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله فصل واما الميسر فهو القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ
مال الرجل بسهولة من غير تعب ولذا قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله
فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله هذه الاية واصل الميسر ان اهل الثروة
من العرب في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزئونها ثمانية وعشرين جزءا ثم
يسهمون عليها بعشرة اقداح يقال لها الازلام والاقلام واسماؤها الفذ والتوام والرقيب
والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يجعلون لسبعة منها
انصباء فللفذ سهم وللتوام سهمان وللرقيب ثلاثة اسهم وللحلس اربعة اسهم وللنافس
خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لا انصباء لها وهي المنيح والسفيح
والوغد قال الشاعر لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح واساميهن وغد ومنيح وسفيح
ثم يجعلون القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها في يد رجل عدل عندهم يسمونه المجيل والمفيض
فيجيلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج من
القداح وان خرج قدح من الثلاثة التي لا انصباء لها لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا ياخذ ولا
يغرم ويسمون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا ياكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون
بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيئا من الاعطاء بالبخل واما حكم
الاية فالمراد به جميع انواع القمار وكل شيء فيه قمار فهو من الميسر وروي عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء
وكل شيء فيه خطر فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد فهو من الميسر اللعب به سواء
كان بخطر او لا ويدل على تحريمه ما روي عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير
فكانما صبغ يده في لحم خنزير ودمه اخرجه مسلم وعن ابي موسى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من لعب بالنرد او بالنردشير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابو داود وعن علي بن ابي طالب قال النرد والشطرنج
من الميسر واختلفوا في الشطرنج فذهب ابو حنيفة الى انه يحرم اللعب به سواء كان برهان او بغير رهن
ومذهب الشافعي انه مباح بشروط ذكرها الشافعي فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان
عن الطغيان ويروى عن الهذيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما
يوجب دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك قوله تعالى قل فيهما يعني الخمر والميسر اثم كبير اي وزر
عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك اثم كبير منها
اقدامه على شرب الخمر ومنها فعل ما لا يحل فعله واما الاثم الكبير في الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل اكل
وما يجري بينهم من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه اثم كبير ومنافع للناس يعني انهم
كانوا يربحون في بيع الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر فهو اخذ مال بغير كد ولا تعب فقيل ربما
ان الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما كان يصرفه
الى المحتاجين فيكتسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة واثمهما اكبر من نفعهما يعني
اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع انما
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فكل
هذا ذنوب يترتب عليها اثام كثيرة بسبب الخمر والميسر قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون

وذلك ان

٦٦
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق فقال الله تعالى قل العفو
يعني الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون
بالفاضل بحكم هذه الاية ثم نسخ ذلك باية الزكاة وقيل هو الفضل ما كان عن ظهر غنى وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى
وابدأ بمن تعول وقيل هو الوسط في الانفاق من غير اسراف ولا تقتير وقيل هو في صدقة التطوع
اذ لو كان المراد به الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبين دل ذلك على ان المراد به صدقة
التطوع كذلك يبين الله لكم الايات اي يبين لكم الامور التي سالتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه
لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة يعني فتحفظون ما يصلحكم في الدنيا وتعرفون الباقي فتبتغونه
في الاخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها وفي اقبال الاخرة وبقائها فترغبوا فيها
قوله عز وجل ويسألونك عن اليتامى قال ابن عباس لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموالهم عن اموالهم وتركوا مخالطتهم وربما
كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا ياكلونه فيفسد فاشتد ذلك عليهم فسالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير اي اصلاح اموال اليتامى من غير
اجرة ولا عوض خير لكم واعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه فلا يتوسع من طعام
اليتيم وان تخالطوهم يعني في الطعام والخدمة والمسكن وهذا فيه اباحة المخالطة اي تشاركوهم
في اموالهم واخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا
من قيامكم باموره او تكافئوهم على ما تصيبون من اموالهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم والاخوان يعين
بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح والرضى والله يعلم المفسد من المصلح يعني
المفسد لمال اليتيم والمصلح له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة واكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد
الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم اي لضيق عليكم وما اباح لكم مخالطتهم واصل العنت الشدة والمشقة
والعنت الكلفة في كل شيء مما يشق عليكم ان الله عزيز حكيم اي غالب يقدر ان يشق على عباده ويعنتهم
ولكنه حكيم لا يكلف عباده الا ما تتسع فيه طاقتهم قوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نزلت في
ابي مرثد بن ابي مرثد الغنوي واسم ابي مرثد كناز بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج
منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امراة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته في الجاهلية
فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام حال بيني وبين ذلك فقالت له هل لك ان تتزوج بي قال
نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استامره فقالت ابي تتبرم واستغاثت عليه فضربوه ضربا
شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان من امره
وامر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله ايحل لي ان اتزوجها فانزل الله هذه الاية واصل النكاح في اللغة
الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الاية ولا تنكحوا ايها المؤمنون المشركات حتى يؤمن اي يصدقن بالله
ورسوله وهو الاقرار بالشهادتين والتزام احكام المسلمين واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقيل
انها نزلت على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من اي اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية
والنصرانية وغيرهن من اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فاباح الله تعالى نكاحهن بهذه الاية قال ابن عباس في قوله ولا
تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء اهل الكتاب فقال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
وقيل ان حكم الاية نزل في مشركات العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شيء ولم يستثن وانما حكمها
عام مخصوص قال قتادة في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعني مشركات العرب اللاتي ليس فيهن كتاب
يقرانه وبيان هذا في مسالة وهي ان لفظ المشرك على من يطلق فالاكثرون من العلماء وهو القول الصحيح

المختار انه يقع المشرك ليندرج فيه اهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم
ويدل على ان اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة في شرك اليهود والنصارى
وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبي
صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور معجزاته فقد زعم ان ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو
من عند غير الله فقد اشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الا عبدة الاوثان فقط والاول اصح لما
تقدم من الادلة فعلى قول من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الآية محكمة وعلى قول الاكثرين
ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات فعلى هذا تكون الآية محكمة في حق الوثنيات منسوخة
في حق الكتابيات وقوله تعالى ولأمة مؤمنة خير يعني انفع واصلح وافضل من مشركة يعني حرة ولو
اعجبتكم يعني بجمالها ومالها ونسبها فالأمة المؤمنة خير وافضل عند الله من الحرة المشركة نزلت
في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان فقال يا خنساء قد ذكرت في الملأ الاعلى على سوادك ودمامتك
ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له امة سوداء فغضب عليها يوما
فلطمها ثم فزع فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال وما هي يا عبد الله قال هي تشهد ان لا اله
الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه امة مؤمنة قال عبد الله
فوالذي بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا انكح امة
وعرضوا عليه حرة مشركة فانزل الله هذه الآية ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا هذا خطاب
لاولياء المراة اي لا تزوجوا المسلمة من المشركين فحرم على المؤمنات ان ينكحن مشركا من اي اصناف الشرك
وانعقد الاجماع على انه لا يجوز للمسلمة ان تتزوج بالمشرك ولعبد مؤمن خير من مشرك يعني حر
ولو اعجبكم بحسبه وماله وجماله اولئك يدعون الى النار يعني يدعون الى الشرك الذي يؤدي
الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة يعني انه تعالى لما بين هذه الاحكام واباح بعضها وحرم
بعضها فاعملوا بما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة
باذنه اي بتيسير الله وارادته وتوفيقه ويبين آياته للناس اي يوضح ادلته وحججه في اوامره
ونواهيه واحكامه لعلهم يتذكرون اي فيتعظون قوله عز وجل ويسألونك عن المحيض م
عن انس ان اليهود كانت اذا حاضت المراة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل
هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء
الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء
اسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا افلا نجامعهن فتغير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من
لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل في آثارهما فسقاهما فعرفا انه لم يجد عليهما الوجد
الغضب واصل الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادي اذا سال وفاض ماؤه قل هو اذى اي اذا
شيء قذر والاذى في اللغة ما يكره من كل شيء فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن
ولا تقربوهن يعني بالوطء والمجامعة وهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض حتى يطهرن
يعني من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطهرن بتشديد الطاء ومعناه حتى
يغتسلن فاذا تطهرن اي اغتسلن من حيضهن فأتوهن من حيث امركم الله قال ابن عباس
طؤوهن في

طؤوهن في الفرج ولا تعدوه الى غيره فانه هو الذي امر الله به ولا تاتوهن في غير المأتى وقيل فأتوهن
من الوجه الذي امركم الله به وهو الطهر وقيل معناه فأتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن
حائضات ولا معتكفات ولا محرمات فصل في حكم الآية وفيها مسائل المسألة الاولى اجمع
المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستحله كافر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اتى حائضا او امراة في دبرها او كاهنا فقد كفر بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي
وقال انما معنى هذا عند اهل العلم على التغليظ ومن فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة
قولان احدهما انه يستغفر الله ويتوب ولا كفارة عليه وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد والقول
الثاني انه يجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال احمد بن حنبل لما روي عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امراته وهي حائض قال يتصدق بنصف دينار وفي رواية قال اذا كان
دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار اخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه
بعضهم المسألة الثانية اجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمراة الحائض بما فوق السرة ودون
الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها (ق) عن عائشة قالت كانت احدانا اذا كانت حائضا
واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يباشرها امرها ان تتزر بازار في فور حيضتها ثم يباشرها وايكم
يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه وفي رواية قالت كنت اغتسل انا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يامرني فاتزر فيباشرني وانا حائض اخرجاه في الصحيحين
المراد بالاستمتاع بالمباشرة الاستمتاع بما دون الجماع وفور كل شيء اوله وابتداؤه وقولها يملك اربه
يروى بسكون الراء وهو العضو ويعني به الحاجة عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناوليني الخمرة من المسجد فقلت اني حائض قال ان حيضتك ليست في يدك الخمرة حصير صغير مضفور
من سعف النخل وغيره بقدر الكف وقولها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد
وعائشة في حجرتها فطلب منها الخمرة وهي حائض المسألة الثالثة يحرم على الحائض الصلاة والصوم
ودخول المسجد وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو امنت الحائض من التلويث في عبور المسجد
جاز في اصح الوجهين قياسا على الجنب والثاني لا لان حدثها اغلظ ويجب على الحائض قضاء الصوم ولا
تقضي الصلاة لما روي عن معاذة العدوية قالت سألت عائشة ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة
قالت احرورية انت قلت لست بحرورية ولكني اسأل قالت كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر
بقضاء الصلاة اخرجاه في الصحيحين المسألة الرابعة لا يرتفع شيء مما منعه الحيض بانقطاع الدم ما
لم تغتسل او تتيمم عند عدم الماء الا الصوم فانها اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح
وان اغتسلت في النهار وذهب ابو حنيفة الى انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض
وهو عشرة ايام عنده قبل الغسل وذهب الشافعي وغيره من العلماء الى انه لا يجوز للزوج غشيانها ما
لم تغتسل من الحيض وتتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى علق جواز وطء الحائض بشرطين احدهما انقطاع
الدم والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فأتوهن
من حيث امركم الله فدل ذلك على ان الوطء لا يحل قبل الغسل وقوله تعالى ان الله يحب التوابين
يعني من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب
ويحب المتطهرين يعني من الاحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من الشرك وقيل هم
الذين لم يصيبوا الذنوب قوله عز وجل نساؤكم حرث لكم الآية عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها
من ورائها جاء الولد احول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وفي رواية للترمذي كانت
اليهود تقول من اتى امراته في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جاء عمر الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة فلم يرد عليه شيئا

فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم
اقبالا وادبارا واتقوا الدبر والحيضة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية
عن الاتيان في غير المحل المعتاد من ظاهرها ويجوز ان يريد به اتيانها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها
وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم اهل كتاب فكانوا
يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شان اهل الكتاب ان لا ياتوا
النساء الا على حرف وذلك استر ما تكون المراة فكان هذا الحي من الانصار قد اخذوا بذلك من فعلهم
وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات
فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته
عليه وقالت انما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى امرهما فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات
ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد اخرجه ابو داود قوله على حرف الحرف الجانب
وحرف كل شيء جانبه وقوله يشرحون النساء يقال شرح فلان جاريته اذا وطئها على قفاها واصل
الشرح البسط وقوله الوثن الصنم وقيل الصورة لا جثة لها وقوله سرى امرهما اي ارتفع وعظم
وتفاقم واصله من سرى البرق اذا لمع في السماء وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في قوله نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم في صمام واحد ويروى سماما بالسين اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل
التشبيه فجعل فرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات الخارج فأتوا حرثكم انى
شئتم يعني كيف شئتم اذا كان في الفرج والمعنى كيف شئتم وحيث شئتم مقبلة ومدبرة وعلى كل
حال اذا كان في الفرج وفي الآية دليل على تحريم اتيان النساء في ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل
لا الدبر ويدل على تحريم ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراة
في دبرها اخرجه ابو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم لا
تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت فارو وبه يروى عنه انه قال
تستامر الحرة في العزل ولا تستامر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الواد الخفي الوأد
وروى نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرا هذه الآية نساؤكم حرث لكم فقال اتدري فيما
نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت في رجل اتى امراته في دبرها فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية
وروى عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله بن عمر فقال يا ابا عمر ما حديث يحدث به نافع عن عبد
الله انه لم يكن يرى باسا باتيان النساء في ادبارهن فقال كذب العبد واخطا انما قال عبد الله
يؤتون في فروجهن من ادبارهن وهكذا يحكى عن مالك اباحة ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور
العلماء على تحريم النساء في ادبارهن وقالوا ان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة العارضة اتيان
فهو الحرام اولى ان يحرم الدبر لاجل النجاسة الملازمة لان الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث لا يكون
منه نبات الولد فما بال العدول عنه الى غيره وقوله تعالى وقدموا لانفسكم يعني الولد وقيل
قدموا التسمية والدعاء عند الجماع وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم ان
اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه يقدر
بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل اراد به تقديم الاجر الصالح وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قوله
الا تحلة القسم يعني قدر ما يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وان منكم الا واردها فاذا وردها
وجاوزها فقد ابر قسمه وقيل قدموا لانفسكم الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية واتقوا

69

الله اي احذروا ان تاتوا شيئا مما نهاكم الله عنه واعلموا انكم ملاقوه اي صائرون اليه في الآخرة
فيجزيكم باعمالكم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين
ختنه بشير بن النعمان شيء فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم له وكان
اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لي الا ان تبر يميني فانزل الله هذه الآية وقيل
نزلت في ابي بكر الصديق حين حلف لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة ما يجعل
معرضا للشيء وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو عرضة والمعنى
ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى احدكم الى بر وصلة رحم فيقول قد حلفت
بالله لا افعله فيعتل بيمينه في ترك البر والاصلاح ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس وقيل
معناه لا تحلفوا بالله ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فلياتها وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا
الحلف بالله وان كنتم بارين متقين مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه والله
سميع اي لحلفكم عليم يعني بنياتكم قوله عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو كل
ساقط مطرح من الكلام وما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي لا عقد
معه كقول القائل لا والله بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعي ويعضده ما
روي عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم في قول الرجل لا والله وبلى والله
اخرجه البخاري موقوفا ورفعه ابو داود قال قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله ورواه غيره موقوفا وقيل في معنى اللغو هو ان يحلف
الرجل عن شيء يرى انه صادق فيه ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة ولا كفارة فيه ولا اثم
عليه عنده قال مالك في الموطا احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء
يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشيء وهو يعلم انه فيه كاذب
ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم من ان تكون فيه كفارة وانما الكفارة
على من حلف ان لا يفعل الشيء المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع
ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه والخلاف الذي بين الشافعي وابي
حنيفة في لغو اليمين ان الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا
بعكس كان حلف على شيء يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بعكس ذلك ومذهب الشافعي
هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب ابي حنيفة هو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعي
والزهري وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل معنى اللغو انه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع
سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم الله بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم اي
لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم يعني لكن يؤاخذكم بما
عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب هو العقد والنية [illegible] في ايمانكم الآية وفيه
مسائل المسئلة الاولى لا تنعقد اليمين الا بالله وباسمائه وصفاته فاما اليمين بالله فهو كقول الرجل
او باسم من اسمائه والذي نفسي بيده والذي اعبده ونحو ذلك فاذا حلف بشيء من ذلك كقوله والله والرحمن الرحيم
والمهيمن ونحو ذلك فاذا حلف بشيء من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة المسئلة الثانية لا يجوز
الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي وابي ونحو ذلك فاذا حلف بشيء من ذلك لا تنعقد يمينه ولا
كفارة عليه ويكره الحلف به لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرك عمر وهو يسير
في ركب وهو يحلف بابيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان
حالفا فليحلف بالله او ليصمت اخرجاه في الصحيحين المسئلة الثالثة اذا حلف على امر في

المستقبل فحنث فعليه الكفارة وإن كان على أمر ماض ولم يكن أو على أنه لم يكن وقد كان فإن كان عالما به
حال حلفه بأن يقول والله ما فعلت وقد فعل أو لقد فعلت وما فعل فعليه اليمين الغموس وهي من
الكبائر لأنها تغمس صاحبها في الإثم ويجب فيها الكفارة عند الشافعي سواء
كان عالما أو جاهلا وذهب أبو حنيفة إلى أنه لا كفارة عليه فإن كان عالما فهي كبيرة وإن كان جاهلا
فهو من لغو اليمين **والله غفور** يعني لعباده فيما لغوا من أيمانهم التي أخبر أنه لا يؤاخذهم
عليها ولو شاء واخذهم بإلزامهم الكفارة في العاجل والعقوبة عليها في الآجل **حليم** يعني في
ترك معاجلة أهل العصيان بالعقوبة قال الحليمي في معنى الحليم الذي لا يحبس إنعامه وإفضاله
عن عباده لأجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهمك في معاصيه
كما يبقي البر التقي وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن أن يدعوه كما
يقي الناسك الذي يدعوه ويسأله وقال أبو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والأناة ولا يستحق الصافح
مع العجز اسم الحليم إنما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله
عز وجل **للذين يؤلون من نسائهم** يؤلون أي يحلفون والألية اليمين قال كثير
قليل الألايا حافظ ليمينه وإن سبقت منه الألية برت والإيلاء في عرف الشرع هو اليمين على ترك
الوطء كما إذا قال والله لا أجامعك أو لا أباضعك أو لا أقربك قال ابن عباس كان أهل الجاهلية إذا
طلب الرجل من امرأته شيئا فأبت أن تعطيه حلف لا يقربها السنة والسنتين والثلاثة فيدعها لا
أيما ولا ذات بعل فلما كان الإسلام جعل الله ذلك للمسلمين أربعة أشهر وأنزل هذه الآية وقال
سعيد بن المسيب كان الإيلاء ضرار أهل الجاهلية وكان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب أن يتزوجها
غيره فيحلف أن لا يقربها أبدا فيتركها لا أيما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الإسلام فجعل الله
تعالى له الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر وأنزل هذه الآية للذين يؤلون من
نسائهم **تربص** أي انتظار **أربعة أشهر** والتربص التثبت والانتظار **فإن فاءوا** أي رجعوا عن
اليمين بالوطء والمعنى فإن رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها **فإن الله غفور رحيم**
للزوج إذا تاب من إضراره بامرأته فإنه غفور رحيم لكل التائبين **فصل** في حكم الآية
الفرع الأول أنه إذا حلف أنه لا يقرب زوجته أبدا أو مدة هي أكثر من أربعة أشهر فهو مول فلا
يتعرض له قبل مضي أربعة أشهر وبعد
مضت أربعة أشهر يوقف والزوج يؤمر بالفيء وهو الرجوع أو الطلاق وذلك بعد مطالبة
زوجته فإن رجع عما قال بالوطء إن قدر عليه أو بالقول مع العجز إن عجز عنه فإن لم يفئ ولم
يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وأبي الدرداء وابن عمر قال سليمان بن
يسار أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقولون يوقف المولي وذهب اليه
سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وقال ابن عباس
وابن مسعود إذا مضت مدة أربعة أشهر يقع عليها طلقة بائنة وبه قال سفيان الثوري وأبو
حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع عليها طلقة رجعية الفرع الثاني لو حلف
لا يطأها أقل من أربعة أشهر فليس بمول بل هو حالف فإن وطئها قبل مضي المدة لزمه كفارة يمين
الفرع الثالث لو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر فليس بمول لأن بعد مضي المدة عند الشافعي لا يبقى
المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفيء أو الطلاق وقد مضت المدة وعند أبي حنيفة يكون
موليا ويقع الطلاق بمضي المدة الفرع الرابع مدة الإيلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعا
عند الشافعي لأنها مدة ضربت لمعنى يرجع إلى الطبع وهو قلة صبر المرأة عن الزوج فيستوي
فيه الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك وأبي حنيفة تتنصف مدة الإيلاء بالرق غير أن عند أبي
حنيفة تتنصف مدة الإيلاء برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما في الطلاق الفرع الخامس

إذا ولي

إذا ولي فخرج عن الإيلاء ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول أكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعد
المغفرة فقال فإن الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك في إسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة
وقوله تعالى **وإن عزموا الطلاق** أي حققوه بالإيقاع **فإن الله سميع** يعني لأقوالهم **عليم** يعني بنياتهم
وفيه دليل على أنها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لأنه تعالى شرط فيه العزم قوله عز وجل **والمطلقات**
أي المخليات من حبال أزواجهن والمطلقة هي التي أوقع الزوج عليها الطلاق **يتربصن بأنفسهن** أي ينتظرن
فلا يتزوجن **ثلاثة قروء** جمع قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال أبو عبيدة الأقراء من الأضداد كالشفق
اسم للحمرة والبياض وقيل إنه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلفوا في أصله فقيل أصله الجمع
من قرأ أي جمع لأن في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن وقيل أصله الوقت يقال
رجع فلان لقرئه أي لوقته الذي كان فيه لأن الحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت وبحسب اختلاف أهل اللغة
في الأقراء اختلف الفقهاء على قولين أحدهما أن الأقراء هي الحيض روي ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس
وأبي موسى وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وبه قال عكرمة والضحاك والسدي والأوزاعي وسفيان الثوري وأبو
حنيفة وأصحابه وقال أحمد بن حنبل كنت أقول إن الأقراء الأطهار وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحيض القول الثاني
أنها الأطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وبه قال الزهري وأبان بن عثمان ومالك والشافعي
وحجة من يقول إن الأقراء هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلاة أيام أقرائك يعني
أيام حيضتك لأن المرأة لا تدع الصلاة إلا أيام حيضها وحجة من يقول إنها الأطهار أن ابن عمر لما طلق امرأته وهي
حائض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم إن شاء أمسكها وإن شاء طلق قبل أن يمس
فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء فأخبر أن زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الأعشى

أفي كل عام أنت جاشم غزوة   تشد لأقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة   لما ضاع فيها من قروء نسائكا

أراد أنه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فيضيع أقراؤهن وإنما تضيع بالسفر زمان الطهر لا زمان الحيض وفائدة
الخلاف أن مدة العدة عند الشافعي أقصر وعند غيره أطول حتى إن المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة
فقد انقضت عدتها وحلت للأزواج ويحتسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءا على قول من يجعل الأقراء
الأطهار قالت عائشة رضي الله عنها إذا دخلت المطلقة في الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها
وحلت للأزواج وروي عنها أنها قالت القرء الطهر ليست بالحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى قول من يجعل
الأقراء حيضا وهو على مذهب أبي حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة إن كان وقع
الطلاق في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة إن وقع في حال الحيض فإن قلت ما معنى الإخبار عنهن بالتربص
في قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن قلت هو خبر في صورة الأمر وأصل الكلام ولتتربص المطلقات
وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن
امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونظيره قولهم في الدعاء يرحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة
بالإجابة فكأنه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها **فصل** في أحكام العدد وفيه مسائل المسألة
الأولى عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة والأمة
المسألة الثانية عدة المتوفى عنها سوى الحامل أربعة أشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها
قبل الدخول أو بعده وسواء في ذلك الحائل والآيسة المسألة الثالثة عدة المطلقة المدخول بها
وهي ضربان إحداهما الحيض فعدتها الأقراء وهو ما تقدم الضرب الثاني الآيسة من الحيض إما لكبر أو لم
تحض قط فعدتها ثلاثة أشهر وأما المطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها المسألة الرابعة عدة
الإماء نصف عدة الحرائر فيما له نصف وفي الأقراء قرآن لأنه لا يتنصف قال عمر بن الخطاب ينكح العبد امرأتين
ويطلق تطليقتين وتعتد الأمة بحيضتين وقوله تعالى **ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن**

قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض والمعنى أنه لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض أو
الحمل لتبطل بذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر هذا وعيد
شديد لتأكيد تحريم الكتمان وإيجاب أداء الأمانة في الإخبار عما في الرحم من الحيض أو الولد والمعنى هذا
من فعل المؤمنات وإن كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك أد حقي إن كنت مؤمنا يعني أداء
الحقوق من فعل المؤمنين ونقول للرجل يظلم إن كنت مؤمنا فلا تظلمني والمعنى لينفعك إيمانك من الظلم
وفي سبب وعيد النساء بهذا قولان أحدهما لأجل ما يستحق الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثاني
لأجل إلحاق الولد بغير أبيه قاله قتادة وقيل لأن المرأة إذا رغبت في زوجها تقول إني حائض وإن كانت
قد طهرت ليراجعها وإن كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن
ذلك وأمرهن بأداء الأمانة وبعولتهن أحق بردهن في ذلك يعني أزواجهن سمي الزوج بعلا
لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك والمعنى وأزواجهن أولى برجعتهن وردهن إليهم
في ذلك أي في حال العدة فيعيد لها حق الزوجية والرجعة إن أرادوا إصلاحا يعني إن أراد الزوج بالرجعة
الإصلاح وحسن العشرة لا الإضرار ونزول ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الإضرار
فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وأمرهم بالإصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة ولهن يعني وللنساء على
الأزواج مثل الذي عليهن يعني للأزواج بالمعروف وذلك أن حق الزوجية لا يتم إلا إذا كان كل واحد
منهما يراعي حق الآخر فيما له وعليه فيجب على الزوج أن يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة
الانقياد والطاعة له قال ابن عباس في معنى الآية إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي لأن الله تعالى
قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف عن جابر أنه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله و
واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن
ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله في النساء فيه الحث على
الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فإنكم أخذتموهن بأمان الله ويروى
بأمانة الله قوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه بإباحة الله والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب
لكم من النساء مثنى وقيل الكلمة هي قوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وقيل الكلمة هي كلمة
التوحيد وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله ولا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه
معناه ولا يأذن لأحد أن يتحدث إليهن وكان من عادة العرب أن يتحدث الرجال مع النساء ولا يرون ذلك
عيبا ولا يعدونه ريبة إلى أن نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس المراد بوطء الفرش نفس الزنى فإن
ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهية فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه
ضربا غير مبرح إنما كان فيه الحد والضرب المبرح هو الشديد الشاق وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن
بالمعروف يعني بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالإجماع وقوله تعالى
وللرجال عليهن درجة أي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من
المال وقيل إن فضيلة الرجال على النساء بأمور منها العقل والشهادة والميراث والدية
وصلاحية الإمامة والقضاء وللرجل أن يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق
فهو قادر على تطليقها وإذا طلقها رجعيا فهو قادر على رجعتها وليس لها شيء من ذلك بيدها
والله عزيز أي غالب لا يمتنع عليه شيء حكيم أي في جميع أفعاله وأحكامه روى البغوي بسنده
عن أبي ظبيان أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا
يسجد بعضهم لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد
لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قوله عز وجل الطلاق مرتان عن عروة بن الزبير قال كان الرجل إذا

طلق

طلق زوجته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك وإن طلقها ألف مرة فعمد رجل إلى امرأة فطلقها
حتى إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا آويك إلي ولا تحلين أبدا فأنزل الله الطلاق مرتان
فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق أو لم يطلق
أخرجه الترمذي وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها
وهي في العدة وإن طلقها مائة مرة أو أكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا أطلقك فتبيني مني ولا آويك أبدا
قالت وكيف ذلك قال أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على
عائشة فأخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان قالت عائشة فاستأنف
الطلاق مستقبلا من كان طلق ومن لم يكن طلق ومعنى الآية أن الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة إلا أن
تنكح زوجا آخر وهذا التفسير هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل
في معنى الآية أن التطليق الشرعي يجب أن يكون تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع
والإرسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال إن الجمع بين الثلاث حرام إلا أن أبا حنيفة قال يقع
الثلاث وإن كان حراما وقيل الآية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته والعدة
فيه زوجته والمعنى أن عدد الطلاق الذي لكم فيه رجعة على أزواجكم إذا كن مدخولا بهن تطليقتان
وأنه لا رجعة له بعد التطليقتين إن سرحها فطلقها الثالثة فإمساك بمعروف يعني بعد الرجعة وذلك
أنه إذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف في الشرع من أداء
حقوق النكاح وحسن الصحبة أو تسريح بإحسان يعني أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من
غير مضارة وقيل هو أنه إذا طلقها أدى إليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء
ولا ينفر الناس عنها فصل في فروع تتعلق بأحكام الطلاق الفرع الأول صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير
نية ثلاث الطلاق والفراق والسراح وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط الفرع الثاني
الحر إذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول فله أن يراجعها ما دامت في العدة فإن لم يراجعها لا ينكحها إلا بنكاح جديد بإذنها وإذن
وليها الفرع الثالث العبد يملك على زوجته الأمة تطليقتين واختلفوا فيما إذا كان أحد الزوجين حرا
فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة تطليقتين فالاعتبار بحال
الزوج في عدد الطلاق وبه قال الشافعي ومالك وأحمد وذهب أبو حنيفة إلى أن الاعتبار بالمرأة في
العدد فيملك على زوجته الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الأمة تطليقتين ولا يحل
لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن يعني أعطيتموهن شيئا يعني من مهورهن وغيره ثم استثنى الخلع
فقال إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي وقيل في حبيبة بنت
سهل الأنصارية كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام فأتت أباها
فشكت إليه زوجها وقالت إنه يسيء إلي ويضربني فقال ارجعي إلى زوجك فإني أكره للمرأة أن لا تزال
رافعة يديها تشكو زوجها فرجعت إليه الثانية وبها أثر الضرب فقال لها ارجعي إلى زوجك
فلما رأت أن أباها لا يشكيها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه زوجها وأرته آثارا
بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا أنا ولا هو فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت
فقال ما لك ولأهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الأرض أحب إلي منها غيرك فقال لها
ع ما تقولين فكرهت أن تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يا رسول الله
ولكني خشيت أن يهلكني فأخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت أحدثك حديثا ينزل
عليك خلافه هو أكرم الناس حبا لزوجته ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو فقال ثابت قد أعطيتها
حديقة فقل لها فلترد علي الحديقة وأخلي سبيلها فقال لها أتردين عليه حديقته وتملكين أمرك

قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما أعطيتها وخل سبيلها ففعل. عن ابن
عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب
عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام قال أبو عبد الله يعني لبغضه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أتردين عليه حديقته قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها
تطليقة. قولها ما أعتب عليه يعني ما أجد عليه والعتب الموجدة والحديقة البستان من النخل إذا كان
عليه الحائط. ومعنى قوله تعالى إلا أن يخافا أي يعلما الزوجان من أنفسهما ألا يقيما حدود الله والمعنى تخاف
المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها أنه إذا لم تطعه أن يعتدي عليها فنهى الرجل أن يأخذ من امرأته شيئا
مما أعطاها إلا أن يكون النشوز من قبلها وذلك أن تقول لا أطيع لك أمرا ولا أطأ لك مضجعا ونحو ذلك
وقرئ يخافا بضم الياء. ومعناه إلا أن يعلم ذلك من حالهما يعني القاضي والوالي فإن خفتم يعني فإن
خشيتم وقيل معناه فإن ظننتم ألا يقيما حدود الله يعني ما أوجب الله على كل واحد
منهما من طاعته فيما أمره به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع إلى المرأة وهو
سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها فلا جناح عليهما فيما افتدت به أي لا جناح على المرأة في
النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية فيما افتدت به نفسها وأعطت من المال لأنها ممنوعة
من إتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ من المال إذا أعطته المرأة طائعة راضية فصل
في حكم الخلع وفيه مسائل الأولى قال الزهري والنخعي وداود لا يباح الخلع إلا عند الغضب
والخوف من ألا يقيما حدود الله فإن وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد وحجة هذا القول
أن الآية نص صريح في أنه لا يجوز للزوج أن يأخذ من المرأة شيئا عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة
مخصوصة فقال إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة في أنه لا يجوز الأخذ في حالة
الغضب والخوف من أن لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء إلى أنه يجوز الخلع من غير نشوز ولا
غضب غير أنه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذي
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال إلى الله الطلاق أخرجه أبو داود ودليل
الجمهور على جواز الخلع من غير نشوز قوله فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا
فإذا جاز لها أن تهب مهرها من غير أن يحصل لها شيء فلأن يجوز ذلك في الخلع الذي تصير به
مالكة لنفسها أولى وأجيب عن الاستثناء المذكور في هذه الآية أنه محمول على الاستثناء المنقطع
المسألة الثانية الخلع جائز على أكثر مما أعطاها قاله أكثر العلماء. وقال قوم لا يجوز أن يأخذ
أكثر مما أعطاها وهو قول علي وبه قال الزهري والشعبي والحسن وعطاء وطاوس وقال سعيد بن المسيب
بل يأخذ دون ما أعطاها حتى يكون الفضل فيه له. وحجة الجمهور أن الخلع عقد معاوضة فوجب
أن لا يتقيد بمقدار معين كما أن للمرأة أن لا ترضى عند عقد النكاح إلا بالكثير فكذلك للزوج أن لا
يرضى عند الخلع إلا بالبذل الكثير لا سيما وقد أظهرت الاستخفاف بالزوج حيث أظهرت
بغضه وكراهته. المسألة الثالثة اختلف العلماء في الخلع هل هو فسخ أو طلاق فقال
الشافعي في الجديد إنه طلاق وهو الأظهر وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي
وعطاء وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري وبه قال أبو حنيفة ومالك وسفيان الثوري
وحجة القول القديم أن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة
فقال فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق أربعا
وحجة القول الجديد أنه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالإقالة في البيع وأيضا
لو كان الخلع فسخا فإذا خالعها ولم يذكر وجب أن يجب المهر عليه كالإقالة فإن الثمن يجب رده

فان لم يذكره

وإن لم يذكره فثبت أن الخلع ليس بفسخ وإذا بطل ذلك ثبت أنه طلاق وأيضا فإن الطلقة الثالثة قوله أو
تسريح بإحسان وفائدة الخلاف أنا إذا جعلناه طلاقا ينقص به عدد الطلاق فإن تزوجها كانت معه على طلقتين
وإن جعلناه فسخا كانت معه بثلاث. قوله تعالى تلك حدود الله يعني هذه أوامر الله ونواهيه وهي ما
تقدم من أحكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها وقوله فلا تعتدوها أي فلا
تجاوزوها ومن يتعد حدود الله أي يجاوزها فأولئك هم الظالمون قوله عز وجل فإن طلقها يعني الطلقة
الثالثة فلا تحل له من بعد أي لا يحل له مراجعتها بعد الطلاق الثلاث حتى تنكح زوجا غيره يعني تتزوج زوجا
آخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت في تميمة
وقيل في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي
فطلقها ثلاثا عن عائشة قالت جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
إني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل هدبة الثوب
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته
قولها فبت طلاقي أي قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب أي طرفه وهو كناية عن استرخاء
الذكر وقوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه وإنما
أنث العسل لأن من العرب من يؤنثه وقيل أنثه حملا على المعنى لأن المراد منه النطفة وعبد الرحمن الذي
هو عبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء. ويروى أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت إن زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الأول فلن أصدقك في
الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت أبا بكر فقالت يا خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم أرجع إلى زوجي الأول فإن زوجي الآخر قد مسني وطلقني فقال لها أبو بكر قد شهدت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين أتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي إليه فلما قبض أبو بكر أتت عمر وقالت له مثل
ما قالت لأبي بكر فقال لها لئن رجعت إليه لأرجمنك. فإن طلقها يعني الزوج الثاني بعد وطئها فلا جناح
عليهما أي المرأة والزوج الأول أن يتراجعا يعني بنكاح جديد إن ظنا أي علما وأيقنا وقيل إن رجوا
لأن أحدا لا يعلم ما هو كائن إلا الله تعالى أن يقيما حدود الله يعني يقيما بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة
وقيل معناه إن علما أن نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل فصل والذي ذهب إليه جمهور العلماء
أن المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلق منها بالثلاث إلا بشرائط وهو أن تعتد منه ثم تتزوج آخر ويطأها
ثم يطلقها ثم تعتد منه فإذا حصلت هذه الشرائط فقد حلت للأول إجماعا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن
المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الأول وهو الأصح واختلف العلماء في اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب أو بالسنة
على ثلاثة أقوال القول الثالث وهو الصحيح أنه ثبت بهما الثاني إذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للأول فهذا
نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك وأحمد وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل
والمحلل له أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وروي أنه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط
في النكاح أنه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل إذا طلقها وانقضت العدة غير أنه يكره إذا كان في
عزمه ذلك وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ودليل ذلك أن الآية دلت على أن الحرمة تنتهي بوطء مسبوق
بعقد وقد وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع أتى رجل إلى ابن عمر فقال إن رجلا طلق
امرأته ثلاثا فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للأول فقال لا إلا نكاح رغبة كنا نعد
هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون
يعلمون ما أمرهم به ونهاهم عنه وإنما خص العلماء لأنهم هم الذين ينتفعون بذلك البيان قوله عز وجل
وإذا طلقتم النساء نزلت في ثابت بن يسار رجل من الأنصار طلق امرأته حتى إذا قرب انقضاء عدتها
راجعها ثم طلقها يقصد بذلك مضارتها فبلغن أجلهن أي قاربن انقضاء عدتهن ولم يرد منه انقضاءها

ولم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها والبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ
فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق فيه اسم الكل على الاكثر وقيل ان الاجل اسم
للزمان فيحمل على الزمان الذي هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الرجعة
وعلى هذا التاويل فلا حاجة بنا الى المجاز فامسكوهن بمعروف اي راجعوهن بمعروف وهو ان تشهد على رجعتها
وان يراجعها بالقول لا بالوطء او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن
انفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا يضارونهن
ليفتدين المراة منه بمالها لتعتدوا اي لتظلموهن بمجاوزتكم في امورهن حدود الله التي بينها لكم
وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه
بمخالفة امر الله وتعرضها لعذاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي ما بين لكم من حلاله وحرامه
وامره ونهيه في وحيه وتنزيله فلا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا بل يجب عليه طاعة الله وطاعة
رسوله ثم وصل الله هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة فيما
تقدم ذكرها هذه واجبة تقترن بها عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان فمن خالف امرا من امور الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج
ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة جدهن جد
وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة اخرجه ابو داود والترمذي وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم
يعني بالايمان الذي انعم الله به عليكم فهداكم له وسائر نعمه التي انعم بها عليكم وما انزل عليكم اي واذكروا
نعمه فيما انزل عليكم من الكتاب يعني القرآن والحكمة يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ القرآن يعظكم به اي بالكتاب الذي انزله على
نبيه صلى الله عليه وسلم واتقوا الله اي خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان
الله بكل شيء عليم يعني ان الله تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى عليه
شيء من ذلك قوله عز وجل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن نزلت في معقل بن يسار وعضل اخته
جميلة وكانت تحت ابي البداح عاصم بن عدي فطلقها عن معقل بن يسار قال كان لي اخت فخطبت الي
وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له
رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الي
فمنعتها الناس وآثرتك بها فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها
فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحها ابدا قال ففي نزلت هذه الآية واذا طلقتم النساء
الخ فكفرت عن يميني وانكحتها اياه اخرجه البخاري وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها
زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان يراجعها فابى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها
الثانية وكانت المراة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الآية واراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن
اجلهن انقضاء العدة بخلاف الآية التي قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين
فلا تعضلوهن خطاب للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن ايها الاولياء فتمنعوهن من مراجعة ازواجهن
بنكاح جديد ان ينكحن ازواجهن اي تمنعوهن من ذلك العضل فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان
سبب الآية خاصا واصل العضل المنع والتضييق ومنه قول اوس بن حجر

وليس اخوك الدائم العهد بالذي ... يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائي اذا كنت آمنا ... وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا

يعني اذا ضاق الامر وفي الآية دليل للشافعي ومن وافقه في ان المراة لا تلي عقد النكاح ولا تاذن فيه
اذ لو كانت تلي ذلك لم يكن عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى وقوله اذا تراضوا بينهم

بالمعروف يعني اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل
هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة
ذلك اي ذلك الذي ذكر من النهي يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر يعني
ان المؤمن هو الذي ينتفع بالوعظ دون غيره ذلكم ازكى لكم واطهر يعني انه خير لكم واطهر
لقلوبكم والطيب عند الله والله يعلم يعني ما في ذلك من الزكاة والتطهير وانتم لا تعلمون
يعني ذلك قوله عز وجل والوالدات يعني المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن وقيل المراد بهن جميع الوالدات
سواء كن مطلقات او مزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه
ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله عليه يرضعن اولادهن هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات
يرضعن اولادهن في حكم الله الذي اوجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر ندب واستحباب
لان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها عليه ويدل على انه لا يجب على
الوالدة ارضاع الولد قوله فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة
وقال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وهذا نص صريح في ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل
ولم يقبل غير لبن امه وجب عليها كما يجب على كل احد مواساة المضطر فان رغبت الام في ارضاع
ولدها فهي اولى به من غيرها حولين كاملين الحول السنة واصله من حال يحول اذا انقلب وانما قال
كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول اقمت عند فلان حولين وان لم تستكملهما فبين الله انهما حولان
كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا التقدير بالحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعده
لمن اراد ان يتم الرضاعة فلما علق الاتمام بالارادة علمنا ان هذا الاتمام غير واجب فثبت ان
المقصود من هذا التقدير قطع النزاع قال ابن عباس في رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة
اشهر بين الزوجين في مقدار زمن الرضاعة فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع
قال ابن عباس في رواية عكرمة ان وضعت الولد لستة اشهر ارضعته حولين وان وضعته لسبعة
اشهر ارضعته ثلاثة وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين شهرا كل
ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالبي عنه هو حد لكل
مولود في اي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا باتفاق من الابوين فايهما اراد فطامه قبل
الحولين فليس له ذلك الا ان اتفقا عليه بدليل قوله تعالى فان ارادا فصالا عن تراض منهما وقيل
فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا منتهى
الرضاع لمن اراد اتمام الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الولد وما
يعيش به وعلى المولود له يعني الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للآباء ولذلك
ينسب الولد للاب دون الام قال بعضهم انما امهات الناس اوعية مستودعات وللآباء ابناء
وقيل ان هذا التنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه فكانه قال اذا ولدت المراة الولد
لاجل الرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه رزقهن اي طعامهن وكسوتهن اي لباسهن
بالمعروف اي على قدر الميسرة لا تكلف نفس الا وسعها اي طاقتها والمعنى ان ابا الولد لا يكلف في
الانفاق عليه وعلى امه الا قدر ما تتسع به مقدرته ولا يبلغ الاسراف العقدة لا تضار والدة بولدها
يعني لا ينزع الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه لا تكره الام على ارضاع
الولد وقبل الصبي لبن غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها ولا مولود له بولده يعني لا تلقي المراة
الولد الى ابيه وقد الفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب ان يعطي ام الولد اكثر مما يجب عليه
اذا لم يرضع الولد من غير امه فعلى هذا يرجع الضرار الى الوالدين والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد
بان يضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا يشفق عليه الاب او ينزعه من امه فيتضرر بذلك فعلى هذا

تكون الباء صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا اب ولده وعلى الوارث مثل ذلك وعلى وارث أبي
الولد اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه في القيام
بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه فعلى هذا على الوارث مثل ما
كان على ابي الصبي في حال حياته واختلف في اي وارث هو فقيل عصبة الصبي كالجد والاخ والعم
وابنه وقيل هو كل وارث من الرجال والنساء وبه قال احمد ويجبر وارث على نفقة الصبي على قدر
سهمه منه وقيل هو من كان ذا رحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة وقيل المراد بالوارث
الصبي نفسه فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة
الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة فان ارادا
يعني الوالدين فصالا يعني فطام الولد قبل الحولين لئلا يضر عن تراض منهما اي على اتفاق من الوالدين
في ذلك وتشاور اي بينهما ويرون اهل العلم بذلك حتى يخبروا ان الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد
والمشاورة استخراج الرأي لما فيه مصلحة فلا جناح عليهما اي فلا حرج ولا اثم على الوالدين في
الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم مراضع غير
امهاتهم اذا ابت امهاتهم ارضاعهم وتعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن او غير ذلك او اردن التزويج فلا
جناح عليكم اذا سلمتم يعني الى المراضع ما آتيتم يعني لهن من اجرة الرضاع وقيل
اذا سلمتم الى امهاتهم من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعت بالمعروف يعني بالاحسان والاجمال
امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع
بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن واتقوا الله يعني وخافوا الله فيما فرض عليكم
من الحقوق وفيما اوجب عليكم لاولادكم واعلموا ان الله بما تعملون بصير يعني لا تخفى عليه
خافية من جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها قوله عز وجل والذين يتوفون
يعني يموتون منكم واصل التوفي اخذ الشيء وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال توفي فلان
يعني قبض واخذ ويذرون ازواجا اي ويتركون ازواجا والمراد بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم
الزوج على الرجل والمرأة يتربصن اي ينتظرن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعني في عدة الوفاة
وانما قال عشرا بلفظ التأنيث لان العرب اذا ابهمت في العدد من الليالي والايام غلبوا الليالي على
الايام ان احدهم يقول صمت عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا اظهروا الايام
قالوا صمنا عشرة ايام وقيل ان هذه الايام ايام فسماها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه
الحكمة في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن امه لنصف مدة الحمل يعني يتحرك
وقيل ان الروح تنفخ في الولد في هذه العشرة ايام ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال حدثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم تكون نكتة
علقة مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا فيكتب رزقه واجله وعمله وشقي
او سعيد ثم ينفخ فيه الروح اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه فهذا الحديث يدل على ان خلق الولد يجتمع
في مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه فتنفخ الروح فيه في هذه الايام الزائدة

فصل

في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل المسألة الاولى عدة المتوفى
عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا وعدة الامة على نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام وبه
قال جمهور العلماء وقال ابو بكر الاصم عدة الامة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الاية وعدة الحامل
بوضع الحمل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج ويدل على
هذا ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن
شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما

تعلت من

تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال ما لي اراك
متجملة للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت
سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته
عن ذلك فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي فامرني بالتزوج ان بدا لي اخرجاه في الصحيحين وفيه
قال ابن شهاب ولا ارى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها حتى تطهر فعلى
هذا يكون حكم الاية عاما في كل من توفي عنها زوجها بان تعتد اربعة اشهر وعشرا ثم خص من هذا العموم
اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن المسألة الثانية يجب
على من توفي عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب ودهن الرأس بكل دهن والكحل المطيب فان
اضطرت الى كحل فيه زينة فقد رخص لها فيه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعي تكتحل به في الليل وتمسحه
بالنهار عن ام سلمة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي ابو سلمة وقد جعلت
علي صبرا فقال ما هذا يا ام سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه
فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء فانه خضاب قلت باي شيء امتشط
يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به راسك اخرجه ابو داود والنسائي قوله فانه يشب الوجه اي يوقده
ويحسنه وينوره من شب النار اذا اوقدها قوله تغلفين به راسك اي تلطخين به راسك والمغلف هو الغمرة
على وجه المرأة وكذا راسها اذا لطخته بشيء فاكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلي والمصبوغ
للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز لها لبس ما صبغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز ان تلبس البياض من
الثياب والصوف والوبر وعن زينب بنت ابي سلمة قالت دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت ام حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم
مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا م
عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد فوق ثلاث الا على
زوجها وعن ام عطية قالت كنا ننهى ان نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ولا نكتحل ولا
نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا من محيضها
في نبذة من كست اظفار قوله الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود الذي صبغ غزله
قبل النسج قوله نبذة من كست النبذة الشيء اليسير والكست لغة في القسط وهو شيء معروف يتبخر
به وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفر من الثياب
ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل ولا تطيب اخرجه ابو داود قوله ولا الممشقة هي
المصبوغة بالمشق وهي المغرة عن نافع ان صفية بنت ابي عبيد اشتكت عينها وهي حاد على زوجها
ابن عمر فلم تكتحل حتى كادت عيناها ان ترمصا اخرجه مالك في الموطأ المسألة الثالثة اختلفوا
في ان عدة الموت سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء
الايام في العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وذلك لا يحصل الا بالقصد الى
التربص ولا يحصل ذلك الا مع العلم وقال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت العدة او اكثرها
او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب ان تعتد بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة لا علم لها
يكفي في انقضاء عدتها هذه المدة المسألة الرابعة اجمع العلماء على ان هذه الاية ناسخة
لما بعدها من الاعتداد بالحول وان كانت هذه الاية متقدمة في التلاوة وسنذكر الكلام عليه
بعد في موضعه ان شاء الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا
جناح عليكم خطاب للاولياء لانهم هم الذين يتولون العقد فيما فعلن في انفسهن بالمعروف

يعني من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل إنما
عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج أصحاب أبي حنيفة
على جواز النكاح بغير ولي بهذه الآية لأن إضافة الفعل إلى الفاعل محمول على المباشرة وأجاب أصحاب الشافعي
بأن قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للأولياء ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا وأجيب عن قوله فيما
فعلن في أنفسهن إنما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لا أنها تزوج بنفسها والله بما تعملون خبير
يعني أنه تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير في صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشيء وحقيقته من غير شك
والخبير في صفة المخلوق إنما يستعمل في نوع من العلم وهو الذي يتوصل إليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى
منزه عن ذلك ولا جناح أي لا حرج عليكم فيما عرضتم به أي لوحتم وأشرتم به والتعريض ضد التصريح
ومعناه أن يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن إشعاره بجانب
المقصود أتم وأرجح وقيل هو الإشارة إلى الشيء بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل
التعريض من الكلام ما له ظاهر وباطن من خطبة النساء يعني المعتدات في عدة الوفاة والخطبة بالكسر
طلب النكاح والتماسه وقيل ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له أول وآخر ومعنى الآية فيما
عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو يقول إنك لجميلة وإنك
لصالحة ومن غرضي التزويج وإني فيك لراغب وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام
الموهم من غير تصريح بأن يقول إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ما روي
عن ابن عباس في قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو أن يقول إني أريد التزويج وإن النساء لمن حاجتي
ولوددت أنه تيسر لي امرأة صالحة أخرجه البخاري وروي أن سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها أبو
جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي
علي وقدمي في الإسلام فقالت سكينة غفر الله لك أتخطبني في العدة وأنت يؤخذ عنك فقال إنما أخبرتك
بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في عدة زوجها
فذكر لها منزلته عند الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده صلى الله عليه وسلم من شدة
تحامله عليها فما كانت تلك خطبة أو أكننتم يعني أضمرتم في أنفسكم يعني من نكاحهن وقيل
هو أن يدخل ويسلم ويهدي إن شاء ولا يتكلم بشيء والمقصود أنه لا حرج عليكم في التعريض للمرأة
في عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل في نفسه من الرغبة فيها علم الله أنكم ستذكرونهن يعني بقلوبكم
لأن شهوة النفس والتمني لا يخلو منه أحد فلما كان هذا الخاطر كالشيء الشاق أسقط عنه الحرج
ولكن لا تواعدوهن سرا اختلفوا في معنى هذا السر المنهي عنه فقيل هو الزنى كان الرجل يدخل على
المرأة بحرمة النكاح ومراده الزنى يقول لها دعيني فإذا وفيت عدتك أظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك
وقيل هو قول الرجل للمرأة لا تفوتيني بنفسك فإني ناكحك وقيل هو أن يأخذ عليها العهد والميثاق أن لا
تتزوج غيره وقيل هو أن يخطبها في العدة وقال الشافعي السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال
الكلبي لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على أن لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس
ألا زعمت بسباسة القوم أنني كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي بسباسة اسم امرأة وإنما وقع الكناية
عن الجماع بالسر لأنه مما يسر والله تعالى حيي كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الآية لا تواعدوا
عدوهن مواعدة سرية ولا تواعدوهن بالشيء الموصوف بالسر وقيل في معنى الآية إن الله تعالى أذن في أول
الآية في التعريض في الخطبة ومنع في آخرها عن التصريح بالخطبة وقيل هو إعلام ولي المرأة أنه
راغب في نكاحها إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب
أجله أي لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى تنقضي وإنما سماها الله كتابا لأنه فرضه
واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه أي فخافوه واعلموا أن الله غفور حليم لا يعجل

بالعقوبة

بالعقوبة على من جاهره بالمعصية بل يستر عليه قوله عز وجل لا جناح عليكم إن طلقتم النساء
ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعني ولم تبينوا لهن
صداقا ولم توجبوا عليكم نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم
طلقها قبل أن يمسها فنزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتعها ولو بقلنسوتك
فإن قلت هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فما وجه
نفي الحرج عنه والجناح عنه قلت فيه تسبب قطع الوصلة وما جاء في الحديث أن أبغض الحلال إلى الله
الطلاق فنفى الله الجناح عنه إذا كان الفراق أروح له من الإمساك وقيل معناه لا جناح عليكم في تطليقهن
قبل المسيس في أي وقت شئتم حائضا كانت المرأة أو طاهرا لأنه لا سنة في طلاقهن قبل الدخول ومتعوهن
أي أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد على الموسع أي الغني الذي
يكون في سعة من غناه قدره أي قدر إمكانه وطاقته وعلى المقتر أي الفقير الذي هو في ضيق من فقره
قدره أي قدر إمكانه وطاقته متاعا بالمعروف يعني متعوهن تمتيعا بالمعروف يعني من غير ظلم ولا حيف
حقا أي ذلك التمتيع حقا واجبا لازما على المحسنين يعني إلى المطلقات بالتمتيع وإنما خص المحسنين بالذكر
لأنهم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من أراد أن يكون من المحسنين فهذا شأنه وطريقه والمحسن هو
المؤمن فصل في بيان حكم الآية وفيه فروع الأول إذا تزوج امرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل
المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وقال مالك المتعة مستحبة ولو
طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب لها عليه نصف المهر المفروض ولا متعة لها عليه الفرع
الثاني المطلقة المدخول بها فهل لها متعة أم لا فيه قولان فقال في القديم لا متعة لها لأنها تستحق المهر كاملا وبه قال أبو
حنيفة وهو إحدى الروايتين عن أحمد وقال في الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف
وهو الرواية الأخرى عن أحمد وقال ابن عمر لكل مطلقة متعة إلا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها
فحسبها نصف المهر الفرع الثالث في قدر المتعة قال ابن عباس أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة
أثواب درع وخمار وإزار وأقلها وزن الكوفاية أو مقنعة أو شيء من الورق وهو مذهب الشافعي لأنه
قال أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها ما له ثمن وحسن ثلاثون درهما وروي أن عبد الرحمن
ابن عوف طلق امرأته ومتعها يعني متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن علي زوجته بعشرة آلاف درهم
فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال أبو حنيفة مبلغها إذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا
يجاوز وقال أحمد في إحدى الروايتين عنه تتقدر بما تجزئ فيه الصلاة وقال في الرواية الأخرى تتقدر بتقدير الحاكم
والآية تدل على أن المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وأنه مفوض إلى الاجتهاد لأنها كالنفقة التي
أوجبها الله تعالى للزوجات وبين أن حال الموسر تخالف حال المعسر في ذلك الفرع الرابع من حكم
الآية أن من تزوج امرأة بالتفويض برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بأن يفرض لها صداقا فإن
دخل بها قبل الفرض والدخول فلها المتعة قوله عز وجل وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن يعني تجامعوهن
وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله
تعالى وقد فرضتم لهن فريضة أي سميتم لهن مهرا فنصف ما فرضتم أي فلهن نصف المهر المسمى
ومذهب الشافعي أن الخلوة من غير مسيس لا توجب إلا نصف المهر المسمى لأن المسيس إنما حقيقته
في المس باليد وجعل كناية عن الجماع وهو أيضا كان وقع وجه الطلاق قبله وقال أبو حنيفة الخلوة
الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة أن يخلو بها وليس هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي
نحو الرتق والقرن أو يكون معهما ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض
والإحرام وسواء كان فرضا أو نفلا والآية حجة لمذهب الشافعي قال شريح لم أسمع الله ذكر
في كتابه بابا ولا سترا إن زعم أنه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس في رجل أخلى بها ولم

يمسها فلها نصف المهر فرع لو مات احد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها
العدة ان كان الزوج هو الميت وقوله تعالى الا ان يعفون يعني النساء المطلقات والمعنى الا ان تترك
المراة نصيبها من الصداق فيتركه للزوج فيعود جميع الصداق للزوج او يعفو الذي بيده عقدة
النكاح فيه قولان احدهما ان الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس
والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني ان الزوج
وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد
والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد
واحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الاية الا ان تعفو المراة اذا كانت ثيبا بالغة من اهل
العفو عن نصيبها للزوج او يعفو وليها اذا كانت المراة بكرا صغيرة او غير جائزة التصرف فيجوز
عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون بكرا صغيرة ويكون الولي
ابا او جدا لان غيرهما لا يجوز العفو عن الصغيرة وعلى القول الثاني الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج ومعنى هذا
القول الظاهر والواضح فيكون معنى الاية او يعفو الذي بيده عقدة النكاح لحق الزوج فيعطي
المراة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المراة عن النصف الواجب لها ذكر عفو الزوج
عن النصف الساقط عنه فيحسن للمراة ان تعفو ولا تطالبه بشيء من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفي لها
المهر كاملا وروي ان جبير بن مطعم تزوج امراة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال
انا احق بالعفو ولان المهر حق المراة فليس لوليها ان يهب من مالها شيئا فكذلك المهر لانه مال لها
وان تعفوا اقرب للتقوى هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هي
الاصل والتانيث فرع عنه والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال والنساء اقرب الى حصول التقوى وقيل
هو خطاب للزوج وليعف الزوج فيترك حقه الذي يعود من المهر اليه قبل الطلاق فهو اقرب للتقوى
ولا تنسوا الفضل بينكم يعني ليتفضل بعضكم على بعض فيعطي الرجل الصداق كاملا او تترك المراة
نصيبها الصداق وجميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق ان الله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه شيء
من ذلك قوله عز وجل حافظوا اي داوموا وواظبوا على الصلوات يعني الخمس المكتوبات امر الله
عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها واتمام اركانها
وفعلها في اوقاتها المختصة بها والصلاة الوسطى تانيث الاوسط ووسط كل شيء خيره واعدله
وقيل الوسطى يعني الفضلى من قولهم للافضل اوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها
بالفضل وقيل انما سميت الوسطى لانها اوسط الصلوات محلا فصل في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة
الوسطى وقد اختلف العلماء من الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى على مذاهب الاول ان الصلاة الوسطى
هي صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والربيع
ابن انس وبه قال مالك والشافعي ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان علي بن ابي طالب وابن عباس كانا
يقولان الصلاة الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك في الموطا واخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن
عمر تعليقا ولانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب والعشاء يجمعان
وهما صلاتا الليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها ولانها تاتي في وقت مشقة بسبب برد
الشتاء وطيب النوم في الصيف وفتور الاعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت
بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان الله تعالى قال عقيبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام
وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان
مشهودا يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل
وديوان حفظة النهار وذلك يدل على مزيد فضلها المذهب الثاني انها صلاة الظهر وهو قول زيد
بن ثابت

ابن ثابت واسامة بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية عن عائشة وبه قال عبد الله بن شداد وهو رواية عن
ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت وعائشة قالا الصلاة الوسطى صلاة الظهر اخرجه مالك
في الموطا عن زيد والترمذي عنهما تعليقا واخرجه ابو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر
تاتي وسط النهار وفي شدة الحر ولانها تاتي بين البردين صلاة الفجر وصلاة العصر المذهب
الثالث انها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وابي ايوب وابي هريرة وابن عمر وابن عباس وابي سعيد
الخدري وعائشة وهو قول عبيدة السلماني والحسن البصري وابراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي
ومقاتل وبه قال ابو حنيفة واحمد وداود وابن المنذر وهو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من
اصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الاحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة
هذا المذهب ما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية يوم الخندق ملا
الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن
الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد
في اخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء اخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود قال حبس المشركون رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس واصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله اجوافهم وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم وقبورهم
نارا عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر اخرجه
الترمذي وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح عن ابي يونس مولى عائشة قال
امرتني عائشة ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الاية فاذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى
فلما بلغتها اذنتها فاملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عائشة
سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى عن حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تاتي وقت اشتغال
الناس بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها اولى ولانها تاتي بين صلاتي نهار وهما الفجر والظهر وصلاتي
ليل وهما المغرب والعشاء وقد خصت بمزيد التاكيد والامر بالمحافظة والتغليظ لمن ضيعها ويدل على ذلك
ما روي عن ابي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله اخرجه البخاري قوله بكروا بصلاة العصر اي قدموها في
اول وقتها عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلاة العصر فكانما وتر اهله
وماله قوله وتر اي نقص وسلب اهله وماله فبقي فردا بلا اهل ولا مال ومعنى الحديث ليكن حذره
من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب اهله وماله المذهب الرابع انها صلاة المغرب قاله قبيصة
ابن ذويب ووجه هذا المذهب ان صلاة المغرب تاتي بين بياض النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين
كما في الصبح واقل من اربع كما في الظهر والعصر وهي وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتداء
جبريل كان بها واذا كانت الظهر اول الصلوات كانت المغرب هي الوسطى المذهب الخامس انها
صلاة العشاء ولم ينقل عن احد من السلف فيها شيء وانما ذكرها بعض المتاخرين ووجه هذا
المذهب انها متوسطة بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولانها اثقل صلاة على المنافقين
المذهب السادس ان الصلاة الوسطى احدى الصلوات الخمس لا بعينها لان الله تعالى امر بالمحافظة على
الصلوات الخمس ثم عطف بالصلاة الوسطى وليس في الاية ما يدل على تعيينها واذا كان كذلك امكن ان يقال
في كل واحدة من الصلوات الخمس انها هي الوسطى فابهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد
تحريضا لهم بالمحافظة على اداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب اخفى الله

تعالى ليلة القدر في شهر رمضان واخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في جميع اسمائه
ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلماء قال محمد بن سيرين سال رجل زيد بن ثابت عن الصلاة
الوسطى فقال حافظ على الصلوات كلها تصبها وسال الربيع بن خثيم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل
الوسطى واحدة منهن حافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال ارايت لو علمتها بعينها اكنت محافظا
عليها ومضيعا سائرهن قال السائل لا فقال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى
والصحيح من هذه الاقوال قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصح الاقوال كلها انها العصر
للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى اعلم وقوله وقوموا لله قانتين اي كافين عن غير عبادة
عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز من ايقاع الخلل في اركانها وسننها قيل لكل اهل دين صلاة يقومون
فيها عاصين فقوموا انتم لله في صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر بدليل انه هو قانت
واما من المحافظة على الصلوات فوجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء بمعنى الاية
وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت بصلاة الصبح والوتر لبيان المعنى وقيل القنوت هو
السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم في الصلاة
يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا
عن الكلام اخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه ما روي عن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم ومن القنوت ايضا طول الركوع
والسجود وغض البصر والهدوء في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام احدهم
يصلي يهاب الرحمن ان يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشيء او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا الا
ناسيا قوله عز وجل فان خفتم فرجالا او ركبانا يعني على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم
يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع
لخوف عدو او غيره فصلوا مشاة على ارجلكم او ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير
مستقبليها وهذا في حال القتال وهو المراد بهذه الاية وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في
سورة النساء في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسياتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى
في موضعه فاذا التحم القتال ولم يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على الدواب
ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومئون بالركوع والسجود ويكون السجود اخفض
من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر
الصلاة واحتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق وصلى الظهر والعصر والمغرب
بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتداء به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الاية واجيب
عن تاخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف انما نزلت
بعد ولما نزلت صلاة الخوف لم يؤخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة فهي اما في الخوف الحاصل
لا في القتال بل بسبب اخر كالهارب من العدو او من سبع هائج او غريم يخاف على
نفسه الهلاك لو صلى صلاة الامن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو لان قوله تعالى
فان خفتم مطلق يتناول الكل فان قلت قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل على ان المراد منه
خوف العدو وحال القتال قلت هو كذلك الا انه هناك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود
هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك ها هنا وروي عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم
صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل
بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك وابراهيم
واسحاق بن راهويه قالوا يصلي في حال شدة الخوف وفي الحضر وجب عليه ان يصلي اربع ركعات

جمع راجل

ركعة وقال الجمهور ان الخوف

وان كان

وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتأولوا حديث ابن عباس
على ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى ياتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة
صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا التاويل الجمع بين الاحاديث وقوله
تعالى فاذا امنتم يعني من خوفكم فاذكروا الله يعني فصلوا لله الصلوات الخمس تامة باركانها وسننها
كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون فيه اشارة الى انعام الله علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا
لم نعلم شيئا ولم نصل الى معرفة شيء فله الحمد على ذلك قوله عز وجل والذين يتوفون منكم يعني يا معشر
الرجال ويذرون ازواجا يعني زوجات وصية لازواجهم قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع
على معنى كتب عليكم الوصية متاعا الى الحول اي متعوهن متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها
وما تحتاج اليه غير اخراج اي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الاية في رجل من اهل الطائف يقال له حكيم
ابن الحارث هاجر الى المدينة ومعه ابواه وامراته وله اولاد فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله هذه الاية فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه ولم يعط
امراته شيئا وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل
اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وكسوتها وسكناها
واجبة في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شيء ولكنها تكون مخيرة ان شاءت اعتدت في بيت
زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها سكنى ولا نفقة وكان يجب على
الرجل ان يوصي بذلك فنزلت هذه الاية على مجموع امرين احدهما ان لها النفقة والسكنى من مال زوجها سنة
والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ باية
الميراث فجعل لها الربع او الثمن عوضا عن النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشر ايام
فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية المتقدمة متقدمة في التلاوة
ومتاخرة في التنزيل كقوله تعالى فان خرجن فلا جناح عليكم يعني يا معشر اولياء الميت فيما فعلن في
انفسهن من معروف يعني التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة وجهان احدهما انه لا جناح عليكم
في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج
لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها ولها النفقة
والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله ذلك باربعة اشهر وعشر والله عزيز
اي غالب قوي في انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده حكيم يعني فيما شرع من الشرائع
وبين من الاحكام قوله عز وجل وللمطلقات متاع بالمعروف انما اعاد الله ذكر المتعة هنا لزيادة
معنى وهو ان في غير تلك الاية بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الاية بيان حكم جميع المطلقات
في المتعة وقيل انه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل
من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل
المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى كذلك يبين الله لكم آياته يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم
ازواجكم ايها المؤمنون من حقكم احكامي والحق الذي يجب لبعضكم على بعض في هذه الايات كذلك
ابين لكم سائر احكامي في اياتي التي انزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب لعلكم تعقلون
اي لكي تعقلوا ما بينت لكم من الفرائض والاحكام وما فيه قوام حكم وصلاح دينكم قوله عز وجل الم تر
الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فخرجت
طائفة منها وبقيت طائفة فسلم الذين خرجوا وهلك اكثر من بقي في القرية فلما ارتفع الطاعون
رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين بقوا كان اصحابنا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا
كما بقوا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء بها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة

أن أهلها خرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة فناداهم ملك من
أسفل الوادي وملك آخر من أعلاه أن موتوا فماتوا جميعا وأن عمر خرج إلى الشام فلما جاء سرغ
بلغه أن الوباء قد وقع بها فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا
سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه فحمد الله
عمر ثم انصرف وقيل إنما فروا من الجهاد وذلك أن ملكا من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى
قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم إن الأرض التي تأتيها
بها الوباء فلا نخرج حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما رأى
الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم
حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم فماتوا
وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم
فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع فذلك قوله تعالى ألم تر إلى
تعلم يا محمد بإعلامي إياك وهو من رؤية القلب قال أهل المعاني هو تعجيب له يقول هل رأيت مثل
هؤلاء كما تقول ألم تر إلى ما يصنع فلان وكل ما في القرآن من قوله ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم
فهذا معناه قوله تعالى وهم ألوف قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثمانية آلاف معناه
وقيل عشرة آلاف وقيل بضع وثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وأصح الأقوال قول من قال
إنهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لأن الله تعالى قال وهم ألوف والألوف جمع الكثير وجمع القليل
آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤتلفون جمع آلف والأول أصح قال الواحدي فأتى عليهم مدة فبليت أجسادهم
وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذي وهو ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى وذلك أن القيم
بأمر بني إسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كان من بعده كالب بن يوفنا ثم قام من بعده حزقيل يوشع
وكان يقال له ابن العجوز لأن أمه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعدما كبرت وعقمت فوهبه
لها حزقيل ويقال له ذو الكفل سمي به لأنه تكفل بسبعين نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل على الله
هؤلاء الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم فأوحى الله تعالى إليه أتريد أن أريك آية قال نعم يا رب
فأحياهم الله تعالى وقيل دعا ربه حزقيل أن يحييهم فأحياهم الله تعالى وقيل إنهم كانوا قوم حزقيل
الله تعالى بعد ثمانية أيام وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب
كنت في قوم يحمدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فأوحى الله إليه أني قد جعلت حياتهم إليك
فقال حزقيل احيوا بإذن الله فعاشوا وقاموا وقيل إنه قال احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا إله
إلا أنت ثم رجعوا إلى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا
إلا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس وإنها لتوجد اليوم
تلك الريح في ذلك السبط من اليهود وقال قتادة مقتهم الله تعالى على فرارهم من الموت فأماتهم
عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا آجالهم ولو جاءت آجالهم لما بعثوا فإن قلت بقية
كيف أميت هؤلاء مرتين في الدنيا ونص قال الله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى قلت
إن موتتهم كانت عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل إن موتتهم وإحياءهم معجزة من معجزات ذلك
النبي ومعجزات الأنبياء خوارق للعادات فخوارق العادات لا يقاس عليها غيرها فيكون تقدير قوله
إلا الموتة الأولى على مخصوص لمعجزات الأنبياء فيكون تقدير قوله إلا الموتة الأولى لغير من
معجزات الأنبياء ولا من خوارق العادات وفي هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا
صلى الله عليه وسلم حيث أخبرهم بأمر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على
منكري البعث أيضا إذ قد أخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره أنه أماتهم ثم أحياهم في الدنيا فهو
تعالى قادر

تعالى قادر على أن يحييهم يوم القيامة وقوله تعالى حذر الموت أي مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل
إنهم أمروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت فقال لهم الله موتوا يحتمل أنهم ماتوا عند قوله تعالى
موتوا ويحتمل أن يكون ذلك أمر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين ثم أحياهم يعني بعد موتهم
إن الله لذو فضل على الناس يعني أن الله تعالى تفضل على أولئك الذين أماتهم فأحياهم لأنهم ماتوا على
معصية فتفضل عليهم بإعادتهم إلى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم فهو تعالى متفضل على كافة الخلق
في الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة ولكن أكثر الناس لا يشكرون يعني أن أكثر من أنعم الله
عليه لا يشكره أما الكافر فإنه لم يشكره أصلا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره قوله عز وجل
وقاتلوا في سبيل الله قيل هو خطاب للذين أحياهم الله لما أمرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه إضمار
تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا
من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض للمؤمنين على الجهاد واعلموا أن الله سميع
يعني لما يقول المتعلل للقتال عليم بما يضمره قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض
اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم
به من الثواب لأنهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ قال أمية بن
الصلت كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا أو سيئا ومدينا كالذي دانا وأصل القرض في اللغة
القطع سمي به لأن المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع إليه مثله ومعنى الآية من ذا الذي يقدم
إلى الله ما يرجو ثوابه عنده وهو تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده إلى أعمال البر والطاعة وقيل
في الآية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله إن الذين يؤذون الله
أي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف أطعمك
وأنت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك
عندي الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الإنفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة
الواجبة وقيل صدقة التطوع لأن الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون إلا تبرعا ولما روى الطبري بسنده
عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال أبو الدحداح وإن الله يريد منا القرض
قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الدحداح قال ناولني يدك فناوله يده قال فإني قد أقرضت ربي
حائطي فيه ستمائة نخلة ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها فناداها يا أم
الدحداح قالت لبيك قال اخرجي من الحائط فإني قد أقرضته لربي زاد غيره فقال النبي صلى الله
عليه وسلم كم من عذق رداح لأبي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله أي ينفق في طاعته فيدخل فيه
الواجب والتطوع وهو الأقرب حسنا يعني محتسبا طيبة بها نفسه وقيل هو الإنفاق من المال
الحلال في وجوه البر وقيل هو أن لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء
ولا سمعة فيضاعفه له يعني ثواب ما أنفق أضعافا كثيرة وقيل هو يضاعفه الواحد بسبعمائة
ضعف وقال السدي هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله تعالى وهذا هو الأصح وإنما أبهم الله ذلك
لأن ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط قيل يقبض بإمساك
الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط يعني يوسع على من يشاء وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط
بالخلف والثواب وقيل إنه تعالى لما أمرهم بالصدقة وحثهم على الإنفاق أخبر أنه لا يمكنهم
ذلك إلا بتوفيقه وإرادته تعالى والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر على الإنفاق
في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعات والإنفاق في البر كما روى
عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن قلوب بني آدم

[illegible]

بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء. ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث
الصفات التي يجب الايمان بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه
ولا اثبات جارحة هذا مذهب اهل السنة وسلف هذه الامة **واليه ترجعون** يعني في الاخرة
فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل **الم تر الى الملإ من بني اسرائيل** الملأ اشراف القوم ووجوههم
واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط **من بعد موسى** اي من بعد موت موسى
او من بعد زمنه **اذ قالوا** يعني اولئك الملأ **لنبي لهم** اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع
ابن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بنت علقمة من ولد لاوي بن
يعقوب وانما سمي شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما
فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتقلب السين بالعبرانية شينا وقال اكثر المفسرين
هو اشمويل بن مالك وقيل هو ابن هلقانا قيل انه من ولد هارون وفي معرفة حقيقة ذلك النبي بعينه
لبعث مراد لان القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل لذكر اشارة القصة
كان سبب مسئلة اولائك الملأ لذلك النبي انه لما مات موسى عليه السلام وخلف من بعده في بني
اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم امر الله تعالى ويحكم بالتورية حتى قبضه الله وخلف تعالى فعظمت
الاحداث بعده في بني اسرائيل ونسوا عهد الله تعالى حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس
نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما
نسوا من التورية ويامرهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شاء
الله ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له
البلثاثا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة
فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم
اربعمائة واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة
ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امراة حبلى فحبسوها في بيت
رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام فولدت غلاما لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت
المراة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعربية اسماعيل
تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام اسلمته لتعليم التورية في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم
وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جنب الشيخ وكان الشيخ لا يامن
عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه اتيتك
لم تدعوني فقال نم ما دعوتك ولا تفتني فلما كان الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له
اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له
استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اية
على نبوتك وانما كان قوام بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبيائهم وكان
الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده وياتيه بالخبر
من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت
والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم **ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** جزم
على جواب الامر فلما قالوا له ذلك **قال** يعني قال النبي **هل عسيتم** هذا استفهام شك
لعلكم **ان كتب** اي فرض **عليكم القتال** يعني مع ذلك الملك **الا تقاتلوا** يعني الا تفوا بما قلتم
وتجبنوا عن القتال معه **قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله** فان قلت ما وجه دخول

أن والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل كذا ولا عن تقول ما لك لا تفعل كذا قلت له دخول أن وخروجها فيما العتاق
فصيحتان فمع الإثبات كقوله ما لك أن لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله ما لكم لا تؤمنون وقيل
معناه وما لنا في أن لا نقاتل فحذف حرف الجر وقيل أن هاهنا زائدة ومعناه وما لنا لا نقاتل في حرف
الجر في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم
فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لأن الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم
وأبنائهم وإنما أخرج منهم من أسر منهم ومعنى الآية أنهم قالوا لنبيهم إنما كنا تركنا الجهاد لأنا
كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فأما إذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا
ونمنع نساءنا وأولادنا قال الله تعالى فلما كتب عليهم القتال في الكلام حذف وتقديره فسأل
الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم القتال تولوا أي أعرضوا
عن الجهاد وضيعوا أمر الله إلا قليلا منهم يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع
طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سيأتي في قصتهم إن شاء الله تعالى والله عليم بالظالمين
يعني هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف أمر ربه ولم يف بما قال قوله عز وجل وقال لهم نبيهم
إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا وذلك أن أشمويل سأل الله عز وجل أن يبعث لهم ملكا فأتي
بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له إن صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا
وانظر إلى هذا القرن الذي فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني إسرائيل
فادهن رأسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعبرانية شاول بن قيس من سبط بنيامين
ابن يعقوب وإنما سمي طالوت لطوله وكان أطول من جميع الناس برأسه ومنكبيه وكان طالوت
رجلا دباغا يعمل الأديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه
وقال وهب بل تفلتت حمر لأبي طالوت فأرسله أبوه ومعه غلام في طلبها فمر على بيت أشمويل النبي
فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا أو ليدعو الله فدخلا
عليه فبينما هما عنده يذكران له حاجتهما إذ نش الدهن في القرن فقام أشمويل فقاس طالوت
بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب رأسك فقربه إليه فدهنه بدهن القدس وقال له أنت
ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملكك عليهم فقال طالوت وما علمت أن سبطي أدنى أسباط
بني إسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره فكان كذلك ثم قال
لبني إسرائيل إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل إنه جلس عنده وقال أيها الناس إن الله ملك
طالوت فأتى عظماء بني إسرائيل إلى نبيهم أشمويل وقالوا له ما شأن طالوت تملك علينا وليس
هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت أن النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط
يهوذا بن يعقوب فقال لهم نبيهم أشمويل إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له
الملك علينا أي من أين يكون له الملك وكيف يستحقه ونحن أحق بالملك منه إنما قالوا
ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط يهوذا بن يعقوب ومنه
كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما وإنما كان من سبط بنيامين بن
يعقوب فلهذا السبب أنكروا كونه ملكا لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه ثم أكدوا ذلك
بقوله ولم يؤت سعة من المال يعني أنه فقير والملك يحتاج إلى المال قال يعني أشمويل
النبي إن الله اصطفاه عليكم يعني اختاره عليكم وخصه بالملك وفي هذه الآية دليل على بطلان
قول من زعم من الشيعة أن الإمامة موروثة وذلك لأن بني إسرائيل أنكروا أن يكون ملكهم من لا
يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم وأعلمهم أن هذا اشتراط فاسد واستحق الملك من خصه
الله به وزاده بسطة أي فضيلة وسعة في العلم وذلك أنه كان أعلم بني إسرائيل

وقيل إنه

وقيل إنه أوحي إليه حين أوتي الملك وقيل هو العلم في الحرب والجسم يعني بالطول وذلك أنه كان أطول [illegible]
الناس برأسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان طالوت من أجمل بني إسرائيل وقيل المراد به القوة لأن العلم
بالحروب والقوة فضل على الأعداء مما فيه صلاح المملكة والله يؤتي ملكه من يشاء يعني أن الله تعالى
لا اعتراض عليه لأحد في فعله فيختص بملكه من يشاء من عباده والله واسع يعني أن الله تعالى واسع
الفضل والرزق فإذا أعطى الملك فتح الله عليه أبواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل
الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى عليم يعني أنه تعالى مع قدرته على إغناء الفقير عالم
بما يحتاج إليه في تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان قوله عز وجل وقال لهم نبيهم
إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت وذلك أنهم قالوا لأشمويل النبي فما آية ملكه فقال إن
آية ملكه أن يأتيكم التابوت وكانت قصة التابوت على ما ذكره علماء السير والأخبار أن الله تعالى
أنزل على آدم تابوتا فيه صورة الأنبياء عليهم السلام وكان تابوتا من خشب الشمشار طوله
ثلاثة أذرع في عرض ذراعين فكان عند آدم ثم صار إلى شيث ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ
إبراهيم عليه السلام ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر أولاده ثم صار إلى يعقوب ثم كان في بني
إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة وكان في التوراة ما ذكره الله
تعالى وهو قوله فيه سكينة من ربكم واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي بن أبي طالب هي ريح
خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان وقال مجاهد هي شيء يشبه الهرة له رأس كرأس
الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان من زمرد وزبرجد وكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا النصر
فكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فإذا سار ساروا وإذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هي
طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء وقال وهب هي روح من الله تعالى تتكلم إذا
اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبي رباح هي ما يعرفون من الآيات التي
يسكنون إليها وقال قتادة والكلبي هي فعيلة من السكون أي طمأنينة من ربكم ففي أي مكان كان التابوت
اطمأنوا وسكنوا إليه وهذا القول أولى بالصحة فعلى هذا كل شيء كانوا يسكنون إليه فهو سكينة ولم
يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف آخر قوله تعالى وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ونبي
تحمله الملائكة يعني موسى وهارون أنفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري
لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وهو داود نفسه واختلفوا في تلك البقية التي ترك ١٠ آل
آل موسى وآل هارون فقيل رضاض من الألواح وعصا موسى قاله ابن عباس وقيل عصا موسى وعصا
هارون وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل وكان التابوت عند بني إسرائيل يتوارثونه
قرنا بعد قرن وكانوا إذا اختلفوا في شيء تحاكموا إليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا إذا حضر
القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فينتصرون فلما عصوا وأفسدوا سلط الله
عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وأخذوه منهم وكان السبب في ذلك أنه كان لعيلي
وهو الشيخ الذي ربى أشمويل ابنان شابان وكان عيلي حبر بني إسرائيل وصاحب قربانهم في زمنه
فأحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن فيه وذلك أنه كان لمسوط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين الذهب
فما أخرجا كان للكاهن الذي يسوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في بيت المقدس
فيتشبثان بهن فأوحى الله إلى أشمويل أن انطلق إلى عيلي وقل له منعك حب الولد من أن تزجر
ابنيك عن أن يحدثا في قرباني وقد عصياني فلأنزعن الكهانة منك ومن ولدك ولأهلكنك
وإياهما فأخبره أشمويل بذلك ففزع وسار العدو إليهم من حولهم فأمر عيلي ابنيه أن يخرجا
بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تهيئوا للقتال جعل عيلي يتوقع
الخبر فجاءه رجل فأخبره أن الناس قد انهزموا وقد قتل ابناك قال فما فعل التابوت قال ذهب به العدو

العدو

وكان عيلي قاعدا على كرسيه فسقط ووقع على قفاه فمات فمرج امر بني اسرائيل الى ان بعث الله طالوت
ملكا فسألوا شمويل البينة على صحة ملك طالوت وقال لهم نبيهم يعني شمويل ان آية ملكه يعني علامة ملكه
ان يأتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ما ذكره اصحاب الاخبار ان
الذين اخذوا التابوت من بني اسرائيل اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه في بيت
اصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه
وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه فاصبح الصنم ملقى تحت
التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم
فاخذ اهل تلك الناحية وجع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بني
اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك الناحية فارا وكانت
الفارة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد اكلت ما في جوفه فاخرجوه الى الصحراء ودفنوه في مخراة لهم
فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امرأة من بني اسرائيل
كانت عندهم وهي من بنات الانبياء لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم ثم علقوها
على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين اربعة املاك يسوقانهما
فاقبلا حتى وقفا على ارض بني اسرائيل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت في ارض فيها
حصاد لبني اسرائيل ورجعا الى ارضهما فلم يرع بني اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا
الله تعالى وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه
حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك
حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع
ابن نون فبقي هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتى وضعته في دار طالوت فاصبح في داره فاقروا
بملكه فلما فصل طالوت بالجنود قال **ان في ذلك لآية لكم** يعني قال لهم نبيهم اشمويل ان في
التابوت تحمله الملائكة لآية لكم يعني علامة ودلالة على صدقي فيما اخبرتكم به ان الله بعث
لكم طالوت ملكا **ان كنتم مومنين** يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت اقروا
بالملك لطالوت تاهب للخروج في الجهاد واسرعوا في طاعته وخرجوا معه وذلك قوله تعالى **فلما
فصل طالوت بالجنود** اي خرج واصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا الى غيره فخرج
طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون الفا مقاتل وقيل ثمانون وقيل مائة وعشرون الفا
ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت لم يشكوا
في النصر فسارعوا الى الخروج في الجهاد وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء
بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجري لنا نهرا فقال طالوت **قال ان الله
مبتليكم بنهر** اي مختبركم به ليتبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين
وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين **فمن شرب منه فليس مني** اي فليس من اهل ديني
وطاعتي **ومن لم يطعمه** اي لم يذقه يعني الماء **فانه مني** يعني من اهل طاعتي **الا من اغترف
غرفة بيده** قرئ بفتح الغين وضمها القراءتان وقيل الغرفة بالضم التي تحمل في الكف من الماء والغرفة
بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر **فشربوا منه** يعني من النهر **الا قليلا منهم** يعني
هم اربعة الاف لم يشربوا منه وقيل ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل عليه ما روي
عن البراء بن عازب قال كنا اصحاب محمد نتحدث ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا
معه النهر ولم يجاوز معه الا مومن بضعة عشر وثلاثمائة اخرجه البخاري وقيل الجميع ثلاثة عشر
فلما وصلوا الى النهر القي عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل وكان من اغترف منه

غرفة كما

غرفة كما امره الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما
والذين شربوا منه وخالفوا امر الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وجبنوا وبقوا
على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اولئك
القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالى **فلما جاوزه هو** يعني جاوز النهر طالوت **والذين امنوا معه**
يعني اولئك القليل **قالوا** يعني الذين شربوا من النهر وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك ونفاق وعلى هذا
يكون قد جاوز النهر مع طالوت المومن والمنافق والطائع والعاصي فلما راوا العدو قال المنافقون
قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم المومنون لقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المومنون خاصة لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه فان
قلت فعلى هذا القول من القائل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت يحتمل ان يكون اهل الايمان
وهم الثلاثمائة وبضعة عشر افترقوا الى قسمين حين راوا العدو وكثرته وقلة المومنين قالوا لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الاخر بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله
مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده **قال الذين يظنون** اي يستيقنون ويعلمون
انهم ملاقوا الله اي ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار الاخرة **كم من فئة قليلة** الفئة الجماعة
لا واحد له من لفظه كالرهط **غلبت فئة كثيرة باذن الله** اي بقضاء الله وارادته **والله مع الصابرين**
يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل **ولما برزوا** يعني طالوت وجنده من المومنين **لجالوت وجنوده** يعني
الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما انكشف واستوى منها **قالوا** يعني المومنين اصحاب
طالوت **ربنا افرغ علينا صبرا** اي اصبب علينا **وثبت اقدامنا** اي قو قلوبنا للتثبت اقدامنا **وانصرنا على
القوم الكافرين** وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسأل المومنون الله ان ينصرهم على
القوم الكافرين **فهزموهم باذن الله** يعني ان الله تعالى استجاب دعاء المومنين فافرغ عليهم الصبر وثبت
اقدامهم ونصرهم على الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله يعني بقضاء الله وارادته واصل الهزم في
اللغة الكسر اي كسروهم وردوهم **وقتل داود جالوت** وكانت قصة قتله على ما ذكره اهل التفسير
واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا ابو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم
وكان يرمي بالقذافة فقال لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيئا الا صرعته فقال له ابشر
يا بني فان الله تعالى جعل رزقك في قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت
اسدا رابضا فركبته واخذت باذنه فلم يهجني فقال له ابوه ابشر يا بني فان هذا خير يريده الله بك
ثم اتاه يوما اخر فقال يا ابتاه اني لامشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا سبح معي فقال يا بني
ابشر فان هذا خير اعطاكه الله تعالى فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بني اسرائيل ان ابرز
الي او ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت
ونادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسال
طالوت نبيهم ان يدعو الله في ذلك فدعا الله فاتي بقرن فيه دهن وتنور من حديد وقيل له ان صاحبكم
الذي يقتل جالوت هو الذي اذا وضع هذا القرن على راسه غلى الدهن حتى يدهن منه راسه ولا يسيل على وجهه ويكون
على راسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملاه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل
فجربهم فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت
ايشا وقال له اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا امثال السواري فجعل يعرضهم واحدا بعد
واحد على القرن فلا يرى شيئا فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم فقال لا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا رب انه زعم انه لا ولد له غيرهم فقال له كذب فقال النبي ان ربي كذبك فقال ايشا صدق
نبي الله ان لي ولدا صغيرا استحقرته ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته

فجعلته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مصفرا ازرق امعط
مصفرا فدعا به طالوت وبعث اليه فخرج اليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي بماء وهو يحمل اثنين اثنين
اثنين يعبر بهما المسيل الى الربوة التي يريح فيها غنمه فلما رآه طالوت قال هذا هو الرجل
المطلوب لا شك فيه فمن ابر من البهائم فهو بالناس ارحم فدعاه طالوت ووضع المغفر على راسه
فنشز وملأه فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتي واجري خاتمك في ملكي قال نعم
فقال له هل انست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله قال نعم انا ارعى الغنم فيجيء الاسد او النمر او
الذيب فياخذ شاة من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها واخرقهما الى قفاه فاخذ طالوت داود ورده الى
العسكر فمر داود عليه السلام بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هارون فحمله ثم مر بحجر اخر
فقال يا داود احملني فاني حجر الذي تقتل به جالوت فحمله فوضع المخلاة في مخلاته فلما رجع طالوت
الى العسكر ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فتعرض له داود عليه السلام
فاعطاه فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله جبن
الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ما شانك فقال له داود عليه السلام ان الله ان لم ينصرني ربي
لم يغن هذا السلاح عني وان نصرني فلا حاجة لي به فدعني اقاتل كما اريد فقال نعم فاخذ داود مخلاته
وتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش
وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلاثمائة رطل فلما نظر الى داود وهو يرميه وقع الرعب في قلبه
فقال له جالوت انت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتني
بالمقلاع والحجر كما يوتى الكلب قال نعم وانت اشر من الكلب قال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك ثم قال
داود باسم اله ابراهيم واخرج حجرا ثم قال باسم اله يعقوب واخرج حجرا ووضعه في مقلاعه فصارت
الثلاثة حجرا واحدا واداره داود في المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح فحملت الحجر حتى اصابت
انف البيضة فخالط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا
قتيلا فاخذ داود يجره حتى القاه بين يدي طالوت ففرح بنو اسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم
الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء
داود الى طالوت وقال له انجز لي ما وعدتني به فقال اتريد ابنة الملك من غير صداق فقال داود
ما شرطت علي صداقا وليس لي شيء فقال لا اكلفك الا ما تطيق وانت رجل جريء وفي جبالنا اعداء لنا
غلف فاذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما قتل واحدا
قطع غلفته في خيط حتى نظم مائتي غلفة فجاء بها الى طالوت والقاها بين يديه وقال ادفع الي
امراتي فزوجه ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام واحبوه واكثروا
ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فاخبرت
ذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت ابي قال وهل اجرمت جرما يوجب
القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال ان
كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا ولكن ائتيني بزق خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على سريره
وسجاه ودخل داود تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين بعلك فقالت هو
نائم على سريره فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان
اكثر شربه الخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيئا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق
ان لا يدعني حتى يدرك ثاره مني فاشتد حجابه وحراسه واغلق دونه ابوابه ثم ان داود اتاه
ليلة وقد هدأت العيون واعمى الله عنه الحجبة ففتح الباب ودخل عليه وهو نائم على فراشه
فوضع سهما عند راسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فلما استيقظ
طالوت

طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي
فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما انا بالذي امنعه فلما كان من الليلة القابلة اتاه ثانيا
فاعمى الله عنه الحجاب فدخل وهو نائم فاخذ ابريق وضوئه وكوز الماء الذي يشرب فيه وقطع شعرات
من لحيته وشيئا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما اصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون
وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم
اقتله وركض في اثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا واوحى الله الى العنكبوت
فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان دخل هاهنا لخرق هذا
النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج داود حتى اتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلماء والعباد
على طالوت في شان داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من
العباد والعلماء حتى اتي بامراة تعلم الاسم الاعظم فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز ولم يقتلها
وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل واقبل على البكاء
حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور ويبكي وينادي انشد الله عبدا يعلم لي توبة الا اخبرني
بها فلما كثر ذلك منه ناداه مناد من القبور يا طالوت اما رضيت انك قتلتنا حتى توذينا امواتا
فازداد حزنا وبكى فوجد الخباز الى طالوت لما راى من حاله فقال ما لك ايها الملك فاخبره فقال هل تعلم
لي توبة او تعلم في الارض عالما اساله عن توبتي فقال له الخباز ايها الملك ان دللتك على عالم لعلك
ان تقتله فقال لا فتوثق منه بالايمان واخبره ان تلك المراة العالمة عنده فقال انطلق بي اليها لاسالها
عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قرب من الباب قال له الخباز ايها الملك انها ان رأتك عرفتك وكانت
خائفة فلما دخلا عليها قال لها الخباز يا هذه الست تعلمين حقي عليك قالت بلى قال ان لي اليك
حاجة فاقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسال هل له من توبة فلما سمعت ذكر طالوت
غشي عليها فلما افاقت قالت والله لا اعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي فانطلقوا الى قبر اشمويل
فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج ينفض التراب عن راسه
فلما نظر الى الثلاثة قال ما لكم اقامت القيامة قالت المراة لا ولكن هذا طالوت قد جاءك يسالك
هل له من توبة فقال اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم ادع من الشر شيئا الا فعلته وجئت
اطلب التوبة فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة الا ان
تتخلى من ملكك وتخرج انت وولدك في سبيل الله ثم تقدمهم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم
تقاتل انت حتى تقتل اخرهم ثم ان اشمويل صعق ميتا ورجع طالوت احزن ما كان رهبة ان لا يتابعه
ولده على ما يريد وكان قد بكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم
ارايتم لو دفعت الى النار هل كنتم تفدونني منها قالوا بلى نفديك بما قدرنا عليه قال فانها
النار ان لم تفعلوا ما امرتكم به قالوا اعرض علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول
قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سالت فتجهز هو وولده وخرج
طالوت مجاهدا في سبيل الله فقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى
قتل وجاء قاتل طالوت الى داود ليبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ما انت
بالذي تحيى بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل اربعين سنة واتى بنو اسرائيل على ملكهم احد
الا على داود من ذلك قوله تعالى **وآتاه الله الملك والحكمة** يعني النبوة جمع الله لداود
بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك قبل كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل الحكمة
هي العلم مع العمل به **وعلمه مما يشاء** يعني علم الله داود صنعة الدروع فكان يصنعها
ويبيعها وكان لا ياكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور وقيل هو الصوت

الطيب والالحان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا قرا الزبور تدنو منه الوحوش
حتى يوخذ باعناقها وتظلله الطير مصغية له ويركد الماء الجاري ويسكن الريح عند قراءته
وقيل علمه سياسة الملك وتدبيره وذلك لانه لم يكن من بيت الملك حتى يتعلمه من ابائه
وقال ابن عباس هو ان الله تعالى اعطاه سلسلة موصولة بالمجرة وراسها عند صومعته وقوتها
قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر مسمرة بقضبان اللؤلؤ الرطب
فكان لا يحدث في الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو
عاهة الا برئ وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه وانكر له حقا
اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت
كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة فلما
طالبه بالوديعة انكرها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكاز فنقرها
وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة فقال صاحب الجوهرة رد علي الوديعة
فقال صاحبها ما اعرف لك عندي وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقال
للمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازي هذه فاخذه الرجل منه وقام المنكر
الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني
ومد يده فتناولها فتعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة قوله
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم اهل الايمان
والطاعة له بعضا وهم اهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله بجنود المسلمين
لغلب المشركون على الارض فقتلوا المومنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه ولولا دفع
الله بالمومنين والابرار عن الكفار والفجار لفسدت الارض يعني لهلكت بمن فيها ولكن الله
يدفع بالمومن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر وروى احمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرا ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني ان دفع الفساد
بهذا الطريق انعام وافضال على الناس كلهم تلك ايات الله يعني القصص التي اقتصها من
حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت والحمارة بالاية وهي التابوت واهلاك
الجبابرة على يد صبي نتلوها عليك بالحق اي باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في
كتبهم وانك لمن المرسلين يعني تخبر بهذه الاية الاخبار العجيبة والقصص الغريبة من غير ان
تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار فدل ذلك على انك لمن المرسلين وان الذي تخبر به وحي من الله تعالى
قوله عز وجل تلك الرسل يعني جماعة الرسل الذي تقدم ذكرهم في هذه السورة فضلنا
بعضهم على بعض فيه دليل على زوال الشبهة لمن اوجب المفاوتة بين الانبياء في الفضيلة
لانهم استووا كلهم في القيام بالرسالة واجمعت الامة على ان الانبياء بعضهم افضل من بعض وان
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا منهم اي من الرسل من كلم الله اي كلمه الله وهو موسى عليه السلام
ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ورتبته على كافة
سائر الانبياء لما فضله عليهم من الايات والمعجزات الباهرات فما اوتي نبي من الانبياء اية او
معجزة الا واوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم افضل من ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم
على غيره من الانبياء بايات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع الذي حن
لمفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم له شاهدة برسالته ونبع الماء من
بين اصابعه

بين اصابعه وغير ذلك من الايات والمعجزات التي لا تحصى كثرة واعظمها واظهرها معجزة القرآن
العظيم الذي عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله فهو معجزة باقية الى يوم القيامة وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا واعطي من الايات ما مثله
امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله تعالى فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة
ق وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من قبلي نصرت
بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت
لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة
م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم
ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم
بي النبيون كافة فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم
قلت فيه من الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من
الشهادة بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيئا فعله بعضكم او احدكم
ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح كما سئل الحطيئة من اشعر الناس فقال زهير والنابغة ثم قال ولو شئت
لذكرت الثالث اراد نفسه وقوله تعالى واتينا عيسى ابن مريم البينات يعني الحجج والادلة الباهرة
والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وايدناه بروح القدس اي
وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى السماء اي الى السماء الرابعة فان قلت
لم خص موسى بالذكر من بين سائر الانبياء قلت لانه اوتي من الايات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين
الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو اية عظيمة ايضا وتاييد عيسى بروح القدس اية
عظيمة ايضا فلما اوتي موسى وعيسى من الايات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل وعلى هذا كل من
كان من الانبياء اعظم ايات واكثر معجزات كان افضل ولهذا اخر نبينا صلى الله عليه وسلم فدلت الصفات
في الفضل لانه اعظم الانبياء ايات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
ولو شاء الله اي لو اراد الله واصل المشيئة الارادة ما اقتتل الذين من بعدهم يعني من بعد الرسل الذين
فضلهم الله من بعد ما جاءتهم البينات اي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى
ووفقه ولكن اختلفوا يعني اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل فمنهم من امن اي ثبت على ايمانه
بالله ورسله بفضل الله ومنهم من كفر اي ومنهم من ثبت على الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل ولو
شاء الله ما اقتتلوا اي ولو اراد الله ان يحجزهم عن القتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك ولكن الله
يفعل ما يريد يعني انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا
منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سال رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا امير
المومنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السوال فقال بحر عميق فلا تلجه
فاعاد السوال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انفقوا
مما رزقناكم قيل اراد به الزكاة الواجبة وقيل اراد به صدقة التطوع والانفاق في وجوه الخير
من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه اي لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء شراء النفس من الهلاك
والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من اموالكم من قبل ان ياتي يوم لا تجارة فيه فيكتسب الانسان
ما يفتدي به من العذاب ولا خلة اي ولا مودة لانها صداقة ولا شفاعة وظاهر هذا يقتضي نفي
الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المومنين فيكون هذا عاما
مخصوصا والكافرون هم الظالمون لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل الله
لا اله الا هو الحي القيوم فصل في فضل هذه الاية الكريمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله

وعيسى

عليه وسلم قال لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي
أخرجه الترمذي قوله إن لكل شيء سناما وسنام كل شيء أعلاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم
هذه السورة والسيد الكامل الشريف والكريم وأصله من ساد يسود وقوله هي سيدة آي القرآن أي أفضله
م عن أبي بن كعب قال قال يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو
الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا أبا المنذر عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله
عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله إنسان أي آية في القرآن أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الله لا إله إلا هو الحي القيوم أخرجه أبو داود وقال العلماء إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية
في القرآن لما جمعت من أصول الأسماء والصفات وذكر أن الله تعالى أعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيده
وتعظيم كان أعظم الأذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض وتفضيله
على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض منهم أبو الحسن الأشعري وأبو بكر جماعة
ابوا
الباقلاني قالا لأن تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتأول
هؤلاء ما ورد من إطلاق أعظم وأفضل في بعض الآيات والسور بمعنى عظيم وفاضل ومن أجاز تفضيل
بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع إلى عظم أجر القارئ وجزيل ثوابه
وقوله إن هذه الآية أو هذه السورة أعظم وأفضل بمعنى أن الثواب المتعلق بها أكثر وهذا هو المختار
وهو معنى الحديث والله أعلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح
آية الكرسي وآيتين من أول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي
ومن قرأهما حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وأما التفسير
فقوله عز وجل الله لا إله إلا هو نفى الإلهية عن كل ما سواه وأثبت الإلهية له سبحانه وتعالى فهو
كقولك لا كريم إلا زيد فإنه أبلغ من قولك زيد كريم الحي يعني الباقي على الأبد الدائم بلا زوال والحي في
صفة الله هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعترضه الموت
بعد حياة وسائر الأحياء سواه يعترضه الموت والعدم فكل شيء هالك إلا وجهه سبحانه وتعالى
القيوم القائم على كل شيء وتأويله أنه تعالى قائم بتدبير خلقه في إيجادهم وأرزاقهم وجميع ما
يحتاجون إليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القائم على كل
نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت للقائم على الشيء. لا تأخذه سنة ولا نوم
السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النائم واليقظان
والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب
فالسنة أول النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء والمعنى لا تأخذه
سنة فضلا عن أن يأخذه نوم لأن النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لأن هذه الأشياء عبارة عن
عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات وإن ذلك تغير والله تعالى منزه
عن التغير عن أبي موسى الأشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال
إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار
وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه
بصره من خلقه شرح ما يتعلق ببعض هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي قوله
صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام فمعناه الإخبار أنه سبحانه وتعالى لا ينام وأنه
مستحيل في حقه لأن النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الإحساس والله تعالى منزه عن ذلك
وقوله ويخفض القسط ويرفعه أراد بالقسط الميزان الذي يقع به العدل ومعناه أن الله تعالى يخفض
الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من أعمال العباد المرتفعة إليه وقيل أراد بالقسط الرزق الذي هو
قسط كل مخلوق

قسط كل مخلوق ومعناه يخفضه فيقتر ويضيق على من يشاء ويرفعه أي يوسعه على من يشاء وقوله يرفع إليه
عمل الليل قبل النهار يعني أن الحفظة من الملائكة يصعدون بأعمال الليل بعد انقضائه في أول النهار ويصعدون
بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل وقوله حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى
إليه بصره من خلقه سبحات بضم السين المهملة والباء الموحدة وبضم التاء في آخره جمع سبحة
ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه والحجاب أصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب إنما يكون للأجسام
المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد والمراد به هنا المانع من الرؤية فسمي ذلك المانع
المانع نورا أو نارا لأنهما يمنعان من الإدراك في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى
إليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ولفظة من في
قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو أزال المانع وهو الحجاب المسمى نورا أو نارا
وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا آخر كلام الشيخ على هذا الحديث والله أعلم
وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أن موسى عليه السلام سأل الملائكة
هل ينام الله فأوحى الله تعالى إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه
قارورتين فأمسكهما ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما فجعل ينعس وهما في يده في كل يد واحدة
فجعل ينعس وينتبه حتى نعس نعسة فضرب إحداهما بالأخرى فكسرهما قال معمر إنما هو مثل ضربه
الله يقول فكذلك السماوات والأرض ورواه عن أبي هريرة مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحكي على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله وذكر نحو حديث ابن عباس
قال بعض العلماء إن صح هذا الحديث فليحمل على أن هذا السؤال كان من جهال قوم موسى كطلب الرؤية
من موسى لأن الأنبياء عليهم السلام هم أعلم بالله من غيرهم فلا يجوز أن ينسب لموسى مثل هذا
السؤال والله تعالى أعلم قوله تعالى له ما في السماوات وما في الأرض يعني أن الله تعالى مالك جميع ذلك
بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه فإن قلت لما كان المراد إضافة كل ما
سواه إليه من المخلوق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل أجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ
ما. من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه أي بأمره وهذا استفهام إنكار والمعنى لا يشفع عنده
أحد إلا بأمره وإرادته وذلك أن المشركين زعموا أن الأصنام تشفع لهم فأخبر أنه لا شفاعة
لأحد عنده إلا ما استثناه بقوله إلا بإذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة
بعض الأنبياء وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم يعني ما بين
أيديهم من الدنيا وما خلفهم من الآخرة وقيل بالعكس لأنهم يقدمون على الآخرة ويخلفون الدنيا وراء
ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين أيديهم من خير أو
شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا أنه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى
عليه شيء من أحوال جميع خلقه. ولا يحيطون بشيء من علمه يقال أحاط بالشيء إذا علمه وهو أن يعلم
وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فإذا علمه وعرفه وحصله في قلبه فقد أحاط به والمراد
بالعلم المعلوم والمعنى لا يحيطون بشيء من معلوماته. إلا بما شاء يعني أن يطلعهم عليه وهم
الأنبياء والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر
على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول. وسع كرسيه السماوات والأرض يقال وسع فلان الشيء
يسعه إذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به وأصل الكرسي في اللغة من تركيب الشيء بعضه على بعض يسمى
به لتركيب خشبه بعضها على الشيء بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعض أوراقها على بعض
والكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه سمي به لتركيب خشباته بعضها على بعض واختلفوا في
المراد بالكرسي هنا على أربعة أقوال أحدها أن الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لأن العرش

والكرسي اسم للسرير الذي يجلس المتكئ عليه القول الثاني ان الكرسي غير العرش وهو امامه فوق السماوات
السبع دون العرش قال السدي ان السماوات والارض في جوف الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي في
جنب العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس ان السماوات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت
في ترس وقيل ان كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السماوات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل
الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى
ملك على صورة ابي البشر آدم وهو يسأل الرزق والمطر لبني آدم من السنة الى السنة وملك على
صورة النسر وهو يسأل الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسأل الرزق للانعام
من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسأل الرزق للوحوش من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار
ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة
خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسي
هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول
الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى
عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز ولا يؤوده اي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه حفظهما اي حفظ
السماوات والارض وهو العلي اي الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيما يجب له ان يوصف به
من معاني الجلال والكمال فهو العلي المتعالي عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلي
بالملك والسلطنة والقهر فلا اعلا منه احد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وعزه
واستحقاق صفة المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه انه يعلو ان يحيط به وصف الواصفين العظيم
يعني انه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته
وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو صفة الله تعالى ينصرف الى عظيم الشأن وجلالة
القدر دون العظم الذي هو من نعوت الاجسام قوله عز وجل لا اكراه في الدين سبب نزول هذه الآية
فيما يروى عن ابن عباس قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاتا وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت
تنذر ان عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته من اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت
بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فاراد الانصار استردادهم وقالوا هم ابناؤنا واخواننا
فنزلت لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم فان اختاروكم
فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بني سالم بن عوف ابنان
متنصران قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون
الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت
في اهل الكتاب اذا قبلوا الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت امة امية ولم يكن
لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل واقر اهل الكتاب لا اكراه في الدين
يعني اذا قبلوا الجزية فمن اعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة
ليست بمنسوخة وقيل ان الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل ان يؤمروا بالقتال
ثم نسخت باية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى
لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره احدا في الدين
فابى المشركون الا ان يقاتلوه فاستاذن الله في قتالهم فاذن له ومعنى لا اكراه في الدين وقد دخل
الاسلام لمن فيه اكراه عليه قد تبين الرشد من الغي يعني ظهر واتضح وتميز الحق من الباطل
والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته فمن يكفر

بالطاغوت

٧٤

بالطاغوت يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل ما
يطغي الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان ويؤمن بالله اي يصدق بالله انه ربه ومعبوده من
دون كل شيء كان يعبده وفيه اشارة الى انه لا بد للكافر ان يتوب اولا عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك
بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى اي فقد تمسكوا واعتصموا بالعقد
الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضى الله تعالى
وهو دين الاسلام لا انفصام لها اي لا انقطاع لها حتى توصله الى الجنة والمعنى ان المستمسك بالدين الحق
الذي هو دين الاسلام كالمستمسك بالشيء الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه والله سميع يعني انه
تعالى يسمع قول من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالشهادتين عليم بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك
اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم قوله عز وجل الله ولي الذين آمنوا اي ناصرهم ومعينهم
وقيل محبهم ومتولي امورهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولي هدايتهم يخرجهم من الظلمات الى النور
اي من الكفر الى الايمان وكل ما في القرآن من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في
سورة الانعام وهو قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس
طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق وكذلك الكفر يحجب القلوب عن ادراك حقائق الايمان
وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان ادلته والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يعني كعب بن الاشرف
وحيي بن اخطب وسائر رؤوس الضلالة يخرجونهم من النور الى الظلمات اي من الهدى الى الضلالة فان قلت
كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت هم اليهود كانوا مؤمنين
بمحمد صلى الله عليه وسلم وصفة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا
به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار ومنع الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراج
من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمانهم خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه فهو كقول الرجل
لابيه اخرجتني عن مالك اذا اوصى به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه
السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون يعني الكفار والطاغوت اهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم قوله عز وجل الم تر الى الذي
حاج ابراهيم في ربه يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وجادله لان الم تر كلمة
يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام تقول الم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل
رأيت فلانا في صنعه والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج على رأسه
وتجبر في الارض وادعى الربوبية ان آتاه الله الملك اي لان آتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت
تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه وقال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان
ابن داود وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر
ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعونا اليه فقال ابراهيم ربي الذي
يحيي ويميت وقيل بل كان هذا بعد القائه في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس
يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه واحد يمتار سأله من ربك فيقول انت فيميره فجاءه ابراهيم عليه
السلام فيمن يمتار لاهله الطعام فلما اتاه قال له من ربك فقال ربي الذي يحيي ويميت فقال انا احيي
واميت فقال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ورده بغير
طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر على كثيب رمل اعفر فاخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذا دخل عليهم
فلما اتى اهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام حوارى
ما رأت احسن منه فصنعت منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من اين هذا وكان عهد اهله
ليس عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله تعالى

ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال ان ربك يقول لك ان آمن بي واتركك في ملكك قال وهل
رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع
جموعك فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض حتى لم تر الشمس فلم يروها
فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم
يصبه شيء من ذلك ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في منخره اربعمائة
سنة يضرب راسه بالمطارق وكان ارحم الناس به من جمع له يديه ثم يضرب بهما راسه فكان كذلك
اربعمائة سنة مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت
هذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال يعني
قال نمرود انا احيي واميت قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيى الآخر
فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصرة حجته الاولى ولكن لما
كانت لازمة لانه اراد بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فاحي من امت ان كنت صادقا
ولكن انتقل الى حجة اوضح من الاولى لما راى من قصور فهم نمرود وضعف رايه فانه عارض اللفظ بمثله ونسي
اختلاف الفعلين قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي
كفر يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيئا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت
كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه ان يقول لابراهيم سل انت ربك حتى ياتي بها من المغرب قلت انما لم
يقله لانه خاف لو سال ذلك دعا ابراهيم ربه فكان زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل
ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو
الصحيح والله لا يهدي القوم الظالمين يعني لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج اهل الحق عند
المحاجة والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود قوله عز وجل او كالذي مر على قرية هذه معطوفة على
الآية التي قبلها والمعنى الم تر الى الذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى
وقيل تقديره هل رايت الى الذي حاج ابراهيم او الى الذي مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فروي
عن مجاهد انه كان كافرا شك في البعث وهو قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لا يخاطب
الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل في حق الكافر وانما يستعمل في حق الانبياء
وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو ارمياء بن حلقيا
من سبط هارون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف منكري البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه
بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على القرية فجائز ان يكون ذلك المار هو عزير وجائز ان يكون
ارمياء وفي هذه القصة دلالة عظيمة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه
في كتبهم ويعرفونه وهو نبي لم يقرا الكتب القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت المقدس
وذلك لما خربها بخت نصر والعراق بالاجلاء فيما عمرتها وقيل هي القرية التي اهلك الله اهلها الذين
خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هي دير سابراباد وقيل سلماباد وهو دير هرقل وقيل قرية العنب وقيل
هي على فرسخين من بيت المقدس وقوله هو دير سابراباد موضع كان يقال له دير وسلماباد قرية من
نواحي جرجان وهي ايضا من نواحي همذان ودير هرقل بكسر اوله وراء ساكنة دير مشهور بين البصرة
وعسكر مكرم وهو موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف فاماتهم الله تعالى ثم احياهم كما تقدم
ويقال ان المراد بقوله تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها يعني النبي عندما احيى الله حمار
عزير وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت
الحيطان عليها بعد ذلك قال يعني ذلك المار انى يحيي الله هذه بعد موتها فمن قال ان ذلك المار
كان كافرا وهو ضعيف انما حمله على الشك في قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد

بحسب مجاري

بحسب مجاري العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة الله تعالى وكان المقصود منه طلب زيادة الدلائل
لاجل التاكيد كما قال ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى ومعنى انى يحيي هذه الله اي من يحيي
هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله ان يريه آية في نفسه وفي احياء تلك القرية وكان سبب
القصة في ذلك ما روي عن وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارمياء الى ناشية بن اموص ملك بني اسرائيل ليسدده
ويأتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارمياء ان
ذكر قومك نعمي عليهم وعرفهم احداثهم وادعهم الي فقال ارمياء يا رب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز
ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني فقال الله تعالى اني الهمك فقام ارمياء فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه
الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها
عن الله عز وجل اني احلف بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه
الهيبة وانزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى اني مهلك بني اسرائيل بيافث
ويافث هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على
راسه فلما راى الله تضرعه وبكاءه ناداه يا ارمياء اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكني
قبل ان ارى في بني اسرائيل ما لا اسر به فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا اهلك بني اسرائيل حتى يكون الامر
في ذلك من قبلك ففرح ارمياء بذلك وطابت نفسه فقال لا والذي بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بني اسرائيل
ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته
ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر وقل الوحي وذلك حين
اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر البابلي فخرج في ستمائة الف
راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل سائرا اتى الخبر الى ملك بني اسرائيل فقال لارمياء اين ما زعمت ان الله
تعالى اوحى اليك فقال ارمياء ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى الى ارمياء ملكا
فتمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له ارمياء من انت قال انا رجل من بني اسرائيل اتيتك استفتيك
في اهل رحمي وصلت ارحامهم ولم آت اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامي اياهم الا اسخاطا لي فافتني فيهم
فقال له ارمياء احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه في صورة
ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارمياء من انت فقال انا الرجل الذي اتيتك استفتيك في شان اهلي فقال
له ارمياء اما طهرت اخلاقهم بعد لك فيهم فقال يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما اعلم كرامة يأتيها
احد من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وافضل فقال ارمياء ارجع اليهم فاحسن اليهم فاسال الله الذي يصلح عباده
الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ما شاء الله وقد نزل بخت نصر بجنوده بيت المقدس وفزع منهم بنو
اسرائيل فقال ملكهم لارمياء يا نبي الله اين ما وعدك الله فقال اني بربي واثق ثم اقبل ذلك الملك الى
ارمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال له
ارمياء من انت فقال انا الذي جئتك في شان اهلي مرتين فقال ارمياء اما آن لهم ان يفيقوا من الذي هم فيه فقال
الملك يا نبي الله ان كل شيء يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه فاليوم رايتهم على عمل لا يرضي الله تعالى
فقال له ارمياء على اي عمل رايتهم قال على عمل عظيم سخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل واتيتك لاخبرك وانا اسالك بالله قال علي عمل
الذي بعثك بالحق الا دعوت الله عليهم ليهلكوا فقال ارمياء يا مالك السماوات والارض يا ذا الجلال
والاكرام ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة
من فيه حتى ارسل الله عز وجل صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخرقت سبعة
ابواب من ابوابه فلما راى ذلك ارمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال يا مالك السماوات
والارض اين ميعادك الذي وعدتني به فنودي انهم لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعائك عليهم
فاستيقن ارمياء انها فتياه وان ذلك السائل كان رسولا من الله تعالى اليه فخرج ارمياء حتى خالط الوحوش

وذلك أن بخت نصر وجنوده لبيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ويقذفه في بيت
المقدس ففعلوا ذلك حتى ملؤوه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده من كان
بقي من بني إسرائيل من صغير وكبير فاختار منهم سبعين ألف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه
فأصاب كل رجل أربعة أغلمة وكان في أولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقي
من بني إسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا أقرهم بالشام فكانت هذه الوقعة الأولى
التي أنزلها الله ببني إسرائيل بظلمهم فلما ولى بخت نصر راجعا إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل أقبل أرميا
على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشي إيليا وهي خراب بيت المقدس فلما رأى خرابها
قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ومن قال إن المار كان عزيرا قال إن بخت نصر لما خرب بيت المقدس وقدم
بسبي بني إسرائيل بابل وكان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل
ارتحل على حمار فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضلة الفاكهة في سلة وفضلة
العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها وإنما قال ذلك تعجبا
لا شكا في البعث ... وهب ثم إن أرميا ربط حماره بحبل جديد وألقى الله عليه النوم
فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وأمات حماره وبقي عصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون
فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وفاته سبعون سنة أرسل
الله ملكا إلى ملك من ملوك فارس يقال له نوشك فقال إن الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس
وإيليا حتى يعود أعمر ما كان فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل وجعلوا
يعمرونها وأهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله من بقي من بني إسرائيل وردهم
جميعا إلى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كأحسن ما كانوا فلما مضت المائة
أحيى الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيى الله جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حماره فإذا
عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي
فاجتمع بعضها إلى بعض ثم نودي إن الله يأمرك أن تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي إن الله
يأمرك أن تحيي فقام الحمار بإذن الله ثم نهق وعمر الله أرميا فهو يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى
فأماته الله مائة عام أصل العام من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لأن الشمس تعوم
في جميع بروجها ثم بعثه أي ثم أحياه وأصله من بعثت الناقة إذا أقمتها من مكانها قال كم لبثت
يعني قال الله كم لبثت أي كم الزمان الذي مكثت فيه ميتا قبل أن بعثتك من مكانك حيا وقيل إن الله تعالى
لما أحياه بعث إليه ملكا فسأله كم لبثت قال يعني ذلك المبعوث بعد مماته لبثت يوما وذلك
أن الله أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة سنة في آخر النهار قبل أن تغيب الشمس فقال
لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غابت ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم
قال يعني قال الله وقيل قال الملك له بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك يعني التين
الذي كان معه قبل موته وشرابك يعني العصير لم يتسنه يعني لم تغيره السنون التي أتت عليه
فكان التين كأنه قطف من ساعته والعصير كأنه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم يحمض
وانظر إلى حمارك أي وانظر إلى إحياء حمارك فنظر فإذا هو عظام بيض فركب الله العظام
بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر ولنجعلك آية للناس قيل الواو
زائدة مقحمة وقيل دخول الواو دلالة على أنها شرط لفعل بعدها والمعنى فعلنا ما فعلنا من الموت
والإحياء لنجعلك آية للناس يعني عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قال أكثر المفسرين وقيل
إنه عاد إلى قريته وهو شاب أسود الرأس واللحية وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز شمط
فكان ذلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما قرئ بالراء ومعناه

كيف نحييها

كيف نحييها يقال أنشر الله الميت إنشارا يعني أحياه وقرئ بالزاي ومعناه كيف نرفعها من الأرض ونرد
لها إلى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض وإنشاز الشيء رفعه وإزعاجه يقال أنشزته فنشز
أي رفعته واختلفوا في معنى الآية فقال الأكثرون إنه أراد عظام الحمار قيل إن الله تعالى لما أحيى عزيرا
أو أرميا على اختلاف القولين فيه ثم قال له انظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله
ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى الكسرة من العظم
رجعت إلى موضعها فصار حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كسى الله تلك العظام اللحم
والعروق والدم فصار ذا لحم ودم ولا روح فيه ثم بعث الله ملكا فأقبل يمشي حتى أخذ بمنخر
الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا بإذن الله تعالى ثم نهق وقيل أراد بالعظام عظام هذا الرجل
نفسه وذلك أن الله أماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر إلى حمارك فنظر فرأى الرمة في عنقه
جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر إلى العظام كيف ننشزها وذلك أن الله تعالى أول ما أحيى منه عينيه
فنظر إلى سائر جسده ميتا وهي ... وانظر إلى حمارك وانظر إلى العظام
كيف ننشزها ولنجعلك آية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما أحيى الله عزيرا بعد ما أماته
مائة سنة ركب حماره حتى أتى إلى محلته فأنكره الناس وأنكر هو الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم
حتى أتى منزله فإذا بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة لهم ولما خرج عزير عنهم
كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم
وبكت وقالت ما رأيت أحدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال أنا عزير فقالت سبحان الله إن عزيرا قد فقدناه
منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال أنا عزير إن الله أماتني مائة سنة ثم أحياني فقالت إن عزيرا
كان رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض والمبتلى بالعافية فادع الله أن يرد علي بصري حتى أراك
فإن كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا وأخذ بيدها وقال لها قومي بإذن
الله تعالى فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت إليه وقالت أشهد أنك عزير وانطلقت إلى بني
إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانية عشر سنة وبنو بنيه
شيوخ فقالت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم فدعا لي عزير ربه فرد
علي بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه فنهض الناس إليه فقال ابنه كانت
لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظروا فإذا هو عزير
وقيل لما رجع عزير إلى قريته وقد أحرق بخت نصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلائق بكى عزير
على التوراة فأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني
إسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا وقال أنا عزير فلم يصدقوه فقال أنا عزير قد بعثني الله
إليكم لأجدد لكم توراتكم قالوا أملها علينا فأملاها عليهم عن ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله
التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت إلا أنه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستأتي القصة في سورة التوبة
إن شاء الله تعالى وقوله تعالى فلما تبين له يعني فلما اتضح له عيانا ما كان يستنكره من إحياء القرية ورآه
عيانا في نفسه قال أعلم قرئ بجزم الميم موصولا على الأمر يعني قال الله له اعلم وقرئ أعلم على القطع
لا على الأمر على الخبر عن الذي قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين له ورأى ذلك
عيانا قال أعلم أن الله على كل شيء قدير يعني الإماتة والإحياء قوله عز وجل وإذ قال إبراهيم
رب أرني كيف تحيي الموتى اختلفوا في سبب هذا السؤال من إبراهيم عليه السلام فقيل إنه مر على
دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتة بساحل البحر وقيل بحر طبرية فرآها وقد
توزعها دواب البحر والبر فإذا مد البحر جاءت الحيتان فأكلن منها وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت
منها فإذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فقال يا رب إني قد علمت أنك تجمعها من بطون

قال بلى

من بطون السباع وحواصل الطيور واجواف الدواب فارني كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه
الله تعالى قال اولم تومن قال اولم تصدق قال بلى يا رب قد علمت وامنت ولكن ليطمئن قلبي
اي ليسكن قلبي عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر
ليس كالمعاينة وقيل لما راى الجيفة على البحر وقد تناولها السباع والطيور ودواب البحر تفكر كيف
يجمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه
السلام شاكا في احياء الله الموتى ولا في قدرته ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المومنين يحبون
ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى ويحبون الروية في الجنة مع الايمان بصحة ذلك
وزوال الشك عنهم وكذلك احب ابراهيم ان يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السوال من
ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فقال النمرود انا احيي واميت فقتل
احد الرجلين واطلق الاخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال النمرود وانت عاينته
فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سال ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال
اولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فاذا قيل انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير
لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سال ملك الموت ربه ان ياذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم
ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من اغير الناس كان اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد في الدار
رجلا فثار اليه لياخذه فقال له من اذن لك ان تدخل داري فقال اذن لي رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف
انه ملك فقال من انت قال انا ملك الموت جئت ابشرك ان الله اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال له
ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسوالك فحينئذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي
الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا
سالتك وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب
ارني كيف تحيي الموتى الخ ويرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث
يوسف لاجبت الداعي العسول على معنى الحديث وما يتعلق به اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه
وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم على اقوال كثيرة فاحسنها واصحها قول المزني وغيره من العلماء ان الشك
مستحيل في حق ابراهيم فان الشك في احياء الموتى لو كان متطرقا الى الانبياء لكنت انا احق به من
ابراهيم وقد علمتم اني لم اشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الاية
قد يسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابي ليس في قوله
نحن احق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما
يقول اذا لم اشك انا في قدرة الله على احياء الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك قال ذلك على سبيل
التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي وفيه
الاعلام بان المسئلة من ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان فان العيان يفيد من
المعرفة والطمانينة ما لا يفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الاية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك
نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا
الذي تظنونه شكا انا اولى به فانه ليس بشك وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم على نفسه
صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وادبا او قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد ادم واما تفسير
الاية فقوله تعالى واذ قال ابراهيم اي واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف على قوله الم تر الى
قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال يعني قال الله لابراهيم اولم تومن الالف في اولم تومن
الف اثبات وايجاب كقول جرير الستم خير من ركب المطايا اي انتم كذلك والمعنى اولست قد امنت
وعرفت ولكن ليطمئن قلبي يعني سالتك ذلك لطمانينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن
عباس

عباس معناه ولكن لارى من اياتك واعلم انك قد اجبتني قال فخذ اربعة من الطير قيل اخذ طاووسا وديكا
وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت
لان الطير همته الطيران في السماء والارتفاع في الهوى وكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو
في الوصول الى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته فان قلت لم خص هذه الاربعة اجناس من الطير بالاخذ
قلت فيه اشارة ففي الطاووس اشارة الى ما في الانسان من حب الزينة والجاه وفي النسر اشارة الى شدة الشغف
بالاكل وفي الديك اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح وفي الغراب اشارة الى شدة الحرص ففي هذه الطيور
مشابهة لما في الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى ان الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة
وصل الى اعلى الدرجات في الجنة وفاز بنيل السعادات فصرهن قرئ بكسر الصاد ومعناه فقطعهن ومزقهن وقرئ
بضم الصاد ومعناه املهن اليك ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضممهن اليك فمن قراه بالامالة
والضم قال فيه اضمار ومعناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفاء بقوله ثم اجعل على كل جبل منهن
جزءا لانه يدل عليه قال المفسرون امر الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف
ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل على كل جبل منهن جزءا واختلفوا في عدد الاجزاء
والجبال فقال ابن عباس امر ان يجعل على كل جبل كل طائر اربعة اجزاء وان يجعلها على اربعة اجبل على كل جبل ربعا
من كل طائر فجعل جبلا على جهة المشرق وجبلا على جهة المغرب وجبلا على جهة الشمال وجبلا على جهة الجنوب
وقيل جزأه على سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤوسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله
تعالى فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم
يطير الى العظم الاخر وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا
في السماء بغير رووس ثم اقبلن سعيا الى روسهن كلما جاء طائر طلب راسه فان كان راسه دنى منه
وان لم يكن تاخر عنه حتى التقى كل طائر براسه فذلك قوله تعالى ثم ادعهن ياتينك سعيا وقيل
المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران ان ذلك ابعد من
التهمة لانه لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور وان ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه
الشبهة بقوله ياتينك سعيا وقيل المراد بالسعي المشي والمراد بالمشي الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال
للطائر اذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة واعلم ان الله عزيز يعني انه تعالى غالب على جميع
الاشياء لا يعجزه شيء حكيم يعني في جميع اموره قوله عز وجل مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل
الله قيل اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق في جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب
والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم كمثل حبة اي كمثل زارع حبة انبتت
يعني اخرجت تلك الحبة سبع سنابل جمع سنبلة في كل سنبلة مائة حبة فان قلت هل رايت   ريش
سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذكر غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به
جائز وان لم يوجد والمعنى في كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل
ان المقصود من الاية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة اخرجت له
سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه وكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في
الاخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة وسبعمائة والله يضاعف
لمن يشاء يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن
يشاء من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما يشاء من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله والله واسع
اي غني يعطي الغني عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود ولا ينفد عليم يعني بنية من
ينفق في سبيل الله وقيل عليم بمقادير الانفاق وبما يستحقه المنفق من الجزاء والثواب عليه قوله عز وجل
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان فجهز
سبيله

المسلمين في غزوة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها فنزلت هذه الآية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان
بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول
ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فأنزل الله الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وأما عبد الرحمن فجاء بأربعة آلاف
درهم صدقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية آلاف فأمسكت لنفسي ولعيالي
أربعة آلاف وأربعة آلاف أقرضتها لربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما
أمسكت وفيما أعطيت وقيل نزلت في الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالإنفاق عليهم في حوائجهم ومؤونتهم
ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى أي لا يتبع نفقته التي أنفقها عليهم بالمن والأذى وهو أن يمن عليه
بعطائه فيقول قد أعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والأذى هو أن يعيره فيقول كم
تسأل وأنت فقير أبدا ومن بليت بك وأراحني الله منك وأمثال ذلك والمن في اللغة الإنعام والصنعة المنعمة
الثقيلة يقال فلان من على فلان إذا أثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول أيضا ومنه قول الشاعر

فمن علينا بالسلام فإنما ... كلامك ياقوت ودر منظم

ومن المن بالقول وهو مستقبح بين الناس مثل أن يمن على الإنسان بما أعطاه قال عبد الرحمن بن زيد وكان أبي
يقول إذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمتدح بترك المن وكتم
النعمة وتذم على إظهارها والمن بها قال قائلهم في المدح بترك المن

زاد معروفك عندي عظما ... أنه عندك مستور حقير
تتناساه كأن لم تأته ... وهو في العالم مشهور كبير

وقال قائلهم يذم المنان بالعطا ... أتيت قليلا ثم أسرعت منه ... تسيلك منون كذاك قليل وأما الأذى
فهو ما يصل إلى الإنسان من ضرر بقول أو فعل إذا عرفت هذا فنقول المن هو إظهار المعروف إلى الناس والمن
عليهم به والأذى هو أن يشتكي منهم بسبب ما أعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والأذى
فيه وذم فاعله فإن قلت كيف وصف الله نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالى
معناه المتفضل فمن الله إفضال على عباده وإحسان إليهم بجميع ما هم فيه منه سبحانه وتعالى ومن
العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى **لهم أجرهم** يعني ثوابهم **عند ربهم** يعني في
الآخرة **ولا خوف عليهم** يعني فيما خلفوا من الدنيا **ولا هم يحزنون قول معروف** أي كلام حسن ورد
جميل على الفقير السائل وقيل عدة حسنة تعده بها وقيل دعاء صالح تدعو له بظاهر الغيب **ومغفرة**
أي تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو أن يتجاوز عن الفقير إذا استطال
عليه حال فقره **خير من صدقة** يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يدفعها
إلى الفقير **يتبعها أذى** وهو أن يعطي الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيره بفقره أو يؤذيه بفعل
والله غني حليم يعني أنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويؤذي بصدقته قوله عز وجل
يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم يعني أجور صدقاتكم **بالمن والأذى** يعني على السائل
الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله تعالى والأذى لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلا فقال تعالى **كالذي**
كإبطال الذي **ينفق ماله رئاء الناس** أي مراياة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا إنه سخي كريم
ولا يؤمن بالله واليوم الآخر يعني أن المرائي يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمن
لأن من فعل المنافق لأن الكافر معلن بكفره غير مراء به **فمثله** أي مثل هذا المرائي بصدقته وسائر
أعماله **كمثل صفوان** أي هو الحجر الأملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة
ومن جعله واحدا قال جمعه صفي **عليه تراب** أي على ذلك الصفوان تراب **فأصابه وابل** يعني المطر
الشديد العظيم القطر **فتركه صلدا** يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا أملس لا شيء عليه من
ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن المنان بصدقته ويؤذي الناس

أن هولا

أن هؤلاء أعمالهم في الظاهر كما يرى التراب على هذا الصفوان فإذا جاء المطر أذهبه وأزاله وكذلك هؤلاء يوم
القيامة تبطل أعمالهم وتضمحل لأن الأعمال لم تكن لله تعالى كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب **لا يقدرون على
شيء مما كسبوا** أي لا يقدرون على ثواب شيء مما عملوا في الدنيا **والله لا يهدي القوم الكافرين** يعني الذين
سبق في علمه أنهم يموتون على الكفر وفي الحديث بسنده عن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء يقال لهم يوم
يجازي العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء عن
أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك
من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه قوله عز وجل **ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء
مرضات الله** أي طلب رضاء الله **وتثبيتا من أنفسهم** يعني على الإنفاق في طاعة الله وتصديقا بثوابه
وقيل معناه أن نفوسهم موقنة مصدقة بوعد الله إياها فيما أنفقت وقيل تصديقا والمعنى أنهم
يخرجون زكاة أموالهم وينفقون أموالهم في سائر وجوه البر والطاعات طيبة أنفسهم بما أنفقوا
على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون أن ما أنفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين
بإخلاف الله عليهم وقيل معناه أنهم يتثبتون في المواضع الذي يضعون فيه صدقاتهم وقيل كان الرجل
إذا هم بصدقة تثبت فإن كانت لله خالصة مضاها وإن خالطه الشك أو رياء أمسك **كمثل جنة** أي بستان
قال الفراء إذا كان في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس **بربوة** هي المكان المرتفع
من الأرض المستوي وإنما ارتفع من الأرض عن مسيل الماء والأودية كان ثمرها أحسن وأزكى لأن الغامر من
الماء ما يرويها وقيل هي الأرض المستوية الجيدة الطيبة إذا أصابها ماء المطر انتفخت وربت فإذا
كانت الأرض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت أشجارها **أصابها وابل** وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم

ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها وابل هطل

أراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الأرض **فآتت أكلها ضعفين** أي فأعطت ثمرتها مثلين قيل إنها حملت في
السنة من الريع ما يحمل غيرها في سنتين وقيل أضعفت فحملت في السنة مرتين **فإن لم يصبها وابل
فطل** أي طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى أن لم يكن أصابها وابل وأصابها طل فتلك حال هذه الجنة
في تضاعف ثمرها فإنها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن
المخلص في إنفاقه وسائر أعماله يقول الله تعالى كما أن هذه الجنة تربو وتزكو في كل حال ولا تخلف سواء
كان المطر قليلا أم كثيرا فكذلك يضاعف الله صدقة المؤمن المخلص في صدقته وإنفاقه الذي لا يمن ولا
يؤذي سواء قلت نفقته أو كثرت **والله بما تعملون بصير** يعني أنه تعالى لا يخفى عليه نفقة المخلص في
صدقته الذي لا يمن بها ولا يؤذي والذي يمن بصدقته ويؤذي قوله عز وجل **أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل
وأعناب** هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى أيود أي أيحب أحدكم أن
تكون له جنة أي بستان من نخيل وأعناب إنما خصهما بالذكر لأنهما أشرف الفواكه وأحسنها ولما فيهما من الغذاء
والتفكه **تجري من تحتها الأنهار** يعني أن جري الأنهار فيها من تمام حسنها وسبب لكثرة ثمرها **له فيها
من كل الثمرات** لأن ذلك من تمام كمال البستان وحسنه **وأصابه الكبر** يعني لصاحب هذه الجنة وكثرت
حاجاته ولم يكن له مكسب غيرها فهو في غاية الاحتياج إلى تلك الجنة فإن قلت كيف
عطف وأصابه الكبر على أيود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان أحدهما
أن يكون له جنة حال ما أصابه الكبر والوجه الثاني أنه عطف على المعنى وكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت
له جنة وأصابه الكبر **وله ذرية ضعفاء** يعني له أولاد أصاغر عجزت عن الحركة بسبب الضعف والصغر
فأصابها يعني أصاب تلك الجنة **إعصار فيه نار فاحترقت** الإعصار ريح ترتفع إلى السماء وتستدير
كأنها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق والمرائي يقول مثل عمل المنافق والمرائي في حسنه

كمن جنة ينتفع بها فاحتاج إليها فلما كبر وضعف وصار له أولاد ضعفاء أصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت
وهو أحوج ما يكون إليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى لكبره وضعفه وضعف
أولاده فهو لا يقدر ما يعود به على أولاده وهم لا يقدرون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة
لا حيلة بأيديهم فكذلك حال من أتى يوم القيامة بأعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها
الله تعالى وهو في غاية الحاجة إليها حين لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما
لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الآية أيود أحدكم قالوا الله أعلم فغضب
عمر وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخي
ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لأي عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له
الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله كلها كذلك يبين الله لكم الآيات يعني كما بين الله
لكم أمر النفقة المقبولة وغير المقبولة كذلك يبين الله لكم من الآيات سوى ذلك لعلكم تتفكرون
أي فتتعظون وقال ابن عباس لعلكم تتفكرون يعني في زوال الدنيا وإقبال الآخرة قوله عز وجل يا أيها الذين
آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم أي من خيار ما كسبتم وجيده وقيل من حلالات ما كسبتم بالتجارة
والصناعة وفيه دليل على إباحة الكسب وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث عن خولة الأنصارية قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن هذا المال خضر حلو من أصابه بحقه بورك له فيه ورب
متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار أخرجه الترمذي المتخوض الذي
يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض الإنسان في الماء يمينا وشمالا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن حلال أم من حرام عن المقدام أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل
من عمل يده عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من
كسبكم أخرجه الترمذي والنسائي واختلفوا في المراد بقوله تعالى أنفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة
لأن الأمر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الآية إليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل إنه
يتناول الفرض والنفل جميعا لأن المفهوم من هذا الأمر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر
مشترك بين الفرض والنفل فوجب أن يدخل تحت هذا الأمر فعلى القول الأول المراد من هذا الإنفاق
هو الزكاة فيتفرع عليه مسائل المسألة الأولى ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل ما يكتسبه
الإنسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لأن ذلك يوصف بأنه مكتسب
وذهب جمهور العلماء إلى وجوب الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري لا تجب الزكاة بحكم التجارة
في العروض إلا أن ينوي به التجارة في حال تملكه ودليل الجمهور ما روي عن سمرة بن جندب قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بإخراج الصدقة من الذي نعد للبيع أخرجه أبو داود وعن أبي
عمرو بن حماس أن أباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي أدم أحملها فقال عمر ألا تؤدي زكاتك
يا حماس فقلت ما لي غير هذا وأهب في القرظ قال ذاك مال فضع فوضعتها بين يديه فحسبها فأخذ منها
الزكاة فإذا حال الحول على عروض التجارة قوم فإن بلغ قيمته عشرين دينارا أو مائتي درهم
أخرج منه ربع العشر المسألة الثانية في قوله تعالى ومما أخرجنا لكم من الأرض وظاهر الآية يدل
على وجوب الزكاة في كل ما خرج من الأرض من النبات مما يزرع الآدميون لكن جمهور العلماء خصوا هذا
العموم فأوجبوا الزكاة في النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب وأوجب أبو حنيفة
الزكاة في كل ما يقصد من نبات الأرض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ والقثاء والخيار
ونحو ذلك دليل الجمهور ما روي عن معاذ أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات
وهي البقول فقال ليس فيها شيء أخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم في هذا الباب شيء وإنما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا
والعمل على هذا عند أهل العلم أنه ليس في الخضراوات صدقة قلت وحديث موسى بن طلحة أخرجه الشيخ
مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني في أحكامه عن عطاء بن السائب قال أراد
عبد الله بن المغيرة أن يأخذ من أرض موسى بن طلحة فقال ليس لك ذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول ليس في ذلك صدقة رواه الأثرم في سننه وهو أقوى المراسيل لاحتجاج من أرسله وقال الزهري
والأوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون ووقت الوجوب في الثمار عند بدو الصلاح وهو أن يحمر البسر ويصفر
ووقت الإخراج بعد الاجتناء والجفاف وفي الحبوب عند الاشتداد ووقت الإخراج بعد الدراس والتصفية
المسألة الثالثة يجب إخراج العشر فيما سقي بالمطر والأنهار والعيون ونصف العشر فيما سقي
بنضح أو سانية ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء
والعيون أو كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي قال
فيما سقت السماء والأنهار والعيون أو كان بعلا العشر وما سقي بالسواني والنضح نصف العشر وقال أبو
داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن في سقيه قال وقال وكيع هو الذي ينبت من ماء السماء قوله
أو كان عثريا أراد به العذي من الزرع وهو البعل وقد فسره في بعض الحديث والنضح هو الاستسقاء وكذلك
السانية وهي الراوية التي يستقى عليها سواء كانت من الإبل أو البقر ولا يجب العشر في الثمار والزروع حتى
تبلغ خمسة أوسق والوسق ستون صاعا وقال أبو حنيفة يجب العشر في قليل وكثير من الثمار والزروع واحتج
الجمهور في إيجاب النصاب بما روي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس فيما دون
خمسة أوسق صدقة وفي رواية ليس فيما دون خمسة أوسق من تمر أو حب صدقة أخرجاه في الصحيحين ومن
قال إن المراد بقوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض صدقة التطوع احتج بما
روي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل
منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة أخرجه في الصحيحين وقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث
أي لا تقصدوا الخبيث يعني الرديء من أموالكم منه تنفقون أي من الخبيث عن البراء بن عازب في قوله ولا
تيمموا الخبيث منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الأنصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله على
قدر كثرته وقلته وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم
طعام فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر والتمر فيأكل وكان ناس ممن
لا يرغب في الخير يأتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه فأنزل الله تعالى يا أيها
الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم
بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه قال لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطى لم يأخذه إلا على إغماض وحياء قال فكنا
بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار
ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد لأنفسهم فأنزل الله تعالى ولا تيمموا الخبيث يعني الرديء منه
تنفقون يعني تتصدقون ولستم بآخذيه يعني ذلك الشيء الخبيث الرديء إلا أن تغمضوا فيه
الإغماض في اللغة غض البصر وإطباق الجفن والمراد به هنا التجويز والمساهلة وذلك أن الإنسان
إذا رأى ما يكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو كان لأحدكم على رجل حق فجاءه
بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض عن حقه وتركه وقال البراء هو إذا أهدي لك ذلك ما أخذته
إلا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم إذا كان المال كله جيدا
فليس له إعطاء الرديء لأن أهل السهمان شركاء له فيما عنده وإن كان كله رديا فلا بأس بإعطاء
الرديء واعلموا أن الله غني يعني عن صدقاتكم يأمركم بالتصدق لا لعوز واحتياج إليها حميد
أي محمود في أفعاله وقيل حميد بمعنى حامد أي أجركم على ما تفعلون من الخير قوله عز وجل الشيطان

يعدكم الفقر يعني يخوفكم بالفقر يقال وعده خيرا ووعده شرا وإذا لم تذكر الخير والشر يقال في الخير
وعدته وفي الشر أوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد وأصله من كسر فقار الظهر ومعنى الآية أن
الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت افتقرت ويأمركم بالفحشاء
يعني ويغريكم بالبخل ومنع الزكاة والصدقة قال الكلبي كل الفحشاء في القرآن
فهي الزنا إلا هذا الموضع وفي هذه الآية لطيفة وهي أن الشيطان يخوف الرجل أولا بالفقر ثم يتوصل
بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء وهي البخل وذلك أن البخل صفة مذمومة عند كل أحد فلا يستطيع
الشيطان أن يحسن له البخل إلا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر ولهذا قال تعالى الشيطان يعدكم
الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لها عليكم وفضلا
يعني رزقا وخلفا فالمغفرة إشارة إلى منافع الآخرة والفضل إشارة إلى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق
والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك
لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق فمن وجد بالحق
ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم
الفقر ويأمركم بالفحشاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله إن للشيطان لمة بابن آدم اللمة
الخطرة الواحدة من الإلمام وهو القرب من الشيء والمراد بهذه اللمة اللمة التي تقع في القلب من فعل خير
أو شر والعزم عليه فأما لمة الشيطان فوسوسة وأما لمة الملك فالإلهام من الله تعالى والله واسع أي غني
قادر على إغنائكم وإخلاف ما تنفقونه عليم يعني بما تنفقونه لا يخفى عليه خافية وعن أبي هريرة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أنفق ينفق عليك وفي رواية يد الله ملأى لا يغيضها نفقة
سحاء الليل والنهار وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده وفي رواية فإنه
لم يغض ما في يمينه وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي رواية وبيده الأخرى القبض
أو القبض يرفع ويخفض وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنفقي ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعي الله عليك قوله ولا توعي أي لا تشحي فيشح الله
عليك أي يجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل أنفقي
ولا تعي ولا تحصي قوله عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء قال ابن عباس هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه
ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وإنما قال ذلك
لأن في القرآن الحكمة وقال في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام لا
يسع المؤمنين تركهن حتى يعلموهن ولا يكونوا كأهل النهروان يعني الخوارج تأولوا آيات من القرآن
في أهل القبلة وإنما نزلت في أهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال وشهدوا
على أهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيمن نزل لم يختلف في شيء منه وقيل هو
القرآن والعلم والفقه وقيل هي الإصابة في القول والفعل وحاصل هذه الأقوال إلى يتبين العلم والإصابة ترجع
فيه ومعرفة الأشياء بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها قال الشاعر
أبني حنيفة احكموا سفهاءكم أي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة النبوة لأن النبي يحكم بين الناس
فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله لأن الورع يمنع صاحبه من أن يقع في الحرام أو ما لا يجوز له فعله
ومن يؤت الحكمة يعني ومن يؤته الله الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا التنكير للتعظيم معناه فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب أي وما يتعظ بما وعظه الله إلا ذوو العقول الذين عقلوا عن خيرا عظيما
الله أمره ونهيه قوله عز وجل وما أنفقتم من نفقة يعني فيما فرض الله عليكم من إعطاء زكاة أو غير ذلك
أو نذرتم من نذر يعني به ما أوجبتموه على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به والنذر ما يوجبه الإنسان
على نفسه شيئا لم يكن يوجب يقال نذرت لله نذرا وأصله من الخوف لأن الإنسان إنما يعقد على نفسه النذر

من خوف التقصير

من خوف التقصير في الأمر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر أن يقول لله علي صوم
أو حج أو عتق أو صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير المفسر هو أن يقول نذرت لله أن لا أفعل كذا ثم يفعله
أو يقول لله علي نذر من غير تسمية شيء فيلزمه فيه كفارة يمين لحديث عائشة قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه وعن ابن عباس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم أخرجه النسائي وعن ابن عمر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر وقال إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل وعن أبي هريرة
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدره له ولكن النذر يوافق
القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرجه قال بعض العلماء يحتمل أن يكون سبب النهي
عن النذر كون الناذر يصير ملتزما له فيأتي به تكلفا من غير نشاط أو يكون سببه كونه يأتي به على
سبيل المعاوضة من الأمر الذي طلبه فينقص أجره وشأن العبادة أن تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم
يحتمل أن يكون النهي لكونه قد يظن الجاهل أن النذر يرد القدر ويمنع من حصول المقدور فنهي عنه خوفا من
اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤيد هذا وقوله في بعض روايات الحديث إنه لا يأتي بخير معناه أنه لا
يرد شيئا من المقدور وقوله فيخرج ذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرجه معناه أنه لا يأتي بهذه
القربة تطوعا محضا مبتدئا وإنما يأتي بها في مقابلة شيء يريده كقوله إن شفاني الله من مرضي فلله علي كذا
ونحو ذلك والله أعلم وقوله تعالى فإن الله يعلمه أي يعلم ما أنفقتم ونذرتم فيجازيكم به وإنما قال
يعلمه ولم يقل يعلمهما لأنه رد الضمير إلى الآخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا
وقيل إن الكناية عادت على ما في قوله وما أنفقتم من نفقة لأنها اسم فهو كقوله وما أنزل عليكم من الكتاب
والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما وما للظالمين يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها وقيل الذين ينفقون
بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين ينفقون من المال الحرام من أنصار أي من أعوان يدفعون عنهم
عذاب الله تعالى فيه وعيد وتهديد لكل ظالم قوله عز وجل إن تبدوا الصدقات أي تظهروا الصدقات والصدقة
ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة التطوع فنعما هي أي
فنعمت الخصلة هي وقيل فنعم الشيء هي وقيل معناه فنعم شيئا إبداء الصدقات وإن تخفوها أي تسروا الصدقة
وتؤتوها الفقراء أي وتعطوها الفقراء في السر فهو خير لكم يعني إخفاء الصدقة أفضل من العلانية وكل
مقبول إذا كانت النية صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الآية فقال الأكثرون المراد بها
صدقة التطوع واتفق العلماء على أن كتمان صدقة التطوع أفضل وإخفاؤها خير من إظهارها لأن ذلك أبعد
من الرياء وأقرب إلى الإخلاص وكان فيه بعد عما تؤثره النفس من إظهار الصدقة وفي صدقة السر فائدة
ترجع إلى الفقير الآخذ وهي أنه إذا أعطي في السر زال عنه الذل والانكسار وإذا أعطي في العلانية
يحصل له الذل والانكسار ومما يدل على أن صدقة السر أفضل ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله إمام عادل وشاب نشأ في طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق
بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه خاليا ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل ورجل دعته امرأة ورجل ذكر الله
ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه
أخرجه في الصحيحين وفيه جواز إظهار الصدقة بحيث إن كان ممن فأمن على نفسه من مداخلة الرياء في
عمله أو يكون ممن يقتدى به في أفعاله فإذا أظهر الصدقة تابعه غيره على ذلك وأما الزكاة فإظهار
إخراجها أفضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل وصلاة التطوع في البيت أفضل ولأن في
إظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل إن الآية واردة في زكاة الفرض وكان إخفاؤها خيرا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا لا يتهمون بها حواله لمنع الزكاة فأما اليوم في زماننا
فإظهار الزكاة أفضل حتى لا يساء الظن به وقيل إن الآية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع

والإخفاء أفضل في كل صدقة من زكاة وغيرها وقوله تعالى **ويكفر عنكم من سيئاتكم** قيل إن من صلة زائدة
تقديره ويكفر عنكم سيئاتكم قال ابن عباس جميع سيئاتكم وأصل التكفير في اللغة التغطية والستر
والله بما تعملون خبير يعني من إظهار الصدقات وإخفائها قوله عز وجل **ليس عليك هداهم** قيل سبب
نزول هذه الآية أن ناسا من المسلمين كان لهم قرابات وأصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم ويتصدقون عليهم
قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوا بذلك أن يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على
فقراء أهل الذمة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي
تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام لحرصه صلى الله عليه وسلم على الإسلام فنزل ليس عليك هداهم
والمعنى ليس عليك هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الإسلام فحينئذ تتصدق عليهم
ما علمه الله تعالى أنه إنما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه فأما كونهم مهتدين فليس ذلك إليك
ولكن الله يهدي من يشاء يعني أن الله يوفق من يشاء فيهديه إلى الإسلام وأراد بالهداية هنا هداية
التوفيق وأما هداية البيان والدعوة فكانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه
الآية أعطوهم وتصدقوا عليهم **وما تنفقوا من خير** أي من مال **فلأنفسكم** أي تعملون تنفعون به
أنفسكم **وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله** ظاهره خبر ومعناه نهي أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه
الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين أعلمهم الله أنه قد علم مرادهم بنفقتهم ما عند الله وقيل
معناه ولستم في صدقاتكم على أقاربكم من المشركين تقصدون إلا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم
وما تنفقوا عليهم إذا كنتم إنما تنفقون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض
العلماء لو أنفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك وأجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الزكاة
إلا إلى المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة وجوز أبو حنيفة في صرف الفطر
إلى أهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك وقد حمل بعضهم الآية مختصة بصدقة التطوع أباح الله
تعالى أن تصرف إلى فقراء المسلمين وفقراء أهل الذمة فأما زكاة الفطر فلا يجوز صرفها إلى أهل الذمة
بحال **وما تنفقوا من خير يوف إليكم** أي يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به يوم
القيامة ومعناه يوفى لكم أجركم يوم القيامة ولهذا حسن إدخال إلى مع التوفية لأنها تضمنت معنى
التأدية **وأنتم لا تظلمون** أي لا تنقصون شيئا من ثواب أعمالكم قوله عز وجل **للفقراء** اختلفوا في
موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلأنفسكم فكأنه قال وما
تنفقوا من خير للفقراء وما تنفقون لأنفسكم وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل
خبره محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحو
أربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر وكانوا يأوون إلى صفة في المسجد يتعلمون
القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم أصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى وقوله
تعالى **الذين أحصروا في سبيل الله** يعني الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا
أنفسهم على طاعة الله **لا يستطيعون ضربا في الأرض** أي لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب
وهم أهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله وقيل هم قوم
أصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى حصرهم المرض والزمانة
عن الضرب في سبيل الله **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف** أي يحسبهم من لم يختبر حالهم أنهم أغنياء
من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشيء والكف عنه يقال تعفف إذا ترك السؤال ولزم القناعة
والمعنى أنهم من لم يعرف حالهم أغنياء لإظهارهم التجمل وتركهم المسألة **تعرفهم بسيماهم**
السيما والسيمياء والسمة العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها هنا فقيل هو الخشوع والتواضع

وقيل هي أثر

وقيل هي أثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هي صفرة الوجه من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر **لا يسألون
الناس إلحافا** يعني إلحاحا قيل إذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء وإذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء وقيل
لا يسألون الناس أصلا لأنه قال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهو ترك المسألة فعلى هذا يكون المعنى لا
يسألون البتة ولأنه قال تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة
حاجة فمعنى الآية ليس لهم سؤال حتى يقع فيه إلحاف فهم لا يسألون الناس إلحافا ولا غير إلحاف (خ) وعن
أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان
ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ البخاري (ق) وعن
أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (خ) وعن
الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب
على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح
قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي
عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف أخرجه أبو
داود وقال زاد هشام في حديثه وكانت الأوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين درهما
وفي رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله أربعون درهما فهو ملحف أخرجه النسائي عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فإنما
يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر وقوله تعالى **وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم** يعني أن الله تعالى
يعلم مقادير الإنفاق ويجازي عليه وفيه حث على الصدقة والإنفاق في الطاعة قوله تعالى **الذين ينفقون
أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية** قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الآية في علي بن أبي
طالب كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا
وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن
عوف بدنانير كثيرة إلى أهل الصفة وبعث علي بن أبي طالب بوسق من تمر فأنزل الله فيهما الذين ينفقون
أموالهم بالليل والنهار يعني بنفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الآية إشارة إلى أن
صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لأنه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار وقدم السر على العلانية
وقيل نزلت الآية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله لأنهم يعلفونها في الليل والنهار وفي السر
والعلانية عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله
إيمانا واحتسابا وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات
وقيل إن الآية عامة في الذين ينفقون أموالهم في جميع الأوقات ويعمون بها أصحاب الحاجات والفاقات
فلهم أجرهم عند ربهم أي جزاء أعمالهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** يعني في الآخرة قوله
عز وجل **الذين يأكلون الربا** أي يعاملون به وإنما خص بالأكل لأنه معظم الأمر المقصود من المال
لأن المال لا يؤكل إنما يصرف في المأكول ثم يؤكل فمنع الله التصرف في الربا بما ذكر فيه من
الوعيد عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه
وقال هم سواء وأصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشيء يربو إذا زاد وكثر فالزيادة في
المال **لا يقومون** يعني من قبورهم يوم القيامة **إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان** أي يصرعه
وأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط التي تضرب الأرض بقوائمها
وتخبط الناس بأخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشواء للرجل الذي يتصرف في الأمور على غير

اهتزاء وتمييز وتدبير ويتخبطه الشيطان إذا مسه بخبل وجنون من المس يعني من الجنون يقال مس الرجل
فهو ممسوس إذا كان به جنون ومعنى الآية أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذي لا يستطيع
الحركة الصحيحة لأن الربا يربو في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإسراع قال سعيد بن جبير تلك
علامة آكل الربا إذا استحله يوم القيامة وروى البغوي بسنده الثعلبي عن أبي سعيد الخدري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في قصة الإسراء قال فانطلق بي جبريل إلى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت
الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل
الإبل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس بهم أصحاب تلك
البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فتميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون
أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا
والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبدا قال ويوم القيامة يقولون أدخلوا آل فرعون
أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس قوله مثل البيت الضخم أي العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين أي موضوع بعضهم
على بعض والسابلة الطريق وقوله كمثل الإبل المنهومة المنهوم بالشيء المفرط في الشهوة
في الطعام من الجوع قوله عز وجل ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا أي ذلك الذي نزل بهم
من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم إياه وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حل ماله على غريمه
فطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الأجل حتى أزيدك في المال فيفعلان ذلك وكانوا
يقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد ذلك
عليهم بقوله وأحل الله البيع وحرم الربا يعني وأحل الله لكم الأرباح في التجارة في البيع
والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لأجل تأخير الأجل وذلك لأن الله تعالى خالق الخلق وهم
عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لأحد أن يعترض عليه بشيء
مما أحل أو حرم وإنما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه وذكر بعض العلماء
الفرق بين البيع والربا فقال إذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين
فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر في المالية عندهما فلم يكن أخذ
منهما شيئا بغير عوض أما إذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض
ولا يمكن أن يقال العوض هو الإمهال في مدة الأجل لأن الإمهال ليس مالا أو شيئا يشار إليه حتى يجعله عوضا
عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين فصل في حكم الربا وفيه مسائل المسألة
الأولى ذكروا في سبب تحريم الربا وجوها أحدها أن الربا يقتضي أخذ مال الغير بغير عوض لأن من يبيع درهما
بدرهمين نقدا كان أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني إنما حرم
عقد الربا لأنه يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لأن صاحب الدراهم إذا تمكن من عقد الربا خف
عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك إلى انقطاع منافع الناس بالتجارات
وطلب الأرباح الوجه الثالث أن الربا هو سبب إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما
حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله وطلب الأجر من الله تعالى الوجه
الرابع أن تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب
القطع بتحريم الربا وإن كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك المسألة الثانية اعلم أن الربا في
اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت أن الزيادة المحرمة هو الربا
وهو على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا إلا هاء وهاء والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء والشعير ربا

بالشعير ربا

بالشعير ربا إلا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا إلا هاء وهاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد أو استزاد بوزن
فقد أربى وفي رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن
زاد أو استزاد فقد أربى إلا ما اختلفت ألوانه عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء
بسواء يدا بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى
الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه الستة أشياء وهي النقدان وأربعة أصناف من المطعومات وهي
البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة أهل العلم إلى أن حكم الربا يثبت في هذه الأشياء لأوصاف فيها
فيتعدى إلى كل ما يوجد فيه تلك الأوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الأوصاف فذهب قوم إلى أن المعنى في
جميعها واحد وهو النفع فأثبتوا الربا في جميع الأموال وذهب الأكثرون إلى أن الربا يثبت في
الدراهم والدنانير بوصف وفي جميع الأشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف
فذهب الشافعي ومالك إلى أنه يثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأي إلى
أنه يثبت لعلة الوزن وأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك وأما
الأربعة أشياء المطعومة فذهب أصحاب الرأي إلى أن الربا يثبت فيها بعلة الوزن والكيل فأثبتوا الربا في
جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة
إلى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيه
سوى ذلك مما ليس بمكيل أو موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد
يثبت الربا فيها بوصف الطعم فأثبت الربا في جميع الأشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول
والأدوية مكيلة كانت أو موزونة لما روي عن معمر بن عبد الله أنه أرسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم
اشتر به شعيرا فذهب الغلام فأخذ صاعا وزيادة بعض صاع فلما جاء معمرا أخبره بذلك فقال له
معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن إلا مثلا بمثل فإني كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا يومئذ الشعير قيل له فإنه ليس بمثله فقال إني أخاف أن يضارع
أخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا أو مطعوما المسألة الثالثة الربا نوعان
ربا الفضل وهو الزيادة وربا النسيئة وهو الأجل فإذا باع مالا يدخل فيه الربا بجنسه مثل أن باع أحد النقدين
بجنسه كالذهب بالذهب أو المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه المساواة في
الوزن إن كان موزونا وإن كان مكيلا كالحنطة والشعير يشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض
في مجلس العقد فإن باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه نظر فإن باعه بما لا يوافقه في وصف الربا مثل
أن باع مطعوما بأحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا فإن باعه بما يوافقه في الوصف
لا في الجنس مثل أن باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير وكان مطعوما بمطعوم آخر من
غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط في
بيعه التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم إلا يدا بيد وقوله هاء وهاء ففيه اشتراط التقابض
في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم إلا سواء بسواء مثلا بمثل ففيه إيجاب المماثلة
وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فإذا اختلفت هذه الأجناس الأوصاف
فبيعوا كيف شئتم ففيه إطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض في
المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم يدا بيد والله أعلم المسألة الرابعة في القرض وهو
من أقرض شيئا وشرط عليه أن يرد عليه أفضل منه فهو قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روي
عن مالك قال بلغني أن رجلا أتى ابن عمر فقال إني أسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه أفضل مما

اسلفته فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا أخرجه مالك في الموطأ وقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه
أي تذكير وتخويف وإنما ذكر الفعل لأن تأنيثه غير حقيقي فجاز تذكيره وذلك لأن الوعظ والموعظة
شيء واحد فانتهى أي عن أكل الربا فله ما سلف أي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له وأمره
إلى الله يعني بعد النهي إن شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وإن شاء خذله فيعود إلى أكل الربا وقيل
معناه وأمره إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس إليه من أمر نفسه شيء وقيل إن الآية حق
فيمن يعتقد تحريم الربا ثم يأكله فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ومن عاد يعني
إلى أكل الربا بعد التحريم مستحلا له فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون قوله عز وجل يمحق
الله الربا أي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا
ولا صلاة ويربي الصدقات أي يربيها وينميها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف أجرها في الآخرة
وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل
الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من
الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله لفظ مسلم وللبخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب
ولا يصعد إلى الله إلا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها
كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل والله لا يحب كل كفار أي كل مصر على كفره مقيم عليه
مستحل لأكل الربا أثيم متماد في الإثم وفيما نهي عنه من أكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل
يحتمل أن يكون الكفار راجعا إلى مستحل الربا والأثيم راجعا إلى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون
الآية جامعة للفريقين قوله عز وجل إن الذين آمنوا يعني صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات
يعني التي أمرهم الله بها وأقاموا الصلاة يعني المفروضة بأركانها وحدودها في أوقاتها
وآتوا الزكاة يعني المفروضة عليهم في أموالهم لهم أجرهم عند ربهم أي لهم ثواب أعمالهم
في الآخرة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون أي يوم القيامة قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله وذروا ما بقي من الربا قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا
في التمر فلما كان وقت الجذاذ قال صاحب التمر لهما إن أخذتما حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي
فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما حل الأجل طلبا منه الزيادة
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما وأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس
أموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا
إلى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله هذه الآية
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فيما رواه مسلم ألا كل شيء من أمر الجاهلية
تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من الجاهلية موضوع وإن ربا أضع
من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع
وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله وقيل نزلت في أربعة إخوة من ثقيف
وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي وكانوا يداينون
المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف
أسلم هؤلاء الإخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما
نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله عن المؤمنين فاختصموا إلى عتاب بن أسيد وكان عامل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين
وكان ذلك مالا عظيما فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أي خافوا الله فيما أمركم به
والانتهاء عما نهاكم عنه وذروا أي واتركوا ما بقي من الربا والمعنى واتركوا طلب ما بقي لكم من
فضل

٩٢

من فضل على رؤوس أموالكم إن كنتم مؤمنين أي إن كنتم محققين لإيمانكم قولا وفعلا فإن لم تفعلوا أي لم تتركوا
ما بقي من الربا بعد تحريمه فأذنوا قرئ بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه فأعلموا غيركم أنكم حرب
لله ورسوله وقرئ فأذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله
قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال أهل المعاني حرب الله النار وحرب
رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس بعض
الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك أن من أصر على أكل الربا وعلم به الإمام قبض عليه وأجرى فيه
حكم الله من التعزير والحبس إلى أن تظهر توبته وإذا كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الإمام
كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على أكل الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين وإن تبتم
أن يستتيبه فإن نزع وإلا ضرب عنقه فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون أي لا تظلمون
الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال ولما نزلت هذه الآية قال بنو
عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب إلى الله فإنه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله
ورسوله ورضوا برؤوس أموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا أخرونا إلى أن
ندرك الغلة فأبوا أن يؤخروهم فأنزل الله عز وجل وإن كان ذو عسرة يعني وإن كان الذي عليه الدين
من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجود المال وأعسر الرجل إذا صار إلى حالة لا يجد ما يؤديه
في دينه فنظرة أي فإمهال وتأخير إلى ميسرة أي إلى زمان اليسار وهو ضد الإعسار وهو وجود
المال الذي يؤديه في دينه واختلفوا في حكم الآية وهل الإنظار مختص بالربا أم هو عام في كل دين
على قولين القول الأول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدي أن الآية في الربا وذكر عن شريح أن رجلا
خاصم رجلا إليه فقضى عليه وأمر بحبسه فقال رجل كان عند شريح إنه معسر والله تعالى يقول في كتابه
وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة فقال شريح إنما ذلك في الربا وإن الله تعالى قال في كتابه إن الله يأمركم
أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه
والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين أن حكم الآية عام في كل دين على معسر واحتجوا بأن
الله تعالى قال وإن كان ذو عسرة ولم يقل وإن كان ذا عسرة ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين وأن تصدقوا خير لكم
يعني وأن تتصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا رؤوس أموالكم للمعسر خير لكم وإنما جاز هذا
الحذف للعلم به لأنه قد جرى ذكر المعسر وذكر رأس المال فعلم أن التصدق راجع إليهما إن كنتم تعلمون
يعني أن التصدق خير لكم وأفضل لأن فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى فصل في ثواب
إنظار المعسر والوضع عنه والتشديد في أمر الدين والأمر بقضائه م عن أبي قتادة أنه طلب غريما له فتوارى
عنه ثم وجده فقال إني معسر فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه
الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه م عن أبي اليسر قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله م عن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرا قال
لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه م عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه بها عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها أن يموت رجل وعليه
دين لا يدع له قضاء أخرجه أبو داود خ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ
أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله
وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم زاد في رواية وإذا أتبع أحدكم
على ملي فليتبع وعن كعب بن مالك أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينا كان له عليه في عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى فقال يا كعب فقلت لبيك يا رسول الله فاشار بيده
ان ضع الشطر من دينك فقال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه وعن ابي هريرة قال كان لرجل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الا
سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتني وفاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء
وفي رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض اصحابه فقال دعوه فان
لصاحب الحق مقالا ثم امر بافضل من سنه وعن ابي قتادة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله افضل الاعمال فقال يا رسول الله ارايت ان
قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت في سبيل
الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت
قال ارايت ان قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت صابر
محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع راسه الى السماء ثم وضع يده على جبهته ثم قال سبحان
الله ماذا انزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سالته يا رسول الله ما هذا التشديد
الذي نزل فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احيي ثم قتل ثم احيي وعليه دين
ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه اخرجه النسائي قوله عز وجل واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله من قرا بفتح التاء اي تصيرون فيه الى الله ومن قرا بضم التاء وفتح الجيم اي تردون فيه
الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر وهم لا يظلمون اي في ذلك اليوم وفي
هذه الاية وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال جبريل ضعها على راس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول
الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين يوما وقيل تسعة ايام وقيل سبعة ومات صلى الله عليه
وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي عن ابن
عباس اخر اية نزلت اية الربا قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين قال ابن
عباس لما حرم الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى قد احله الله في
كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اي تعاملتم بالدين يعني اذا داين بعضكم بعضا والتداين تفاعل من
الدين يقال تداينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله اذا تداينتم لان المداينة قد تطلق
على المجازاة وعلى المعاملة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين من الاخر وقيل
انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر ذلك لوجب ان يقال فاكتبوا
الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تاكيدا الى اجل مسمى يعني الى مدة معلومة الاول
والاخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى مدة غير معلومة كما لو قال الى الحصاد او نحوه لان الاجل
يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه
لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم وعن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة وهم يسلفون في الثمار العام والعامين فقال من اسلف في تمر ففي كيل معلوم ووزن معلوم
الى اجل معلوم فاكتبوه اي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان ذلك او سلما او قرضا
واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختيار محمد
ابن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا باس وهو قول جمهور
العلماء وقيل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد
الذي اؤتمن امانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة
فقال تعالى

فقال تعالى وليكتب بينكم كاتب اي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب بالعدل اي بالحق من غير
زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تاخيره وقيل ان فائدة الكتابة هي حفظ المال من الجانبين لان صاحب
الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة او تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه
الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحد والنقص من اصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفائدة في الكتابة
امر الله تعالى بها ولا ياب اي ولا يمتنع كاتب ان يكتب واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب
وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبها لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع عن الكتابة وايجابها
على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة ممن هو اهلها وجب عليه ذلك وقيل هو من فروض
الكفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب
وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضي حاجة اخيه المسلم
ويشكر تلك النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبان على الكاتب
والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد كما علمه الله اي كما شرعه الله
وامر به فليكتب وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة
ولا يخص احد الخصمين بالاحتياط له دون الاخر وان يكون كل واحد منهما امنا من ابطال حقه وان يكون
ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وان يحترز عن الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل
الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء وليملل الذي عليه الحق يعني ان المطلوب الذي
عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفته والاجل ونحو
ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد وليتق الله ربه يعني المملي ولا يبخس اي ولا
ينقص منه اي من الحق الذي وجب شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها اي جاهلا بالاملاء
وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه المبذر المفسد لماله ولدينه او ضعيفا يعني شيخا
كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون او لا يستطيع ان يمل هو يعني لخرس او عي او عجمة
في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او يجهل ما له وعليه فحينئذ لا يصح
اقرارهم فلا بد ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى فليملل وليه يعني ولي كل واحد من هؤلاء
الثلاثة المحجور عليهم لانه مقامه في صحة الاقرار وقال ابن عباس اراد بالولي صاحب الدين يعني ان
عجز الذي عليه الحق عن الاملاء فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه بالعدل اي بالصدق والحق واستشهدوا
شهيدين من رجالكم يعني واشهدوا على حقوقكم شاهدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد
من رجالكم يعني من اهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهو قول اكثر اهل العلم
واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد ووجه هذا القول قوله من رجالكم عام يتناول العبيد
وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط
فيمن كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا فيقتضي ان من تحمل
شهادة وجب عليه الاداء اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان السيد اذا لم ياذن له في ذلك حرم
عليه الذهاب الى اداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة فان لم يكونا رجلين
اي فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامراتان اي فليشهد رجل وامراتان واجمع الفقهاء ان شهادة
النساء مع الرجال جائزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامراتين واختلفوا في غير الاموال فذهب
سفيان الثوري واصحاب الراي الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات
وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى ان ما يطلع عليه النساء
غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها تجوز بشهادة رجل وامراتين وشهادة اربع
نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود وقوله تعالى

ممن ترضون من الشهداء يعني من ترضون عدالته في دينه وأمانته والشرائط العشرة المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة عشرة وهي الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وأن لا يجر بتلك الشهادة منفعة إلى نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفاً بكثرة الغلط والسهو وأن لا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لأن الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب على الله أولى بأن ترد شهادته وجوز بعض أهل الرأي أهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد وأجازها ابن شريح وابن سيرين وهو قول أنس ولا قول المجنون حتى تقبل شهادته ولا تجوز شهادة الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا يجوز لأن الله تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والعدالة شرط وهو أن لا يكون الشاهد مقيماً على الكبائر غير مصر على الصغائر والمروءة شرط وهو ما يتصل بآداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فإن كان الرجل يظهر في نفسه شيئاً مما يستحيي أمثاله من إظهاره في الأغلب علم بذلك قلة مروءته وترد شهادته وانتفاء التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وإن كان مقبول الشهادة على غيره لأنه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده ولا والده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته إلى نفسه نفعاً أو يدفع عنها ضرراً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حداً ولا ذي غمر على أخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع أهل البيت ولا الظنين في ولاء ولا قرابة قال الفزاري القانع التابع أخرجه الترمذي وفي قوله لا تجوز شهادة خائن أراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والأمانة فإن من ضيع شيئاً من أمانة الله أو ارتكب شيئاً مما نهي عنه لا يكون عدلاً والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السائل المستطعم وقيل المنقطع إلى قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع إلى نفسه لأن التابع لأهل البيت ينتفع بما يصير إليهم والظنين بكسر الظاء المتهم وقوله تعالى أن تضل إحداهما أي تنسى إحدى المرأتين فتذكر إحداهما الأخرى لأن الغالب على طباع النساء النسيان وإنما جعلت المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت إحداهما فتذكرها الأخرى فتقول حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك التذكر وحكي عن سفيان بن عيينة أنه قال هو من الذكر أي أن تجعل إحداهما الأخرى ذكراً والمعنى أن شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول الأول أصح لأنه معطوف على تضل وهو النسيان وقوله تعالى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا يعني إذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء لأنهم كانوا شهداء وهذا أمر إيجاب عند بعضهم وقال قوم يجب إذا لم يكن غيره فإن كان غيره فهو مخير وقيل هو أمر ندب فهو مخير في جميع الأحوال وقال بعضهم هذا في إقامة الشهادة وأدائها ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا لأداء الشهادة التي تحملوها وقيل الآية في الأمرين جميعاً يعني في التحمل والأداء والإقامة إذا كان عارفاً وقيل الشاهد بالخيار ما لم يشهد فإذا أشهد وجب عليه الأداء ولا تسأموا أي ولا تملوا ولا تضجروا أن تكتبوه الضمير راجع إلى الحق والدين صغيراً أو كبيراً يعني قليلاً كان الحق أو كثيراً إلى أجله يعني إلى محل الحق الذي هو الأجل ذلكم يعني ذلك الكتاب أقسط عند الله يعني أعدل عند الله [في الهامش: وأقوم للشهادة] يعني أن الكتابة تذكر الشهود وأدنى ألا ترتابوا يعني وأحرى وأقرب أن لا تشكوا في الشهادة إلا أن تكون تجارة حاضرة أي إلا أن تقع تجارة حاضرة يداً بيد تديرونها بينكم أي فيما بينكم ليس فيها أجل فليس عليكم جناح أي لا حرج عليكم ألا تكتبوها يعني التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الأموال وتصرفها لطلب النمو والزيادة بالأرباح وإنما رخص الله تعالى في الكتابة والإشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والإشهاد لشق ذلك عليهم ولأنه إذا أخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة إلى الكتابة والإشهاد وأشهدوا إذا تبايعتم يعني فيما جرت العادة بالإشهاد فيه واختلفوا في هذا الأمر فقيل هو للوجوب فيجب أن يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئته

وقيل هو

وقيل هو أمر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل إنه منسوخ بقوله فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي اؤتمن أمانته وقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد هذا نهي عن المضارة وأصله يضارر بكسر الراء الأولى ومعناه لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب أو الشاهد فيأبى أن يشهد أو يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملي عليه فيضر صاحب الحق أو من عليه الحق وكذا الشاهد وقيل أصله يضارر بفتح الراء الأولى ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي إن الله أمركما أن تجيبا إذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهي عن مضارتهما وأمر بطلب غيرهما [في الهامش: فيقولان] وإن تفعلوا يعني ما نهيتم عنه من الضرار فإنه فسوق بكم أي معصية وخروج عن الأمر واتقوا الله أي خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها ويعلمكم الله يعني ما يكون إرشاداً لكم في أمر الدنيا كما يعلمكم ما يكون إرشاداً لكم في أمر الدين والله بكل شيء عليم يعني أن الله تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله عز وجل وإن كنتم على سفر أي في سفر ولم تجدوا كاتباً يعني أو لم تجدوا آلات الكتابة فرهن جمع رهن وقرئ فرهان مقبوضة يعني فارتهنوا ممن تداينونه رهوناً مقبوضة لتكون وثيقة لكم بأموالكم وأصل الرهن من الدوام يقال رهن الشيء إذا دام وثبت والرهن ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه ديناً فإن قلت لم شرط الارتهان في السفر مع أن الكاتب لا يعدم في السفر والحضر وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي على طعام أخذه إلى أجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لإعواز الكاتب والإشهاد أمر الله تعالى به على سبيل الإرشاد إلى حفظ الأموال لمن كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام الكتابة والإشهاد واتفق العلماء على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعاً ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الرهن إلا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية وأجيب عن ظاهر الآية بأن الكلام إنما خرج على الأعم الأغلب لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على أن الرهن لا يتم إلا بالقبض وهو قوله تعالى فرهن مقبوضة يعني ارتهنوا واقبضوا لأن المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق بذلك ولا يتم إلا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فإذا أسلم الرهن لم يرجع فيه حتى لا يجوز له أن يسترجعه ما دام شيء من الحق باقياً وقوله تعالى فإن أمن بعضكم بعضاً يعني فإن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيئاً لحسن ظنه به فليؤد الذي اؤتمن أمانته يعني فليؤد المديون الذي عليه الحق الذي كان أميناً في ظن الدائن الذي ائتمنه وأن يؤدي إليه حقه الذي ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيئاً زاد ذلك تأكيداً بقوله وليتق الله ربه أي المديون في أداء الحق عند حلول الأجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله المعاملة الحسنة كما أحسن ظنه فيه ثم رجع إلى خطاب الشهود فقال تعالى ولا تكتموا الشهادة يعني إذا دعيتم إلى إقامتها وأدائها وذلك لأن الشاهد متى امتنع من إقامة الشهادة وكتمها فقد أبطل حق صاحب الحق فلذلك نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى ومن يكتمها يعني الشهادة فإنه آثم قلبه أي فاجر قلبه والآثم الفاجر وإنما أضيف الإثم إلى القلب فيما قيل وعد الله على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة فإنه تعالى قال فإنه آثم قلبه وأراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك والله بما تعملون عليم يعني من بيان الشهادة وكتمانها فيجزيكم به ويعاقب من كتم الشهادة ولم يظهرها قوله عز وجل لله ما في السماوات وما في الأرض ملكاً وأهلها له عبيد وهو مالكهم وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وحديث النفس والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها فالمؤاخذة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق وأجيب عن هذا بأن الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه ويعزم على إدخاله إلى الوجود ومنها ما لا يكون الإنسان به

والقسم الثاني ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه الا بكرهه ولا يعزم على فعله ولا المحادثة الى الوجود
فهذا معفو عنه بدليل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الاية خاصة
ثم اختلفوا في وجه تخصيصها فقال بعضهم هي متصلة بالاية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة
ومعنى الاية ان تبدوا ما في انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اي تخفوا الكتمان يحاسبكم
به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان واردا عقيب قضية فلم يلزم صرفها اليها وقال بعضهم
ان الاية نزلت فيمن يتولى الكافرين من دون المومنين والمعنى ان تبدوا اي تظهروا ما في انفسكم يعني من ولاية
الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب اكثر العلماء الى ان الاية عامة ثم اختلفوا فقال
قوم هي منسوخة بالاية التي بعدها ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم لله ما في السماوات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا
على الركب فقالوا يا رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصوم والجهاد والصدقة وقد
انزل عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال
اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما
ان قراها القوم وزلت بها السنتهم انزل الله تعالى في اثرها امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون
الخ فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل وانزل الله لا يكلف الله نفسا الا وسعها الخ قال نعم اخرجه
مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا به او يتكلموا وفي رواية ما وسوست
به صدورها وقال قوم ان الاية محكمة غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد على الاخبار
وقول الله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تاويلها فقال قوم قد اثبت
الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد اسر عملا او اعلنه من حركة جارحة
او همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه عليه ثم يغفر لمن يشاء ويعذب بما يشاء وقال
اخرون في معنى الاية ان الله تعالى يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه
الا ان معاقبتهم على ما اخفوه اخف مما ابدوه وهو ما يجري لهم في الدنيا من النوايب والمصايب
والامور التي يحزنون عليها وهذا قول عايشة عن امية انها سالت عايشة عن قول الله عز وجل وان
تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوءا يجز به فقالت عايشة
ما سالني عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عايشة هذه معاتبة الله العبد
بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في كمه فيفقدها فيفزع لها حتى ان
العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
وله عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة
في الدنيا واذا اراد بعبده الشر امسك عليه بذنوبه حتى يوافيه به يوم القيامة وقال قوم
في معنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم مما عزمتم عليه او تخفوه اي ولا تبدوه وانتم عازمون عليه
يحاسبكم به الله فاما ما حدثت به النفس مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا
وسعها ولا يواخذ به قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ايواخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت
عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى
عالما بكل ما في الضماير والسراير مما اضمر واخفى ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم فتعملوا
به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله اي يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمومنين
اظهارا لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله يروى عن ابن عباس ويدل عليه انه قال يحاسبكم

به الله ولم يقل يواخذكم به لان المحاسبة غير المواخذة ويدل عليه ما روي عن صفوان بن محرز المازني قال
بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه
وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المومن من ربه حتى يضع عليه
كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف ربي اعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك في
الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته واما الاخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم
على رءوس الخلايق هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى
فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على
الذنب الصغير لا يسال عما يفعل وهم يسالون **والله على كل شيء قدير** يعني انه تعالى قادر على
كل شيء كامل القدرة فيغفر للمومنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا قوله عز وجل **امن الرسول بما
انزل اليه من ربه** عن ابن عباس لما نزلت هذه الاية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
دخل قلوبهم منه شيء لم يدخل منه شيء فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله امن الرسول
الاية لا يكلف الله نفسا الا وسعها الاية قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا الاية قال قد فعلت
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به الاية قال قد فعلت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر
الله تعالى في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد واقاصيص
الانبياء وما ذكر من كلام الحكماء ختم السورة بتصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بجميع ذلك
ومعنى امن الرسول اي صدق والرسول الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول ان هذا القرءان وجملة
ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من عند الله عز وجل **والمومنون** اي وصدق المومنون ايضا
كل اي كل واحد من المومنين **امن بالله وملايكته وكتبه ورسله** فهذه اربعة مراتب من اصول الايمان
وضرورياته اما الايمان بالله فهو ان يومن بان الله واحد احد لا شريك له ولا نظير له ويومن بجميع اسمايه
الحسنى وصفاته العليا وانه حي عالم قادر على كل شيء واما الايمان بالملايكة فهو ان يومن بوجودهم
وانهم معصومون مطهرون وانهم السفرة الكرام البررة وانهم الوسايط بين الله تعالى وبين رسله
واما الايمان بكتبه فهو ان يومن بان الكتب المنزلة من عند الله هي وحي الله الى رسله وانها حق
وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب وان القرءان لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على
المحكم والمتشابه وان محكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان يومن بانهم
رسل الله الى عباده وامناوه على وحيه وانهم معصومون وانهم افضل الخلق وان بعضهم افضل من بعض
وقد انكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود من
هذا الكلام شيء اخر وهو اثبات نبوة الانبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة
موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض
الانبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى قوله تعالى **لا نفرق بين احد من
رسله** فنومن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نومن بجميع رسله وفي الاية
اضمار تقديره وقالوا يعني المومنين لا نفرق بين احد من رسله **وقالوا سمعنا واطعنا** يعني
سمعنا قولك واطعنا امرك والمعنى قال المومنون سمعنا قول ربنا فيما امرنا به ونهانا عنه
غفرانك ربنا اي نسالك غفرانك ربنا ويكون المعنى اغفر لنا ربنا غفرانك ربنا **واليك المصير**
يعني قالوا اليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوي بغير سند عن حكيم
ابن جابر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اثنى عليك وعلى
امتك فسل تعطه فسال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير قوله عز وجل **لا يكلف الله
نفسا الا وسعها** قيل يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية عن المومنين

وفيه إضمار كأنه قال تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا إلا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع
الإنسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس وأكثر المفسرين إن هذه الآية نسخت حديث النفس والوسوسة
وذلك أنه لما نزل إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه جزع المؤمنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من
عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى أنكم
لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس لأن ذلك مما لا تطيقونه وقال ابن عباس في رواية
عنه هم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وسئل سفيان بن عيينة
عن قوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها قال إلا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لأن الوسع
ما دون الطاقة وقيل معناه أن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق **لها ما كسبت**
يعني النفس ما عملت من الخير ولها أجره وثوابه **وعليها ما اكتسبت** يعني من الشر وعليها وزره
وعقابه وقيل في معنى الآية أن الله تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره قوله عز وجل **ربنا لا تؤاخذنا**
وهذا تعليم من الله عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا أي لا تعاقبنا وإنما
جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لأن المسيء قد أمكن من نفسه وطرق السبيل إليها بفعله فكأنه أعان عليه
من يعاقبه بذنبه ويأخذه به **إن نسينا أو أخطأنا** فيه وجهان أحدهما أنه من النسيان الذي هو السهو
وهو ضد التذكير وقيل كان بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطئوا عجلت لهم العقوبة فيحرم عليهم
شيئا مما كان حلالا لهم من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك
مؤاخذتهم بذلك فإن قلت اليسير فعل الناسي في محل العقوبة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فإذا كان النسيان في محل العقوبة قطعا فما معنى
طلب العقوبة بالدعاء قلت الجواب عنه من وجوه الأول أن النسيان على ضربين أما الأول فهو ما كان
من العبد على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما أمر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فأخر إزالته عنه
ثم نسي فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا إذ كان يلزمه المبادرة إلى إزالته أما إذا لم يره فيعذر
فيه وكذلك من ترك ما أمر بفعله على وجه السهو أو نكب منهيا عنه من غير قصد إليه كأكل آدم عليه
السلام من الشجرة التي نهي عنها على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا إلى
آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب أن يسأل الله تعالى أن يعفو عنه ذلك وأما الضرب
الثاني فهو كمن ترك صلاته ثم نسيها أو ترك دراسة القرآن حتى نسيه فهذا لا يعذر
بنسيانه وسهوه لأنه فرط فثبت أن النسيان على قسمين وإذا كان كذلك صح طلب العفو والغفران
عن النسيان الوجه الثاني من الجواب أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا من المتقين لله حق تقاته
فما كان يصدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون إلا على سبيل السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم
على سبيل السهو إنما هو لشدة خوفهم وتواضعهم الوجه الثالث أن المقصود من هذا الدعاء
هو التضرع والتذلل لله تعالى وأما الخطأ في قوله أو أخطأنا فهو على وجهين أيضا أحدهما أن يأتي العبد
ما نهي عنه بقصد وإرادة لكن ذلك خطأ منه وهو يوجب ما خوله فيحسن طلب العفو والغفران لذلك
الفعل الوجه الثاني أن يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بأن له فعله كمن أفطر أو فت الصلاة
لم يدخل وهو في يوم غيم فأخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد لأن طلب العفو
والغفران بسبب تقصيره وقوله **ربنا ولا تحمل علينا إصرا** يعني عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا لا
نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه **كما حملته على الذين من قبلنا** يعني اليهود ولم
يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك
أن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة

قطعها ومن أصاب

قطعها ومن أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الأثقال والآصار التي كتبت عليهم
فسأل المسلمون ربهم أن يصونهم عن أمثال هذه التكليفات والعهود الثقيلة وقد أجاب الله تعالى
دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال وما جعل عليكم في الدين من حرج وقيل الإصر ذنب
لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم أن يعصمهم من مثله **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** يعني لا
تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين أحدهما
ما ليس في قدرة العبد احتماله كتكليف الأعمى النظر والزمن العدو ونحو النوع من التكليف الذي لا يكلف
الله به عبده بحال الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق وهو ما في قدرة العبد احتماله بالمشقة الشديدة صح
والكلفة العظيمة كتكليف الأعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان في ابتداء الإسلام صلاة الليل
واجبة ونحوه فخفف الذي سأل المؤمنون ربهم أن لا يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول
إن تكليف ما لا يطاق جائز إذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل في قوله ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هو هيجان الغلمة وقيل هو الحب وقيل
هو شماتة الأعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسيس العزلة والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله
واعف عنا أي تجاوز عن ذنوبنا وامح عنا **واغفر لنا** أي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا **وارحمنا**
أي تفضل برحمتك فيما بنا من عقابك فإنه لا ينجو أحد من عقابك إلا برحمتك وقيل إنما لا ينال العمل
لا بطاعتك ولا ترك معصيتك إلا برحمتك وأصل الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وإذا وصف
بها الله فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد والتفضل على العباد دون الرقة وقيل إن طلب العفو هو أن
يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو أن يستر عليه صونا له من الفضيحة لأن العبد يقول
أطلب منك العفو وإذا عفوت عني فاستره علي فإذا أعفى الله تعالى على العبد وستره طلب الرحمة
التي هي الإنعام والإحسان ليفوز بالنعيم والثواب **أنت مولانا** أي ناصرنا وحافظنا ووليّنا ومتولي
أمرنا **فانصرنا على القوم الكافرين** يعني الجاحدين الذين جحدوا عينك وعبدوا غيرك قال
ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال لا
أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا إصرا قال لا أحمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحمل عليكم
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت
لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ إذا ختم سورة البقرة قال آمين عن عبد
الله ابن مسعود قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء
السادسة وإليها ينتهي ما يعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها
قال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا
أعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات قوله
المقحمات الذنوب العظام التي تقحم صاحبها النار وأهل الإقحام الولوج عن أبي مسعود الأنصاري أبي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه كفتاه
معناه كفتاه من كل ما يحذر من كل شيطان وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه من قيام
الليل عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام إذ سمع نقيضا
من فوقه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل
منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما
لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته عن
النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي
عام أنزل منه آيتان ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربه شيطان أخرجه

الترمذي وقال حديث حسن غريب. آخر سورة البقرة والله أعلم بأسرار كتابه

تفسير سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية وثلاثة

آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة وأربعة عشر ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال المفسرون نزلت هذه الآية في وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم
وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه والسيد واسمه
الأيهم وهو ثمالهم ثمال القوم فيما بينهم وهو صاحب القافلة لهم وصاحب رحلهم الذي يقوم بأمر
طعامهم وشرابهم وأبو حارثة بن علقمة وهو أسقفهم وحبرهم وكانت ملوك الروم يكرمونه لما بلغهم
من علمه واجتهاده في دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر وعليهم
ثياب الحبرات جبب وأردية فيها جمال رجال بني الحارث بن كعب يقول من رآهم ما رأينا وفدا مثلهم وقد
حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعوهم فصلوا إلى المشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم أسلما فقالا قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الإسلام دعواكما لله ولدا
وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون
أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الموت قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه عليه
ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في
الأرض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال ألستم تعلمون أن ربنا
صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما
تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا
بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها
زاد بعضهم فقالوا يا محمد ألست تزعم أن عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا ثم أبوا إلا
جحودا فأنزل الله هذه الآية الم الله لا إله إلا هو يعني إن كان عندكم يا معشر النصارى معرفة فإن الله
فهو الله الذي لا إله إلا هو فكيف تتخذون له ولدا أفتعبدون إذن الحي لا يستحق العبادة سواه لأنه الواحد
الأحد الصمد الذي لا إله معه ولا ولد ثم أتبع ذلك بما يجري مجرى الدلالة عليه فقال الحي القيوم أما الحي فهو
عند الله تعالى فهو الدائم الباقي الذي لا يجوز عليه الموت وأما القيوم فهو القائم بذاته والقائم بتدبير
الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم نزل عليك الكتاب يعني القرآن بالحق
أي بالصدق والعدل مصدقا لما بين يديه يعني قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والأخبار
وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك أن ما بين يديه فهو أمامه فقيل لكل شيء
تقدم على الشيء فهو أمامه بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره وأنزل التوراة والإنجيل من قبل
أي من قبل القرآن فإن قلت لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل قلت لأن القرآن نزل منجما
مفصلا في أوقات كثيرة ونزل الكتب وأنزل التوراة جملة واحدة هدى للناس يعني أن إنزال
التوراة والإنجيل قبل القرآن كان هدى للناس فإن قلت كيف وصف القرآن في أول البقرة بأنه هدى التوراة
للمتقين ووصف هنا التوراة والإنجيل بأنهما هدى للناس قلت إنما وصف القرآن بأنه هدى
للمتقين لأنهم هم الذين انتفعوا به وقبلوه ووصف هنا التوراة والإنجيل بأنهما هدى للناس لأن
المناظرة كانت مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والإنجيل فلهذا السبب قال هدى
للناس

للناس وقيل إن قوله هدى للناس يعود إلى الكتب الثلاثة يعني القرآن المتقدم ذكره والتوراة والإنجيل
وإنما وصف هذه الكتب بأنها هدى للناس لما فيها من الشرائع والأحكام وأنزل الفرقان يعني الفارق بين
الحق والباطل قيل أراد به القرآن وإنما أعاد ذكره ليبين أنه نعت أنزله بعد التوراة والإنجيل ليجعله فارقا
بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في أمر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لأن كلها
هدى للناس ومعرفة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال السدي في الآية تقديم وتأخير تقديره وأنزل
التوراة والإنجيل والفرقان هدى للناس إن الذين كفروا بآيات الله يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل
أراد بهم نصارى وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل إن خصوص السبب لا يمنع عموم
اللفظ فهو يتناول كل من كفر بشيء من آيات الله تعالى لهم عذاب شديد والله عزيز أي غالب لا
يغلب ذو انتقام يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة قوله عز وجل إن الله لا يخفى
عليه شيء في الأرض ولا في السماء أي لا يخفى عليه شيء من أمر العالم وهو المطلع على أحوالهم
فقوله إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء إشارة إلى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات
هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء التصوير جعل الشيء على صورة والصورة الهيئة المختلفة المتقادة
في الخلقة ذكرا وأنثى أبيض أو أسود حسنا أو قبيحا كاملا أو ناقصا والمعنى أنه الذي يصوركم في ظلمات
الأرحام مختلفة في الشكل والطبع واللون وأنه الخلق من نطفة وعن عبد الله بن مسعود قال حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة
ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله
وعمله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى
لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل
بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها
وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب
علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال يا رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما
الرزق وما الأجل فيكتب ذلك في بطن أمه وقيل إن الآية واردة في الرد على النصارى وذلك أن عيسى
عليه السلام كان يخبر ببعض الغيب فيقول الكل في ذلك كفرا وأنه أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص
ويخلق من الطين طيرا فاتخذته النصارى ربا لذلك فقالوا ما قدر على ذلك إلا إله فرد الله تعالى
عليهم بذلك وأخبر أن الإله المستحق لهذا الاسم هو الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في
السماء وأنه المصور في الأرحام كيف يشاء وأن عيسى عليه السلام ممن صور في الرحم على أنه عبد
مخلوق كغيره وأنه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل لا إله إلا هو العزيز الحكيم وهذا أيضا
في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كأنه قال كيف يكون ولدا له وقد صوره الله في
الرحم قوله عز وجل هو الذي أنزل عليك الكتاب يعني القرآن منه آيات محكمات يعني
مبينات مفصلات أحكمت عباراتها من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمة من الإحكام كأنه
تعالى أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها هن أم الكتاب يعني هن
أصل الكتاب الذي يعول عليه في الأحكام ويعمل بها في الحلال والحرام فإن قلت كيف قال هن
أم الكتاب ولم يقل أمهات الكتاب قلت لأن الآيات في اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة
وكلام الله كله شيء واحد وقيل إن كل آية منهن أم الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وأمه آية
يعني أن كل واحد منهما آية وأخر يعني آيات أخر متشابهات يعني أن لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه
يخالف معناه فإن قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله في موضع آخر كله محكما فقال
الر كتاب أحكمت آياته وفي موضع آخر كله متشابها فقال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها

فكيف الجمع بين هذه الآيات. قلت: حيث جعله كله متشابها أراد أن بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق، وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه، فقال ابن عباس: المحكمات الثلاث آيات التي في آخر سورة الأنعام وهي قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، ونظيرها في بني إسرائيل وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه الآيات، وعنه الآيات المحكمة هي الناسخة والمتشابهات هي الآيات المنسوخة، وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي، وقيل إن المحكمات ما فيه أحكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا، وقيل إن المحكمات ما أطلع الله عباده على معناه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه بلا سبيل لأحد إلى معرفته نحو الخبر عن أشراط الساعة مثل الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه، وقيل إن المحكم لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل أوجها، وروي ذلك عن الشافعي، وقيل إن المحكم سائر القرآن والمتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل السور، وقال ابن عباس: إن رهطا من اليهود منهم حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي: بلغنا أنك أنزل عليك الم، أنشدك الله أنزل عليك؟ قال: نعم. قال: إن كان ذلك حقا فإنا أعلم مدة ملك أمتك، هي إحدى وسبعون سنة، فهل أنزل عليك غيرها؟ قال: نعم، المص. قال: فهذه أكثر، هي إحدى وستون ومائة، فهل أنزل عليك غيرها؟ قال: نعم، الر. قال: هذه أكثر، هي مائتان وإحدى وثلاثون سنة، فهل من غيرها؟ قال: نعم، المر. قال: هذه أكثر، هي مائتان وإحدى وسبعون سنة، ولقد خلط علينا فلا ندري بكثيره نأخذ أم بقليله، ونحن ممن لا يؤمن بهذا، فأنزل الله هذه الآية. قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه. وقيل إن المحكم ما لم يتكرر لفظه والمتشابه ما تكررت ألفاظه، وقيل إن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان والمتشابه ما احتاج إلى بيان، وقيل المحكم هو الأمر والنهي والوعد والوعيد والمتشابه هو القصص والأمثال. فإن قلت: إنما أنزل القرآن ليحصل البيان والهدى لرشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه، وهلا كان كله محكما؟ قلت: ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة: أحدها أن القرآن نزل بألفاظ العرب ولغاتهم، وكلام العرب على ضربين: أحدهما الإيجاز والاختصار، والموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره، والإطالة لبيان المراد والتوكيد. الضرب الثاني المجاز والكنايات والإشارات والتلويحات وإغماض بعض المعاني، وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم، فأنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله، فكأنه قال: عارضوه بأي الضربين شئتم، ولو أنزل كله محكما واضحا لقالوا هلا أنزل بالضرب المستحسن عندنا. الجواب الثاني أن الله تعالى أنزل المتشابه لعباده لعلة عظيمة وهو أن يشتغل أهل العلم والنظر بردهم المتشابه إلى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما أثيبوا على عبادة أنفسهم، ولو أنزل القرآن كله محكما لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكر، ومع الفهوم تقع الحاجة إلى الفكرة والحيلة إلى استخراج المعاني، وقد قيل في عيب الغنى إنه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر إنه يبعث على الحيلة لأنه إذا احتاج احتال. الجواب الثالث أن أهل العلم يجعلون في علومهم معاني غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك أذهان المتعلمين منهم على استخراج الجواب لأنهم إذا قدروا على استخراج المعاني الغامضة كانوا على الواضح أقدر، فلما كان ذلك حسنا عند العلماء جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو. الجواب الرابع أن الله تعالى أنزل المتشابه في كتابه مختبرا به عباده ليقف المؤمن عنده ويرده

مختبرا

إلى عالمه

إلى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بني إسرائيل بالنهر، والله أعلم بمراده. قوله تعالى **فأما الذين في قلوبهم زيغ** أي ميل عن الحق، وقيل الزيغ الشك، واختلفوا في المعنيين المشار إليهم، فقيل هم وفد نجران لما قالوا: أليس تزعم أن عيسى روح الله وكلمته؟ قال: بلى. قالوا: حسبنا، فأنزل الله هذه الآية. وقيل هم اليهود لأنهم طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الأمة واستخراجه في حساب الجمل من الحروف المقطعة في أوائل السور، وقيل هم المنافقون، وقيل هم الخوارج، كان قتادة يقول إن لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا أدري من هم، وقيل هم جميع المبتدعة. **فيتبعون ما تشابه منه** يعني يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت، وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعني بهذه الآية. وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات إلى قوله وما يذكر إلا أولو الألباب، فقال: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم. وقوله تعالى **ابتغاء الفتنة** أي طلب الشرك والكفر، وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم، وقيل الإفساد، وطلب إفساد ذات البين. **وابتغاء تأويله** أي تفسيره، وأصل التأويل في اللغة المرجع والمصير، تقول آل الأمر إلى كذا إذا رجع إليه، وتسمى العاقبة تأويلا لأن الأمر يصير إليه. قال ابن عباس في قوله وابتغاء تأويله أي طلب بقاء ملك محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل المراد بهم الكفار طلبوا كيف يبعثون وكيف إحياؤهم بعد الموت، وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه. **وما يعلم تأويله إلا الله** يعني تأويل المتشابه، وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الأمة إلا الله لأن انقضاء ملكها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك إلا الله، وقيل يجوز أن يكون للقرآن تأويل استأثر الله بعلمه لم يطلع عليه أحدا من خلقه كعلم قيام الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام وعلم الحروف المقطعة وأشباه ذلك مما استأثر الله بعلمه، فالإيمان به واجب وحقائق علومه مفوضة إلى الله تعالى، وهذا قول أكثر المفسرين، وهذا مذهب ابن مسعود وابن عباس في رواية عنه وأبي بن كعب وعائشة وأكثر التابعين، وعلى هذا القول فتم الكلام عند قوله إلا الله فيوقف عليه ثم ابتدأ فقال عز من قائل **والراسخون في العلم** أي الثابتون في العلم وهم الذين أتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في علمهم شك **يقولون آمنا به**. قال ابن عباس: سماهم الله الراسخين في العلم بقولهم آمنا به، فرسوخهم في العلم هو الإيمان به. وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الآية: انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا آمنا به **كل من عند ربنا** يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا منه وما لم نعلم، ونحن معترفون في المتشابه بالإيمان، ونكل معرفته إلى الله تعالى، وفي المحكم يجب علينا الإيمان به والعمل بمقتضاه. وروي عن ابن عباس أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير لا يسع أحدا جهله، وتفسير تعرفه العرب بألسنتها، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله. وقيل إن الواو في قوله والراسخون في العلم واو عطف، يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله والراسخون في العلم، وهم مع علمهم يقولون آمنا به. وروي عن ابن عباس أنه كان يقول: أنا من الراسخين في العلم، وعن مجاهد عنه: أنا ممن يعلم تأويله. ووجه هذا القول أن الله تعالى أنزل كتابه لينتفع به عباده، ولا يجوز أن يكون في القرآن شيء لا يعرفه أحد من الأمة. وفي المراد بالراسخين في العلم هنا قولان: أحدهما أنهم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، بدليل قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم. والقول الثاني أن الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم. وسئل أنس بن مالك عن الراسخين في العلم فقال: العالم العامل بما علم المتبع له. وقيل الراسخون في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء: التقوى فيما بينه وبين الله، والزهد فيما بينه وبين الدنيا، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهد فيما بينه

يعلمه ح

وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس وما يذكر الا اولوا الالباب اي وما يتعظ بما في القرآن الا
ذوو العقول وهذا ثناء من الله عز وجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا قوله عز وجل ربنا لا تزغ
قلوبنا اي ويقول الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا اي لا تملها عن الحق والهدى كما ازغت قلوب الذين
في قلوبهم زيغ بعد اذ هديتنا اي ووفقتنا للدين والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك وهب
لنا من لدنك رحمة اي اعطنا توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا
ومغفرة انك انت الوهاب الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب في صفة الله
تعالى انه يعطي كل احد على قدر استحقاقه عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث
يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك هذا
من احاديث الصفات وللعلماء فيه قولان احدهما الايمان به وامراره كما جاء من غير تعرض لتأويل
ولا تكييف لمعرفة معناه بل نؤمن به وانه حق ونكل علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
هذا القول هو مذهب اهل السنة من سلف الامة وخلفها من اهل الحديث وغيرهم والقول
الثاني يتأول بحسب ما يليق به وان كان ظاهره غير مراد فان قيل ليس كمثله شيء فعلى هذا هو المراد
هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي ليس يراد انه حال في
كفه فمعنى الحديث انه متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا
يفوته ما اراد منها كما لا يمتنع على الانسان ما بين اصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من انفسهم وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على
المعهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية و الجمع وهذا مذهب
جمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وانما خص القلوب بالذكر لانه بها وهي ان الله تعالى جعل
القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهي مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة
للقلوب في الحركات والسكنات والله اعلم قوله عز وجل ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
اي ليوم القضاء وقيل اللام بمعنى في اي في يوم فيه اي لا شك فيه انه كائن وهو يوم القيامة
ان الله لا يخلف الميعاد هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك انهم لما طلبوا من
الله تعالى ان يصرف قلوبهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح الدين
والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ومعناه انا نعلم
انك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم ان وعدك حق وانك لا تخلف الميعاد فمن زاغت
قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد قوله عز وجل
ان الذين كفروا يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير لن
تغني اي لن تنفع ولن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من عذاب الله شيئا
وقيل من بمعنى عند اي عند الله شيئا واولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون قال ابن
عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون
والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل
فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون والذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية
مثل عاد وثمود وغيرهم كذبوا بآياتنا لما جاءتهم بها الرسل فاخذهم الله بذنوبهم
اي فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم والله شديد العقاب وقيل في معنى الآية ان الذين كفروا
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل آل فرعون وكفار الامم
الخالية فاخذناهم فلن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم قوله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون

وتحشرون

وتحشرون قرئ بالتاء والياء فيهما فمن قرأ بالياء المنقوطة تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون
ويحشرون ومن قرأ بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون في الآخرة الى جهنم
قيل اراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الآخرة الى
جهنم فلما نزلت هذه الآية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم
الى جهنم وقيل ان ابا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله هذه الآية وقيل ان هذه الآية
نزلت في اليهود قال ابن عباس ان يهود اهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين
يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وارادوا اتباعه فقال بعضهم لبعض لا تعجلوا
حتى تنظروا وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم
الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد
وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل
بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم
فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا لو قاتلناك
لعرفت انا نحن الناس فانزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون اي تهزمون وتحشرون يعني
في الآخرة الى جهنم وبئس المهاد اي الفراش والمعنى بئس ما مهد لهم في النار قوله عز وجل قد كان لكم
آية في فئتين التقتا قيل الخطاب للمؤمنين ويروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب للكفار
فيكون عطفا على الذي قبله فيجري على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قال ابن جرير فان قلت
لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لان الآية مؤنثة قلت كلما ليس تأنيثه حقيقيا يجوز تذكيره وقيل
انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء انما ذكره لانه حال
الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكلما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الآية قد كان لكم آية
اي عبرة ودلالة على صدق ما اقول لكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين وجماعتين في الحرب لان بعضهم يفيء الى
بعض اي يرجع التقتا يعني يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله اي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة
وثلاثون من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الانصار سعد
بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف وقوله تعالى
واخرى كافرة اي وفرقة اخرى كافرة اي وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة
اول وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر [illegible] شهرا من مهاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى يرونهم مثليهم قرئ بالتاء يعني ترون يا اهل مكة وقيل يعني
المسلمين يا معشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون
الدائرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلي عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة
وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا في وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية للمسلمين ثم له تأويلان احدهما
يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قلت كيف قال مثليهم وانما كانوا امثالهم قلت
هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثلي هذا الدرهم يعني الى مثليه سواه فيكون
ثلاثة دراهم ووجه آخر وهو ان الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المؤمنون
انهم يغلبونهم لازالة الخوف عن قلوبهم وهذا التأويل الثاني هو الاصح قلل الله المشركين في اعين
المسلمين حتى رأوهم مثليهم فان قلت كيف الجمع بين قوله يرونهم مثليهم وبين قوله

والذي يكونهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا
المسلمين وان المسلمين استكثروا المشركين وان الفئتين تساويا في استقلال احدهما الاخرى قلت
ان التقليل والتكثير كانا في حالتين مختلفتين فان قيل الفئة الرائية هم المسلمون فانهم راوا عدد
المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه ثم قلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى اجترءوا عليهم
فنصروا على قتالهم لذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا
ثم رايناهم يضعفون علينا ثم رايناهم فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفي رواية اخرى
عنه قال لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا
منهم رجلا فقلنا له كم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول البعض ان
الرؤية راجعة الى المشركين يعني راى المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين في اعين
المشركين في اول القتال ليجترءوا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا في القتال كثر الله المسلمين في
اعين المشركين لما اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا
قالوا يعني المشركين ما كنا نراكم الا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر احوال في التكثير والتقليل
وما ذاك الا اظهار للقدرة التامة وقوله تعالى راي العين اي في راي العين والله يؤيد بنصره
من يشاء ان في ذلك يعني الذي ذكر من النصر وقيل رؤية الجيش مثليهم لعبرة اي لاية والعبرة
الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية الى العلم واصلها من العبور لانه طريق يعتبر به فيوصل
الى مراده وقيل العبرة هي التي يعبر بها من منزلة الجهل الى منزلة العلم لاولي الابصار
لذوي العقول والبصائر قوله عز وجل زين للناس قال اهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى
خالق لجميع افعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا واباحها لعبيده واباحتها للعبد
تزيين لها قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج
لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وقال تعالى فكلوا مما رزقكم
الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يؤيد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاي
على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك
ان الله تعالى زهد في هذه الاشياء بان اعلم عباده زوالها وان الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل
فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان وان الله تعالى ذكر هذه الاشياء في معرض الذم
للدنيا ويدل عليه اخر الاية وهو قوله تعالى والله عنده حسن الماب ونقل عن ابي علي الجبائي من
المعتزلة ان ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا من ذلك كان المزين له هو الله
تعالى والصحيح ما ذهب اليه اهل السنة ان الله خالق كل شيء ولا شريك له في ملكه وقوله تعالى حب
الشهوات يعني المشتهيات لتوقان النفس اليها. المشتهي من النساء. انما بدا بذكر النساء
لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم ولانهن حبائل الشيطان واقرب الى الافتتان والبنين
انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر اكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به
ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهي
بقاء التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك والقناطير المقنطرة جمع قنطار وسمي
قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرت الشيء اذا احكمته ومنه القنطرة المحكمة الطاق واختلفوا
في القنطار فقيل هو محدود او غير محدود على قولين احدهما انه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن
معاذ بن جبل القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابن عباس الف ومائتا مثقال وعنه اثنا عشر
الف درهم او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة الف ومائة
من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا

وقال سعيد

وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وقال السدي هو اربعة
الاف مثقال والقول الثاني ان القنطار ليس بمحدود وقال الربيع بن انس القنطار المال الكثير بعضه
على بعض وروي عن ابي عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره
وقال الحاكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال ابو نضرة القنطار ملء مسك ثور ذهبا او فضة
وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة اي المجموعة المضاعفة لان القناطير
جمع واقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل ان يكون ستة او تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة
المنقوشة من الذهب والفضة انما بدا بهما من بين سائر اصناف الاموال لانهما قيم الاشياء وانما
كانا محبوبين لان المالك لهما قادر على ما يريده وهي صفة كمال وهي محبوبة وقيل سمي الذهب ذهبا
لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض اي تتفرق والخيل المسومة الخيل جمع لا واحد له من لفظه
كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها في مشيها وقيل ان الخيل لا يركبها احد الا وجد في
نفسه مخيلة يعني عجبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة اقوال القول الاول انها الراعية يقال
اسمت الدابة وسومتها اذا ارسلتها المرعى والمقصود انها اذا رعت ازداد حسنها والقول الثاني
انها من السمة وهي العلامة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل
التي تكون في الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث انها المضمرة الحسان
وتشوقهما حسنها والانعام جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل
خاصة فانه غلب عليها والحرث يعني الزرع ذلك يعني ذلك الذي ذكر من هذه الاصناف متاع
الحياة الدنيا اي الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زائلة فانية يشير الى ان الحياة الدنيا
متاع يفنى والله عنده حسن الماب اي المرجع فيه اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب
في الاخرة وقيل فيه اشارة الى من اتاه الله الدنيا كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه
في الاخرة لانها السعادة القصوى قوله عز وجل قل اؤنبئكم اي اخبركم بخير من ذلكم يعني الذي ذكر من
متاع الدنيا للذين اتقوا قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار اراد ان يرغبهم
ويشوقهم الى الاخرة قال العلماء يدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك عند ربهم معناه ان الله
تعالى اخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا ليحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر
ذلك الخير فقال تعالى جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله
وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل
الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله قد رضي عنه كان اتم لسروره واعظم لفرحه
والله بصير بالعباد يعني ان الله تعالى عالم بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازي كلا
على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا عالم باحوالهم
حسنات قوله عز وجل الذين يقولون ربنا اننا امنا اي صدقنا فاغفر لنا ذنوبنا اي استر علينا
وتجاوز عنا وقنا عذاب النار قوله عز وجل الصابرين يعني على اداء الواجبات وعن المحرمات والقضايا
وفي الباساء والضراء وحين الباس وقيل الصابرين على دينهم وما اصابهم والصادقين يعني في
ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت السنتهم وقلوبهم في السر والعلانية
والصدق يكون في القول والفعل والنية فالصدق في القول هو مجانبة الكذب والصدق في الفعل
هو عدم الانصراف عنه قبل تمامه والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه والقانتين
يعني المطيعين لله وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها والمنفقين

ينفقون أموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى أهله وعلى أقاربه وصلة رحمه
والزكاة والنفقة في جميع القربات والمستغفرين بالأسحار يعني المصلين بالسحر وهو الوقت بعد
طائفة الليل إلى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى إذا كان وقت السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار
فكان هذا دأبهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيي الليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة
فإن قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يطلع الفجر وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له
من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وفي لفظ لمسلم أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني
وله في رواية أخرى هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح
هذا الحديث من أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الإيمان
به وإجراؤه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتأول أحاديث الصفات
قال أبو سليمان الخطابي إنما ينكر هذا الحديث من يقيس الأمور على ما يشاهده من النزول الذي هو
تدلي من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهو صفة الأجسام فأما هذه المعاني فغير متوهمة
فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم
يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير وقيل في قوله والمستغفرين بالأسحار وصف الله هؤلاء بما وصف ثم بين أنهم مع ذلك
لشدة خوفهم ووجلهم ثم يستغفرون بالأسحار وروي أن لقمان قال لابنه يا بني لا تكن أعجز من (أعجز)
الديك فإنه يصوت وأنت نائم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة وعلى
هذا القول إنما سميت الصلاة استغفارا لأنهم طلبوا بفعلها المغفرة قوله عز وجل شهد الله
أنه لا إله إلا هو قيل في سبب نزول هذه الآية أن حبرين من أحبار الشام قدما على النبي صلى الله
عليه وسلم فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي
صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة
فقالا له أنت محمد قال نعم قالا وأنت أحمد قال نعم قالا إنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا
به آمنا بك وصدقناك قال سلاني قالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل
الله هذه الآية فأسلم الحبران وقيل إن الآية نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام
فقوله تعالى شهد الله يعني بين الله وأظهر لأن معنى الشهادة تبيين وإظهار وقيل معنى شهد الله
حكم الله وقضى وقيل معناه فأعلم أنه لا إله إلا هو وذلك بيان أن الدلائل الدالة على التوصل إلى
معرفة الوحدانية فمن تفكر في عجائب مخلوقاته عرف توحيده لما بين من عجائب مصنوعاته
وغرائب مبتدعاته تشهد البعض الأعراب الدليل على وجود الصانع فقال إن البعرة تدل على البعير
وآثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدلان
على الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله الأرواح قبل خلق الأجساد بأربعة آلاف سنة
وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل أن يخلق حين كان
ولم يكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة أي وتشهد
الملائكة فمعنى شهادة الله الإخبار والإعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار
والاعتراف بأنه لا إله إلا هو ولما كان كل واحد من هؤلاء يقر بذلك سمى شهادة لأنه هو الكلام
لفظ الشهادة عليها وأولو العلم أي وتشهد أولو العلم أنه لا إله إلا هو واختلفوا في
أولي العلم فقيل هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم أعلم الخلق بالله تعالى وقيل هم أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار وقيل هم علماء مؤمني أهل الكتاب
مثل عبد الله

مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم علماء جميع المؤمنين قائما بالقسط أي بالعدل نصب
على الحال والقطع والمدح ومعناه أنه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال فلان قائم بأمر فلان يعني أنه
مدبر له ومتعهد لأسبابه وفلان قائم بحق فلان أي أنه مجاز له فالله مدبر أمر خلقه وقائم بأرزاقهم
ومجاز لهم بأعمالهم لا إله إلا هو إنما كرره للتأكيد وقيل إن الأول وصف وتوحيد والثاني رسم
تعليم أي قولوا لا إله إلا هو وقيل فائدة تكرارها الإعلام بأن هذه الكلمة أعظم الكلام وأشرفه
ففيه حث للعباد على تكريرها والاشتغال بها فإنه من اشتغل بها فقد اشتغل بأفضل العبادات
العزيز أي الغالب الذي لا يقهر الحكيم يعني في جميع أفعاله إن الدين عند الله الإسلام يعني
إن الدين المرضي عند الله هو الإسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الإسلام دينا وفيه رد على اليهود
والنصارى وذلك لما ادعت اليهود أنه لا دين أفضل من اليهودية وادعت النصارى أنه لا دين أفضل من
النصرانية فرد عليهم ذلك فقال إن الدين عند الله الإسلام وقرأ الكسائي أن الدين بفتح الهمزة ردا على أن الأولى
والمعنى شهد الله أنه لا إله إلا هو وشهد أن الدين عند الله الإسلام وأصل الدين في اللغة الجزاء يقال
كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والشريعة قال الزجاج اسم
لجميع ما تعبد الله به خلقه وأمرهم بالإقامة عليه والإسلام هو الدخول في السلم وهو الاستسلام
والانقياد والدخول في الطاعة وروى البغوي بسنده الثعلبي عن غالب القطان قال أتيت الكوفة في
تجارة فنزلت قريبا من الأعمش فكنت أختلف إليه فلما كانت ذات ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة قام
من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله أنه لا إله إلا هو إلى الحكيم قال الأعمش وأنا أشهد بما شهد الله
به وأستودع الله هذه الشهادة وهي عند الله وديعة إن الدين عند الله الإسلام قالها مرارا فقلت
سمع فيها شيئا فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت له إني سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله
لا أحدثك بها إلى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا أبا محمد
قد مضت السنة فقال حدثني أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها
يوم القيامة فيقول الله عز وجل إن لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة
قوله عز وجل وما اختلف الذين أوتوا الكتاب قال الكلبي نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام
والمعنى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما جاءهم
العلم يعني بيان نعته وصفته في كتبهم وقال الربيع إن موسى عليه السلام لما حضره الموت
دعا سبعين حبرا من أحبار بني إسرائيل وأودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضى
القرن الأول والثاني والثالث وقع الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين أوتوا الكتاب وهم من
أبناء الملوك السبعين حتى أهرقوا الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم
يعني بيان ما في التوراة من الأحكام بغيا بينهم أي طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة
وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين أوتوا الكتاب يعني الإنجيل واختلافهم كان في
أمر عيسى عليه السلام وما ادعوا فيه من الألوهية إلا من بعد ما جاءهم العلم يعني بأن الله تعالى واحد
وأن عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم يعني المعاداة والمخالفة ومن يكفر بآيات الله
فإن الله سريع الحساب فيه وعيد وتهديد لمن أصر على الكفر من اليهود والنصارى الذين جحدوا
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل فإن حاجوك أي خاصموك يا محمد في الدين وذلك أن
اليهود والنصارى قالوا لسنا على ما سميتنا به يا محمد إنما اليهودية والنصرانية نسب والدين
هو الإسلام ونحن عليه فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يحتج عليهم
بأنه اتبع أمر الله الذي هو معترف بدينه فقوله تعالى فقل أسلمت وجهي لله أي انقدت له بقلبي
ولساني وجميع جوارحي وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف جوارح الإنسان الظاهرة

فإذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه وقيل أراد بالوجه العمل أي أخلصت عملي لله وقصدي
عبادتي إلى الله ومن اتبعني يعني ومن أسلم كما أسلمت أنا وقل للذين أوتوا الكتاب يعني اليهود
والنصارى والأميين يعني مشركي العرب أأسلمتم لفظه استفهام ومعناه أمر أي أسلموا فإن أسلموا
فقد اهتدوا يعني إلى النور والنجاة في الآخرة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية
قال أهل الكتاب قالوا قد أسلمنا فقال لليهود أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ
الله أن يكون عيسى عبد الله فقال الله تعالى وإن تولوا أي أعرضوا فإنما عليك البلاغ يعني تبليغ الرسالة
وليس عليك هدايتهم واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فذهب طائفة إلى أنها محكمة حزب ٦
والمراد بها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان يحرص على إيمانهم ويتألم لتركهم الإجابة
وذهبت طائفة إلى أنها منسوخة بآية السيف لأن المراد بها الاقتصار على التبليغ وهذا منسوخ
بآية السيف والله بصير بالعباد يعني أنه تعالى عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن قوله عز وجل إن الذين
يكفرون بآيات الله يعني يجحدون القرآن وينكرونه وهم اليهود والنصارى ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس كان أنبياء بني إسرائيل يأتيهم الوحي
ولم يكن يأتيهم كتاب لأنهم كانوا ملتزمين بأحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلون أنبياءهم
فيقوم رجال ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر
فيقتلونهم أيضاً فهم الذين يأمرون بالقسط يعني بالعدل من الناس وروى البغوي بسنده الثعلبي
عن أبي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة قال رجل قتل نبياً
أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس إلى أن انتهى إلى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة
واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن
المنكر فقتلوهم جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل
الآية فيهم فبشرهم بعذاب أليم إنما أدخلت الفاء في فبشرهم بعذاب أليم يوم القيامة وهذا
محمول على الاستعارة وهو أن إنذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين بالثواب وفي هذه الآية
توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان أسلافهم الذين قتلوا
الأنبياء لأنهم رضوا بفعلهم أولئك الذين حبطت أي بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة
وبطلان العمل هو أن لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الآخرة وما لهم من ناصرين يعني
يمنعونهم من العذاب قوله عز وجل ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب نزلت في اليهود
يدعون إلى كتاب الله يعني القرآن وذلك أن اليهود دعوا إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه
قال ابن عباس إن الله جعل القرآن حكماً فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم
القرآن على اليهود والنصارى أنهم على غير الهدى فأعرضوا عنه وروي عن ابن عباس أيضاً أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله عز وجل
فقال نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد فقال على ملة إبراهيم قالا إن إبراهيم
كان يهودياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا
عليه فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروي عنه
أيضاً أن رجلاً وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا الرجم لشرفهما فيهم
فرفعوا أمرهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فحكم عليهما
بالرجم فقال النعمان بن أوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال
رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة لو قد أنصفت فقال من أعلمكم بالتوراة فقالوا رجل
أعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم
اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فقرأ
فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها
ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها أن المحصن والمحصنة
إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وإن كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضبت اليهود لذلك فأنزل الله عز وجل ألم تر إلى
الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون إلى كتاب الله يعني القرآن أو التوراة
على اختلاف الروايتين ليحكم بينهم أي ليقضي بينهم وإضافة الحكم إلى الكتاب هو على سبيل المجاز ثم
يتولى فريق منهم يعني الرؤساء والعلماء وهم معرضون يعني عن الحق وقيل الذين تولوا هم العلماء
والذين أعرضوا هم الأتباع ذلك بأنهم يعني ذلك التولي والإعراض إنما حصل بسبب أنهم قالوا لن
تمسنا النار إلا أياماً معدودات تقدم تفسيره في سورة البقرة وغرهم أي وأطمعهم في دينهم
ما كانوا يفترون أي يختلقون ويكذبون قيل هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار
إلا أياماً معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وأنتم على الباطل فكيف إذا جمعناهم
أي فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ليوم أي في يوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت أي لا
شك فيه أنه كائن وواقع وهو يوم القيامة وفيه تهديد لهم واستعظام لما أعد لهم في ذلك اليوم
وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وإنما حرموا أنفسهم وتسجلوا عليها بعقاب الجهل والطمع فيما
لا يكون لهم قيل إن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم على رؤوس
الأشهاد ثم يؤمر بهم إلى النار وهم لا يظلمون أي لا ينقص من حسناتهم إن كانت لهم حسنة ولا
يزاد على سيئاتهم قوله عز وجل قل اللهم مالك الملك قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه
وسلم سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات
من أين لمحمد ملك فارس والروم فأنزل الله تعالى هذه الآية قل اللهم وقيل إن اليهود قالوا والله
لا نطيع رجلاً جاء بنقل النبوة من بني إسرائيل إلى غيرهم فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه يا الله
لما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره وقيل إن الميم فيه معنى آخر وهو يا الله أمنا بخير أي اقصدنا
مالك الملك أي مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك ملك السماء والأرض وقيل معناه بيده
الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه مالك الملوك وإن تهم يوم لا يدعي الملك أحد غيره وفي بعض
كتب الله المنزلة أنا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإذا العباد
أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى أنه تعالى قادر
على كل شيء ومالك على كل مالك ومملوك وقادر على كل مقدور وقيل معناه مالك الملك أي جنس الملك
يتصرف فيه كيف يشاء تؤتي الملك من تشاء يعني النبوة لأنها أعظم مراتب الملك وذلك
لأن النبي له الأمر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الأمر إلا على ظواهر بعض الخلق
وهو من يطيعه منهم وطاعة النبي واجبة على الكافة وتنزع الملك ممن تشاء يعني لذلك
نزع النبوة من بني إسرائيل وأتيناها محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتنزع الملك ممن تشاء
يعني من أبي جهل وصناديد قريش وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم

وتنزع الملك ممن تشاء يعني فارس والروم وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني آدم وذريته وتنزع الملك
ممن تشاء يعني إبليس وجنوده الذين كانوا في الأرض قبل آدم وتعز من تشاء يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم بالنبوءة والرسالة وتذل من تشاء يعني اليهود بأخذ الجزية منهم ونزع النبوءة عنهم
وقيل تعز من تشاء المهاجرين والأنصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وأصحابه حتى تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضى وتذل من تشاء
بالحرص والطمع بيدك الخير يعني النصر والغنيمة وقيل الألف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك
الخيرات فإن قلت كيف قال بيدك الخير ودون الشر قلت لأن الكلام وقع في الخير الذي يسوقه الله
تعالى إلى عباده المؤمنين وهو الذي أنكره اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على
رغم أعدائك وقيل إن قوله بيدك الخير لا ينافي أن يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك
ما سواه إلا أنه خص الخير بالذكر لأنه المنتفع به والمرغوب فيه إنك على كل شيء قدير يعني
من إيتاء الملك من تشاء وإعزاز من تشاء وإذلال من تشاء قوله تعالى تولج الليل في النهار الآية لما ذكر الله
تعالى أنه مالك الملك أردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار وفي المعاقبة بينهما وحال الإخراج
الحي من الميت ثم عطف عليه أنه يرزق من يشاء بغير حساب وفي ذلك دلالة على أنه من قدر على تلك
الأفعال العظيمة المحيرة لعقول الأفهام والعقول فإنه قادر أن ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم
ويؤتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل في النهار يعني تدخل الليل في النهار وهو أن تجعل الليل
قصيرا وما نقص منه زائدا في النهار حتى يكون النهار خمسة عشر ساعة وذلك غاية طول النهار
ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل وتولج النهار في الليل يعني يكون الليل خمسة عشر
ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد أنه تعالى يأتي
بسواد الليل عقيب ضوء النهار ويأتي بضوء النهار عقيب ظلمة الليل والقول الأول أصح وأقرب إلى معنى
الآية لأنه إذا نقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج وتخرج الحي
من الميت وتخرج الميت من الحي وهو أنه تعالى يخرج الإنسان من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة
من الإنسان ويخرج الفرخ من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذلك سائر الحيوان وقيل يخرج النبات الغض
الأخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل إنه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر
من المؤمن لأن المؤمن حي الفؤاد والكافر ميته وترزق من تشاء بغير حساب من غير تضييق ولا
تقتير ويبسط الرزق لمن يشاء ويوسعه عليه لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وابن زيد يباطنون بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم
فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود لا
يفتنونكم عن دينكم فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في حاطب
ابن أبي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه
كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل ذلك وقيل إن عبادة بن الصامت
كان له حلفاء من اليهود فقال يوم الأحزاب يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود وقد رأيت أن أستظهر
بهم على العدو فنزلت هذه الآية قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء يعني أنصارا وأعوانا من دون
المؤمنين يعني من غير المؤمنين والمعنى لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن نهى الله المؤمنين
أن يوالوا الكفار أو يلاطفوهم لقرابة بينهم أو محبة أو معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله
باب عظيم وأصل من أصول الإيمان ومن يفعل ذلك يعني من موالاة الكفار من نقل الأخبار إليهم وإظهار
عورة المسلمين أو يودهم ويحبهم فليس من الله في شيء أي فليس من دين الله في شيء وقيل معناه

فليس في

فليس في ولاية الله في شيء وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي ومعاداة العدو وموالاة الله وموالاة الكفار
ضدان لا يجتمعان إلا أن تتقوا منهم تقاة إلا أن تخافوا منهم مخافة ومعنى الآية أن الله نهى المؤمنين عن
موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار
فيداهنهم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ليدفع عن نفسه من غير أن يستحل دما حراما أو مالا حراما أو غير ذلك من
المحرمات أو يظهر الكفار على عورات المسلمين والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل مع سلامة النية قال
الله تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على إظهار إيمانه حتى قتل
كان له بذلك أجر عظيم وأنكر قوم التقية اليوم وإنما كانت التقية في جدة الإسلام قبل استحكام
الدين وقوة المسلمين فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام والمسلمين فليس لأهل الإسلام أن يتقوا
من عدوهم قال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير في أيام الحجاج إن الحسن يقول التقية باللسان والقلب
مطمئن بالإيمان فقال سعيد ليس في الإسلام تقية إنما التقية في الحرب وإنما تجوز التقية لصون
النفس عن الضرر لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان ويحذركم الله نفسه أي ويخوفكم
الله أن تعصوه بأن ترتكبوا المنهي عنه أو تخالفوا المأمور به أو توالوا الكفار فتستحقوا عقابه
على ذلك كله وإلى الله المصير يعني أن الله يحذركم عقابه إذا صرتم إليه في الآخرة قوله عز وجل
قل إن تخفوا ما في صدوركم يعني ما في قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وإنما ذكر الصدر لأنه وعاء
القلب أو تبدوه يعني تظهروا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه وإن تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تبدوه أي تظهروه بالحرب والقتال له يعلمه الله أي يحفظه
عليكم ويجازيكم به ويعلم ما في السماوات وما في الأرض يعني أنه تعالى إذا كان لا يخفى عليه شيء
في السماوات ولا في الأرض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم إليهم بقلوبكم والله
على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يعني تجد كل نفس جزاء ما عملت محضرا
يوم القيامة لم ينقص ولم يبخس منه شيء وما عملت من سوء أي تجد ما عملت من الخير محضرا فتفرح
به وما عملت من سوء تود أي تتمنى لو أن بينها وبينه أي وبين ما عملت من السوء أمدا بعيدا أي مكانا
بعيدا كما بين المشرق والمغرب والأمد الأجل والغاية وقيل معناه تود أنها لم تعمله ويكون بينها وبينه
أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه إنما كرره لتأكيد الوعيد والله رءوف بالعباد قيل معناه أنه رءوف
بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال قدرته وعلمه وأنه يمهل ولا يهمل وقيل معناه أنه رءوف بالعباد
حيث أمهلهم للتوبة وللتدارك بالعمل الصالح وقيل إنه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد
أتبعه بقوله والله رءوف بالعباد وهو وعد ليعلم العبد أن رحمته ووعده غلبت وعيده وتكملة
قوله عز وجل قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء
الله وأحباؤه فنزلت هذه الآية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن
عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا
عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم
ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل فقالت قريش إنما نعبدها حبا لله ليقربونا إلى الله زلفى فنزلت هذه
الآية وقيل إن نصارى نجران قالوا إنما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما فقال الله قل يا محمد
إن كنتم تحبون الله كما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لأنه قد ثبتت نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم
بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل إن كنتم صادقين
في ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لأوامره ومطيعين له فاتبعوني فإن اتباعي من محبة الله تعالى وطاعته
وقال العلماء إن محبة العبد عبارة عن إعظامه وإجلاله وإيثار طاعته واتباع أمره ومجانبة نهيه
ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم

يعني ان من عبد له ازال عنه العذاب والله غفور رحيم يعني انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه
بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين ان محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احب النصارى عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل قل اطيعوا
الله والرسول يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا
تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه كل امر ونهي
ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به في كتابه
او نهى عنه وقال ابن عباس ان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فاما ان تطيعوني وتعصوا
محمدا صلى الله عليه وسلم فلن اقبل منكم فان تولوا اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله فان الله
لا يحب الكافرين اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني
فقد ابى ق وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني
فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني ان الله اصطفى آدم
ونوحا قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابناء ابراهيم واسحاق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل
الله هذه الآية والمعنى ان الله اصطفى هؤلاء بالاسلام وانتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام
ومعنى اصطفى اختار من الصفوة وهي الخالص من كل شيء. آدم هو ابو البشر عليه السلام ونوح هو
نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزي في تفسيره عن ابي
سليمان الدمشقي ان اسم نوح السكن وانما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه وآل ابراهيم
قيل اراد بآل ابراهيم ابراهيم نفسه وقيل آل ابراهيم اسماعيل واسحاق ويعقوب وذلك ان
الله تعالى جعل ابراهيم اصلا للشعبين فجعل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام اصلا للعرب
ومحمد صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في الاصطفاء وجعل اسحاق اصلا لبني اسرائيل وجعل
فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جمع له ولامته النبوة والملك
الى يوم القيامة وقيل اراد بآل ابراهيم من كان على دينه وآل عمران واختلفوا في عمران هذا
فقيل هو عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب وهو والد موسى وهارون فيكون آل عمران
موسى وهارون ونفسه وقيل هو عمران بن اشيم بن امون وقيل ابن ماثان وهو من ولد سليمان بن
داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران
مريم وابنها عيسى عليه السلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم على
العالمين اي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة ذرية اي اصطفى
ذرية واصلها من ذرا بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله استخرجهم من ظهر آدم كالذر وانما سمي
الآباء والابناء ذرية لان الله خلق بعضهم من بعض فالانبياء من ذرية الآباء والآباء من ذرية آدم
وهو من ذرأ الله تعالى اي خلقه بعضها من بعض اي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر
والتعاضد وقيل بعضهم على دين بعض والله سميع عليم يعني ان الله تعالى سميع لاقوال العباد
عليم بنياتهم وانما يصطفي لنبوته وصفوته من يعلم استقامته قولا وفعلا قوله عز وجل اذ قالت
امرأة عمران رب هي حنة بنت فاقود ام مريم وعمران بن ماثان وهو من بني اسرائيل [illegible]
الزمن واحبارهم وملوكهم اني نذرت لك ما في بطني محررا اي جعلت الحمل الذي في بطني نذرا
محررا مني لك والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه ومعنى محررا اي عتيقا خالصا مفرغا للعبادة
ولخدمة الكنيسة لا اشغله بشيء من امور الدنيا فقيل كان المحرر عندهم اذا حرر جعل
في الكنيسة فيقيم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب اقام
فيها وان احب

فيها وان احب ذهب حيث شاء فان اختار الخروج بعد ان اختار الاقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم
يكن احد من بني اسرائيل من علمائهم الا ومن اولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا
تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم ما في بطنها وكانت القصة
في ذلك على ما ذكر اصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا اختين وكانت اشاع بنت فاقود وهي
ام يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقود اخت اشاع عند عمران وهي ام مريم وكان قد امسك عن
حنة الولد حتى اسنت وكبرت وكانوا اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ
بصرت بطائر يطعم فرخا فتحركت نفسها لذلك للولد فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي
ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت ما
في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت ارايت ان كان ما في بطنك انثى ولا تصلح
لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك فهلك عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى حكاية
عنها فتقبل مني يعني تقبل نذري والتقبل اخذ الشيء على الرضى واصله من المقابلة لانه يقابل بالجزاء
وهذا سؤال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضى الله تعالى والاخلاص في دعائه وعبادته انك انت
السميع يعني لتضرعي ودعائي العليم يعني بنيتي وما في ضميري قوله عز وجل فلما وضعتها اي ولدت
حملها وانما قال وضعتها لانه كان في علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو ان يكون غلاما قالت
يعني حنة رب اني وضعتها انثى تريد بذلك الاعتذار الى الله تعالى من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت
ذلك على سبيل الاعتذار لا على سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما في بطنها قبل ان تضعه والله اعلم
بما وضعت قرئ بجزم التاء اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بالشيء الذي وضعت
ومن قرأ وضعت برفع التاء وهو من كلام حنة على تقدير انها قالت رب اني وضعتها انثى خائفة ان تكون
اخبرت الله تعالى في ذلك فان قالت هذه الشفقة بقولها والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى
يعني من خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفي الكلام تقديم وتاخير تقديره وليس الانثى كالذكر
والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر يصلح لخدمة الكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها
وما يعتريها من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل في معنى الآية ان المراد منه
تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت ان الذكر مطلوبي لخدمة المسجد وهذه الانثى موهوبة لله
تعالى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي هي موهوبة لله تعالى وكانت مريم اجمل النساء وافضلهن في وقتها
واني سميتها مريم يعني العابدة والخادمة وهو بلغتهم واردت بذلك التسمية ان يفضلها الله على
اناث الدنيا واني اعيذها بك وذريتها اي امنعها واجيرها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
يعني اللعين الطريد وذلك ان حنة ام مريم لما فاتها ما كانت تطلبه من ان يكون ولدها ذكرا اذا هي
انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات
وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني آدم مولود الا يمسه الشيطان
حين يولد فيستهل صارخا من مسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم واني اعيذها
بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخاري عنه قال كل ابن آدم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعه حين
يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعنه فطعن في الحجاب قوله عز وجل فتقبلها ربها بقبول حسن
يعني ان الله تعالى تقبل مريم من حنة مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضي قال الزجاج الاصل في العربية
فتقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشيء قبولا ويجوز قبولا اذا رضيته
وقال ابو عمرو ليس في المصادر فعول بفتح الفاء الا هذا ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل
والقبول واحد وهو ان يرضى الشيء ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل والقبول الذي هو بمعنى الرضا
وانبتها نباتا حسنا معناه وانبتها فنبتت هي نباتا حسنا قال ابن عباس في قوله تعالى

فتقبلها ربها بقبول حسن أي سلك بها طريق السعداء وأنبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة
ولا نقصان وكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام وكفلها زكريا . قال أهل الأخبار لما ولدت
حنة مريم أخذتها فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم
يومئذ يلون بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الأحبار لأنها
كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقال الأحبار لو
تركت لأحق الناس لتركت لأمها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا
وكانوا تسعة وعشرين رجلا إلى نهر جار وقيل هو الأردن فألقوا أقلامهم في الماء على أن من ثبت قلمه
في الماء وصعد فهو أولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم كل واحد منهم وقيل بل كانوا
يكتبون التوراة فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ووقف وانحدرت
أقلامهم ثم رسبت في النهر وجرى قلم زكريا مصعدا إلى أعلا وجرت أقلامهم مع الماء إلى أسفل
فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا رأس الأحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا
من قرأ بتشديد الفاء ومعناه وضمنها الله إليه زكريا وضمها إليه بالقرعة ومن قرأ بتخفيف الفاء ومعناه
وضمها زكريا إلى نفسه بالقرعة وقام بأمرها وهو زكريا بن آذن بن مسلم بن صدوق من أولاد
سليمان بن داود عليهما السلام فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع
وقيل ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا نشأت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه
في وسطه ولا يرقى إليه إلا بسلم ولا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله
تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب يعني الغرفة والمحراب أشرف المجالس ومقدمها وكذلك من المسجد
وقيل المحراب ما يرقى إليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها بسبعة أبواب فإذا دخل عليها وجد
عندها رزقا يعني فاكهة من غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة
الصيف في الشتاء قال يعني زكريا يا مريم أنى لك هذا أي من أين لك هذه الفاكهة قالت يعني مريم
مجيبة لزكريا هو من عند الله يعني من الجنة وقيل إن مريم من حين ولدت لم تلتقم ثديا بل كان
يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة
في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقيل أصابت بني إسرائيل
أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكان ذلك محرجا على بني إسرائيل فقال
يا بني إسرائيل تعلمون والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران فأيكم يكفلها بعدي
فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى فتقارعوا بينهم فلم يقدروا من حملها فسلما
فتقارعوا عليها بالأقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم مريم فعرفت
مريم في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فإن الله تعالى سيرزقنا
فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فكان يأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها في
المحراب أنماه الله وزاد له فيدخل عليها زكريا فيقول يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله
إن الله يرزق من يشاء بغير حساب وهذا يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم أو ابتداء كلام الله
عز وجل ومعناه إن الله تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير لكثرته أو من غير مسألة وفي هذه الآية دليل
على جواز كرامات الأولياء وظهور خوارق العادات على أيديهم قال أهل الأخبار فلما رأى زكريا
أن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير وقتها من غير سبب قادر أن يصلح زوجي
ويهب لي ولدا في غير حينه مع الكبر وطمع في الولد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان
زكرياء قد كبر وشاخ وأيس من الولد فذلك قوله عز وجل هنالك دعا زكريا ربه يعني أنه عليه
السلام دخل محرابه وغلق الأبواب وسأل ربه الولد قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة

يعني انه قال

يعني أنه قال يا رب أعطني من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والأنثى
والمراد بها الواحد وإنما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية إنك سميع الدعاء أي سامعه ومجيبه قوله عز وجل
فنادته الملائكة يعني جبريل عليه السلام وإنما أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيما لشأنه ولأنه رئيس
الملائكة وقل أن يبعث إلا ومعه جمع من الملائكة فجرى ذلك على مجرى العادة وهو قائم يصلي في
المحراب أي في المسجد وذلك أن زكريا عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم
الباب فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون
أن يأذن لهم في الدخول إذا هو برجل شاب عليه ثياب بياض ففزع منه زكريا فناداه جبريل عليه السلام
يا زكريا إن الله يبشرك بيحيى أي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه
وقيل لأن الله تعالى أحيى قلبه بالإيمان وقيل لأن الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط مصدقا
بكلمة من الله يعني عيسى بن مريم وإنما سمي عيسى عليه السلام كلمة لأن الله تعالى قال له كن فكان من
غير أب دالة على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لأنه بها كان وقيل سمي كلمة لأن عيسى عليه السلام
كان يرشد الخلق إلى الحقائق والأسرار الإلهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فيسمى كلمة بهذا الاعتبار
وقيل سمي كلمة لأن الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل وقيل لأن الله تعالى أخبر الأنبياء الذين قبله في كتبه
المنزلة عليهم أنه يخلق نبيا من غير أب فلما جاء قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد
أنه يخلقه كذلك وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وكانا ابني خالة
وقتل يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام وقيل إن أم يحيى لقيت أم عيسى وهما حاملتان فقالت أم يحيى لأم
عيسى يا مريم أشعرت أني حامل فقالت مريم وأنا أيضا حامل فقالت أم يحيى يا مريم إني لأجد ما في بطني
يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعني أن يحيى آمن بعيسى وصدق به وسيدا من ساد
يسود والسيد هو الذي يسود قومه وينتهى إلى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المؤمنين ورئيسهم
في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل الذي يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل هو
الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو التقي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني
سلمة قالوا الجد بن قيس على أنا نبخله قال وأي داء أدوى من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح وحصورا
قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل يعني
أنه حصر نفسه عن الشهوات وأصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون
الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النساء قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج
مع ذلك ليغض بصره وفيه قول آخر هو أن الحصور هو الممتنع عن الوطء مع القدرة عليه وإنما تركه
للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو الذي يقتضيه منصب الأولياء الأنبياء
لأن الكلام إنما خرج مخرج المدح والثناء وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز وأيضا فإن منصب النبوة
يجل عن أن يتصف الواحد منهم بنقص أو آفة فحمل الكلام على منع النفس عن الوطء مع القدرة عليه أولى من حمله
على ترك الوطء مع العجز عنه ونبيا من الصالحين يعني أنه من أولاد الأنبياء الصالحين قوله عز وجل قال
يعني زكريا رب أي يا رب قيل هو خطاب مع جبريل لأن الآية المتقدمة دلت على أن الذي ناداه هم
الملائكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى المالك وذلك أن الملائكة لما بشروه بالولد تعجب
ورجع في إزالة ذلك التعجب إلى الله تعالى فقال رب أنى يكون لي غلام يعني من أين يكون وكيف يكون لي
غلام وقد بلغني الكبر قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل معناه وقد
نالني الكبر وأدركني الضعف فإن قلت كيف أنكر زكريا الولد مع تبشير الملائكة إياه به
وما معنى هذه المراجعة ولم يكن من ذلك بعد وعد الله إياه به إنما كان شاكا في وعد الله أو في قدرته
قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله ولا في قدرته وإنما قال ذلك على سبيل الاستفهام

والاستفهام والمعنى من اي جهة يكون لي الولد ايكون بان ترد العقم عن زوجتي وترد شبابي علي او يكون
ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء. وقال عكرمة والسدي لما
سمع زكريا نداء الملايكة جاءه الشيطان وقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله تعالى وانما الله
هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحاه اليك كما يوحي اليك في ساير الامور فقال ذلك زكريا دفعا
للوسوسة واعترض على الجواب بانه لا يجوز ان يشتبه على الانبياء كلام الملايكة بكلام الشيطان اذ لو
جوزنا ذلك لارتفع الوثوق بخبرهم عن الوحي السماوي واجيب عن هذا الاعتراض بانه لما قامت
الدلايل على صدق الانبياء فيما يخبرون عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق
بالدين والشرايع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسال زكريا ذلك
لتزول عنه الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل
ابن تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن مائة وعشرين سنة وكانت امراته
بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى وامراتي عاقر اي عقيم لا تلد قال كذلك الله يفعل ما
يشاء يعني انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشاء لا يعجزه شيء قوله عز وجل قال يعني
زكريا رب اجعل لي آية اي علامة اعلم بها وقت حمل امراتي فازيد في العبادة والشكر لك قال
آيتك اي علامتك على الذي طلبت معرفة علمه ألا تكلم الناس اي لا تقدر على تكليم الناس
ثلاثة ايام اي مدة ثلاثة ايام بلياليها قال جمهور المفسرين عقل لسانه عن تكليم الناس ثلاثة
ايام مع ابقايه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في آخر الآية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار ربك
يعني في ايام منعك من تكلم الناس وهذه الآية من الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات لان قدرته على
التسبيح والذكر مع عجزه عن تكلم الناس بامور الدنيا وذلك مع صحة الجسم وسلامة الجوارح
من اعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص في هذه الايام بعبادة الله تعالى وذكره
ولا يشغل لسانه بشيء آخر توفيرا منه على قضاء حق هذه النعمة الجسيمة ويشكر الله على اجابته
فيما طلب الآية من اجله وان يكون ذلك دليلا على وجود الحمل الذي هو مسرور به لذلك وقال قتادة
انما امسك لسانه عن الكلام عقوبة لسواله الآية بعد مشافهة الملايكة اياه بالبشارة بالولد
فلم يقدر على الكلام ثلاثة ايام الا رمزا يعني الا اشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالحاجب
وبالراس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو
الصوت الخفي شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا
بالرمز والاول اصح لموافقة اهل اللغة عليه واذكر ربك كثيرا وذلك لما منعه من الكلام في
تلك المدة امره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا اي انك لا تمنع من ذلك ولا من الثناء عليه وسبح
اي وعظم ربك ونزهه عن النقايص وقيل وصل لربك وتسمى الصلاة تسبيحا لان فيها تنزيها للرب
سبحانه وتعالى بالعشي والابكار يعني العشي جمع عشية من زوال الشمس الى غروبها ومنه سمي
صلاة الظهر والعصر صلاة العشي والابكار وهو ما بين طلوع الفجر الى الضحى قوله عز وجل واذ قالت
الملايكة يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله اصطفاك اي اختارك وطهرك يعني من
مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب وطهرك واصطفاك
اي واختارك على نساء العالمين اي على عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فان قلت
هل فرق بين الاصطفاء الاول والثاني قلت ذكر العلماء في معناهما وجوها يحصل منها الفرق
فقيل في معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة ولم تحرر قبلها انثى
ولم يحصل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء
الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملايكة ولم يحصل ذلك لغيرها من

النساء وعن

١٠٧

النساء وعن علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسايها مريم
ابنة عمران وخير نسايها خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السماء والارض قيل
اراد وكيع بهذه الاشارة تفسير الضمير في قوله خير نسايها ومعناه انها خير نساء بين السماء والارض
قال الشيخ محيي الدين النواوي والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض في عصرها واما
التفضيل بينهما فمسكوت عنه وعن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال
كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امراة فرعون وفضل عايشة على النساء كفضل الثريد
على ساير الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام افضل من المرق وثريد اللحم افضل من مرقه بلا
ثريد وثريد ما لا لحم فيه افضل من مرقة من غير ثريد ومراد فضل عايشة على النساء زيادة فضل الثريد
على غيره وليس في هذا تصريح في تفضيلها على نساء هذه الامة عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية
امراة فرعون اخرجه الترمذي قوله عز وجل يا مريم اقنتي لربك اي قالت الملايكة لها شفاها اطيعي
ربك وقيل معناه اطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت لها ذلك قامت حتى تورمت الملايكة
قدماها وسالت دما وقيحا وحكي عن مجاهد نحوه واسجدي واركعي مع الراكعين انما قدم السجود
على الركوع لان الواو لا تقتضي الترتيب انما هي للجمع كانه قيل لها افعلي الركوع والسجود وقيل
انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شرعهم وقال ابن الانباري امرها امرا عاما وحضها
على فعل الخير فكانه قال استعملي السجود في حال والركوع في حال ولم يرد تقديم السجود على
الركوع بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات
لان لفظ الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع الرجال افضل واتم وقيل معناه افعلي كفعل
الراكعين وقيل المراد به الصلاة في جماعة اي مع المصلين في جماعة قوله عز وجل ذلك من انباء الغيب
يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى
عليهم السلام من اخبار الغيب نوحيه اليك اي نلقيه اليك يا محمد لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم
الماضين الا بوحي منا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ وما كنت لديهم يعني
يا محمد لديهم هنالك عندهم اذ يلقون اقلامهم يعني التي كانوا يكتبون بها في الماء لاجل الاقتراع
ايهم يكفل مريم يعني يربيها ويقوم بمصالحها قيل بسبب نزول هذه الآية تنازعهم في كفالة مريم
حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها
وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان امرها غريبا فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها
وما كنت لديهم اذ يختصمون يعني في كفالتها وتربيتها قوله عز وجل اذ قالت الملايكة يا مريم
ان الله يبشرك بكلمة منه معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملايكة
يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه
يعني برسالة منه من الله وخبر من عنده فهو كقول القايل القى الي فلان كلمة سرني بها او اخبرني خبرا فرحت
به ومعنى الآية اذ قالت الملايكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولد يولد لك من غير
فحل ولا مجامعة ذلك الولد اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى عيسى
كن فسماه الله كلمة لانه كان عن كلمته التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شيء هذا قدر الله وقضاء الله
يعني ان هذا الامر عن قدره وقضايه حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام وانما سمي كلمة
لانه وجد عن الكلمة التي هي كن فان قيل كل مخلوق انما وجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم
خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد حدوثه
وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ما هو المتعارف ولما كان حدوث عيسى عليه السلام

بحرف الكلمة من غير واسطة اخرى فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة اتم واكمل والى هذا التاويل
حسن ان يسمى عيسى عليه السلام بنفس الكلمة لانه حدث عنها فان قلت الضمير في قوله اسمه عائد
الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر ولهذا ذكر الضمير فان قلت
لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة والاسم منها واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة
قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى والمسيح علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكانه قال   والمسيح الخ
الذي يعرف به ويتميز عن سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي عيسى عليه السلام مسيحا
وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية مشيحا فعربته العرب
واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى واصله موشى او ميشى وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا
فيه وجوها قال ابن عباس سمي عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برئ منها وقيل لانه مسح
بالبركة وقيل لانه مطهر من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن
وقيل لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسيح
في الارض ولا يقيم بمكان فيمسح الارض اي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زائدة
وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح القدمين لا اخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح
احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى
الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد وقوله تعالى **وجيها** اي شريفا
رفيعا ذا جاه وقدر **في الدنيا والآخرة** اما وجاهته في الدنيا فبسبب علو منزلته عند الله
وهو قوله تعالى **ومن المقربين** يعني عند الله يوم القيامة لان اهل الجنة منازل ودرجات ومنازل
الانبياء ودرجاتهم اعلى من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السماء
ويكلم الناس في المهد يعني ويكلم الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل اوان الكلام ووقته
والكلام الذي تكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة مريم وهو قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وتكلم
ببراءة امه لما رموها به اهل القرية من القذف وحكي ان مريم قالت كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني
وحدثته فاذا اشغلني عنه انسان سبح وهو في بطني وانا اسمع ولما تكلم ببراءة امه سكت بعد
ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت
ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق **وكهلا** يعني ويكلم الناس كهلا في حال الكهولة والكهل في اللغة
هو الذي اجتمع قوته وكمل شبابه والكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين وقيل هو الذي خطه الشيب
وهو السن الذي يستحكم فيه العقل ويستنبا فيه الانبياء قال ابن قتيبة لما كان لعيسى
ثلاثون سنة ارسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين شهرا فمكث في نبوته ثلاث سنين
ثم رفعه الله اليه فمعنى الاية انه يكلم الناس وهو في المهد ببراءة امه وهي معجزة عظيمة
ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها بانه يبقى
حتى يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الاها كما زعمت النصارى لم
يدخل عليه التغير ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الالوهية وقال الحسين بن الفضل
وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفي هذه نص على انه سينزل من السماء
الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحليم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى
في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الراي والتجربة **ومن الصالحين** يعني انه من العباد
الصالحين مثل ابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبياء وانما ختم اوصاف
عيسى بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من اعظم المراتب
واشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق

الاكمل

الاكمل في جميع اقواله وافعاله فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين
وانه يكلم الناس في المهد وكهلا اردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلا الدرجات واشرف المقامات
قوله عز وجل **قالت** يعني مريم **رب** يعني يا سيدي تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل
انى يكون لي ولد اي من اين يكون لي ولد **ولم يمسسني بشر** اي ولم يصبني رجل وانما قالت ذلك
تعجبا لا شكا في قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت ان يولد ولد من غير اب **قال كذلك الله يخلق ما يشاء**
يعني هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك رجل فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق ما
يشاء ويصنع ما يريد وهو قوله **اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون** يعني كما يريد **ويعلمه**
الكتاب يعني الكتابة والخط باليد **والحكمة** يعني العلم والسنة واحكام الشرائع **والتوراة** يعني
التي انزلت على موسى **والانجيل** يعني الذي انزل عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد
الذي بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة **ورسولا الى بني اسرائيل** اي ونجعله رسولا الى بني اسرائيل
وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف بن يعقوب واخرهم عيسى بن مريم عليه السلام فلما بعث
اليهم قال **اني قد جئتكم باية من ربكم** يعني بعلامة من ربكم على صدق قولي وانما قال باية وقد جاء
بآيات كثيرة لان الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبني اسرائيل قالوا وما
هذه الاية قال **اني اخلق** اي اصور واقدر **لكم من الطين كهيئة الطير** والهيئة الصورة المهيئة
من قولهم هيات الشيء اذا قدرته واصلحته **فانفخ فيه** اي في الطير المهيا المصور **فيكون طيرا**
من قرا بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع ومن قرا فيكون طائرا على التوحيد
على معنى يكون ما انفخ فيه طائرا او ما اخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذي
يطير في الليل وانما خص الخفاش لانه من اكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال
ان الانثى منه لها ثدي وتحيض قال ذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر لهم المعجزات
اخذوا يتعنتون عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم
نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا
غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال لله تعالى **باذن**
الله معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى اني اعمل هذا التصوير فاما خلق الحياة فيه فهو من الله
تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام **وابرئ الاكمه والابرص** اي واشفي الاكمه
والابرص واعافيهما واختلفوا في الاكمه فقال ابن عباس هو الذي ولد اعمى وقيل هو الاعمى وان كان بصيرا
وقيل هو الاعشى وقيل هو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذي به وضح وكان الغالب
على زمان عيسى الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس في علم الطب ابراء الاكمه والابرص
فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه وقال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم
الواحد خمسون الفا فمن اطاق ان يمشي اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه
وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان برسالته **واحيي الموتى باذن الله** قال ابن عباس
قد احيى اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقي وولد له
لعيسى   الا سام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت اليه اخته ان اخاك
عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاتاه عيسى واصحابه فوجدوه قد مات منذ
ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام
عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له واما ابن العجوز فانه مر به وهو
ميت على عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق
الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له واما ابنة العاشر فكان ياخذ العشور من الناس

ماتت له ابنة بالامس فدعا الله عيسى فاحياها ابن عونه فعاشت وولد لها واما سام بن نوح فان عيسى
جاء الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم
يكن يشيبون في ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال عيسى عليه السلام لا ولكن دعوتك بالاسم
الاعظم ثم قال له مت فقال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل
وانبئكم يعني اخبركم بما تاكلون اي مما لم اعاينه وما تدخرون في بيوتكم اي وما ترفعونه
فتخبؤونه في بيوتكم لتاكلوه فيما بعد ذلك فقيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة
وبما ياكله اليوم وبما يدخره للعشاء. وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع اباؤهم ويقول
للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا وكذا فينطلق الصبي الى اهله فيبكي على
اهله حتى يعطوه ذلك الشيء. فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه
وقالوا لا يلعبوا مع ذلك الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا ههنا فقال
وما في البيت قالوا خنازير فقال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشى
ذلك في بني اسرائيل فهموا به فخافت عليه امه فحملته على حمير لها وخرجت هاربة الى
مصر وقال قتادة انما كان هذا في نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم اينما كانوا فيه من
طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فكان عيسى يخبرهم بما اكلوا من
المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى
عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهو اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الايات الباهرات
من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه
ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبياء عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم
والكاهن عن مثل هذا فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لابد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع
عليها ويعتمد في اخباره عليها اما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزا
جاتها او بواسطة حساب الرمل او نحو ذلك وقد يخطئ في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه
يستعين برائه من الجن وقد يخطئ ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام
عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس باستعانة بواسطة حساب ولا
بغيره فحصل الفرق ان في ذلك يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وابراء
الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات لآية لكم اي لعبرة ودلالة على صدقي اني رسول من الله
اليكم ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين لذلك ومصدقا قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل
انه عطف على اني قد جئتكم بآية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
وذلك لان الانبياء عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا وكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق
بما انزل الله من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من
التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال وهب بن منبه ان عيسى عليه السلام كان على
شريعة موسى عليه السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس وقال لبني اسرائيل اني لم ادعكم
الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع عنكم الاصار وذلك ان
الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشياء عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الجنايات
كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا
على اليهود الى ان جاء عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة
كان الذي جاء به عيسى الين من الذي جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل
والثروب والشحوم واشياء من الطير والحيتان فاحل لهم بعضها فجاء عيسى بالتخفيف واحلها لهم

وقال آخرون

دم يحصر

وقال آخرون ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من احكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك
كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق وجئتكم
بآية من ربكم اي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم ختم بقوله فاتقوا الله يعني يا معشر
بني اسرائيل فيما امركم به ونهاكم عنه واطيعون يعني فيما ادعوكم اليه لان طاعة الرسول من
توابع تقوى الله ومما ادعوكم اليه هو قوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه لان جميع الرسل كانوا
على دين واحد وهو التوحيد ولم يخالفوا الله تعالى وفي هذه الآية حجة بالغة على نصارى وفد نجران
ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخبار الله عن عيسى عليه السلام انه كان بريئا مما نسبه اليه
النصارى وانه كان عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله هذا صراط مستقيم
يعني التوحيد قوله عز وجل فلما احس عيسى منهم الكفر اي وجد وعرف وقيل راى والاحساس عبارة
عن وجدان الشيء بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فحس ذلك عيسى منهم وعرف اصرارهم
عليه وعزمهم على قتله ذكر سبب القصة قال اهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى الى بني
اسرائيل وامره باظهار رسالته والدعاء اليه نفوه واخرجوه من بينهم فخرج هو وامه يسيحان في الارض
فنزلا في قرية على رجل فاضافهما واحسن اليهما وكان لتلك القرية ملك جبار متعد فجاء ذلك الرجل
في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امراته فقالت مريم ما شان زوجك اراه كئيبا
حزينا فقالت لا تسالي فقالت مريم اخبريني لعل الله يفرج كربته قالت المراة ان لنا ملكا جبارا
وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل ذلك عاقبه واليوم
نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت قولي له لا يهتم لذلك فانا امر ابني ان يدعو الله فيكفيه ذلك
ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر فقالت مريم لا تبال فانه قد احسن الينا
لمه واكرمنا فقال عيسى قولي له اذا اقترب ذلك الوقت فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل الرجل ذلك
ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ما في القدور مرقا وما في الخوابي خمرا لم ير الناس مثله فلما جاء الملك
واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من ارض كذا فقال الملك
ان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هي من ارض اخرى فلما راى الملك قد اختلط شدد عليه فقال
الرجل انا اخبرك ان عندي غلاما لا يسال الله شيئا الا اعطاه اياه وانه دعا الله فجعل الماء خمرا وكان
للملك ولد يريد ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا
الله حتى جعل الماء خمرا ليستجيبن له في احياء ابني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى
ان انا احييته تتركني انا وامي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما راه اهل
مملكة الملك قد عاش تنادوا بالسلاح وقالوا قد اكلنا هذا الملك حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف
علينا ابنه فياكلنا كما اكلنا ابوه فاقتتلوا فظهر امر عيسى وقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود
كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد
ذلك عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله قال يعني عيسى عليه السلام من انصاري الى الله يعني مع
الله وقيل معناه الى ان اظهر امر الله واظهر دينه وقيل الى بمعنى في اي في ذات الله وسبيله وقيل الى [illegible]
موضعها والمعنى من ينضم نصرته الى نصرة الله قال الحواريون نحن انصار الله وذلك ان عيسى عليه السلام
لما دعا بني اسرائيل الى الله تعالى تمردوا عليه وكفروا به فخرج يسيح في الارض فمر بجماعة يصطادون
السمك وكانوا اثني عشر رجلا رئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا
نصيد السمك قال افلا تمشون حتى نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى بن مريم عبد الله
ورسوله فسالوه آية تدل على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته في الماء فدعا الله عيسى
فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا باهل سفينة اخرى وملؤوا

الصبغين من السمك فعند ذلك آمنوا به وانطلقوا معه واختلف في الحواريين فقيل كانوا يصطادون
السمك فلما آمنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس بهديهم ونصحهم إلى الدين سموا حواريين لبياض ثيابهم
يقال حورت الشيء يعني بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها
وقيل إن مريم سلمت عيسى إلى أعمال شتى وكان آخر من سلمته إلى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين
فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى إنك قد تعلمت هذه
الصنعة وأنا خارج إلى السفر ولا أرجع إلى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفة الألوان وقد أعلمت كل
واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فأريد أن تفرغ منها وقت قدومي وخرج المعلم إلى سفره
فطبخ عيسى جبا واحدا وأدخل فيه جميع الثياب وقال كوني بإذن الله على ما أريد منك ثم قدم الحواري
والثياب كلها في الجب فقال لعيسى ما فعلت قال قد فرغت منها قال وأين هي قال في الجب قال كلها قال
نعم قال لقد أفسدت علي الثياب قال عيسى لا تعجل قم فانظر وقام عيسى وأخرج ثوبا أحمر وثوبا أخضر
وثوبا أصفر وثوبا أسود حتى أخرجها كلها على الألوان التي يريد الحواري فجعل الحواري يتعجب من
ذلك وعلم أن ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمنوا به هو وأصحابه وهم الحواريون
وقيل سموا حواريين لصفاء قلوبهم ولما ظهر عليهم من آثار العبادة ونورها وقيل الحواريون الأصفياء
وكانوا أصفياء عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفاء وقيل هم الوزراء وكانوا خلفاء عيسى ووزراءه
وقيل الحواريون هم الأنصار والحواري الناصر والحواري الرجل الذي [illegible] وعن جابر بن عبد
الله قال ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب
الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي حواريا وحواريّ الزبير
قال الحواريون نحن أنصار الله يعني أنصار دين الله ورسوله وأعوانه. **آمنا بالله** أي صدقنا بأن الله
ربنا وهو على كل شيء. **واشهد** يعني أنت يا عيسى **بأنا مسلمون** قيل معناه واشهد بأنا منقادون
لما تريد من نصرك والذب عنك ومستسلمون لأمر الله عز وجل وقيل هو إقرار منهم بأن دينهم
الإسلام وأنه دين عيسى عليه السلام **واتبعنا الرسول** يعني عيسى **فاكتبنا مع الشاهدين**
يعني الذين شهدوا للأنبياء بالصدق واتبعوا أمرك ونهيك فتثبت أسماءنا مع أسمائهم و[illegible]
واجعلنا في أعدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي أن يكون للشاهدين مزية وهم محمد صلى الله
عليه وسلم وأمته لأنهم المخصوصون بتلك الفضيلة بأنهم يشهدون للرسل بالإبلاغ وقيل مع
الشاهدين يعني النبيين لأن كل نبي شاهد على أمته قوله عز وجل **ومكروا** أي جازاهم على مكرهم
فسمي الجزاء باسم الابتداء لأنه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث
لا يحتسب ومكر الله في هذه الآية خاصة هو إلقاء الشبه على صاحبهم الذي دلهم على عيسى حين أرادوا
قتله حتى قتل قال ابن عباس إن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة
والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما رأى
ذلك يهوذا رأس اليهود فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا
إليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فأدخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله من تلك الروزنة
وأمر يهوذا ملك اليهود رجلا من أصحابه يقال له ططيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخل
لم ير عيسى وأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله وألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى
فأخذوه فقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه إن اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة
ليصلبوه عليها فأظلمت الأرض وأرسل الله عز وجل الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى
عليه السلام الحواريين تلك الليلة وأوصاهم وقال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعني
بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال ما

تجعلون لي

ربنا آمنا بما
انزلت

مع

ومكر الله

عيسى

ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت الذي
فيه المسيح ألقى الله عليه شبه عيسى ورفع الله عيسى وأخذ الذي دلهم عليه فقال أنا الذي دللتكم عليه
فلم يلتفتوا إلى قوله فقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى فلما صلب الذي ألقي عليه شبه عيسى جاءت
مريم وامرأة أخرى كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب فجعلتا تبكيان عند المصلوب
فجاءهما عيسى عليه السلام وقال علام تبكيان إن الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني إلا خير وهذا شيء
شبه لهم فلما كان بعد سبعة أيام قال الله تعالى لعيسى اهبط إلى مريم المجدلانية وهو اسم موضع
[illegible] إليه فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم
في الأرض دعاة إلى الله عز وجل فأهبطه الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له
الحواريين فبثهم في الأرض دعاة ثم رفعه وتلك الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون
تكلم كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله **والله خير الماكرين**
يعني وهو أفضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدي إن اليهود حبست عيسى عليه السلام في بيت
ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم رجل منهم فكان فيهم فألقى الله عليه شبه عيسى فأخذ
وقتل وصلب وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله عيسى عليه السلام قال لأصحابه أيكم يلقى عليه شبهي
فإنه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه إليه وكساه الريش
وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكان مع الملائكة فهو معهم حول العرش وكان
إنسيا ملكيا أرضيا سماويا وقال أهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت
لحم من أرض أورشليم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل وأوحى الله تعالى إلى عيسى
على رأس ثلاثين سنة ورفعه إليه من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة
فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين قوله عز وجل **إذ قال الله يا عيسى**
إني متوفيك ورافعك إلي اختلفوا في معنى التوفي هنا على طريقين أحدهما إجراء الآية على ظاهرها
من غير تقديم ولا تأخير وذكروا في معناها وجوها الأول معناه إني قابضك ورافعك إلي من غير
موت من قولهم توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وقبضته تاما والمقصود منه هنا أن لا يصل إليه
أعداؤه من اليهود بالقتل ولا غيره الوجه الثاني أن المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل الله
يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو
نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية إني منيمك ورافعك إلي الوجه الثالث أن المراد بالتوفي
حقيقة الموت قال ابن عباس معناه إني مميتك قال وهب بن منبه إن الله توفى عيسى ثلاث ساعات
من النهار ثم رفعه إليه وقيل إن النصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه ورفعه إليه الوجه
الرابع أن الواو في قوله ورافعك إلي لا تفيد الترتيب والآية تدل على أن الله تعالى يفعل به ما ذكر فأما كيف
يفعل ومتى يفعل فالأمر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث أن عيسى سينزل ويقتل الدجال
ومتوفيك بعد إنزاله الوجه الخامس قال أبو بكر الواسطي معناه إني متوفيك عن شهواتك
وحظوظ نفسك ورافعك إلي وذلك أن عيسى عليه السلام لما رفع إلى السماء صارت حالته حالة الملائكة
في زوال الشهوة الوجه السادس أن معنى التوفي أخذ الشيء وافيا ولما علم الله تعالى أن من الناس من
يخطر بباله أن الذي رفعه الله إليه هو روحه لا جسده كما زعمت النصارى أن المسيح رفع لاهوته يعني
روحه وبقي في الأرض ناسوته يعني جسده فرد الله عليهم بقوله إني متوفيك ورافعك إلي فأخبر الله
أنه رفعه بتمامه إلى السماء بروحه وجسده جميعا الطريق الثاني أن في الآية تقديما وتأخيرا
تقديره إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك إلى الأرض وقيل لبعضهم
هل تجد نزول عيسى إلى الأرض في القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك أنه لم يكتهل في الدنيا

وهبط على جبل

دون

وإنما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء. وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية
ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد في رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو
هريرة اقرءوا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته وفي رواية كيف أنتم إذا نزل ابن مريم
فيكم وإمامكم منكم وفي رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذئب ما أمكم منكم قلت فأخبرني قال فأمكم أم كم
بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي أفراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال
فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني وبينه يعني عيسى نبي وإنه نازل فإذا
رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم
يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله
الملل في زمانه كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون أخرجه أبو داود ونقل بعضهم أن عيسى عليه السلام يدفن في حجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيقوم أبو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى عليهما السلام قوله عز وجل
ومطهرك من الذين كفروا يعني ومخرجك من بينهم ومنجيك منهم وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم
أهل الإسلام من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة والحجة الظاهرة
وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود وذلك لأن
ملك اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى
المحبة والادعاء لا اتباع الدين لأن النصارى وإن أظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم أشد مخالفة
له وذلك أن عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الأول أصح لأن الذين اتبعوه
هم الذين شهدوا له بأنه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون ولهم الظهور إلى يوم القيامة
ثم إلي مرجعكم يعني يقول الله عز وجل إلي مرجع الفريقين في الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به
والذين كفروا فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون يعني من الحق في أمر عيسى ثم بين الحكم فقال
تعالى فأما الذين كفروا يعني الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل
وجعلوه بما لا ينبغي من سائر اليهود والنصارى فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا يعني بالقتل
والسبي والذلة وأخذ الجزية منهم والآخرة أي وأعذبهم في الآخرة بالنار وما لهم من ناصرين
يعني ما يعين ليمنعوهم من عذابنا وأما الذين آمنوا يعني بعيسى عليه السلام وصدقوا بنبوته
وأنه عبد الله ورسوله وكلمته وعملوا الصالحات يعني عملوا بما فرض عليهم وشرعت لهم
فيوفيهم أجورهم يعني جزاء أعمالهم لا ينقص منه شيء والله لا يحب الظالمين أي لا يحب من
ظلم غيره حقا له أو وضع شيئا في غير موضعه والمعنى أن الله تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم
بجميل ثم قال تعالى ذلك يعني الذي ذكرته لك من أخبار عيسى وأمه مريم والحواريين وغير ذلك
من القصص نتلوه عليك أي نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وإنما أضاف ما يتلوه جبريل
إلى نفسه سبحانه وتعالى لأنه من عنده وبأمره من غير تفاوت أصلا فأضافه الله من الآيات يعني
من القرآن وقيل الآيات بمعنى العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لأنها أخبار لا يعلمها إلا من يقرأ
ويكتب أو نبي يوحى إليه وأنت أمي لا تقرأ ولا تكتب فثبت أن ذلك من الوحي السماوي الذي
أنزل عليك والذكر الحكيم أي المحكم الممنوع من الباطل وقيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لأنه
حكم يستفاد منه جميع الأحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه نقل جميع

الكتب

كتب الله على رسله وهو أول من نزل بيضا مغلولا بالعرش. قوله عز وجل إن مثل عيسى عند الله كمثل
آدم خلقه من تراب الآية أجمع أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس
إن رهطا من أهل نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم أنه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه
وسلم أجل إنه عبد الله فقالوا له هل رأيت له مثلا أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه
السلام فقال له قل لهم إذا أتوك إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل إن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد
هل رأيت إنسانا قط من غير أب فأنزل الله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم في الخلق والإنشاء في كونه
خلقه من غير أب كمثل آدم في كونه خلقه من غير أب وأم معنى الآية صفة خلق عيسى من غير أب كصفة آدم
في كونه خلقه من تراب لا من أب وأم فعرفنا أن الله خلق آدم من التراب اليابس وهو أبلغ في القدرة
فلم لا يقرون بأن الله خلق عيسى بن مريم من غير أب بل الشأن في خلق آدم أعجب وأغرب وتم الكلام عند قوله
كمثل آدم لأنه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب أي قدره جسدا من طين ثم قال له كن أي أنشأه
خلقا بالكلمة وكذلك عيسى أنشأه خلقا بالكلمة فعلى هذا القول يكون في الآية إشكال وهو أنه تعالى
قال خلقه من تراب ثم قال له كن وهذا يقتضي أن يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا تكوين بعد الخلق
وأجيب عن هذا الإشكال بأن الله تعالى أخبر بأنه خلقه من تراب لا عن كون ثم ابتدأ خبرا آخر
فقال إني أخبركم أيضا أني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة ويحتمل أن يكون المراد
أنه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان فصح الترتيب وقيل الضمير في قوله كن يرجع إلى عيسى عليه
السلام وعلى هذا فلا إشكال في الآية فإن قلت كيف شبه عيسى عليه السلام بآدم عليه السلام وقد وجد
عيسى من غير أب ووجد آدم من غير أب ولا أم قلت هو مثله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف
الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ولأنه شبه به في أنه وجد وجودا خارجا عن العادة
المستمرة وهما في ذلك نظيران لأن الوجود من غير أب وأم أغرب في العادة من الوجود من غير أب فشبه
الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه وحكي
أن بعض العلماء أسر في بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لأنه لا أب له قال فآدم أولى لأنه
لا أب له ولا أم قالوا وكان يحيي الموتى فقال حزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل أربعة آلاف
قالوا وكان يبرئ الأكمه والأبرص قال فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق فقام سليما قوله كن فيكون قال ابن عباس
معناه كن فكان وإنما يريد بالمستقبل الماضي وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد أن ما قال له ربك كن فإنه
يكون لا محالة الحق من ربك الذي أخبرتك به من قصة عيسى وآدم هو الحق من ربك فلا تكن من الممترين
أي من الشاكين أن ذلك كذلك وهذا الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه أمته لأنه صلى الله
عليه وسلم لم يشك في ذلك وهو كقوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن أيها السامع
كائنا من كان من الممترين والبرهان الذي ذكر وهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة قوله عز وجل
فمن حاجك فيه أي من جادلك في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم يعني بأن عيسى عبد الله
ورسوله فقل تعالوا أي هلموا والمراد منه المجيء والإقبال من العلو بالرأي والعزم كما تقول تعال ننظر
هذه المسألة ندع أبناءنا وأبناءكم يعني يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءنا ونساءكم وأنفسنا
وأنفسكم قيل أراد بالأبناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالأنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا
رضي الله عنه وقيل هو على العموم لجماعة أهل الدين ثم نبتهل قال ابن عباس نتضرع في الدعاء
وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله
أي لعنة الله فنجعل لعنة الله على الكاذبين يعني منا ومنكم في أمر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله

صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في أمرنا
ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح
قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فإن أبيتم إلا الإقامة على
ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها والنبي صلى الله
عليه وسلم يقول لهم إذا أنا دعوت فأمنوا فلما رآهم أسقف نجران قال يا معشر النصارى إني لأرى وجوها
لو سألوا الله أن يزيل جبلا لأزاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى
يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نباهلك وأن نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم
ما عليهم فأبوا ذلك فقال فإني أنابذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على أن
لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا وأن نؤدي إليك في كل سنة ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب زاد
في رواية ودرعا عادية وثلاثة وثلاثين بعيرا وأربعة وثلاثين فرسا غازية فصالحهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده إن العذاب نزل على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول
على النصارى كلهم حتى هلكوا فإن قلت ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الصادق من الكاذب
منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الأبناء والنساء في المباهلة قلت
ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده
وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب
خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك استئصال إن تمت المباهلة وإنما خص الأبناء
والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل
وإنما قدمهم في الذكر على الأنفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع
وبرهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا
إلى المباهلة لأنهم عرفوا صحة نبوته وما يجدون من نعته في كتبهم قوله تعالى (إن هذا) يعني الذي قص عليك
يا محمد من خبر عيسى وأنه عبد الله ورسوله (لهو القصص الحق) وأصله من القص وهو تتبع الأثر
والقصص الخبر الذي تتابع فيه المعاني (وما من إله إلا الله) أي ما أحد خلقه من ليس كمثله شيء والمعنى
أن عيسى ليس بإله كما زعمت النصارى وفيه رد عليهم وعلى جميع من ادعى من المشركين أن معهم آلهة
وإثبات أن لا إلهية إلا لله تعالى وحده لا شريك له في الإلهية (وإن الله لهو العزيز) أي الغالب المنتقم
من عصاه وخالف أمره وادعى معه إلها آخر (الحكيم) يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لأن عيسى
لم يكن كذلك (فإن تولوا) يعني فإن أعرضوا عن الإيمان ولم يقبلوه (فإن الله عليم بالمفسدين)
أي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس إلى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل (قل
يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة
اجتمعوا باليهود واختصموا في إبراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى أنه كان نصرانيا
وهم على دينه وأولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه وأولى الناس به فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من إبراهيم ومن دينه بل كان حنيفا مسلما وأنا
على دينه فاتبعوا دينه دين الإسلام فقالت اليهود ما تريد إلا أن نتخذك ربا كما اتخذت النصارى
عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فأنزل الله عز وجل
قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة يعني فيها إنصاف ولا ميل فيها لأحد على صاحبه والعرب تسمي
أي هلموا

كل قصة

كل قصة وقضية لها أول وشرح كلمة (سواء) أي عدل لا يختلف فيها التوراة والإنجيل والقرآن وتفسير
الكلمة قوله تعالى (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) وذلك
أن النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به وهو قولهم أب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد
ثلاثة واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وذلك أنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به ويسجدون
لهم فهذا معنى اتخاذهم بعضهم بعضا أربابا من دون الله فثبت أن النصارى جمعوا بين هذه الثلاثة أشياء
ومعنى الآية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا إلى أمر عدل نصف وهو أن لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن
الله لأن كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا ولا نطيع أحبارنا ورهباننا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير
رجوع إلى ما شرع ولا يسجد بعضنا لبعض لأن السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله ولا نعبد سواه ولا نطيع
أحدا في معصية الله (فإن تولوا) يعني فإن أعرضوا عما أمرتم به (فقولوا) أنتم لهم (اشهدوا بأنا مسلمون)
أي مخلصون بالتوحيد له والعبادة (ق) عن ابن عباس أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من
قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هادن فيها أبا سفيان وكفار
قريش فأتوه وهو بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي بعث به مع دحية بن خليفة الكلبي إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما
بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم
الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا
يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون لفظ الحديث أخرجه البخاري
وقد أخرجه بطوله هنا وفيه زيادة قوله الأريسيين وفي رواية الأريسيين والأريسي الأكار وهو الزارع
والفلاح وقيل هم أتباع عبد الله بن أريس وهم الأروسية وقيل هم الأريسون نحو الحمرة وهم الملوك
الذين يخالفون أنبياءهم وقيل هم المتجبرون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدوا قومهم عن الإسلام واتبعوك
على كفرهم قوله عز وجل (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم) قال ابن عباس اجتمعت عند النبي صلى الله
عليه وسلم نصارى نجران وأحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الأحبار ما كان إبراهيم إلا يهوديا وقالت
النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانيا فأنزل الله فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم (وما أنزلت التوراة
والإنجيل إلا من بعده) ومعنى الآية أن اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن
إبراهيم عليه السلام وادعت كل طائفة أنه كان منهم فبرأ الله عز وجل إبراهيم مما ادعوا فيه وأخبر
أن اليهودية والنصرانية إنما حدثتا بعد نزول التوراة والإنجيل وإنما نزلتا بعد إبراهيم بزمان طويل وكان بين
إبراهيم وبين موسى ونزول التوراة خمسمائة سنة وخمس وسبعون سنة وبين موسى وعيسى ألف وستمائة
واثنان وثلاثون سنة وقيل بين إبراهيم وموسى خمسمائة سنة وبين موسى وعيسى ألفا سنة
وتسعمائة وتسعة وعشرون سنة وأوردوا على هذا سؤالا وهو أن الإسلام أيضا إنما حدث بعد إبراهيم
وموسى وعيسى بزمان طويل ولذلك أنزل القرآن بعد التوراة والإنجيل فكيف صح ما ادعيتم
في إبراهيم أنه كان حنيفا مسلما وأجيب عنه بأن الله عز وجل أخبر في القرآن بأن إبراهيم كان حنيفا
مسلما وليس في التوراة والإنجيل أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا فصحت دعوى المسلمين
وبطلت دعوى اليهود والنصارى وهو قوله تعالى (أفلا تعقلون) يعني بطلان قولكم يا معشر اليهود
والنصارى ومعنى تعقلون تفهمون دحض الحجة وإبطال الباطل (ها أنتم هؤلاء) الهاء للتنبيه وهي موضع النداء يعني يا هؤلاء
والمراد بهم أهل الكتاب يعني يا معشر اليهود والنصارى (حاججتم) أي جادلتم وخاصمتم (فيما لكم
به علم) أي فيما وجدتم في كتبكم وأنزل عليكم بيانه في أمر موسى وعيسى وادعيتم أنكم على
دينهما وقد أنزلت التوراة والإنجيل عليكم (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) يعني أنه ليس في كتابكم

ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا والله يعلم ما كان ابراهيم عليه من الدين وانتم لا تعلمون يعني ان الله
والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون في ابراهيم ثم براه عز وجل عما قالوا فيه واعلمهم ان ابراهيم بريء
من دينهم فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا يعني لم يكن كما ادعوه ثم وصفه بما كان عليه
من الدين فقال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما يعني مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو دين
الاسلام وقيل الحنيف الذي يحج ويختتن ويستقبل الكعبة في صلاته وهو احسن الاديان واسهلها
واحبها الى الله عز وجل وما كان من المشركين يعني الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى
مشركين لقولهم بالاهية المسيح وعباده ثم قوله عز وجل ان اولى الناس بابراهيم يعني
احقهم به واقربهم منه للذين اتبعوه يعني الذين كانوا في زمانه وامنوا به واتبعوا شريعته
وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين امنوا يعني هذه الامة الاسلامية
والله ولي المؤمنين يعني بالنصر والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان ولي ابي وخليلي ابراهيم وقرأ ان اولى الناس بابراهيم
للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين اخرجه الترمذي وروى الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحاق عن ابن شهاب باسناده قال لما هاجر جعفر بن ابي طالب
واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى
الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في
الذين عند النجاشي من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه
الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رايكم فبعثوا عمرو
بن العاصي وعمارة بن ابي معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فسجدا
له وسلما عليه وقالا ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك
هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد
منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد
ولا يخرج منهم احد فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك
دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا
عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم
النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح
فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه
وقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم
يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم
ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الافاق فقالوا نسجد لله الذي خلقك
وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا فامرنا بالتحية
التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة والانجيل
فقال ايكم الهاتف يستاذن عليك حزب الله فقال جعفر انا فقال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض
من اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين
الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي
سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فردنا عليهم فقال النجاشي
اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل بغير
حق فعلينا قضاؤها فقال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشي فما
تطلبون منهم

> اهرقنا دما بغير
> حق فيقتص منا فقال
> عمرو لا ولا قطرة فقال
> جعفر سلهما هل
> اخذنا اموال الناس

تطلبون منهم قال كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين ابائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا
قومنا اليك لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه فقال جعفر اما الدين
الذي كنا عليه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الذي تحولنا اليه فهو دين الاسلام جاءنا
به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم
فعلى رسلك ثم امر النجاشي بضرب الناقوس فضرب فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده
قال النجاشي انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا
قالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من امن به فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر
ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرا علينا كتاب الله ويامرنا بالمعروف
وينهانا عن المنكر ويامرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال
اقرا علي مما يقرا عليكم فقرا عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا
زدنا من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون
عيسى وامه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وامه فقرا عليهم سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى
رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل على
جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول امنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا
ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط
وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي
على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ
مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله عز وجل ذلك اليوم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا
النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين قوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في معاذ
ابن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت فيهم ودت يعني تمنت
طائفة يعني جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر وما يضلون
الا انفسهم لان المؤمنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال المؤمنين وما يشعرون
يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمنيهم اضلال المسلمين وما
يشعرون على ذلك انما يضلون انفسهم واشياعهم يا اهل الكتاب الخطاب لليهود لم تكفرون بايات
الله يعني القران وقيل المراد بايات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول تحريفهم وتبديلهم ما فيهما من نعت محمد صلى الله عليه
وسلم وصفته وبالقران لحسدهم له لانهم ينكرون ذلك وانتم تشهدون يعني ان نعته وصفته مذكورة
في التوراة والانجيل وذلك ان احبار اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض اظهروا
ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وذلك ان علماء اليهود
والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون
ذلك بالسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيك وذلك الطاعن في اخفاء الحق لا يقدر
على ذلك الا بمثل هذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها في الموضع
المجوح الذي كتبوه بايديهم بالحق المنزل وقيل هو خلطهم الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك
انهم تواطؤوا على اظهار الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في اخره والمراد من ذلك تشكيك الناس
وقيل انهم كانوا يقولون محمد صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان
التوراة دالة على ان شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس وتكتمون الحق يعني

يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة وانتم تعلمون يعني انه رسول من عند الله وان دينه
حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وانتم تعلمون ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب قوله عز وجل
وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وهذا
نوع آخر من تلبيسات اليهود وقيل تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض
ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم في دينه واتهموه وقالوا انهم اهل كتاب واعلم به منا فيرجعون عن دينهم
وقيل هذا في شأن القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف
لاصحابه آمنوا بالذي انزل على محمد في امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر
النهار لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء اهل الكتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى
الله عليه وسلم على سرهم وانزل هذه الآية ووجه النهار اوله والوجه مستقبل كل شيء لانه اول ما يواجه
منه واستشهد فيه معناه من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار وقوله
لعلهم يرجعون يعني اذا القينا هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه
الحيلة اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم لهم ولم يحصل لهم اثر في قلوب المؤمنين ولولا
هذا الاعلام من الله تعالى لكان ربما اثرت ذلك في قلوب بعض من كان في ايمانه ضعف قوله تعالى ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا اي ولا تصدقوا
الا لمن تبع دينكم اي وافق ملتكم التي انتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله ردف لكم
اي ردفكم قل ان الهدى هدى الله اي ان الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا
فيه فمنهم من قال قد تم الكلام عند هذا وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول
اليهود لبعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وانزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات
ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال الواقدي
انتم ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى الذي انتم عليه انما هو دين بحكم الله وامره فاذا امر
بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذي هدى اليه وامر به وقيل معناه قل الحق
ما عمل ان الهدى هدى الله والمعنى الذي انتم عليه ومحبتكم به ولن ينفعكم فيه بعد هذا الكيد
الضعيف وقرأ الحسن والاعمش ان يؤتى بكسر الالف فيكون من قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع
دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
وتكون ان بمعنى الجحد اي ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا امة محمد من الدين والهدى او يحاجوكم عند ربكم
يعني الا ان يحاجوكم اليهود بالباطل فيقولون نحن افضل منكم وقوله عند ربكم اي عند فعل ربكم
ذلك بكم وقيل في قوله او يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما اعطى الله احدا مثل ما اعطيتم يا امة
محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير آن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ
يكون في الكلام اختصار تقديره ولا تؤمنوا ابه هذا قول قتادة والربيع قال الاولى من قول الله تعالى
يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله بان انزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه
وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله او يحاجوكم على هذه القراءة يرجع
الى خطاب المؤمنين وتكون او بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزاء ثم يوضع احدهما موضع الآخر والمعنى
وان يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع
خطابا للمؤمنين ويكون نظم الآية ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر المؤمنين حسدوكم فقل

ان الفضل

تلبيسات

نسوتنا

ان الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون
وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في
دينهم يقول ولا تصدقوا يا معشر المؤمنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الدين
والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطابا للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا
وقوله تعالى ان الفضل بيد الله يعني قل يا محمد ان النبوة والايمان والهداية للاسلام بيد الله اي انه مالك
له وقادر عليه وتحكم ويخص بها من خلقه يؤتيه من يشاء يعني الفضل الذي هو بين الاسلام يعطيه من يشاء
من عباده وفي قوله من اراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود في قولهم لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم فقال الله
تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليكم وانما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء واصل الفضل في اللغة الزيادة
واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير والله واسع اي ذو سعة
يتفضل على من يشاء عليم اي بمن يستحق الفضل عليه وهو للفضل اهل يختص برحمته يعني بنبوته ورسالته
وقيل بدينه الذي هو الاسلام وقيل بالقرآن من يشاء يعني من خلقه وفيه دليل على ان النبوة لا تحصل الا
بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لانه يفعل ما يشاء لمن يشاء بغير استحقاق والله ذو الفضل العظيم قوله عز وجل
ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك
الآية في اليهود اخبر الله عز وجل ان فيهم امانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال
الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدي الامانة وان كثرت مثل عبد الله بن سلام واصحابه
ومنهم من لا يؤديها وان قلت وهم كفار اهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس في هذه
الآية اودع رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فاداه اليه فذلك قوله ومن اهل
الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك يعني فنحاص بن عازوراء استودعه
رجل من قريش دينارا فخانه وجحده ولم يؤده اليه وقيل اهل الامانة هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود
لان من مذهبهم ان يحل قتل من خالفهم في الدين واخذ ماله باي طريق كان الا ما دمت عليه قائما قال
ابن عباس يريد من تقوم عليه وتطالبه بالالحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه الا مدة دوامك عليه
بالمطالبة قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتقاضي بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه
وقيل اراد انك ان اودعته ثم استرجعته منه في الحال وانت قائم على راسه لم تفارقه رده عليك
وان اخرت استرجاعه ما اودعته انكره ولم يرده عليك ذلك اي بسبب ذلك الاستحلال والخيانة بانهم
قالوا يعني اليهود ليس علينا في الاميين سبيل يعني انهم يقولون ليس علينا اثم ولا حرج في اخذ مال
العرب وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلال لنا انهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا
يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل
علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما في يد العرب فهو لنا وانما
هم ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا في اخذها منهم باي طريق كان وقيل ان اليهود كانوا يبايعون رجالا
من المسلمين في الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم بقية اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء
لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتبهم فاكذبهم الله
تعالى فقال ويقولون على الله الكذب يعني اليهود وهم يعلمون يعني انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على
اليهود قولهم فقال بلى اي ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل والعجمة بلى لجحد يعني ما قبلها
فعلى هذا حسن الوقوف عليها ثم يبتدئ من اوفى ويجوز ان لا يقف من اوفى بعهده اي بعهد الله الذي عهد اليه
في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الذي انزل عليه وباداء الامانة الى من ائتمنه
عليها وقيل الهاء في قوله راجعة الى الموفي واتقى يعني الكفر والخيانة ونقض العهد فان الله يحب المتقين

يعني الذين يقولون الشرك وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان
منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث
كذب وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر وفي رواية إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا
عاهد غدر وإذا خاصم فجر قوله عز وجل إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا قال عكرمة
نزلت هذه الآية في أحبار اليهود ورؤسائهم في أبي رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وحيي
ابن أخطب الذين كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا
بأيديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التي كانت تأتيهم من أتباعهم ومن
سفلتهم وقيل نزلت في ادعاء اليهود الذين قالوا إنه ليس علينا في الأميين سبيل وكتبوا ذلك
بأيديهم وحلفوا أنه من عند الله وقيل نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له ق عن عبد الله بن
مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو
عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل
إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا إلى آخر الآية وفي رواية قال من حلف على يمين صبرا
يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فأنزل الله تصديق ذلك إن الذين يشترون
بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الأشعث بن قيس الكندي فقال ما يحدثكم أبو عبد الرحمن
قلنا كذا وكذا فقال صدق في نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك أو يمينه قلت إنه إذا يحلف ولا يبالي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر
لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا إلى آخر الآية أخرجه الترمذي
وأبو داود ومدار الحكومة كانت بين الأشعث وبين رجل يهودي وقيل نزلت هذه الآية في رجل أقام
سلعته في السوق فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعطه خ عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلا أقام سلعته
وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت إن الذين يشترون
بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا إلى آخر الآية وقيل الأقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى إن الذين يشترون
بعهد الله يدخل فيه جميع ما أمر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل
ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق وقال الكلبي عهد الله أي الذي يجب الوفاء به ومعنى
إن الذين يشترون أي يستبدلون بعهد الله يعني الأمانة وأيمانهم الكاذبة ثمنا قليلا يعني شيئا
يسيرا من حطام الدنيا وذلك لأن المشتري يأخذ شيئا ويعطي شيئا فكل واحد من المعطى والمأخوذ
ثمن للآخر فهذا معنى الشراء أولئك يعني من هذه صفته لا خلاق لهم في الآخرة أي لا نصيب لهم
في الآخرة ونعيمها وجميع منافعها ولا يكلمهم الله يعني كلاما يسرهم به أو ينفعهم وقيل
هو بمعنى الغضب ولا ينظر إليهم يوم القيامة أي لا يرحمهم ولا يحسن إليهم ولا ينيلهم خيرا
ولا يزكيهم أي ولا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل ولهم عذاب أليم يعني في
الآخرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يكلمهم
الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل حلف على يمين كاذبة
بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماء فيقول الله يوم القيامة اليوم أمنعك
فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك م عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال فقرأها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا فقال من هم يا رسول الله قال المسبل
والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وللنسائي المنان بما أعطى والمسبل إزاره والمنفق

سلعته

سلعته بالحلف الكاذب م عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه
حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقالوا يا رسول الله وإن كان شيئا يسيرا قال وإن كان قضيبا من أراك
قوله عز وجل وإن منهم يعني من اليهود لفريقا يعني طائفة وجماعة وهم كعب بن الأشرف ومالك بن
الصيف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون أي يعطفون ويميلون وأصل اللي الفتل
اللي
من قولك لويت يده إذا فتلتها ألسنتهم بالكتاب يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام
تقليبه عن وجهه لأن المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه قال الواحدي ويحتمل
أن يكون المعنى يلوون ألسنتهم بالكتاب لأنهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيما يقرؤونه على
الغلط ونقل الإمام فخر الدين عن القفال قال يلوون ألسنتهم معناه أن يعمدوا إلى اللفظة فيحرفونها
في حركات الإعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية
فلما فعلوا ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد
من قوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وقيل إنهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها
وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا لتحسبوه من الكتاب يعني لتظنوا أن الذي حرفوه وبدلوه
من الكتاب الذي أنزله الله على أنبيائه وما هو من الكتاب يعني أن ذلك الذي غيروا أنه من الكتاب ما
هو منه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله يعني الذي يقولونه ويغيرونه وإنما كرر
هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لأجل التأكيد ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعني
أنهم كاذبون قال ابن عباس إن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك أنهم حرفوا التوراة
والإنجيل وألحقوا في كتاب الله ما ليس فيه قوله عز وجل ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم
والنبوة قيل إن نصارى نجران قالوا إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان
لبشر يعني عيسى عليه السلام أن يؤتيه الله الكتاب يعني الإنجيل وقال ابن عباس في قوله ما كان
لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أن يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن وذلك أن أبا رافع من اليهود
والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نأمر بعبادة غير
الله وما بذلك أمرني الله وما بذلك بعثني فأنزل الله هذه الآية ما كان لبشر أي ما ينبغي لبشر وهو
جميع بني آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد والجمع أن يؤتيه الله
الكتاب والحكم والنبوة يعني الفهم والعلم وقيل هو إمضاء الحكم عن الله تعالى والنبوة يعني
المنزلة الرفيعة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ومعنى الآية أنه لا يجتمع لرجل نبوة
مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه
الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك لأن الأنبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الإلهية
والربوبية منها أن الله تعالى آتاهم الكتب السماوية ومنها إتيان النبوة ولا يكون إلا بعد كمال العلم
وكل هذه تمنع من هذه الدعوى ولكن كونوا ربانيين يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فأضمروا
القول على حسب مذهب العرب في جواز الإضمار إذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني
فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء معلمين وقيل معناه حكماء علماء وقيل
الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل يعمل بعلمه
وقيل الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم
بسياسة الناس ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية مات رباني هذه الأمة قال سيبويه
الرباني المنسوب إلى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الألف والنون فيه
للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون أرباب العلم واحدهم رباني وهو الذي يربي
العلم ويربي الناس أي يعلمهم ويصلحهم والألف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب

الوالرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الرباني ماخوذ من التربية وقيل الربانيون
هم ولاة الامر والعلماء وهما الفريقان الذين يطاع لهما ومعنى الاية على هذا التاويل لا ادعوكم الى ان تكونوا
عبادا لي ولكن ادعوكم ان تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله
وعبادته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية او عبرانية فهي تدل على الرب
علم وعمل بما علم وعلم الناس طرق الخير وقوله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
اي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت الاية على ان العلم
والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع
علمه وخاب سعيه قوله عز وجل ولا يامركم قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا
على البشر وقيل على اضمار ان اي ولا ان يامركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه
ولا يامركم الله وقيل ولا يامركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يامركم عيسى ولا يامركم
الانبياء ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا يعني كفعل قريش والصابئين حين قالوا الملائكة بنات
الله وكفعل اليهود والنصارى حين قالوا في المسيح والعزير ما قالوا وانما ذكر الملائكة والنبيين
بالذكر لان الذين وصفوا بالعبادة لغير الله عز وجل من اهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة
وعبادة المسيح وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون
انما قاله على طريق التعجب والانكار يعني لا يقول هذا ولا يفعله قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق
النبيين قال الزجاج موضع اذ نصب المعنى اذكر في اقاصيصك اذ اخذ الله وقال الطبري معناه
واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله يعني حين اخذ الله ميثاق النبيين واصل الميثاق في اللغة عقد
يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على انفسهم من طاعة الله فيما يامرهم به وينهاهم عنه
وذكروا في معنى اخذ الميثاق وجهين احدهما انه ماخوذ من الانبياء والثاني انه ماخوذ لهم من غيرهم
فلهذا السبب اختلفوا في المعني بهذه الاية فذهب قوم الى ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة
قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يؤمن
بمن ياتي بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يامر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ
الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم اجمعين وهذا قول سعيد
ابن جبير والحسن وطاوس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة
وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما اخذ الله الميثاق على
اهل الكتاب الذين ارسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل الكتاب دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم
لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على
النبيين واممهم جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد
مع الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن ابي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا اخذ عليه
العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه
وقيل ان المراد من الاية ان الانبياء كانوا ياخذون العهود والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله
عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين قوله تعالى لما آتيتكم من كتاب وحكمة
قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف في القراءتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى الاية واذ اخذ
الله ميثاق النبيين من اجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه
وسلم في التوراة لتؤمنن به الذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن
به من اخذ الميثاق كما تقول اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف وكان معنى

الاية واذ

الاية واذ استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن
به ولينصرنه قوله عز وجل ثم جاءكم رسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لما معكم وذلك ان الله
وصفه في كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما في كتبهم
المنزلة يصير مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله وامره قوله لتؤمنن به لام القسم
تقديره والله لتؤمنن به ولتنصرنه قال البغوي قال الله عز وجل للانبياء حين استخرج الذرية من
صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وسلم أأقررتم واخذتم
على ذلكم اصري الاية وقال الامام فخر الدين الرازي يحتمل ان يكون هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلالة
على ان الانقياد من الله واجب فاذا جاء رسول الله وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد ذلك
ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه فتقرير هذا الدليل في عقولهم هو المراد من
الميثاق قال أأقررتم يعني قال الله تعالى أأقررتم فان فسرنا ان اخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه
قال الله تعالى للنبيين أأقررتم بالايمان به والنصر له وان فسرنا بان اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه
قال كل نبي لامته أأقررتم وذلك لانه تعالى اضاف اخذ الميثاق الى نفسه وان النبيين اخذوه على الامم
فلذلك طلب هذا الاقرار واضافه الى نفسه وان وقع من الانبياء والمقصود ان الانبياء بالغوا في اثبات
هذا الميثاق وتاكيده على الامم وطالبوهم بالقبول والاقرار وذلك بالاشهاد واخذتم على ذلكم اصري
اي عهدي والاصر العهد الثقيل وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد قالوا اقررنا اي قال النبيون
اقررنا بما الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك قال فاشهدوا يعني قال الله
عز وجل للنبيين فاشهدوا يعني انتم على انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق
وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا عليهم فهو كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة
العلم والبيان وانا معكم من الشاهدين يعني قال الله تعالى يا معشر الانبياء اشهدوا وانا معكم من الشاهدين
عليكم وعلى اتباعكم وقال للملائكة وانا معكم من الشاهدين عليهم فمن تولى اي اعرض عن الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم ونصرته بعد ذلك الاقرار فاولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن الايمان والطاعة
قوله عز وجل أفغير دين الله يبغون وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ادعى كل فريق انهم اولى بدين ابراهيم فقال النبي كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا لا نرضى
بقضائك ولا ناخذ بدينك فانزل الله افغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار والتوبيخ
يعني ابعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلائل ان دين ابراهيم هو دين الله الاسلام تبغون قرئ
بالتاء على خطاب الحاضر اي قل لهم افغير دين الله تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقرئ بالياء على الغيبة
ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون وله اسلم اي خضع وانقاد من في السماوات
والارض طوعا وكرها الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة واباء من
النفس واختلفوا في قوله طوعا وكرها فقيل اسلم اهل السماء طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا معنى
وبعضهم كرها من خوف القتل والسبي وقيل اسلم المؤمن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا في
يوم اخذ الميثاق حين قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت
له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل يسلم المؤمن طوعا فينفعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم
كرها عند الموت في وقت الياس فلم ينفعه ذلك في القيامة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى
الامتناع على الله في مراده فاما المسلم فينقاد لله فيما امره او نهاه طوعا واما الكافر فينقاد لله
كرها في جميع ما يقضي عليه ولا يمكنه دفع قضائه وقدره عنه واليه يرجعون قرئ بالتاء والياء
والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى الله يوم القيامة فيجزيهم ويعذب من عصاه في الدنيا قوله عز وجل
قل آمنا بالله لما ذكر الله عز وجل في الاية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق الرسول الذي

واي مورد للعمومية حتى يخالف العبد
عز وجل في الدنيا وهذا بحسب من وجد
خير ... من البيعة

بأنه محمد مصدقا لما معهم فيبين في هذه الآية أن من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما معهم فقال تعالى قل آمنا
بالله وإنما وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله آمنا بالله لأنه إنما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل هذا
الكلام على أنه لا يبلغ هذا التكليف عن الله تعالى إلى الخلق إلا هو ثم قال آمنا بالله تنبيها على أنه حين قال
هذا القول وافقه أصحابه فحسن الجمع في قوله آمنا ومعنى الآية قل يا محمد صدقنا بالله أنه ربنا وإلاهنا
لا إله لنا غيره ولا رب سواه وإنما قدم الإيمان بالله على غيره لأنه الأصل وما أنزل علينا يعني وقل يا محمد
وصدقنا أيضا بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله وإنما قدم ذكر القرآن لأنه أشرف الكتب وأنه لم يحرف ولم
يبدل وغيره حرف وبدل وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي
موسى وعيسى إنما خص هؤلاء الأنبياء بالذكر لأن أهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم
والأسباط هم أولاد يعقوب الاثني عشر وكانوا أنبياء ثم جمع جميع الأنبياء فقال والنبيئون
وما أوتي النبيئون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم وذلك أن أهل الكتاب يؤمنون ببعض النبيين ويكفرون
ببعض فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمته أنه يؤمن بجميع الأنبياء
فإن قلت لم عدى أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتهاء قلت
لوجود المعنيين جميعا لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وتارة بالمعنى الآخر
ونحن له مسلمون أي موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادته قوله عز وجل ومن يبتغ
غير الإسلام دينا فلن يقبل منه يعني أن الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام وأن كل دين سواه
غير مقبول عنده لأن الدين الصحيح ما يأمر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه وهو في الآخرة من الخاسرين
يعني الذين وقعوا في الخسارة وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير الطبري عن عكرمة في قوله
ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله
عليه وسلم فحجهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا قوله عز وجل كيف يهدي الله قوما كفروا بعد
إيمانهم نزلت في اثني عشر رجلا ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفارا منهم
الحارث بن سويد الأنصاري وطعمة بن أبيرق وحوح بن الأسلت وقال ابن عباس نزلت في اليهود والنصارى
وذلك أن اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون
قد أظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي الله
قوما كيف يرشد الله للصواب ويوفق للإيمان قوما كفروا أي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد
إيمانهم أي تصديقهم إياه وإقرارهم به وبما جاء به من عند ربه وشهدوا أن الرسول حق
يعني وبعد أن أقروا وشهدوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى خلقه وأنه حق وصدق
وجاءهم البينات يعني الحجج والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بمثلها تثبت
النبوة والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يوفقهم إلى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى
أنهم كافرون وقيل لا يهديهم في الآخرة إلى الجنة والثواب فإن قلت كيف قال في أول الآية كيف
يهدي الله قوما كفروا وقال في آخرها والله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار
لأن قوله كيف يهدي الله قوما كفروا إنما هو مختص بالمرتدين عن الإسلام ثم إنه تعالى عمم هذا
الحكم في آخر الآية فقال والله لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين عن الإسلام والكافر
الأصلي وإنما سمي الكافر ظالما لأنه وضع العبادة في غير موضعها أولئك جزاؤهم يعني الذين
كفروا بعد إيمانهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها أي في عذاب
اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
أي لا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت إلى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال
إلا الذين تابوا من بعد ذلك يعني بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك أن الحارث بن سويد

الأنصاري

الأنصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي
من توبة ففعلوا فأنزل الله تعالى إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية فبعث بها إليه أخوه الجلاس مع
رجل من قومه فأقبل إلى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن إسلامه وأصلحوا
أي وضموا إلى التوبة الأعمال الصالحة فبين أن التوبة وحدها لا تكفي حتى ينضاف إليها العمل الصالح
وقيل معناه وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات فإن الله
غفور رحيم أي غفور لقبائحهم بالستر رحيم في الآخرة بالعفو وقيل غفور بإزالة العقاب رحيم
بإعطاء الثواب قوله عز وجل إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا نزلت في اليهود وذلك أنهم
كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى وغيره من أنبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك أنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد
إيمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا
في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك أنهم أشركوا بالله بعد إقرارهم أن الله خالقهم ثم ازدادوا
كفرا يعني بإقامتهم على كفرهم ثم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى أردنا الرجعة حتى هلكوا
عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في أحد عشر رجلا من أصحاب الحارث
ابن سويد الذين ارتدوا عن الإسلام فلما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على
الكفر ما بدا لنا ومتى أردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحارث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة فمن دخل منهم في الإسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار
الآية فإن قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون
في معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت
الحشرجة لأن الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن
فإن الذين يموتون على الكفر لا تقبل توبتهم كأنه قال إن اليهود أو الكفار أو المرتدين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك
لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس إن الذين ارتدوا وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم والكفر في
برأيهم وقال أبو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال الشرك ولم يتوبوا من الشرك فإن توبتهم
في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم إذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير لن تقبل
توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم لا من كفرهم لأن الله تعالى وعد أن يقبل التوبة
عن عباده وأنه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله
غفور رحيم على أن المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل التوبة منه فعلى هذا فالذي لا
تقبل توبته هو الذي أقام على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما أقام على كفره لأن الله تعالى لا يقبل
عمل مشرك ما أقام على شركه فإذا تاب من شركه وكفره وأصلح فإن الله كما وصف نفسه غفور رحيم
وأولئك هم الضالون يعني هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا هم
الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطؤوا منهاجه قوله عز وجل إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار قال
ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من أصحاب الحارث بن سويد حيا في الإسلام
فنزلت هذه الآية فيمن مات على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع أصناف الكفار من اليهود والنصارى
وعبدة الأصنام فالآية عامة في جميع من مات على الكفر فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا
أي قدر ما يملأ الأرض من شرقها إلى غربها ولو افتدى به قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة
وقيل الواو على حالها وفائدتها التأكيد والتقرير لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهبا وقد مات على
كفره لم ينفعه ذلك ولو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهبا لم يقبل منه وهذا أكثر في التغليظ لأنه
تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه فإن قلت الكافر لا يملك شيئا في الآخرة فما وجه قوله

ولن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو كان
للكافر قدر ملء الأرض ذهبا يوم القيامة لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من
ذلك وقيل معناه لو أن الكافر أنفق في الدنيا ملء الأرض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لأن
الطاعة مع الكفر غير مقبولة أولئك إشارة إلى من مات على الكفر لهم عذاب أليم وما لهم من
ناصرين يعني ما لهم من يمنعونهم من العذاب عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول
الله عز وجل لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به فيقول نعم
فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي أخرجه مسلم
قوله عز وجل لن تنالوا البر قال ابن عباس الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل معناه
لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه
وأصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه إذا توسع في طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد
الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لاتصاف الخير المتوسع فيه وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا
وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا عن النواس
ابن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك
في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالأعمال الصالحة حتى تكونوا
أبرارا وتدخلوا في زمرة الأبرار ومن قال إن البر هو الجنة قال معنى الآية لن تنالوا ثواب البر المؤدي
إلى الجنة حتى تنفقوا مما تحبون يعني من خيار أموالكم وأنفسها عندكم قال الله ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون وقيل هو أن تنفق من مالك ما أنت محتاج إليه قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة عن أبي هريرة قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أي الصدقة
أفضل فقال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان واختلفوا في هذا الإنفاق فقال ابن عباس هو الزكاة المفروضة
والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة أموالكم فعلى هذا القول فإن الآية منسوخة بآية الزكاة
وفيه بعد لأنه ترغيب في إخراج الزكاة وقال ابن عمر أراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شيء
أنفقه المسلم من ماله مما يبتغي به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فإنه يدخل في قوله
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون عن أنس بن مالك قال كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة
مالا وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما أنزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الله تعالى يقول في كتابه لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وإن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرها
عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال
رابح أو مال رايح أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها أبو
طلحة في أقاربه وبني عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضا وتكرر للمبالغة
وهي مبنية على السكون فإذا وصلت جررت ونونت فقلت بخ بخ قوله مال رابح أي ذو ربح وفي
الرواية الأخرى ذلك مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعه وثوابه وبيرحاء اسم موضع
بالمدينة وهو حائط كان لأبي طلحة وروي عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري
أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت فلما جاءت أعجبته فقال عمر إن الله عز وجل يقول
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله من ذكر ما أعطاني الله تعالى فما كان شيء أحب إلي

من ولائد

من ولائد فقلت هي حرة لوجه الله تعالى قال ولولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها وعن عمرو بن
دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل
كان يحبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فأعطاها رسول الله صلى
الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله إنما أردت أن أتصدق بها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية كان زيد وجد في نفسه فلما رأى ذلك منه النبي
صلى الله عليه وسلم قال أما إن الله قد قبلها وروي أن أبا ذر نزل به ضيف فقال للراعي ائتني بخير إبلي
فجاء بناقة مهزولة فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت خير الإبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه
فقال إن يوم حاجتي إليه يوم أوضع في حفرتي وقوله تعالى وما تنفقوا من شيء يعني من أي شيء كان
من طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه فإن الله به عليم أي يعلمه ويجازيكم به قوله عز وجل كل الطعام
كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة سبب نزول هذه
الآية أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان إبراهيم لا يأكل
لحوم الإبل وألبانها وأنت تأكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لإبراهيم
قالوا كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا فأنزل الله عز وجل كل الطعام
كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل أن تنزل التوراة يعني ليس الأمر
على ما قال اليهود من تحريم لحوم الإبل على إبراهيم بل كان ذلك حلالا لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب وإنما حرمه يعقوب لسبب من الأسباب وبقيت تلك الحرمة في أولاده فأنكر اليهود ذلك
فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحضار التوراة وطلب منهم أن يستخرجوا أن ذلك حرام
على إبراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوا من حرمة هذه الأشياء على إبراهيم وقيل
إن اليهود أنكروا نسخ شرع محمد صلى الله عليه وسلم وادعوا أن النسخ غير جائز فأبطل الله ذلك عليهم واحتج
أن الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالا ثم صار
حراما عليه وعلى أولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بأن النسخ غير جائز فأنكرت اليهود ذلك
وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن آدم إلى هذا الوقت فألزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحضار
التوراة وقال إن التوراة ناطقة بأن أنواع الطعام إنما حرم لسبب أن إسرائيل حرمه على نفسه فخاف
اليهود من الفضيحة وامتنعوا من إحضار التوراة فظهر بذلك كذبهم وأنهم ينسبون إلى التوراة ما ليس
فيها وبطل قولهم بأن النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنه
صلى الله عليه وسلم كان رجلا أميا لم يقرأ الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلما أخبر أن ذلك ليس في التوراة
علم أن الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم أنه وحي من الله تعالى وقوله كل الطعام يعني كل أنواع الطعام وسائر
المطعومات كان حلا أي حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن
إبراهيم عليهم السلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الإبل وألبانها وروى الطبري
بسنده عن ابن عباس أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله
أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم
بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه
منه فنذر لله نذرا إن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام
إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك
أنه اشتكى عرق النسا وكان أصل وجعه فيما روي عن الضحاك أن يعقوب كان نذر إن وهب الله له اثني
عشر ولدا وأتى بيت المقدس صحيحا أن يذبح آخرهم وفي رواية أحدهم فتلقاه ملك من الملائكة
فقال يا يعقوب إنك رجل قوي فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع واحد منهما صاحبه فغمزه الملك

لعله بالحجر

عنه فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما انا لو شئت ان اصرعك لصرعتك ولكن غمزتك هذه الغمزة
لانك قد نذرت ان اتيت بيت المقدس ذبحت اخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك فرجا
فلما اتى يعقوب بيت المقدس اراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فاتاه الملك وقال له انما غمزتك
للمخرج وقد وفي نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس رضه اقبل يعقوب من حران
يريد بيت المقدس حين هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا فلقيه ملك في صورة رجل
فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب ثم صعد الى السماء ويعقوب ينظر اليه فهاج
له عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت وله زقاء اي صياح فحلف يعقوب ان
شفاه الله ان لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق
ويخرجونها من اللحم ولا ياكلونها وقيل انما اصاب يعقوب ذلك وجع لم يسمه الاطباء فحلف لحم الابل محرما
يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور تعبدا لله تعالى وسال ربه ان يجيز له ذلك فحرمه
الله على ولده وهو ظاهر الاية لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل ثم استثنى
ما حرم اسرائيل على نفسه فوجب بحكم هذا الاستثناء ان يكون ذلك حراما على بني اسرائيل اما قوله من قبل
ان تنزل التورية فمعناه ان قبل انزال التورية كان كل انواع الطعام كانت حلالا لبني اسرائيل سوى ما
حرم اسرائيل على نفسه اما بعد نزول التورية فقد حرم الله تعالى عليهم الطعام المحرم على بني اسرائيل
بعد نزول التورية فقال السدي حرم الله عليهم في التورية ما كانوا حرموه على انفسهم قبل
نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم اسرائيل فانه قال ان عافاني الله تعالى لا ياكله
ولدي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التورية وقال الكلبي لم يحرمه الله في التورية وانما حرم
عليهم بعد نزول التورية لظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا الاية الى ان قال ذلك جزيناهم
ببغيهم وانا لصادقون وكانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا
او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم ولا حرمه في التورية
وانما حرموه اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه لله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال الله تعالى قل فاتوا
بالتورية يعني قل لهم يا محمد فاتوا بالتورية فاتلوها اي فاقرءوها وما فيها حتى يتبين ان الامر كما
قلتم ان كنتم صادقين يعني فيما ادعيتم فلم ياتوا وخافوا الفضيحة فقال تعالى فمن افترى على
الله الكذب الافتراء اختلاق الكذب والافتراء الكذب والقذف والافساد واصله من فري الاديم
اذا قطعه لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود من بعد ذلك اي من بعد ظهور
الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله فاولئك هم الظالمون اي الـ
المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن اضلوه عن الدين ومن بعدهم وهذا ورد
على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم فيما نعي عليهم مما نطق به القران من
تعريضهم مساويهم التي كانوا يكتبونها قل صدق الله يعني قل صدق الله يا محمد فيما اخبر ان ذلك
النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل واولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل
قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم عليه
السلام وانما حرمت على بني اسرائيل بسبب ان اسرائيل حرمها على نفسه وقيل صدق الله في ان
سائر الاطعمة كانت محللة لبني اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح افعالهم
وفيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق فيما انزل واخبر وانتم كاذبون يا
معشر اليهود فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي اتبعوا ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم
من ملة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن امن معه وانما دعاهم الى
ملة ابراهيم لان ملة محمد صلى الله عليه وسلم وما كان من المشركين اي لم يدع مع الله الاها اخر

ولا يعبد سواه

نزل

بعد

ولا يعبد سواه قوله عز وجل ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة سبب نزول هذه الاية ان
اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهي افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبياء
وقبلتهم وارض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الاية وقيل لما ادعت
اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم فاكذبهم الله تعالى واخبر ان ابراهيم كان حنيفا مسلما
وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى في الاية المتقدمة اتبعوا ملة ابراهيم حنيفا
وكان من اعظم شعائر ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر في هذه الاية فضيلة البيت ليفرع عليه
ايجاب الحج وقوله ان اول بيت وضع للناس وهو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم
للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل فيه شيء اخر او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع او وضعه الله
موضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلوات وموضعا للحج وموضعا للطواف وتزداد فيه الخيرات
وثواب الطاعات وكونه موضعا للناس يعني ليشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه
والباد فان قلت كيف اضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي واضافه للناس اخرى بقوله وضع
للناس قلت اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واما اضافته
للناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلتهم للذي ببكة قيل مكة نفسها
والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم
البلد وفي اشتقاق بكة وجهان احدهما من البك الذي هو عبارة عن الزحم تقال بكه يبكه اذا دفعه
وزاحمه ولهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لان الناس يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف
وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة الوجه الثاني سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة
اي تدقها ولم يقصدها جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير واما مكة فسميت
بذلك لقلة مائها لقول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اي مصه اذا امتص كل ما فيه من اللبن
وقيل لانها تمك الذنوب اي تزيلها وسميت مكة ام رحم لان الرحمة تنزل بها والحاصل انها
تخلص من استعصم بحرمتها او لان الناس يجتمعون لتعظيم الرحمة وسميت ام القرى لانها اصل كل
بلد ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلماء في كون البيت اول بيت وضع للناس على قولين احدهما
انه اول في الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي رواية عنه
ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض بالفي عام وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء
عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت
الارض من تحته وهذا قول عمرو ومجاهد وقتادة والسدي وقيل هو اول بيت بني على الارض وروي عن
علي بن الحسين ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به ثم
امر الملائكة الذين في الارض ان يبنوا بيتا في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح
وامر من في الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وروي ان الملائكة بنوه قبل
خلق ادم بالفي عام وكانوا يحجونه فلما حج ادم قالت الملائكة بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت
قبلك بالفي عام وقال ابن عباس هو اول بيت بناه ادم في الارض وقيل ان ادم لما اهبط الى الارض
استوحش وشكى الوحشة فامره الله ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقي ذلك البناء الى زمان
نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السماء وبقي موضع البيت اكمة فبقيا الى ان
بعث الله ابراهيم عليه السلام فامره ببنائه القول الثاني ان المراد من الاولية كون هذا البيت
وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الاية وهو قوله تعالى للذي ببكة مباركا وروي ان رجلا قام الى علي
ابن ابي طالب فقال الا تخبرني عن البيت اهو اول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم
ومن دخله كان امنا وقال الحسن هو اول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو اول بيت وضع للعبادة

د ب بيصر

بما تقول في الحجاج حين هدمها
محا محوا ولم يضره شيء ولا قصمه الله
من تلميذ محمد بن يوسف

قلت الحجاج بايات بكة ...
هدم البيت ثم عمرها واعادها
بقصد الزبير رضي الله عنه بناها
امر لا تامل

يقال هو اول بيت وضع للناس هو

وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه البركة واول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل قبلة
للناس وعن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع في الارض قال
المسجد الحرام قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما ثم الارض لك مسجدا
فحيثما ادركتك الصلاة فصل زاد البخاري فان الفضل فيه وقوله تعالى **مباركا** يعني ذا بركة واصل البركة
النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهي وقيل هو اول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لان
الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام
وهدى للعالمين يعني انه قبلة للمؤمنين يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على
وجود الصانع المختار لما فيه من الايات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة
لان من قصده بان صلى اليه او حج فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمته قوله تعالى **فيه ايات بينات**
اي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الايات فقيل هو قوله
مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وقيل الايات غير مذكورة وهي ما تدل على فضل هذا البيت منها
ان الطير لا يطير فوق الكعبة في الهواء بل تنحرف عنه اذا وصلت اليه يمينا وشمالا ومنها ان الوحوش
لا توذي بعضها بعضا في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الصيد ولا تصطاد ومنها ان الطير اذا مرض
منها شي استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء
الا اهلكه الله كما اهلك اصحاب الفيل وغيرهم ومن الايات التي فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم
وزمزم ومشاعر الحج التي فيه كلها من الايات ومنها ان الامر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس
له جبريل والباني هو ابراهيم الخليل عليه السلام والمساعد في بنيانه هو اسماعيل فهذه فضيلة
عظيمة لهذا البيت قوله تعالى **مقام ابراهيم** يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه
اثر قدمي ابراهيم فاندرس من كثرة المسح بالايدي **ومن دخله كان امنا** قيل لما كانت الايات
المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة في جميع الحرم علم ان المراد بقوله ومن
دخله كان امنا جميع الحرم ويدل عليه ايضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا يعني
ان يجاب من فيه وكانت العرب تقتل بعضها بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم امن من
القتل والغارة وهو المراد من حكم الاية على قول اكثر المفسرين قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما
امنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل في معنى الاية من دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان امنا وقيل هو بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس ومن تبعه
ذهب ابو حنيفة الى ان من وجب عليه القتل قصاصا كان او حدا فالتجأ الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص
او الحد في الحرم لاكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه
الحد خارج الحرم وقال الشافعي اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم ثم لجأ الى الحرم استوفي منه في
الحرم واجمعوا على انه لو قتل في الحرم او سرق او زنى فانه يستوفى منه في الحرم عقوبته وقيل
في معنى الاية ومن دخله معظما له متقربا بذلك الى الله كان امنا من العذاب يوم القيامة وقيل
من دخله كان امنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك قوله عز وجل **ولله على الناس حج البيت** اي ولله
على الناس فرض حج البيت والحج احد اركان الاسلام عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج
وصوم رمضان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام الخمسة **من استطاع اليه**
سبيلا يعني فرض الحج واجب على من استطاع من اهل التكليف ووجد السبيل الى حج البيت الحرام
فصل في فضل البيت والحج والعمرة وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان اول بيت

ان اول بيت وضع للناس مباركا يصلى فيه الكعبة قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن وانما
سودته خطايا بني ادم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد
على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان طمس نورهما لاضاءا ما
بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروى عن عمرو موقوفا وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى
وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي
هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى وعن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال له رجل في كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن وابراهيم بن يزيد الجوزي المكي قد تكلم فيه بعض اهل العلم من قبل حفظه وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفي
رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث
ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه اخرجه الترمذي وقال غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابن مسعود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير
خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت
الشمس بذنوبه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن سهل بن سعد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض
من ها هنا وها هنا وقال الترمذي وهذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الترمذي هذا حديث غريب
فصل في احكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو احد اركان الاسلام الخمسة
ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون
ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من اهل القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي
يعقل او حج عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما
شرائط الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه ويسقط عنه فرض حجة الاسلام
والاستطاعة نوعان احدهما ان يكون مستطيعا بنفسه والاخر ان يكون مستطيعا بغيره فاما
المستطيع بنفسه فهو ان يكون قويا قادرا على الذهاب ووجود الزاد والراحلة لما تقدم من
حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لم يثبت لانه ليس
بمتصل واما المرفوع ايضا رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن المنذر
واختلف العلماء في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فالاية على العموم اذ لا يعلم
خبرا ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجب ان نستثني من ظاهر الاية
بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل باي وجه كانت الاستطاعة للحج على ظاهر الاية

قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة الصحة وقال الضحاك ان كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه
باكله وعقبه حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة على الطاقة الناس الرجل يجد الزاد و
الراحلة ولا يقدر على المشي وآخر يقدر على المشي على رجليه وقال طائفة الاستطاعة الزاد
والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد واحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم
وقال الشافعي الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله ما يبلغه
الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثاني لا يقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على من
يطيعه اذا امره ان يحج عنه او قادر على مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا ممن لزمه
فرض الحج اما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له ويجد من الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه
فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم وعن دين ان كان عليه ويجد رفقة يخرجون
في وقت جرت العادة بخروج اهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا قبله او اخروا الخروج الى وقت
لا يصلون الا بقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط ان يكون الطريق آمنا فان
كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر او رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط ان يكون منازل العلف
مأمونة معمورة يجد ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تعذر واخلا اهلها لجدب او غار ماؤها
فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي او لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب
لا يلزمه الحج عند من جعل وجود الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه
الحج عند مالك واما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به
مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه ان يستأجر من يحج عنه فيجب عليه ان يستأجر من يحج عنه
او لم يكن له مال وبذل له ولده او اجنبي الطاعة في ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه
لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند ابي حنيفة لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب
على من غصب ماله وحجة من اوجب الحج ببذل الطاعة ما روي عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر
اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر فقالت يا رسول الله
ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج
عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن
العالمين يعني ومن جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه
وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج به ثم مات ولم يحج فهو كفر لما روي عن علي بن
ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا او راحلة تبلغه الى بيت الله
ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت
من استطاع اليه سبيلا اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي
اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحارث يضعف في الحديث وقيل هو الكفر بالحج
لم ير حجه برا ولا تركه اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من اصحاب الملل الستة قالوا انا
مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا
به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذه الاقوال تكون هذه الآية متعلقة بما
قبلها وقيل انه كلام مستأنف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الآخر فان الله غني عن العالمين
قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب قيل الخطاب لعلماء اهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته
لم تكفرون بآيات الله يعني الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد
بآيات الله

بآيات الله التي دلتكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بآيات الله القرآن
ومحمد صلى الله عليه وسلم والله شهيد على ما تعملون اي والله شهيد على اعمالكم فيجازيكم
عليها قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن يعني لم تصرفون عن دين الله من آمن
وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه
وسلم في كتبهم تبغونها عوجا يعني زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن
الاعتدال في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى واما الشيء المنتصب كالحائط والقناة ونحو ذلك
يقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى انكم تطلبون الزيغ
والميل في سبيل الله بالقاء الشبه في قلوب الضعفاء وانتم شهداء قال ابن عباس يعني وانتم
شهداء ان في التوراة مكتوب نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وان دين الله الذي لا يقبل غيره
هو الاسلام وقيل معناه وانتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم
الدالة على نبوته وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون
ويحتالون بالقاء الشبه في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم
مع ذلك فقال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب
الآية قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين
على نفر من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من الفتهم وصلاح ذات بينهم
في الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله
ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود وكان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم
ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم
بعاث اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك
وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قيظي احد بني حارثة من
الاوس وجبار بن صخر احد بني سلمة فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها جذعة
وغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس
والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج
اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم
بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم فيه الله
الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا واعتنق
بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رأيت يوما
اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا
الكتاب يعني شاس بن قيس اليهودي واصحابه يردوكم بعد ايمانكم كافرين والكفر يوجب الهلاك في
الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الآخرة النار قال تعالى
وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله كلمة كيف كلمة تعجب والتعجب
انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال والمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة
آيات الله وهو القرآن حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم ليرشدكم الى
مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة
في هذه الآية علمان بينان كتاب الله ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد مضى واما
كتاب الله فقد ابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة وعن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ الناس

وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم
ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله
ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي قوله تعالى ومن يعتصم
بالله أي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل العصمة الامتناع من الوقوع في آفة
وفيه حث لهم في الالتجاء إلى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم فقد هدي إلى صراط مستقيم
أي إلى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي إلى الجنة قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته قال مقاتل بن حيان كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أصلح بينهما فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة
ابن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الأوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين
ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز
عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة فقال الخزرجي منا أربعة أحكموا القرآن أبي بن كعب
ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم فجرى الحديث
بينهما فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى
الله عليه وسلم فأصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو أن تجاهدوا في الله حق
جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم
وعن أنس لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام
بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ أم لا
على قولين أحدهما أنه منسوخ وذلك أنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا
يا رسول الله من يقوى على هذا فأنزل الله تعالى الناسخ في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم
وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني أنها محكمة غير
منسوخة وهي رواية عن ابن عباس أيضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع إلى معنى الآية
فمن قال إنها منسوخة قال حق تقاته هو أن يأتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز
العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال إنها محكمة قال إن حق تقاته ما أمكن العبد على
قدر طاقته فكان قوله اتقوا الله ما استطعتم تفسيرا لحق تقواه لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله
ما استطاع فقد اتقاه حق تقاته وقيل معنى حق تقاته كما يجب أن يتقى وذلك بأن يجتنب جميع
معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي يصدر عن العبد على سبيل
السهو والنسيان غير قادح فيه لأن التكليف في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وأن يشكر
فلا يكفر واجب على العبد ما أنعم الله عليه بالنعم إلا عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله
وأن يذكر فلا ينسى فإن هذا إنما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان قوله تعالى
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على الأمر بالإقامة
على الإسلام والمعنى كونوا على الإسلام فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا
في الحقيقة نهي عن ترك الإسلام المعنى لا تتركوا الإسلام فإن الموت لا بد منه فمتى جاءكم
صادفكم وأنتم على الإسلام لأنه لما كان يمكنهم الثبات على الإسلام حتى إذا أتاهم الموت
أتاهم وهم على الإسلام صار الموت على الإسلام بمنزلة ما قد دخل في إمكانهم وقيل معناه
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون مخلصون مفوضون إلى الله أموركم محسنون الظن به عز وجل عن ابن عباس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون

فقال لو أن قطرة

فقال لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون
طعامه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا أي
تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذي يتوصل به إلى البغية وسمي الإيمان حبلا لأنه سبب يتوصل
به إلى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي به يتوصل إليه وقيل حبل الله هو القرآن لأنه أيضا
سبب يتوصل به وفي أفراد مسلم من حديث زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا
وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على
ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن هذا القرآن هو حبل الله
المتين وهو النور المبين والشفاء النافع لمن تمسك به ذكره البغوي بغير سند وقال ابن عباس
هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وأن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير
مما تحبون في الفرقة وقيل بحبل الله أمر الله وطاعته ولا تفرقوا يعني كما تفرقت اليهود والنصارى
وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا وقيل معناه لا
تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها وفيه النهي عن التفرق والا
ختلاف والأمر بالألفة والاجتماع لأن الحق لا يكون إلا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا وإذا
كان كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لأن كل ذلك كان عادة أهل الجاهلية فنهوا
عنه وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله يرضى لكم ثلاثا
ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا وأن تناصحوا
من ولاه الله أمركم ويسخط لكم قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال قوله تعالى واذكروا نعمة الله
عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا قال محمد بن إسحاق وغيره
من أهل الأخبار كان الأوس والخزرج أخوين لأب وأم فوقعت بينهما عداوة وقتل ثم تطاولت تلك
العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام وألف بينهم بنبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك أن سويد بن الصامت أخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا
يسميه قومه الكامل لجلده ونسبه قدم مكة حاجا ومعتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
بعث وأمر بالدعوة فتصدى له حين سمع به ودعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام فقال سويد فلعل
الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال مجلة لقمان
يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال إن هذا
الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله عز وجل علي نور وهدى وتلا عليه القرآن
ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه وقال إن هذا القول حسن ثم انصرف إلى المدينة فلم يلبث أن قتله
الخزرج يوم بعاث وإن قومه يقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم أبو الحيسر أنس بن رافع ومعه فتية
من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم وجلس إليهم وقال لهم هل لكم إلى خير مما جئتم
له قالوا وما ذاك قال أنا رسول الله بعثني الله إلى العباد أدعوهم أن لا يشركوا بالله شيئا وأنزل
علي الكتاب ثم ذكر الإسلام وتلا عليهم القرآن فقال إياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أي قوم
هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس وقال دعنا
منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت إياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرفوا إلى
المدينة فكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج فلم يلبث إياس بن معاذ أن هلك فلما أراد الله
عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم

ولقي عند العقبة رهطا ممن أراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر سعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو
ابن عفراء ورافع بن مالك العجلاني وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله
رضي الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن
موالي اليهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل
وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهود كانوا
معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وهم أهل أوثان وشرك وكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا
إن نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون
والله أنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه فأجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا إنا
قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم
عليهم وندعوهم إلى أمرك فإن الله يجمعهم عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى كان عام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا وهم أسعد
ابن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلاني وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن الصامت
ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر فهؤلاء خزرجيون وأبو الهيثم
ابن التيهان وعويم بن ساعدة من الأوس فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء على أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا الآية
فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم شيئا من ذلك فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة وإن ستر
عليكم فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم قال وذلك قبل أن يفرض الحرب قال
فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم
الإسلام ويفقههم في الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان منزله على أسعد بن زرارة
ثم إن أسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر فجلسا في الحائط واجتمع
إليهما رجال ممن أسلم فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا
ليسفها ضعفاءنا فازجرهما فإن أسعد ابن خالتي ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ وأسيد
بن حضير حربته ثم أقبل إلى مصعب وأسعد وهما جالسان في الحائط فلما رآه أسعد بن زرارة قال 2
لمصعب هذا أسيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب إن يجلس أكلمه فلما وقف عليهما
متشتما وقال ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة فقال له
مصعب أوتجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز
حربته وجلس إليهما فما زال يتكلم في إشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون
إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثيابك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين
ثم قال إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ آراد
ثم أخذ حربته فانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر سعد إلى أسيد مقبلا
قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف أسيد على النادي
فقال سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا لا نفعل إلا ما
أحببت وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك
ليخفروه فقام سعد مغضبا مبادرا مخوفا للذي ذكر من بني حارثة فأخذ الحربة ثم قال والله ما أراك أغنيت شيئا

فانصرف إليهما

فانصرف إليهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم
قال لأسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد كان
قال أسعد لمصعب جاءك والله سيد قومه إن يتبعك لم يتخلف عنك أحد منهم فقال له مصعب أو تقعد
فتسمع فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد أنصفت ثم
ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الإسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله الإسلام في وجهه
قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ثم قال كيف تصنعون إذا أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا
تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد
شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته وأقبل عامدا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما
رآه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم
قال يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فإن
كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما أمسى في دار بني عبد الأشهل
رجل ولا امرأة إلا مسلم ورجع أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير إلى منزل أسعد فأقام عنده يدعو الناس
إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات إلا ما كان من دار
أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وتلك أوس الله فإن فيهم ابن قيس بن الأسلت الشاعر وكانوا يسمعون
منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
ومضى بدر وأحد والخندق قال ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج معه من الأنصار من المسلمين
سبعون رجلا مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
العقبة من أوسط أيام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما
فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو
جابر أخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا فكلمناه وقلنا يا أبا جابر إنك سيد من
ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ودعوناه إلى الإسلام
وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة وكان نقيبا فنمنا تلك الليلة مع
قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين
تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة
بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي أم منيع إحدى نساء بني سلمة فاجتمعنا
بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو
يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلسنا أول من تكلم العباس بن
عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب تسمي هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها
وأوسها إن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه
ومنعة في بلده وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما
دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم به من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه
وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت
فتكلم يا رسول الله صلى الله عليك وسلم وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل ورغب في الإسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني
مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك
بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة ورثناها
كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان

فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك
ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم
والهدم الهدم انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم فاخرجوا
اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا
لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل
تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم
مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله خزي في الدنيا والاخرة وان كنتم ترون انكم
وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة
قالوا فانا ناخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة
قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه واول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما
بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت ما سمعته قط
يا اهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا عدو الله هذا ازب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذي بعثك
بالحق نبيا ان شئت لنميلن على اهل منى غدا باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نومر بذلك
ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا
في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه
على حربنا وانه والله ما حي من العرب ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث
من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا
ينظر الى بعض وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدان قال
فقلت له كلمة كاني اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوا يا ابا جابر اما تستطيع ان تتخذ وانت
سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ورمى بهما
الي وقال والله لتنتعلنهما فقال ابو جابر مه والله لقد احفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال ثم انصرف
الانصار الى المدينة وقد شدوا العقد وقد اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل
لكم اخوانا ودارا تامنون فيها فامرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من
هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم
تتابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة فجمع الله عز وجل اهل المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات بينهم بنبيه
عليه الصلاة والسلام وانزل الله عز وجل واذكروا يعني يا معشر الانصار نعمة الله عليكم بالاسلام
اذ كنتم اعداء قبل الاسلام فالف بين قلوبكم يعني بالاسلام وبنبيه عليه الصلاة والسلام
فاصبحتم بنعمته اخوانا يعني فصرتم برحمته وبدينه الاسلام اخوانا في الدين والولاية بعد
العداوة وكنتم يا معشر الاوس والخزرج على شفا حفرة من النار يعني على طرف حفرة مثل
شفا البير ليس بينكم وبين الوقوع في النار الا ان تموتوا على كفركم فانقذكم منها اي خلصكم
بالايمان من الوقوع في النار كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون قوله تعالى ولتكن منكم
امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اللام في قوله ولتكن لام الامر

اي لتكن

اي لتكن منكم امة دعاة الى الخير منكم وقيل ان كلمة من في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عز
وجل اوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده
او بلسانه او بقلبه م عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم
منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فعلى هذا
يكون معنى الاية كونوا امة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن قال بهذا القول يقول
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من للتبعيض
وذلك لان في الامة من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز او ضعف فحسن ادخال لفظة من في قوله
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وقيل ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة الامر
فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر خ عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم
اعلاها وبعضهم اسفلها وكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا
في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا جميعا
والخير المذكور في الاية هو كل شيء يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى
ولتكن امة اي جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل مستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة الى فعل الخير
يندرج تحتها نوعان احدهما الترغيب فيما ينبغي وهو الامر بالمعروف والثاني الترغيب عما لا ينبغي
وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس اولا وهو الخير ثم اتبعه بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل
يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه قوله تعالى واولئك
هم المفلحون تقدم تفسيره قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا يعني ولا تكونوا
يا معشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في قول اكثر المفسرين واختلفوا
اي في دين الله وامره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا في دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع في
هذه الاية هم اهل الكتاب نهى الله اهل الاسلام ان يتفرقوا وان يختلفوا كما تفرق واختلف اهل
الكتاب وقال ابن عباس امر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم انما اهلك
من كان قبلهم الاختلاف والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة وقال ابو امامة
هم الحرورية قال عبد الله بن شقيق وقف ابو امامة وانا معه على رؤوس الحرورية على درج جامع
دمشق وقد رفعت عيناه ثم قال كلاب اهل النار كانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم ثم قرأ يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه فقيل تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء قلت فما شانك دمعت عيناك قال رحمة
لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم اخرجوا منه وقال ابو امامة كثيرا وفي رواية ثم
قرأ بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله اكفرتم بعد ايمانكم
رواه الترمذي عن ابي غالب قال رأى ابو امامة رؤوسا منصوبة على درج مسجد دمشق فقال ابو امامة
كلاب النار شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه الى آخر الاية قلت لابي امامة انت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم
اسمعه الا مرة او مرتين او ثلاث مرات او اربع حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال فيه هذا حديث حسن
وقوله تعالى من بعد ما جاءهم البينات يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها وانما قال
جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التانيث من الفعل في التقديم لتشبيهها بعلامة
التثنية والجمع واولئك لهم عذاب عظيم في الاخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن
التفرق والخلاف عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا
فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه اخرجه ابو داود واراد بربقة الاسلام واصله ان الربقة حبل

فيه عزة على من يشتريها الفهم الواحد أنه من العرب رقبة وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فإن الشيطان مع الفذ
وهو من الاثنين أبعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ الواحد قوله عز وجل **يوم تبيض وجوه وتسود**
وجوه يعني اذكروا يوم تبيض فيه وجوه المؤمنين وتسود فيه وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل
السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقيل تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وجوه
وسوادها قولان أحدهما أن البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والخوف وهذا
مجاز مستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ولمن نال مكروها
اسود وجهه واربد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا
يعني من الحزن فعلى هذا بياض الوجوه إشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك أن المؤمن إذا ورد
القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فإذا كان كذلك ابيض وجهه
ببياض اللون وأشرقت واستنارت وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله
وأما الكافر والظالم إذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيئاته حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فإذا
كان كذلك اسود وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل
جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني أن بياض الوجوه وسوادها
حقيقة يحصل في الوجوه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لأن لفظ البياض
والسواد حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه وسوادها أن أهل الموقف إذا رأوا بياض وجه المؤمن
عرفوا أنه من أهل السعادة وإذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا أنه من أهل الشقاوة قوله **فأما الذين**
اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أي فيقال
لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم فإن قلت كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم ولم يكونوا مؤمنين
فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم قلت اختلف العلماء في ذلك فروي عن أبي بن كعب
أنه قال أراد به الإيمان يوم أخذ الميثاق حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فآمن الكل فكل من كفر في
الدنيا فقد كفر بعد الإيمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك أنهم تكلموا بالإيمان بألسنتهم وأنكروه بقلوبهم
وقال عكرمة هم أهل الكتاب وذلك أنهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث أنكروه
وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا زمن أبي بكر وهم أهل الردة وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني
فأقول أي رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصحابي أصحابي
فيقال لي ما تدري ما أحدثوا بعدك زاد في رواية فأقول سحقا لمن بدل بعدي وعن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيحلئون عن الحوض فأقول
أي رب أصحابي فيقول إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى وقيل هم
الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب فقاتلهم وهم الحرورية م عن زيد بن وهب أنه كان في الجيش
الذين كانوا مع علي الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم
بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم
تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية وفي رواية ابن سويد بن غفلة عن علي
يقرؤون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما
لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا عند الله يوم القيامة وعن يسير بن عمرو قال قلت

لسهل بن حنيف

لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئا قال سمعته يقول وأهوى
بيده إلى العراق يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من
الرمية وقيل هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرتم
بعد إيمانكم بخروجكم من الجماعة ومفارقتكم في الاعتقاد م عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي
٢ مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال الحارث الأعور سمعت علي بن أبي طالب يقول على
المنبر إن الرجل ليخرج من أهله فما يؤوب حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه الآية
ثم نادى هم الذين كفروا بعد الإيمان ورب الكعبة وقوله تعالى **وأما الذين ابيضت وجوههم** يعني
المؤمنين المطيعين لله عز وجل **ففي رحمة الله** يعني ففي جنة الله وإنما سميت الجنة رحمة لأنها
دار رحمته وفيه إشارة إلى أن العبد وإن عمل بالطاعات لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى **هم فيها خالدون**
قيل إنما كرر كلمة في لأن في كل واحدة منهما معنى غير الأخرى المعنى أنهم في رحمة الله وأنهم في الرحمة خالدون
تلك آيات الله يعني القرآن وقيل هذه الآيات التي تقدمت **نتلوها عليك بالحق** أي بالمعنى الحق
لأن المتلو حق **وما الله يريد ظلما للعالمين** يعني لا يعاقب أحدا بغير جرم واستحقاق العقوبة وما هذا الجرم
وإنما ذكر الظلم هنا لأنه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله وأما الذين اسودت وجوههم إلى قوله فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون أخبر أن ذلك وقع بهم بسبب أفعالهم المنكرة وأنه لا يظلم أحدا من خلقه **ولله**
ما في السموات وما في الأرض لما ذكر الله أنه لا يريد ظلما للعالمين لأنه لا حاجة به إلى الظلم وذلك
أن الظالم إنما يظلم غيره ليزداد مالا أو عزا أو سلطانا أو ينتقم ممن يظلمه بما يظلم غيره ولما كان الله
عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال أخبر أن له ما في السموات وما في الأرض وأن جميع ما فيهما
ملكه وأهلها عبيده وإذا كان كذلك استحال في حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحدا من خلقه لأنهم
عبيده وفي قبضته ثم قال **وإلى الله ترجع الأمور** يعني وإليه مصير جميع الخلائق المؤمن والكافر
والطائع والعاصي فيجازي الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم أحدا منهم قوله عز وجل **كنتم خير**
أمة سبب نزول هذه الآية أن مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود
وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا
إليه فأنزل الله هذه الآية واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم
ووجدتم وخلقتم خير أمة وقيل كان هنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض ولا تدل
على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا التفسير يكون المعنى كنتم خير أمة
وقيل كنتم مذكورين في الأمم الماضية بأنكم خير أمة وقيل معناه كنتم مذ أنتم خير أمة قوله
خير أمة تابع لقوله فأما الذين ابيضت وجوههم والتقدير أنه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في
دنياكم خير أمة فلهذا استحققتم ما أنتم فيه من بياض الوجوه من النعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى
أنتم وقيل يحتمل أن يكون كان بمعنى صار ومعنى قوله كنتم أي صرتم خير أمة فأما المخاطبون بهذا فهم
فيه خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم خير أمة هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله تعالى لقال أنتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم كانوا خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أنه كانوا هم الرواة
الدعاة الذين أمر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم خ م عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر
بعد قرنه مرتين أو ثلاثا ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون ويحلفون

ولا يستطيعون. (ق) عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني
أصحابي والقرن أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه الزمان الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم
وأحوالهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة (ق) وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه
النصيف النصف وقال ابن عباس في رواية عنه في قوله كنتم خير أمة هي أمة محمد صلى الله عليه
وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير أمة الخطاب فيه مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه
عام في كل الأمة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فإن هذا الخطاب
مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في حق الكل ومما يدل على هذا عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده
أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم
تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وأصل الأمة
الجماعة المجتمعة على الشيء وأمة محمد صلى الله عليه وسلم الجماعة الموصوفون بالإيمان بالله
عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أمتي
يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى
وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يجمع أمتي أو قال أمة محمد صلى الله عليه
وسلم على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار أخرجه الترمذي وعن أبي موسى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا
الفتن والزلازل والقتل أخرجه أبو داود وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتي
كمثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره أخرجه الترمذي وله عن أبي بريدة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر
الأمم وله عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة
عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول
قال الترمذي سألت محمد البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال خالد بن أبي بكر منا كثير عن
سالم بن عبد الله زاد غيره في الحديث وهي شكاة الناس فيما بين الأبواب عن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أمتي من يشفع في الفئام من الناس ومنهم من يشفع
في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد أخرجه الترمذي (ق) عن سهل بن
سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة
ألف متماسكين آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ووجوههم على
صورة القمر ليلة البدر عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني
ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي أخرجه الترمذي وروى البغوي
بإسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة حرمت على
الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي وقوله تعالى (أخرجت للناس)
معناه خير الأمم المخرجة للناس في جميع الأعصار ومعنى أخرجت أظهرت للناس حتى تميزت
وعرفت وقيل معناه كنتم للناس خير أمة أخرجت (خ) عن أبي هريرة كنتم خير أمة أخرجت للناس
قال خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلون في الإسلام وقيل
أخرجت صلة والتقدير كنتم خير أمة للناس وقيل معناه ما أخرج للناس أمة خير من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) هذا كلام مستأنف والمقصود

منه بيان

منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم
والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى يأمرون الناس بقول لا إله إلا الله وينهونهم عن الشرك
(وتؤمنون بالله) أي تصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادات فإن قلت لم قدم الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في الذكر مع أن الإيمان يلزم أن يكون مقدما على كل
الطاعات والعبادات قلت لأن الإيمان بالله أمر مشترك فيه جميع الأمم المؤمنة وإنما فضلت هذه
الأمة على سائر الأمم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الأمم وإذا كان كذلك كان المؤثر في هذا
الحكم لأنه ما لم يوجد فيه الإيمان لم يصح شيء من الطاعات فثبت أن الموجب لهذه الخيرية لهذه
الأمة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر على ذكر الإيمان وقوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب)
يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به (لكان خيرا لهم) يعني مما هم
عليه من اليهودية والنصرانية وإنما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو أنهم آمنوا
لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة ودخول الجنة (منهم) يعني من أهل الكتاب
(المؤمنون) يعني عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا من
النصارى (وأكثرهم الفاسقون) أي المتمردون في الكفر وقيل إن الكافر قد يكون عدلا في دينه
وهؤلاء مع كفرهم فاسقون قوله عز وجل (لن يضروكم إلا أذى) سبب نزولها أن رؤساء اليهود
عمدوا إلى من آمن منهم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم لإسلامهم فأنزل الله لن يضروكم إلا أذى
يعني لن يضركم أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إلا أذى يعني باللسان من طعن في دينكم أو تهديد أو افتراء
بشبهة وتشكيك في القلوب فكل ذلك يوجب الأذى والغم (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار) يعني
منهزمين مخذولين (ثم لا ينصرون) يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن
أسلم من أهل الكتاب لأنهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فأعلمهم الله تعالى أنهم
لا يقدرون أن يجاوزوا الأذى بالقول إلى غيره من الضرر ثم وعدهم الغلبة والانتقام منهم وأن عاقبتهم
الخذلان والذل وفيه إخبار بالغيب (ضربت عليهم الذلة) يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء
فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة أموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لأنها ذلة
وصغار وقيل إن الذلة أنك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد (أينما
ثقفوا) أي حيثما وجدوا وصودفوا (إلا بحبل من الله) يعني إلا بعهد من الله وهو أن يسلموا فتزول عنهم الذلة
(وحبل من الناس) يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم
بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم إلا هذه الواحدة وهي
التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وإنما سمي العهد حبلا لأنه سبب يوصل إلى الأمن وزوال الخوف
(وباءوا بغضب من الله) يعني رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل أصله من البواء وهو المكان والمعنى أنهم
مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه (وضربت عليهم المسكنة) يعني كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون
في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية لأن الله تعالى أخرج المسكنة وذلك
يدل على أنها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل على أن المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة
هو أن اليهودي يظهر من نفسه الفقر وإن كان غنيا موسرا (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة
والبواء بالغضب (بأنهم) أي بسبب أنهم (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك
ربع بما عصوا وكانوا يعتدون) أي ذلك نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل واعتدائهم لحدوده ثم نزل
فيهم ما نزل قوله عز وجل (ليسوا سواء) قال ابن عباس لما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه قالت أحبار
اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم إلا أشرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فأنزل الله تعالى هذه
الآية وفي قوله ليسوا سواء قولان أحدهما أنه كلام تام يوقف عليه والمعنى أن أهل الكتاب الذين

يسمون كرهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ليسوا سواء. وقيل معناه لا يستوي اليهود وامة محمد صلى الله
عليه وسلم القايمة بامر الله الثابتة على الحق والقول الثاني ان قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف
عليه وقوله من اهل الكتاب امة قايمة فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سواء من اهل الكتاب امة
قايمة ومنهم امة مذمومة غير قايمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفاء بذكر احد الفريقين وهذا على
مذهب العرب ان ذكر احد الضدين يغني عن ذكر الاخر قال ابو ذويب

دعاني اليها القلب اني لامره … مطيع فلا ادري ارشد طلابها

اراد ام غير رشد فاكتفى بذكر احد الرشدين عن الاخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضمار الامة المذمومة
لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق فاعلم الله ان منهم
امة قايمة فلا حاجة بنا الى ان نقول وامة غير قايمة وانما ابتدا بذكر فعل الاكثر منهم وهم الكفرة والناقضة
ثم ذكر من كان مباينا لهم في فعلهم فقال ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قايمة قال ابن عباس قايمة اي
مهتدية قايمة على امر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قايمة اي عادلة وقيل قايمة على كتاب الله عز
وجل وحدوده وقيل قايمة في الصلاة يتلون ايات الله اي يقرؤون كتاب الله عز وجل اناء الليل يعني
ساعاته وهم يسجدون يعني يصلون وعبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون في السجود وقيل
هي صلاة التهجد بالليل وقيل هي صلاة العشاء لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود الخضوع
والخشوع لان العرب تسمي الخشوع سجودا وقال عطاء في قوله ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قايمة
يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى
عليه السلام وصدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم وامنوا به وكان من الانصار منهم اسعد بن زرارة
والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة
ويقومون بما عرفوا من شرايع الحنيفية حتى جاءهم الله بالنبي صلى الله عليه وسلم فامنوا به وصدقوه
ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت اليهود يؤمنون بالله واليوم الاخر وذلك لان ايمان اهل الكتاب
فيه شرك ويصفون اليوم الاخر بغير ما يصفه المومنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع
انبيايه ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الاخر يستلزم الحذر
من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الاخر ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر يعني غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يامرون
بالمعروف يعني بتوحيد الله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويسارعون في الخيرات اي يبادرون
اليها خوف الفوت وذلك ان من رغب في امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات
غير متثاقلين ولا كسالى واولايك اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به من الصالحين اي من جملة الصالحين
الذين صلحت احوالهم عند الله عز وجل ورضي عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد
الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له اعلى الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل ان فسر الصالحين
بالجامعين المسلمين والمعنى اولايك الذين نعتهم ووصفهم من جملة المسلمين قوله عز وجل وما تفعلوا
من خير فلن تكفروه قرى بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مومني اهل الكتاب وذلك ان
اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فاخبر الله
انهم فازوا بالدرجات العلى وما فعلوه من خير فلن يحرموا ثوابه ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم
فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرى بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب لجميع المومنين ويدخل فيه
مومني اهل الكتاب ايضا ومعنى الاية وما تفعلوا من خير ايها المومنون فلن تكفروه اي فلن تجحدوا ثوابه
ولن تحرموه او تنقصوه بل يشكره لكم ويجازيكم به والله عليم بالمتقين فيه بشارة للمتقين بجزيل
الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل الايمان والتقوى قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغني عنهم

عليهم

اموالهم

اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك ان رؤساء اليهود
مالوا الى تحصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل
الرياسة والاموال فقال عز وجل لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان ابا
جهل كان كثير الافتخار بالاموال وانفق ابو سفيان مالا كثيرا في يومي بدر واحد على المشركين وقيل ان الاية
عامة في جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الاية ان
الذين كفروا لن تغني اي تدفع عنهم اموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب الله ولا اولادهم بالنصر
وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة
بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شيء من ذلك في الاخرة ولا خلاص له من عذاب الله وهو قوله
واولايك اصحاب النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله عز وجل مثل ما ينفقون
في هذه الحياة الدنيا اراد ما انفقه ابو سفيان واصحابه يوم بدر واحد في معاداة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل اراد نفقة اليهود على علمايهم ورؤسايهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم
في الدنيا وقيل اراد نفقة المرايي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله وذلك لان انفاقهم المال
اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع الاخرة فمن ينفقه ويجعل اعمال البر فان كان كافرا فان الكفر
محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انفق في الدنيا لاجل الاخرة وكذلك المرايي الذي لا يريد بما
انفق وجه الله فانه لا ينتفع بنفقته في الاخرة ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى كمثل
ريح فيها صر فيه وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر البرد الشديد وهو
قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد والوجه الثاني ان الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهو
رواية عن ابن عباس رواه ابن الانباري من اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود
منه حاصل لانه سواء كان فيه برد مهلك او حر مهلك ايضا اصابت يعني الريح التي فيها
صر حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله منه فاهلكته
يعني فاهلكت الريح الزرع ومعنى الاية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته
ريح باردة فاهلكته او نار فاحرقته لم ينتفع به اصحابه فان قلت الغرض في تشبيه ما انفقوا ابطال
ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من
التشبيه المركب وهو ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وان لم تحصل المشابهة
بين اجزاء الجملتين مثل هذا النوع من التشبيه ما حصلت المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين
اجزاء كل واحدة منهما فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم فيه وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكافر
في هلاك ما ينفق كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثاني مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث
والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية ولا يبقى منه شيء وقوله وما
ظلمهم الله يعني بان لم يقبل نفقاتهم ولكن انفسهم يظلمون يعني انهم عصوا الله فاستحقوا عقابه
فابطل نفقاتهم واهلك حرثهم وقيل ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة الاية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود
لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله عز وجل هذه الاية ونهاهم عن مباطنتهم
خوف الفتنة عليهم وقيل على صحة هذا القول الايات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الاية كذلك
وقيل كان قوم من المومنين يصادقون المنافقين ويفشون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال الخفية
فنهاهم الله عن ذلك ويقوي هذا القول ان الله ذكرهم في سياق هذه الاية قوله واذا لقوكم قالوا امنا
واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لا صفة اليهود وقيل المراد بهذه الاية
جميع اصناف الكفار ويدل على هذا القول ان معنى الاية ان الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم

فمنع المومنين ان يتخذوا بطانة من دون المومنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل
المطلع على سره واشتقاقه من بطانة الثوب لانه يلي بطنه قولهم فلان اذا اختصصته ويقال فلان شعاري ودثاري بطانة
والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذي يخصه الانسان بمزيد التقرب يسمى بطانة لانه
لمستكن امره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره من دونكم قيل من غير اهل ملتكم والتقدير لا تتخذوا
بطانة من دونكم وقيل من للتبيين اي لا تتخذوا بطانة من دون اهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن
مباطنتهم فقال تعالى لا يالونكم خبالا يعني لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد
وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد الذي يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل ودوا ما عنتم اي
يودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة قد بدت البغضاء من
افواههم اي ظهرت العداوة من افواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع المشركين
على اسرار المومنين وما تخفي صدورهم يعني من العداوة والغيظ اكبر اي اعظم مما يظهرونه قد
بينا لكم الايات يعني الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المومنين ومعاداة الكافرين ان كنتم
تعقلون يعني ما بين لكم فتعملون به قوله تعالى ها انتم ها للتنبيه وانتم كناية للمخاطبين من الذكور
اولاء اسم للمشار اليهم في قوله تحبونهم والمعنى انتم ايها المومنون تحبون هولاء اليهود الذين
نهيتكم عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف ولا
يحبونكم يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل تحبونهم يعني تريدون لهم الاسلام
وهو خير الاشياء ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشياء لان فيه هلاككم ابدا وقيل هم
المنافقون تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لا تعلمون ما في قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت
في قلوبهم وقيل تحبونهم بان تفشوا اليهم اسراركم ولا يحبونكم اي لا يفعلون ذلك معكم وتومنون
بالكتاب كله يعني وهم لا يومنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به
الى الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس والمعنى انكم تومنون بالكتب كلها وهم لا يومنون بشيء
من كتابكم واذا لقوكم قالوا امنا يعني ان الذين وصفهم في هذه الاية بهذه الصفات اذا لقوا المومنين
قالوا امنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة المنافقين وقيل هم اليهود واذا خلوا خلى
اي خلا بعضهم الى بعض عضوا عليكم الانامل من الغيظ الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع
والمعنى اذا خلا بعضهم ببعض اظهروا شدة العداوة وشدة الغيظ على المومنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع
كلمتهم وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال وان لم يكن
هناك عض من الغيظ والغضب قل موتوا بغيظكم هو دعاء عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا
به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابقوا
الى الممات بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور يعني بما تخفيه الصدور من القلب والدواعي
والصوارف الموجودة فيه وهي لكونها حالة في القلب منتسبة اليه كنى عنها بذات الصدور
والمعنى انه تعالى عالم بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض
الانامل غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو اخفى منهم وهو ما يسرونه في قلوبهم قوله عز وجل
ان تمسسكم اي تصبكم ايها المومنون واصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل الى الشيء ماسا له
على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب اي اصابه حسنة المراد بالحسنة هنا منافع
الدنيا مثل الظهور على عدو واصابة غنيمة منهم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في معايشكم
تسوهم اي تحزنهم وتغمهم والسوء ضد الحسن وان تصبكم سيئة اي مساءة من اخفاق
سرية لكم او اصابة عدو منكم او اختلاف يقع بينكم او جدب ونكبة ومكروه يصيبكم يفرحوا
بها اي بما اصابكم من ذلك المكروه وان تصبروا يعني على اذاهم وقيل ان تصبروا على طاعة الله

وما بينا لكم

وما بينا لكم فيما من شرهم وتتقوا اي تتقوا موالاتهم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه لا يضركم اي لا
ينقصكم كيدهم اي عداوتهم ومكرهم شيئا اي لانكم في عناية الله وحفظه ان الله بما يعملون محيط قرئ
بالياء على الغيبة والمعنى انه عالم بما يعملون من عداوتكم واذاكم فيعاقبهم عليه وقرئ بالتاء على
خطاب الحاضر والمعنى انه عالم بما تعملون ايها المومنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه محيط اي عالم
بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شيء. قوله عز وجل واذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين
مقاعد للقتال قال جمهور المفسرين ان هذا كان في يوم احد وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود
وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع وابن اسحاق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب
ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر وقال ابن جرير الطبري الاول اولى لقوله تعالى اذ همت طايفتان منكم ان
تفشلا وقد اتفق العلماء على ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم من منزل عايشة فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح قال
محمد بن اسحاق والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره
فقال عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا الى عدو
قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا
بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا
رجعوا خايبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الراي وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج
بنا الى هذه الاكلب لئلا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا وخفناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني قد رايت في منامي بقرا فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولتها هزيمة ورايت اني ادخلت
يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا
بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا
عليه المدينة فيقاتلهم في الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة
يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صمم للقاء القوم حتى
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما راوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بيس
ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا
يا رسول الله ما شيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى
يقاتل وكان قد قام المشركون باحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه ثم خرج عليهم
فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله في جانب
الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى
لا ياتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوا
الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم
راي عبد الله بن ابي بن سلول شق عليه ذلك وقال اطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه انما
يظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم اعداءهم فانهزموا
انتم فيتبعونكم فيصير الامر الى خلاف ما قاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان وكان عسكر
المسلمين الفا وكان المشركون ثلاثة الاف فانخزل عبد الله بن ابي بن سلول بثلاثماية من اصحابه
فقواهم الله وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما راى المومنون انهزام المشركين طمعوا في ان
تكون هذه الوقعة كوقعة بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد

الله ان يقطعهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا
ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله نزع الرعب من قلوب المشركين
فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من
اصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشج وجهه يومئذ وكان من غزوة احد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من اهلك واذكر اذ غدوت
من اهلك يعني من منزل عائشة وفيه منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقوله من اهلك فسماها
الله تعالى انها من اهله تبوئ المؤمنين اي تنزل المؤمنين مقاعد للقتال اي مواضع ومواطن للقتال
وقيل تتخذ معسكرا للقتال والله سميع يعني لاقوالكم عليم يعني بنياتكم وما في ضمائركم قوله
عز وجل اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا اي تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة
من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج الى احد في الف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة الاف رجل فلما بلغوا
الشوط انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس ورجع في ثلاثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا
فتبعهم ابو جابر السلمي وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله بن ابي لو نعلم قتالا
لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابي فعصمهم الله فثبتوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم
الله عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما اي ناصرهما وحافظهما
ومتولي امرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشيء والاية تدل على ان
الطائفتين قد عزما على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهم الله تعالى بقوله والله وليهما
قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث النفس واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث
النفس في هذه الاية اولى والله تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم اضمروا ان
يرجعوا فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله بقوله
والله وليهما عن جابر قال نزلت فينا اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وفيه الاستبشار
بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزال الله فيهم اية ناطقة صحيحة بان الله وليهم وان تلك الهمة
التي هموا بها ما اخرجتهم عن ولاية الله تعالى وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون التوكل
التفعل من وكل امره الى غيره اذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز
والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فامر عباده المؤمنين
ان يتوكلوا الا عليه وان لا يفوضوا امورهم الا اليه قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر بدر
اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وقيل البئر لرجل يقال له بدر
فسميت به ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر وانتم اذلة جمع ذليل وهو جمع
قلة واراد به قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وفي رواية ثلاثة عشر رجلا
والمراد انهم ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب وقلة المال وعدم القدرة على مقاومة العدو
وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة
ولم يكن معهم الا فرس وكان عدوهم من كفار قريش في حال الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة
فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم
فاتقوا الله يعني في الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تشكرون يعني بتقواكم
ما انعم به عليكم من نصرته قوله عز وجل اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة
الاف من الملائكة منزلين اختلف المفسرون في ان هذا الوعد بانزال الملائكة هل حصل يوم بدر

او يوم

او يوم احد على قولين احدهما انه كان يوم بدر قال قتادة كان هذا يوم بدر امدهم الله بالف من الملائكة
كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة الاف
ثم صاروا خمسة الاف كما ذكر هاهنا بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملائكة فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة الاف كما وعد قال
ابن عباس لم تقاتل الملائكة في معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون
انما كانوا عددا او مددا قال الحسن هؤلاء الخمسة الاف ردء للمؤمنين الى يوم القيامة وقال الشعبي
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين
فشق ذلك عليهم فانزل الله الن يكفيكم الى قوله مسومين فبلغ كرز الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم
يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة الاف وكانوا قد امدوا بالف من الملائكة وفي صحيح البخاري من حديث
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب
واحتج لصحة هذا القول ايضا بان الله تعالى قال قبل هذه الاية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وظاهر هذا
يقتضي ان الله نصرهم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة
الاف وان المدد والنصر كان فيه يوم بدر فلهذا كان الاحتياج الى الامداد اكثر القول الثاني ان هذا الوعد
بانزال الملائكة كان يوم احد وهو قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن اسحاق لما كان يوم احد انجلى
القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي وفتى شاب يتنبل له كلما فني النبل
اتاه به فنثره وقال ارم ابا اسحاق ارم ابا اسحاق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم
يعرف وعن سعد بن ابي وقاص قال رايت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد
رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه اشد القتال ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل واحتج
لصحة هذا القول بان المدد كان يوم بدر بالف من الملائكة كما نص عليه في سورة الانفال ولم يكن
بثلاثة الاف ولا بخمسة الاف كما هاهنا وايضا ان الكفار كانوا يوم بدر الفا او ما يقرب منها وكان المسلمون
على الثلث من الكفار لانهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فانزل الله يوم بدر الفا من الملائكة
في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم
احد الفا وعدد الكفار ثلاثة الاف فناسب ان يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة الاف من الملائكة
ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر واجيب عن الاحتجاج الاول ان القول بان الله
تعالى لما امدهم يوم بدر بالف كما ذكر في سورة الانفال ثم لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بامداد كرز الكفار فزاد شق عليهم وعدوا بان يمدوا بثلاثة الاف وخمسة الاف
لتقوى قلوبهم بذلك واجيب عن الثاني وهو ان الكفار كانوا يوم بدر الفا فانزل الله الفا وفي
يوم احد كانوا ثلاثة الاف بان هذا اتفق بحسن ولله ان يزيد ما شاء في اي وقت شاء. ولهذا قال
عكرمة في قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا
ولم يتقوا يوم احد فلم يمدوا ولو مدوا لم يهزموا يومئذ وقيل انهم لم يصبروا ولم يتقوا الا في
يوم الاحزاب فامدهم الله لما حاصروا قريظة وعن عائشة قالت لما رجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح
والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى اين قال هاهنا واشار الى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم اليهم خ عن انس قال كاني انظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وقال ابن ابي اوفى كنا محاصري قريظة والنضير ما شاء الله
فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل راسه اذ جاءه جبريل عليه
السلام فقال وضعتم اسلحتكم ولم تضع الملائكة اوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بجرفه فلعب بحار اسه ولم يفصله ثم نادى فينا فعفا حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله
بثلاثة آلاف من الملائكة فيعتم لنا نفعا يسيرا قال ابن جرير الطبري واولى الاقوال بالصواب ان الله تعالى
اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة
فوعدهم بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بخمسة آلاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا ولا
دلالة في الآية على انهم امدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا بهم وقد يجوز ان الله امدهم وقد يجوز ان لا
يكون امدهم ولا يثبت ذلك الا بنص تقوم به الحجة وقد ثبت بنص القرآن انهم امدوا يوم بدر بالف من
الملائكة في سورة الانفال واما يوم احد فالدلالة على انهم لم يمدوا واجيز منهما بانهم امدوا وذلك
انهم لو امدوا لم ينهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم فان قلت فما تصنع بحديث سعد بن ابي وقاص
المتقدم في يوم احد انه راى ملكين عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله قلت انما كان ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم ينهزم كما انهزم اصحابه يوم احد واما التفسير في
قوله تعالى اذ تقول للمومنين فعلى قول من قال ان هذا كان يوم بدر قال نظم الآية ان المصنف ذكر قصة
احد ثم ابتدا بقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فبذلك هو فاذكروا ان ينصركم في سائر المواطن
ثم رجع الى قصة احد فقال تعالى اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام
بالامر مع بلوغ المراد اي الن يكفيكم ربكم والامداد اعانة الجيش بالجيش وما كان المد فهو في الشر والامداد في
الخير بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انما وعدهم بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله
ويقدموا على القتال ثم قال بلى وعد الله اي بلى نمدكم وقيل بلى ايجاب لما بعد الن يعني يكفيكم الامداد
بهم فاوجب الكفاية ان تصبروا اي على لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه
وسلم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قول ابن عباس من وجههم هذا الامر يوجد فيه ثم يوم ... خرقهن
قال معنى من فورهم من وجههم اراد ابتداء مخرجهم يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم اراد ابتداء
غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف
من الملائكة في بدر بخمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل اراد معهم فقال الزهري الامداد كان يوم بدر
قال ان الله تعالى امدهم بالف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين شق على المسلمين
ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الآية على تقدير ان يجيء المشركين
المدد فلما لم يمدوا الى بدر اتم الله للمسلمين بغير المدد وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن
علي بن ابي طالب قال بينما انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها ثم جاءت ريح شديدة
لم ار اشد منها الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي قبلها فكانت الريح الاولى
جبريل نزل في الف من الملائكة وكان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل
نزل في الف من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل
في الف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره فلما هزم الله اعداءه وحملني
الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال ان الله تعالى ذكر الالف في سورة الانفال وذكر هنا ثلاثة آلاف
وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وان حملناه على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية آلاف
لا غير فيما ذكر الالف المعدودة مسومين قرئ بفتح الواو وكسرها فمن فتح الواو اراد ان الله
سومهم ومعناه معلمين فقد سوموا خيلهم مسومون والمسومة التي لها العلامة وهذه العلامة
يعلمها الفارس يوم اللقاء ليعرف بها قال عنترة

فتعرفوني انني انا ذلكم ... شاك سلاحي في الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم علموا انفسهم بعلامات مخصوصة او علموا خيلهم
واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمائم صفر

وقال علي

وقال علي وابن عباس كان عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي
كانت عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعني الصوف
المصبوغ في نواصي خيلهم واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا
فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل
كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما
القتال قوله تعالى وما جعله الله يعني هذا الوعد والمدد الا بشرى لكم يعني بشارة لكم تنصرون
فتستبشرون به ولتطمئن اي ولتسكن قلوبكم به اي فلا تجزع من كثرة عدوكم وما النصر الا من
عند الله يعني لا تحيلوا النصر على الملائكة وكثرة العدد فان النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض
ان يكون اتكالكم على الله لا على الملائكة الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب
والاقبال على مسبب الاسباب العزيز الحكيم يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز هو كمال
القدرة والقوة والحكمة وهو كمال العلم فلا يخفى عليه مصالح عباده ليقطع طرفا من الذين كفروا
هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا اي ليهلك
طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم
وسادتهم سبعون واسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة احد قال قتل منهم ستة عشر وكان النصر
فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم او يكبتهم اهل الكبت في اللغة صرع
الشيء على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة او الاهلاك واللعن
والخزي فينقلبوا خائبين اي فيرجعوا خائبين لم ينالوا من شيء املوه من الظفر بكم قوله عز وجل ليس لك
من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم اختلف في تفسير نزول هذه الآية فقيل انها نزلت
في بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة
وهي بين مكة وعسفان من ارض هذيل وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر
من احد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل
فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلاة يدعو على جماعة
من تلك القبائل باللعن خ عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع
من الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا
لك الحمد فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون ق عن ابي هريرة قال لما رفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام
وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم
سنين كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا لاحياء من العرب حتى انزل الله ليس لك من الامر
شيء الآية سماهم في رواية يقول اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله
قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم
ظالمون وقيل انما نزلت يوم احد ثم اختلفوا في سببها فقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته وعن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كسرت رباعيته وشج في جبينه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا
نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله تعالى فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء وقيل اراد
النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستيصال فنزلت هذه الآية وذلك لعلمه ان اكثرهم
يسلمون وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة وراى ما صنعوا به من المثلة
فاراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الآية وقال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة فلا يبعد

حمل الآية في النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من أمر صلاح عبادي شيء إلا ما أوحي إليك فإن الله
تعالى هو المالك أمرهم فإما أن يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا أو يهلكهم ويعذبهم إن أصروا على الكفر
وقيل ليس مختلفة هذا الحكم والدعاء عليهم لأنه تعالى أعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل
معناه ليس لك من أمر خلقي شيء إلا ما أمرتك به إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم وقيل
إن قوله أو يتوب عليهم معطوفا على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الأمر شيء كلام معترض بين المعطوف
والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم
ظالمون ليس لك من الأمر شيء بل الأمر أمري في ذلك كله قال بعض العلماء والحكمة في منعه صلى الله عليه
وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم أن الله تعالى علم من حال بعض الكفار أنه سيسلم فيتوب عليهم ويولد
منهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلأجل هذا المعنى منعه الله من الدعاء عليهم لأن دعوته صلى الله عليه
وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعا إلا أن اقتضت حكمة الله وما سبق في علمه
إبقاءهم ليتوب على بعضهم ويستخرج من بعضهم ذرية صالحة مؤمنة ويهلك بعضهم بالقتل والموت
وهو قوله أو يعذبهم فيحتمل أن يكون المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل والأسر وفي الآخرة وهو
عذاب النار فإنهم ظالمون هو كالتعليل لعذابهم والمعنى إنما يعذبهم لأنهم ظالمون ثم قال
ولله ما في السماوات وما في الأرض هذا تأكيد لما قبله من قوله ليس لك من الأمر شيء والمعنى إنما
يكون لقوله ما في السماوات وما في الأرض وليس ذلك إلا لله تعالى وليس لأحد معه أمر يغفر لمن يشاء
بفضله ورحمته ويعذب من يشاء بعدله يحكم فيهم لما يشاء لا منازع له في حكمه ولا معارض له في
فعله والله غفور رحيم يعني أنه تعالى يستر ذنوب عباده ويغطيها بالعفو ويرحمهم بترك العقوبة
عنهم عاجلا وإنما يفعل ذلك على سبيل التفضل والإحسان إلى عباده لا على سبيل الوجوب عليه
لأنه تعالى لو أدخل جميع خلقه الجنة لكان ذلك برحمته ولو أدخل جميع خلقه النار لكان ذلك بعدله
لا كجانب المغفرة والرحمة فأتبعه قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا
مضاعفة أراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من حلول الربا من زيادة المال وتأخير الأجل
كان الرجل في الجاهلية إذا كان له على إنسان دين مؤجل إلى أجل ولم يكن للمدين ما يؤدي قال له صاحب الدين
زدني في المال حتى أزيدك في الأجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين أضعافا مضاعفة فنهى
الله عز وجل عن ذلك وحرم أكل الربا ومضاعفته واتقوا الله يعني في أكل الربا فلا تأكلوه لعلكم
تفلحون أي لكي تسعدوا وتبقوا أمره في الآخرة لأن الفلاح يتوقف على التقوى فلو أكلوا ولم يتقوا لم يحصل الفلاح
وفيه دليل على أن أكل الربا من الكبائر وليس بصغيرة لقوله تعالى واتقوا النار التي أعدت للكافرين
يعني واتقوا أيها المؤمنون أن تستحلوا شيئا مما حرم الله فإن من استحل شيئا مما حرمه الله فهو
كافر بالإجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين أن يستحلوا ما حرم الله
عليهم من الربا وغيره مما أوجب الله فيه النار قال بعضهم هذه الآية أخوف آية في القرآن حيث
أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي في هذه
الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لأنه قال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين
وأطيعوا الله يعني فيما أمركم به أو نهاكم عنه من أكل الربا وغيره والرسول أي وأطيعوا الرسول
أيضا فإن طاعته طاعة الله قال محمد بن إسحاق في هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم أحد لعلكم ترحمون أي لكي ترحموا ولا تعذبوا إذا أطعتم الله ورسوله فإن طاعة
الله مع معصية رسوله ليست بطاعة قوله عز وجل وسارعوا إلى مغفرة من ربكم يعني بادروا
وسابقوا إلى ما يوجب المغفرة من ربكم وهو الأعمال الصالحة المأمور بفعلها قال ابن عباس إلى
الإسلام ووجهه أن الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منها المغفرة العظيمة وذلك

لا يحصل

لا يحصل إلا بسبب الإسلام لأنه يجب ما قبله وعن ابن عباس أيضا إلى التوبة لأن التوبة من الذنوب توجب
المغفرة وقال علي بن أبي طالب إلى أداء الفرائض لأن اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال إلى جميع الطاعات
وترك الحرام وقيل إلى الإخلاص في الأعمال لأن المقصود من جميع العبادات هو الإخلاص وقيل إلى الهجرة
وقيل إلى الجهاد وجنة أي وسارعوا إلى جنة وإنما فصل بين المغفرة والجنة لأن المغفرة هي إزالة العقاب
والجنة هي حصول الثواب وفيه إشعار بأنه لا بد من المسارعة إلى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك
بترك المنهيات والمسارعة إلى الأعمال الصالحة المؤدية إلى الجنة عرضها أي عرض الجنة السماوات والأرض
يعني كعرض السماوات والأرض لأن طبق السماوات والأرض لبيان عرض الجنة والمراد سعتها وإنما
خص العرض للمبالغة لأن الطول في العادة يكون أكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها
والمراد وصف الجنة بالسعة والبسط فشبهت بأوسع شيء علمه الناس وذلك أنه لو جعلت السماوات
والأرض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة فأما
طولها فلا يعلمه إلا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة
عظيمة قال الشاعر: كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل
والأصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وروي أن
هرقل قال أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض فأين
النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار قيل معناه والله أعلم
أن ذلك أنه إذا دار الفلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو
والنار في جهة السفل وروى طارق بن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب وعنده أصحابه فقالوا
أرأيتم قولكم وجنة عرضها السماوات والأرض فأين تكون النار فقال أرأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار وإذا فقال
جاء النهار أين يكون الليل فقالوا لقد مثلها في التوراة ومعناه حيث شاء الله تعالى فإن قلت قال الله
تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذي وعد به الجنة ومذهب أهل السنة أنها في السماوات
وإذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون عرضها السماوات والأرض قلت المراد من قولنا إنها في
السماوات أنها فوق السماوات وتحت العرش كما سئل أنس بن مالك عن الجنة أفي السماء هي أم في
الأرض فقال وأي أرض وسماء تسع الجنة فقيل له فأين هي قال فوق السماوات تحت العرش وقد
وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم العرش بسقف الجنة وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا
يرون أن الجنة فوق السماوات السبع وأن جهنم تحت الأرضين السبع وقيل إن باب الجنة في السماء و
عرضها كعرض السماوات والأرض أعدت للمتقين أي هيئت للمتقين وفيه دليل على أن الجنة
والنار مخلوقتان الآن قوله عز وجل الذين ينفقون في السراء والضراء يعني في العسر واليسر لا يتركون
الإنفاق في كلتي الحالتين في الفقر والغنى والرخاء والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة وبلاء
وسواء كان الواحد منهم في عرس أو في حبس فإنهم لا يدعون الإحسان إلى الناس وإنما ذكر الله من أخلاقهم
الموجبة للجنة السخاء لأنه أشق على النفس وكانت الحاجة إلى الإنفاق في ذلك الوقت أعظم الأحوال
للحاجة إليه في مجاهدة الأعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد
من الناس بعيد من الجنة قريب إلى النار ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل أخرجه الترمذي وعن
أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من
حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو
أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجبة
من الورع من الحديد وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد

الا وملكان ينزلان من السماء فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا
وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك وعنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب اي فل هلم فقال
ابو بكر يا رسول الله ذاك الذي لا توى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكون
منهم قوله اي فل يعني يا فلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعني ذلك لا هلاك عليه وقوله تعالى
والكاظمين الغيظ يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشيء عند
امتلائه وكظم الغيظ هو ان يمتلئ غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت
عنه ومعنى الاية انهم يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم في اجوافهم وهذا الوصف من اقسام
الصبر والحلم عن سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم
غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء
اخرجه الترمذي وابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد
بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وروي عن عايشة ان خادما لها غاظها فقالت لله
در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس يعني اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه فتكون
الاية على العموم وقيل المراد بالناس المماليك لسوء ادب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل العافون
عن ظلمهم واساء اليهم وهو قريب من الاول والله يحب المحسنين يحتمل ان يكون اللام للجنس فيتناول
كل محسن ويحتمل ان تكون للعهد فتكون اشارة الى المذكورين في الاية والاحسان الى الغير انما يكون
بايصال النفع اليه او بدفع الضرر عنه وقيل الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك فان الاحسان الى المحسنين
متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم باحسانه كل احد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت
الامكان وليس عليك في كل وقت احسان وقيل الاحسان هو الخصال المذكورة في هذه الاية فمن فعلها
فهو محسن ولما كانت هذه الخصال الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله
تعالى للعبد اعظم درجات الثواب قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة قال ابن مسعود قال المومنون
للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا
اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك او اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وروى عطاء عن ابن مسعود انها نزلت في نبهان التمار اتته امراة
حسناء تبتاع منه تمرا فقال ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها
الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له
ذلك فنزلت هذه الاية وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخى بين
رجلين احدهما انصاري والاخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف الانصاري على اهله
فاشترى لها ذات يوم لحما فلما ارادت المراة ان تاخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف
ووضع التراب على راسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسال امراته
عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تائبا
مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فاتى به الى ابي بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا فقال
الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار
للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما
فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة
ما عظم قبحه من الافعال والاقوال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد فلذلك قيل الفاحشة الزنى
وقوله تعالى او ظلموا انفسهم وظلم النفس هو ما دون ذلك من القبلة والمعانقة واللمس والنظر — أو

الو طبي

وقيل الفاحشة

١٩٢

وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس
هو اي ذنب كان ذكروا الله يعني ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسالهم عن ذلك يوم العرض الاكبر
وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله تعالى فاستغفروا
لذنوبهم يعني لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين ان لا يعودوا اليها
وهذه شروط صحة التوبة المقبولة ومن يغفر الذنوب الا الله وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب
المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه
وعفوه ورحمته فنبه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه لانه القادر على عقاب المذنب وكذلك
هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه ولم يصروا على ما فعلوا
يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولا اكثروا منها وانما تابوا واستغفروا قيل الاصرار هو
ترك الاستغفار عن ابي بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد في
اليوم سبعين مرة اخرجه ابو داود وقال حديث غريب وعنه عرض ولو عاد ولو فعل وهم يعلمون
قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون
ان الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروا غفر لهم
قال ثابت البناني بلغني ان ابليس بكى حين نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الى اخرها فصل
في فضل الاستغفار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اني كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من الصحابة استحلفته واذا
حلف لي صدقته وانه حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما
من عبد مومن او قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر
الله له ثم قرا هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى اخر الاية اخرجه
ابو داود والترمذي وقال هذا حديث قد رواه شعبة واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر
عن عثمان بن المغيرة فوقفه ولم يرفعه ولا نعرفه الا من هذا الحديث عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال اذا اذنب عبدي ذنبا فقال اللهم
اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ثم
عاد فاذنب فقال اي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ
بالذنب ثم عاد فاذنب فقال اي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له
ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب وفي رواية اعمل ما شئت فقد غفرت لك قال عبد الاعلى لا ادري
قال في الثالثة او الرابعة اعمل ما شئت عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال الله تبارك وتعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن
ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم لو اتيتني بقراب
الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها اي ما ظهر لك منها وقراب الارض
بضم القاف وروي بكسرها والضم اشهر وهو ما يقارب ملأها عن ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قال استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه
غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف اخرجه ابو داود والترمذي والحاكم وقال حديث صحيح

على شرط البخاري ومسلم عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ذنب عسى الله أن
يغفره أو قال عسى أن يغفره الله إلا من مات مشركا أو من قتل مؤمنا متعمدا أخرجه أبو داود قوله عز وجل أولئك
إشارة لمن تقدم ذكره في قوله والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية جزاؤهم مغفرة من ربهم
وجنات تجري من تحتها الأنهار معنى الآية أن المطلوب بالتوبة أمران أحدهما الأمن من العقاب وإليه
الإشارة بقوله مغفرة من ربهم والثاني إيصال الثواب وإليه الإشارة بقوله وجنات تجري من تحتها
الأنهار أي ذلك لهم ذخرا يتنعمون وأجرا يونسهم خالدين فيها أي في الجنات ونعم أجر العاملين أي ونعم
ثواب المطيعين يعني الجنة قوله عز وجل قد خلت من قبلكم سنن يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله
في الأمم الماضية بالهلاك والاستيصال لأنهم خالفوا الأنبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها
والبقاء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم أحد وقيل في معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل
أمة سنة ومنهاج إذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل سنن أي شرائع وقيل سنن أي أمم والسنة
الأمة ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية الكافرة بإمهالي
واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لإهلاكهم فسيروا في الأرض
أمر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف أحوال الماضين لقوله فانظروا كيف كان عاقبة
المكذبين فرغب أمة محمد صلى الله عليه وسلم في تأمل أحوال الأمم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم
إلى الإيمان بالله ورسوله والإعراض عن الدنيا ولذاتها وفيه أيضا زجر للكافر عن كفره لأنه إذا
تأمل أحوال الكفار وإهلاكهم صار ذلك داعيا له إلى الإيمان لأن النظر إلى آثار المتقدمين له أثر في
النفس كما قيل إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار وفي هذه الآية تسلية لأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة أحد يقول فإنما أمهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب
أجله فيهم الذي أجلته لهم في إهلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم وأوليائه وهلاك أعدائه
قوله تعالى هذا يعني هذا القرآن وقيل هو إشارة إلى ما تقدم من أمره ونهيه ووعده ووعيده
بيان للناس يعني عامة وهدى يعني من الضلالة وموعظة للمتقين يعني خاصة وقيل في الفرق بين
البيان والهدى والموعظة لأن العطف يقتضي المغايرة فالبيان هو الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة
بعد أن كانت حاصلة والهدى هو بيان طريق الرشد المأمور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام
المفيد للزجر عما لا ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة
وإنما خص المتقين بالهدى والموعظة لأنهم المنتفعون بهما دون غيرهم قوله عز وجل ولا تهنوا
ولا تحزنوا نزلت تعزية يوم أحد حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بطلب القوم مع ما أصابهم
من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم على الجهاد على ما أصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم أحد من الأنصار سبعون رجلا
ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب
ابن عمير ومعنى الآية ولا تهنوا أي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعني على من قتل منكم لأنهم في الجنة
وأنتم الأعلون يعني بالنصر والغلبة عليهم وأن العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فأقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريد أن يعلوا
عليهم الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك وثاب
نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل
فذلك قوله وأنتم الأعلون وقيل وأنتم الأعلون لأن حالكم خير من حالهم لأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم
في النار وأنتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وأنتم الأعلون في العاقبة لأنكم تظفرون
بهم وتستولون عليهم إن كنتم مؤمنين أي إذ كنتم مؤمنين وقيل معناه إن كنتم مصدقين موقنين.

إن يمسسكم

بأن ما أصابكم هو الله تعالى مصدقوا بذلك لأنه حق وصدق وقوله تعالى إن يمسسكم قرح قرئ بضم القاف
وبفتحها القتل ومعناهما واحد وقيل إنه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل إنه بالفتح اسم الجراح وبالضم
الجراحة والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من أحد مع الحزن والكآبة يقول إن يمسسكم أيها المسلمون
قرح يوم أحد فقد مس القوم يعني الكفار قرح مثله يعني في يوم بدر وقيل إن الكفار قد نالهم يوم
أحد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم وتلك الأيام
نداولها بين الناس المداولة نقل الشيء من واحد إلى آخر يقال تداولته الأيدي إذا انتقل من واحد إلى آخر
ويقال الدنيا دول أي تنتقل من قوم إلى آخرين ثم منهم إلى غيرهم والمعنى أن أيام الدنيا هي دول بين
الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين في يوم بدر حتى قتلوا منهم
سبعين رجلا وأسروا سبعين وكانت الدولة للمشركين على المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين
وقتلوا خمسا وسبعين عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أحد
وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال إن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا
حتى أرسل إليكم فهزمهم قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات
ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أي القوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد
الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن
من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في أخراكم
فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فأصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قد أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال أبو
سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث القوم
مرات ثم قال أفي القوم عمر ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا يوم بدر فما ملك
عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم
بيوم والحرب سجال إنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز أعل هبل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال أبو
سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال البخاري وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال أبو سفيان
يوم بيوم وإن الأيام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج
الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وإن جندنا لهم الغالبون وكانت يوم أحد للكفار على المسلمين
لمخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا يعني إنما جعل
الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين إذا أصابته نكبة وشدة وقيل
معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أي ليعرفهم بأعيانهم إلا أن
سبب العلم وهو ظهور الصبر حصل ههنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لأن الله تعالى يعلم
الشيء قبل وجوده ولا يجازيهم إلا بسبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه غيبا مشاهدة للناس والجزاء
إنما يقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليعلم أولياء الله فأضاف علمهم إلى
نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم
لأن الحكم لا يحصل إلا بعد العلم ويتخذ منكم شهداء يعني وليكرم قوما منكم بالشهادة وذلك
أراد أن يكرم بها وذلك لأن قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وأن يكون لهم
يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من
المسلمين بسبب الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل أحياء.

أتانا الخبر أنك قد قتلت فرجعت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله عز وجل وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو أنبيائهم فعليكم أنتم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه إشارة إلى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذي كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد لأنه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فأكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا وأحمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

ألم تر أن الله أرسل عبده ... ببرهانه والله أعلى وأمجد
أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهور يلوح ويشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وعن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي وسماه الله رءوفا رحيما عن أبي موسى الأشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة قوله المقفي هو آخر الأنبياء الذي لا نبي بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى وإنك لمن المرسلين أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم يعني أتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل وترجعون إلى دينكم الأول يقال لكل من رجع إلى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على عقبه وحاصل الكلام أن الله تعالى بين أن موت محمد أو قتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت من كان قبله من الأنبياء وأن أتباعهم ثبتوا على دين أنبيائهم بعد موتهم ومن ينقلب على عقبيه يعني يرتد عن دينه ويرجع إلى الكفر فلن يضر الله شيئا يعني بارتداده لأن الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لأنه تعالى غني عن العالمين وإنما يضر الكافر والمرتد نفسه وسيجزي الله الشاكرين يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لأنهم شكروا النعمة التي أنعم الله عليهم بالإسلام واتباعهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جرير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه وكان علي يقول أبو بكر أمير الشاكرين وأمين أحباء الله وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله تعالى قوله عز وجل وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله أي بأمر الله وقضائه وقدره وعلمه وذلك أن الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الأرواح فلا يموت أحد إلا بإذن الله تعالى وأمره والمراد من الآية تحريض المؤمنين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو وإعلامهم بأن الجبن لا ينفع وأن الحذر لا يدفع المقدور وأن أحدا لا يموت قبل أجله وإن خاض المهالك واقتحم المعارك وإذا جاء الأجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فائدة في الخوف والجبن وفي الآية أيضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه وإسلام أصحابه له فأعلمه الله أنه لم يضره شيئا كتابا مؤجلا يعني كتب الله أجلا معلوما لا يتقدم ولا يتأخر والمعنى أن الله تعالى كتب لكل نفس أجلا لا يقدر أحد على تغييره أو تقديمه أو تأخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لأن فيه آجال جميع الخلق ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها يعني من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله والمعنى نؤته منها ما نشاء مما قدرناه له نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد وطلبوا الغنيمة ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها يعني من أراد بعمله الآخرة نؤته ثوابه فيها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد

واعلم أن

واعلم أن هذه الآية وإن نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الأعمال وذلك لأن الأعمال في ذلك كله يرجع إلى نية العبد فإن كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء إلا فيها وكذلك من أراد بعمله الآخرة فجزاؤه فيها الدار صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما الأعمال بالنيات وفي رواية بالنية وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها إلا ما كتب له وقوله تعالى وسنجزي الشاكرين يعني المؤمنين المطيعين الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد ولم يريدوا بأعمالهم إلا الدار الآخرة قوله عز وجل وكأين من نبي أي وكم من نبي قتل معه وقرئ قاتل معه فمن قرأ قتل بضم القاف فله أوجه أحدها أن يكون القتل واقعا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لأنه كلام تام وفيه إضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى أن كثيرا من الأنبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم فما وهنوا في دينهم وما استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا مثلهم الوجه الثاني أن القتل نال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا إلى الباقين والمعنى وكأين من نبي قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من إخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم أن تكونوا كذلك الوجه الثالث أن يكون القتل للربيين لا للنبي والمعنى وكأين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرأ قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكأين من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فأصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما أصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لأن الذي أصابهم إنما هو في سبيل الله وطاعته وإقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحجة هذه القراءة ما روي عن سعيد بن جبير أنه قال ما سمعنا أن نبيا قتل في القتال وقوله تعالى ربيون كثير قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الألوف وقيل الربية الواحدة عشرة آلاف وقيل ألف وقيل ربيون يعني فقهاء علماء وقيل الربيون هم الأتباع فما وهنوا أي فما جبنوا على الجهاد لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من ألم الجراح وقتل الأصحاب وما استكانوا يعني وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض لما أصابهم يوم أحد من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان والمقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الأنبياء وأتباعهم لتقتدي هذه الأمة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد والله يحب الصابرين يعني في الجهاد والمعنى أن من صبر على تحمل الشدائد في طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز فإن الله يحبه ومحبة الله للعبد عبارة عن إرادة إكرامه وإعزازه وإيصال الثواب له وإدخاله الجنة مع أوليائه وأحبابه ثم قال تعالى وما كان قولهم يعني قول الربانيين إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا يعني الصغائر والكبائر وإسرافنا في أمرنا يعني ما أسرفنا فيه فتخطينا إلى العظام من الذنوب لأن الإسراف الإفراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر وثبت أقدامنا لكيلا نزول عند لقاء العدو وذلك يكون بإزالة الخوف والرعب من قلوبهم وانصرنا على القوم الكافرين لأن النصر على الأعداء لا يكون إلا من عند الله بين الله تعالى أنهم كانوا مستغفرين

عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الإعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه أن يقتدي بهم في
هذه الطريقة الحسنة أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا
فآتاهم الله ثواب الدنيا يعني النصر والغنيمة وقهر الأعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا
وحسن ثواب الآخرة يعني الجنة وما فيها من النعيم المقيم وإنما خص ثواب الآخرة بالحسن تنبيها
على جلاله وعظمته وأنه غير زائل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته وأنه
سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص والله يحب المحسنين يعني الذين يفعلون مثل ما فعل هؤلاء وهذا
تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهو أنهم
لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا
إن تطيعوا الذين كفروا يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمؤمنين عند
الهزيمة يوم أحد ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه إن تطيعوهم فيما يأمرونكم
به من ترك الجهاد يردوكم على أعقابكم يعني يرجعوكم إلى دينكم الأول وهو الكفر والشرك بالله
بعد الإيمان لأن قبول قولهم في الدعوة إلى الكفر كفر فتنقلبوا خاسرين يعني مغبونين في الدنيا
والآخرة أما خسران الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للأعداء وأما خسران الآخرة فهو دخول النار وحرمان
دار القرار بل الله مولاكم أي وليكم وناصركم وحافظكم فاستغنوا به وهو خير الناصرين
يعني أنه تعالى قادر على نصركم والمعنى أنكم إنما تطيعوا الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون
عن نصر أنفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين قوله عز وجل
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وذلك أن أبا سفيان ومن معه لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين
إلى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعتم قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد
تركتموهم ارجعوا إليهم فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب يعني (فاستاصلوهم)
الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا يكون القول الوعد بإلقاء الرعب في قلوب الكفار
مخصوصا بيوم أحد وقيل إنه عام وإن كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب
مسيرة شهر فكأنه قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم
على سائر الأديان وقد فعل الله ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين الإسلام ظاهرا على جميع الأديان
والملل قال تعالى ليظهره على الدين كله بما أشركوا بالله يعني إنما كان إلقاء الرعب في قلوبهم
بسبب إشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطانا يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا
لأن السلطان مشتق من السليط وهو ما يستضاء به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة
سلطانا لقوتها على دفع الباطل ومأواهم النار لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو إلقاء
الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الآخرة فقال تعالى ومأواهم النار أي مسكنهم وبئس
مثوى الظالمين أي المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المذام
والمعنى بئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتساب ما يوجب لهم عذاب النار والإقامة
فيها قوله عز وجل ولقد صدقكم الله وعده قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه من أحد إلى المدينة وقد أصابهم ما أصابهم قال أناس من الصحابة من أين أصابنا هذا
وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك أن الظفر كان
للمسلمين في الابتداء وقيل إن وعد الله المؤمنين النصر بأحد ولما خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وطلبوا الغنيمة هزموا إذ تحسونهم يعني إذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم يعني
تستأصلونهم بالقتل بإذنه يعني بعلم الله وأمره وقيل بقضاء الله وقدره حتى إذا فشلتم
وتنازعتم في الأمر وعصيتم قال الفراء فيه تقديم وتأخير تقديره حتى إذا تنازعتم في الأمر

وعصيتم

وعصيتم فشلتم وقيل معناه لقد صدقكم الله وعده بالنصر إلى أن كان منكم الفشل والتنازع والمعصية
وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم منعكم الله النصر
ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف وكان اختلافهم وتنازعهم
أن الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض أي قوم ما نصنع
بمقامنا ها هنا وقد انهزم المشركون ثم أقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لا تجاوزوا أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير أمير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان
معه فلما رأى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير
وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين
واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش
ونادى إبليس إن محمدا قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعني أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما أمركم به من لزوم المركز من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر والظفر والغنيمة
يا معشر المسلمين منكم من يريد الدنيا يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب ومنكم من
يريد الآخرة يعني الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود
ما شعرت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد نزلت هذه
الآية ثم صرفكم عنهم يعني يا معشر المسلمين عنهم يعني عن المشركين بالهزيمة ليبتليكم
أي ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء لتتوبوا إليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو أعلم ليتميز
المؤمن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة ولقد عفا عنكم يعني ولقد عفا الله عنكم
إذ خالفتم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية وقيل
عفا عن عقوبتكم إذ خالفتم والله ذو فضل على المؤمنين وهذا من تمام النعمة على عباده المؤمنين
ثم نصرهم أولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا لأنه ذو الفضل والطول والإحسان وفي الآية دليل
على أن صاحب الكبيرة مؤمن وأن الله تعالى يعفو بفضله وكرمه إن شاء لأنه سماهم مؤمنين مع ارتكابهم
ما ارتكبوه من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك قوله عز وجل
إذ تصعدون قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم إذ تصعدون وإن عفوه عنهم لا بد وأن
يتعلق بأمر اقترفوه وذلك الأمر هو ما بينه بقوله إذ تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو
ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا إذ تصعدون وقراءة الجمهور بضم التاء وكسر العين من
الإصعاد وهو الذهاب في الأرض والإبعاد فيها ومن الحسن تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء
من أسفل إلى أعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه والمفسرون يرجح معنى الآية قولا أن أحدهما أنه
صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني أنه الإبعاد في الأرض في حال الهزيمة ووقت الحرب ولا
تلوون على أحد أي لا تعرجون ولا تقيمون على أحد ولا يلتفت بعضكم إلى بعض من شدة الهرب والرسول
يدعوكم في أخراكم أي في آخركم ومن ورائكم يقول إلي عباد الله أنا رسول الله من كر أي رجع فله
الجنة فأثابكم غما بغم يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم
غما بغم فسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لأن لفظ الثواب لا يستعمل في الأغلب إلا
في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لأنه مأخوذ من ثاب إذا رجع فأصل الثواب كل ما يعود إلى الفاعل من
جزاء فعله سواء كان خيرا أو شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على أصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه
على الأغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه ... أداهم سودا أو محدرجة سمرا

فجعل العطاء مكان العقاب لأن الأداهم السود هي القيود والمحدرجة هي السياط والباء في قوله غما بغم

يقع موقع او بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم و
اختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني هو ما نالهم
من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما اصابهم من القتل والجراح والغم الثاني هو ما سمعوا ان محمدا
صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول انهم عصوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمخالفة امره فجازاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب
اشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين اشرف ابو سفيان عليهم وذلك
ان ابا سفيان واصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون
عليهم فيقتلونهم وانساهم ذلك قوله تعالى لكيلا في لفظة لا قولان احدهما انها باقية على اصلها
ومعناها النفي وعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لان عفوه يذهب كل هم وغم وحزن وقيل معناه فاثابكم
غما انساكم الحزن على ما فاتكم وما اصابكم وقد روي انهم لما سمعوا ان النبي صلى الله عليه
وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكي
تحزنوا على ما فاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتكم واصابكم
عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتكم الغنيمة والذي اصابكم القتل والهزيمة
والله خبير بما تعملون اي هو عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها قوله عز وجل
ثم انزل عليكم يا معشر المسلمين من بعد الغم الذي اصابكم امنة نعاسا يعني امنا والامنة
والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف
بعد باقيا والنعاس اخف من النوم والمعنى اعقبكم لما نالكم من الخوف والرعب ان امنكم امنا
تنامون معه لان الخائف لا يكاد ينام فامنهم بعد خوفهم يغشى طائفة منكم قال ابن عباس
امنهم يومئذ بنعاس وانما ينعس من يامن والخائف لا ينام عن انس عن ابي طلحة قال كنت
فيمن تغشاهم النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط واخذه فاخذه زاد في
وعنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد وذكر نحوه زاد في رواية البخاري والطائفة
الاخرى المنافقين ليس لهم هم الا انفسهم اجبن قوم وارعبه واخذله للحق وفي رواية اخرى
له قال رفعت راسي يوم احد فجعلت انظر وما منهم يومئذ احد الا يميل تحت حجفته من
النعاس فذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رايتني
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله
اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر
شيء ما قتلنا هاهنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعني المومنين وطائفة قد اهمتهم
انفسهم يعني المنافقين اراد الله ان يميز المومنين من المنافقين فاوقع النعاس على المومنين
دون المنافقين حتى امنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف وفي القاء النعاس
على المومنين دون المنافقين اية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان بسبب امن المومنين
وعدم النعاس عن المنافقين كان بسبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد اهمتهم انفسهم
على الهم لان اسباب الخوف وهو قصد الاعداء كان متحصلا عندهم يظنون بالله غير الحق
يعني يظنون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان امره يضمحل
والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به ظن الجاهلية اي كظن اهل الجاهلية يقولون
يعني المنافقين هل لنا او ما لنا من الامر من شيء وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين في هذه الواقعة واشار اليه ان لا يخرج من المدينة فلما

خالفه النبي

خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن ابي قد قتل بنو الخزرج فقال هل
لنا من الامر من شيء وهو استفهام على سبيل الانكار اي ما لنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر
يعني ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شيء انما هو للمشركين قل يا محمد لهؤلاء
المنافقين ان الامر كله لله يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله وبيده يصرفه كيف يشاء ويدبره
كيف احب يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون
الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه قوله تعالى حكاية عنهم يقولون لو كان لنا من
الامر شيء ما قتلنا هاهنا وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد
الى قتال اهل مكة ولم يقتل رؤساؤنا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا هاهنا قيل ان الذي قال
ليس لنا من الامر شيء هو عبد الله بن ابي بن سلول المنافق والذي قال لو كان لنا من الامر شيء هو معتب بن
قشير قل اي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى
مضاجعهم اي قضي عليهم القتل وقدر عليهم الى مضاجعهم يعني الى مصارعهم التي لابد منها
وقيل الاية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم
به عليهم لابد ان يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها الذين قضى الله عليهم بالقتل وقضاه معنى
الى حيث يقتلوا فيه وليبتلي الله ما في صدوركم اي وليختبر ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه
غيبا لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم
وقيل معناه ليبتلي اولياء الله ما في صدوركم فاضاف الابتلاء اليه تعظيما لشان اوليائه المومنين
وليمحص ما في قلوبكم قال قتادة اي يظهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه في القاء
الامنة وصرف العدو واظهار سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين وقيل معناه وليتبين
ويظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمومنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب
للمنافقين خاصة والله عليم بذات الصدور يعني بالاشياء الموجودة في الصدور وهي الاسرار
والضمائر لانه عالم بجميع المعلومات قوله عز وجل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
اي انهزموا وهربوا يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المومنين
يوم احد بالحرب وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر
رجلا وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي
وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم انما استزلهم
الشيطان اي طلب زللهم كما يقال استعجله اي طلب عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وذلك
بالقاء الوسوسة في قلوبهم لانه امرهم بها ببعض ما كسبوا يعني لمعصيتهم النبي صلى الله
عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا ان
يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا الفرار
من الزحف رغبة في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حالة يرضاها
ولقد عفا الله عنهم يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر
لهم قيل ان عثمان عوتب في هزيمته يوم احد فقال ان ذلك وان كان خطا الا ان الله قد عفا عنه وقرا
هذه الاية ان الله غفور يعني لمن تاب واناب حليم لا يعجل بالعقوبة ولم يستاصلهم بالقتل قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه وقالوا
لاخوانهم يعني في النفاق والكفر وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين اذا ضربوا في الارض
يعني اذا سافروا في الارض لتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز اي غزاة في الكلام حذف دل المعنى
على ذلك الحذف وهو اذا ضربوا في الارض فماتوا وكانوا غزاة فقتلوا لو كانوا عندنا يعني مقيمين

ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك يعني قولهم وظنهم حسرة في قلوبهم يعني غما وتأسفا
والله يحيي ويميت هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والمعنى أن الأمر بيد الله
وأن المحيي والمميت هو الله فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء
فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل ينجي أحدا من الموت والله بما تعملون بصير يعني أنه تعالى مطلع على
ما تعملون من خير أو شر فيجازيكم به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لأن مقصودهم تنفير المؤمنين عن
الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فإن الله هو المحيي المميت فمن قدر له البقاء لم يقتل في
الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وإن أقام في بيته عند أهله فلا تقولوا أنتم أيها المؤمنون لمن يريد
الخروج إلى الجهاد لا تخرج فتقتل فلأن يموت في الجهاد فيستوجب الثواب فإن ذلك خير له من أن يموت
في بيته بلا فائدة وإليه الإشارة بقوله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله
ورحمة خير يعني في العاقبة خير مما تجمعون يعني من الغنائم والمنافع ولا منع عليكم ما تخافون من
القتل في سبيل الله والهلاك بالموت فإنما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت والقتل في سبيل الله خير
مما تجمعون من الدنيا ومنافعها العاجلة لتموتوا ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون يعني إلى الله
الرحيم الواسع المغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ومن قسم
بعض مقامات العبودية ثلاثة أقسام فمن عبد الله خوفا من ناره أمنه الله مما يخاف وإليه الإشارة
بقوله لمغفرة من الله ورحمة ومن عبد الله شوقا إلى جنته أناله ما يرجو وإليه الإشارة
بقوله ورحمة لأن الرحمة من أسماء الجنة ومن عبد الله شوقا إلى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا
هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته وإليه الإشارة بقوله لإلى الله تحشرون
قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم أي فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم أي سهلت لهم
أخلاقك وكثرت احتمالك ولم تسرع إليهم بالتعنيف على ما كان منهم يوم أحد ومعنى فبما
رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وأن الله تعالى
ألقى في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم ولو كنت
فظا يعني جافيا غليظ القلب يعني قاسي القلب سيئ الخلق قليل الاحتمال لانفضوا من حولك
أي لتفرقوا عنك ونفروا لا يبقى معك منهم أحد فاعف عنهم أي تجاوز عن زلاتهم وما أتوا يوم
أحد واستغفر لهم أي واسأل الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما
يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك من تمام الشفقة عليهم وشاورهم
في الأمر أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلف العلماء في المعنى الذي من أجله أمر الله
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه ونزول الوحي عليه
ووجوب طاعته على كافة الخلق فيما أحبوا وكرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم
فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا لتستظهر برأيهم
فيما تشاورهم فيه وقيل أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا
لقلوبهم فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم فإن سادات العرب كانوا إذا لم
يشاوروا في الأمور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى أنه ما به إلى مشاورتهم حاجة
ولكن أراد أن يستن به من بعده من أمته وقيل إنما أمر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم
وأفهامهم لا ليستفيد منهم رأيا وروى البغوي بسنده عن عائشة أنها قالت ما رأيت رجلا أكثر استشارة
للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء على أن كل ما نزل فيه وحي من الله تعالى لم يجز
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه الأمة وإنما أمر أن يشاورهم في أمر الدين والدنيا
فيما لم ينزل عليه شيء لأن النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في أسارى بدر وهو من أمر الدين

قال علي

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه والتدبير
قبل العمل يؤمنك من الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد
المشاورة أنه قد يعزم الإنسان على أمر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك
عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح ومنها أنه إذا لم ينجح أمره علم أن امتناع النجاح محض قدر
فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة

وشاور إذا شاورت كل مهذب ... لبيب أخا عزم لترشد في الأمر
ولا تك ممن يستبد برأيه ... فتعجز أو لا تستريح من الفكر
ألم تر أن الله قال لعبده ... وشاورهم في الأمر حتما بلا نكر

وقوله تعالى فإذا عزمت يعني على المشاورة فتوكل على الله أي فاستعن بالله في أمورك كلها وثق
به ولا تعتمد إلا عليه فإنه ولي الإعانة والعصمة والتسديد والمقصود أن لا يكون للعبد اعتماد
على شيء إلا على الله تعالى في جميع أموره وأن المشاورة لا تنافي التوكل إن الله يحب المتوكلين
يعني المتوكلين عليه في جميع أمورهم قوله عز وجل إن ينصركم الله أي يعنكم الله بنصره ويمنعكم
من عدوكم كما فعل يوم بدر فلا غالب لكم يعني من الناس لأن الله هو المتولي نصركم وإن يخذلكم
كما فعل يوم أحد فلم ينصركم ووكلكم إلى أنفسكم لمخالفتكم أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم
فمن ذا الذي ينصركم من بعده أي من بعد خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره
لأن الأمر كله له ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فيجب أن يتوكل العبد في كل الأمور على الله تعالى لا على
غيره وقيل التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا
سواه عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا
بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى
ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت منهم
فقام آخر فقال يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
خماصا وتروح بطانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل وما كان لنبي أن يغل قال ابن عباس
نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله هذه الآية إلى آخرها أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن
غريب وروي عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يقسم للطلائع فأنزل الله تعالى وما كان لنبي أن يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله وما
كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم لطائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجور في القسم
ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول ما كان الله أن يجعل نبيا يغل
من أصحابه فإذا فعل ذلك النبي استنوا به وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة
المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له وأن لا يقسم
الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري
قالوا تركنا بقية إخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل فلا نقسم فأنزل
الله هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا أنها نزلت في طائفة غلت من أصحابه وقيل إن الأقوياء ألحوا
عليه يسألونه من المغنم فأنزل الله ما كان لنبي أن يغل يعني فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه
أن يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن إسحاق وابن يسار هذا في شأن الوحي
يقول ما كان لنبي أن يكتم شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو مداهنة والغلول هو الخيانة وأصله

أخذ الشيء في خفية يقال غل فلان يغل غلولا إذا خان وقرئ يُغَلّ بضم الياء وفتح الغين أي وما كان لنبي أن يُخوَّن لأن النبوة
والخيانة لا يجتمعان لأن منصب النبوة أعظم المناصب وأشرفها وأعلاها فلا يليق به الخيانة
لأنها في غاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن
أمته في شيء لا من الغنائم ولا من الوحي وقيل المراد به الأمة لأنه قد ثبتت براءة ساحة النبي صلى الله
عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على أن المراد بالغلول غيره وقيل الكلام فيه منقول معناه
ما كان لنبي ليغل على نفي الغلول عن الأنبياء وقيل معناه وما كان لنبي الغلول أراد ما غل نبي قط فنفى عن
الأنبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل لنبي الغلول وإذا لم يحل له لم يفعله ووجه هذه القراءة أنهم
نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغلول في بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الآية أن هذه الخصلة
لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي أن يغل وقرئ يُغَل بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان
أحدهما أن يكون من الغلول أيضا ومعناه وما كان لنبي أن يخان يعني تخونه أمته والثاني أن يكون من الإغلال
ومعناه وما كان لنبي أن يخوَّن أي ينسب إلى الخيانة **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** يعني
بالشيء الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة
وقيل إنما ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل إليه فخذه فينزل فيحمله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع ويلقى
ذلك الشيء في النار فيكلف أن ينزل إليه ليخرجه يفعل به ذلك ما شاء الله وقيل معناه أنه يأتي
بإثم ما غله فيجازى به يوم القيامة وهو قوله تعالى **ثم توفى كل نفس ما كسبت** يعني من خير
أو شر والمعنى أن كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب أو شرا فهو مجزي به يوم القيامة وموفى
جزاء عمله **وهم لا يظلمون** يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة في الجزاء فيجازى كل على عمله
فصل في ذكر أحاديث وردت في الغلول وعقوبة الغال وقد تقدم أن أصل الغلول هو أخذ
الشيء في خفية وأنه الخيانة إلا أنه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وبهذا وردت
الأحاديث. عن أبي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول
فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول
يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على
رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين
أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله
شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني
فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا
رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك أخرجه مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت من الله
الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة. وعن أبي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب
ثم انطلقنا إلى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل
من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له الشهادة يا رسول الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم
يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال أصبتهما يوم
خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار أو شراكان من نار وفي رواية نحوه وفيه
ومعه عبد يقال له مدعم أهداه له أحد بني الضباب وفيه إذ جاءه سهم عائر الشراك سير
النعل الذي يكون على ظهر القدم ومثله فنسع النعل والسهم العائر هو السهم الذي لا يدرى

من رماه

من رماه. خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له
كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها ذي بيس
عن زيد بن خالد الجهني أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي فذكروه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال إن صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا
متاعه فوجدنا خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين أخرجه أبو داود والنسائي. عن عمر بن الخطاب
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية ومنعوه
أخرجه أبو داود. قوله تعالى **أفمن اتبع رضوان الله** يعني فترك الغلول فلم يغل **كمن باء** أي رجع **بسخط**
من الله يعني بغضب من الله والعقوبة قيل والسخط الغضب الشديد المقتضي للعقوبة وهو من الله إنزال
العقوبة بمن سخط عليه وقيل في معنى الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المسلمين باتباعه
والخروج معه يوم أحد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فأخبر الله تعالى أن من اتبعه
بقوله أفمن اتبع رضوان الله وأن من تخلف عنه كمن باء بسخط من الله **ومأواه جهنم وبئس المصير**
يعني الغال والمتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم **هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون**
يعني هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل
عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله ليسوا أسواء. هم درجات عند الله
على حسب أعمالهم قيل الضمير في قوله هم درجات عائد على قوله أفمن اتبع رضوان الله فقط لأن الغالب في
العرف استعمال الدرجات لأهل الثواب والدركات لأهل النار ولأن الله وصف من باء بسخط من الله أن مأواه
جهنم وبئس المصير فدل على أن الضمير في قوله هم درجات عند الله وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير
عن العمل بمعاصيه. قوله عز وجل **لقد من الله على المؤمنين** يعني أحسن إليهم وتفضل عليهم والمنة
النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون إلا من الله ومنه قوله لقد من الله على المؤمنين **إذ بعث فيهم**
رسولا من أنفسهم يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم يعرفون نسبه وليس
حي من أحياء العرب إلا وقد ولده وله فيهم نسب إلا بني تغلب فإنهم كانوا نصارى وقد تنصروا على النصرانية
فطهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم من أن يكون له فيهم نسب وقيل أراد بالمؤمنين جميع المؤمنين
ومعنى قوله تعالى من أنفسهم أي بالإيمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا أحد من غير بني
آدم وقيل من أنفسهم يعني من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام. ووجه المنة والإنعام على
المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم إلى ما يخلصهم من العذاب الأليم ويوصلهم
إلى الثواب في جنات النعيم وكونه من أنفسهم ومن جنسهم لأنه إذا كان اللسان واحدا سهل الأخذ عنه بما
يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع أحواله وأفعاله يعرفون صدقه وأمانته فكان ذلك أقرب إلى تصديقه
والوثوق به وفي كونه من أنفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به أبو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه
وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر فقال الحمد لله الذي جعلنا
من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا
محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وإن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى إلا رجح به وهو
والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل. وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم
أن الخلق جبلوا على الجهالة ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله تعالى على خلقه وأنعم عليهم
وأحسن إليهم بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم وإنما خص المؤمنين بالذكر لأنهم هم المنتفعون بما جاء به المنتفعون
دون غيرهم **يتلو عليهم آياته** يعني يقرأ عليهم كتابه الذي أنزل عليه بعد أن كانوا أهل جاهلية لم
يطرق أسماعهم شيء من الوحي السماوي **ويزكيهم** أي يطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات
والخبائث **ويعلمهم الكتاب والحكمة** يعني القرآن والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله

عليه وسلم **وإن كانوا من قبل** يعني من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم **لفي ضلال مبين** يعني لفي جهالة
وحيرة على الهدى عبدة الأصنام لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى **أولما أصابتكم مصيبة** يعني ما أصابهم يوم أحد **قد أصبتم مثليها** يعني يوم بدر وذلك أن
المشركين قتل منهم سبعين وأسروا سبعين وقيل إن المسلمين هزموا المشركين وهزموهم أول الأمر يوم
أحد ولما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون فجعل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة
قلتم أنى هذا أي من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهو
استفهام إنكار **قل هو من عند أنفسكم** يعني أنتم وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم ذنوبكم وهو مخالفتكم
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم اختار الإقامة في المدينة على الخروج إلى
العدو واختاروا هم الخروج إليه وأيضا أمر الرماة بالإقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوه وتركوا المركز
لأجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة السلماني عن علي بن أبي طالب قال جاء جبريل
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى وقد أمرك أن تخيرهم
بين أن يضربوا أعناق الأسارى وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرنا وإخواننا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا
ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى أهل بدر لم يسنده البغوي وأسنده ابن
جرير الطبري فمن ذلك معنى قوله قل هو من عند أنفسكم يعني بأخذكم الفداء واختياركم القتل **إن الله
على كل شيء قدير** يعني من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة قوله عز وجل **وما أصابكم**
يعني من القتل والجراح والهزيمة **يوم التقى الجمعان** يعني جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك بأحد
يوم أحد **فبإذن الله** يعني فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لما حصل لهم يوم أحد
من القتل والهزيمة وإنما تقع التسلية إذا علموا أن ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى
الله عليهم **وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا** أي ليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر
نفاق المنافقين ليتميز أحدهما من الآخر بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير
ليتميز المؤمن من المنافق وليتميز أحدهما من الآخر والمنافق هو الذي يظهر الإيمان بلسانه ويضمر خلافه
واشتقاقه من النفق وهو السرب في الأرض النافذ ومنه نافقاء اليربوع لأن له جحرا في الأرض له بابان
إذا طلب من أحدهما خرج من الآخر فكذلك المنافق له طريقان أحدهما الظاهر وهو الإيمان بلسانه والآخر
إضمار الكفر بقلبه من أيهما طلب خرج من الآخر وقيل إنه دخل في الإيمان من باب وخرج من باب آخر والنفاق
اسم إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام **وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا**
المقول له عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى أحد في
ألف رجل حتى إذا كان بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال علام نقتل
أنفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري أخو بني سلمة
وهو يقول يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم عند حضور عدوه فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعني المنافقين
عبد الله بن أبي وأصحابه تعالوا قاتلوا في سبيل الله أي لأجل دين الله وطاعته أو ادفعوا يعني عن أموالكم وأهليكم
وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين إن لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو **قالوا** يعني المنافقين
لو نعلم قتالا لاتبعناكم أي لو نعلم أن اليوم يجري فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا لما
تبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم **هم للكفر** يعني المنافقين إلى الكفر **يومئذ أقرب منهم
للإيمان** أي إلى الإيمان وإنما قال للكفر يومئذ لأنه قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما أظهروه من المعاداة ويخفون
الكفر **يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم** يعني يظهرون بألسنتهم الإيمان وليس هو في قلوبهم
إنما في قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لا صفة المؤمنين لأن صفة المؤمن المخلص

مواطأة القلب

مواطأة القلب اللسان على شيء واحد وهو التوحيد **والله أعلم بما يكتمون** يعني من النفاق **الذين
قالوا لإخوانهم** نزلت في عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه والمراد بإخوانهم قولان أحدهما أن المراد بإخوانهم
المنافقين الذين استشهدوا بأحد فيكون إخوانهم في النسب لا في الدين والقول الثاني أن المراد بإخوانهم
المنافقين فعلى القول الأول يكون معنى الآية الذين قالوا في إخوانهم أو عن إخوانهم الذين قتلوا بأحد لو
أطاعونا ما قتلوا لأنهم لعلمهم قتلوا إلا بخلافهم وعلى القول الثاني يكون معنى الآية الذين قالوا وهم عبد الله
وأصحابه لإخوانهم يعني في النفاق **وقعدوا** يعني عن الجهاد **لو أطاعونا** يعني شهداء الذين خرجوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو أطاعونا في القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الانصراف عنه **ما قتلوا**
يوم أحد فرد الله تعالى عليهم بقوله **قل** يعني قل لهم يا محمد **فادرءوا** أي فادفعوا **عن أنفسكم الموت إن كنتم
صادقين** يعني أن الحذر لا ينفع من القدر وفي الآية دليل على أن المقتول يموت بأجله خلافا لمن يزعم أن القاتل
قطع على المقتول أجله **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا** نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة
عشر رجلا ثمانية من المهاجرين وستة من الأنصار وقال أكثر المفسرين إنما نزلت في شهداء أحد ويدل
على ذلك ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل
الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في
ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة
لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله الآية أخرجه أبو داود وعن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ولا تحسبن الذين إلى آخرها فقال أما إنا قد
سألنا عن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرواحهم في أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش
تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون
شيئا قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث شئنا ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا أنهم
لم يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى
أن ليس لهم حاجة تركوا أخرجه مسلم ما يتعلق بهذا الحديث قول مسروق سألنا عبد الله كذا جاء عبد الله
غير منسوب في نسخة بعض الناس فقال عبد الله بن عمرو وقد ذكره أبو مسعود الدمشقي والحميدي في
مسند عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على أن الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم
تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب أهل السنة وفيه دليل على أن الأرواح باقية لا تفنى بفناء الجسد وأن
المحسن ينعم ويجازى بالثواب وأن المسيء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب أهل السنة
أيضا قوله أرواحهم في جوف طير خضر أي يجعل الله أرواحهم مع الشهداء في جوف طير خضر وهذا ليس
ببعيد لا سيما مع القول بأن الأرواح أجسام لطيفة وقيل إن المنعم والمعذب من الأرواح والأجسام
جزء من الجسد يبقى فيه الروح هو الذي يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب فغير مستحيل أن يصور الله
ذلك الجزء طائرا أو يجعل في جوف طير يسرح في الجنة وتأوي إلى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث
من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الأرواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها
في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون أن هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال مبين وقول سخيف وبدعة
باطلة لما في هذا القول من إبطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وفي حديث
في بعض روايات هذا الحديث ما يدل عليه وهو قوله حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه يعني يجيء
جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله أعلم عن جابر قال لقيني رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأنا مهتم فقال ما لي أراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد أبي يوم أحد وترك عيالا ودينا
فقال ألا أبشرك بما لقي الله به أباك قلت بلى قال ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وإنه أحيا أباك

وكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن علي أعطك قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه إنه قد سبق مني
أنهم إليها لا يرجعون قال فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل
إن الآية نزلت في شهداء بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وأرض هذيل قال محمد بن إسحاق وغيره من أهل
العلم قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها وقال إني لا أقبل هدية مشرك
ثم عرض عليه الإسلام وأخبره بما له فيه وما أعد الله للمؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد
وقال يا محمد إن الذي تدعو إليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت
أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار
فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة
في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة
ابن أسماء بن الصلت ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وذلك في صفر سنة
أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهي أرض بين أرض بني عامر وحرة بني
سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل أهل
وكان على الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل وكان على عن الماء
الماء فلما أتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم وأتى
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح
فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل
بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا
فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلا وذكوان فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا
بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا من آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه
وبه رمق بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار
أحد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر فقالا والله إن لهذا الطير
لشأنا فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو بن أمية
ما ترى قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره فقال الأنصاري لكني لا أرغب عن موطن قتل
فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذ عمرو بن أمية الضمري أسيرا فلما أخبرهم أنه من مضر
أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه فقدم عمرو بن أمية على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل أبي براء
قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق ذلك عليه إخفار عامر بن الطفيل إياه وما أصاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة من آل أبي بكر الصديق
فروى محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل
رأيته رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة
ابن أبي براء أن عامر بن الطفيل أخفر ذمة أبيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه فلم
وذكر ابن الأثير الجزري في كتاب جامع الأصول له في قسم الأسماء في ترجمة عامر بن الطفيل أن عامر بن
الطفيل قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن نيف وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج
له خراج في أصل أذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه عن أنس قال بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم أقواما من بني سليم إلى بني عامر في سبعين وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث خالا له أخا لأم سليم واسمه حرام في سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالي أتقدمكم
فإن أمنوني

٢٠١

فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا كنتم مني قريبا فتقدم فأمنوه فبينما يحدثهم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أومأوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا
على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلا أعرج صعد الجبل قال همام وأراه آخر معه فأخبر جبريل عليه السلام
النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم قال فكنا نقرأ أن بلغوا قومنا أنا قد
لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان وبني عصية الذين
عصوا الله ورسوله وفي رواية أن رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدو فأمدهم
بسبعين رجلا من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى إذا كانوا ببئر يحتطبون
معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح
على أحياء من أحياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال أنس فقرأنا فيهم قرآنا ثم إن ذلك رفع أن بلغوا
قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ولمسلم قال جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له
أن ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار وذكر نحو ما تقدم وقيل
إن أولياء الشهداء وأهليهم كانوا إذا أصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في النعمة والرخاء
وآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا في القبور فأنزل الله هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم وإخبارا عن
حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا يعني كأموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله
بل أحياء أي بل هم أحياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل في سبيل الله حيا فإما أن يكون المراد أنهم سيصيرون
أحياء في الآخرة أو يكون المراد أنهم أحياء في الحال وعلى تقدير أنهم أحياء في الحال فهل يكون المراد إثبات
الحياة الروحانية أو إثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة أوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه
الأول وهو أنهم سيصيرون أحياء في الآخرة قال معنى الآية بل هم أحياء في الذكر وأنهم يذكرون بخير
أعمالهم وأنهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم أحياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لأن الله أثبت
لهم الحياة في الحال بقوله بل أحياء يعني في حال ما يقتلوا أحياء لأنهم يرزقون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا
في معنى هذه الحياة هل هي للروح أو للجسم معا فمن أثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء في حواصل طير خضر فجعل الأرواح دون الأجساد وقال بعض المعتبرين
إن أرواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة ومن أثبت الحياة للروح والجسم
معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم يرزقون ويأكلون
ويتنعمون كالأحياء وقيل إن الشهيد لا يبلى في قبره ولا تأكله الأرض كغيره وروي أنه لما أراد معاوية أن
يجري العين على قبور الشهداء أمر أن ينادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا
إليهم فأخرجناهم رطابا يتثنون فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فانفطرت دما وعن عبيد الله بن عمير
قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه
ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده
لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه قوله تعالى عند ربهم يعني في محل كرامته وفضله يرزقون
يعني من ثمار الجنة وتحفها فرحين بما آتاهم الله من فضله يعني بما أعطاهم من الثواب والكرامة والإ
حسان والأفضال في دار النعيم ويستبشرون أي يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل
للإنسان عند البشارة بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم يعني من إخوانهم الذين تركوا أحياء في
الدنيا على منهج الإيمان والجهاد وذلك أنهم لما استشهدوا ولحقوا بربهم ونالوا من الكرامة ما نالوا
فهم مستبشرون وقيل إن الشهداء سألوا الله عز وجل أن يخبر إخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في
الجهاد فأخبرهم الله عز وجل أنه قد أنزلت على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما هم فيه

من الكرامة وان نبيهم صلى الله عليه وسلم قال اخبر اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا **ان لا خوف**
عليهم يعني في الاخرة **ولا هم يحزنون** يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا **يستبشرون بنعمة من الله وفضل**
لما بين الله ان الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم بين ايضا انهم يستبشرون لانفسهم بما
رزقوا من النعيم والجنة والفضل والاستبشار الاول كان لغيرهم والاستبشار الثاني لانفسهم خاصة
وان الله لا يضيع اجر المومنين يعني كما انه تعالى لا يضيع اجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع اجر
المومنين **فصل** في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيل الله لا يخرجه الا جهاد في سبيل الله وايمان بي وتصديق
برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من الاجر او
غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه
لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو
في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس
محمد بيده لوددت اني اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وعن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها وعن سهل بن
سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم
في الجنة خير من الدنيا وما عليها وعن فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم
على عمله الا المرابط في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويامن من فتنة القبر اخرجه ابو داود والترمذي
عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن
سال الله القتل في سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله او نكب
نكبة فانها تجيء يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج له خراج في
سبيل الله فان عليه طابع الشهداء اخرجه ابو داود والنسائي واخرجه الترمذي مختصرا في موضعين
وعن ابي سعيد قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل قال مومن مجاهد بنفسه
وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس
من شره خ م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا
واحتسابا وتصديقا بموعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات
وعن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا
وله ما على الارض من شيء الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي
رواية لما يرى من فضل الشهادة خ م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر
للشهيد كل ذنب الا الدين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من
مس القتل الا كما يجد احدكم من القرصة اخرجه الترمذي والنسائي عن ابي الدرداء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من اهل بيته اخرجه ابو داود قوله عز وجل
الذين استجابوا لله والرسول الاية قال اكثر المفسرين ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد
فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى
اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد
ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان فيما تخوفه على
اعقابه مثلهم مع ما بهم من الم الجراح والقرح الذي اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا لا يخرجن معنا احد الا من حضر بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان ابي
كان خلفني على اخوات لي سبع وقال يا بني انه لا ينبغي لي ولك ان نترك هذه النسوة ولا رجل فيهن ولست

بالذي اوثر

بالذي اوثرك على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن
فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا
للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمان
ابن عوف وابو عبيدة بن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلا من اصحابه حتى بلغوا
حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وعن عائشة في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما
اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم قالت لعروة يا ابن اختي كان ابواك منهم الزبير وابو
بكر لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب يوم احد وانصرف عنه المشركون خاف ان يرجعوا فقال من
يذهب في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم ابو بكر والزبير قال فمر برسول الله صلى الله
عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله
لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله قد اعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء وقد اجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابه لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما راى ابو سفيان معبدا
قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم
تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شيء
لم ار مثله قط قال ابو سفيان ويلك ما تقول قال والله ما ارى ان ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد
اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم قال فاني والله انهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رايت على ان قلت
ابياتا قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي ... اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردي باسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم ... اذا تغطمطت البطحاء بالجيل
اني نذير لاهل البسل ضاحية ... لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش احمد لا وحش تنابلة ... وليس يوصف ما انذرت بالقيل

فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال
فهل انتم مبلغون عنا محمدا رسالة وانا احمل لكم ابلكم زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال اذا
وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا المسير اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة
ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذي قال ابو سفيان فكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد الثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الاية في غزوة بدر الصغرى
وذلك ان ابا سفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل
ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل
خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا
له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم اني قد
واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه
الابل الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك
جراة وان يكون الخلف من قبلهم احب الي من ان يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم
انا في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل اضعها على يدي سهيل بن عمرو ويضمنها

لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا ابا يزيد تضمن لي هذه القلائص وانطلق الى محمد واثبطه قال نعم
فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال نعيم اين تريدون فقالوا
واعدنا ابو سفيان ان نلتقي بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الراي رايتم اتوكم في دياركم وقراركم
فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم
احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب للقتال وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى فجعلوا يلقون
المشركين فيسالونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك ان يرعبوا المسلمين فيقول
المومنون حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت
موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية ايام فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
احدا من المشركين ووافوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا واصابوا بالدرهم درهمين
وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اي اجابوا الله
واطاعوه في جميع اوامره واطاعوا الرسول من بعدما اصابهم القرح يعني من بعدما نالهم من الم الجراح
للذين احسنوا منهم واتقوا يعني احسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابوه في
الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه اجر عظيم يعني لهم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل
الذين قال لهم الناس هذه الاية متعلقة بالاية التي قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكرهم
وهم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود الاشجعي
فيكون اللفظ عاما ويراد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد
اذا فعل فعلا او قال قولا ورضي به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل
واحدا كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد والوجه الثاني ان المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله
ابن عباس ومحمد بن اسحاق والوجه الثالث المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما راوا النبي صلى الله عليه
وسلم يتجهز لميعاد ابي سفيان نهوا اصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم في دياركم
فقتلوا الاكثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق احد منكم ان الناس يعني ابا سفيان واصحابه من رؤساء
المشركين قد جمعوا لكم يعني الجموع الكثيرة لان العرب تسمي الجيش جمعا ويجمعونه جموعا
فاخشوهم اي فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم ايمانا يعني فزاد المسلمين
ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة في دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي
هذه الاية دليل لمن يقول بالزيادة في الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة في الايمان
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل اي كافينا الله هو الذي يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس
وحسبك من غنى شبع وري اي يكفيك الشبع والري ونعم الوكيل اي ونعم الموكول اليه في الامور كلها
وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل
في ماله هو الذي كفله وقام به والوكيل في صفة الله هو الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم وانه الكفيل
الذي يستقل بامورهم كلها خ عن ابن عباس قال في قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم
حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قوله تعالى فانقلبوا اي فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم
والمعنى خرجوا وانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه بنعمة من الله اي بعافية لم يلقوا عدوا
وفضل اي تجارة وربح وهو ما اصابوا في سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب

الاخرة

الاخرة لم يمسسهم سوء اي لم يصبهم اذى ولا مكروه من قتل وجراح واتبعوا رضوان الله
يعني في طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله تعالى ثواب
الغزو ورضي عنهم بخروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل عظيم يعني
انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب في قلوب المشركين حتى
رجعوا قوله عز وجل انما ذلكم الشيطان يعني انما ذلكم التخويف والقول هو الشيطان يخوف
بالوسوسة بان القول ذلك في افواههم ليرهبوا المومنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله يخوف
اولياءه يعني الشيطان يخوفكم يا معشر المومنين باوليائه وقيل معناه يعظم اولياءه في
صدوركم لتخافوهم وقيل معناه يخوف اولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين واولياء الشيطان
هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويوثرون امره واولياء الله هم المومنون الذين لا يخافون
الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا امرهم فلا تخافوهم يعني فلا تخافوا اولياء الشيطان
ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم وخافون اي جاهدوا في سبيلي مع رسولي فاني وليكم
وناصركم ان كنتم مومنين اي مصدقين بوعدي فاني متكفل لكم بالنصر والظفر قوله تعالى ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون ورؤساء اليهود وقيل هم
قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك يا محمد مسارعتهم في الكفر وجمع الجموع لمحاربتك فان
هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل مسارعتهم في الكفر مظاهرتهم الكفار على النبي صلى الله عليه
وسلم والمعنى مسارعتهم في نصرة الكفر لا يحزنك فلم تجعلهم ما تكسب عليهم انهم لن يضروا الله
شيئا يعني بمسارعتهم في الكفر انما يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا اولياء الله شيئا
يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة يعني لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الاخرة فلذلك خذلهم
حتى سارعوا في الكفر وفي الاية دليل على ان الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة
ولهم عذاب عظيم يعني في الاخرة ان الذين اشتروا الكفر بالايمان يعني المنافقين امنوا
ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكانهم اعطوا الايمان واخذوا الكفر كما يفعل
المشتري من اعطاء شيء واخذ غيره بدلا عنه لن يضروا الله شيئا يعني باستبدالهم الكفر بالايمان
وانما ضروا انفسهم بذلك ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة قوله عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا
من قرا تحسبن بالتاء والياء فمعناه ولا تحسبن يا محمد املاءنا للكفار خيرا لانفسهم ومن قرا بالياء قال معناه
ولا يحسبن الكفار املاءنا لهم خيرا نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت في يهود بني قريظة والنضير انما
نملي لهم الاملاء الامهال والتاخير واصله من الملاوة وهي المدة من الزمان والمعنى ولا يظنن الذين كفروا
ان امهالنا اياهم لطول العمر والانساء في الاجل خير لانفسهم ثم قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا
اثما يعني انما نمهلهم ونوخر في اجالهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين يعني في الاخرة وروى
البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس خير
قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن جرير الطبري بسنده
عن الاسود قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرا ولا يحسبن الذين كفروا
انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقرا نزلا من عند الله وما عند الله خير
للابرار وقال ابن الانباري قال جماعة من اهل العلم انزل الله هذه الاية في قوم يعاندون الحق وسبق في علمه
انهم لا يومنون فقال انما نملي لهم ليزدادوا اثما لمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول وقد قال صلى الله
عليه وسلم اذا رايت الله يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج من الله لخلقه ثم تلا هذه الاية
وقال الزجاج هؤلاء قوم اعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لا يومنون ابدا وان بقاءهم يزيدهم
كفرا واثما وهذه الاية حجة ظاهرة على القدرية حيث اخبر الله تعالى انه يطيل اعمار قوم ويمهلهم

ليزدادوا كفرا وإثما وغيا قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم أن من خالفك
فهو في النار والله عليه غضبان وأن من اتبعك على دينك فهو في الجنة والله عليه راض فأخبرنا
بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن فأنزل الله هذه الآية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت
علي أمتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي فبلغ ذلك
المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه
وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم
قال ما بال أقوام طعنوا في علمي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا أنبأتكم به فقام
عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي يا رسول الله فقال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا
بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه
وسلم فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر فأنزل الله هذه الآية وقيل إن المؤمنين سألوا أن يعطوا آية
يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الآية وقيل إن قوما من المنافقين ادعوا أن إيمانهم كإيمان
المؤمنين فأظهر الله نفاقهم يوم أحد وأنزل الله هذه الآية واختلفوا في معنى الآية وحكمها فقال ابن
عباس وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من الطيب
وقيل الخطاب للمؤمنين ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق
والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب يعني المنافق من المؤمن فميز الله المنافقين من
المؤمنين يوم أحد حيث أظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل إنما حصل
التمييز بين أهلها بإلقاء الجميع في الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت على إيمانه وتصديقه
ولم يتزلزل ومن كان منافقا أظهر نفاقه وكفره وقيل في معنى الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر
بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الآية ما كان الله ليذر المؤمنين في أصلاب الرجال المشركين وأرحام
النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليذر أولادكم الذين جرى لهم الحكم بالإيمان على ما أنتم
عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعني ليفرق بينكم وبين ما في أصلابكم وأرحام نسائكم
من المؤمنين فيحكم لأهل الإيمان بالجنة ولأهل الشرك والنفاق بالنار وما كان الله ليطلعكم
على الغيب قال الكلبي في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد أخبرنا من يؤمن بك ومن
لا يؤمن والمعنى وما كان الله ليعين لكم أيها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان مؤمن وفلان كافر
أو منافق لأنه لا يعلم الغيب أحد غيره ولكن سنته الجارية أنه لا يطلع على غيبه آحاد الناس
ولا سبيل إلى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق إلا بالامتحان بالآفات والمصائب فيتميز المؤمن
المخلص بثباته على إيمانه ويتبين المنافق عند المحن والبلايا وقيل في معنى الآية ما كان
الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن من الكافر ولكن الله يجتبي من رسله من
يشاء يعني ولكن الله يصطفي ويختار من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه فآمنوا
بالله ورسله يعني أنه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق
إلا الإيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وإنما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله
على التوحيد لقوله والله يجتبي من رسله من يشاء ولأنه إذا آمن بجميع الرسل كان مؤمنا بأحدهم
وهذه صفة المؤمنين لأنهم آمنوا بجميع الرسل وإن تؤمنوا وتتقوا يعني وإن تصدقوا
من اجتبيته برسالتي وأطلعته على ما أشاء من غيبي وأعلمته بالمنافق منكم والمؤمن المخلص
وتتقوا ربكم فيما أمركم به ونهاكم عنه فلكم أجر عظيم يعني فلكم بإيمانكم واتقائكم
ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو

خيرا لهم يبخلون

خيرا لهم يعني ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم بل هو يعني البخل شر لهم والبخل هو إمساك
المقتنيات عما لا يستحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل والآية تدل على ذم البخل عن
عبد الله بن عمرو قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم
بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا أخرجه أبو داود عن أبي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وابن عباس
في رواية أبي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه الآية في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم
ووجه هذا القول أن أكثر العلماء ذهبوا إلى أن البخل عبارة عن منع الواجب وأن منع من التطوع لا يكون
بخيلا ومما يدل عليه الوعيد الشديد في سياق الآية وهو قوله سيطوقون ما بخلوا به وهذا لا يكون إلا
في ترك الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن جريج عن مجاهد إنها نزلت في
أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه
هذا القول أن البخل عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال فلان يبخل بعلمه ورجح الطبري
هذا القول واختاره وهو قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام
الطوق فإن حملنا معنى الآية على منع الزكاة والبخل بها فقال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه
من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه من فوقه إلى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل
ما روى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم
القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول أنا مالك
أنا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله الآية أخرجه البخاري قوله له زبيبتان قيل هما
النكتتان السوداوان فوق عيني الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاها وقيل هما زبدتان في شدقيها وقد
جاء في الحديث تفسير لهزمتيه بشدقيه وقيل إنهما مضغتان في أصل الحنك وقيل هما عظم اللحيين
أسفل من الأذن وكلاهما متقارب عن أبي ذر قال انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل
الكعبة فلما رآني قال هم الأخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم أتقار أن قلت يا رسول الله
فداك أبي وأمي من هم قال هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن
يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة
أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى
يقضى بين الناس لفظ مسلم وللبخاري بمعناه في موضعين وقيل في معنى الآية أنه يجعل في أعناقهم
أطواقا من نار وقيل يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به من أموالهم في الدنيا وإن حملنا تفسير
البخل بالعلم وكتمانه فقال ابن عباس في قوله سيطوقون ما بخلوا به أي يحملون وزره وإثمه فيكون
على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الأمر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوقا من النار
ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه
ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذي وفي رواية أبي داود من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من
نار يوم القيامة وقيل في معنى الحديث أنهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بألسنتهم
ولم يخرجوه من أفواههم عوقبوا عن ذلك بلجام من نار في أفواههم عقوبة لهم والله أعلم قوله تعالى
ولله ميراث السماوات والأرض يعني أنه سبحانه وتعالى الباقي الدائم بعد فناء خلقه وزوال أملاكهم
فيموتون ويفنى أملاكهم ويرثها سبحانه والمقصود من الآية أنه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى
الملك لله تعالى وقيل في معنى الآية وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما
لهؤلاء البخلاء يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله والله بما تعملون خبير قرئ يعملون بالياء

على الكيفية على طريقة الاستعارات وهي أبلغ في الوعيد والمعنى والله بما تعملون يعني البخلاء من منعهم
الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين قوله عز وجل **لقد سمع الله قول**
الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا قالت اليهود إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء. وذكر الحسن أن القائل هذه المقالة
هو حيي بن أخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر
الصديق إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا
حسنا فدخل أبو بكر يوما مدارسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم
ومعه حبر آخر يقال له أشيع فقال أبو بكر لفنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله
قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدق وأقرض الله قرضا
حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرض أموالنا وما
يستقرض إلا الفقير من الغني فإن كان ما تقول حقا فإن الله إذا لفقير ونحن أغنياء. فغضب أبو بكر وضرب
وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو
الله فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر إلى ما صنع بي صاحبك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله إن عدو الله قال
قولا عظيما زعم أن الله فقير وهم أغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فأنزل الله
تصديقا لأبي بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء
وهذه المقالة وإن كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم يرضون بمقالته فنسبت هذه إلى جميعهم
ولا يخلو أن يكونوا قالوا هذه المقالة عن اعتقاد لذلك القول أو قالوه استهزاء وأيهما كان فهذه
المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وإنما صدرت من كافر متمرد في كفره وضلاله **سنكتب ما**
قالوا يعني قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء فلنجازيهم على ذلك كفرهم وافترائهم والمعنى سنحفظ عليهم ما
قالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحائف أعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يقرؤوها
يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم **وقتلهم الأنبياء بغير حق** قيل معناه سنكتب ما قال
هؤلاء اليهود ونكتب ما فعل أسلافهم فنجازيهم بكلا الجرمين لأنهم راضون به وإنما نسب قتل
الأنبياء إلى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما فعله أسلافهم لأنهم
لأنهم رضوا بفعلهم فنسب إليهم وقيل في معنى الآية سنحفظ على هؤلاء ما قالوا بأنفسهم
ونكتب عليهم أيضا رضاهم بقتل آبائهم الأنبياء والمعنى أنه في ضم قتلهم الأنبياء إلى وصف
وصفوا الله بالفقر إعلاما بأن ذلك إنهم أخوان في العظم وأن هذا القول منهم ليس بأول ما ارتكبوه
من العظائم وأنهم أصلا في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وأن من قتل الأنبياء لا يبعد
منه الاجتراء على مثل هذا القول العظيم الشنيع الفظيع **ونقول** يعني لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة
ذوقوا عذاب الحريق تنتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما أذقتم
المسلمين الغصص في الدنيا **ذلك** أي ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر
وأقدمتم على قتل الأنبياء **بما قدمت أيديكم** أضاف ذكر الأيدي على سبيل المجاز لأن الفاعل هو الإنسان
لا اليد لأن اليد لما كانت آلة الفعل حسن إسناد الفعل إليها ولأن أكثر الأعمال تكون باليد فجعل
كل عمل كالواقع باليد على سبيل التغليب **وأن الله ليس بظلام للعبيد** فيعذب بغير ذنب بل
هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل أن يعاقب المسيء ويثيب المحسن قوله عز وجل **الذين قالوا إن**
الله عهد إلينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد
ابن تابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب من اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد

تزعم أن الله

تزعم أن الله بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك كتابا وأن الله عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه
جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فإن جئتنا به صدقناك فأنزل الله تعالى الذين قالوا إن الله
عهد إلينا يعني أمرنا وأوصانا في كتبه **أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار**
يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه وذكر الواحدي عن السدي أنه قال إن الله تعالى أمر بني إسرائيل في التوراة
من جاءكم يزعم أنه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار حتى يأتيكم المسيح ومحمد فإذا
أتياكم فآمنوا بهما فإنهما يأتيان بغير قربان قال الواحدي عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم
إلى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل إن ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو
من كذب اليهود وتحريفهم ويدل عليه أن المقصود في الدلالة على صدق النبي هو ظهور المعجزة الخارقة
للعادة فأي معجزة أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم قبلت منه وكانت دليلا على صدقه وقد أتى النبي
صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه
والقربان كل ما يتقرب به العبد إلى الله عز وجل من أعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل صالح ويدل
يتقرب — على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني أنها مما يتقرب بها إلى الله عز وجل
وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني إسرائيل وكانوا إذا قربوا قربانا أو غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت
نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها دوي وحفيف فتأكل ذلك القربان أو الغنيمة فتحرقه فيكون ذلك
دليلا وعلامة على القبول وإن لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل النار وقال عطاء كانت بنو إسرائيل يذبحون
اللحم — لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه
السلام في البيت ويناجي ربه عز وجل وبنو إسرائيل خارجون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف
ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان ثم قال الله تعالى مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود
وإقامة الحجة عليهم **قل** يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود **قد جاءكم** يعني يا معشر اليهود **رسل من قبلي** يعني
مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام **بالبينات** يعني بالدلالات الواضحات الدالة على صدقهم **وبالذي**
قلتم يعني طلبوا من القربان **فلم قتلتموهم** يعني فلم قتلتم الأنبياء الذين أتوا بما طلبتم منهم
زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الأنبياء وأراد بذلك فعل أسلافهم وإنما خاطب بذلك اليهود الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا راضين بفعل أسلافهم **إن كنتم صادقين** يعني
في دعواكم ومعناه تكذيبهم إياك مع علمهم بصدقك كقتل آبائهم الأنبياء مع إتيانهم
كذب — بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم **فإن كذبوك** يعني هؤلاء اليهود **فقد كذب**
رسل من قبلك يعني مثل نوح وهود وصالح وإبراهيم وغيرهم من الرسل **جاءوا بالبينات** يعني
بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات **والزبر** أي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة زبور
وأصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لأنه يزبر أي يزجر عن الباطل ويدعو
إلى الحق **والكتاب المنير** أي الواضح المضيء وإنما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله
وقيل أراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والإنجيل قوله عز وجل **كل نفس ذائقة الموت**
قيل — يعني كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك الموت إنما نزلت
في بني آدم فأين ذكر الموت للجن والأنعام والوحوش والطير فنزلت هذه الآية وقيل لما خلق الله
آدم عليه السلام اشتكت الأرض إلى ربها عز وجل لما أخذ منها فوعدها أن يرد فيها ما أخذ منها
فما أحد يموت إلا ويدفن في التربة التي خلق منها فإن قلت الحور والولدان نفوس مخلوقة في
الجنة لا تموت والموت فما حكم لفظة كل في قوله كل نفس ذائقة الموت قلت لفظة كل لا تقتضي
الشمول والإحاطة بدليل قوله تعالى وأوتيت من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فتكون الآية من العام المخصوص
ويحتمل أن يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله تعالى **وإنما توفون أجوركم** يعني

توفون أجوركم يعني تعطون جزاء أعمالكم يوم القيامة إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة
فقد فاز يعني نجا وابعد عن النار وأدخل الجنة فقد ظفر بالنجاة ونجا من الخوف وما الحياة الدنيا إلا
متاع الغرور يعني أن العيش في هذه الدار الفانية يغر الإنسان بما تمنيه من طول البقاء وسينقطع
عن قريب فوصف بأنها متاع الغرور لأنها تغر بمحبوب وتخيل للإنسان أنه يدوم وليس بدائم
والمتاع كل ما استمتع به الإنسان من مال أو غيره وقيل المتاع كالفاس والقدر والقصعة ونحوها
والغرور ما يغر الإنسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الآية أن منفعة الإنسان بالدنيا كمنفعته
بهذه الأشياء التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك أن يضمحل ويزول
فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور
لمن لم يشتغل بطلب الآخرة فأما من اشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ إلى ما هو خير منها
وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرأوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة
أعين وإن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقرأوا إن شئتم وظل
ممدود وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرأوا إن شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد
فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور لتبلون اللام لام القسم تقديره والله لتبلون أي لتختبرن فتوقع
عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الرديء وذلك في وصف الله
تعالى محال لأن الله تعالى عالم بحقائق الأشياء كلها قبل أن يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله
تعالى أنه يعامل العبد معاملة المختبر في أموالكم يعني بالابتلاء في الأموال بالنقصان منها وقيل بأداء
ما فرض من الحقوق وأنفسكم يعني بالمصائب والأمراض والقتل وفقد الأقارب والعشائر خوطب بهذه
الآية المسلمون ليوطنوا أنفسهم على احتمال الأذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا
على ذلك حتى إذا لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه
الشدة بغتة فينكرها وتشتد عليه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
أشركوا أذى كثيرا قال عكرمة نزلت في أبي بكر الصديق وفنحاص اليهودي بعث النبي فبعثه إليه ليستمده
وكتب إليه معه كتابا وقال لأبي بكر لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف
إلى فنحاص وأعطاه الكتاب فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى نمده فهم أبو بكر أن يضربه
بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فنزلت الآية وقال
الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الأشرف اليهودي وذلك أنه كان
يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره وعن
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله فقال محمد
ابن مسلمة أتحب أن أقتله قال نعم قال ائذن لي أن أقول قال قل فقال له وذكر ما بينهم وقال إن هذا الرجل
قد أراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وأيضا والله لتملنه قال إنا قد اتبعناه ونكره أن
ندعه حتى ننظر إلى ما يصير أمره قال وقد أردت أن تسلفني سلفا قال فما ترهنني قال ترهنني نساءكم
قال أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا قال له ترهنوني أولادكم قال يسب ابن أحدنا فيقال رهن في
وسقين من تمر ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح قال نعم وواعده أن يأتيه بالحارث وأبي عبس
ابن جبر وعباد بن بشر قال فجاءوا فدعوه ليلا فنزل إليهم فقالت امرأته إني لأسمع صوتا كأنه
صوت دم قال إنما هو محمد ورضيعي أبو نائلة إن الكريم لو دعي إلى طعنة ليلا لأجاب قال محمد
إني إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه فإذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل وهو متوشح
فقال نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة أعطر نساء العرب قال فتأذن لي أن أشم منه قال

نعم فشم

نعم فشم فتناول فشم ثم قال أتأذن لي أن أعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في
رواية ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وزاد أصحاب السير والمغازي فاختلف عليه
أسيافنا فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة
لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت
عانته ووقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس فجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا فخرجنا
وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى أتانا يتبع آثارنا فحملناه
وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا
فأخبرناه بقتل كعب بن الأشرف وجئنا برأسه إليه وتفل على جرح صاحبنا فرجعنا إلى أهلنا فأصبحنا
وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود
فاقتلوه وأنزل الله تعالى في شأن كعب بن الأشرف اليهودي لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من
الذين أوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا يعني مشركي العرب أذى كثيرا يعني
بالأذى قول اليهود إن الله فقير ونحن أغنياء وما أشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله
وما كان كعب بن الأشرف يهجو النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الأذى الكثير وإن تصبروا
وتتقوا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا فيما
أمركم به ونهاكم عنه لأن الصبر عبارة عن احتمال الأذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما
لا ينبغي فإن ذلك من عزم الأمور أي من صواب التدبير أو الرشد الذي لا شك فيه ولا ينبغي لعاقل
تركه وأصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أي ألزمتك أن تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه
فإن ذلك مما قد عزم عليكم فعله أي ألزمتم الأخذ به قوله تعالى وإذ أخذ الله أي واذكر يا محمد وقت
إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والمراد منهم العلماء خاصة وقيل
المراد بالذين أوتوا الكتاب العلماء والأحبار من اليهود خاصة وأخذ الميثاق هو التوكيد والإلزام
والبيان ما أنزل من الكتاب وهو قوله عز وجل لتبيننه للناس يعني لتبينن ما في الكتاب ولتظهرنه
للناس حتى يعلموه وذلك أن الله أوجب على علماء التوراة والإنجيل أن يبينوا للناس ما في هذين
الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تكتمونه يعني ولا تخفون ذلك عن
الناس فنبذوه يعني الكتاب وقيل الميثاق وراء ظهورهم أي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به
واشتروا به ثمنا قليلا يعني المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم فبئس
ما يشترون ذم الله تعالى فعلهم ذلك واعلم أن ظاهر هذه الآية وإن كان مخصوصا بعلماء
أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد أن يدخل فيه علماء هذه الأمة الإسلامية لأنهم أهل
كتاب وهو القرآن وهو أشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم فمن علم شيئا
فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة وقال أيضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه
ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وقال أيضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا
علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه فقبله وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم بلجام من نار أخرجه الترمذي ولأبي داود من سئل عن علم
فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال أبو هريرة لولا ما أخذ الله عز وجل على أهل الكتاب
ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية وقال الحسن بن
عمارة أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت إن رأيت أن تحدثني فقال أما علمت
أني قد تركت الحديث فقلت إما أن تحدثني وإما أن أحدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة
عن يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا

حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا فاما الحمد فشيء اريد بغير حق فيما قوله عز وجل ولا يحسبن الذين يفرحون
فرحوا بالثناء على الخطاب اي ولا تحسبن يا محمد الغافل خير الذين يفرحون وفرحوا بالبلاء على الغيبة ولا يحسبن
الغافل حسب الذين يفرحون فرح منجية الحمد من العذاب نزلت هذه الاية في المنافقين عن ابي سعيد
الخدري ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا وحلفوا له واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت ولا
يحسبن الذين يفرحون بما اتوا الاية وقيل انزلت في اليهود وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان
قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما اوتي واحب ان يحمد بما لم يفعل
معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذه الاية انما نزلت هذه الاية في اهل الكتاب ثم تلا
ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الاية وتلا ابن عباس لا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن شيء من التورية فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا اليه بذلك
وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه بما اتوا يعني يفرحون بما فعلوا ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا اي ويحبون ان يحمدهم الناس على شيء لم يفعلوه قيل هم قوم من احبار اليهود
كانوا يفرحون باضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب اليم يعني فنحاص واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون
بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ان يقول الناس
لهم علماء وليسوا باهل علم وقيل اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن يبلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها
ان محمدا ليس نبيا فاثبتوا على دينكم واجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذي جمع
كلمتنا واحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن
نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على رايكم ونحن لكم ردء وليس ذلك في قلوبهم واحبوا ان
يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
اي فلا تظنهم بمنجاة من العذاب الذي اعده الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الذلة
والصغار ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة وهذه الاية وان كانت قد نزلت في اليهود والمنافقين
خاصة فان حكمها عام في كل من احب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح او ينسبه الى العلم وليس
هو كذلك قوله عز وجل ولله ملك السماوات والارض يعني انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه
كيف يشاء وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن اغنياء يقول الله عز وجل الذي له جميع ما حوته
السماوات والارض فكيف من يكون هذا ملكه فقيرا والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على
تعجيل العقوبة على ذلك القول ولكنه تفضل على خلقه بامهالهم قوله عز وجل ان في خلق السماوات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب قال ابن عباس ان اهل مكة سألوا النبي صلى
الله عليه وسلم ان ياتيهم باية فنزلت هذه الاية والمعنى تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما خلقته
وانشاته من السماوات والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما
في الطول والقصر فجعلتهما يختلفان ويتعاقبان عليكم لكي تتصرفوا فيهما لمعاشكم وطلب ارزاقكم
في النهار وتسكنوا في الليل لراحة اجسادكم فاعتبروا وتفكروا يا اولي الالباب يعني يا ذوي
العقول الصافية الذين يعقلون بما يرونه للنظر والاعتبار لا كالذين لا ينظرون ولا يعتبرون
البهائم غافلين عما فيهما من جميع مخلوقاته وغرائب مبتدعاته وعن ابن عباس انه بات

عند ميمونة

عند ميمونة ام المؤمنين وهي خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل ثم استيقظ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرا العشر ايات الخواتم من
سورة ال عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضأ منها فاحسن الوضوء ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فقمت
فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على
راسي فاخذ باذني ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم اوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام
فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية فقمت عن يساره فاخذني فجعلني عن يمينه وفي
رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد
فلما كان ثلث الليل الاخر قعد فنظر الى السماء فقال ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لايات
لاولي الالباب وذكر الحديث قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال علي بن ابي طالب
وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى
انهم لا يتركون الصلاة في حال من الاحوال بل يصلون في كل حالة عن عمران بن حصين قال كانت بي بواسير
فسالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى
جنب اخرجه الترمذي وقال فيه سالته عن صلاة المريض وذكر نحوه قال الشافعي رضي الله عنه اذا صلى
على جنبه المريض مضطجعا وجب عليه ان يصلي مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الاية
وهو قوله وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص على
الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان قل
ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود وكونه نائما على جنبه عن عائشة قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله
فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود
والترة النقص وقيل هنا التبعة وقوله تعالى ويتفكرون في خلق السماوات والارض اصل الفكر
اعمال الخاطر في الشيء وتردد القلب في ذلك وهو قوة تطرق العلم الى المعلوم والتفكر جار في تلك
القوة بحسب نظر العقل ولا يكون التفكر الا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في الاء الله ولا تفكروا
في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة فلذلك اخبر عن عباده الصالحين بانهم يتفكرون في خلق اذ
السماوات والارض وما ابدع فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال
قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيعلمون ان لها خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم اثارها وافعاله تدل على
عظم خالقها وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل
في المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث
للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النماء وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر ربنا
ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في خلق السماوات والارض قائلين ربنا ما خلقت هذا باطلا يعني
عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك سبحانك تنزيها لك عن ان تخلق شيئا عبثا
لغير حكمة فقنا عذاب النار يعني اذا قد صدقنا بوحدانيتك وانك خالق الجنة والنار فقنا عذاب النار
والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعاء فمن اراد ان يدعو فليقدم
الثناء على الله اولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعده اتى الثناء باتى بالدعاء ويدل عليه قوله فقنا
عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اي اهنته واذللته وقيل اهلكته وقيل فضحته

والمبالغة في اخزائه والخزي ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق الانسان وهو الحيا المفرط فان قلت قد
تمسكت المعتزلة بهذه الاية وقالوا قد اخبر الله انه لا يخزي النبي والذين امنوا معه فوجب ان كل من يدخل
النار لا يكون مومنا لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته والمومن لا يخزى قلت قد ذكر العلما في الجواب
وجوها احدها ما روي عن انس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته قال من تخلده وروي نحوه
عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب اهل السنة الذين
يرون اخراج الموحدين من النار اما على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان من مذهبهم ان الفاسق مخلد
في النار ممنوع اخراجه قوله تعالى فقد اخزيته الوجه الثاني ان المومن في النار مخزي في حال دخوله وان كانت
عاقبته ان يخرج منها ومعنى الاية على هذا فقد اخزيته بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى
ما روي عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت اليه انا وعطا وسالته عن
هذه الاية ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار وان دون ذلك لخزيا
وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لان من ادخل النار فقد اخزي بدخوله اياها وان اخرج منها وذلك
ان الخزي هو هتك المخزي وفضيحته وهذا من الاخبار فحمل الاية على العموم اولى من نقلها الى الخصوص
لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله اهل المعاني وان الخزي يحتمل معان منها الاهانة والاهلاك
والابعاد وهذا للكفار ومنها الخجل يقال خزي خزاية اذا استحيى واذا عمل عملا استحيى منه فخجل
فيكون خزي المومن الذي يدخل النار الحيا من المومنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزي الكافر الهلاك
والخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزا مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك
لا يمكن حمله في طرفي النفي والاثبات على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال الوجه
الرابع في الجواب وهو الذي اختاره الفخر الرازي وجماعة ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا
معه لا يقتضي نفي الاخزاء مطلقا وانما يقتضي ان لا يحصل الاخزاء حال ما يكون مع النبي صلى الله عليه
وسلم وهذا النفي لا يناقض اثبات الاخزا في الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات في وقت
اخر والله اعلم وقوله تعالى وما للظالمين يعني المشركين الذين وضعوا العبادة في غير
موضعها من انصار يعني ينصرونهم يوم القيامة او يمنعونهم من العذاب قوله عز وجل ربنا اننا
سمعنا مناديا ينادي للايمان قال ابن عباس واكثر المفسرين المنادي هو محمد صلى الله عليه
وسلم ويدل على صحة هذا قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه
وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القران قال اذ ليس كل احد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم
ووجه هذا القول ان كل احد يسمع القران ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد فاز به
وذلك لان القران مشتمل على الرشد والهدى وانواع الدلائل الدالة على الوحدانية فصار كالداعي
اليها واللام في للايمان بمعنى الى يعني ينادي الى الايمان ان امنوا بربكم فامنا اي فصدقنا ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا اي كبائر ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا اي صغائر ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر
والتغطية وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد لان الالحاح في الدعاء والمبالغة
فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا في المستقبل وقيل
يريد بالغفران ما يزول بالتوبة وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب وتوفنا مع الابرار
يعني في جملتهم وزمرتهم والابرار هم الانبيا والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون
في درجتهم يوم القيامة وقيل توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك يعني على السنة رسلك وقيل معناه اتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك فان قلت
كيف سالوا انجاز ما وعد الله والله لا يخلف الميعاد قلت معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق
فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل هو من باب اللجا الى الله تعالى والتذلل له واظهار الخضوع

والعبودية

والعبودية كما ان الانبيا عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل
الى ربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجا اليه الذي هو سيما العبودية وقيل معناه ربنا واجعلنا
ممن يستحق ثوابك وتوتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة
فسالوا ان يجعلهم مستحقين لها وقيل انما سالوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعدا وقالوا قد علمنا
انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم ولا تخزنا يوم القيامة
يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله واتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على
طلب الثواب ومن حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب
عنهم قلت المقصود من الاية طلب التوفيق على فعل الخير والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا
وفقنا للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل ان
يكون قوله ولا تخزنا يوم القيامة سببه لقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن الانسان
انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة فسالوا الله
تعالى ان يزيل ذلك عنهم بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة قوله تعالى انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم
ربهم يعني اجاب دعاهم واعطاهم ما سالوه اني اي وقال لهم اني لا اضيع عمل عامل منكم يعني لا احبط
اعمالكم ايها المومنون بل اثيبكم عليها من ذكر او انثى يعني لا اضيع عمل عامل ذكرا كان او انثى عن
ام سلمة قالت قلت يا رسول الله لا اسمع الله ذكر النسا في الهجرة بشي فانزل الله تعالى اني لا اضيع عمل
عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذي وقوله تعالى بعضكم من بعض
يعني في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من ادم وحوى وقيل من بمعنى الكاف اي بعضكم كبعض في
الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال
والنسا في الطاعة على شكل واحد فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي
يعني المهاجرين الذين هجروا اوطانهم واهليهم واذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا اوطانهم وعشيرتهم لله
ورسوله ومعنى في سبيلي في طاعتي وديني وابتغا مرضاتي وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون
من مكة فهاجر طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد
هجرته فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان مهاجرا الى الحبشة
من المسلمين وقاتلوا وقتلوا يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار لاكفرن عنهم
سيئاتهم يعني لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرنها لهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار
ثوابا من عند الله يعني جزاء لاعمالهم من تكفير سيئاتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه
اليهم والله عنده حسن الثواب وهذا تاكيد لكون ذلك الثواب الذي اعطاهم من فضله وكرمه
لانه جواد كريم روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان اول ثلة تدخل الجنة فقرا المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره اذا امروا
سمعوا واطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى السلطان لم تقض له حاجة حتى يموت وهي في صدره
وان الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتاتي بزخرفها وزينتها فيقول اين عبادي الذين قتلوا في
سبيلي وقتلوا واوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب
وتاتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك في الليل والنهار ونقدس لك من هولا الذين
اثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هولا عبادي الذين قاتلوا في سبيلي واوذوا في سبيلي فتدخل الملائكة
عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم في هذه الايات تعليم من الله
لعباده كيف يدعونه ويبتهلون اليه ويتضرعون وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة

وقال جعفر الصادق من حزنه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآيات
وقال الحسن حكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر أنه استجاب لهم قوله عز وجل لا
يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد نزلت في المشركين وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش
يتجرون ويتنعمون فقال بعض المومنين إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجهد فأنزل الله هذه الآية
لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الأمة لأنه صلى الله عليه وسلم
لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك أيها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم في الأرض وتصرفهم
في البلاد للتجارات وطلب الأرباح والمكاسب متاع قليل أي ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة
زائلة ثم مأواهم يعني مصيرهم في الآخرة جهنم وبئس المهاد أي وبئس الفراش هي قوله تعالى
لكن الذين اتقوا ربهم فيما أمرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم
عنه من معاصيه لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا أي جزاء وثوابا والنزل
ما يهيأ للضيف عند قدومه من عند الله يعني من فضل الله وكرمه وإحسانه وما عند الله يعني
من الخير والكرامة والنعيم الدائم الذي لا ينقطع خير للأبرار يعني ذلك الفضل والنعمة الذي أعدها
الله للمطيعين الأبرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها لأنه قليل زائل
وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو في مشربة
وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف وعند رجليه قرظا
مصبورا وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت
يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هم فيه وأنت رسول الله فقال أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا
الآخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب المعالي قوله عز وجل وإن من أهل الكتاب
لمن يومن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة
واسمه أصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه
اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي فخرج إلى البقيع وكشف له إلى أرض الحبشة
فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا
يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أربعين علج
رجلا من أهل نجران اثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام
فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في جميع مومني أهل الكتاب وهذا القول
أولى لأنه لما ذكر أحوال الكفار وأحوال أهل الكتاب وأن مصيرهم إلى النار ذكر حال من آمن من أهل
الكتاب وأن مصيرهم إلى الجنة فقال تعالى وإن من أهل الكتاب يعني لعلهم اليهود والنصارى أهل التورية
والانجيل لمن يومن بالله يعني من يقر بوحدانية المعبود وما أنزل إليكم يعني ويومن بما أنزل إليكم أيها
المومنون يعني القرآن وما أنزل إليهم يعني من الكتب المنزلة مثل التورية والانجيل والزبور
خاشعين لله يعني خاضعين له ومتواضعين له غير مستكبرين لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لأجل
الرياسة والمأكل والرشى كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود أولئك إشارة إلى من هذه
صفته من أهل الكتاب لهم أجرهم عند ربهم يعني لهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله ذلك
الثواب لهم مذخر عند الله يوفيهم إياه يوم القيامة إن الله سريع الحساب يعني أنه تعالى
عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجازي كل أحد على قدر عمله لأنه سريع
الحساب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا يعني على دينكم الذي أنتم عليه ولا تدعوه

لشدة ولا

لشدة ولا غيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من
المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة أقسام ترك الشكوى وقبول القضا وصدق الرضا وقيل في
معنى الآية اصبروا على طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على أمر
الله وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام أهل الكتاب والسنة
وصابروا يعني الكفار والأعداء وجاهدوهم ورابطوا يعني وداوموا على الجهاد للمشركين واثبتوا
عليه وأصل المرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا لقتال
الآخر ثم قيل لكل مقيم في ثغر يدفع عن من وراءه مرابط وإن لم يكن له مركب مربوط وعن سهل بن سعد
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط
أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا
وما عليها وعن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من
صيام شهر وقيامه وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان
وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال أبو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل
ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع
الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار
الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط أخرجه مسلم واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال
محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا إذا لقيتموني وقال
أهل المعاني في معنى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على
مجاهدة أعدائي واتقوا محبة سوائي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء
والضراء ورابطوا في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وقيل اصبروا على
الدنيا ومحنتها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس
اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة

آلاف وخمسمائة وأربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا أيها الناس خطاب للكافة عموما كقوله يا بني
آدم اتقوا ربكم أي احذروا أمره أن تخالفوه فيما أمركم به أو نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال
القدرة فقال تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من أصل واحد وهو آدم أبو البشر عليه السلام
وإنما أنث الوصف على لفظ النفس وإن كان المراد به الذكر جمعا كما قال الشاعر

أبوك خليفة ولدته أخرى — وأنت خليفة ذاك الكمال

إنما قال ولدته أخرى لتأنيث الخليفة وخلق منها زوجها يعني حواء وذلك أن الله تعالى لما خلق آدم عليه
السلام ألقى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند
رأسه فقال لها من أنت قالت امرأة قال لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن إلي فمال إليها وألفها لأنها خلقت
منه واختلفوا في أي وقت خلقت حواء فقال كعب الأحبار ووهب وابن إسحاق خلقت قبل دخوله الجنة
قال ابن مسعود وابن عباس إنما خلقت في الجنة بعد دخوله إياها وبث منهما يعني نشر وأظهر من آدم
وحواء رجالا كثيرا ونساء إنما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لأن حال الرجال أتم وأكمل وهذا

كالتنبيه على ان اللايق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والخمول واتقوا الله
الذي تساءلون به انما كرر الامر بالتقوى للتاكيد وانه اهل ان يتقى والتساءل بالله كقولك اسالك
بالله واحلف عليك بالله واستشفع عليك بالله والارحام قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا
الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك اسالك بالله وبالرحم وناشدتك بالله
وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم
للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحد وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم
على بعض وفي الاية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك ايضا الاحاديث
الواردة في ذلك فعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش
تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سره ان يبسط له في رزقه وينسا في اثره فليصل رحمه قوله ينسا في اثره اي يؤخر له في اجله وينسا
وعن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في رواية
قاطع رحم وعن الحسن قال من سالك بالله فاعطه ومن سالك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال
الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه
ان الله كان عليكم رقيبا يعني حافظا والرقيب في صفة الله تعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه
نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء من امر خلقه فبين بقوله ان الله كان
عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى وان كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى قوله عز وجل وآتوا
اليتامى اموالهم نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم في حجره فلما بلغ اليتيم
طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فلما سمعها
العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى
ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف ثبت
الاجر وبقي الوزر فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على ابيه والخطاب في قوله تعالى وآتوا للاولياء
والاوصياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات ابوه واليتيم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة
لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الاب لكن في العرف
اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبالغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال
عنه اسم اليتيم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتيم قال اذا اونس منه
الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم
بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ
وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو
الصحيح ان المراد باليتامى البالغين لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب يعني الخبيث الذي هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم تتبدلوا
واختلفوا في هذا التبدل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان اولياء اليتامى
ياخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء فربما كان احدهم ياخذ الشاة السمينة ويجعل
مكانها الهزيلة وياخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك
تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح في مال اليتيم وهو صغير لا علم له بذلك وقيل انه ليس
بابدال حقيقة وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء ولا
الصغار وانما كان ياخذ الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو اكل مال اليتيم عوضا عن اكل اموالهم

فنهوا عن ذلك

(١
فنهوا عن ذلك ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم يعني مع اموالكم وقيل معناه ولا تضموا اموالهم
الى اموالكم في الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن اكل مال اليتيم واراد به جميع التصرفات المهلكة
للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود انه كان حوبا كبيرا يعني ان اكل مال اليتيم بغير حق اثم افتى
عظيم والحوب الاثم قوله عز وجل وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى يعني وان خفتم يا اولياء اليتامى
ان لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب عن عروة انه سال عائشة عن قوله تعالى
وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الى قوله او ما ملكت ايمانكم فقالت يا ابن
اختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن
الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عائشة فاستفتى الناس رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل ويستفتونك في النساء الى وترغبون ان تنكحوهن فبين
الله لهم في هذه الاية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في
اكمال الصداق واذا كانت مرغوبا عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال
فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها
الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها
لاجل مالها وهي لا تعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص بها ان
تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وانزل هذه الاية وقال عكرمة في رواية عن ابن عباس كان الرجل
من قريش يتزوج العشر من النساء او اكثر فاذا صار معدما من مال نسائه مال الى مال يتيمته التي في حجره
فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم الى اخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون من اموال
اليتامى ويترخصون في النساء فيتزوجون ما شاءوا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى
في اموال اليتامى ما انزل خافوا في النساء ان لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن
لان النساء في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص الله تعالى في
نكاح اربع فقال فانكحوا ما طاب لكم من النساء يعني ما حل لكم من النساء واستدل اهل الظاهر بهذه الاية
على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا امر والامر للوجوب واجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو
بيان لما يحل من العدد في النكاح وتمسك الشافعي في بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم ان
طولا ان ينكح الى قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم الاية فحكم في هذه الصورة بان
ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع معناه
اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيها امران العدل والوصف والواو
بمعنى او في هذا الفصل لانه لما كانت او بمنزلة الواو للمنع جاز ان تكون الواو بمنزلة او وقيل ان الواو
افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتين
وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع وان اراد اكثر من اربع فانه حرام لما روي عن الحرث بن قيس
او قيس بن الحارث قال اسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اختر منهن اربعا اخرجه ابو داود وعن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وله عشر نسوة في الجاهلية
فاسلمن معه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخير منهن اربعا اخرجه الترمذي وقال العلماء يجوز
للحر ان يجمع بين اربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من اثنتين وهو قول اكثر العلماء لانه
خطاب لمن ولي وملك وذلك للاحرار دون العبيد وقال مالك في احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد
ان يتزوج باربع نسوة واستدل بهذه الاية واجاب الشافعي ان هذه الاية مختصة بالاحرار ويدل عليه
اخر الاية وهو قوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك شيئا فثبت
بذلك ان المراد من حكم الاية الاحرار دون العبيد وقوله تعالى فان خفتم فان خشيتم وقيل فان علمتم الا

لا تعدلوا يعني بين الأزواج الأربع فواحدة يعني فانكحوا واحدة أو ما ملكت أيمانكم يعني وما ملكتم
من السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن ذلك أدنى ألا تعولوا أي أقرب أن لا تعولوا
معناه أقرب من أن لا تعولوا فحذف لعدم دلالة الكلام عليه ومعنى الآية لا تعولوا أي لا تميلوا ولا تجوروا
وهو قول أكثر المفسرين وأصل العول الميل يقال عال الميزان إذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض
الله عليكم ومنه عول الفرائض إذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك أدنى أن لا تضلوا وقال
الشافعي رحمه الله معناه أن لا تكثر عيالكم وقد أنكر على الشافعي من ليس له إحاطة بلغة العرب
فقال إنما يقال من كثرة العيال أعال الرجل يعيل إعالة إذا كثر عياله قال وهذا من خطأ الشافعي
لأنه انفرد به ولم يتابع عليه أحد وإنما قال هذه المقالة من أنكر على الشافعي وخطأه من لا علم له
بلغة العرب فقد روى الأزهري في كتاب تهذيب اللغة عن الكسائي قال عال الرجل إذا افتقر وعال إذا
كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول إذا كثر عياله قال الأزهري وهذا يقوي قول الشافعي
لأن الكسائي لا يحكي عن العرب إلا ما حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لأنه عربي فصيح والذي
اعترض عليه وخطأه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري أن يعجل إلى إنكار ما لا يعرفه من لغات
العرب وهذا آخر كلام الأزهري ونص الإمام فخر الدين الرازي في هذا الموضع من تفسيره ورد على
أبي بكر الرازي ثم قال الطعن لا يصدر إلا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوي عن أبي حاتم
قال كان الشافعي أعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرأ طلحة بن مصرف أن لا
تعيلوا بضم التاء وهو حجة للشافعي وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال الكلبي وجماعة هذا
خطاب للأولياء وقال أبو صالح كان الرجل إذا زوج أيمة أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك
وقيل إن ولي المرأة إذا زوجها فإن كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها لا قليلا ولا كثيرا وإن
كان زوجها غريبا حملوها إليه على بعير ولا يعطونها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم
أن يدفعوا الحق إلى أهله وقال الحضرمي كان أولياء النساء يعطي هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته
ولا مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بتسمية المهر في العقد ق عن ابن
عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار زاد في العقد والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه
الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للأزواج وهذا أصح وهو قول الأكثرين لأن الخطاب فيما
قبل مع الناكحين وهم الأزواج أمرهم الله تعالى بأن يؤتوا نساءهم الصداق والصدقات المهور واحدها
صدقة بفتح الصاد وضم الدال نحلة يعني فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة عن طيب
نفس وإنما سميت النحلة عطية على سبيل التبرع وهو أخص من الهبة ويقال المهر نحلة من حيث أنه
لا يجب في مقابلته غير التمتع دون عوض مالي ق عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى فإن طبن يعني النساء
المتزوجات لكم يعني للأزواج عن شيء منه يعني من المهر ومن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض فلو وهبت
المرأة لزوجها جميع مهرها جاز نفسا نصب على التمييز والمعنى فإن طابت نفوسهن عن شيء من
ذلك المهر فوهبنه لكم فنقل الفعل من النفوس إلى أصحابها فخرجت النفس مفسرا
فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع فكلوه يعني ما وهبنه لكم هنيئا مريئا
يعني طيبا سائغا وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء والمريء المحمود العاقبة وفي
الآية دليل على إباحة هبة المرأة صداقها لزوجها ولا حق للولي فيه قوله تعالى ولا تؤتوا
السفهاء أموالكم اختلفوا في هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال أن يؤتوا
النساء أموالهم سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات وقيل هم الأولاد فالمعنى لا تعط ولدك
السفيه مالك الذي هو قيامك بعد الله فيفسده عليك وقيل هذا امرأتك وابنك السفيه

قال ابن عباس

قال ابن عباس لا تعمد إلى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وابنك فيكونوا
هم الذين يقومون عليك ثم تنظر إلى ما في أيديهم ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق عليهم في
رزقهم ومؤونتهم وقال الكلبي إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وأن ولده سفيه مفسد لا ينبغي
له أن يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا
تؤته إياه وأنفق عليه منه حتى يبلغ وإنما أضاف الأموال إلى الأولياء لأنهم قوامها ومدبروها وأصل
السفه الخفة واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل في الأمور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق
الحجر هو الذي يكون مبذرا في ماله ومفسدا في دينه فلا يجوز لوليه أن يدفع إليه ماله وقيل إن السفه
المذكور في هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء وإنما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم
وضعفهم عن القيام بحفظ المال وقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعني الجهال بموضع الحق أموالكم
التي جعل الله لكم قياما يعني قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس وقوام معايشهم كن
أنت قيم أهلك فأنفق عليهم ولا تؤتهم مالك امرأتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما
كان المال سببا للقيام بالمعاش سمي به من إطلاق اسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لأنه
به يقام الحج والجهاد وأعمال البر وفكاك الرقاب من النار وارزقوهم فيها أي أطعموهم واكسوهم
أي لمن يجب عليكم رزقه وكسوته وذلك لما نهى عن إيتاء المال للسفيه أمر أن يجرى رزقه وكسوته وإنما
قال وارزقوهم فيها لأنه أراد اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى العطية من غير حد ولا قطع ومعنى
الرزق من العباد هو الإجراء الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود وقولوا لهم قولا معروفا
يعني قولا جميلا لأن القول الجميل يؤثر في القلب فيزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر
والصلة قال عطاء يقول إذا ربحت أعطيتك وإن غنمت جعلت لك حظا وقيل معناه الدعاء أي ادعوا لهم
قال ابن زيد إن لم يكن ممن يجب عليك نفقته فقل له عافانا الله وإياك بارك الله فيك وقيل معناه
قولوا لهم قولا تطيب به أنفسهم وهو أن يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وأنا أمين عليه
فإذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع إطعامكم وكسوتكم إياهم
أمر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل قوله عز وجل وابتلوا اليتامى الآية نزلت في ثابت
ابن رفاعة وفي عمه وذلك أن رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال له إن ابن أخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى أدفع إليه ماله فأنزل الله هذه
الآية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم في عقولهم وأديانهم وحفظ أموالهم حتى إذا بلغوا
النكاح أي مبلغ الرجال والنساء فإن آنستم أي أبصرتم وعرفتم منهم رشدا يعني عقلا وصلاحا
في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه فصل في أحكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل المسألة الأولى
الابتلاء يختلف باختلاف أحوال اليتامى فإن كان ممن يتصرف بالبيع والشراء في الأسواق فيدفع إليه
شيئا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وإن كان ممن لا يتصرف في الأسواق فيختبر بنفقته على أهله
وعبيده وأجرائه وتصرفه في أحوال داره وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها
فإذا رأى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الأمور مرارا يغلب على الظن رشده دفع إليه ماله بعد
بلوغه ولا يدفع إليه ماله وإن كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يؤنس منه الرشد المسألة
الثانية قال أبو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز بإذن الولي صحيحة وقال الشافعي غير
صحيحة واحتج أبو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك أن قوله وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح
يقتضي أن هذا الابتلاء إنما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت
أن قوله وابتلوا اليتامى أمر للأولياء بالإذن لهم في البيع والشراء قبل البلوغ أجاب الشافعي بأن قال
ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الإذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فإن آنستم منهم رشدا

فادفعوا اليهم اموالهم وانما تدفع اليهم اموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب
هذه الاية ان لا يدفع اليه ماله حال الصغر ووجب ان لا يجوز تصرفه حال الصغر وانما المراد بالابتلاء
هو اختبار عقله واستبراء حاله في معرفة المصالح والمفاسد. المسئلة الثالثة في بيان البلوغ وذلك
يكون بخمسة اشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء فاحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة
حكم ببلوغه غلاما كان او جارية ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام احد وانا ابن اربع عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني
اخرجاه في الصحيحين وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة
سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثماني عشرة سنة والثاني الاحتلام فمتى انزل الصبي او الصبية سواء
انزل باحتلام او جماع واذا وجد ذلك في الصبي والجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال
منكم الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا واما انبات الشعر الخشن حول
الفرج فهو بلوغ على البلوغ في اولاد المشركين لما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي قريظة فكانوا
ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون علامة على البلوغ
في اولاد المسلمين فيه قولان احدهما انه يكون بلوغا كما في اولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك
بلوغا في اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد اولاد المسلمين والرجوع الى قول ابائهم
بخلاف الكفار لانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قول ابائهم لكفرهم فجعل الانبات الذي
هو امارة البلوغ بلوغا في حقهم واما اللتان يختص بهما النساء فهو الحيض والحبل فان حاضت الجارية بعد
استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع لستة اشهر
لانها اقل مدة الحمل. المسئلة الرابعة في بيان الرشد وهو ان يكون مصلحا في دينه وماله
فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة والصلاح في
المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير هو ان ينفق ماله فيما لا يكون محمدة دنيوية ولا مثوبة
اخروية او لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشراء فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ولدينه
لم يفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله في قول الشافعي وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحا
لماله فك عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسا وعشرين
سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقران حجة الشافعي في استدامة الحجر عليه لان الله تعالى
قال فان انستم منهم رشدا والفاسق لا يكون رشيدا او بعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو
مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه قبل بلوغه هذا السن. المسئلة
الخامسة اذا بلغ الصبي او الجارية وانس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج
او لم يتزوج وقال مالك اذا كانت امراة لا يدفع اليها المال حتى تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها
مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب. المسئلة السادسة اذا بلغ الصبي
رشيدا زال عنه الحجر فلو عاد سفيها نظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا في دينه
فعلى وجهين احدهما انه يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا يحجر
عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتداء وعند ابي حنيفة لا يحجر على الحر العاقل البالغ بحال
والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روي عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله بن جعفر
ابتاع ارضا سبخة بستين الف درهم فقال علي لآتين عثمان ولاحجرن عليك فاتى ابن جعفر الزبير
فاعلمه بذلك فقال الزبير انا شريكك في بيعك فاتى علي عثمان فقال احجر على هذا فقال
الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف احجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير وكان اتفاقا منهم
على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه وقوله تعالى ولا تاكلوها اسرافا الخطاب للاولياء يعني

يا معشر

ولو

بريء من نفقت بيد القاضي فيشترط
بما عسيرا او حليا ويبني به
صرانة وعلوا في المسا
فاذا طلب للتسعية بها
بغتات او نكير لم يقبل
القاضي دعواه محاسبي
عن بين السهود فلا تنفقه
عليه وتغير دعواه جالته
حسبهم ١١٧٤ اللغة

يا معشر الاولياء لا تاكلوا اموال اليتامى بغير حق وبدارا ان يكبروا يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم
فتفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبروا فيطالبوكم بتسليمها اليهم ثم بين ما يحل من مال
الاولياء وقسمهم قسمين فقال ومن كان غنيا فليستعفف اي فليمتنع اي من اكل مال اليتيم ولا يرزا
قليلا ولا كثيرا ومن كان فقيرا يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه فلياكل بالمعروف روى ابو داود
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شيء ولي
يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متاثل واختلف العلماء في حكم هذه الاية فروي عن
عمر وابن عباس وابن جبير وابي العالية وعبيدة السلماني وابي وائل ومجاهد ومقاتل انه ياخذ من مال اليتيم
على وجه القرض واختلفوا في انه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء الا اليسير وهو المراد
من قوله فلياكل بالمعروف والمعروف القرض اي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه
وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم ان استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما ياكله استعففت
كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لا ياكله الا ان يضطر اليه
كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فلياكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة
ياكل باطراف اصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه ولا يلبس الكتان ولا الحلل لكن ياكل ما يسد به الجوع
ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن ياكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه فاما الذهب
والفضة فلا ياخذ منه شيئا فان اخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة
الخادم وليس له ان ياكل من ماله شيئا وروي ان رجلا قال لابن عباس ان لي يتيما وان له ابلا افاشرب من لبن ابله
فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنا جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم وردها فاشرب
غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وقال قوم المعروف ان ياخذ من ماله بقدر قيامه واجرة عمله ولا قضاء
عليه وهو قول عائشة وجماعة من اهل العلم وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا
عليهم هذا امر ارشاد وليس بواجب امر الله تعالى الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ
لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان ابعد من ان يدعي عدم القبض
وتظهر بذلك امانة الوصي ويسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض وكفى بالله حسيبا يعني
محاسبا ومجازيا وشاهدا قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون نزلت هذه الاية في
اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراة يقال لها ام كجة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابنا عم
الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيئا من ماله وذلك
انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون
لا يعطى الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت ام كجة امراة اوس الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات اوس بن ثابت وترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة
ولم يعطياني ولا بناته منه شيئا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله هذه الاية وبين
ان الارث ليس مختصا بالرجال بل هو امر مشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعني الذكور من
اولاد الميت وعصبته نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعني من الميراث وللنساء نصيب
يعني من الاناث من اولاد الميت حظ مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر يعني من المال
المخلف عن الميت نصيبا مفروضا يعني معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو اكد من الواجب
فلما نزلت هذه الاية مجملة ولم يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيئا فان الله قد جعل لبناته نصيبا مما ترك فلما نزلت ارسل رسول الله

يوصيكم الله في اولادكم الاية

صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كجة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقي المال
قوله عز وجل وإذا حضر القسمة يعني قسمة المواريث وعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين أولوا القربى
يعني القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم فارزقوهم
منه اي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة حكم
بآية المواريث وهذا قبل نزول آية المواريث فلما نزلت المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية
وهو رواية مجاهد عن ابن عباس وهو قول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة
غير منسوخة وهي الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول ابي موسى الاشعري والحسن وابي العالية والشعبي
وعطاء ابن ابي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف العلماء بعد القول انها محكمة
هل هذا الامر وجوب او ندب على قولين احدهما واجب فقال ان كان الوارث كبيرا عليه ان يرضخ لمن حضر
القسمة شيئا من المال بقدر ما تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولي ان يعتذر اليهم ويقول
اني لا املك هذا المال وهو لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة
صغارا اعتذر اليهم فيقول الولي والوصي اني لا املك هذا المال انما هو للصغار ولو كان لي منه شيء لاعطيتكم
وان يكبروا فسيعرفون حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم ذلك حق واجب في مال الصغار والكبار
فان كانوا الورثة كبارا تولوا اعطاهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم وروى محمد بن سيرين
ان عبيدة السلماني قسم اموال ايتام فامر بشاة فذبحت وصنع طعاما لاجل هذه الآية وقال لولا هذه
الآية لكان هذا من مالي وقال الحسن والنخعي وهذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة
الارضين والرقيق وما اشبه ذلك وقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت
والاواني ورث الثياب والمتاع الذي يستحيى من قسمته والقول الثاني ان هذا الامر قربة واستحباب
لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذي عليه العمل اليوم احتجوا لهذا القول بانه لو
كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق وحيث لم يبين علمنا ان ذلك غير واجب
وقيل في معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقرباء واليتامى
والمساكين امر الله الموصي ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقولوا لهم مع ذلك قولا معروفا
وهو ان لا يتبع العطية بالمن والاذى قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا يعني اولادا صغارا خافوا عليهم يعني الفقر قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند
المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئا
قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلانا كذا حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وامرهم
بان يأمروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء اولادكم
في الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض ان يحرم اولاده الصغار من ماله وحاصل
هذا الكلام كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضاه لاخيك المسلم وكما انه لو كان هذا
القائل هو الموصي لسره ان يحثه من حضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع
ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد ان يوصي باشياء فيقول له من حضر من الرجال
اتق الله وامسك اموالك لولدك فيمنعونه من الوصية الا قليلا بما لعله خير وقيل الآية يحتمل ان تكون
خطابا لمن حضر اجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا تبقى ورثته فقراء ضعافا
ضائعين بعد موته ثم ان كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يجعل الوصية
مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها ان يوصي بالثلث او
باقل منه ان خاف على ورثته كما روي عن كثير من الصحابة انهم اوصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون
الخمس في الوصية افضل من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث
كثير

٢١٢
كثير لان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس يعني لينا لونهم باكفهم وقيل هو
خطاب لاولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد موته ان يضيع مال اليتيم الضعيف الذي هو
ذرية غيره اذا كان في حجره والمقصود من الآية من كان في حجره يتيم فليحسن اليه وليه او وصيه وليفعل به
ما يحب ان يفعل باولاده من بعده فليتقوا الله يعني في الامر الذي تقدم ذكره وليقولوا قولا سديدا يعني
عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو ان يأمروه ان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي
لولده وورثته وان لا يجحف في وصيته والقول السديد من الاوصياء واولياء اليتامى ان يكلموهم كما
يكلمون اولادهم ولا يؤذوهم بقول ولا فعل قوله عز وجل ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما قال
مقاتل وابن حيان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم ابن اخيه فاكله فانزل
الله هذه الآية ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما يعني حراما بغير حق انما يأكلون في بطونهم نارا
يعني سيأكلون يوم القيامة فسمى الذي يأكلون نارا بما يؤول اليه امرهم يوم القيامة قال السدي
يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه واذنيه وعينيه وانفه
يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم وفي حديث ابي سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة
اسري به قال نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم
يجعل في افواههم صخرا من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون اموال اليتامى انما يأكلون في
بطونهم نارا وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان اكل مال اليتيم
ظلما يفضي به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر انواع الاتلافات وجميع التصرفات
المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود
وانما ذكر البطون للتأكيد وهو كقوله رأيت بعيني وسمعت باذني وسيصلون سعيرا يعني
باكلهم اموال اليتامى ظلما والسعير النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على
الناس واحترزوا عن مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله وان
تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهو غلط ممن
توهمه لان هذه الآية واردة في المنع من اكل مال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لان اكل مال
اليتيم بغير حق من اعظم الآثام وقوله وان تخالطوهم فاخوانكم فانها واردة على سبيل الاصلاح في
اموال اليتامى والاحسان اليهم من اعظم القرب قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل
حظ الانثيين اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروي عن جابر قال مرضت فاتاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا رسول الله
كيف اصنع في مالي فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث وفي رواية اخرى حتى نزلت يوصيكم الله في اولادكم
وفي رواية اخرى فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم اخرجه البخاري ومسلم في الكلالة
وقال مقاتل والكلبي نزلت في ام كجة امرأة اوس بن ثابت وبناته وقال عطاء نزلت في سعد بن الربيع
النقيب استشهد يوم احد وترك امرأة وابنتين واخا فعن جابر رضي الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع
بابنتيها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع
قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان الا ولهما
مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال
اعط ابنتي سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فهو لك اخرجه الترمذي وقال السدي كان اهل
الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال وعبد
الرحمن اخو حسان الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجاءت الورثة واخذوا ماله فشكت امرأته الى النبي

صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية الكريمة وقبل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة نقدم فصولا
تتضمن احكام الفرائض واصولها وفروعها **فصل** في الحث على تعليم الفرائض اعلم ان علم الفرائض من
اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهو ركن من اركان الشريعة وفرع من فروع وعماد الحقيقة
اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في فروعها واصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل
تولى قسمتها بنفسه وانزلها في كتابه مبينة في محل فرضه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليها فيما رواه ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس
فاني مقبوض اخرجه الترمذي وقال فيه اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مقبوض والعلم
مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان في الفريضة فلا يجدان احدا يخبرهما وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها الناس فانه نصف العلم وهو اول علم ينسى وهو اول شيء
ينزع من امتي اخرجه ابن ماجة والدارقطني **فصل** في بيان احكام الفرائض اذا مات الميت وله مال
فيبدأ بتجهيزه من ماله ثم يقضى دينه ان كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله
يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء
كان لاب وام او لاب او لام وابن الاخ للاب والام او للاب وان سفل والعم للاب والام او للاب وابناهما
وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة
وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة منهم لا يحجبهم حجب الحرمان بالغير وهم
الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف
يرث بالفرض المجرد وهم الزوجات والبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام وصنف
يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرث بالتعصيب تارة
وبالفرض اخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد وان كان له ابن فرض للاب ورث
بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض واخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم
لمن ياخذ جميع المال اذا انفرد او ياخذ ما فضل عن اصحاب الفروض **فصل** واسباب الارث ثلاثة
نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان يرث احد الزوجين من صاحبه
لسبب النكاح والولاء المعتق وعصابته يرثون المعتق والاسباب التي تمنع الميراث اربعة
اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا المسلم يرث الكافر لما روي عن اسامة بن زيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه في الصحيحين واما الكفار
فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب بعضهم الى ان
اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني من المجوسي
والى هذا ذهب الزهري والاوزاعي واحمد واسحاق لما روي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يتوارث اهل ملتين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث اهل ملتين شتى اخرجه ابو داود وحمله الآخرون على الاسلام
والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فيتوارث بعضهم من بعض ولا يكون فيه اثبات التوارث بين
ملتين شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق لا ملك له ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان او
خطأ لما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند اهل العلم ان القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا او خطأ وقال
بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين
وذلك بان غرقا او انهدم عليهما بناء فلم يدر ايهما سبق موته فلا يرث احدهما الآخر بل يكون
كل واحد منهما لمن كان حيا من ورثته **فصل** والسهام المحدودة في الفرائض

المذكورة

٢١٤

المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض
خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض
الاخت الواحدة للاب والام اذا لم يكن ولد لاب وام والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة
مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا او لبنات الابن عند عدم ولد او للاب
الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت
ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسئلتين احدهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما
ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام ذكورهم واناثهم فيه
سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث خيرا للجد من المقاسمة
مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ابن
او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان
السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من اولاد الام ذكرا كان او انثى
وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين
ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى رجل ذكر
خ عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين
وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمراة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع **فصل**
روي عن زيد بن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهم ابن ذكورهم كذكورهم واناثهم
كاناثهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن
ذكر كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقي لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي
فلاولى رجل ذكر وفي هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان
وحجب حرمان اما الاول فهو حجب النقصان فحجب الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع
والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان فصاعدا من الاخوة والاخوات يحجبون
الام من الثلث الى السدس واما الثاني وهو حجب الحرمان فحجب الام تسقط الجدات واولاد
الام وهم الاخوة للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب
والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن الابن وان سفل ولا يسقطون
بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي
واحمد واولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة يسقطون
جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابي الدرداء وعائشة
وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وابو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم الابن ثم
ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام او للاب
يشتركان في الميراث فان لم يكن جد فالاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم سواء
كان للاب والام او للاب فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى ثم العم لاب وام ثم لاب ثم بنوهم
على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على هذا الترتيب فان لم يكن احد من عصبات النسب
وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث
الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت او عن اخ واخت للاب والام يكون المال
بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا فرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث
ومن فوقه اذا لم ياخذن من الثلثين شيئا حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن وابن ابن فللبنتين الثلثان ولا شيء لبنت
الابن فان كان في درجتها ابن ابن او اسفل منها ابن ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين

والاخت للاب والام او للاب تكون مع البنت عصبة حتى لو مات عن بنت واخت كان للبنت النصف والباقي
وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين واخت كان للبنتين الثلثان والباقي للاخت ويدل على ذلك ما روي عن
هزيل بن شرحبيل قال سئل ابو موسى عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للبنت النصف وللاخت النصف وائت
ابن مسعود فسيتابعني فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابي موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت اذا وما انا من
المهتدين اقضي فيها بما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للبنت النصف ولابنة الابن السدس تكملة
الثلثين وما بقي فللاخت فاخبر ابو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم اخرجه
البخاري واما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويفرض عليكم في اولادكم يعني في امر اولادكم
اذا متم والوصية من الله ايجاب وانما بدا الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده اشد
من تعلقه بغيره ولهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعني ان الولد الذكر له من الميراث
ضعفي سهام الانثى وللانثى سهم فلو خلف مع الاولاد غيرهم من الورثة من اهل الفروض كالابوين
اخذوا فروضهم وما بقي للاولاد للذكر مثل حظ الانثيين فان كن يعني المتروكات من الاولاد يقتسم الثلثين
نساء فوق اثنتين يعني بنتين فصاعدا فلهن ثلثا ما ترك واجمعت الامة على ان للبنتين الثلثين الا ما روي عن ابن
عباس انه جعل لهما حكم الواحدة وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على اثنتين وعنده ان فرض البنتين النصف كفرض الواحدة واجيب
عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور احدها الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها
النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثاني ان في الآية
تقديما وتاخيرا التقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق
ها هنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا الاعناق وانما
سمى الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة بدليل قوله فقد صغت قلوبكما الوجه
الرابع قال علماء الجمهور انما اعطينا البنتين الثلثين ثابتا بدليل القرآن لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة
النصف بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك
ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما
جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتي سعد بن الربيع وهو نص واضح في المسألة وقوله تعالى وان كانت
واحدة يعني البنت واحدة فلها النصف يعني فرضا لها ولابويه يعني ابوي الميت كناية عن
غير مذكور وهما والده ووالدته لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد يعني ان للاب وللام
مع وجود الولد وولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان لفظ الولد يقع على الذكر والانثى
فاذا مات الميت وترك ابوين وولدا ذكرا كان او اكثر وترك بنتا فان للام السدس بالفرض
وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنتين له السدس بالتعصيب وهو الباقي من التركة
وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب فان لم يكن له ولد يعني للميت وورثه
ابواه فلامه الثلث يعني ان الميت اذا مات عن ابوين وليس له وارث سواهما فان للام ثلث
الثلث بالفرض ويأخذ الاب باقي المال بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل
حظ الانثيين فان كان مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج او الزوجة
فان كان له اخوة يعني للميت ذكورا واناثا فلامه السدس يعني لام الميت سدس التركة
اذا كان معها ابو واجمع العلماء على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد او الاخت
الواحدة لا يحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا في الاخوين فالاكثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين
يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس

لا تحجب

لا تحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة فقال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يردان الام
من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان
يا بني ان قومك حجبوها باخوين ولا استطيع نقض امر كان قبلي وانما نشأ هذا الاختلاف لانهم اختلفوا
في اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول ابي بكر الباقلاني ووجه هذا القول انك اذا جمعت
واحدا الى واحد فهما جماعة لان اصل الجمع ضم شيء الى شيء وقال ابن الانباري التثنية عند العرب اول الجمع
ومشهور في كلامهم ايقاع الجمع على التثنية من ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان ومنه
قوله تعالى فقد صغت قلوبكما والقول الثاني ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح
انما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين مجازا وذلك
جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيئا البتة بل يأخذ
الاب الباقي كرجل مات عن ابوين واخوين فان للام السدس والباقي وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفريضة
والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب شيئا معونة للاب لانه يقوم
بشانهم وينفق عليهم دون الام من بعد وصية يوصي بها او دين يعني ان هذه الانصبة والسهام انما
تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظة لا في الحكم
لان لفظة او لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين كانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الاخر قال
علي رضي الله عنه انكم تقرؤون الوصية قبل الدين وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية
وهذا اجماع ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما
مقدمان على حق الورثة قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
قيل هذا الكلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى
الآية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فاطوعكم
لله من الاباء والابناء ارفعكم درجة فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله ولده وان كان الولد ارفع
درجة من الوالد رفع الله اليه والده لتقر بذلك اعينهم فقال لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
لان احدهم لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وشفاعته الى منزلة عالية تكون سببا لرفعته اليها
وقيل ان هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول اباؤكم وابناؤكم يعني الذين
يرثونكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن
ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من يظن ان الابن انفع له فيكون الاب انفع له وانا الله تعالى
هو العالم بمن هو انفع لكم على ما فيه المصلحة فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون
من لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث فريضة من الله يعني ما قدر من
المواريث لاهلها فريضة واجبة ان الله كان عليما حكيما يعني كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما
فيما قدر من الفرائض وغيرها من الاحكام وقيل معناه عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حيث فرض للصغار
مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها
ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثاني يحكي الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم
لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا قيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم الثالث
قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها
الزوال والتغير قوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم
الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى في
ميراث الزوجات من الازواج ولهن يعني للزوجات الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم
ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين لما جعل الله في الموجب النسبي حظ

الاثنين جعل الله في الموجب النصيبي للرجل مثل حظ الانثيين واعلم ان الواحدة من النساء لها الربع او الثمن
وكذلك لو كن اربع زوجات فانهن يشتركن في الربع او الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا
فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك سواء كان الولد للرجل من الزوجة او من غيرها قوله تعالى
وان كان رجل يورث كلالة او امرأة تقديره الآية وان كان رجل او امرأة يورث كلالة واختلفوا في
الكلالة فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له ولا والد وروى الشعبي قال سئل ابو بكر الصديق
عن الكلالة فقال سأقول فيها قولا برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان اراه
ما خلا الولد والوالد فلما استخلف عمر قال اني لاستحيي الله ان ارد شيئا قاله ابو بكر وهذا قول
علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى الروايتين عن ابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار
وبيان صحته اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت
القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة في اصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل
لاحاطته بالرأس فمن عدا الولد والوالد من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان
اما قسمة الولادة فليست كذلك لان فيها تفرع البعض عن البعض وتولد البعض عن البعض فهو كالشيء
الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات
والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل لنسبهم اتصال واحاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك
ان الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد
له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس
له ولد وبيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له
يوم نزولها اب ولا ابن لان اباه قتل يوم احد وآية الكلالة نزلت في آخر السورة لمن واهاها فيه واختلفوا
في ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن
عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عموده لنسبه وقيل هو اسم للحي من الورثة وهو قول ابي بكر
الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من عدا الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر
انما ترثني كلالة اي لم يكن لي ولد ولا والد فكان المراد بالكلالة الميت الموروث والمراد
ورثته غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلالة الحي
والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وقال ابو الخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال
الا تعجبون من هذا يسألني عن الكلالة وما اعضل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شيء ما اعضلت
بهم الكلالة وعن عمر قال ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن
عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا وهذا الحرف حديث ذكر في الخمر وعن معدان بن
ابي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيئا اهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة وما اغلظ لي في شيء ما اغلظ لي في الكلالة
حتى طعن باصبعه في صدري وقال يا عمر الا يكفيك آية الصيف التي في آخر النساء واني ان اعش
اقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن اخرجه مسلم قوله الا يكفيك آية
الصيف اراد ان الله تعالى انزل في الكلالة آيتين احداهما في الشتاء وهي التي في اول سورة النساء والآية
الاخرى في الصيف وهي التي في آخر السورة وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك احاله عليها
وقوله تعالى وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس اراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلماء
وقرأ سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلالة
او امرأة ثم قال تعالى وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه قلت هذا على عادة العرب
فانهم اذا ذكروا اسمين ثم اخبروا عنهما وكانا في الحكم سواء ربما اضافوا احدهما الى الآخر وربما

وهذا يورث بالكلالة

اضافوا اليهما

اضافوا اليهما وربما افردوا احدهما كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة فقال تعالى وانها لكبيرة وقال الفراء اذا جاء حرفان
بمعنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد ويجوز اسناده اليهما ايضا فان كانوا اكثر من ذلك فهم
شركاء في الثلث وهذا اجماع العلماء ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكورهم
واناثهم فيه سواء قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان الآية التي انزل الله في اول سورة النساء
من شأن الفرائض انزلها في الولد والوالد والام والآية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام
والآية الثالثة التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله وقوله تعالى من بعد وصية يوصى بها او دين تقدم تفسيره وبقي شيء من الاحكام نذكرها هنا
وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال او ببعضه وفي معنى الآية ما روي عن نافع
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء
يريد ان يوصي به ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت
عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا
وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في الصحيحين فهذه الآية والحديث يدلان على اطلاق الوصية
لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في
حديث سعد بن ابي وقاص الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة
يتكففون الناس اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز باكثر من الثلث وان النقصان
عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما روي عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الا ان الله عز وجل اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش
وللعاهر الحجر اخرجه الترمذي والنسائي وعن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه ابو داود وقوله تعالى غير مضار يعني غير
مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصي باكثر من الثلث وقيل هو ان
يوصي بدين ليس عليه او يقر بماله او اكثر ماله لاجنبي ويترك ورثته عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل والمرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران
في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو هريرة من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز
العظيم اخرجه ابو داود والترمذي وقال قتادة كره الله تعالى الضرار في الحياة وعند الموت ونهى
عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكبائر واعلم ان الاولى للانسان ان ينظر عند
الموت في قدر ما يخلفه من المال ومن يخلفه من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا
وفي الورثة كثرة فالاولى له ان لا يوصي بشيء لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص انك ان
تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان في المال كثرة اوصى بحسب المال
وبحسب الورثة وحاجتهم بعده في القلة والكثرة وقوله تعالى وصية من الله اي فريضة من الله
وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم والله عليم يعني انه تعالى عالم بمصالح
عباده وبمضارهم وبما فرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجور في وصيته وبمن لا يجور حليم
يعني انه تعالى ذو حلم وذو اناة في ترك العقوبة عمن جار في وصيته وقال ابو سليمان الخطابي الحليم
ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة
المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله عز وجل تلك حدود الله يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في
هذه السورة من مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرائع كالحدود
المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرائضه ومن يطع
الله ورسوله يعني في قسمة المواريث ورضي بما قسم الله وحكم عليه يدخله جنات تجري من

ربه

تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله يعني في شان الموا
ولم يرض بقسمة الله ورسوله ويتعد حدوده يعني ويتجاوز ما امر الله تعالى به يدخله نارا خالدا
فيها وله عذاب مهين فان قلت كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الآية وهل فيها دليل
للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من اهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية
هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس في معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله
يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا اذا ثبت ذلك فمن
رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك وان كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا
لم يتب قبل موته واذا مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الآية للمعتزلة
والله اعلم قوله تعالى واللاتي جمع التي وهي كلمة يخبر بها عن المونث خاصة يأتين الفاحشة يعني
يفعلن الفاحشة يقال اتيت امرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة وقيل
الفاحشة عبارة عن كل فعل او قول تعظم قبحه في النفوس ويفحش ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية
في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفروج الحرام وكذلك اجمعوا على ان الفاحشة هاهنا هي الزنى
وانما سمي الزنى فاحشة لزيادة قبحه من نسائكم قيل هن المزوجات وقيل المراد به جنس النساء
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم يعني من المسلمين وهذا خطاب للازواج اي اطلبوا اربعة من
الشهود يشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام اي لتسمعوا شهادة اربعة عليهن ويشترط
في هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة سترا يستركم
به دون فواحشكم فان شهدوا يعني الشهود بالزنى فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن في البيوت
والحكمة في حبسهن ان المراة انما تقع في الزنى عند الخروج والبروز الى الرجال فاذا حبست في البيت
لم تقدر على الزنى حتى يتوفاهن الموت يعني يتوفاهن ملك الموت عند انقضاء اجالهن او يجعل
الله لهن سبيلا وهذا الحكم كان في اول الاسلام قبل نزول الحدود كانت المراة اذا زنت حبست في
البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا عن عبادة بن الصامت كان نبي الله
صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه فانزل الله عليه ذات يوم فلقي
كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة
والثيب بالثيب جلد مائة والرجم فصل اتفق العلماء على ان هذه الآية منسوخة ثم
اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى ان ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وعلى هذا
مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم الى ان الآية منسوخة بآية الجلد التي في سورة
النور وقيل ان الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وقال ابو سليمان الخطابي
لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك ان قوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن
الموت او يجعل الله لهن سبيلا يدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا
وان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا
الحديث صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا انه ناسخ لها واجمع العلماء على جلد البكر
الزاني مائة ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه اربعة اوصاف البلوغ والعقل والحرية والاصابة
في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب مع الرجم فذهب طائفة الى انه يجب الجمع
بينهما وبه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن واسحاق بن راهويه وداود واهل الظاهر
وروي عن علي بن ابي طالب انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال
جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلماء
الواجب على المحصن الزاني الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم

يجلدهما

الى
ولم يجلدهما واما تغريب البكر الزاني ونفيه سنة فمذهب الشافعي وجماهير العلماء وجوب ذلك وقال
ابو حنيفة وحماد لا يغرب بالنفي اصلا الا ان يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي على النساء
ويروى مثله عن علي قال لان المراة عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض لها للفتنة وحجة الشافعي
وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة
ونفي سنة وروى نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب
وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزاني عبدا فعليه خمسون وفي تغريبه قولان فان قلنا انه يغرب ففيه
قولان احدهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزاني مجنونا او غير بالغ فلا جلد عليه
قوله تعالى واللذان فهو تثنية الذي يأتيانها يعني يأتيان الفاحشة منكم يعني من رجالكم ونسائكم
وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين في الآية الاولى وقيل المراد بمن ذكر في الاولى
النساء وهذه للرجال لان الله تعالى حكم في الآية الاولى بالحبس في البيت انقطعت مادة المعصية واما
الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لانه يحتاج الى الخروج في صلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعل
عقوبة الرجل الزاني الاذية بالقول والفعل فآذوهما يعني عيروهما بالقول واللسان وهو ان يقال لهما
اما خفتما الله اما استحييتما من الله حين زنيتما وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية
عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال فان تابا يعني من الفاحشة واصلحا
يعني العمل فيما بقي فاعرضوا عنهما اي اتركوهما ولا تؤذوهما ان الله كان توابا رحيما يعني انه تعالى
يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب عليه وهذا الحكم كان في ابتداء الاسلام كان حد
الزاني بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالآية
التي في سورة النور وهو قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد احصن
وسواء في هذا الحكم المسلم والذمي لانه ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين
زنيا وكانا قد احصنا وقال ابو حنيفة لا رجم على الذمي لان المشرك ليس بمحصن واجيب عنه
بان المراد بهذا الاحصان احصان العقاب لا احصان العرض قوله تعالى انما التوبة على الله يعني التوبة
التي يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من اي من الله وقال اهل المعاني ان الله تعالى
وعد بقبول التوبة من المؤمنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله بشيء انجز ميعاده
وصدق فيه فمعنى قوله على الله اي اوجبه على نفسه من غير ايجاب احد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد للذين
يعملون السوء يعني الذنوب والمعاصي وسميت سوءا لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها بجهالة
قال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل شيء عصي الله به فهو جهالة
عمدا كان او غيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته
عمل السوء فكل من عصى الله سمي جاهلا لانه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم
يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتي الانسان بالذنب مع العلم بانه
ذنب الا انه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون
من قريب يعني يتوبون بعد الاقلاع من الذنب بزمان قريب لئلا يقع في زمرة المصرين وقيل القريب
ان يتوب في صحته قبل مرض موته وقيل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة احوال
الموت وانما سميت مدة العمر قريبة لان كل ما هو آت قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال
فهو قليل وان الانسان يتوقع في كل ساعة نزول الموت به عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي الغرغرة ان يجعل المشروب

في جسم المريض فيتردد في الحلق ولا يصل إليه وذلك عند بلوغ الروح إلى الحلقوم وروى
البغوي بسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الشيطان قال وعزتك يا رب
لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالي وارتفاعي
في مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني وقيل في معنى الآية أن القريب هو أن يتوب الإنسان وقيل أن
يتبع السيئة بحسنة فيمحوها فأولئك يتوب الله عليهم يعني يقبل توبتهم وكان الله عليما
حكيما قال ابن عباس علم ما في قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم لهم بالتوبة قبل الموت
ولو بفواق ناقة وقيل في معنى الآية علم أنه إنما أتى تلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة
عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وأناب عن قريب قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون
السيئات قال ابن عباس يريد الشرك وقال أبو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال
سفيان الثوري هم المسلمون ألا ترى أنه قال ولا الذين يموتون وهم كفار حتى إذا حضر أحدهم
الموت يعني وقع في النزع وعاين ملك الموت وهو حالة السوق حين تشخص الروح للخروج من
جسده قال إني تبت الآن قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها
مشاهدة الأحوال التي لا يمكن معها الرجوع إلى الدنيا بحال ولذلك لم يقبل توبة فرعون ولا إيمانه
وهو قوله تعالى حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين
الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك قوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا
بأسنا فلهذا تمسك من تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا أخبر الله تعالى أن عصاة المؤمنين إذا أخروا
أمرهم إلى الغضاء أنهم حصلوا عذاب الآخرة مع الكفار لأن الله تعالى جمعهم في قوله أولئك أعتدنا
لهم عذابا أليما وأيضا أنه تعالى أخبر أنه لا توبة لهم عند معاينة الموت وأسبابه قلنا ليس الأمر
على ما زعموا فقد روي عن ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات يريد الشرك وقال
سعيد بن جبير نزلت الآية الأولى في المؤمنين يعني قوله إنما التوبة على الله والوسطى في المنافقين
يعني قوله وليست التوبة والأخرى في الكافرين يعني قوله ولا الذين يموتون وهم كفار وإذا كانت
الآية نازلة في المنافقين والكفار فلا وجه لحملها على المؤمنين وعلى تقدير أن تكون الآية
نازلة في عصاة المؤمنين فقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات
الآية ثم أنزل الله بعد ذلك إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله
المغفرة على من مات وهو كافر وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى
هذا القول تكون الآية منسوخة في حق المؤمنين ونزل قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار معناه
أن التوبة للكفار إذا ماتوا على كفرهم وأنها لا تقبل لو تابوا في الآخرة لزوال التكليف في الآخرة
ومعاينة ما وعدوا به من العقاب أولئك أعتدنا لهم أي هيأنا لهم عذابا أليما قوله عز وجل
يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها نزلت في أهل المدينة وذلك أنهم
كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من
أولي عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة أو على خبائها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فإن
شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها شا
وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثته من الميت أو تموت
هي فيرثها فإذا ذهبت إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ثوبه فهي أحق بنفسها وكانوا
على ذلك حتى توفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية
فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن أبي قيس فطرح ثوبه عليها فورث
نكاحها ثم تركها فلم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه بمالها فأتت كبيشة إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي
ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى يأتي أمر الله فيك فأنزل الله عز وجل يا أيها
الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يعني ميراث نكاح النساء وقيل معناه أن ترثوا أموالهن
كرها يعني وهن كارهات ولا تعضلوهن أي ولا تمنعوهن من الأزواج وأصل العضل المنع لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن يعني لتضجر فتفتدي ببعض مالها قيل هو خطاب للأزواج قال ابن عباس هو في
الرجل تكون له امرأة وهو كاره لها ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد ما ساق إليها
من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يطلقها ثم يضارها بذلك فنهوا
عن ذلك وقيل هو خطاب لأولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى إلا أن يأتين بفاحشة
مبينة يعني فحينئذ يحل لكم إضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هو النشوز
وسوء الخلق وأذاء الزوج أن يسألها الخلع وقيل كانت المرأة إذا أصابت فاحشة أخذ منها زوجها
ما ساق إليها وأخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود وعاشروهن بالمعروف قيل هو راجع للكلام
الذي قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو
الإجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو أن تصنع لها كما تحب أن تصنع لك فإن كرهتموهن فإن
كرهتم عشرتهن وصحبتهن واخترتم فراقهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال
ابن عباس ربما رزق منها ولدا فجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة
رغبة وفي الآية ندب إلى إمساك المرأة مع الكراهية لها لأنه إذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا
للثواب وأنفق عليها وأحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى
الآية إنكم إن كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا وذلك بأن تخلص
من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره خيرا منه وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج الخطاب
للرجال والمراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله في الآية الأولى مضارة الزوجات إذا أتين
بفاحشة وهي إما النشوز أو الزنى بين في هذه الآية تحريم المضارة إن لم يكن من قبلها نشوز ولا زنى
ونهى عن بخس الرجل حق المرأة إذا أراد طلاقها واستبدال غيرها وآتيتم إحداهن قنطارا يعني وإن
كان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الآية دليل على جواز المغالاة في المهور وروي عن عمر قال على المنبر ألا لا تغالوا
في مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنعنا وتلت هذه الآية فقال كل الناس
أفقه منك يا عمر وفي رواية امرأة أصابت وأمير أخطأ ورجع عن كراهة المغالاة وفي نقل إلا الناس
في صدقات النساء حتى بلغوا الألوف وقيل إن خير المهور أيسرها وأسهلها فلا تأخذوا منه شيئا
يعني من القنطار الذي آتيتموهن لو جعلتم ذلك القنطار لهن صداقا فلا تأخذوا منه شيئا وذلك أن سوء
العشرة إما أن يكون من قبل الزوج أو من قبل الزوجة فإن كان من قبل الزوج وأراد طلاق المرأة فلا يحل له أن
يأخذ شيئا من صداقها وإن كان النشوز من قبل المرأة حل له ذلك أتأخذونه استفهام بمعنى التوبيخ
بهتانا يعني ظلما وقيل باطلا وإثما مبينا يعني أتأخذونه [illegible] فلا تفعلوا مثل هذا
الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل ثم قال تعالى وكيف تأخذونه كلمة تعجب والمعنى لأي وجه
تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل أن يسترد شيئا بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل هو استفهام
معناه التوبيخ والتعظيم لأخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب مع ذلك فقال تعالى وقد أفضى بعضكم إلى
بعض أصل الإفضاء في اللغة الوصول يقال أفضى إليه أي وصل إليه ثم للمفسرين في هذه الآية قولان أحدهما
أنه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي
لأن عنده أن الزوج إذا طلق قبل المسيس فله أن يرجع بنصف المهر وإن خلا بها والقول الثاني في معنى
الإفضاء هو أن يخلو بها وإن لم يجامعها وقال الكلبي الإفضاء أن يكونا معا في لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها

وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب ابي حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر **واخذن**
منكم ميثاقا غليظا قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال
من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل هي كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهي الكلمة التي
يستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله في النساء
فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله قوله تعالى **ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم**
من النساء قال المفسرون كان اهل الجاهلية يتزوجون ازواج ابائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الاية
وروي انه لما توفي ابو قيس وكان من صالحي الانصار خطب ابنه قيس امراة ابيه فقالت اني اتخذك ولدا
وانت من صالحي قومك ولكن ائتي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستامره فاتته فاخبرته فانزل الله
عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء **الا ما قد سلف** الا ما مضى في الجاهلية قبل نزول التحريم فانه
معفو عنه **انه كان فاحشة** انما سماه فاحشة لان زوجة الاب في منزلة الام ونكاح الامهات حرام
فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصي **ومقتا** يعني انه يورث المقت من الله
وهو اشد البغض وغاية الخزي والخسارة **وساء سبيلا** اي وبئس ذلك طريقا لانه يؤدي الى مقت
الله والعرب تسمي ولد الرجل من امراة ابيه مقتيا وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط بن ابي
عمرو بن امية روى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال مر بي خالي ومعه لواء فقلت اين تذهب قال
بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه اتيه براسه قوله عز وجل **حرمت**
عليكم امهاتكم بين الله عز وجل في هذه الاية المحرمات من النساء والحرمة اما بسبب او نسب
خ عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرا حرمت عليكم امهاتكم الاية وجملة
المحرمات من النساء بنص الكتاب اربعة عشر صنفا فاما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم امهاتكم
جمع ام واصل امهات امات وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امراة
رجع النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او درجات وهن جميع الجدات وان علون فيحرم
نكاح الام وجميع الجدات **وبناتكم** البنت عبارة عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او
درجات باناث كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن **واخواتكم** جمع اخت وهي عبارة عن كل
امراة شاركتك في اصلك فيدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات من الام
وخالاتكم جمع خالة وهي كل امراة شاركت الام في اصلها فيدخل فيهن جميع اخوات الام واخوات
امهاتها وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضا وهي اخت ام الاب **وبنات الاخ وبنات الاخت**
وهي عبارة عن كل امراة لاخيك او لاختك عليها ولادة فيرجع نسبها الى الاخ او الاخت فيدخل
فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلت فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص
الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله وفصول اول اصوله واول فصل من كل اصل بعده اصل
من العمات والخالات وان علون قال الحكماء كل امراة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم محرمة مؤبدة
لا تحل بوجه من الوجوه الصنف الثاني المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثاني المحرمات بالرضاع
وذلك في قوله تعالى **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** كل انثى انتسبت
اليها باللبن فهي امك وبنتها اختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع
الفصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ما روي عن عائشة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة اخرجاه في الصحيحين وعن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة انها لا تحل لي يحرم من الرضاع ما يحرم
من النسب وانها بنت اخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة
وانما سمى الله المرضعات امهات لاجل الحرمة فيحرم نكاحها ويحل له النظر والخلوة بها والسفر

معها ولا

[هامش: وعماتكم جمع عمة وهي كل امراة شاركت الاب في اصله [illegible] فيدخل فيه جميع اخوات الاب واخوات الاجداد]

٢١٩

معها ولا يترتب عليه جميع احكام الامومة من كل وجه فلا يتوارثان ولا يجب على كل واحد منهما نفقة الاخر
وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان يكون ارضاع الصبي في حال الصغر
وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله
في عامين عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء في
الثدي وكان قبل الفطام اخرجه الترمذي عن ابن مسعود لا رضاع الا ما كان في الحولين اخرجه مالك في الموطا
بالطول من هذا واخرجه ابو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما انشز العظم وقال ابو
حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على اقل مدة الحمل
واكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل لا تدخل فيه واقله ستة اشهر الشرط الثاني ان يوجد خمس رضعات
متفرقات فقد روي ذلك عن عائشة وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعي ويدل على ذلك ما روي
عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم المصة ولا المصتان اخرجه مسلم م عن ام الفضل ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفي رواية ان رجلا من بني عامر بن صعصعة قال
يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة فقال لا م عن عائشة قالت كان فيما انزل من القران عشر رضعات
معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرا من
القران يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا لا يتلى وهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه
وذهب جمهور العلماء الى ان قليل الرضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن
المسيب واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وابو حنيفة واحمد في احدى الروايتين عنه
والرواية الاخرى كمذهب الشافعي واحتج من ذهب مذهب الجمهور بمطلق الاية لانه عمل بعموم القران وهذا
حديث ولم يذكر عددا واجاب الشافعي ومن وافقه في هذه المسالة بان السنة مبينة للقران ومفسرة له
وقوله تعالى **وامهات نسائكم** يعني اذا تزوج الرجل بامراة حرمت عليه امهاتها الاصلية وجميع جداتها
من قبل الاب والام كما في النسب والرضاع ايضا وهو مذهب اكثر الصحابة وجميع التابعين واكثر العلماء ان من تزوج
امراة حرمت عليه امها بنفس العقد سواء دخل بها او لم يدخل وذهب جمع من الصحابة الى ان ام المراة انما
تحرم بالدخول بابنتها وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن
عباس والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل نكح امراة فلا يحل له نكاح ابنتها
وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وايما رجل نكح امراة فلا يحل له ان ينكح امها دخل بها او لم يدخل اخرجه
الترمذي وقوله تعالى **وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا**
دخلتم بهن فلا جناح عليكم الربائب جمع ربيبة وهي بنت المراة من رجل اخر سميت ربيبة
لتربيتها في حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لا بنفس العقد فيحرم على الرجل بنات امراته
وبنات اولادها وان سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فان فارق زوجته قبل الدخول بها
او ماتت قبل دخوله بها جاز له ان يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج امها لان الله تعالى اطلق تحريم الامهات انما
وعلق تحريم البنات بالدخول بالام وقوله تعالى **وحلائل ابنائكم** يعني ازواج ابنائكم واحدتها حليلة
والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لان كل واحد منهما يحل حيث يحل صاحبه
في ازار واحد وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بمعنى الحل وجملته انه يحرم على الرجل ازواج
ابنائه وابناء اولاده وان سفلوا من النسب والرضاعة وذلك بنفس العقد **الذين من اصلابكم**
انما قال من اصلابكم احترازا من المتبنى ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه لانه كان
في صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال الله تعالى ادعوهم لابائهم وتزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فانزل الله

تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم وقال تعالى لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم وقوله تعالى وان
تجمعوا بين الاختين يعني لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في نكاح واحد سواء كانت الاخوة بينهما
بنسب او رضاع والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة اوجه احدها انه يجمع بينهما بعقد واحد فهذا
العقد فاسد لا يصح فلو تزوج احدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فهاهنا يحكم ببطلان نكاح الاخرى
الثانية فلو طلق الاولى طلاقا بائنا جاز له نكاح اختها الوجه الثاني في صور الجمع بين الاختين وهو
ان يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز ان يجمع بينهما في الوطء فاذا وطئ احداهما حرمت الثانية حتى يحرم
الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين وهو ان يتزوج احداهما
ويشتري الاخرى فيملكها بملك اليمين فقد ذهب بعض العلماء الى انه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه
الاية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وقد ذهب بعضهم الى
جوازه والقول الاول اصح واولى لما روى قبيصة بن ذويب ان رجلا سال عثمان عن اختين مملوكتين لرجل
هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما اية وحرمتهما اية واما انا فلا احب ان اصنع ذلك فخرج من عنده
فلقي رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله عنه فقال اما انا فلو كان لي من الامر شيء
ثم اجد احدا فعل ذلك الا جعلته نكالا قال ابن شهاب اراه علي بن ابي طالب قال مالك انه بلغه عن
الزبير بن العوام مثل ذلك اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى الا ما قد سلف يعني لكن ما قد مضى
فانه معفو عنه بدليل قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما وقيل ان ما بعد هذا الاستثناء ان انكحة
الكفار صحيحة فلو اسلم عن اختين قيل له اختر ايتهما شئت وفارق الاخرى لما روي عن الضحاك بن فيروز
عن ابيه قال قلت يا رسول الله اني اسلمت وتحتي اختان فقال طلق ايتهما شئت اخرجه ابو داود وفرع
يتعلق بحكم الاية الاولى لا يجوز الجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها اخرجاه في الصحيحين
قال بعض العلماء في حد ما يحرم الجمع كل امراتين بينهما قرابة او لبن لو كان ذلك بينك وبين المراة
لم يجز نكاحها لم يجز لك الجمع بينهما الفرع الثاني المحرمات بالنسب سبعة اصناف ذكرت في الاية نسقا
والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ما تقدم ذكره وصنف
يحرم بالمصاهرة وهن ام المراة وحليلة الابن وزوجة الاب وقد تقدم ذكره في قوله ولا تنكحوا ما نكح
اباؤكم من النساء الاية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين الفرع الثالث التحريم
الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنى بامراة لم تحرم عليه امها وابنتها ولو اراد ان
يتزوج بهن وكذلك لا يحرم الزنى بها على اب الزاني ولا ابنائه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح او بنكاح
فاسد يجب لها به الصداق ويجب عليها العدة وتلحق بالولد وهذا قول علي وابن عباس قال سعيد
ابن المسيب وعروة بن الزبير والزهري واليه ذهب مالك والشافعي وفقهاء الحجاز وذهب قوم الى ان
الزنى يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمران بن حصين وابي هريرة وبه قال جابر بن زيد
والحسن واهل العراق ولو لمس امراة اجنبية بشهوة او قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في
اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس امراة بشهوة هل يجعل كالوطء في تحريم الربيبة فيه قولان
اصحهما انه يثبت به حرمة المصاهرة وهو قول اكثر اهل العلم والثاني لا يثبت به كما لا يثبت
بالنظر بشهوة قوله تعالى والمحصنات يعني حرمت المحصنات من النساء واصل الاحصان في اللغة
المنع والاحصان بالفتح المراة العفيفة ويطلق الاحصان على المراة ذات الزوج والحرة العفيفة والمراة
المسلمة والمراد من الاحصان في قوله المحصنات ذوات الازواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة
ازواجهن وهذه هي السابعة من النساء التي حرمت بالسبب قال ابو سعيد الخدري نزلت هذه الاية
في نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم
قدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى الا ما ملكت ايمانكم
يعني السبايا

يعني السبايا اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان السبي يرتفع
به النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس
فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله هذه الاية وقال ابو سعيد اراد
انه اذا بيعت الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطؤها
وقال عطاء اراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت
ايمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر كتاب الله عليكم يعني حرمت عليكم امهاتكم وكتب
عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم يعني كتب الله تحريم
ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حلل كتابا واحل لكم ما وراء ذلكم يعني واحل لكم ما سوى ذلكم
الذي ذكره من المحرمات وظاهر هذه الاية يقتضي حل ما سوى ذلك المذكورات من الاصناف المحرمات
لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم اصناف اخر سوى ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المراة وعمتها
وبين المراة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا لا تحل للزوج الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح
المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك ان من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامة
والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بالامة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتابيد
فهذه اصناف من المحرمات سوى ما ذكر في الاية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد
بلفظ العموم لاجل التخصيص فيكون عام مخصوص وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم فيه اضمار
تقديره واحل لكم ان تبتغوا اي تطلبوا باموالكم ان تنكحوا بصداق او تشتروا بثمن وفي الاية دليل
على ان الصداق لا يتقدر بشيء فيجوز على القليل والكثير كالصداق وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم محصنين
يعني متزوجين وقيل متعففين غير مسافحين يعني زانين والسفاح الفجور واصله من السفح وهو
الصب وانما سمي الزنى سفاحا لان الزاني لا غرض له الا صب النطفة فقط وقوله تعالى فما استمتعتم
به منهن اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد اراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح
صحيح لان اصل الاستمتاع في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع فآتوهن اجورهن يعني
مهورهن وانما سمي المهر اجرا لانه بدل المنافع ليس بدل الاعيان كما سمي بدل الدار والدابة اجرا
وقال قوم المراد من حكم الاية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امراة مدة معلومة بشيء معلوم فاذا
انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق وتستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا في ابتداء
الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرمها عن سبرة بن معبد الجهني انه
كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النساء
وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن
شيئا والى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان نكاح المتعة حرام والاية منسوخة
واختلفوا في ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهني وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم
الحمر الاهلية وهذا مذهب من يقول ان السنة تنسخ القران ومذهب الشافعي ان السنة لا تنسخ القران
فعلى هذا يقول ان ناسخ الاية قوله تعالى في سورة المومنين والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين والمنكوحة في المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت
الروايات عن ابن عباس في المتعة فروي عنه ان الاية محكمة بزوجة وكان يرخص في المتعة قال
عمارة سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال
متعة كما قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت يتوارثان
قال لا وروي ان الناس لما ذكروا الاشعار في فتيا ابن عباس في المتعة فقال قاتلهم الله انا ما

افتيت باباحتها على الاطلاق ولكن قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتة له وروي انه رجع عنه وقال بتحريمها
وروى عطا الخراساني عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا ايها النبي
اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله
واثنى عليه ثم قال ما بال قوم ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا اجد رجلا
نكحها الا رجمته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعي لا اعلم في
الاسلام شيا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو عبيدة المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة
النسا قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول اهل العلم جميعا من اهل الحجاز والشام والعراق
من اصحاب الاثر والراي وانه لا رخصة فيها للمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزي في تفسيره وقد تكلف قوم من مفسري
القران فقالوا المراد بهذه الاية نكاح المتعة ثم نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن
متعة النسا وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم منع منها فكان
قوله منسوخا بقوله واما الاية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم محصنين
غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه على
الشرايط التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اي عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبري اولى التاويلين
في ذلك بالصواب تاويل من تاوله فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فاتوهن اجورهن لقيام الحجة بتحريم
الله متعة النسا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **فريضة** يعني لازمة وواجبة
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على نكاح
المتعة قال اراد انهما اذا عقدا الى اجل على مال فاذا تم الاجل فان شات المراة زادت في الاجل وزاد
الرجل في الاجر وان لم يتراضيا فارقها ومن ذهب الى ان ذلك كان جايزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الاية على الاستمتاع
بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعني من الابرا من المهر والافتدا والا
عتياض وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم ان تهب المراة للزوج مهرها او يهب الرجل للمراة التي
لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه **ان الله كان عليما** يعني بما يصلحكم ايها الناس في مناكحكم
وغيرها من سائر اموركم **حكيما** يعني فيما دبر لكم من التدبير فيما امركم به ونهاكم عنه ولا يدخل
حكمه خلل ولا زلل **فصل** في مقدار الصداق وما يستحب منه اعلم انه لا تقدير لاكثر الصداق لقوله
تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا والمستحب انه لا يغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه الا لا تغالوا في صدقات النسا فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاكم بها نبي
الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئا من نسائه ولا انكح شيئا من بناته
على اكثر من اثنتي عشرة اوقية اخرجه الترمذي وابو داود بنحوه عن ابي سلمة قال سالت عائشة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتي
عشرة اوقية ونشا قالت اتدري ما النش قلت لا قالت نصف اوقية فذلك خمسمائة درهم واختلف
العلماء في اقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون
صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي واحمد واسحاق وقال قوم يتقدر باقل نصاب
السرقة وهو قول مالك وابي حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصداق لا يتقدر ما روي عن سهل
ابن سعد الساعدي قال جات امراة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت
نفسي لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر اليها وصوبه ثم طاطا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما رات المراة انه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من اصحابه فقال
يا رسول الله ان لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال هل عندك من شي قال لا والله يا رسول الله قال اذهب
الى اهلك فانظر هل تجد شيئا فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن

ازاري

ازاري هذا قال سهل ما له ردا فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن
عليها منه شي وان لبسته لم يكن عليك منه شي فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فراه النبي صلى الله عليه
وسلم موليا فامر به فدعي فلما جا قال ما معك من القران قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها قال اتقروهن عن ظهر
قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتها بما معك من القران وفي رواية فقد زوجتكها فعلمها من القران وفي
رواية فقد انكحتكها بما معك من القران اخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي ففي هذا الحديث دليل
على انه لا تقدير لاقل الصداق لانه قال التمس شيئا فهذا يدل على جواز اي شي كان من المال قال ولو خاتما من حديد
ولا قيمة له الا القليل التافه وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم القران صداقا وهو قول الشافعي ومنعه
اصحاب الراي وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى في صداق امراة مل كفيه سويقا
او تمرا فقد استحل اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عامر عن ابيه ان امراة من بني فزارة تزوجت على
نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فاجازه اخرجه
الترمذي وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب مهر قوله عز وجل **ومن لم يستطع منكم طولا**
يعني فضلا وسعة وانما سمي الغنى طولا لانه ينال به المراد ما لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية
عما يصرف الى المهر والنفقة **ان ينكح المحصنات** يعني الحراير **المومنات فمما ملكت ايمانكم**
يعني جارية اخيك المومن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية نفسه **من فتياتكم المومنات**
المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المومنة فليتزوج الامة المومنة والفتيات الجواري المملوكات جمع فتاة
تقال للامة فتاة وللعبد فتى وفي الاية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين احدهما انه
لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة في الاما بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة
ساداتهن والشرط الثاني هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن
عباس هو الزنى وهو قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار
واليه ذهب مالك والشافعي واحمد وروي عن علي والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد والزهري انه يجوز
للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب ابي حنيفة الا ان يكون في نكاحه حرة والسبب في منع
الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام في الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد
رقيقا وذلك نقص في حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد اعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج
الى الجماع فلا يجد اليها سبيلا لان السيد حبسها بالخدمة ولان مهرها ملك للسيد فلا تقدر على هبته
من زوجها ولا ان تبريه منه بخلاف الحرة ولهذا السبب منع الله من نكاح الامة الا على سبيل الرخصة ولا
خلاف انه يجوز للعبد نكاح الامة وان كان في نكاحه حرة وعند ابي حنيفة لا يجوز له اذا كان تحته حرة كما يقول
في الحر وفي الاية دليل على انه لا يجوز للمسلم حرا كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم
المومنات يعني جواز نكاح الامة المومنة دون الكتابية لان فيها نوعين من النقص وهما الرق والكفر المومنة
بخلاف الامة لان فيها نقص واحد وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال
ابو حنيفة يجوز التزويج بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطي الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى **والله
اعلم بايمانكم** قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون بما ظهر والله متولي
السراير والحقايق وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم
بعضكم من بعض يعني انكم كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاما عند الضرورة وانما قيل
لهم ذلك لان العرب كانت تفتخر بالانساب وتعير بالهجين فاعلم الله ان ذلك امر
لا يلتفت اليه فلا يتداخلكم شموخ وانفة من التزويج بالامة فانكم متساوون في النسب الى آدم
وقيل معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وانتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة جاز له
ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المومنين اكفا بعضهم **فانكحوهن باذن**

بعضهم

أهلهن يعني اخطبوهن الا باذن اسيادهن واتفق العلماء على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل
لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة وآتوهن أجورهن يعني مهورهن بالمعروف
يعني من غير مطل ولا اضرار وقيل معناه وآتوهن مهور امثالهن واجمعوا على ان المهر للسيد لانه
ملكه وانما اضيف اليهن لان المهر انما يجب بسبب الاماء لانه ثمن بضعهن محصنات يعني عفائف غير مسافحات
يعني غير زوان ولا متخذات أخدان جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك في كل امر ظاهر
وباطن واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المراة وخدينها يعني خليلها الذي يزني
بها في السر قال الحسن المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته وذات اخدان هي التي تختص بواحد
ولا تزني مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا العقد وعقبه
عندهم لا جرم ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا فاذا احصن
قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن وقرئ بضم الالف وكسر الصاد
ومعناه زوجن فان أتين بفاحشة يعني بزنا فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يعني
نصف حد الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد فيجلد العبد والامة اذا زنيا خمسين
جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه هذا قول اكثر
العلماء ويروى عن ابن عباس وطاوس انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنى لان الله تعالى قال
فاذا احصن والذي لم يتزوج لم يحصن واجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام واذا
كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه
على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الاية وبيان
انه الجلد لا الرجم ثابت بالحديث وهو ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا
يثرب عليها اي لا يعيرها والتثريب التانيب والبيع المامور به في الحديث مستحب وليس بواجب
عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشيء النفيس بالثمن
الحقير وهذا البيع المامور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب
واجب فان قيل كيف يكره شيئا ويرضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشتري
بان يعفها بنفسه او يصونها بهيبته او بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم ذلك اشارة
الى نكاح الامة لمن خشي العنت منكم يعني الزنا والمعنى ذلك لمن خاف ان تحمله شدة الشهوة
والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت لما يعقبه من المشقة وهي شدة العقوبة
فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط وهي عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة
وان تصبروا يعني عن نكاح الاماء متعففين خير لكم يعني لئلا يكون الولد عبدا رقيقا والله غفور رحيم
وهذا كالتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح لكم ما انتم محتاجون اليه قوله تعالى
يريد الله ليبين لكم اللام في قوله ليبين بمعنى ان يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الايات
من اجل ان يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح اموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه
وقيل يبين ان الصبر على نكاح الاماء خير لكم ويهديكم اي ويرشدكم سنن الذين من قبلكم
اي شرائع من قبلكم في تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه
يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية
وهي ملة ابراهيم عليه السلام ويتوب عليكم يعني ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع
بكم عن المعصية التي كنتم عليها الى طاعته وقيل لما بين لنا امر الشرائع والمصالح وارشدنا الى طاعته
فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما امر به وبينه لا جرم انه تعالى قال ويتوب عليكم والله عليم يعني

وباقي الحديث فيه الامر ببيعها انـ[illegible]

بمصالح عباده في امر دينهم ودنياهم حكيم يعني فيما دبر من امورهم والله يريد ان يتوب عليكم
قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل معناه يدلكم على ما يكون
سببا للتوبة التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير في دينه
فيتوب عليكم ويغفر لكم ويريد الذين يتبعون الشهوات قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم
اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح
الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا
بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الاية وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم أن تميلوا يعني
عن الحق وقصد السبيل بالمعصية ميلا عظيما يعني باتيانكم ما حرم الله عليكم يريد الله ان يخفف
عنكم يعني ليسهل عليكم احكام الشرائع فهو عام في كل احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا
احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بني اسرائيل فهو كقوله
تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وكما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا
يعني في قلة الصبر عن النساء فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه تستميله هواه ضعيف العزم عن قهر
الهوى وقيل هو ضعيف في اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا
اموالكم بينكم بالباطل يعني بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة
وشهادة الزور واخذ المال باليمين الكاذبة وجحود الحق وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على
غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيه
اكل مال نفسه بالباطل ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي واما اكل مال غيره فقد تقدم معناه
وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة وقوله تعالى الا ان تكون تجارة عن تراض منكم
هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل فكان الا هنا بمعنى لكن يحل
اكله بالتجارة عن تراض يعني بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه
بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا او يخير احدهما
الآخر فتبايعا على ذلك فقد وجب البيع اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم
بعضا وانما قال انفسكم لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة
الوداع لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا نهي للانسان عن قتل نفسه وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا
فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا فيها مخلدا ابدا ومن قتل
نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا فيها مخلدا ابدا قوله يتردى التردي
هو الوقوع من موضع عال الى اسفل وقوله يتوجأ يقال وجأته بالسكين اذا ضربته وهو يتوجأ بها
اي يضرب بها نفسه وعن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه
فقال الله تبارك وتعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم
رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات فقال الله تبارك وتعالى بادرني عبدي
بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل في معنى قتل الانسان نفسه ان يفعل شيئا يستحق به القتل مثل ان يقتل
فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل المال بالباطل
ولا تهلكوا انفسكم بان تعملوا عملا ربما ادى الى قتلها ان الله كان بكم رحيما يعني انه تعالى
من رحمته بكم نهاكم عن كل شيء تستوجبون به مشقة او محنة وقيل انه تعالى امر بني اسرائيل

بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة
الصعبة ومن يفعل ذلك يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات
وقيل انه يعود الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران في اية واحدة وقيل انه يعود الى ما
نهى الله عنه من اول السورة الى هنا عدوانا وظلما يعني بتجاوز الحد ووضع الشيء في غير موضعه
وانما قيد ذلك بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال
بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى فسوف نصليه نارا
اي ندخله نارا في الاخرة فانه يصلى بها وكان ذلك على الله يسيرا اي هينا لانه تعالى قادر على ما يريد
قوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اجتناب الشيء المباعدة عنه وتركه جانبا والكبيرة
ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته وقيل ذكر التعبير بذكر الاحاديث الواردة في الكبائر
فمن ذلك ما روي عن ابي بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا انبئكم باكبر الكبائر
ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة الزور وقول الزور وكان
متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت اخرجاه في الصحيحين وعن انس بن مالك قال ذكر
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس
وقال الا انبئكم باكبر الكبائر قول الزور او قال شهادة الزور وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر
وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
الغافلات المؤمنات خ م عن ابن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم
عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان
يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفي رواية ان
اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين
وقتل النفس واليمين الغموس وفي رواية ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ما الكبائر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي يقتطع
مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب خ وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم
الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل ويسب امه فيسب اباه وامه
وفي رواية ان من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود اكبر الكبائر
الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله وعن سعيد بن جبير ان
رجلا سال ابن عباس عن الكبائر اسبع هي قال هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى السبعمائة اقرب
الا انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شيء عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها
فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا
بقدر وقال علي بن ابي طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب فهو كبيرة وقال
سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين
الله لان الله تعالى كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين
والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب اهل البدع
والسيئات ذنوب اهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما اكره عليه
وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقال السدي الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر

والسيئات

والسيئات مقدماتها وتوابعها الذي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباه
ذلك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنى مدرك
ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد
زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه لفظ مسلم
وقيل الكبائر الشرك وما يؤدي اليه وما دونه فهو من السيئات فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب
كبائر وصغائر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بالكتاب والسنة واذا ثبت انقسام
المعاصي الى صغائر وكبائر فقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وهي كل ذنب عظم فيه وعظمت
عقوبته اما في الدنيا بالحدود واما في الاخرة بالعذاب عليه نكفر عنكم سيئاتكم يعني نسترها
عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم تعمل لان اصل التكفير الستر والتغطية فصغائر الذنوب تكفر بالحسنات
ولا يكفر كبارها الا التوبة والاقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر زاد في رواية ما لم
تغش الكبائر وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر اخرجه مسلم
وقوله تعالى وندخلكم مدخلا كريما يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبتم الكبائر واتيتم
بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
اصل التمني ارادة الشيء وتشهي حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما
لا يكون وقيل التمني تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون
عن روية واكثر التمني تصوير ما لا حقيقة له وقيل التمني عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا
يكون عن مجاهد عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال ولا يغزو النساء وانما لنا نصف
الميراث فانزل الله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وانزل ان المسلمين والمسلمات
وكانت ام سلمة اول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل
الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهم الزيادة من الرجال لانا ضعفاء
وهم اقوى واقدر على طلب المعاش منا فانزل الله هذه الاية وقيل لما نزلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين
قالت الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء في الحسنات في الاخرة فيكون لنا اجرها على ضعف اجر النساء
كما فضلنا عليهن في الميراث وقالت النساء انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا في (جعلنا)
الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الاية والتمني على قسمين احدهما ان يتمنى الانسان ان يحصل له
مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض
نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما يفعل وربما اعتقد في نفسه انه
احق بتلك النعمة من ذلك الانسان ايضا فهذا اعتراض على الله ايضا وهو مذموم القسم الثاني ان يتمنى
مثل مال غيره ولا يحب ان يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس
من منع منه ايضا لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين والدنيا فقال الحسن
لا يتمن مال فلان ولا مال فلان وما يدريك لعل هلاكه في ذلك المال فليعلم العبد ان الله تعالى اعلم بمصالح
عباده فليرض بقضائه ولتكن امنيته الزيادة من عمل الاخرة وليقل اللهم اعطني ما يكون صالحا في
ديني ودنياي ومعادي قوله عز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
قال ابن عباس يعني مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث لان للذكر مثل حظ الانثيين وقيل هذا
الاكتساب في الاجر يعني ان الرجال والنساء في الاجر في الاخرة سواء لان الحسنة بعشر امثالها واما
السيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل للرجال
نصيب مما اكتسبوا يعني من الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الازواج وحفظ الفروج

واسألوا الله من فضله قال ابن عباس يعني من رزقه وقيل من عبادته فهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل
لم يأمر الله عباده بالمسألة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على ان العبد لا يعين شيئا في الدعاء والطلب ولكن
يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء ان يكونوا رجالا
وان يكون لهن مثل ما للرجال فنهاهن الله عن ذلك وامرهن ان يسألنه من فضله فانه اعلم بمصالح عباده
ان الله كان بكل شيء عليما يعني انه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على
المجمل في الطلب فان الله عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قدر له قوله تعالى ولكل من الرجال والنساء
جعلنا موالي يعني ورثة من بني عم واخوة وسائر العصبات مما ترك يعني يرثون مما ترك الوالدان
والاقربون من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الذين يرثون وقيل ان قوله موالي مما ترك يعني من
تركة الميت ثم فسر الموالي فقال الوالدان والاقربون فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى
ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم الوالدان والاقربون والقول الاول اصح لانه مروي عن ابن عباس وغيره
والذين عاقدت ايمانكم وقرئ عقدت بغير الف مع التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والايمان
جمع يمين يحتمل ان يراد بها القسم او اليد وهما جميعا وذلك انهم كانوا اذا تحالفوا اخذ كل منهم بيد
صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويقول
دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب
بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس من مال الآخر وكان الحكم ثابتا في الجاهلية
وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى فآتوهم نصيبهم يعني اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله
هذا الحكم بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في
الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون
بتلك المواخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك نسختها ثم قال والذين عاقدت
ايمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وفي رواية اخرى عنه قال والذين عاقدت
ايمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث احدهما الآخر فنسخ ذلك
سورة الانفال فقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا
يتوارثون بالتبني بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها
باق والمراد بقوله والذين عاقدت ايمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعني من النصر والمعونة
والنصيحة والمواخاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن
ابن ابي بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت اقرأ على ام سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر
ابي بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت ايمانكم فقالت لا تقرأ والذين عاقدت ايمانكم انما نزلت في ابي بكر
الصديق وابنه عبد الرحمن حين ابى الاسلام فحلف ابو بكر ان لا يورثه فلما اسلم امره الله ان يؤتيه
نصيبه اخرجه ابو داود وعلى هذا فلا نسخ ايضا قال الزجاج الآية تدل على انما كانت المعاقدة
في الجاهلية على النصرة لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وايما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة
اخرجه مسلم وقوله تعالى ان الله كان على شيء شهيدا قال عطاء يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق كل
ابدا فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشياء وقيل الشهيد هو
الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للمطيعين
ووعيد للعصاة المخالفين قوله عز وجل الرجال قوامون على النساء نزلت في سعد بن الربيع وكان
من النقباء وفي امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير وقيل امراته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها
نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتي

فلطمها

فلطمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل اتاني فانزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا
واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء اي مسلطون على
تاديبهن والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امراء عليهن فعلى المراة ان تطيع زوجها في طاعة الله النساء
والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتاديب فالرجل يقوم بامر المراة ويجتهد في حفظها ولما
اثبت القيام للرجال على النساء بين السبب في ذلك فقال تعالى بما فضل الله بعضهم على بعض يعني
ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة
والجماعات والامامة لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز
للمراة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة واليه
الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء ثم قال تعالى وبما انفقوا من اموالهم يعني وبما اعطوا
من مهور النساء والنفقة عليهن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا احدا
ان يسجد لاحد لامرت الزوجة ان تسجد لزوجها اخرجه الترمذي فالصالحات يعني المحسنات العاملات
بالخير قانتات اي مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله حافظات للغيب لفروجهن في غيبة ازواجهن
لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ولئلا يلحقه الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حافظة سر زوجها وحافظة
ماله وما يجب على المراة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله
اي النساء خير قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امرها ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره
اخرجه النسائي وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير النساء امراة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها
ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية وقوله تعالى بما حفظ الله يعني بما حفظهن الله حين
اوصى بهن الازواج وامرهم باداء المهر والنفقة اليهن وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المراة خلقت من ضلع وان اعوج ما في الضلع اعلاه فان
ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء وقيل في معنى الآية بما حفظهن الله
وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله لهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل بينهن
وامساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان واللاتي تخافون نشوزهن اي تعلمون وقيل تظنون نشوزهن
اي تترفعهن واصل النشوز الارتفاع ونشوز المراة بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر
عليه وقيل دلالة النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له
اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسرع الى امره اذا امرها فاذا خالفت هذه
الاحوال بان رفعت صوتها عليه او لم تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى امره اذا امرها دل ذلك على نشوزها
على زوجها فعظوهن يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو ان يقول لها
اتقي الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك
فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى واهجروهن في المضاجع يعني ان لم ينزعن عن ذلك
بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان يعتزل
عنها الى فراش آخر واضربوهن يعني ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن
قيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه قال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل عن عمرو بن الاحوص
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ ط
فذكر في الحديث قصة فقال الا واستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن اسبيات
شيئا غير ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير

يضرب فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية أي أسيرة
شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالأسير والضرب المبرح الشاق **فإن أطعنكم فلا تبغوا
عليهن سبيلا** أي لا تطلبوا عليهن طريقا تحتجون بها عليهن إذا قمن بواجب حقكم عن حكيم بن معاوية
قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت
ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت أخرجه أبو داود وقوله ولا تقبح أي لا تقول قبحك
الله عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد أحدكم امرأته جلد البعير
ثم لعله يجامعها أو قال يضاجعها من آخر اليوم عن إياس بن عبد الله ابن أبي ذباب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تضربوا إماء الله فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء
على أزواجهن فرخص في ضربهن فأطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون
أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس
أولئك بخياركم أخرجه أبو داود وإياس بن عبد الله هذا ممن اختلف في صحبته وقال البخاري لا يعرف
له صحبة قوله ذئرن يقال ذئرت المرأة على زوجها إذا نشزت واجترأت عليه والذائر الشيء الملم
به وفي هذه الأحاديث دليل على أن الأولى ترك الضرب للنساء فإن احتاج الرجل إلى ضربها للتأديب
فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك مفرقا لا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق
الوجه لأنه مجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة أسواط وقيل ينبغي أن يكون الضرب بالمنديل
واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بأبلغ شيء أولى في هذا الباب واختلف
العلماء فقال بعضهم حكم الآية مشروع على الترتيب فإن ظاهر اللفظ وإن دل على الجمع فلا سبيل
له عليها فإن أبت هجرها في مضجعها فإن أبت ضربها فإن لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين وقال آخرون هذا
الترتيب مراعى عند خوف النشوز أما عند تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وقيل إن له أن يعظها
عند خوف النشوز وله أن يهجرها في احتمال الكوله عند ظهور النشوز أن يعظها وأن يهجرها
أو يضربها عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسأل الرجل فيما ضرب امرأته أخرجه أبو داود
وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن
تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا
عليها حتى يرضى عنها وفي رواية إذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي
أخرى حتى ترجع عن طلق بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دعا الرجل امرأته لحاجته
فلتأته وإن كانت على التنور أخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو
دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا وله عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى **فإن أطعنكم** يعني فإن رجعن عن
النشوز إلى طاعتكم عند هذا التأديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب
والهجران على سبيل التعنت والإيذاء وقيل معناه أن يزيلوا عنهن التعرض بالأذى والتوبيخ ولا تجنوا
عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فإن القلب ليس بأيديهن **إن الله كان عليا كبيرا**
العلي في صفة الله معناه الرفيع الذي لا يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلي
بالإطلاق الذي يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله تعالى
الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذي يصغر كل أحد بالكبرياء به وعظمته
والمعنى أن الله تعالى متعال عن أن يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل إن النساء وإن ضعفن عن دفع

ظلم الرجال

ظلم الرجال عنهن فإن الله كبير قادر أن ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال وقيل معناه أن الله مع علوه
وكبريائه يقبل توبة العاصي إذا تاب ويغفر له فإذا تابت المرأة من نشوزها فالأولى بكم أن تقبلوا توبتها
وتتركوا معاتبتها واعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم فأنتم أحق بالعفو
عن من جنى عليكم قوله تعالى **وإن خفتم** يعني وإن علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن يعني ظننتم **شقاق
بينهما** يعني بين الزوجين وأصل الشقاق الخلاف والعداوة وكون كل واحد من المتخاصمين في شق غير شق صاحبه
أو يكون أصله من شق العصا وهو أن يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه وذلك أنه
إذا ظهر بين الزوجين شقاق ووقعت العداوة واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة
وكذلك الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية وخرجا إلى ما لا يحل قولا وفعلا وقوله تعالى **فابعثوا حكما
من أهله وحكما من أهلها** اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب
بذلك هو الإمام أو نائبه لأن تنفيذ الأحكام الشرعية إليه وقيل المخاطب بذلك كل أحد من صالحي الأمة
لأن قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض أولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل
فعلى هذا يجب أن يكون أمرا لآحاد الأمة سواء وجد الإمام أو لم يوجد فللصالحين أن يبعثوا حكما من
أهله وحكما من أهلها وأيضا فهذا يجري مجرى دفع الضرر ولكل واحد أن يقوم به وقيل هو خطاب
للزوجين فإذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من أهله وحكما من أهلها **إن يريدا إصلاحا**
يعني الحكمين وقيل الزوجين **يوفق الله بينهما** يعني بالصلاح والألفة وروى الشافعي بإسناده عن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علي ما
شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق فقال علي فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال
للحكمين تدريان ما عليكما إن رأيتما أن تجمعا جمعتما وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما فقالت المرأة
رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل أما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله حتى تقر بمثل
ما أقرت به قال الشافعي والمستحب أن يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والأولى أن يكون
واحد من أهله وواحد من أهلها لأن أقاربهما أعرف بحالهما من الأجانب وأشد طلبا للإصلاح فإن كانا أجنبيين
جاز وفائدة الحكمين أن كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف أن رغبته في
الإقامة على النكاح أو المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من إيقاع طلاق أو خلع وهل الحكمان
وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ أمر يلزم الزوجين دون رضاهما وإذنهما في مثل ذلك أن يطلق
حكم الرجل أو يفتدي حكم المرأة بشيء من مالها فللشافعي في ذلك قولان أحدهما لا يجوز إلا برضاهما
وليس لحكم الزوج أن يطلق إلا بإذنه ولا لحكم المرأة أن تختلع بشيء من مالها إلا بإذنها وهو مذهب
أبي حنيفة وأحمد لأن عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال أما الفرقة فلا فقال كذبت حتى
تقر بمثل ما أقرت به فثبت أن تنفيذ الأمر موقوف على إقراره ورضاه ومعنى قوله على الزوج كذبت
أي لست بمنصف في دعواك حيث لم تقر بمثل ما أقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها
والقول الثاني أنه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج أن يطلق دون رضاه ولحكم
الزوجة أن يختلع دون رضاها إذا رأيا الصلاح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وإن لم يكن على
وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول علي للزوج حتى تقر أن رضاه
شرط بل معناه أن المرأة لما رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل أما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة
في كتاب الله فقال له علي كذبت حيث أنكرت أن تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله
فإن قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وغيره لأن التوفيق أن يخرج كل واحد منهما من الإثم
والوزر ويكون تارة بصلاح حالهما في الوصلة وقوله تعالى **إن الله كان عليما خبيرا** يعني أن الله
تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين

ورا امرانى اهله

ربع

ان يسلكوا غير طريق الحق قوله عز وجل **واعبدوا الله** يعني وحدوه واطيعوه وعبادة الله عبارة عن
كل فعل ياتي به العبد لمجرد امر الله ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح **ولا تشركوا به**
شيئا يعني واخلصوا له في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله
غيره او اراد بعمله غير الله فقد اشرك به ولا يكون مخلصا وعن معاذ بن جبل قال كنت ردف رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير واسمه يعفور فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على
عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله افلا
ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا قوله هل تدري ما حق الله على عباده معناه ما يستحقه
مما اوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وقوله
وما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا انهم يستحقون عليه
شيئا ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك علي واجب اي متاكد قياما به وقوله افلا
ابشر الناس الخ انما قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم راى ذلك اصلح لهم
واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذي يرفع لهم به هذه الدرجات في الجنة وقوله
تعالى **وبالوالدين احسانا** تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا يعني برا بهما وعطفا عليهما
وانما قرن بر الوالدين بعبادة نفسه وتوحيده لتاكد حقهما على الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين
هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ولا يسعى في تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر
القدرة وعن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال ثم امك ثم اباك ثم ادناك ادناك
قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم بر اباك متفق عليه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما
او كليهما ثم لم يدخل الجنة **وبذي القربى** اي واحسنوا الى ذي القرابة ورحم له من قبل امه وابيه
وعن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له في رزقه
وينسا له في اثره فليصل رحمه معنى ينسا له في اثره يؤخر له في اجله وعمره وقوله تعالى **واليتامى**
والمساكين اي واحسنوا الى اليتامى وانما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز
الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذي ركبه ذل الفاقة والفقر فيتمسكن لذلك خ عن سهل بن سعد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج
بينهما شيئا وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد
في سبيل الله واحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر وقوله تعالى **والجار ذي القربى**
والجار الجنب اي واحسنوا الى الجار ذي القربى وهو الذي قرب جواره منك والجار الجنب هو الذي بعد
جواره عنك وقيل الجار ذي القربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه
سيورثه وعن عائشة مثله خ عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي
قال الى اقربهما بابا منك م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اذا طبخت مرقة
فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف وعن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول
الله قال الذي لا يامن جاره بوائقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه البوائق الغوائل
والشرور وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها

ولو فرسن

ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدي اليها فرسن شاة وهو الظلف واراد به الشيء الحقير وعنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يوذي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وقوله تعالى **والصاحب بالجنب** قال
ابن عباس هو الرفيق في السفر وقيل هي المراة تكون معك الى جنبك وقيل هو الذي يصحبك رجاء نفعك
عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه
وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى **وابن السبيل** يعني
المسافر المجتاز الذي قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف ينزل بك فتكرمه وتحسن اليه
وعن ابي شريح خويلد بن عمرو العدوي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة
ايام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت
زاد في رواية ولا يحل لرجل مسلم ان يقيم عند اخيه حتى يؤثمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يومه
يقيم عنده ولا شيء عنده يقريه به قوله جائزته يومه وليلته الجائزة العطية ليتحفى بالضيف ثلاثة
ايام ثم يعطيه ما يجوز به من منزل الى منزل وقيل هو ان يكرم الضيف فاذا سافر اعطاه ما يكفيه يوما وليلة
حتى يصل الى موضع اخر وقوله ولا يقيم عنده حتى يؤثمه اي يوقعه في الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره
اثم بذلك وقوله تعالى **وما ملكت ايمانكم** يعني المماليك اي احسنوا اليهم والاحسان اليهم ان لا يكلفهم
ما لا يطيقون ولا يوذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة وما يحتاجون اليه بقدر الكفاية
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيئ الملكة
اخرجه الترمذي عن رافع بن مكيث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم
اخرجه ابو داود وله عن علي بن ابي طالب قال كان اخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة
اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم وعن المعرور بن سويد قال رايت ابا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة
مثلها فسالته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بامه
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية
قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه
تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم
عليه قوله تعالى **ان الله لا يحب من كان مختالا** المختال المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق
الناس **فخورا** الفخور هو الذي يفتخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه ومنه
وقيل هو الذي يفتخر على عباد الله بما اعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الاية
بهذين الوصفين لان المختال والفخور يانف من اقاربه ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم
ولا ينظر اليهم لان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا لا يقوم بحقوق الناس وعن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء وعن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل شعره راسه يختال في مشيته
اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة
وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء في الفدادين من اهل
الوبر والسكينة في اهل الغنم الفدادون هم العلاجون والحراثون واصحاب الابل والبقر المستكثرون
منها المتكبرون على الناس لها قوله عز وجل **الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل** نزلت في اليهود

الذين يبخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويكتموها وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم
وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحيي بن اخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت واسامة بن حبيب
ونافع بن ابي نافع وبحري بن عمرو وكانوا ياتون رجالا من الانصار ويخالطونهم ويقولون لهم لا تنفقوا
اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله عز وجل هذه الاية وقيل الاولى ان يحمل
ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه
وامساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك امكن حمله
على منع المال ومنع العلم ويكتمون ما اتاهم الله من فضله يعني اليهود كتموا صفة محمد
صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى واظهروا الفقر
ويبخلوا بالمال واعتدنا للكافرين يعني الجاحدين نعمة الله عليهم عذابا مهينا يعني في
الاخرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن
البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله عز وجل والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس يعني للفخر والسمعة وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا يريدون بما انفقوا وجه
الله عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى
الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي غيري تركته وشركه نزلت هذه الاية في اليهود وقيل
في المنافقين لان الرياء ضرب من النفاق وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر يعني ولا يصدقون بتوحيد
الله ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال انه كائن ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام
هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكن عمله بما يامره الشيطان
فبئس العمل عمله وقيل هذا في الاخرة يجعل الله الشيطان قرناءهم في النار يقرن مع كل كافر
شيطانا في سلسلة من النار ثم وبخهم الله تعالى وعيرهم على ترك الايمان فقال تعالى وماذا عليهم
يعني واي شيء عليهم واي وبال وتبعة تلحقهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما
رزقهم الله اي وبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وابتغاء مرضاته وكان الله
بهم عليما يعني لا يخفى عليه شيء من اعمال هؤلاء الذين ينفقون اموالهم لاجل الرياء والسمعة
فيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة نظم الكلام وماذا عليهم
لو امنوا وانفقوا فان الله لا يظلم يعني لا ينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة
وقال ابن عباس الذرة راس نملة حمراء وقيل الذرة كل جزء من اجزاء الهباء الذي يكون في الكوة اذا كان
فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى ان الله لا يظلم احدا
شيئا قليلا ولا كثيرا فخرج الكلام على اصغر شيء يعرفه الناس وان تك حسنة يضاعفها يعني
الحسنة بعشر امثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله الى
سبعمائة والى اجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسناتي على سيئاتي لمثقال ذرة احب الي من الدنيا
وما فيها عن انس بن مالك في قوله تعالى ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى مثقال ذرة لا يظلم
بها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا ويجزى بها في الاخرة عن
عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلا من امتي
على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول
اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول تعالى بل ان لك عندنا حسنة وانه
لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله

فيقول

فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء. اخرجه الترمذي
وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب بالجسر على جهنم وتحل الشفاعة
ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة
تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكاجاويد
الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار
فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفاء الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ
للجبار اذا راوا انهم قد نجوا في اخوانهم فيقولون ربنا انهم كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال
لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى
ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار
من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقال ارجعوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا فيقولون ربنا لم نذر فيها احدا وكان ابو
سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون ولم يبق
الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في
نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى
الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض فقالوا يا رسول الله كانك
كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله
الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو
لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي
شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا اخرجه مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم
هذه الاية واردة في الخصوم وتبعاتهم روي عن ابن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين
والاخرين ثم نادى مناد من عند الله الا من كان يطلب مظلمة فليجئ الى حقه فلياخذه قال فيفرح المرء
ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته او اخيه فياخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب
الله تعالى قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادي مناد
على رؤوس الاولين والاخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليات الى حقه ثم يقال ات هؤلاء حقوقهم
فيقول يا رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تعالى للملائكة انظروا في اعماله الصالحات فاعطوهم
منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو اعلم بذلك اعطينا كل ذي حق حقه
وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك
في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما اي في الجنة
وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله تعالى خذوا
من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم اكتبوا له كتابا الى النار اخرجه البغوي بغير سند عن ابن مسعود
موقوفا عليه واسنده ابن جرير الطبري عن ابن مسعود فمعنى الاية على هذا التاويل ان الله لا يظلم
مثقال ذرة للخصم على خصمه بل ياخذ له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها
له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها اي يجعلها اضعافا كثيرة ويؤت من لدنه يعني من عنده
اجرا عظيما يعني عوضا من حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل
اجرا عظيما فمن يقدر قدره قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني فكيف يكون حال هؤلاء

المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل امة بشهيد قال ابن عباد يريد نبيها والمعنى انه يؤتى
بنبي كل امة يشهد عليها ولها **وجئنا بك** يا محمد **على هؤلاء شهيدا** يعني تشهد على هؤلاء الذين سمعوا
القرآن وخوطبوا فيما عملوا به وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علي القرآن فقلت
يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء
حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك
الآن قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد مسلم شهيدا ما دمت فيهم او قال ما كنت فيهم شك
احد رواته وقوله تعالى **يومئذ** يعني يوم القيامة **يود** اي يتمنى **الذين كفروا** يعني جحدوا وحدانية الله
تعالى **وعصوا الرسول** يعني فيما امرهم به من توحيد الله عز وجل **لو تسوى بهم الارض** يعني لو
يدفنون فتسوى عليهم وقيل انهم ودوا لو انهم لم يبعثوا لانهم انما نقلوا من الارض وهي مستوية عليهم وقال
الكلبي يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونوا ترابا فتسوى بهم الارض فعند
ذلك يتمنى الكافر لو يكون ترابا **ولا يكتمون الله حديثا** قال ابن عباس في رواية عطاء ودوا لو
تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوا فعلى هذا القول
يكون كتمانهم كتموه في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل
هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس فقال اني اجد في القرآن اشياء تختلف علي
قال هات ما يختلف عليك قال منها قوله ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين
فقد كتموا فقال ابن عباس ان الله تعالى يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما
كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا
الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فكل من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففي
موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنوبهم
وفي موطن لا يتساءلون وفي موطن يسألون الرجعة واخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم
جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى** جمع سكران **حتى تعلموا ما تقولون** سبب نزول هذه الآية ما روي عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل تحريم الخمر
فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون
قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب واخرجه ابو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل
ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فامهم علي في المغرب فقرأ قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت الآية لا تقربوا
الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا يأتون
الصلاة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى
الآية فعلى هذا المراد بالصلاة قولان احدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول
الاكثرين والمعنى لا تصلوا وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع
الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى
لا تقربوا مواضع الصلاة وانتم سكارى وحذف المضاف سائغ ويدل على هذا قوله لهدمت صوامع وبيع
وصلوات والمراد بالصلاة مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم
ان هذا النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر وكانوا يشربونها في غير
اوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر

النوم يعني

النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا
صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه اخرجاه في الصحيحين **ولا
جنبا** يعني ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب واصل الجنابة البعد وسمي الذي اصابته الجنابة جنبا لانه
يجتنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبة الناس حتى يغتسل **الا عابري سبيل** العابر هاهنا فاعل
من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى هذا الجانب الآخر واختلف العلماء في معنى قوله الا عابري
سبيل على قولين احدهما ان المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم
في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم في العبور فيه
فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وانتم جنبا الا مجتازين
فيه اما للخروج منه او للدخول فيه مثل ان يكون قد نام في المسجد فاجنب فيجب الخروج منه او يكون
الماء في المسجد فيدخل اليه او يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس
ابن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراساني والنخعي والزهري واليه ذهب
الشافعي واحمد والقول الثاني ان المراد من قوله الا عابري سبيل المسافرين والمعنى ولا تقربوا الصلاة وانتم
جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا ان يكون
في سفر ولا ماء معه فيتيمم ويصلي الى ان يجد الماء فيغتسل وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير
ومجاهد وقتادة لان من جعل عابري سبيل المسافرين منع الجنب من العبور في المسجد وهو مذهب ابي
حنيفة ورجح الطبري والواحدي القول الاول واستدل على صحته بوجهين احدهما ان المسافر الجنب لا تصح
صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم هاهنا فيحتاج الى اضمار يتيمم عند عدم الماء وذكر التيمم وعلى
القول الاول لا يحتاج الى اضمار شيء الوجه الثاني ان الله تعالى ذكر حكم المسافر وعدم الماء وجواز التيمم
بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد في الآية ويدل على ان جميع القراء استحسنوا الوقوف على قوله
حتى تغتسلوا يعني الا ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هي الاغتسال
فصل في احكام تتعلق بالآية اختلف العلماء في العبور في المسجد فاباحه قوم على الاطلاق
وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول اصحاب الرأي وقال قوم يتيمم
للعبور في المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد ايضا للجنب فمنعه اكثر اهل العلم وقالوا
لا يجوز للجنب المكث في المسجد بحال لما روي عن عائشة قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجوه بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء ان ينزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه
البيوت عن المسجد فاني لا احل المسجد لحائض ولا جنب اخرجه ابو داود وجوز احمد المكث في
المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزني من اصحاب الشافعي واجاب احمد عن حديث عائشة بانه
في بعض رواته مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل اسناده واستدل احمد لمذهبه بما روي عن عطاء
ابن يسار قال رأيت رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون
اذا توضؤوا وضوء الصلاة اخرجه سعيد بن منصور في مسنده واحتج لمذهب الجمهور بعموم الآية
بما روي عن ام سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى باعلا صوته
ان المسجد لا يحل لجنب ولا حائض اخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب ايضا الطواف وقراءة القرآن كما
يحرم عليه فعل الصلاة ويدل على ذلك ايضا ما روي عن علي بن ابي طالب قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا

ولا يجوز له من القرآن شيء ليس الجنابة أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرئنا القرآن
على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا النفساء من القرآن شيئا أخرجه الدارقطني ويجب الغسل بأحد شيئين بإنزال
المني وهو الماء الدافق أو إيلاج الحشفة في الفرج وإن لم ينزل والدليل على ذلك أيضا ما روي عن علي بن أبي
طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن إلى قوله ولا النفساء
روي عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال
يغتسل وعن الرجل يرى أنه احتلم ولا يجد بللا قال لا غسل عليه فقالت أم سلمة والمرأة ترى ذلك
أعليها غسل قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية وإن لم ينزل قوله تعالى وإن
كنتم مرضى جمع مريض وأراد به المرض الذي يضره معه إمساس الماء مثل الجدري وإحراق النار
ونحو ذلك وإن كان على بعض أعضائه جراحة أو به قروح يخاف من استعمال الماء التلف وبعضها
جريحا غسل الصحيح وتيمم للجريح في الوجه واليدين لما روي عن جابر قال خرجنا في سفر فأصاب رجلا
حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة
وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك
فقال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم
ويعصر أو قال يعصب شك الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده أخرجه أبو
داود والدارقطني ولم يجوز أصحاب الرأي الجمع بين الغسل والتيمم فقالوا إذا كان أكثر أعضائه أو بدنه
صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وإن كان الأكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن أوجب ومسح الجريح
الجمع بين الغسل والتيمم قوله تعالى أو على سفر يعني وإن كنتم مسافرين وأراد به السفر الطويل
والقصير وعدم الماء فإنه يتيمم ويصلي ولا إعادة عليه لما روي عن أبي ذر قال ابد فيها فبدوت إلى
الربذة فكانت تصيبني الجنابة فأمكث الخمس والست فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أبو ذر فسكت فقال ثكلتك أمك أبا ذر لأمك الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتني
بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكأني ألقيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء
المسلم ولو إلى عشر سنين فإذا وجدت الماء فأمسه جلدك فإن ذلك خير أخرجه أبو داود العس
قدح من فخار يجعل فيه الماء للوضوء والاغتسال أما إذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم
الماء في موضع لا يعدم فيه غالبا فإنه يتيمم ويصلي ثم يعيد إذا وجد الماء وقدر عليه وبه
قال الشافعي وقال مالك والأوزاعي لا إعادة عليه وقال أبو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء
وقوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط الغائط المكان المطمئن من الأرض وجمعه الغيطان
وكانت عادة العرب إتيان الغائط للحدث فكنوا به عن الحدث وذلك أن الرجل منهم كان إذا أراد قضاء
الحاجة طلب غائطا من الأرض يعني مكانا منخفضا من الأرض يحجبه عن أعين الناس فسمي
الحدث بهذا الاسم وهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه وقوله تعالى أو لامستم النساء
قرئ هنا وفي سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير ألف واختلف العلماء في معنى
الملامسة على قولين أحدهما أنه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة
ووجه هذا القول أن الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لأن اللمس يوصل إليه قال ابن عباس إن الله
حيي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني أن المراد باللمس هو التقاء البشرتين حيي
سواء كان بجماع أو بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا
القول أن اللمس حقيقة في اللمس باليد فأما حمله على الجماع فمجاز والأصل حمل الكلام على الحقيقة

لا المجاز

لا المجاز وأما قراءة من قرأ أو لامستم والملامسة مفاعلة من اللمس لا تدل على المجامعة أيضا
على الإطلاق ولأنه قد ورد في الحديث النهي عن الملامسة قال أبو عبيد في معناها أن يقول إذا لمست
ثوبي أو لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد وإن كانت مستعملة
في غير المجامعة لم يرد قوله تعالى أو لامستم النساء على صريح المجامعة الجماع بل حمل على الأصل الموضوع
له وهو اللمس باليد فصل في أحكام تتعلق بالآية وفيه مسائل المسألة الأولى إذا أفضى الرجل
بشيء من بدنه إلى شيء من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر
وبه قال الزهري والأوزاعي والشافعي لما روى الشافعي بسنده عن ابن عمر أنه قال قبلة الرجل امرأته
وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء أخرجه مالك في الموطأ قال
الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحاق إذا كان اللمس بشهوة
انتقض الوضوء وإن لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روي عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل امرأة من نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة ومن هي إلا أنت فضحكت أخرجه أبو داود وأجيب
عن هذا الحديث بأنه ليس بثابت قال الترمذي إنه لا يصح إسناده بحال وسمعت محمد بن إسماعيل يضعف
هذا الحديث وقال حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة وضعفه يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو
شبه لا شيء وفيه ضعف من وجه آخر وهو أن عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن أخت عائشة إنما
هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة المزني وإنما الصحيح عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة وقال أبو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس إلا أن يحدث
الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من لم يوجب الوضوء
باللمس بما روي عن عائشة أنها قالت كنت أنام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته
فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي فإذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح أخرجاه في
الصحيحين وأجاب من أوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بأنه يحتمل أن يكون غمزها على حائل المسألة
الثانية اختلف قول الشافعي في لمس المحرم كالأم والبنت والأخت والأجنبية صغيرة فأصح القولين
عنده أنه لا ينقض الوضوء والثاني أنه ينقض الوضوء به ومأخذ القولين عند أصحاب الشافعي التردد
بين التعلق بعموم الآية في قوله أو لامستم النساء والنظر إلى المعنى في النقض باللمس وهو تحرك الشهوة
فإن أخذنا بعموم الآية فينقض الوضوء بلمس المحارم وإن أخذنا بالمعنى فلا ينقض وفي الملموس
قولان والملموس هو الذي لا فعل منه والمباشر رجلا كان أو امرأة واللامس هو الفاعل للمس وإن لم يقصد
المباشرة فأصح القولين أنه ينتقض وضوءهما معا والقول الثاني أنه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس
لما روي عن عائشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي
على أخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك
أنت من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك كما أثنيت على نفسك أخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه
صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأة أو سنها أو ظفرها فلا وضوء عليه المسألة
الثالثة في الحدث وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغائط أو أثرا كالريح ونحوها فإذا
حصل شيء من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضأ أو يتيمم عند عدم الماء لما روي عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ فقال رجل من أهل حضرموت
ما الحدث يا أبا هريرة قال فساء أو ضراط أخرجاه في الصحيحين أما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد
والحجامة والرعاف والقيء ونحوها فذهب قوم إلى أنه لا وضوء من خروج هذه الأشياء يروى ذلك عن
ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب وإليه ذهب مالك والشافعي لما روي
عن أنس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه أخرجه الدارقطني

وذهب قوم الى ايجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الراي واحمد واسحاق
واتفق هولاء على ان خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الاشياء ما
روي عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان
في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق انا صببت له وضوءه اخرجه الترمذي وقال هو اصح
شيء في هذا الباب المسئلة الرابعة من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون او اغماء او نوم لما روي
عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ اخرجه ابو داود وابن ماجة
ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا ممكنا مقعده الى الارض ويدل على ذلك ما روي عن انس قال كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الاخيرة حتى تخفق رؤوسهم ثم يصلون ولا يتوضؤون
اخرجه ابو داود وذهب قوم الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول ابي هريرة وعائشة وبه قال
الحسن واسحاق والمزني وذهب قوم الى انه لو نام قائما او قاعدا او ساجدا او هو في الصلاة فلا وضوء
عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الراي لما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله اخرجه احمد
ابن حنبل وضعفه بعضهم هذا الحديث المسئلة الخامسة من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه
او غيره فذهب قوم الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة
وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق
غير ان الشافعي قال ينتقض الوضوء اذا مس ببطن الكف والرجل والمراة في ذلك سواء ويدل على ذلك
ما روي عن بسرة بنت صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ اخرجه
الترمذي وقال حديث صحيح ورواه ابو داود والنسائي نحوه وعن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ اخرجه ابن ماجة وصححه ابو زرعة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من افضى بيده الى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء اخرجه احمد بن حنبل وذهب
قوم الى ان مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وابي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن
واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصحاب الراي واحتجوا بما روي عن طلق بن علي قال قدمنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجاء رجل كانه بدوي فقال يا نبي الله ما ترى في مس الرجل ذكره بعد ما توضأ
قال هل هو الا مضغة او قال بضعة منه اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي ونحوه لفظه واجاب
من اوجب الوضوء من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بان قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في
اول الهجرة وهو يبني المسجد وابو هريرة من اخرهم اسلاما وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر
فصار حديث ابي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وايضا بان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن
طلق وهو ليس بالقوي عند اهل الحديث وقوله فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا اعلم
ان التيمم من خصائص هذه الامة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم اسباب العبادة ويدل على ذلك ما
روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف
الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء اخرجه مسلم وكان سبب
نزول التيمم ما روي عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا
بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه
وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقالوا الا ترى ما صنعت عائشة
اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول
الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس
وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده

في خاصرتي

مكان

في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فانزل الله عز وجل اية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير وهو
احد النقباء ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد
تحته اخرجه في الصحيحين قولها بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل صحراء فهي بيداء وجمعها بيد وذات
الجيش اسم لموضع وهي على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير اي اثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ماء
هذا معطوف على ما قبله والمعنى او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فطلبتم الماء لتتطهروا به
فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لان المحدث مامور بالتطهير بالماء فاذا اعوزه الماء
عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فان لم يجده تيمم
وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى وقال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب
للصلاة الثانية حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فهذا يشعر بسبق الطلب فلا بد في
كل مرة من سبق الطلب واجمعوا على انه لو وجد الماء الا انه يحتاج اليه لعطشه او عطش حيوان محترم فانه
يجوز له التيمم مع وجود ذلك الماء وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اصل التيمم في اللغة القصد يقال تيممت
فلانا اذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الماء لتادية الصلاة واختلفوا في الصعيد
الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوي من الارض وكذلك
قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لا شيء فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال ابو عبيد
في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق ماخوذ من الصعيد وهو التراب
وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا يبالي كان في الموضع تراب
ام لا لان الصعيد ليس هو التراب انما وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد فقال لا
يقع اسم الصعيد الا على تراب ذي غبار فاما البطحاء الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد
فان خالطه تراب او مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا بكحل ولا زرنيخ كل
هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القدوة في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه
على ذلك الفراء وابو عبيدة في انه التراب وجميع الاقوال في الصعيد صحيح في اللغة الا ان المراد به هنا التراب
وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذكر الشافعي انه
يختص بما وقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت
لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهورية ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض
هو الذي ينبت فيما يقبل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت فليس بطيب ولنا ايضا قوله
تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا يتاتى ذلك في الحجر
الذي لا تراب عليه وايضا فانه يقال للغبار صعيد لانه ماخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك
في الحجر وما اشبهه وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الارض كالرمل
والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده على صخرة ملساء لا غبار عليها ثم تيمم به صح
واحتج ابو حنيفة ومن وافقه بظاهر الاية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض
فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اي اقصدوا ارضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا واجيب عنه بما تقدم
من الدليل في قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض قالوا ولما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة
في تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر
ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما قد علا على الارض واجيب عنه بما تقدم
من الادلة وقوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم الوجه الممسوح في التيمم هو المحدود

في اللفظ. واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد فذهب أكثر أهل العلم منهم ابن عمر وسالم ابنه والحسن
وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي أنه يمسح الوجه واليدين إلى المرفقين بضربتين وصورة ذلك أن يضرب
كفيه على التراب وليمسح بهما وجهه ولا يجب إيصال التراب إلى منابت الشعر ثم يضرب ضربة أخرى
ويفرق أصابعه فيمسح يديه إلى المرفقين ويدل على ذلك ما روي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين أخرجه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي
عن إبراهيم بن محمد عن أبي الحويرث عن الأعرج عن أبي الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام إلى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على
الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي هذا حديث منقطع لأن الأعرج وهو عبد الرحمن بن
هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة وإنما سمعه من عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على أبي جهيم
بن الحارث فقال أبو الجهيم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل
فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح
بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام ولأبي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة إلى ابن عباس
فلما أن قضى حاجته فكان من حديثه يومئذ أن قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد خرج من غائط أو بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى إذا كاد الرجل أن
يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه على الحائط ومسح بهما وجهه ثم ضرب ضربة
أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال إنه لم يمنعني أن أرد عليك إلا أني لم أكن على طهر وفي
رواية فمسح ذراعيه إلى المرفقين قال البيهقي أحسن ما في هذا الباب فإن البيهقي أشار إلى صحة إسناده وفيه
دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وإيصال المسح إلى المرفقين وفيه دليل على أن التيمم
لا يصح ما لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لأن النبي صلى الله عليه وسلم حك الجدار بالعصا ولو كان مجرد
الضرب كافيا لما كان حكه وذهب الزهري إلى أنه يمسح اليدين إلى المنكبين ويدل على ذلك ما روي عن
عمار بن ياسر أنهم تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا بأكفهم
الصعيد ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بأيديهم
كلها إلى المناكب والآباط ثم بطون أيديهم أخرجه أبو داود وذهب جماعة إلى أن التيمم ضربة
واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول وإليه ذهب الأوزاعي
ومالك وأحمد وإسحاق وداود الظاهري واحتجوا بما روي عن عمار بن ياسر قال بعثني النبي صلى الله
عليه وسلم في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم أتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الأرض
ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه وفي رواية أن تقول هكذا
وضرب بيديه الأرض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه أخرجاه في الصحيحين وحجتهم أن اليد اسم لهذه
الجارحة وحدها عند بعض أهل اللغة من أطراف الأنامل إلى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة
وقال أبو إسحاق الزجاج حدها من أطراف الأنامل إلى الكتف فمن ذهب إلى أن الممسوح في التيمم هو
الكف قال إن حد اليد هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب إلى أن الممسوح في التيمم إلى المناكب
والآباط قال إن مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب إلى أن الممسوح في التيمم إلى المرفقين قال
إن التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء وهي الممسوحة في التيمم فيحمل المطلق الذي في
قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم على المقيد الذي في قوله تعالى في آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم
وأيديكم إلى المرافق وأجاب من ذهب إلى هذا عن حديث عمار بن ياسر بأن المراد منه بيان صورة الضرب
وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم **فصل** ولا يكون التيمم جنسه إلا التراب لما هو خالص

له غبار

له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل إذا كان عليه غبار الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لمهب
الريح لم يكفه ولو يممه غيره بإذنه مع عجزه جاز وإن كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب إلى الوجه
واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يجز والكمال أن ينوي استباحة الفرض والنفل
الخامس مسح الوجه واليدين إلى المرفقين بضربتين والترتيب ولا يجمع التيمم لصلاة إلا بعد دخول وقتها
ولا يجوز الجمع بين فرضين بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي
وقتادة وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وذهب جماعة إلى أن التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه
على أول الوقت ويجوز أن يصلي به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري
والثوري وأصحاب الرأي واتفقوا على أنه يجوز أن يصلي بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرائض وبعدها
إلى أن يدخل وقت الصلاة الأخرى وأن يقرأ القرآن إن كان جنبا ويشترط طلب الماء في السفر بأن يطلبه في
رحله وعند رفقائه وإن كان في صحراء لا حائل دون نظره نظر حواليه وإن كان دون نظره حائل قرب من تل
أو جدار أو نحوه عدل عنه لأن الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الماء إلا بعد طلب ولا يشترط
طلب عند أبي حنيفة فإن رأى الماء ولا يقدر عليه لمانع أو عدو أو سبع يمنعه من الذهاب إليه أو كان الماء
في بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا إعادة عليه والله أعلم وقوله تعالى
إن الله كان عفوا يعني يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح **غفورا** ستر على عباده فيغفر الذنوب
ويسترها وفيه تنبيه على أن الله تعالى رخص لعباده أمر العبادة لتيسيرها عليهم لأن من كانت عادته أن يغفر
الذنوب ويعفو عنها بأن يرخص للعاجزين أمر العبادة كان أولى قوله عز وجل **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا
من الكتاب** نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا إذا تكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا ألسنتهما وعاباه فأنزل الله ألم تر يعني ألم ينته علمك يا محمد إلى هؤلاء
الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعني أوتوا حظا من علم التوراة وذلك أنهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وأنكروا
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم معا فلذلك أتى بمن التي هي للتبعيض وقيل إنهم علموا التوراة ولم يؤتوا العلم
بما **يشترون الضلالة** يعني يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا ويحصل لهم
الرياسة وإنما ذكره بلفظ الشراء لأنه استبدال شيء بشيء وقيل فيه إضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى
ويريدون يعني اليهود **أن تضلوا السبيل** يعني عن السبيل والمعنى أنهم يتوصلون إلى إضلال المؤمنين والتلبيس
عليهم لكي يخرجوا عن الإسلام **والله أعلم بأعدائكم** يعني أنه سبحانه وتعالى أعلم بكنه ما في قلوب اليهود
من العداوة والبغضاء لكم يا معشر المؤمنين فلا تستنصحوهم فإنهم أعداؤكم **وكفى بالله وليا** يعني متوليا أمركم
والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره عداوة أحد **وكفى بالله نصيرا** يعني فهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته
ونصره قوله عز وجل **من الذين هادوا** قيل هو بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير ألم تر إلى الذين أوتوا
نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو
ابتداء كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم **يحرفون الكلم** أي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه **عن
مواضعه** يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الأمر فيخبرهم به فيرى أنهم يأخذون بقوله فإذا انصرفوا من عنده
حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف إلقاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو صرف اللفظ عن معناه
الحق إلى معنى باطل **ويقولون سمعنا وعصينا** يعني سمعنا قولك وعصينا أمرك وذلك أنهم كانوا
إذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل إنهم كانوا
يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافا **واسمع غير مسمع** هذه كلمة تحتمل المدح والذم فأما
معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها وأما معناها في الذم فإنهم كانوا يقولون اسمع منا ولا نسمع
منك وقيل إنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في أنفسهم لا سمعت وقيل

معناه غير مقبول منك ما تدعوا اليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترتضيه وراعنا
اي ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك اي اصرف سمعك الى كلامنا
وانصت الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الانبياء انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتبجيل والتفخيم ليا
بالسنتهم وطعنا في الدين اصله لويا لانه من لويت الشيء اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه
باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا
لعرف ذلك فاظهر الله على خبث ضمائرهم وما في قلوبهم من العداوة والبغضاء فقال تعالى ولو انهم قالوا
سمعنا واطعنا يعني ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا واسمع يعني بدل قولهم
لا سمعت وانظرنا يعني بدل قولهم راعنا اي انظر الينا لكان خيرا لهم يعني عند الله واقوم يعني اعدل
واصوب ولكن لعنهم الله يعني طردهم وابعدهم عن رحمته بكفرهم يعني بجحد محمد صلى الله عليه وسلم
فلا يؤمنون الا قليلا يعني فلا يؤمن منهم الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل
هو اعترافهم ان الله خالقهم ورازقهم قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب خطاب لليهود امنوا بما نزلنا
يعني القران مصدقا لما معكم يعني التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبد الله ابن
صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به
لحق فقالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر فانزل الله هذه الاية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد
فقال تعالى من قبل ان نطمس وجوها اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس ههنا
وجهين احدهما ان يحمل على حقيقته والثاني ان يحمل على مجازه اما من حمله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط
صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين فنردها على
ادبارها يعني نجعلها على هيئة ادبارها وهي القفا وقيل نديرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفاء
الى قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند ذلك يحصل
لهم الغم ويكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيامة واما من حمل الطمس على المجاز
فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب
والبصيرة فنردها على ادبارها يعني بتغيير احوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد
بالطمس محو اثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام من حيث جاءوا وهو اجلاء
بني النضير فان قلت قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك قلت
هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطهم او حمله على الحقيقة والجواب عنه
ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد امن منهم ناس فرفع ووقع على الباقين وروي ان عبد الله بن سلام لما
سمع هذه الاية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى
ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روي عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الاية في خلافة
عمر بن الخطاب اسلم وقال يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الاية فكان هذا الوعيد مشروطا
بان لا يؤمن احد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه امن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
كعبد الله بن سلام فيما تقدم وقيل ان الشرط باق وفي اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ
قبل يوم القيامة من قبل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس او باللعنة وهو قوله تعالى او
نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم وقيل المراد من لعنهم الطرد
والابعاد من الرحمة والكناية في نلعنهم تعود على المخاطبين في قوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب وهذا
على طريق الالتفات كما في قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح وقد يحتمل ان يكون معناه من قبل
ان نطمس وجوها ونلعن اصحاب الوجوه فتجعل الكناية في قوله او نلعنهم من ذكر اصحاب الوجوه اذ كان في
الكلام دلالة عليهم وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا يعني لا بد ان يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد

لحكمه

لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شيء يريد ان يفعله وقيل معناه وكان امر الله مفعولا والامر
هنا في موضع المامور سمي امرا لانه عن امره كان والمعنى وكان امر الله مفعولا قوله عز وجل ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال ابن جرير الطبري معناه يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا
بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون في الاية دلالة على ان اليهودي
يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الاية نزلت في وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه
ورجع الى مكة ندم هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه
ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها اخر الايات وقد دعونا
مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الايات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وامن
وعمل عملا صالحا الايتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرءوهما كتبوا اليه ان هذا شرط
شديد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم
فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل المشيئة فنزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية فبعث بها اليهم
فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة
فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم الاية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه
الاية ومعنى الاية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعني ويغفر ما دون الشرك
لمن يشاء من اصحاب الذنوب والاثام ففي الاية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر
المشيئة ان شاء عفا عنه وادخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم يدخل الجنة برحمته واحسانه
لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الاية دليل على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة
ان يغفر لصاحب كبيرة وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على
ذلك ايضا ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة
شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فامسكنا عن الشهادة وقال علي ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات
لم يدع من الخير شيئا الا عمله غير انه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيئا من
الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيئا فقال عمر الله اعلم فقال ابن عباس اني لارجو له كما انه
لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه قال ما في القران احب الي من هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار وقوله
تعالى ومن يشرك بالله يعني يجعل معه شريكا غيره فقد افترى اي اختلق اثما عظيما يعني ذنبا عظيما
غير مغفور ان مات عليه قوله عز وجل الم تر الى الذين يزكون انفسهم نزلت في رجال من اليهود
اتوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا ما نحن
الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه
الاية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والتدين ومنه تزكية الشاهد وهي تعديله
عن الا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهي صفة
في الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى فلا تصح التزكية الا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله

بل الله يزكي من يشاء. وقد دخل في هذا المعنى كل من زكى نفسه بصلاح او وصفها بزكاء العمل وبزيادة الطاعة والتقوى
وبزيادة الزلفى عند الله تعالى وهذه الاشياء لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم
بمن اتقى ومعنى يزكون انفسهم يزعمون انهم ازكياء الا انهم برءوا انفسهم من الذنوب فقال تعالى ردا عليهم
بل الله يزكي من يشاء يعني يجعله زكيا ولا يظلمون فتيلا يعني ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على
تلك التزكية من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيئا والفتيل المفتول
وسمي ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل ما فتلته بين اصابعك من وسخ وغيره ويضرب
به المثل في الشيء الحقير الذي لا قيمة له انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء اليهود
كيف يفترون على الله الكذب يعني في قولهم انا ابناء الله واحباؤه وتزكيتهم انفسهم وكفى به ابي بذلك
الكذب اثما مبينا قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت نزلت في كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب من اليهود قدموا مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا
على النبي صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل
كعب بن الاشرف على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزلت باقي اليهود على قريش في دورهم فقال اهل مكة
انتم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين
الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة
ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد
ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى
سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء
ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق
دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله
اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله الم تر يعني يا محمد الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن
الاشرف واصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني بسجودهم للصنمين واختلف العلماء فيهما
فقيل الجبت والطاغوت يعني كل معبود من دون الله تعالى وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود
لهما مرضاة لقريش وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت تراجمة الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر
عنها ويكلم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر عن قطن بن قبيصة عن
ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو
داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة هو زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم
اذا خرج لامر زجر طيرا فان اخذت ذات اليمين مضى في حاجته وان اخذت ذات الشمال رجع فهو العيافة
والطرق هو ضرب الحجارة والحصى على طريق الكهانة فهو العيافة والطيرة هو ان يتطير بالشيء فيرى الشؤم
فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل
الجبت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما يطغي الانسان وقيل الجبت هو حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف
اليهوديان وكانا طاغية اليهود ويقولون يعني كعب بن الاشرف واصحابه للذين كفروا يعني لكفار
قريش هؤلاء يعني كفار قريش اهدى من الذين آمنوا سبيلا يعني طريقا اولئك
الذين لعنهم الله يعني كعب بن الاشرف واصحابه ومن يلعن الله يعني يطرده من رحمته
فلن تجد له نصيرا يعني ينصره قوله تعالى ام لهم نصيب من الملك هذا استفهام انكار
يعني ليس لهم من الملك شيء البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف
نتبع العرب فاكذبهم الله تعالى وابطل دعواهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا هذا جواب لجزاء مضمر
تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فاذا لا يؤتون الناس منه نقيرا ووصفهم بالبخل في هذه
الآية

الآية ووصفهم بالجهل في الآية الاولى وهاتان الخصلتان كلتاهما مذمومة فكيف يدعون الملك وهي حاصلة فيهم
والنقير هي النقطة التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل في الشيء الحقير التافه
الذي لا قيمة له قوله عز وجل ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله اصل الحسد تمني زوال
النعمة عن من هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعيه في زوالها وحسد اليهود لشر خصلة وهي
الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه
صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان
امة وحده يعني انه يقوم مقام امة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان لفظ الناس
جمع وحمله على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب وقيل حسدوه على
ما احل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله امر النبوة عن الاهتمام
بامر النساء فاكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة يعني انه قد حصل
في اولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما
السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة فما المعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله
من فضله ومن انبيائه آل ابراهيم الكتاب والحكمة واتى المحسود … والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة
وآتيناهم ملكا عظيما يعني فلم يشغلهم عن النبوة فعن قيس العظام الكثرة النساء وحسن الملك العظيم
في حق داود وسليمان بكثرة النساء فانه كان لداود مائة امرأة ولسليمان الف امرأة ثلاثمائة حرة
وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسع نسوة فلما لم يكن مستبعدا في حقهم
ولا نقصا في نبوتهم فلا يكون مستبعدا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصا في نبوته وما انزل اليه
كعبد الله بن سلام واصحابه فمنهم يعني من اليهود من آمن به بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من صد
عنه يعني اعرض عنه ولم يؤمن به وكفى بجهنم سعيرا يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن بالنبي صلى
الله عليه وسلم سعير قوله تعالى ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا هذا وعيد من الله
عز وجل للذين اقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما انزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود
وغيرهم من سائر الكفار والمعنى ان الذين جحدوا ما انزلت على رسولي هذا من آياتي الدالة على توحيدي وصدق
رسولي صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا اي ندخلهم نارا نشويهم فيها كلما نضجت جلودهم
يعني احترقت بدلناهم جلودا غيرها يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال
القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ
ابن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكره الثعلبي بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار في كل يوم سبعين الف مرة وعن ابي هريرة
يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضرس الكافر او قال ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام فان قلت كيف تعذب جلود
لم تكن في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الاول في كل مرة غير ان الصنعة تبدلت الصفة وقيل ان العذاب
للجملة الحساسة وهي النفس التي عصت فاذا كان كذلك فتغيير … ان الله يخلق للكافر في كل
ساعة من الجلود ما لا يحصى لئلا يصل الالم اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم
من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت
لعنيت … وفيه مفارقة لما اخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها لان الجلد
احد اجزاء الجسم … وقيل يجري الجلد من لحم الكافر فيخرج من لحمه جلدا
وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لا تألم لتكون زيادة في عذابهم كلما احترق جلد بدلهم الله جلدا
غيره وقوله تعالى ليذوقوا العذاب اي انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا الم العذاب وكربه وشدته وانما قال

بلغت النضج ومع ما يبلغ الجسم من عظيم العذاب النضج فالمراد اخبار بان احساسهم به في كل حال كما حصل اول
الذايقة في تجديد وجود النضج ومن غير نقصان في احساسهم ان الله كان عزيزا يعني في انتقامه ممن ينتقم
من خلقه لا يغلبه شيء ولا يمتنع عليه احد حكيما يعني في تدبيره وقضايه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب
والذين امنوا وعملوا الصالحات يعني سوف ندخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها يعني بلا فنا فيها ابدا يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع
لهم فيها يعني في الجنة ازواج مطهرة يعني مطهرات من الحيض والنفاس وساير اقذار الدنيا
وندخلهم ظلا ظليلا يعني فيء ذلك الظل لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك
الظل هو ظل الجنة فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس تؤذيه بحرها فما فايدة وصفها بالظل الظليل
قلت انما خاطبهم لما يعقلون ويعرفون وذلك ان بلاد العرب في غاية الحرارة وكان الظل عندهم
من اعظم اسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قوله عز وجل ان الله
يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد
الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت
وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل انه مع عثمان فطلبه منه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فابى وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه المفتاح فلوى
علي بن ابي طالب يده واخذ المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه
ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله
هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر له ففعل ذلك
فقال له عثمان اكرهت ثم جيت ترفق فقال علي لقد انزل الله في شانك قرانا وقرا عليه فقال اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلم فكان المفتاح معه الى ان مات ثم دفعه الى اخيه شيبة
فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيامة قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله من اسلام
عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
امنعه المفتاح نظر والصحيح ما حكاه ابو عمر يوسف بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة
هاجر الى المدينة في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا
من عند النجاشي فرافقهما وهاجر معهما فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ
كبدها يعني انهم وجوه اهل مكة فاسلموا واسلم عثمان بن طلحة واتى بالمفتاح للنبي صلى الله عليه وسلم
يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه وسلم وقال خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم
ولم يذكروا سوال العباس السدانة والله اعلم وثبت في الصحيح من حديث ابن عمر قال اقبل النبي صلى
الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال
لعثمان ايتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في التفسير سبب نزول هذه
الاية من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت
من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بابي انت وامي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان
يده مخافة ان يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح واعاد العباس قوله وكف
عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تومن بالله واليوم الاخر فقال
هاكه يا رسول الله بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الاية فدعا عثمان ودفعه
اليه ففي هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة للزوم قوله صلى الله عليه
وسلم لعثمان ان كنت تومن بالله واليوم الاخر فابين على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله
يامركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله امره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل
الخطاب

الخطاب في قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها الولاة امور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم
ويدل على ذلك سياق الاية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الاية ان الله يامركم يا
ولاة الامور ان تؤدوا ما ايتمنكم عليه من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل
ان الاية عامة في جميع الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات
التي يحملها الانسان ويندرج تحت ذلك انواع لانه اقسام القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل
وهو فعل المامورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شيء حتى الوضوء والغسل
من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وساير انواع العبادات القسم الثاني هو رعاية الامانة مع
نفسه وهو ما انعم الله به عليه من ساير اعضايه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة
ونحو ذلك وامانة العين غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشغله بسماع شيء من اللهو والفحش
والاكاذيب ونحوها ثم ساير الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو امانة العبد مع ساير عباد
الله فيجب عليه رد الودايع والعواري الى اربابها الذين ايتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ايتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود
والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل في ذلك ايضا
عدل الامراء والملوك في الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذه الاشياء من الامانة التي امر الله عز وجل
باداييها الى اهلها روى البغوي بسنده عن انس قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال
لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له وقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
يعني ان الله يامركم ان تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان ياخذ الحق ممن وجب عليه واصل العدل
هو المساواة في الاشيا فكل ما خرج عن الظلم والاعتدا سمي عدلا قال بعض العلما ينبغي للقاضي
ان يسوي بين الخصمين في خمسة اشيا في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما
والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وان لا
يمتزج بذلك بغرض اخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب
الناس الى الله يوم القيامة وادناهم منه مجلسا امام عادل وابغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا
امام جاير اخرجه الترمذي وقوله تعالى ان الله نعما يعظكم به اي نعم الشيء الذي يعظكم به وهو اداء الامانات
والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يعني انه تعالى سميع لما تقولون بصير بما تعملون فاذا حكمتم
فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة فهو بصير بفعلكم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم عن ابن عباس قال لما نزلت قوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الاية قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه
النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وفيها عمار بن ياسر قال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه بعثه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل
الى عمار وقد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد بن الوليد فاخذ مال الرجل فقال عمار اني قد امنته
وقد اسلم فقال خالد اتجير علي وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز
امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر فطاعة الله عز وجل امتثال امره فيما امر والانقياد لذلك
الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا
لقوله واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلما في اولي الامر
الذين اوجب الله طاعتهم بقوله واولي الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقها والعلما
الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامراء والولاة

وهي رواية عن ابن عباس أيضا قال علي بن أبي طالب حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة فإذا
فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير
فقد عصاني وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما
أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وعن أنس بن مالك أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام
فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم أمراء السرايا والبعوث وهي رواية عن ابن عباس أيضا
ووجه هذا القول أن الآية نازلة فيهم وقال عكرمة أراد بأولي الأمر أبا بكر وعمر لما روي عن حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر
أخرجه الترمذي وقيل هم جميع الصحابة لما روي عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه رزين في كتابه وروى البغوي بسنده عن الحسن عن أنس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح قال الحسن
فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبري وأولى الأقوال بالصواب قول من قال هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين
مصلحة وقال الزجاج وجملة أولي الأمر من يقوم بشأن المسلمين في أمر دينهم وجميع ما أدى إليه
صلاحهم قال العلماء طاعة الإمام واجبة على الرعية ما دام على الطاعة فإذا زال عن الكتاب والسنة
فلا طاعة وإنما تجب طاعته فيما وافق الحق وقوله تعالى **فإن تنازعتم في شيء** يعني اختلفتم في شيء
من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله انتزاع الحجة وهو أن كل واحد من المتنازعين ينتزع الحجة
لنفسه **فردوه إلى الله والرسول** أي ردوا ذلك الأمر الذي تنازعتم فيه إلى كتاب الله عز وجل
وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته فردوه إلى سنته والرد إلى كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فإن وجد ذلك الحكم في كتاب الله أخذ به فإن لم يوجد في كتاب الله
ففي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد إلى الله
ورسوله أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** يعني
افعلوا ذلك الذي أمرتكم به إن كنتم تؤمنون بالله وأن طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد
الذي فيه جزاء الأعمال قال العلماء في الآية دليل على أن من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول
ومتابعة السنة والحكم بالأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله
واليوم الآخر **ذلك خير** يعني رد الحكم إلى الله ورسوله خير **وأحسن تأويلا** يعني وأحمد
عاقبة وقيل معناه ذلك أن ردكم ما اختلفتم فيه إلى الله ورسوله أحسن تأويلا منكم لو أعملتم
آراءكم قوله عز وجل **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك**
يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به قال ابن عباس نزلت في رجل
من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي انطلق إلى محمد وقال المنافق
انطلق إلى كعب بن الأشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر فأتيا
عمر فقال اليهودي اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصمي
إليك فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى أخرج إليكما فدخل عمر البيت
وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضي بين من لم يرض

بقضاء

بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل فسمي
الفاروق وقال السدي كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية
وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الأوس وكان إذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل
وأخذ بديته مائة وسق من تمر وإذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى ديته ستين
وسقا فلما جاء الإسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة
فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا وأنتم قد اصطلحنا على أن نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديتنا مائة
وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم
وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فنحن إخوة في الدين ولا فضل لكم علينا فقال المنافقون منهم انطلقوا إلى أبي
بردة الكاهن الأسلمي وقال المسلمون من الفريقين انطلقوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى المنافقون
وانطلقوا إلى أبي بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال أعظموا اللقمة يعني الخطر فقالوا لك عشرة أوسق فقال
لا بل مائة وسق ديتي فأبوا أن يعطوه إلا عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم وأنزل الله عز وجل آية القصاص
وأنزل هذه الآية ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والزعم بضم الزاي
وفتحها لغتان وأكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة الكذب
ولذلك قيل زعم مطية الكذب والمراد به في هذه الآية الكذب لأن الآية نازلة في المنافقين وظاهر الآية
يدل عليه قوله آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت يعني كعب بن الأشرف
في قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
هو أبو بردة الكاهن في قول السدي وقد أمروا أن يكفروا به يعني الطاغوت لأن الكفر بالطاغوت إيمان بالله عز
وجل **ويريد الشيطان أن يضلهم** يعني عن طريق الحق والهدى **ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم** يعني للمنافقين
تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول حتى تعلموا حكم الله الذي أنزله في كتابه وإلى الرسول ليحكم بينكم
به **رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا** يعني يعرضون عنك وعن حكمك إعراضا وإنما
أعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم علموا أنه صلى الله عليه وسلم كان يحكم
بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشا قوله عز وجل **فكيف إذا أصابتهم مصيبة** يعني فكيف حال هؤلاء
المنافقين وكيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة يعتذرون عندها **بما قدمت أيديهم** يعني عقوبة بسبب
ما قدمت أيديهم وهو التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم
ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر ذلك المنافق
وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة **ثم جاؤوك** يعني المنافقين حين تصيبهم المصائب
يعتذرون إليك **يحلفون بالله إن أردنا** أي ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك **إلا إحسانا** يعني في التحاكم إلى
غيرك لا إساءة **وتوفيقا** يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل جاء أولياء المنافق الذي قتله عمر
يطلبون بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر
ببالنا أنه يحكم له بما حكم به من قتل صاحبنا فأهدر الله دم ذلك المنافق **أولئك الذين يعلم الله**
ما في قلوبهم يعني من النفاق وعن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم **فأعرض عنهم وعظهم** يعني
باللسان والمراد زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وخوفهم بعذاب الآخرة **وقل لهم في أنفسهم**
قولا بليغا يعني بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو أن يوعدهم
بالقتل إن لم يتوبوا من النفاق وقيل هو أن يقول لهم إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لأن هذا القول
بليغ في أنفسهم كل مبلغ وقيل فأعرض عنهم في الملأ وقل لهم في أنفسهم إذا خلوت بهم قولا بليغا
أي أغلظ عليهم في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لأنها في السر أنجع وقيل
الإعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم إيصال المعنى إلى الفهم في أحسن

صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الإيجاز مع الإفهام
وحسن التصرف من غير إعجاز وقيل حسن الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق
أوله إلى سماع آخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة إلا إذا طابق لفظه معناه ومعناه لفظه ولم
يكن لفظه إلى السمع أسبق من معناه إلى القلب وقيل المراد بالقول البليغ في الآية أن يكون حسن الألفاظ
وحسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب والإعذار والإنذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب
فإن الكلام إذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب وأثر في النفوس قوله تعالى وما أرسلنا من رسول قال
الزجاج لفظة من هنا مؤكدة والمعنى وما أرسلنا رسولا إلا ليطاع بإذن الله يعني بأمر الله والمعنى
إنما وجبت طاعة الرسول بأمر الله لأن الله أذن في ذلك وأمر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه أي طاعته
تكون بإذن الله لأنه أذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما
أرسلنا من رسول إلا فرضت طاعته على من أرسلته إليهم فأنت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعته
على من أرسلته إليهم وفيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورضوا بحكم الطاغوت ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم يعني الذين تحاكموا إلى الطاغوت ظلموا أنفسهم
بالتحاكم إليها جاءوك يعني جاءوك تائبين من النفاق والتحاكم إلى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا
من المخالفة فاستغفروا الله يعني من ذلك الذنب بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار إليك من
إيذائك وحكمك والتحاكم إلى غيرك واستغفر لهم الرسول يعني من رضا الفتنة والتحاكم إلى غيره وإنما
قال واستغفر لهم الرسول على لفظ الغيبة ولم يقل واستغفرت لهم إجلالا للرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيما
له وتعظيما لاستغفاره وأنهم إذا جاءوه فقد جاءوا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه
وبين خلقه ومن كان كذلك فإن الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل إلى لفظة الالتفات
من لفظة الخطاب إلى لفظة الغيبة لوجدوا الله توابا رحيما يعني لو أنهم تابوا من ذنوبهم
ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا أن الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم قوله عز وجل
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام ورجل
من الأنصار عن عروة بن الزبير عن أبيه أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم
في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري سرح الماء يمر فأبى عليه فاختصما عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك
فغضب الأنصاري ثم قال يا رسول الله أن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر فقال الزبير والله إني لأحسب هذه
الآية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخاري فاستوعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأي
أراد فيه سعة له وللأنصاري فلما أحفظ الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى
الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم فقال الزبير والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك
قوله اختصما في شراج الحرة الشراج مسايل الماء التي تكون من الجبل وتنحدر إلى السهل الواحدة شرجة
بسكون الراء والحرة الأرض الحجرة الملبسة بالحجارة السود قوله فتلون وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعني تغير وهو قوله أحفظ أي أغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع
إلى الجدر وهو بفتح الجيم يعني أصل الجدار فاستوعى له أي استوفى له حقه في صريح الحكم وهو
أنكره أوضحه أقرب إلى فهم الواحد جمع أو لمرتا والواحد وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله
عليه وسلم أذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما أبى خصمه ذلك ولم يعترف بما أشار
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لأجله أمر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل

خصمه

سراح
ان
نزلت
للزبير
سعة له
كون

خصمه على مر الحق وعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها قال البغوي وروي أنهما
لما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الأنصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع
المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وأيم الله لقد
أذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا موسى إلى التوبة منه فقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا
سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم مني الصدق ولو أمرني محمد
أن أقتل نفسي لفعلت وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الآية في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصموا إلى
الطاغوت وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها فلا وربك معناه فوربك وعلى هذا تكون لا أول فيه زائدة
لتأكيد معنى القسم وقيل إن لا رد لكلام سبق كأنه قال ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك
ثم استأنف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من
الأمور وأشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شجر الأمر إذا تنازعوا فيه وأصله التداخل
والاختلاط وشجر الكلام إذا دخل بعضه على بعض واختلط ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت
يعني ضيقا مما قضيت وقيل شكا مما قضيت بل يرضوا بقضائك ويسلموا تسليما يعني وينقادوا
لأمرك انقيادا ولا يعارضونك في شيء من أمرك وقيل معناه ويسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك قوله عز وجل
ولو أنا كتبنا عليهم أي فرضنا وأوجبنا عليهم الضمير في عليهم يعود على المنافقين وقيل يعود الضمير
على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم يعني كما كتبنا على بني
إسرائيل القتل والخروج من مصر ما فعلوه إلا قليل منهم معناه لم يفعله إلا القليل منهم نزلت في ثابت بن
قيس بن شماس وذلك أن رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت
والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذين ذكرهم الله وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر
وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله
والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن من أمتي رجالا
الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي ومن قال إن الضمير في عليهم يعود إلى المنافقين قال معنى ما فعلوه
إلا قليل منهم يعني رياء وسمعة والمعنى أنا ما كتبنا عليهم إلا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
والرضا بحكمه ولو أنا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله إلا القليل منهم وقرئ
إلا قليلا منهم بالنصب وتقديره إلا أن يكون قليلا منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به يعني ولو
أنهم ما كلفوا به من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه لكان خيرا لهم يعني في الدنيا
والآخرة وإنما سمي ذلك التكليف وعظا لأن أوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب
والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا وأشد تثبيتا يعني تحقيقا وتصديقا لإيمانهم والمعنى أن ذلك
أقرب إلى إثبات إيمانهم وتصديقهم وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما يعني ثوابا وافرا جزيلا
وإذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت فقال وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما
ولهديناهم صراطا مستقيما قال ابن عباس يعني ولأرشدناهم إلى دين مستقيم يعني دين الإسلام
وقيل معناه ولهديناهم إلى الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى الصراط المستقيم يعني لأنه هو المؤدي
إلى الجنة قوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية نزلت في
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه
فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير
لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى
ألقاك ثم إني إذا ذكرت الآخرة أخاف لا أراك لأنك ترفع إلى عليين مع النبيين وإني إن دخلت الجنة كنت
في منزلة هي أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل إن بعض أصحاب

مزيدة

النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله في الدرجات العلا ونحن أسفل منك فكيف نراك
فأنزل الله هذه الآية ومن يطع الله يعني في أداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول يعني ويطع الرسول في السنن التي
سنها فأولئك مع الذين أنعمت عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة من
النبيين يعني المطيعين مع النبيين في الجنة لأنهم يرونهم ورؤية الأنبياء في الجنة ومجالستهم لا أنهم
يكونون في درجتهم في الجنة لأن ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول والصديقين
الصديق الكثير الصدق وقيل من الصدق والصديقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم
حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالجه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه
الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر فإنه هو الذي سمي بالصديق من هذه الأمة
وهو أفضل أتباع الرسل والشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم
أحد والصالحين جمع صالح وهو الذي استوت سريرته وعلانيته في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب
وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين أبي بكر وبالشهداء
عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة وحسن أولئك رفيقا يعني أنسا الجنة وهم النبيون والصديقون
والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كأنه قال وما أحسن أولئك رفيقا يعني في الجنة والرفيق الصاحب
سمي رفيقا لارتفاقه بصحبته وإنما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لأن العرب تعبر به عن الواحد
والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا وعن أنس أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن
الساعة فقال متى الساعة قال وما أعددت لها قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت
قال أنس فما فرحنا بشيء أشد فرحا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب
النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بأعمالهم وقوله
تعالى ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من وصف الثواب الفضل من الله يعني الذي أعطى الله المطيعين من
الأجر العظيم وكفى بالله عليما يعني بجزاء من أطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما يعني بعباده فهو
يوفقهم لطاعته وفيه دليل على أنهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل إنما نالوها بفضل الله ورحمته
ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة أحدكم عمله
الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضله ورحمته لفظ البخاري ولمسلم
نحوه قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا
من عدوكم ولا تمكنوه من أنفسكم وقيل المراد بالحذر هاهنا السلاح يعني خذوا أسلحتكم وعدتكم لقتال عدوكم
وإنما سمي السلاح حذرا لأنه يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا حذركم ولقائل أن يقول لما كان المقدور كائنا
فلا ينفع الحذر والجواب عنه بأنه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الأمر بأخذ الحذر من قضاء الله وقدره
فانفروا ثبات أي اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية أو انفروا جميعا يعني أو اخرجوا جميعا
كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى جهاد عدوكم وإن منكم لمن ليبطئن نزلت في المنافقين
وإنما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الإيمان في الجنسية والنسب والظاهر وكلمة الإسلام لا في حقيقة الإيمان
والمعنى وإن منكم لمن يتثاقل ويتأخر ويثبط غيره عن الجهاد وهو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وكان رأس
المنافقين فإن أصابتكم مصيبة أي قتل وهزيمة قال يعني هذا المنافق قد أنعم الله علي يعني
بالقعود إذ لم أكن معهم يعني مع المؤمنين شهيدا يعني حاضر الوقعة فيصيبني ما أصابهم ولئن
أصابكم فضل من الله أي فتح وغنيمة ليقولن يعني هذا المنافق كأن لم يكن بينكم وبينه مودة
أي معرفة ومودة في الدين والمعنى كأنه ليس من أهل دينكم وذلك أن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين
في الظاهر يا ليتني كنت معهم في تلك الغزوة التي غنم فيها المؤمنون فأفوز فوزا عظيما أي فآخذ
نصيبا وافرا من الغنيمة قوله عز وجل فليقاتل في سبيل الله هذا خطاب للمنافقين فليخلصوا الإيمان وليقاتل

في سبيل الله

في سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين أي فليقاتل المؤمنون في سبيل الله الذين يشرون
الحياة الدنيا بالآخرة أي يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لأنه استبدل عوضا بعوض والمعنى
فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم في الحياة الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها
لأهل الإيمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا
ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أي فيستشهد أو يغلب (فيستشهد)
يعني يظفر بعدوه من الكفار فسوف نؤتيه يعني في كلا الحالتين الشهادة أو الظفر نؤتيه فيهما
أجرا عظيما يعني ثوابا وافرا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن
خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة
أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة لفظ مسلم قوله عز وجل وما لكم لا تقاتلون
في سبيل الله قال المفسرون هذا حض من الله تعالى على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المستضعفين من أيدي الكفار
وفيه دليل على أن الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والأذى
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال ابن عباس يريد أن قوما من المؤمنين استضعفوا فحبسوا
وعذبوا وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين أذى شديدا وقيل أهل مكة قد أجمعوا أن يفتنوا قوما من المؤمنين
عن دينهم بالأذى لهم وكانوا مستضعفين في أيديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى
هذا يكون معنى الآية وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن
المستضعفين أي المراد خلاصهم ثم عن ابن عباس في قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله إلى
والمستضعفين الآية قال كنت أنا وأمي من المستضعفين وفي رواية ابن أبي مليكة قال ابن عباس أنا ممن
المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت أنا وأمي ممن عذر الله أنا من الولدان وأمي من النساء
فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون والمستضعفين أي المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان فإنهم ممن عذر الله في ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير الذين يقولون
ربنا أخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم أهلها يعني الظالم أهلها أنفسهم بالشرك لقوله
تعالى إن الشرك لظلم عظيم وذلك أن المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة إلى المدينة
دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا أخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم أهلها بالشرك واجعل لنا
من لدنك وليا يعني وليا يلي أمرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا يعني ينصرنا ويمنعنا من العدو
فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه
وسلم فتولى أمرهم ونصرهم واستنقذهم من أيدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم
عتاب بن أسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ للضعيف
من القوي قوله عز وجل الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله يعني في طاعة الله وإعلاء كلمته
وابتغاء مرضاته والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت يعني في طاعة الشيطان فقاتلوا
أولياء الشيطان أي فقاتلوا أيها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار إن كيد
الشيطان كان ضعيفا الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال وضعف كيده ما كاد المؤمنين
به من خذلانه أولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لأنه خذل أولياءه الكفار لما رأى الملائكة
حين نزلت يوم بدر وكان النصر لأولياء الله وحزبه على أولياء الشيطان وحزبه وإنما دخل كان في قوله
كان ضعيفا للتأكيد ضعف كيد الشيطان قوله عز وجل ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم
وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن
الأسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص وجماعة من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله

ابن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فاني لم اومر
بقتالهم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعني قيل لهم كفوا ايديكم عن قتالهم واذاهم واما افترض عليكم
من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد فلما كتب عليهم القتال
اي فرض عليهم جهاد المشركين وامروا بالخروج الى بدر اذا فريق منهم يعني اذا جماعة من الذين سالوا
ان يفرض عليهم الجهاد يخشون الناس يعني يخافون من مشركي مكة كخشية الله او اشد خشية
او بمعنى الواو يعني واشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال يعني لم فرضت علينا الجهاد
لولا اخرتنا الى اجل قريب هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بآجالنا والقايلون هذا القول
هم المنافقون لان هذا القول لا يليق بالمومنين وقيل قاله بعض المومنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا
لا اعتقادا ثم انهم تابوا من هذا القول قل اي قل لهم يا محمد متاع الدنيا قليل يعني ان منفعتها والاستمتاع
بالدنيا قليل لانه فان زايل والآخرة يعني ثواب الآخرة خير لمن اتقى يعني اتقى الشرك ومعصية
الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون من اجوركم قدر فتيل م عن المستورد
ابن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه هذه واشار يحيى بالسبابة في اليم فلينظر بم ترجع قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم
الموت نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم
بهذه الآية وقيل نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى اينما تكونوا
يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين تعالى انه لا خلاص لهم من الموت واذا كان لا بد لهم من الموت
كان القتل في سبيل الله وجهاد اعدائه افضل من الموت على الفراش لان الجهاد موت تحصل به سعادة
الآخرة ثم بين تعالى انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينجي منه شيء بقوله ولو كنتم في بروج مشيدة
البروج في كلام العرب الحصون والقلاع المشيدة المرفوعة المطولة وقيل هي المطلية بالشيد
وهو الجص وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله نزلت في المنافقين واليهود وذلك
ان المدينة كانت ذات خير وارزاق ونعم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين
وعناد اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا
ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة
اي خصب الثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله يعني من قبل الله وان تصبهم سيئة اي جدب
في الثمار وغلاء في السعر يقولوا هذه من عندك يعني من شوم محمد واصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر
والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى من عندك انت الذي حملتنا عليه يا محمد
فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة قل اي قل لهم يا محمد كل من عند الله يعني الحسنة
والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل اما الحسنة فانعام من الله واما السيئة
فابتلاء منه فما لهؤلاء القوم اي فما شان هؤلاء المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا لا يكادون
يفقهون حديثا اي لا يفقهون معاني القرآن وان الاشياء كلها من الله عز وجل خيرها وشرها قوله تعالى
ما اصابك من حسنة يعني من خير ونعمة فمن الله يعني من فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه
عليك وما اصابك من سيئة اي يعني من شدة ومكروه ومشقة واذى فمن نفسك يعني من فعل
نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفي المخاطب بهذا الكلام قولان احدهما انه
عام وتقديره ما اصابك ايها الانسان والثاني انه خطاب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره
من الامة والنبي صلى الله عليه وسلم بري لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد
عصمه من حين ان بعثه فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ومن الدليل ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز
وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى قوله
فمن نفسك

فمن نفسك اي عقوبة لذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة وقال الكلبي ما اصابك من خير فالله هداك له واعانك عليه
وما اصابك من امر تكرهه فمن نفسك عقوبة لك الذنب وقد تعلقوا بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا نفى الله
السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس
المراد من الآية الحسنة الكسب من الطاعات والسيئة المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة
في هذه الآية ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال في الطاعة والمعصية
اصابتني وانما يقال اصبتها ويقال في النعم والمحن اصابني بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو
كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله
حسنات الكسب وسيئاته تكلم عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقيل لو كانت هذه الآية على ما يقول اهل
القدر لقال ما اصبت من حسنة وما اصبت من سيئة ولم يقل ما اصابك لان العادة لم تجر بقول الانسان اصابني
خير او مكروه واصبت حسنة او سيئة وقيل في معنى الآية ما اصابك من حسنة اي النصر والظفر يوم بدر
فمن الله اي من فضل الله وما اصابك من سيئة اي من قتل وهزيمة يوم احد فمن نفسك يعني فبذنوب اصحابك
وهو مخالفتهم اياك فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك
من سيئة فمن نفسك فاضاف السيئة الى فعل العبد في هذه الآية قلت اما اضافة الاشياء كلها الى الله
تعالى في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة السيئة الى فعل
العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل اضافة السيئة
الى فعل العبد على سبيل الادب ولا شك ان الممرض هو الله تعالى فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو
يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا شك ان الممرض هو الله تعالى وقيل
هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتاخير تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
ويقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانباري
في معنى الآية ما اصابك الله من حسنة وما اصابك من سيئة فالفعل فيهما لله تعالى قوله تعالى وارسلناك
للناس رسولا يعني وارسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا فتبلغهم رسالتي وما ارسلتك به ولست
رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل انت رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم وكفى بالله
شهيدا يعني على ارسالك للناس كافة فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه
وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله قوله عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله
سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله
فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا فانزل
الله هذه الآية من يطع الرسول يعني فيما امر به ونهى الله عنه فقد اطاع الله يعني ان طاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المكلفين وقال الشافعي ان كل فريضة فرضها الله في
كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان
يمكننا اداء شيء من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت
طاعته على الحقيقة طاعة الله ومن تولى اي اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا يعني
حافظا تحفظ اعمالهم عليهم بل امرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل ان يومر بالقتال ثم
نسخ ذلك بآية القتال قوله تعالى ويقولون طاعة نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا
يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اي امرنا
وشاننا طاعة فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول
التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر مبيت اذا دبر بليل وقضي بليل فقد بيت والمعنى انهم قالوا

وقدروا أمرا بالليل غير الذي أعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذي تقول
يعني الذي عهدت إليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وإنما خص طائفة من المنافقين بالتبييت أيهم
في قوله منهم وكلمة من للتبعيض لأنه تعالى علم أن منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه
ويتوب فخص من يصر على النفاق بالذكر وقيل إن طائفة منهم اجتمعوا في الليل وبيتوا ذلك القول
فخصهم بالذكر والله يكتب أي يثبت ويحفظ عليهم ما يبيتون يعني ما يزورون ويغيرون ويفترون
وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق فأعرض عنهم أي لا تعاقبهم يا محمد ولا تحدث نفسك
بالانتقام منهم وخلهم وخل النفاق فإنا منتقم منهم وقيل لا تغتر بإسلامهم وتوكل على الله
أي وثق أمرك إلى الله في شأنهم فإن الله يكفيك أمرهم وينتقم لك منهم وكفى بالله وكيلا
يعني ناصرا لك عليهم قوله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن أصل التدبير النظر في عواقب الأمور والتفكر
في أدبارها ثم استعمل في كل تفكر وتأمل يقال تدبرت الشيء إذا نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل
معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات قال ابن عباس أفلا يتدبرون القرآن أي يتفكرون فيه
فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي وأن أحدا من الخلق لا يقدر عليه
قال العلماء إن الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة
في ذلك من ثلاثة أوجه أحدها فصاحته التي عجز الخلق عن الإتيان بمثله في أسلوبه الثاني إخباره
عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على أحوال المنافقين وما يخفونه من مكرهم
وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الأخبار عن أحوال الأولين وأخبارهم وما يأتي في المستقبل
من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قال ابن عباس يعني تفاوتا وتناقضا وفي رواية
عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا في إخباره عن الغيب بما يكون
وبما هو كائن اختلافا كثيرا لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى وإذا كان كذلك ثبت أنه من عند الله وأنه
ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة
والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق لقيامه فيه بين بليغ حسن وبعضه
مرذول ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة ثبت أنه من
عند الله والمعنى أفلا يتفكرون في القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب
أنه كلام الله عز وجل وأن ما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن
ليس فيه تناقض واختلاف علم أنه من عند قادر لا يقدر عليه غيره عالم لا يعلمه سواه قوله
تعالى وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث
البعوث والسرايا فإذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون
به قبل أن يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فأنزل الله هذه الآية
وإذا جاءهم يعني المنافقين أمر من الأمن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة أو الخوف يعني القتل والهزيمة
أذاعوا به أي أفشوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس يقال أذاع السر وأذاع به إذا أشاعه وأظهره
قال الشاعر أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب ولو ردوه
يعني الأمر الذي تحدثوا به إلى الرسول يعني أنهم لم يحدثوا به حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم
الذي يحدث به ويظهره وإلى أولي الأمر منهم ذوي العقول والرأي والبصر بالأمور منهم وهم
كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم أمراء السرايا والبعوث وإنما قال منهم على
حسب الظاهر لأن المنافقين كانوا يظهرون الإيمان فلهذا قال إلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم أي يستخرجونه بتدبيرهم بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور

الحرب

الحرب وما ينبغي من مكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي أن يكتم من الأمور وما ينبغي أن يذاع منها
والنبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل
بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبير لما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه
المسألة إذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الآية دليل على جواز القياس وأن من العلم ما يدرك
بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الآية ولو
أن هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الأمر من الأمن أو الخوف إلى الرسول وإلى أولي الأمر وطلبوا معرفة
الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وأنهم أولى بالبحث عنه وأنهم أعلم بما ينبغي
أن يشاع أو يكتم قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد
صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية لاتبعتم الشيطان يعني لبقيتم على
الكفر والضلالة إلا قليلا اختلف العلماء في هذا الاستثناء إلى ماذا يرجع فقيل هو راجع إلى الإذاعة
وهو قول ابن عباس والتقدير وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلا قليلا ما خرج بعض المنافقين
والمؤمنين عن هذه الإذاعة فإنهم لم يذيعوا ما علموا من أمر السرايا وهذا القول هو اختيار الفراء وابن
جرير الطبري وقيل هو راجع إلى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه
الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير وقيل إنه راجع إلى
اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم أن صرف الاستثناء إلى ما يليه ويتصل به
أولى من صرفه إلى الشيء البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا منكم
وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الإيادي قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك نزلت في
مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده
موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد وكان في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فأنزل الله هذه الآية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو
والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف إلا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو
وحدك فإن الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سبعين راكبا إلى بدر الصغرى فكفاهم الله تعالى القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من
تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على سبيل ترك الجهاد والخروج معه وفي الآية دليل
على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأعلمهم بأمور القتال ومكايده لأن الله تعالى أمره بالقتال
وحده ولو لم يكن أشجع الناس لما أمره بذلك ولهذا اقتدى به أبو بكر الصديق في قتال أهل الردة من بني
حنيفة الذين منعوا الزكاة فإنه عزم على الخروج إلى قتالهم ولو وحده وحرض المؤمنين يعني حضهم
على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى
الله أي لعل الله أن يكف بأس الذين كفروا يعني لعل الله أن يمنع بأس المؤمنين والله أشد
بأسا أي أعظم صولة وأشد تنكيلا يعني وأشد عذابا وعقوبة من غيره قوله عز وجل من
يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها الشفاعة مأخوذة من الشفع وهو أن يصير
الإنسان نفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسألة إلى المشفوع إليه فعلى
هذا قيل إن المراد بالشفاعة المذكورة في الآية شفاعة الإنسان لغيره ليجلب له بشفاعته
نفعا أو يخلصه من بلاء نزل به وقيل هي في الإصلاح بين الناس وقيل معنى الآية من يصير شفعا
لوتر أصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها أي حظ وأجر من أجل
شفاعته وهو ثواب الله وكرامته ومن يشفع شفاعة سيئة قيل هي النميمة ونقل

الحديث لا يقاطع العداوة بين الناس وقيل اراد بالشفاعة الحسنة دعاء المومن على المسلمين وقيل
معناه من يشفع كمن يقاتل المومنين يكن له كفل اي ضعف وقيل نصيب منها اي من وزرها وكان الله
على كل شيء مقيتا قال ابن عباس يعني مقتدرا او مجازيا او قلة على الشيء قدر عليه قال الشاعر
وذي ضغن كففت السوء عنه ... وكنت على اساءته مقيتا
يعني قادرا على الاساءة اليه وقيل معناه شاهدا او حفيظا على الاشياء وعن ابي موسى قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالسا فجاء رجل يسأل فاقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي
الله على لسان رسوله ما شاء وفي رواية كان اذا اتاه طالب حاجة اقبل على جلسائه فقال اشفعوا تؤجروا
وذلك قوله عز وجل واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها التحية تفعلة من تفعله من حيي
واصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا وفي الاخرة
والتحية ان يقال حياك الله اي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب
تقولها فلما جاء الاسلام ابدل ذلك بالسلام وهو المراد به في الاية يعني اذا سلم عليكم المسلم
فاجيبوه باحسن مما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظ حياك الله لانه اتم واحسن
واكمل لان معنى السلام السلامة من الافات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته
مذمومة منغصة واذا كان في حياته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام او
ردوها يعني او ردوا عليه كما سلم عليكم ان الله كان على كل شيء حسيبا يعني محاسبا مجازيا
والمعنى انه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله او باحسن منه مجازيا عليه فصل في فضل
السلام والحث عليه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف قوله اي الاسلام خير
معناه اي خصال الاسلام خير عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة
حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم خ
عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايها الناس افشوا السلام واطعموا
الطعام وصلوا الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح
عن ابي امامة قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشي السلام اخرجه ابن ماجة فصل
في احكام تتعلق بالسلام وفيه مسائل المسألة الاولى في كيفية السلام عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة
جلوس فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك
ورحمة الله فزادوا ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته فياتي بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة
الله وبركاته فياتي بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن الحصين قال جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر
ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون فجاء اخر فقال
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون اخرجه الترمذي وابو داود وقال
الترمذي حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله
فيزاد ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيد وبركاته واذا قال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه بمثله ولا يزيد عليه وروي ان رجلا سلم على ابن عباس
فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة
ويستحب للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط ان يكون الرد

استغني

فاذا قال السلام عليكم
ورحمة الله

على الفور

٤٣

على الفور فان اخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد المسألة الثانية في حكم السلام الابتداء
بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى
عن جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل واكمل قال القاضي حسين من اصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية
الا هذا وفيه نظر لان تشميت العاطس سنة على الكفاية ايضا كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت او
مجلس او مسجد وجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب
او يكون ذلك سنة متأكدة لان السلام من شعائر اهل الاسلام فيجب اظهاره او في ذكر استحبابه اما
الرد على المسلم فقد اجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها
او ردوها والامر للوجوب ولان في ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحدا
وجب عليه الرد وان كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط فرض
الرد عن الباقين وان تركه كلهم اثموا عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزئ عن الجلوس ان يرد احدهم
اخرجه ابو داود المسألة الثالثة في اداب السلام السنة ان يسلم الراكب على الماشي والماشي على
القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير واذا التقى رجلان فالمبتدئ بالسلام
هو الافضل لما روي عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله عز
وجل من بداهم بالسلام اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان
ايهما يبدأ بالسلام قال اولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب ان يبدأ بالسلام قبل الكلام
والحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار ان يسلم عليهم لما روي عن انس انه مر على صبيان فسلم
عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه في الصحيحين وفي رواية لابي داود ان النبي
صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم واما السلام على النساء فان كن جمعا جالسات
في مسجد او موضع فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه او عليهن فتنة لما روي عن اسماء
بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا اخرجه ابو داود
وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود
فالوى بيده بالتسليم قال الترمذي حديث حسن واذا مر على امرأة منفردة اجنبية فان كانت جميلة
فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا
عليها الفتنة سلم عليها وترد هي عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال في
السلام فيسلم بعضهم على بعض المسألة الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها من ذلك
الذي يبول او يتغوط او يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روي
عن ابن عمر ان رجلا مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم عليه فلم يرد عليه اخرجه مسلم
قال الترمذي انما يكره اذا كان على الغائط او البول ويكره التسليم على من في الحمام وقيل ان
كانوا متزرين بالمآزر سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلي
والمؤذن في حال الاذان والتالي في حال الصلاة والاداء او التلاوة ويكره ان يبدأ المبتدع بالتسليم
عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء المسألة الخامسة
في حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى اختلف العلماء فيه فذهب اكثرهم انه لا يجوز ان
ابتداوهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهية تنزيه ويدل على ذلك ما روي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم
احدهم في طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم واذا سلم يهودي او نصراني على مسلم فيرد
عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روي عن انس ان يهوديا اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم

واصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال
قالوا الله ورسوله اعلم يا نبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه علي فردوه فقال قلت السام
عليكم قال نعم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا
عليك اي عليك ما قلت اخرجه الترمذي فلو اتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نجاب
عليهم في الدعاء ولا يجاب علينا فيهم ويدل على ذلك ما روي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه
ناس من اليهود فقالوا السام عليكم يا ابا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت الم تسمع
ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا اخرجه مسلم
واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى فيسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين
لما روى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه اخلاط من المسلمين واليهود
فسلم عليهم اخرجه الترمذي والله اعلم قوله عز وجل **الله لا اله الا هو ليجمعنكم** هذه
القسم تقديره والله الذي لا اله الا هو ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور **الى يوم القيامة** يعني
الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل القيام للحساب
نزلت هذه الاية في منكري البعث **لا ريب فيه** يعني لا شك في ذلك اليوم انه كائن **ومن اصدق من الله حديثا**
يعني لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى لا شك فيها ولا ريب قوله عز وجل
فما لكم في المنافقين فئتين اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقيل نزلت في الذين تخلفوا يوم احد من
المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم
يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام وعن زيد بن ثابت
قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه وكان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم وفرقة تقول لا نقتلهم فنزلت فما لكم في المنافقين فئتين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفي الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد وقيل نزلت
في قوم خرجوا المدينة واسلموا ثم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى مكة
لياتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقائل يقول هم
منافقون وقائل يقول هم مومنون وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة واسلموا ثم ندموا على
ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا على الذي فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا في
تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم وناخذ ما معهم لانهم
رغبوا عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان
هذا بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى احد الفريقين فنزلت هذه الاية
وقيل انها نزلت في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين وقيل نزلت في عبد الله
ابن ابي بن سلول المنافق لما تكلم في حديث الافك ومعنى الاية فما لكم يا معشر المومنين في
المنافقين فئتين اي صرتم في امرهم فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم
فنهى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وامر المومنين جميعا ان يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم
والتبري منهم ثم اخبر عن كفرهم بقوله **والله اركسهم** يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم
وردهم الى احكام الكفار **بما كسبوا** اي بسبب ما اكتسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل بما اظهروا
من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق **اتريدون ان تهدوا من اضل الله** هذا خطاب للفئة التي دافعت
عن المنافقين والمعنى اتبتغون ايها المومنون هداية هولاء المنافقين الذين اضلهم الله عن الهدى
ومن يضلل الله يعني عن الهدى **فلن تجد له سبيلا** يعني فلن تجد له طريقا يصل به الى الحق والهدى قوله

تعا

حزب

الى

١٤٢

تعالى **ودوا** يعني تمنى اولئك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر **لو تكفرون** يعني تكفرون انتم
يا معشر المومنين **كما كفروا فتكونون سواء** في الكفر **فلا تتخذوا منهم اولياء** يعني من الكفار ومنع
المومنين من موالاتهم **حتى يهاجروا** يعني يسلموا ويهاجروا **في سبيل الله** معكم وهي هجرة اخرى
والهجرة على ثلاثة اوجه الاولى هجرة المومنين في اول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة
المومنين وهي الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما
حكى الله عنهم وفي الاية هذه منع المومنين من موالاة المنافقين حتى يهاجروا والهجرة الثالثة هجرة
المومنين ما نهى الله عنه بقوله **فان تولوا** يعني فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة على
الكفر **فخذوهم** الخطاب للمومنين اي خذوهم ايها المومنون **واقتلوهم حيث وجدتموهم** يعني اين
وجدتموهم في الحل والحرم **ولا تتخذوا منهم اولياء** يعني في هذه الحالة **ولا نصيرا** يعني لينصركم على
اعدائكم لانهم اعداؤكم ثم استثنى الله عز وجل منهم فقال تعالى **الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق** هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى
يصلون ينتسبون اليهم او يتصلون بهم او يدخلون معهم بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجئون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع
هلال بن عويمر الاسلمي عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه
وغيرهم ولجأ اليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال وفي رواية عن ابن عباس قال اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم
ميثاق بني بكر ابن زيد مناة كانوا في الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى من دخل في عهدكم كان داخلا
في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم **او جاءوكم حصرت صدورهم** يحتمل ان يكون عطفا على الذين
وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين او يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل
ان يكون عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق حصرت صدورهم فلا تقتلوهم
ومعنى حصرت اي ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتال قومهم
لانهم اقاربهم وهم بنو مدلج وكانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم
ان يقاتلوكم يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم **او يقاتلوا قومهم** يعني
من امن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم يعني ضاقت
صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر فنهى الله عن قتال
هولاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدم
وذلك لان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا او لجأ الى معاهد او ترك القتال لانه لا يجوز قتل
هولاء على هذه الاقوال او القول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز قال جماعة من
المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم في هذه الاية منسوخة باية السيف وذلك ان
الله تعالى لما اعز الاسلام واهله امر ان لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او القتل **ولو شاء الله
لسلطهم عليكم فلقاتلوكم** يذكر الله منته على المسلمين بكف باس المعاهدين وذلك لما القى
الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين **فان اعتزلوكم** يعني فان اعتزلوكم عن قتالكم **فلم
يقاتلوكم** وقيل فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم **والقوا اليكم السلم** يعني الانقياد
والصلح والقاد واي استسلموا **فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** يعني بالقتل والقتال قال بعض
المفسرين ان هذا منسوخ باية القتال وهو قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هي
غير منسوخة لانا اذا حملنا على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة قوله عز وجل **ستجدون
اخرين** قال ابن عباس هم اسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم
غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا امنت يقول امنت بهذا القرد والعقرب والخنفساء

واذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين
وفي رواية اخرى عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة يريدون ان يامنوكم يعني
يريدون باظهار الايمان ان يامنوكم فلا تتعرضوا لهم ويامنوا قومهم يعني باظهار الكفر لهم فلا
يتعرضوا لهم كلما ردوا الى الفتنة يعني كلما دعوا الى الشرك اركسوا فيها رجعوا الى الشرك وعادوا
اليه منكوسين على رؤوسهم فيه فان لم يعتزلوكم يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا الى مكة

فخذوهم يعني اسروهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم يعني حيث ادركتموهم واولئكم يعني
اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا يعني حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة
الواضحة هو ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة قوله تعالى وما كان لمومن ان
يقتل مومنا الا خطا الاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة
وتحصن في اطم من اطامها وان امه جزعت جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث وابي
جهل ابني هشام وهما اخوا عياش بن ربيعة لامه والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا
حتى تاتوني به فخرجا في طلبه وخرج معهم الحرث بن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا
وهو في الاطم فقالا انزل فان امك لم ياوها سقف بعدك وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها
ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع امه واوثقوا
له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة
ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا
في الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذي ارادوا فاتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذي كنت عليه
لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله
لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر واسلم الحرث بن زيد بعده وهاجر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينما عياش
يسير بظهر قباء اذ لقي الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اي شيء صنعت انه قد اسلم
فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كان من امري وامر الحارث ما قد علمت
واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا ومعنى الاية وما كان لمومن
ان يقتل مومنا البتة وما كان له سبب لجواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه
وعهد اليه فيه تحريم قتال المومن من كل وجه وقوله تعالى الا خطا استثناء منقطع معناه لكن
ان يخطئ المومن فكفارة خطائه ما ذكر من بعد والخطا فعل الشيء من غير قصد وتعمد ومن قتل مومنا
خطا فتحرير رقبة مومنة يعني فعليه اعتاق رقبة مومنة كفارة ودية مسلمة الى اهله
اي وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه الا ان يصدقوا يعني الا ان يتصدق اهل
القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه فان كان يعني المقتول من قوم عدو لكم وهو مومن
فتحرير رقبة مومنة اراد انه اذا كان رجل مسلم في دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار
فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه اذا كان المقتول
مسلما في دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه في دار الحرب وهو حرب للمسلمين
ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة
تحرير رقبة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد وان كان من قوم بينكم وبينهم
ميثاق اي عهد فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مومنة يعني انه اذا كان المقتول كافرا
معاهدا او ذميا فتجب فيه الدية والكفارة فمن لم يجد يعني الرقبة فصيام شهرين متتابعين

اي فعليه

ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم

٢٤٣

اي فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة توبة من الله يعني جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطا
وكان الله عليما يعني بمن قتل خطا حكيما يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة فصل في
احكام تتعلق بالاية وفيه مسائل المسالة الاولى في بيان صفة القتل قال الشافعي القتل على ثلاثة اقسام
عمد وشبه عمد وخطا اما العمد المحض فهو ان يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتله ففيه القصاص
عند وجود التكافي او دية حالة مغلظة في مال القاتل واما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا
يقتل مثله غالبا مثل ان ضربه بعصا خفيفة او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية
مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين واما الخطا المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيئا اخر فاصابه
فمات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطا
ايضا ان يقصد رمي مشرك او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان فيظنه مشركا بان كان عليه
لباس المشركين او شعارهم فالصورة الاولى خطا في الفعل والثانية خطا في القصد المسالة الثانية
في حكم الديات ودية الحر المسلم مائة من الابل فاذا اعوزت الابل فتجب قيمتها من الدراهم والدنانير
في قول وفي قول يجب المقدر وهو الف دينار او اثنا عشر الف درهم ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار او ثمانية
الاف درهم قال وكانت دية اهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف
عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثني
عشر الف درهم وعلى اهل البقر مائتي بقرة وعلى اهل الشاء الفي شاة وعلى اهل الحلل مائتي حلة قال وترك
دية اهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود وذهب قوم الى ان الواجب في الدية
مائة من الابل او الف دينار او اثنا عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري وبه قال
مالك والشافعي وذهب قوم الى انها مائة من الابل او الف دينار او عشرة الاف درهم وهو قول سفيان
الثوري واصحاب الراي ودية المراة نصف دية الرجل الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان
كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعي
نصف وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد والاصل
في ذلك عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه
ابو داود وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى
اخرجه النسائي ومن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بان الاصل في ذلك كان
النصف ثم رفع زمن عمر الى الف دينار دية المسلم ولم يرفع دية الذمي فبقي على اصلها وهو قدر الثلث
من دية المسلمين والدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون
خلفة في بطونها اولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي لما روي عن عمرو
ابن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اولياء المقتول
فان شاؤوا قتلوا وان شاؤوا اخذوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وما صولحوا
عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن اوس عن رجل
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا وان
قتيل العمد الخطا بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية
اخرى الا ان قتيل خطا العمد او شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل منها اربعون في بطونها
اولادها اخرجه النسائي وذهب قوم الى ان الدية المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون
بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب مالك
واصحاب الراي واما دية الخطا فمخففة وهي اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها

بن ذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر
ابن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وابدل قوم ابن اللبون ببنات
المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال الحسن واصحاب الراي والدية في قتل الخطا وشبه العمد على العاقلة
وهم العصبة من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة
ودية الاعضاء والاطراف فحكمها مبين في كتب الفقه ودية اعضاء المراة على النصف من دية اعضاء الرجل
والله اعلم المسالة الثالثة في حكم الكفارة والكفارة اعتاق رقبة مومنة وتجب في مال القاتل سواء
كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او امراة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين
متتابعين فالقاتل ان كان واجد الرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله
وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل ثمنها
فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما اخر
وجب عليه استيناف الشهرين وان افطر يوما بعذر مرض او سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء
فيه فمنهم من قال ينقطع التتابع وعليه استيناف الشهرين وهو قول النخعي والاظهر من قولي الشافعي
لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن
والشعبي ولو حاضت المراة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض لا ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت
لانه امر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينتقل الى الاطعام فيطعم
ستين مسكينا فيه قولان اصحهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لان الله
لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقاتل
الخطا والله اعلم قوله عز وجل (ومن يقتل مومنا متعمدا) نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد
اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر له ذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه
ان تدفعوا اليه ديته فبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نودي
اليه ديته فاعطوه مائة من الابل ثم انصرفا راجعين الى المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه
فقال له تقبل دية اخيك فتكون عليك مسبة اقتل الفهري الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية
فقتل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال في ذلك

قتلت به فهرا وحملت عقله — سراة بني النجار ارباب فارع
وادركت ثاري واضطجعت موسدا — وكنت الى الاوثان اول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مومنا متعمدا يعني قاصدا لقتله (فجزاؤه جهنم خالدا فيها) يعني بكفره وارتداده
وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ممن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار
الكعبة (وغضب الله عليه) يعني بكفره وقتله المومن متعمدا (ولعنه) يعني وطرده عن رحمته
(واعد له عذابا عظيما) اختلف العلماء في حكم هذه الاية هل هي منسوخة ام لا وهل لمن قتل
مومنا متعمدا توبة ام لا فروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس المن قتل مومنا متعمدا من توبة
قال لا فتلوت عليه الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم
الله الا بالحق الى اخر الاية قال هذه اية مكية نسختها اية مدنية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه
جهنم وفي رواية قال اختلف اهل الكوفة في قتل المومن فرحلت فيه الى ابن عباس فقال نزلت في اخر ما نزل ولم
ينسخها شيء وفي رواية اخرى قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله
الها اخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس منعنا

التي حرم الله

٢٤٧

التي حرم الله واتينا الفواحش فانزل الله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الى اخر الاية زاد في رواية فاما
من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له اخرجاه في الصحيحين وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه انه قال ان ابن عباس في هذه الاية من انزلت انها محكمة فقال ابن عباس تغليظ الوعيد فيها
وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول
انزلت هذه الاية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التي في الفرقان والذين لا يدعون
مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بستة اشهر اخرجه ابو داود والنسائي
وزاد النسائي في رواية له بثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت الاية التي في الفرقان والذين
لا يدعون مع الله الها اخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت المغلظة بعد اللينة فنسخت
اللينة واراد بالمغلظة هذه الاية التي في سورة النساء وباللينة اية الفرقان وذهب الاكثرون
من علماء السلف والخلف ان هذه الاية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسختها التي في
الفرقان وليس هذا القول بالقوي لان اية الفرقان نزلت قبل اية النساء والمتقدم لا ينسخ المتاخر وذهب
جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الاية التي في النساء ايضا وهو قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم
المخرج في الصحيحين بان هذه الاية خبر عن وقوع العذاب لمن فعل ذلك الامر المذكور في الاية والنسخ
لا يدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخله النسخ لا كن الجمع بين الايتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض
وذلك بان يحمل مطلق اية النساء على مقيد اية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الا من تاب وقال
بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة والزجر عن القتل فهو كما روي عن
سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائبا يقال له لك
توبة وقيل انه قد روي عن ابن عباس مثله وروي عنه ايضا ان توبته تقبل وهو قول اهل السنة ويدل
عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله
ان الله يغفر الذنوب جميعا واما السنة فما روي عن جابر بن عبد الله قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان فقال من مات لا يشرك بالله دخل الجنة ومن مات يشرك به
شيئا دخل النار اخرجه مسلم وعن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مجلس فقال بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني
في معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان
شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك (فصل) وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية
بهذه الاية لكونهم ذهبوا الى ان الفاسق يخلد في النار واجاب علماء السنة بان الاية نزلت في
كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون الاية على هذا مخصوصة وقيل اخذ الوعيد لمن قتل
مسلما مستحلا لقتله ومن استحل قتل مسلم كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن
ابي مجلز في قوله ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله ان يتجاوز عن
جزائه فعل اخرجه ابو داود وقيل ان الخلود لا يقتضي التابيد بل معناه دوام الحالة التي هو
عليها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا الدوام لغايتها واذا ذكر الخلود
في حق الكفار قرنه بذكر التابيد بقوله خالدين فيها ابدا فاذا قرن الخلود بدون اللفظة علم ان المراد
الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الاية ان الله تعالى يعذب قاتل المومن
عمدا في النار الى حيث يشاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فانه قد ثبت في احاديث
الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المومن عمدا عدوانا اذا تاب

قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان الكفر اعظم من هذا القتل واذا كانت
توبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فاذا كانت
التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل من القاتل اولى والله اعلم قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا**
اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الاية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال
له مرداس بن نهيك وكان من اهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه واقام ذلك
الرجل المسلم فلما راى الخيل خاف ان يكونوا مشركين فالجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل
فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل
وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد بسيفه فقتله و
استاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه
ارادة ما معه ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الاية فقال اسامة
استغفر لي يا رسول الله فقال كيف انت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وروى ابو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما
قالها خوفا من السلاح فقال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها خوفا ام لا وفي رواية عن ابن عباس
قال مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم
فقالوا ما سلم عليكم الا ليتعوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله يعني اذا سافرتم
الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تاملته قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من
التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المومن من الكافر وتعرفوا حقيقة
الامر الذي تقدموا عليه **ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم** يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم
بهذه التحية انه انما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتاخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا
منه ما اظهره لكم ومن قرا السلم بغير الف فمعناه الاستسلام والانقياد اي استسلم
وانقاد لكم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد اي لا تقولوا لمن سلم
عليكم **لست مومنا** يعني لست من اهل الايمان فتقتلوه بذلك قال العلماء اذا راى الغزاة في بلد
او قرية او حي من العرب شعار الاسلام يجب عليهم ان يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روي عن عصام المزني
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا او سرية يقول لهم اذا رايتم مسجدا او سمعتم
موذنا فلا تقتلوا احدا اخرجه ابو داود والترمذي وقال اكثر الفقهاء لو قال لا اله الا الله محمد رسول
الله فعند بعض العلماء لا يحكم باسلامه حتى يتبرا من دينه الذي كان عليه ويعترف انه داخل
بالطاعة وذلك ان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الله الى العرب خاصة لا انه رسول الى كافة الخلق
فاذا اعترف انه رسول الى كافة الخلق وانه بريء مما كان عليه من التهود او التنصر فالحكم باسلامه
وحكم بحقن دمه **تبتغون عرض الحياة الدنيا** يعني تطلبون الغنيمة التي هي من حطام
الدنيا سريعة النفاد والزوال وعرض الدنيا منافعها ومتاعها **فعند الله مغانم كثيرة**
يعني غنائم كثيرة من رزقه فيغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فعند الله
ثواب كثير لمن اتقى قتل المومن **كذلك كنتم من قبل** يعني كما كان هذا الذي القى اليكم السلم
فقلتم له لست مومنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل ان يعز الله دينه كنتم تستخفون انتم بدينكم

كما استخفي

كما استخفي هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تامنون في قومكم
بهذه الكلمة فلا تخيفوا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين **فمن الله عليكم**
يعني بالاسلام والهداية ولا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من الله عليكم باعلان الاسلام
بعد الاختفاء وقيل من عليكم بالتوبة **فتبينوا** اي فلا تعجلوا القتل لمومن وهو تاكيد للامر بالتبيين
ان الله كان بما تعملون خبيرا يعني فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين من ذلك محتاطين فيه
قوله عز وجل **لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله**
باموالهم وانفسهم الاية عن زيد بن ثابت قال املى علي النبي صلى الله عليه وسلم لا يستوي
القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله فجاءه ابن ام مكتوم وهو يمليها علي فقال والله يا
رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم
وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه فانزل الله عز وجل غير اولي الضرر
وعن البراء بن عازب لما نزلت لا يستوي القاعدون من المومنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا
فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر
وفي رواية اخرى لما نزلت لا يستوي القاعدون من المومنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه
بالدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف
النبي صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله اني ضرير فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون
من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير في
كتابه جامع الاصول واضافها الى البخاري ومسلم ولم اجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي
وفي هذه الاية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه بقوله لا يستوي القاعدون من المومنين يعني
لا يستوي المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من المومنين والمجاهدون في سبيل الله غير اولي الضرر
يعني غير اولي الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم
عن الجهاد عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في غزاة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض
خ عن انس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا بالمدينة
ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر خ عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون
من المومنين عن بدر والخارجون الى بدر وقوله تعالى **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على**
القاعدين درجة يعني فضيلة في الاخرة قال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولي الضرر فضل الله
المجاهدين على اولي الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولوا الضرر
كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة **وكلا** يعني كلا المجاهدين والقاعدين
وعد الله الحسنى يعني الجنة بايمانهم **وفضل الله المجاهدين** يعني في سبيل الله **على القاعدين**
يعني الذين لا عذر لهم ولا ضرر **اجرا عظيما** يعني ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى
درجات منه قال قتادة كان يقال الاسلام درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي
ذكرها الله في سورة براءة حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله
ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين
حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فعجب لها ابو سعيد فقال
اعدها علي يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة
في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله

ولا يطئون موطئا يغيظ
الكفار ولا ينالون من عدو
نيلا الا كتب لهم به عمل
صالح ان الله لا يضيع اجر
المحسنين ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولا كبيرة

ذ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة واتى
الزكاة وصام رمضان وحج البيت كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه
التي ولد فيها قالوا افلا نبشر الناس بقولك قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين
في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس وسر الاعلى
فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تنفجر انهار الجنة فان قلت قد ذكر الله
عز وجل في الآية الاولى درجة واحدة وذكر في الآية الثانية درجات فما وجه الحكمة في ذلك قلت
اما الدرجة الاولى فتفضيل المجاهدين على القاعدين لوجود الضرر والعذر واما الثانية فلتفضيل
المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان تكون الدرجة
الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات هي درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله اعلم وقوله
تعالى ومغفرة يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها ورحمة يعني رأفة بهم وكان الله غفورا
يعني لذنوب عباده المؤمنين رحيما يعني بهم يتفضل عليهم برحمته ومغفرته عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال ايما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله
ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان رجعته ارجعه بما اصاب من اجر او غنيمة وان قبضته غفرت له
ورحمته اخرجه النسائي فصل اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين
ان يدخل العدو دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر
له من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن انفسهم وعن اهاليهم وجيرانهم وسواء في
ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة وهو في حق من بعد منهم من المسلمين فرض كفاية
فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فيجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين او بعد عنهم
وان وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في
هذا الفرض اعني فرض الكفاية العبد والفقير اذا كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان يجهز
كل سنة من غزاة يغزو بهم فيها اما بنفسه او بسراياه حتى لا يتعطل الجهاد والاختيار للمطيق الجهاد
مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عنه ولكن لا يفترض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقا
عدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكافة لاستحق القاعدون عن الجهاد غير
العقاب لا الثواب والله اعلم قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الآية نزلت في
اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههم
فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله هذه الآية ان الذين توفاهم
الملائكة يعني ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض ارواح المؤمنين وثلاثة
يلون قبض ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم
كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفي التوفي هنا قولان احدهما انه قبض ارواحهم والثاني حشرهم
الى النار فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي
انفسهم يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من احد
بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله
عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين وقيل ظالمي انفسهم
بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم
وادبارهم قالوا فيم كنتم سؤال توبيخ وتقريع يعني قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا
في اي الفريقين كنتم في فريق المسلمين او في فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة
المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا كنا مستضعفين اي عاجزين في الارض يعني
ارض مكة

ارض مكة قالوا يعني قال لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني الى المدينة وتخرجوا
من بين اظهر المشركين فاكذبهم الله تعالى في قولهم كنا مستضعفين واعلمنا بكذبهم فاولئك يعني من
هذه صفتهم مأواهم يعني منزلهم جهنم وساءت مصيرا يعني لبئس المصير مصيرهم الى جهنم ثم استثنى
اهل العذر ومن على ضعفه منهم فقال تعالى الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون
حيلة يعني لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة ولا يهتدون سبيلا يعني ولا يعرفون
طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة فاولئك يعني المستضعفين واهل الاعذار عسى الله ان يعفو عنهم
يعني يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى اذا اطمع عبدا اوصله اليه
وكان الله عفوا غفورا قال ابن عباس كنت انا وامي ممن عذر الله يعني من المستضعفين وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة عن ابي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والمستضعفين
بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف قوله عز وجل ومن يهاجر
في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا يعني يجد في الارض
مهاجرا لان المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو ماخوذ من الرغام وهو
التراب يقال رغم انفه اذا التصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قوله
رغم انفه كناية عن حصول الذلة ويقال راغمت فلانا يعني هجرته وعاديته ولم ابال به رغم انفه وقيل في
ذلك قول اهل اللغة هو الخروج عن بلاد العدو برغم انفه وقيل معناه ان الرجل اذا خرج عن قومه خرج
مراغما لهم اي مغاضبا لهم ومفارقا لهم وقال المبرد المراغم المضطرب والمذهب في الارض وانشد الزجاج في المعنى

الى بلد غير داني المحل
بعيد المراغم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الآية يجد متسعا لما يذهب اليه اذا راى ما يكرهه هذا قول اهل اللغة في معنى المراغمة
وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من ارض الى ارض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد
منقلبا ينقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة واحدة يقال راغمت قومي اي هاجرتهم وسميت المهاجرة
مراغمة لانه يهاجر قومه برغمهم وقوله وسعة يعني في الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى
وقيل يجد سعة في الارض التي يهاجر اليها قال ابن عباس لما نزلت الآية التي قبل هذه سمعها رجل من
بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل واني لاجد
حيلة ولي من المال ما يبلغني الى المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا
به يحملونه على سرير حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه
لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم واوفى اجرا وضحك المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فانزل
الله عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت يعني قبل
بلوغه الى مهاجره فقد وقع اجره على الله يعني فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه
على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم قال بعض العلماء ويدخل في حكم
الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال
بعضهم انما يكتب له اجر ذلك القدر الذي عمله واتى به اما اتمام الاجر فلا والقول الاول اصح لان الآية
انما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب
الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا
وكان الله غفورا رحيما يعني ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا
قوله عز وجل واذا ضربتم في الارض يعني اذا سافرتم فيها فليس عليكم جناح اي حرج واثم

أن تقصروا من الصلاة يعني من أربع ركعات إلى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء وأصل القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشيء إلى أصله وفسر ابن الجوزي القصر بالنقص ولم أره لأحد من أهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها أو بعض أركانها ترخيصا ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية قولين أحدهما أنه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية إلى ركعتين والقول الثاني أن المراد بالقصر إدخال التخفيف في أدائها وهو أن يكتفي بالإيماء والإشارة عن الركوع والسجود والقول الأول أصح ويدل عليه لفظة من في قوله أن تقصروا من الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا أن تفسير القصر بإسقاط بعض ركعات الصلاة أولى إن خفتم أن يفتنكم يعني يغتالكم ويقتلكم في الصلاة الذين كفروا والمعنى أن ظاهر الآية أن جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وأن معلق الشرط يقتضي عدم المشروط عند عدمه فعلى هذا لا يجوز القصر عند الأمن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الآحاد لأنه يقتضي نسخ القرآن بخبر الواحد وذهب جمهور أهل العلم إلى أن القصر في حال الأمن في السفر جائز ويدل عليه ما روي عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أخرجه مسلم عن عبد الله بن خالد بن أسيد أنه قال لابن عمر كيف تقصروا الصلاة وإنما قال الله تعالى ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن أخي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نصلي ركعتين في السفر أخرجه النسائي وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة إلى مكة لا يخاف إلا رب العالمين فصلى ركعتين أخرجه الترمذي والنسائي وأجاب الجمهور عن قوله تعالى إن خفتم يقتضي أن عدم الخوف لا يحصل رخصة القصر وإذا كان كذلك كانت الآية ساكتة عن حالة الأمن فإثبات الرخصة بخبر الواحد يكون إثبات الحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع إنما الممتنع إثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القرآن وجواب آخر وهو أنه إذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الأمن والخوف فما فائدة تقييده بحال الخوف قلنا إنما نزلت الآية على غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن العدو ومن ذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث إنه الأغلب في الوقوع وقوله تعالى إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا أي ظاهر العداوة والمعنى بذلك رخصت لكم في قصر الصلاة لئلا يجدوا إلى قتلكم واغتيالكم سبيلا وإنما قال عدوا ولم يقل أعداء لأنه يستوي فيه الواحد والجمع

فصل في أحكام تتعلق بالآية وفيه مسائل المسألة الأولى في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز بإجماع الأمة وإنما اختلفوا في جواز الإتمام في حال السفر فذكر أكثر العلماء أن القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وأبي حنيفة ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى وفي رواية أخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر أخرجاه في الصحيحين وذهب قوم إلى جواز الإتمام في السفر وأن القصر أفضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص وإليه ذهب الشافعي وأحمد وهو رواية عن مالك ويدل على ذلك ما روى البغوي بسند الشافعي عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر وأتم وعن عائشة أنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة

الى مكة

إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قالت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت قال أحسنت يا عائشة وما عاب علي أخرجه النسائي وظاهر القرآن يدل على ذلك لأن الله تعالى قال ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ولفظة الجناح إنما تستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتما وأجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بأن معناه فرضت ركعتين أولا وزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل الحتم وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الإتمام بدليل آخر فوجب المصير إليه ليمكن الجمع بين الأحاديث ودلائل الشرع المسألة الثانية اختلف في صلاة المسافر وإنما فرض صلاة المسافر إذا صلى ركعتين ركعتين هل هي مقصورة أم غير مقصورة فذهب قوم إلى أنها غير مقصورة وإنما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عباس وجابر بن عبد الله وإليه ذهب سعيد بن جبير والسدي وأبو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم إلى أنها مقصورة وليست بأصل وهو قول مجاهد وطاوس وإليه ذهب الشافعي وأحمد المسألة الثالثة ذهب الشافعي ومالك وأحمد والجمهور إلى أنه يجوز القصر في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية وقال أبو حنيفة والثوري يجوز ذلك المسألة الرابعة اختلف العلماء في مسافة القصر فقال داود وأهل الظاهر يجوز القصر في قصير السفر وطويله ويروى ذلك عن أنس وقال عمرو بن دينار قال لي جابر بن زيد اقصر بعرفة وأما عامة أهل العلم فإنهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الأوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة أربعة برد وهي ستة عشر فرسخا وإليه ذهب مالك وأحمد وإسحاق وقول الحسن والزهري قريب من ذلك فإنهما قالا مسيرة يومين وإليه ذهب الشافعي فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فيكون ثمانية وأربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعا معترضة معتدلة والأصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري وأبو حنيفة وأهل الكوفة لا يقصر في أقل من ثلاثة أيام

فصل وقيل في قوله تعالى إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عما قبله وتقديره وإن خفتم وروي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال نزل قوله تعالى وليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا وإذا كنت فيهم الآية ومثل هذا في القرآن كثير يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر وهو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه قوله عز وجل وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية روي عن ابن عباس وجابر أن المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى الظهر يصلون جميعا ندموا أن كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم يعني صلاة العصر فإذا قاموا إليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنها صلاة الخوف وإن الله عز وجل يقول وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وروي عن ابن عياش الزرقي في هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرة وفي رواية غفلة ولو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى وإذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وإذا كنت يا محمد في أصحابك وشهدت معهم القتال فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك يعني إذا حان وقت الصلاة فاقسم أصحابك فاجعلهم فرقتين

فلتقف منهم فرقة تصلي معك فيصلي بهم ولياخذوا اسلحتهم اختلفوا في هؤلاء الذين امرهم الله
باخذ السلاح فقيل ان المراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة فانهم ياخذون اسلحتهم في الصلاة فعلى
هذا القول انما ياخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذي به من الى جنبه كالسيف والخنجر
وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل عن ركنه وثقله عن
الصلاة كالترس الكبير او يؤذي من الى جنبه كالرمح فلا ياخذه وقيل اراد بهم الطائفة الذين في
وجه العدو فانهم ياخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون الامر للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب
الى الاحتياط فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يعني اذا صلوا الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا
من ورائكم يعني فلينصرفوا الى المكان الذي هو في وجه العدو للحراسة ولتات طائفة اخرى لم يصلوا
فليصلوا معك يعني ولتات الطائفة التي كانت في وجه العدو فليصلوا معك الركعة الثانية التي فاتت
عليك ويتموا بقية صلاتهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يعني ان الله تعالى جعل الحذر وهو
التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله ماخوذا مع السلاح فان قلت
لم ذكر اول الآية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة قلت لان العدو قلما يتنبه للمسلمين
في اول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار
ان المسلمين في الصلاة فهم ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى امرهم في
هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة ود الذين كفروا يعني تمنى الذين كفروا لو
تغفلون يعني لو وجدوكم غافلين عن اسلحتكم وامتعتكم يعني حوائجكم التي بها بلاغكم في اسفاركم
فتسهون عنها فيميلون عليكم ميلة واحدة يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وانتم
مشتغلون بصلاتكم عن اسلحتكم وامتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم فصل في احكام
تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف وفيه مسائل المسألة الاولى قال ابو يوسف والحسن بن زياد من
اصحاب ابي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها
وقال المزني من اصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب
نبيه صلى الله عليه وسلم بها فقال تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان
اقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا
تفيد الشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء ان هذا الحكم كما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم
فحكم هذه الآية وجب ان يثبت في حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا
كما رايتموني اصلي ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روي عن علي بن ابي طالب انه صلى صلاة
الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك ابو موسى صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان
صلى باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة والجواب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلاة بان هذا وان كان قد خوطب به صلى الله عليه وسلم فان غيره من امته داخلون في
هذا الحكم فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يرد دليل بتخصيصه صلى الله عليه وسلم
بحكم دون امته كقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين ونظير قوله واذا كنت فيهم خذ من اموالهم
صدقة واذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة لمن بعده من الائمة فكذلك قوله
واذا كنت فيهم والجواب عن الحجة الثانية ان مقتضاه الثبوت عند الشرط واما العدم عند العدم
غير مسلم المسألة الثانية قال الخطابي صلاة الخوف انواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم
في ايام مختلفة واشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة وابلغ في الحراسة
فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن انواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو من غير جهة القبلة
فيفرق الامام اصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو فيحرسون ويصلي بالطائفة الاخرى ركعة

فاذا قام

فاذا قام الى الثانية اتموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو يحرسون وتاتي الطائفة الثانية التي
كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا في التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم
يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه
وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة
ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي
بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم اخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي
صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابي حثمة وقد اخرجاه من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى باصحابه فذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لانه اشد موافقة لظاهر القرآن واحوط في الصلاة
وابلغ في حراسة العدو واما كونه اشد موافقة لظاهر القرآن فان قوله ولتات طائفة اخرى لم يصلوا
فليصلوا معك وهذا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع
صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا
في الصلاة كان امكن للحراسة من المكر والغدر والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى ان الطائفة الاولى
تصلي مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فيحرسون وهم في صلاتهم ثم تاتي الطائفة الثانية
فتصلي مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع
الطائفة الاولى الى موضع الامام ولا يسلمون بل فيقضي بقية صلاتها ثم تذهب الطائفة الثانية الى
موضع الامام فتقضي بقية صلاتها ويروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة ويدل على ذلك
ما روي عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر وصلى خلفه طائفة منا وطائفة
واجهت العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا
واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين واربع سجدات
ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين اخرجه النسائي قال ابو بكر البيهقي
سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي اخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى
الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا
وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين الى العدو وجاء اولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة
ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف
في بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى
بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ الاوزاعي واشهب
المالكي وهو جائز عند الشافعي ايضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية معا وقيل متفرقين
وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلاة وهي في حكم من خلف الامام
واما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في حكم صلاته ال
المسألة الثالثة فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روي عن جابر بن عبد
الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكبر فكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم
انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف
المؤخر وتاخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع
ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وكان مؤخرا في الركعة الاولى وقام الصف المؤخر

نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود
فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بامرائهم
اخرجه مسلم بتمامه واخرج البخاري طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة
السابعة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث اخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة
المسئلة الرابعة اذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومئون بالركوع والسجود
الى اي جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب ابي حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا امنوا
قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور اخرى مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله
اعلم وقوله تعالى ولا جناح عليكم يعني ولا اثم ولا حرج عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم
مرضى ان تضعوا اسلحتكم قال ابن عباس رضي الله عنهما رخص لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض
لان السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين وخذوا حذركم يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه امرهم
الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك انه غزا بني محارب وبني انمار فنزلوا ولم يروا من العدو احدا فوضع الناس السلاح فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحارث
المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك
مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت فاهوى غورث
بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر السيف
من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن
فقال لا احد فقال اتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك
ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لانت خير مني
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقالوا ويلك يا غورث
ما منعك منه فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله ما ادري من زلخني بين كتفي
فخررت لوجهي وذكر لهم حاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه واخبرهم الخبر ونزلت هذه الآية ولا جناح عليكم
ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه ان تضعوا
اسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا يعني يهانون
فيه قوله عز وجل فاذا قضيتم الصلاة يعني فاذا فرغتم من صلاة الخوف فاذكروا الله يعني
بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير واثنوا على الله في جميع احوالكم قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فان ما انتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه
عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه وقيل المراد بالذكر
الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة
والجراح فاذا اطمأننتم يعني فاذا امنتم وسكنت قلوبكم واصل الطمأنينة سكون القلب
فاقيموا الصلاة يعني فاتموها اربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى
فاذا صرتم مقيمين في اوطانكم فاقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد
بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف ان الصلاة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في اوقات

محدودة

محدودة فلا يجوز اخراجها عن وقتها على اي حال كان من خوف او امن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر
اربع ركعات وفي السفر ركعتين قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم سبب نزول هذه الآية
ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا يوم احد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا الم
الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في طلب ابي سفيان
واصحابه ثم اورد عليهم الحجة في ذلك فالزمهم بها فقال تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
كما تألمون يعني ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون من الوجع والم
الجراحات مختصا بكم بل هم كذلك فاذا لم يكن الالم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم
عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالحشر والنشر
والثواب والعقاب والمشركون لا يعترفون بذلك كله فانتم ايها المؤمنون اولى بالجهاد منهم وهو قوله
تعالى وترجون من الله ما لا يرجون يعني وتاملون من الله من الثواب في الآخرة ما لا يرجون وقيل ترجون
النصر والظفر في الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها وكان الله عليما حكيما يعني انه تعالى
لا يامركم بشيء الا وهو يعلم انه مصلحة لكم قوله عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق قال ابن عباس
نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له
يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب
حتى انتهى الى الدار ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند
طعمة فحلف بالله ما اخذها وما له بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد رأينا اثر الدقيق الى منزل
اليهودي فاخذوه منه فقال اليهودي دفعها الي طعمة بن ابيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة
من اليهود قال البغوي فجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجادل عن صاحبهم
طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي وان يقطع يده فانزل الله هذه الآية
وقيل ان زيد بن السمين اودع الدرع عند طعمة فجحده فانزل الله هذه الآية انا انزلنا اليك يعني يا محمد
الكتاب يعني القرآن بالحق يعني بالصدق وبالامر والنهي والفصل لتحكم بين الناس بما اراك الله
يعني بما علمك الله واوحى اليك وانما يسمى العلم اليقيني رؤية لانه جرى مجرى الرؤية في قوة
الظهور روي عن عمر انه قال لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه
صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رايه لان الراي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان
الله تعالى كان يريه اياه وان راي احدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية
على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه ولا تكن يعني يا محمد
للخائنين خصيما يعني ولا تكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة مخاصما عنهم ومجادلا عن طعمة في ابعاد
عنه ومعينا له واستغفر الله يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن
طعمة ان الله كان غفورا يعني لذنوب عباده يسترها ويغفرها لهم رحيما يعني بعباده المؤمنين
فصل وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لولا وقوع الذنب من الرسول
صلى الله عليه وسلم لما امر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه احدها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي عنه ولم يحكم بالسرقة على اليهودي فتوقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما ياتيه من الوحي السماوي والامر الالهي فنزلت هذه الآية
واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودي بريء من السرقة وانما مال صلى
الله عليه وسلم في نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه في الظاهر من المسلمين فامر بالاستغفار
لهذا النظر الوجه الثاني ان قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة
طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم

ثم بان رميه على اليهودي بالسرقة فلما اطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر
لكان خطأ في نفس الامر فامره الله بالاستغفار لذنب قد صدر منه قبل النبوة او ان يكون لذنوب امته
الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم اعلا الدرجات ومنصبه اشرف المناصب فلعلو
درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فلا يقع منه على الغفلة والسهو او امر من
امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم وقيل حسنات الابرار سيئات
المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم قوله تعالى ان الله لا يحب من كان
خوانا اثيما يعني خوانا بسرقة الدرع اثيما برميه وهو بريء وانما قال تعالى خوانا اثيما على
المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما انزل فيه
القرآن لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر
من الحائط فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلقي ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه
حتى جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا في طلبه فادركوه فرموه بالحجارة
حتى مات ومن كانت هذه حالته كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة
في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وروي عن عمر
انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه يا امير المؤمنين
فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة قوله عز وجل يستخفون من الناس يعني يستترون
من الناس ومن بني ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة بن ابيرق ولا يستخفون من الله
يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه واصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء
بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم وهو معهم يعني والله معهم
بالعلم والقدرة لا يخفى عليه شيء من حالهم لانه تعالى لا تخفى عليه خافية وكفى بذلك زجرا للانسان
عن ارتكاب الذنوب اذ يبيتون ما لا يرضى من القول يعني يضمرون ويقدرون ويزورون
في اذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع
الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول
اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى ذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم
وما هموا وكان الله بما يعملون محيطا يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من اسرار عباده وهو
مطلع عليهم ومحيط بهم لا تخفى عليه خافية ها انتم هؤلاء ها للتنبيه يعني يا هؤلاء الذين
هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه جادلتم عنهم يعني خاصمتم
عنهم بسبب انهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين واصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد
من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عن ما هو عليه والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن
طعمة وقومه في الحياة الدنيا وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود جادلتم
عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم
القيامة يعني اذا اخذه العذاب فهو استفهام لمعنى التوبيخ والتقريع ام من يكون عليهم
وكيلا يعني حافظا او محاميا عنهم من باس الله اذا نزل به قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه نزلت هذه الاية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين
جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل مسيء ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم
ومعنى الاية ومن يعمل سوءا يسوء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة و[illegible]
ما يتعدى الى الغير او يظلم نفسه يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه
ومن يعمل سوءا اي قبيحا او يظلم نفسه برميه البريء وقيل السوء كل ما يأثم به الانسان

والظلم هو

والظلم هو الشرك فما دونه ثم يستغفر الله يعني من ذنوبه يجد الله غفورا رحيما وفي
هذه الاية دليل على حكمين احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف
وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب ومن يكسب اثما
يعني ومن يعمل ذنبا يأثم به فانما يكسبه على نفسه يعني انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة
عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة فكانه تعالى يقول يا ايها الانسان ان الذنب الذي اكتسبته انما عادت مضرته
عليك فانه منزه عن الضرر والنفع فاكثر من الاستغفار ولا تايس من قبول التوبة فاني غفار للذنوب
وهذه الاية نزلت في طعمة وكان الله عليما يعني بسارق الدرع حكيما يعني اذ حكم عليه القطع
وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز عن التائب
ويغفر له ويقبل توبته ومن يكسب خطيئة او اثما قيل ان الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والاثم
هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب المختص بفاعله والاثم المتعدي الى الغير وقيل ان الخطيئة هي
سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة ثم يرم به بريئا ثم يقذف بما جناه بريئا منه وهو نسبة السرقة
الى اليهودي ولم يسمه فان قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت
معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين بريئا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الاخر وقيل
انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه اقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما
كسب بريئا فقد احتمل بهتانا البهتان من البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا
يعني ذنبا بينا لانه بكسب الاثم آثم وبرميه البريء باهت فقد جمع بين الامرين قوله عز وجل ولولا
فضل الله عليك ورحمته وهذه الاية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم امر صاحبهم بقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته
يعني بالعصمة وما اوحى اليك من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لهمت
طائفة منهم يعني من بني ظفر وهم قوم طعمة ان يضلوك يعني عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل وقيل
معناه يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك ان قوم طعمة عرفوا انه
سارق ثم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه وينزهه عن السرقة ويرمي بها اليهودي
وما يضلون الا انفسهم يعني ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وبشهادتهم
له انه بريء فهم لما اقدموا على ذلك رجع وباله عليهم وما يضرونك من شيء يعني انهم وان سعوا
في القائك في الباطل فانت ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك ان الامر
على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شيء في المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه
لا يضره احد وانزل الله عليك الكتاب يعني القرآن والحكمة يعني القضاء بالوحي وبهما بناء
الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقائك في الشبهات وعلمك ما لم تكن تعلم يعني من احكام الشرع
وامور الدين وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك
على ضمائر القلوب وعلمك احوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكره على ما اولاك من احسانه ومن عليك بنبوته
وعلمك ما انزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضله
وشملك باحسانه وكفاك غائلة من ارادك بسوء وفي هذه الاية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم على ما حباه من الطافه وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه قوله تعالى
لا خير في كثير من نجواهم يعني من نجوى قوم طعمة وقيل هي عامة في جميع ما يتناجى الناس به والنجوى
هو الاسرار في التدبير وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك او جهرا وناجيته ساررته

وأصله أن يخلو في نجوة من الأرض وقيل أصله من النجي والمعنى لا خير فيما يتناجى فيه الناس في كثير مما يديرونه
ويتناجون فيه إلا من أمر بصدقة يعني إلا في نجوى من أمر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس
ويخوضون فيه من الحديث إلا فيما كان من أعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من أمر بصدقة
وحث عليها أو معروف يعني أو أمر بطاعة وما يجيزه الشرع وأعمال البر كلها معروف لأن العقول
تعرفها أو إصلاح بين الناس يعني الإصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا إلى ما كانا فيه
من الألفة والاجتماع على ما أذن الله فيه وأمر به عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات
البين وإن فساد ذات البين هي الحالقة أخرجه الترمذي وأبو داود وقال الترمذي ويروى عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين خ عن أبي سعيد أن أهل
قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم
ق عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الكذاب يقول
الذي يصلح بين اثنين أو قال بين الناس فيقول خيرا أو ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له قالت ولم
أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث يعني الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل
زوجته وحديث المرأة زوجها ومن يفعل ذلك يعني هذه الأشياء التي ذكر ابتغاء مرضات
الله يعني طالب رضاه لأن الإنسان إذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وإن فعله رياء وسمعة
لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات الحديث فسوف نؤتيه يعني
في الآخرة إذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله أجرا عظيما لا حد له لأن الله سماه عظيما وإذا كان
كذلك فلا يعلم قدره إلا الله قوله عز وجل ومن يشاقق الرسول نزلت في طعمة بن أبيرق وذلك أنه
لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة هرب إلى مكة كافرا مرتدا عن الدين
فأنزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والإيمان وأصله من المشاقة وهو
كون كل واحد منهما في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى أي وضح له التوحيد والحدود
وظهر له صدق الإسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم وأظهر الشقاق ورجع عن الإسلام
ويتبع غير سبيل المؤمنين يعني ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الإيمان ويتبع
عبادة الأوثان نوله ما تولى أي نكله في الآخرة إلى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه
ونصله جهنم يعني ونلزمه جهنم وأصله من الصلي وهو لزوم النار وقت الاستدفاء وساءت
مصيرا يعني وبئس المرجع إلى النار وروي أن الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل على أن الإجماع
حجة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وبين قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين
وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب أن يكون اتباع سبيل المؤمنين واجبا وذلك لأن الله تعالى ألحق
الوعيد بمن يشاقق ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا أن إجماع الأمة حجة قوله عز وجل إن الله
لا يغفر أن يشرك به نزلت في طعمة بن أبيرق أيضا لكونه مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه
الآية في شيخ من الأعراب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني شيخ منهمك
في الذنوب غير أني لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصي
جراءة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر
فما حالي عند الله فأنزل الله هذه الآية إن الله لا يغفر أن يشرك به وهذا نص صريح بأن الشرك غير
مغفور إذا مات صاحبه عليه لأنه قد ثبت أن المشرك إذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح
إيمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك ويغفر ما دون ذلك يعني ما دون الشرك
لمن يشاء يعني لمن يشاء من أهل التوحيد فإذا مات صاحب الكبيرة أو الصغيرة من غير توبة فهو

في حكم

في حكم المشيئة إن شاء غفر له وأدخله الجنة بفضله ورحمته وإن شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله إذا مات
على شركه فإن قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك قلت
فائدة ذلك التأكيد وإن الآية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الآية في سبب آخر وهو
أن الآية المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة بن أبيرق ونزلت هذه الآية في سبب ارتداده وموته
على الشرك قوله عز وجل إن يدعون من دونه إلا إناثا نزلت في أهل مكة يعني وما يعبدون من دون
الله إلا إناثا لأن كل من عبد شيئا فقد دعاه لحاجته وفي قوله إناثا أقوال أحدها أنهم كانوا يسمون
أصنامهم بأسماء الإناث فيقولون اللات والعزى ومناة وقال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة
أنثى بني فلان والقول الثاني إناثا يعني أمواتا قال الحسن كل شيء لا روح فيه كالحجر والخشبة
هي إناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تعجبني هذه الدراهم
تنفعني ولأن الأنثى أنزل درجة من الذكر والميت أنزل درجة من الحي كما أن الموات أرذل من الحيوان فوقع
فيطلق اسم الأنثى على الجمادات والقول الثالث أن بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون هم بنات الله
وإن يدعون أي وما يعبدون إلا شيطانا مريدا قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه
ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وإن يدعون إلا شيطانا مريدا وقيل هو
إبليس لأنه هو أغواهم وأغراهم على عبادة الأصنام فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد
هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة لعنه الله أي أبعده الله وطرده عن رحمته وقال يعني إبليس
لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني حظا مقدرا معلوما فكل ما أطيع فيه إبليس فهو نصيبه
ومفروضه وأصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وسوسته
ولأضلنهم عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة وإلا فليس له من الإضلال شيء ولأمنينهم
قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتأخيرها وقال الكلبي أمنيهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث
وقيل أمنيهم إدراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل أزين لهم ركوب الأهواء والأحوال الداعية إلى
العصيان وقيل أمنيهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة ولآمرنهم فليبتكن
آذان الأنعام يعني يقطعونها ويشقونها وهي البحيرة وذلك أنهم كانوا يشقون أذن الناقة
إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ولا يطردونها عن ماء ولا
مرعى وسول لهم إبليس أن هذا قربة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس يعني دين الله
وتغييره بدين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق
عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه
أو يمجسانه وقيل يحتمل أن يحمل هذا التغيير على تغيير خلق الله الذي يتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل
الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات
والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله أخرجاه من رواية ابن مسعود ولهما عن أسماء قالت لعن النبي
صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الإخصاء وقطع الآذان حتى أن
بعض العلماء حرمه وكره أنس إخصاء الغنم وجوزه بعض العلماء لأن فيه غرضا ظاهرا عن سعد بن أبي
وقاص قال رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا التبتل
هو ترك النكاح والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الإخصاء ويقول إن فيه نماء الخلق
أخرجه مالك في الموطأ ومعناه في ترك الإخصاء نماء الخلق يعني زيادته وقال ابن زيد هو التخنث
وهو أن يتشبه الرجال بالنساء في حركاتهم وكلامهم ولباسهم ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله
هو أن الله تعالى خلق البهائم والأنعام للركوب والأكل فحرموه على أنفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم

والنار والأحجار لمنفعة الناس فيغيرونها من دون الله **ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله** يعني يتخذه ربا يطيعه فيما يأمره به وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر **فقد خسر خسرانا مبينا** لأن طاعة الشيطان توصله إلى نار جهنم وهو غاية الخسران فإن قيل في الآية سؤالان الأول قال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشيء المقدر القليل وقال في موضع آخر لأحتنكن ذريته إلا قليلا وقال لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب أن الكفار الذين هم حزب الشيطان وإن كانوا أكثر من المسلمين في العدد لكنهم أقل من المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وإن كانوا أقل من الكفار لكنهم أكثر منهم لأن لهم الفضل والشرف والسؤدد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الآخرة وأنشد بعضهم في هذا المعنى فقال

وهم الأقل إذا تعد عشيرة والأكثرون إذا يعد السؤدد

وقيل إن إبليس لما نال من آدم ما أراد ورأى الجنة والنار وعلم أن للجنة أهلا وللنار أهلا فقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم أهل النار السؤال الثاني من أين علم إبليس العلم بالعواقب حتى يقول ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم وقال في الأعراف ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال في بني إسرائيل لأحتنكن ذريته إلا قليلا فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن إبليس ظن أنه يتم له هذه الأمور الذي يريدها منهم فحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه الوجه الثاني قال ابن الأنباري المعنى لأجتهدن ولأحرصن في ذلك لا أنه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال العلماء يحتمل أن يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى أن أكثر الخلق لا يؤمنون وقوله تعالى **يعدهم ويمنيهم** يعني الشيطان يعد حزبه وأولياءه ويمنيهم بوعده وتمنيه إياهم ما يوقع في قلب الإنسان في طول العمر ونيل ما أراده من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل أن لا يلتفت إلى شيء من ذلك فربما لم يطل عمره ولم يحصل له ما أراد منها ولئن طال عمره وحصل له مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بأنه لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية **وما يعدهم الشيطان إلا غرورا** يعني باطلا وضلالا **أولئك** يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا **مأواهم جهنم** يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم **ولا يجدون عنها** يعني عن جهنم **محيصا** يعني معدلا يعني مفرا ومعدلا يعني لا يعدلون عنها إلى غيرها ولا بد لهم من ورودها والخلود فيها الذي ذكر وعيد الكفار أتبعه بوعد المؤمنين فقال تعالى **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار** يعني من تحت الغرف والشجر **خالدين فيها** يعني في الجنة **أبدا** إلا انتهاء ولا غاية ولا بد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا انقطاع له ولا يتجزأ كما يتجزأ غيره من الأزمنة لأنه لا يقال أبد كذا كما يقال زمن كذا وفي قوله خالدين فيها أبدا دليل على أن الخلود لا يفيد التأبيد والدوام لأنه لو أفاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الأصل فعلم من ذلك أن الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما أتبع الخلود بالأبد علم أن المراد به الدوام الذي لا ينقطع وقوله تعالى **وعد الله حقا** يعني وعد الله ذلك الذي ذكره وعدا حقا **ومن أصدق من الله قيلا** يعني ليس أحد أصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا قوله تعالى **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب** الأمنية أفعولة من التمنية والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها والأمنية هي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء إذا وقع في نفسه وإرادته وفي المخاطب بقوله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب قولان أحدهما أنه خطاب للمسلمين وأهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك أنهم افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله

منكم

منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى بالله منكم والقول الثاني أنه خطاب لمشركي مكة في قولهم لا نبعث ولا نعذب وخطاب لأهل الكتاب في قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة والمعنى ليس الأمر بالأماني إنما الأمر بالعمل الصالح **من يعمل سوءا يجز به** قال الضحاك يقول ليس لكم ما تمنيتم وليس لأهل الكتاب ما تمنوا ولكن من عمل سوءا يعني شركا فمات عليه يجز به النار وقال الحسن هذا في حق الكفار خاصة لأنهم يجازون بالعقاب على الصغيرة والكبيرة ولا يجزى المؤمن بسيئ عمله يوم القيامة ولكن يجزى بأحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى **ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا** وهذا هو الكافر فأما المؤمن فله ولي ونصير وقال آخرون هذه الآية في حق كل من عمل سوءا من مسلم ونصراني وكافر وقال ابن عباس هي عامة في حق كل من عمل سوءا يجز به إلا أن يتوب قبل أن يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله وأينا من لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسنات وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده أعشاره وأما ما كان جزاء في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطي الجزاء في الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها أخرجه مسلم وعن أبي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي قلت بلى يا رسول الله قال فأقرأنيها فلا أعلم إلا أني وجدت انقصاما في ظهري فتمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنك يا أبا بكر قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي وأينا لم يعمل سوءا وإنا لمجزيون بأعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي إسناده مقال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي بكر وليس له إسناد صحيح وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا ينفعه ولا نصيرا ينصره فإن قلنا إن هذه الآية خاصة في حق الكفار فظاهر وإن قلنا إنها في حق كل عامل سوء من مسلم وكافر فإنه لا ولي لأحد من دون الله يوم القيامة ولا نصير فالمؤمنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون بإذن الله فليس يمنع أحد أحدا من الله وقوله تعالى **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن** قال مسروق لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء فنزلت هذه الآية فقال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات للتبعيض لأن أحدا لا يقدر أن يستوعب جميع الصالحات بالعمل فإذا عمل بعضها استحق الثواب **فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** النقير نقرة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر النواة وهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد في توفية جزاء أعمالهم من غير نقصان قوله عز وجل **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** لما بين الله تعالى أن الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الإيمان وبين فضله فقال تعالى ومن أحسن دينا يعني ومن أحكم دينا والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الذي كان عليه إبراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم أن دين الإسلام مبني على أمرين أحدهما

الاعتقاد واليه الاشارة بقوله أسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه
أخلص طاعته لله وقيل فوض أمره الى الله الاسم الثاني من معاني الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله
وهو محسن يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والفرائض والطاعات وترك السيئات وقال ابن
عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيئا قال العلماء وانما صار
دين الاسلام احسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما احسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله
أسلم وجهه لله لانه اشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد جميع الاعضاء لانها
تابعة له **واتبع ملة ابراهيم** يعني دين ابراهيم عليه السلام **حنيفا** يعني مسلما مخلصا والحنيف
المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ما سواه من الاديان باطل وحنيفا يجوز ان يكون
حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رأيته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه الصلاة
والسلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج والختان ونحو ذلك فان قلت ظاهر هذه الاية
يقتضي ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد
صلى الله عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب قلت ان شرع ابراهيم وملته
داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا صلى الله
عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم
لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته فلهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا
عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه
كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق
الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته وقوله تعالى **واتخذ الله ابراهيم
خليلا** يعني صفيا والخلة صفاء المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه
وسمي ابراهيم خليلا لانه والى في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق باخلاق حسنة واخلاق كريمة
وقيل الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وسمي ابراهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس
فيها نقص ولا خلل وانشدوا في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبه سمي الخليل خليلا

وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الانسان فيها وسمي
ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلة الله للعبد هي تمكينه من طاعته
وعصمته وتوفيقه وستر خلله ونصره والثناء عليه فقد اثنى الله عز وجل على ابراهيم عليه
السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا في السبب الذي من اجله اتخذ الله ابراهيم خليلا
فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من
مر به من الناس فاصاب الناس سنة في قحط فحشر الناس الى باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت
الميرة تأتيه من صديق له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذي بمصر فقال خليله لغلمان
ابراهيم لو كان ابراهيم انما يريد الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما
دخل على الناس فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل فقالوا لو حملنا من هذه
البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بالميرة فانا نستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا من ذلك
الرمل الغرائر التي معهم ثم اتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاعلموه وسارة نائمة فاهتم
لذلك ولكون الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت
سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فجاؤوا بشيء قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي
ملأى باجود دقيق يكون حواري فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم

فوجد ريح

فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله
قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما اراه ملكوت السماوات والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى
توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقاء في النيران وبذل
ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل النبوة فيه وفي
ذريته وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذه الله خليلا
وقيل لما دخل عليه الملائكة في صفة ضيف جاءهم بعجل سمين مشوي وقال كلوا على شرط ان تسموا
الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل انت خليل الله فمن يومئذ سمي ابراهيم خليل الله وعن
انس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك
ابراهيم خليل الله **فصل** وقد اتخذ محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت
في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت
ابا بكر خليلا وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا
بكر خليلا ولكنه اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذا الحديث
الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل
الله وحبيبه فقد جاء في حديث عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر
اخرجه الترمذي باطول من هذا وقوله تعالى **ولله ما في السماوات وما في الارض** قال اهل المعاني
لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة
له وانما قال ما في السماوات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر
واريد به الجنس ذكر بلفظ ما **وكان الله بكل شيء محيطا** يعني عالم علم احاطة وهو العلم
بالشيء من كل وجه حتى لا يشذ عنه نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه
قوله عز وجل **ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن** الاية قال ابن عباس نزلت في بنات
ام كجة وقد تقدمت قصتهن في اول السورة وقالت عائشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو
وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب
فيها لقلة الجمال فيها والمال تركها وفي رواية قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته
في ماله فيرغب عنها ان يتزوجها لدمامتها ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه فيشركه في
ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها فنهاهم الله عن ذلك وانزل هذه الاية فقال ويستفتونك يعني
ويستخبرونك يا محمد في شأن النساء والفتوى والاستفتاء طلب الفتوى وهو اظهار ما اشكل من الاحكام
الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوا فيه هو ميراث النساء وذلك انهم كانوا
لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت اية الميراث قالوا يا رسول الله كيف ترث المرأة
والصغير فاجابهم بهذه الاية قل الله يفتيكم فيما سألتم عليكم والمعنى ان الله يفتيكم في النساء
بما انزل في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ وان العدل والانصاف في حقوق
اليتامى من اعظم الامور عند الله تعالى التي يجب مراعاتها وان المخل بها ظالم **في يتامى النساء** قيل
معناه في النساء اليتامى وقيل في اليتامى اولاد النساء لان الاية نزلت في يتامى ام كجة **اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن** يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الاية نازلة في ميراث النساء اليتامى
والصغار وعلى القول الاخر معناه ما كتب لهن من الصداق **وترغبون ان تنكحوهن** يعني وترغبون في
نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن
وتمسكوهن رغبة في اموالهن خ عن عائشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها
ومالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح

فيهن يعني قل يا محمد الله يفتيكم في شأن النساء وهذا الاخر **وما يتلى عليكم في الكتاب** يعني يفتيكم ٣٣

من هؤلاء آخر قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل ويستفتونك في النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان يعني ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار ان تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار ايضا فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يعطوهم حقهم من الميراث وان تقوموا لليتامى بالقسط يعني بالعدل في مهورهن ومواريثهن وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما يعني فيجازيكم عليه قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا قالت نزلت في المرأة التي تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكني ولا تطلقني وتزوج غيري وانت في حل من النفقة علي والقسمة لي فذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال له رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة اخرى شابة وآثرها عليها وجفى الاولى فأتت ابنة محمد بن مسلمة تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها اولاد فأراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على اولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله هذه الآية وان امرأة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل ان المرأة لتعلم الخوف الذي لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها واصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه ونشوز الزوج هو ان يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى او اعراضا يعني بوجهه عنها او يعبس في وجهها او يترك مضاجعتها او يسيء عشرتها او يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء بل يعرض عنها بوجهه او يشتغل بغيرها فلا جناح عليهما يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمرأة ان يصالحا من المصالحة وقرئ ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح بينهما صلحا يعني في القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمرأة انك قد كبرت سنك وقلت في الحسن واني اريد ان اتزوج امرأة جميلة شابة اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمي وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان وان امسكها ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها والصلح خير يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها فنزلت

ويوم سودة

ويوم سودة واحضرت الانفس الشح الشح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال واحضرت الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الآية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها احب اليه منها وان تحسنوا وتتقوا هذا خطاب للازواج يعني وان تحسنوا ايها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فانها امانة عندكم وقيل معناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها فان الله كان بما تعملون خبيرا يعني فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء يعني ولن تقدروا ان تسووا بين النساء في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه وليس من كسبكم ولو حرصتم يعني على العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك فلا تميلوا كل الميل يعني الى التي تحبونها في القسم والنفقة والمعنى انكم غير منهيين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني القلب اخرجه ابو داود والنسائي وقوله تعالى فتذروها كالمعلقة يعني فتدعوا الاخرى التي لا تميلون اليها كالمعلقة لا ايما ولا ذات بعل كالشيء المعلق لا هو في السماء ولا على الارض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج ولا هي ذات بعل يحسن اليها وان تصلحوا يعني بالعدل في القسم وتتقوا يعني الجور في القسم فان الله كان غفورا يعني لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض رحيما يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه وان يتفرقا يعني ان لم يصطلحا وارادا الفرقة يغن الله كلا من سعته يعني من فضله ورزقه والمعنى يغني الزوج بامرأة اخرى والمرأة بزوج آخر وقيل معناه يعوض الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويوسع عليهما وفي هذه الآية تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق وكان الله واسعا يعني واسع الفضل والرحمة وقيل هو الواسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغني الذي وسع جميع مخلوقاته غناه حكيما يعني فيما امر به ونهى عنه فصل فيما يتعلق بحكم الآية وجملته ان الرجل اذا كانت تحته امرأتان او اكثر يجب عليه التسوية في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة اما في الجماع فلا لانه يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان في نكاحه حرة وامة فيقسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستأنف القسم بعد ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك ما روي ابو قلابة عن انس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب اقام عندها ثلاثا وقسم قال ابو قلابة لو شئت لقلت ان انسا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين واذا اراد الرجل السفر لحاجة جاز له ان يحمل معه بعض نسائه بشرط ان يقرع بينهن ولا يجب عليه للباقيات عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه البخاري مع زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه ان ينقل نسائه معه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض يعني عبيدا وملكا قال اهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يغني كلا من سعته وفضله اشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لا تفنى خزائنه ولقد وصينا

جويرية

الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني من اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة واياكم يعني ووصيناكم
يا اهل القران في كتابكم ان اتقوا الله يعني بان تتقوا الله وهو ان يوحدوه ويطيعوه ويخافوه ولا يخالفوا
امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة دائمة اوصى الله بها جميع الامم السالفة في كتبهم وان تكفروا
يعني وان تجحدوا ما اوصاكم به فان لله ما في السماوات وما في الارض يعني فان لله ملائكة في السماوات
والارض هم اطوع له منكم وقيل معناه ان الله تعالى خلق السماوات والارض وما بينهما وما لكم والمنعم
عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل احد ان يتقوه ولا يعصوه وكان الله غنيا يعني عن جميع
خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم حميدا يعني محمودا على نعمه عليهم ولله ما في السماوات
وما في الارض وكفى بالله وكيلا قال ابن عباس يعني شهيدا على ان له فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى
بالله دافعا ومجيرا فان قلت ما الفائدة في تكرير قوله تعالى ولله ما في السماوات وما في الارض قلت
الفائدة في ذلك ان لكل اية معنى تختص به اما الاية الاولى فمعناه فان لله ما في السماوات وما في الارض
وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال الله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين
انه له ما في السماوات وما في الارض وانه قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغني عنهم واما
الاية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما في السماوات وما في الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعة
الطائعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي وقيل المعنى ان له ما
في السماوات وما في الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد انه تعالى هو الغني وله الملك
فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما في السماوات وما في الارض واما الثالثة فقال تعالى ولله ما
في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في
السماوات والارض وكفى بالله وكيلا وقيل تكريرها تقرير لما هو موجب تقواه لتتقوه وتطيعوه
ولا تعصوه لان التقوى والخشية اصل كل خير قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ايها الناس قال ابن عباس
يريد المشركين والمنافقين ويات باخرين يعني بغيركم هم خير منكم واطوع له فهو تهديد للكفار
والمعنى انه يهلككم ايها الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذ كفروا وكذبوا رسله وكان الله على ذلك
قديرا يعني وكان الله على ذلك لا اهلاككم واتيانه بغيركم قادرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده
لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشياء قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا يعني من كان يريد
بعمله عرضا من الدنيا نزلت في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقرون بالله تعالى خالقهم ولا يقرون بالبعث
يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله تعالى ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت في
المنافقين لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم عاجل الدنيا وما ينالونه من الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة يعني الذين يطلبون
باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطئون في فعلهم لان الله عنده ثواب الدنيا
وثواب الاخرة فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الاخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا
على سبيل التبعية والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا اتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد
وليس له ثواب في الاخرة يجزى به ومن اراد بعمله وجه الله وثواب الاخرة فعند الله ثواب الدنيا
والاخرة فيوتيه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الاخرة خير الجزاء وكان الله سميعا يعني لاقوالهم من
طلب ثواب الدنيا بصيرا يعني بنياتهم وما في انفسهم وقيل البصير بمن يطلب الدنيا بعمله ومن
يطلب الاخرة بعمله قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله
قال السدي ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير
لا يظلم الغني فانزل الله هذه الاية وامر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل ان هذه الاية متعلقة
بقصة طعمة بن ابيرق وهي خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى

ان يكونوا

ان يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على انفسهم واقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين
بالقسط القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس
كونوا قوامين بالعدل في الشهادات على من كانت شهداء لله يعني اقيموا شهاداتكم لوجه الله كما
امركم فيها فقولوا الحق في شهاداتكم ولو على انفسكم يعني ولو كانت الشهادة على انفسكم امر
الله العبد ان يشهد على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة في
كونه موجبا للحق عليه او الوالدين والاقربين يعني ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من
ذوي رحمه واقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على انفسكم وعلى الوالدين والاقارب فاقيموا الشهادة
عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى ان يكن يعني المشهود
عليه غنيا او فقيرا فالله اولى بهما يعني منكم والمعنى كلوا امرهم الى الله تعالى فهو اعلم بهم
وبالحكم وانما قال بهما على التثنية لان رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني فالله اولى بالغني
والفقير فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا يعني فلا تتبعوا واتقوا الله ان تعدلوا عن الحق في اداء الشهادة
وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة
الهوى وان تلووا من لوى يلوي ومعناه ان يلوي الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس يلوي لسانه
بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها او تعرضوا يعني او يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها
ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه وان تلووا عن القيام بالشهادة
او تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل في الشهادة من قولهم لويت الشيء اذا
فتلته وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان تلووا يعني تميلوا مع احد الخصمين او تعرضوا عنه
بالكلية ومن قرا تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام ايضا ومعناه ولا تلوا امور المسلمين
وتضيعوهم او تعرضوا عنهم فان الله كان بما تعملون خبيرا يعني انه تعالى يجازي المحسن باحسانه
والمسيء باسائته فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله
قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس واسيد بن كعب
وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين فهولاء مومنوا اهل الكتاب اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى
ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله وبرسوله محمد والقران
وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا امنوا يعني بمحمد والقران وبموسى
والتوراة امنوا بالله ورسوله اسم جنس لجميع الرسل وقيل هو خطاب لاهل الكتاب
جميعا والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل امنوا بمحمد والقران وقيل هو
خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا باللسان ولم تؤمن قلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان
الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطاة القلب وقيل هو خطاب للمومنين والمعنى يا ايها الذين امنوا
في الماضي والحال امنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان والكتاب الذي نزل على رسوله
يعني القران والكتاب الذي انزل من قبل يعني امنوا بالقران وبجميع الكتب التي انزلها على انبيائه
قبل القران فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا قوله عز وجل ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم
كفروا ثم ازدادوا كفرا قال ابن عباس نزلت في اليهود امنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم
العجل ثم امنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم امنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم امنوا يعني بالسنتهم
واظهروا الايمان لتجري عليهم احكام المومنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر وقيل

من ذنوب أحدثوها في الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا إلى الكفر ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم
عليه وذلك أن من تكرر منه الإيمان بعد الكفر والكفر بعد الإيمان مرات كثيرة يدل على أنه لا وقع للإيمان
في قلبه ومن كان كذلك لا يكن مؤمنا بالله إيمانا صحيحا وازدياده هم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم
بالإيمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته أم لا حكي عن علي بن أبي طالب أنه قال لا تقبل توبته
بل يقتل وذهب أكثر أهل العلم إلى أن توبته مقبولة وقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم يعني ما أقاموا
على الكفر وماتوا عليه وذلك لأن الله تعالى أخبر أنه يغفر الكفر إذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف من كفرهم ولا ليهديهم سبيلا يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين
قوله تعالى بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما يعني أخبرهم يا محمد وإنما وضع بشر مكان أخبر
تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر يتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر أو غير سار وقيل
معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لأن العرب تقول تحيتك الضرب أي هذا بدل من تحيتك قال الشاعر
وخيل قد دلفت لها بخيل ... تحية بينهم ضرب وجيع
ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يعني
يتخذون اليهود أولياء وأنصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك أن المنافقين كانوا يقولون إن محمدا لا
يتم أمره فيتولون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين أيبتغون عندهم العزة يعني أيطلبون
من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإن العزة لله جميعا
يعني فإن القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز أولياءه وأهل طاعته كما قال تعالى ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم يعني يا معشر المسلمين في الكتاب يعني في القرآن أن إذا سمعتم
آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها قال المفسرون الذي أنزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو انزل ح
قوله تعالى في سورة الأنعام وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وهذا أنزل بمكة لأن المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزئون به في مجالسهم ثم
إن أحبار اليهود كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون إليهم ويخوضون معهم
في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
في حديث غيره يعني حتى يأخذوا في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه
وسلم قال ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة إنكم
إذا مثلهم يعني إنكم يا أيها الجالسون مع المستهزئين راضين بأفعال المستهزئين بذلك فأنتم وهم
في الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على أن من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر وخالط أهله
كان في الإثم بمنزلتهم إذا رضي به وإن لم يباشره فإن جلس إليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا
به وإنما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر فيه أهون من المجالسة مع الرضى وإن جلس مع
صاحب بدعة أو منكر ولم يخض في بدعته أو منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز
بحال والأول أصح إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا أي أنهم اجتمعوا في
الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة قوله عز وجل
الذين يتربصون بكم نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير أو شر فإن كان
لكم فتح من الله أي ظفر على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم قالوا يعني المنافقين لكم ألم نكن
معكم يعني في الوقعة والفتح فأعطونا من الغنيمة وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفي
الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة وإن كان للكافرين نصيب أي دولة وظهور
على المسلمين قالوا يعني المنافقين للكفار ألم نستحوذ عليكم الاستحواذ هو الاستيلاء
والغلبة يقال استحوذ على فلان أي غلب عليه والمعنى ألم نغلبكم ولنتمكن منكم ومن قتالكم
وأسركم

وأسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه ألم نغلبكم على رأيكم ونمنعكم من المؤمنين يعني من صولتهم
والدخول فيهم وقيل معناه ألم نرفع المؤمنين ونخذلهم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأسرارهم
فهاتوا نصيبا مما أصبتم منهم ومراد المنافقين إظهار المنة على الكفار فإن قلت لم سمى ظفر المؤمنين
فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المؤمنين وتخسيسا لحظ الكافرين لأن ظفر المؤمنين
أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين وأما ظفر الكفار فما هو إلا حظ دنيوي دنيوي
خسيس لا يبقى منه إلا ما نالوه في الدنيا ولهم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من ٢
المسلمين فالله يحكم بينكم يوم القيامة يعني الحق فيجزي المؤمنين ويجزي الكافرين والمعنى أنه وضع المنافقين
السيف عن المنافقين في الدنيا لأجل كلمة التوحيد بل أخر عذابهم إلى يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا وفيه قولان أحدهما وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس أن المراد به في القيامة
بدليل أنه عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة روي أن رجلا سأل علي بن أبي طالب عن هذه الآية
ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثاني أن هذا في الدنيا والمعنى أن حجة
المؤمنين غالبة في الدنيا على الكافرين وليس لأحد أن يغلبهم بالحجة وقيل معناه أن الله لم يجعل للكافرين
على المؤمنين سبيلا بأن يمحو دولة المؤمنين بالكلية أو يستبيحوا بيضتهم فلا يبقى أحد من المؤمنين وقيل
معناه أن الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة
ويتفرع على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها أن الكافر لا يرث المسلم ومنها أن الكافر ليس له أن يشتري
عبدا مسلما ومنها أن الكافر إذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها أن المسلم
لا يقتل بالذمي بدليل هذه الآية قوله عز وجل إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم يعني يعاملون
الله وهو مجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم يظهرون لهم
الإسلام ويبطنون لهم الكفر وهو خادعهم والله مجازيهم بالعقاب وقيل إنهم يعطون نورا يوم
القيامة كما يعطى المؤمنون فيمر المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين وإذا قاموا
إلى الصلاة يعني المنافقين قاموا كسالى يعني متثاقلين وسبب هذا الكسل أنهم [illegible] لأنهم يعتقدون لها
لأنهم لا يرون بفعلها ثوابا ولا يرون لتركها ولا يخافون على تركها عقابا لأن الداعي إلى
فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور يراءون الناس يعني أنهم لا يقومون
إلى الصلاة إلا لأجل الرياء والسمعة لا لأجل الدين ولا يرون أنها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس
ما صلى منافق ولا يذكرون الله إلا قليلا قال ابن عباس إنما قال ذلك لأنهم يفعلونها رياء وسمعة
ولو أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لأن الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد
بذكر الله الصلاة والمعنى أنهم لا يصلون إلا قليلا لأنهم متى لم يكن معهم أحد من المؤمنين لا يتكلفون فعلها
مذبذبين بين ذلك يعني متحيرين مترددين بين الكفر والإيمان لأنهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا
مع المشركين المصرحين بالشرك وقوله تعالى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء يعني ليسوا مع المؤمنين حتى
يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا يعني طريقا إلى الهدى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة
العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه
المتحيرة المترددة لا تدري لأي الغنمين تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا لا تدري أي الجانب
تذهب وهذا مثل المنافقين مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين ولكن ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين
قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين لما ذم الله عز وجل الكافرين
بقوله مذبذبين بين ذلك نهى الله المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين فقال لا تتولوا الكفار من دون
أهل ملتكم ودينكم فتكونوا مثلهم ووجبت لهم النار من المنافقين والسبب في هذا النهي أن الأنصار بالمدينة

كان لهم من يهود بني قريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين فنزلت أتريدون
أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا يعني أتريدون أيها المنافقون باتخاذكم الكفار أولياء أن تجعلوا لله عليكم
حجة بينة باتخاذكم الكفار أولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين صفة المنافقين
من النار فقال تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار
سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لأنها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت
مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل توابيت من حديد مغلقة عليهم في النار فإن
قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت إن المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو أنه ضم
إلى كفره نوعا آخر أشد من الكفر وأخبث منه وهو الاستهزاء بالإسلام والمسلمين وأيضا أمور
المسلمين ونقلها إلى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين أشد عذابا من الكفار والنافق
من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وقيل هو الذي ليس للإسلام بلمسة نحو لا يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقيوده ولا
يدخل تحت أحكامه وأما التسمية من أن تكلف ما يسمونه منافقا فالتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن
خان فإن هذه الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين وقوله تعالى ولن تجد لهم نصيرا
يعني ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله إذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل
من تاب من المنافقين فقال تعالى إلا الذين تابوا يعني من النفاق وأصلحوا يعني أصلحوا الأعمال فعملوا
بما أمر الله وأدوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه واعتصموا بالله يعني وتمسكوا بعهد الله
ووثقوا به وأخلصوا دينهم لله يعني وأخلصوا طاعتهم وأعمالهم التي عملوها لله وأرادوه بها
ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الأمور الأربعة إذا حصلت فقد كمل الإيمان فلذلك قال تعالى فأولئك
يعني التائبين من النفاق مع المؤمنين يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من أي من المؤمنين وسوف
يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما يعني في الآخرة قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم
هذا استفهام تقرير معناه أنه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فإن تعذيبه لا يزيد في ملكه وترك عقوبته
لا ينقص من سلطانه لأنه الغني الذي لا يحتاج إلى شيء من ذلك وإنما يعاقب أحدا بما دام يعاقب لأمر أوجبه
العدل والحكمة فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أنقذتم أنفسكم من عذابه قال أهل المعاني فيه
تقديم وتأخير تقديره إن آمنتم وشكرتم لأن الإيمان مقدم على سائر الصفات ولأن الشكر لا ينفع مع
عدم الإيمان وإن الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على أصله والمعنى أن العاقل ينظر بعين بصيرته أولا إلى ما
عليه من النعمة في إيجاده وخلقه فيشكره على ذلك شكرا مبهما ثم إذا انتهى النظر تأملا انتهى
به النظر إلى معرفة المنعم عليه آمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على
الإيمان في الذكر وكان الله شاكرا يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا أجورهم والشكر من
الله الرضى بالقليل من إكمال عباده وإضعاف الثواب عليه وقيل لما أمر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا
على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر عليما يعني بحق
شكركم وإيمانكم فيجازيكم على ذلك قوله عز وجل لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من
ظلم قال أهل المعاني يعني أنه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر أيضا من القول القبيح من
القول القبيح إلا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى لا يجهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع وم
ومعناه لكن المظلوم يجوز أن يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز إظهار أحوال الناس المستورة
المكتومة لأن ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع الشخص في الريبة لكن من ظلم فيجوز
له إظهار ظلمه فيقول سرق مني أو غصب ونحو ذلك وإن شتم جاز أن يشتم بمثله ولا يزيد شيئا
على ذلك ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا

حزب

عـ المستبان

فعلى الأول

فعلى الأول وفي رواية فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم أخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب
الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوما فإنه قد رخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك قوله إلا من
ظلم وإن صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقل اللهم
أعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بينه وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية في
الضيف إذا نزل بقوم ولم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فخرج من عندهم فيقول أساءوا ضيافتي وقيل
نزلت في أبي بكر الصديق وذلك أن رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه أبو بكر
مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له
شيئا حتى إذا رددت عليه قمت قال إن ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء
الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية وكان الله سميعا يعني لدعاء المظلوم عليما بما في قلبه
فليتق الله ولا يقل إلا الحق قوله تعالى إن تبدوا خيرا قال ابن عباس يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة
والضيافة والصلة وقيل معناه إن تبدوا خيرا بدلا من السوء أو تخفوه يعني تعملوا الخير ولم تظهروه
وقيل معناه إن تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وإن هممتم بها ولم تعملوها كتبت لكم واحدة وقيل
إن جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين أحدهما صدق النية مع الحق والثاني التخلق مع الخلق
فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين أيضا وهما إيصال النفع إليهم في السر والعلانية وإليه الإشارة بقوله
تعالى أو تعفوا عن سوء فيدخل في هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع دفع الضر وقيل المراد بالخير
المال والمعنى إن تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا أو تخفوها فتعطوها سرا أو تعفوا عن مظلمة فإن الله
كان عفوا قديرا يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا أنتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله
عز وجل يعفو عنكم يوم القيامة لأن أهل التجاوز والعفو عنكم وقيل معناه إن الله كان عفوا لمن عفى
قديرا على إيصال الثواب إليه قوله عز وجل إن الذين يكفرون بالله ورسله نزلت في اليهود وذلك أنهم
آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والإنجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود
والنصارى جميعا وذلك أن اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض يعني ويريدون أن يفرقوا بين الإيمان بالله والإيمان برسله ولا يصح الإيمان بالله مع
التكذيب ببعض رسله ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا يعني بين الإيمان بالبعض دون البعض
ويتخذون مذهبا يذهبون إليه ودينا يدينون له أولئك يعني من هذه صفته هم الكافرون حقا
يعني يقينا وإنما قال أولئك هم الكافرون حقا لئلا يتوهم متوهم أن الإيمان ببعض الرسل يزيل اسم
الكفر عنهم وليعلم أن الكفر ببعض الأنبياء كالكفر بجميعهم لأن الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجزة
لزم منه أنه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الأنبياء فلزم الإيمان
بجميعهم وأعتدنا أي وهيأنا للكافرين عذابا مهينا يعني يهانون فيه والذين آمنوا بالله
ورسله يعني والذين هم في وحدانية الله وبنبوة جميع الأنبياء وأن جميع ما جاءوا به من عند الله
حق وصدق ولم يفرقوا بين أحد منهم يعني من الرسل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون أولئك يعني
من هذه صفته سوف نؤتيهم أجورهم يعني جزاء إيمانهم بالله وجميع كتبه ورسله وكان الله
غفورا رحيما يعني أنه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم أن يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم ويرحمهم
فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنهم إذا آمنوا غفر لهم ما كان
منهم في حال الكفر قوله تعالى يسألك أهل الكتاب يعني يسألك يا محمد أهل الكتاب وهم اليهود
وذلك أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت
نبيا فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتوراة وقيل إنما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

أن تنزل عليهم كتابا من السماء وقيل سألوه أن ينزل عليهم كتابا إلى فلان إننا نشهد لك بأنك
رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لا سؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لا
ينزل الآيات على اقتراح العباد لأن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب
الزيادة من باب التعنت وقوله تعالى فقد سألوا موسى أكبر من ذلك يعني أعظم من الذي سألوك يا محمد
وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سؤال تعنت والمعنى لا يعظمن عليك يا محمد مسألتهم ذلك فإنهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله
لو أتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وإنما أسند السؤال إلى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم وإن وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا في أيام موسى عليه السلام لأنهم كانوا على مذهبهم
وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم في التعنت فقالوا يعني أسلاف هؤلاء اليهود أرنا الله جهرة
يعني عيانا والمعنى أرناه نره جهرة وذلك أن السبعين من بني إسرائيل خرجوا مع موسى عليه السلام إلى الجبل
فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم يعني بسبب سؤالهم
وظلمهم الرؤية ثم اتخذوا العجل يعني إلها وهم الذين خلفهم موسى مع أخيه هارون حين خرج إلى ميقات
ربه من بعد ما جاءتهم البينات يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهي العصا واليد
وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرات فعفونا عن ذلك يعني عن ذلك الذنب العظيم ولم نستأصل
عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أن هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد
أن تنزل عليهم كتابا من السماء يطلبونه عنادا ولجاجا فإني قد أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته
من المعجزات الباهرات والآيات البينات ما فيه كفاية ثم إنهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل
وكل ذلك يدل على جهلهم وأنهم مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعاء إلى التوبة
والمعنى أن أولئك الذين أجرموا العادة تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم نعفو عنكم وآتينا موسى
سلطانا مبينا يعني حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي أعطاها الله عز وجل
لموسى عليه السلام قوله عز وجل ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم يعني ورفعنا فوقهم الجبل
المسمى بالطور بسبب أخذ ميثاقهم وذلك أن بني إسرائيل امتنعوا من [قبول] التوراة والعمل بما فيها فرفع
الله فوقهم الطور حتى أظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهود والميثاق وقلنا لهم يعني والطور مظلهم
ادخلوا الباب سجدا فخافوا ودخلوا وهم يزحفون على أستاههم وقلنا لهم لا تعدوا في
السبت يعني وقلنا لهم لا تعتدوا وتجاوزوا يوم السبت إلى ما لا يحل لكم فيه وذلك أنهم أمروا أن يحفظوا
السمك في يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت
فتجاوزوا وأخذنا منهم ميثاقا غليظا يعني وأخذنا منهم عهدا مؤكدا بأنهم يعملون بما
أمرهم الله به وأن ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم إنهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم ولعنا عليهم وفعلنا بآيات الله
بهم ما فعلنا وقتلهم الأنبياء يعني بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم بغير حق يعني
بغير استحقاق لذلك القتل وقولهم قلوبنا غلف يعني ويقولهم على قلوبنا أغطية وغشاوة
فهي لا تفقه ما تقول جمع أغلف وقيل جمع غلاف يعني قلوبنا أوعية للعلم فلا حاجة بنا إلى ما تدعونا
إليه فرد الله عليهم بقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب
كفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا يعني إيمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الأنبياء والكتب
وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا من اليهود
قوله تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني حين رموها بالزنى وذلك أنهم
أنكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم وهو إنكارهم
قدرة الله

قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم إياها بالزنى وإنما صار هذا بهتانا عظيما
لأنه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك فلهذا التكذيب وصف الله قول اليهود على
مريم بالبهتان العظيم قوله عز وجل وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله إذ ادعت اليهود
أنهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله
وما قتلوه وما صلبوه وفي قوله رسول الله قولان أحدهما أنه من قول اليهود فيكون المعنى أنه رسول الله
على زعمه والقول الثاني أنه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك أن الله تعالى أبدل ذكرهم في عيسى عليه
السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته كما كانوا يذكرونه من القول القبيح وقوله تعالى ولكن شبه
لهم يعني ألقي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود
في أمر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه أنه قال أتى اليهود عيسى ومعه سبعة
عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى على صورة عيسى فقالوا لهم
سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لأصحابه من يشتري منكم نفسه اليوم بالجنة فقال
رجل منهم أنا فخرج إليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه
لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه
ذلك وفي رواية عن وهب أن عيسى عليه السلام قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني
أحدهم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكان اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا
من أصحاب عيسى فجحد وقال ما أنا بصاحبه فتركوه ثم أخذه آخرون فجحد كذلك فلما أصبح أتى بعض الحواريين إلى اليهود
وكان منافقا فقال ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فألقى الله شبه
عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى وقال قتادة ذكر لنا أن أعداء
الله اليهود زعموا أنهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا أن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لأصحابه
أيكم يقذف عليه شبهي وله الجنة فإنه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبي الله فأخذ ذلك الرجل فقتل وصلب فإنه
ورفع الله عز وجل عيسى إلى السماء وقيل إن اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا فيه رقيبا فألقى
الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فأخذ فقتل وصلب فرفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري
وأولى الأقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه أن شبه عيسى ألقي على جميع من كان مع عيسى في البيت
حين أحيط به وبهم من غير مسألة عيسى إياهم ذلك ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه
السلام من كل مكروه أرادوه به من قتل وغيره وليبتلي الله من أراد ابتلاءه من عباده ويحتمل أن يكون الذي
شبهه على بعض أصحابه بعدما تفرق عنه أصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبعد ذلك فأخذ وقتل
وصلب وظن أصحابه واليهود أن الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبهه به وخفي أمر عيسى عليهم
وكانت حقيقة ذلك الأمر عند الله تعالى فلذلك قال الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين
اختلفوا فيه يعني في قتل عيسى وهم اليهود لفي شك منه يعني من قتله وذلك أن اليهود لما قتلوا
ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد ألقي الشبه على وجهه دون جسده فلما قتلوه نظروا
إلى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه
وقيل إن اليهود لما حبسوا عيسى على ذلك الرجل فأخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى إلى السماء وفقدوا
صاحبهم فقالوا إن كنا قتلنا المسيح فأين صاحبنا وإن كنا قتلنا صاحبنا فأين المسيح فهذا هو
اختلافهم فيه وقيل إن الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول إنه قتل وبعضهم يقول إنه
رفع إلى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى ما لهم به من علم يعني أنهم قتلوا من قتلوا
على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك القتيل هل هو عيسى أم غيره إلا اتباع الظن يعني
لكن يتبعون الظن في قتله ظنا منهم أنه عيسى لا عن علم وحقيقة وما قتلوه يقينا قال ابن عباس

لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء في قتلوه عائدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن
يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه في قتله فهو كقول العرب قتلته علما وقتلته يقينا
يعني علمه علما تاما وأصل ذلك أن القتل للشيء يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن
علمهم بقتل عيسى علما تاما كاملا إنما كان ظنا منهم أنهم قتلوه ولم يكن ذلك حقيقة وقيل إن
الهاء في قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا أنهم قتلوه وقيل إن قوله
يقينا يرجع إلى ما بعده تقديره وما قتلوه **بل رفعه الله إليه** يقينا يعني والمعنى أنهم لم يقتلوا
عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه إليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن أراده بسوء
وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة آل عمران لما فيه كفاية وقوله تعالى **وكان الله عزيزا** يعني في اقتداره
على من يشاء من عباده **حكيما** يعني في إنجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعني
منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم فيطيوس بن اسبسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة
عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوة الكاذبة قوله تعالى **وإن من
أهل الكتاب** يعني وما من أحد من أهل الكتاب **إلا ليؤمنن به** يعني بعيسى عليه السلام وأنه عبد
الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله ليؤمنن به
يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لأنه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل
هذه الآية حتى يرجع الضمير إليه وقول الأكثرين أولى لأنه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود
الضمير إليه أولى **قبل موته** اختلف المفسرون في هذا الضمير إلى من يرجع فقال ابن عباس وأكثر
المفسرين إن الضمير يرجع إلى الكتابي والمعنى وما من أحد من أهل الكتاب إلا آمن بعيسى قبل موت ذلك
الكتابي لكنه إذا وقع في اليأس حين لا ينفعه إيمانه احتضر ونزل به ما شاهدوا وسمعوا عليه
جرار أو أكله سبع أو مات فجأة فقيل له أرأيت إن خر من فوق بيته قال يتكلم به في الهوي فقيل له أرأيت
إن ضربت عنقه قال يتلجلج بها لسانه وقال شهر بن حوشب إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت
الملائكة دبره ووجهه ويقولون يا عدو الله أتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه
عبد الله ورسوله ويقولون للنصراني أتاك عيسى فزعمت أنه ابن الله فيقول آمنت أنه عبد الله فأهل
الكتاب يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الإيمان وذهب جماعة من أهل التفسير إلى أن الضمير
يرجع إلى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس أيضا والمعنى وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن
بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن
بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام قال عطاء إذا نزل عيسى إلى الأرض لا يبقى يهودي ولا نصراني
ولا أحد يعبد غير الله إلا آمن بعيسى وأنه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا
فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد في رواية وحتى تكون
السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا
ليؤمنن به قبل موته الآية وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما
عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن
الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد أخرجاه في الصحيحين وفي هذا الحديث
دليل على أن عيسى لينزل في آخر الزمان في هذه الأمة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه
لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الأمة وأما [illegible]
لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعني ليكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه
وكذلك قتل الخنزير قوله ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من اليهود والنصارى ولا يقبل من

أحد إلا الإسلام

إلا الإسلام أو القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فإن الكتابي إذا بذل الجزية
وجب قبولها منه ولا يجوز قتله ولا إجباره على الإسلام والجواب أن هذا الحكم ليس مستمرا إلى يوم القيامة
بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ
هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه هو المبين للنسخ وأن
عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت
هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعني قول من قال إن
إيمان أهل الكتاب بعيسى إنما يكون عند نزوله في آخر الزمان قال العموم قوله تعالى وإن من أهل الكتاب إلا
ليؤمنن به قال والذين يبقون يومئذ يعني عند نزوله شرذمة قليلون منهم وأجاب أصحاب هذا القول يعني
الذين يقولون إن إيمان أهل الكتاب بعيسى إنما يكون عند نزوله في آخر الزمان لا ينكر أن هذا على العموم ولكن المراد
بهذا العموم الذين يشهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية وما من أحد من
أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت إلا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وعلى التفسير هذا القول وقال عكرمة في
معنى الآية وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابي فلا يموت يهودي
ولا نصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى لا ينفعه إيمانه وقوله تعالى
ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يعني يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود أنهم
كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى أنهم اتخذوه ربا وأشركوا به وشاهدا على تصديق من صدقه منهم
وآمن به قال قتادة معناه أنه يكون شهيدا يوم القيامة أنه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية
قوله عز وجل **فبظلم من الذين هادوا** يعني فبسبب ظلم منهم **حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم**
يعني حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم لا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكره من
نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من أنواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا إلها كما
لهم آلهة وكقولهم أرنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب ذلك الأمر حرم الله عليهم طيبات
كانت حلالا لهم وهي ما ذكره في سورة الأنعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية وقال
المفسرون في معنى الآية حرمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا به وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم
وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به في كتابه طيبات من أكل وغيرها التي كانت لهم حلالا
عقوبة لهم بظلمهم الذي أخبر الله عنهم في كتابه وروي عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغي
بغوه وحرمت عليهم أشياء ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدي وابن الجوزي عن مقاتل قال كان الله حرم
على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن
الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
عليهم كل ذي ظفر الآية قال الواحدي فأما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من
حرم عليهم فلم أجد فيه شيئا أنتهي إلى تركه وقد انتهى الواحدي فيما قال وهذه الآية في غاية
الإشكال وبيانه أن الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ومن ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور
في الآية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل ولكن سبق علم الله وقوع هذه الذنوب منهم
قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سبق منهم
ولكن جوابه ما تقدم وهو أن الله لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا الذي ذكر الإمام فخر الدين في
تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تقسيما إجماليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين
الظلم للخلق والإعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فإليه الإشارة بقوله **وبصدهم عن سبيل الله
كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه** ثم إنهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه
بطريق الربا مع أنهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله **وأكلهم أموال الناس** بالباطل

فهذه الاربعة في الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا والآخرة اما التشديد في الدنيا فهو ما
تقدم من تحريم الطيبات عليهم واما التشديد عليهم في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى واعتدنا للكافرين
منهم عذابا اليما قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من
العذاب قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم يعني من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل
من آمن من اهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم في الآيات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال الجهال
اليهود والجهال منهم وبين في هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وارشده للعمل بما علم فقال
لكن الراسخون في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون في العلم الثابتون في
العلم البالغون فيه اولوا البصائر الثابتة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام واصحابه
الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فلما وصلهم ذلك الى الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يعني بالله ورسله يؤمنون بما انزل اليك يعني بالقرآن الذي انزل
اليك وما انزل من قبلك يعني ويؤمنون بسائر الكتب التي انزلها الله على سائر انبيائه من قبلك
يا محمد وفي المراد بالمؤمنين ها هنا قولان احدهما انهم اهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في
العلم وهم المؤمنون والقول الثاني انهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون
ابتداء كلام مستانف يؤمنون بما انزل اليك يعني انهم يصدقون بالقرآن الذي انزل اليك يا محمد وما انزل
من قبلك والمقيمين الصلاة اختلف العلماء في وجه نصبه فحكي عن عائشة وابان بن عثمان انه
غلط من الكتاب ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة قال عثمان بن عفان ان في المصحف لحنا ستقيمه العرب
بالسنتها فقيل له الا تغيره فقال دعوه لانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة
وسائر العلماء من بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره واجيب عما روي عن
عثمان بن عفان وعن عائشة وابان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القرآن هم اهل اللغة
والفصاحة والقدوة فكيف يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي ان ينسب
هذا اليهم قال ابن الانباري ما روي عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيئا فاسدا
ليصلحه غيره ولان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون ثبوت
اللحن فيه وهذا لا يجوز في الخطاب ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف
وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في
النصب على الاختصاص والمدح والذم وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على امثلة وشواهد وربما
غفل عنه ان الصحابة كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا
في كتاب الله عز وجل ثلمة ليسدها غيرهم وخرقا يرقعه من يلحق بهم ثم اختلف العلماء في
المقيمين الصلاة اهم الراسخون في العلم ام غيرهم على قولين احدهما انهم هم وانما نصبه على المدح
والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد
ونعته اذا تطاول بمدح او ذم فربما خالفوا بين اعراب اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا باخره الى اعراب
اوله وربما اجروا اعراب اخره على اعراب اوسطه وربما اجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا
على معنى الآية

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الازر

وهذا على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى نحو قولها في قومك المطعمين وهم المغيثون
والقول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على
قوله بما انزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
والمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع احد منهم من اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة

لانهم يسبحون

لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وعجب الزجاج القول الاول واختاره وعجب الطبري القول الثاني واختاره رد يسر
وقوله تعالى والمؤتون الزكاة عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم والمؤمنون بالله واليوم الآخر
يعني والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب والعقاب اولئك يعني من هذه
الاوصاف صفته سنؤتيهم اجرا عظيما يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع
امره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
قال ابن عباس قال مسكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله انزل على بشر من شيء من بعد موسى
فانزل الله هذه الآية وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل
عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فاجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا اوحينا اليك
يا محمد كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع
الانبياء المذكورين في هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هؤلاء الانبياء
وانتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما انزل الله على احد من هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة
مثل ما انزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جملة واحدة على هؤلاء الانبياء قادحا في نبوتهم
فكذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد انزل عليه كما ميوفا
انزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث بشريعة
واول نذير على الشرك وانزل الله عز وجل عشر صحائف وكان اول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك عليه
اهل الارض بدعائه وكان ابا البشر كآدم عليهما السلام وكان اطول الانبياء عمرا عاش الف سنة
لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء
من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال
واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب وكانوا اثني
عشر وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا يعني وآتينا داود كتابا
مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي انزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس
فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتحميد وثناء على الله تعالى عز وجل ومواعظ وكان
داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم
الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الشياطين والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال الناس
فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤوس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها فلما قارف
الذنب زال عنه ذلك وقيل انه كان ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية وعن ابي موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتني البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير
آل داود وقال الحميدي زاد البرقاني قلت والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لقراءتي لحبرتها
لك تحبيرا التحبير التحسين بالقراءة وقال العلماء انما بدأ بذكر موسى في هذه الآية لان الله انزل عليه
التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء في الآية انه لم ينزل على احد منهم كتابا
جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام قوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل
لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى
عليه السلام والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القرآن وعرفناك
اخبارهم والى من بعثوا وما ورد عليهم من قومهم ورسلا لم نقصصهم عليك اي لم نسمهم لك
ولم نعرفك اخبارهم قال اهل المعاني الذين جوزه الله بذكرهم من الانبياء يدل على تفضيلهم على من
لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة
لان تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لان افعال كلام

المجاز لا توكد بالمصادر فلا يقال اراد الحايط ان يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما في محل فسمع
موسى ذلك الكلام وقال الفرا العرب تسمي كل ما يوصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ولكن لا تحققه
بالمصدر واذا حققته بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى قد سمع كلام الله
حقيقة من غير واسطة وروى البغوي بسنده عن عروة بن رويم عن كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى
عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول اي رب
لا افهم حتى كلمه بلسانه اخر الالسنة فقال يا رب هذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه
لم تك شيئا قال موسى يا رب هل في خلقك شي يشبه كلامك قال لا واقرب خلقي شبها بكلامي
اشد ما يسمع الناس من الصواعق قال بعض العلما كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم
وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من الانبيا غيره من الانبيا
فلذلك انزل عليه التوراة جملة واحدة لم يكن قادحا في نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من الانبيا
قوله عز وجل **رسلا مبشرين ومنذرين** يعني انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده ومن اولايك النبيين رسلا الى خلقي مبشرين من اطاعني واتبع امري وصدق رسلي بالثواب
الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني وخالف امري وكذب رسلي بالعذاب الاليم في النار وقيل
هو جواب عن سوال اليهود وانزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل هو
ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته والفرار من خلافه لان
وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة او بانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى
وذلك ان الله لو قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيئا من العبادات ولم تكلف بها
فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حمل ذلك بعض نفوس العباد فنفر من تلك
التكاليف وتثقل عليهم كما اخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه
ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام التورية
الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال القران نجوما متفرقة اولى وقوله تعالى **لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل** يعني بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله
في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما ارسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا ففيه
دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله
لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل
لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة في ترك الطاعات والعبادات فان قلت
كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التي النظر فيها موصل
الى معرفته ووحدانيته كما قيل   وفي كل شي له اية   تدل على انه واحد
قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر في تلك الدلايل التي تدل
على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لهم ما هم وسايط بين الله وخلقه ومبينون احكام الله تعالى
التي افترضها على عباده ومبلغون رسالته اليهم خ عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة
لو رايت رجلا مع امراتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الله الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين
ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا شخص احب
اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى **وكان الله عزيزا**
يعني في انتقامه

٢٦٠

يعني في انتقامه ممن خالف امره وعصى رسله **حكيما** يعني في ارسال الرسل قوله تعالى **لكن الله يشهد
بما انزل اليك** قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني والله
اعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الاية وفي رواية عن ابن عباس قال
ان روسا مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سالنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم
فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك يعني ان جحدك هولا اليهود
يا محمد وكفروا بما اوحينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر من شي فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد
لك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك من كتابه ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القران لم ينزل عليك
يا محمد لكن الله يشهد بانه انزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القران البالغ في
الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والاخرون عن معارضته والاتيان بمثله فصار ذلك معجزا واظهار
المعجزة شهادة لكون المدعي صادقا لا جرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة
هذا القران الذي انزل عليك **انزله بعلمه** يعني انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك من صحة
ذلك الانزال وهو انه تعالى انزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه انزله وهو عالم بانك اهل
لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه انزله بما علم من مصالح عباده في انزاله عليك
والملايكة يشهدون يعني يشهدون بان الله انزله عليك ويشهدون بنبوتك وانما عرفت شهادة
الملايكة لان الله تعالى اذا شهد بشي تشهد الملايكة بذلك الشي وقد ثبت بان الله يشهد بانه انزله
بعلمه فلذلك الملايكة يشهدون بذلك **وكفى بالله شهيدا** يعني وحسبك يا محمد ان الله يشهد
لك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه احد غيره ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة
اهل الكتاب له فان الله يشهد وملايكته كذلك قوله عز وجل **ان الذين كفروا** يعني جحدوا نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وهم اليهود **وصدوا عن سبيل الله** يعني منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته
والقا الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا لاتى بكتاب من
السما جملة واحدة كما اتى موسى بالتورية **قد ضلوا ضلالا بعيدا** يعني عن طريق الهدى **ان الذين كفروا
وظلموا** يعني كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقا
الشبهات في قلوبهم **لم يكن الله ليغفر لهم** يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه
لم يكن الله ليستر عليهم قبايح افعالهم بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والاسر والجلا
وفي الاخرة بالنار وهو قوله تعالى **ولا ليهديهم طريقا** يعني ينجون فيه من النار وقيل لا يهديهم
طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يومنون **الا طريق جهنم** يعني لكنه تعالى يهديهم الى
طريق يوديهم الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم اهل لذلك **خالدين فيها** يعني في جهنم
ابدا وكان ذلك على الله يسيرا يعني هينا قوله عز وجل **يا ايها الناس** هذا خطاب عام يدخل فيه
جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب **قد جاكم
الرسول** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **بالحق** يعني بدين الاسلام الذي ارتضاه لعباده وقيل جا بالقران
الذي هو الحق **من ربكم** يعني من عند ربكم **فامنوا خيرا لكم** يعني فامنوا بما جاكم به محمد صلى الله عليه
وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعني من الكفر الذي انتم عليه **وان تكفروا** يعني وان تجحدوا رسالة محمد
صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاكم به من الحق من ربكم **فان لله ما في السماوات والارض** يعني
فان الله هو الغني عن ايمانكم لان له ما في السماوات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا
الى شي وانه قادر على ما يشا **وكان الله عليما** يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شي من اعمال عباده
فيجزي كل عامل بعمله **حكيما** يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم قوله عز وجل **يا اهل الكتاب**
نزلت هذه الاية في النصارى وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الاية اتبع ذلك

والملكانية وصح

بأنكما ما تعتقده النصارى أربعة اليعقوبية والنسطورية والمرقوسية فأما اليعقوبية والملكانية فقالوا
في عيسى إنه الله وقالت النسطورية إنه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل إنهم يقولون إن عيسى
جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وإنهم يريدون بأقنوم الأب
الذات وبأقنوم الابن عيسى وبأقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقدير الآلهة ثلاثة وقيل إنهم
يقولون في عيسى ناسوتية ولاهوتية فالناسوتية من قبل الأم واللاهوتية من قبل الأب تعالى الله عما يقولون علوا
كبيرا فقال الله تعالى لهم هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولس تنصر ووضع هذا في دين النصارى ليضلهم
بذلك وستأتي قصته في سورة التوبة إن شاء الله تعالى وقيل يحتمل أن يكون المراد بأهل الكتاب اليهود
والنصارى جميعا فإنهم غلوا في أمر عيسى عليه السلام فأما اليهود فإنهم بالغوا في التقصير في أمره
حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشده وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره
حيث جعلوه إلها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم أهل الغلو مجاوزة
الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في أمر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته
ولا تقولوا على الله إلا الحق يعني لا تقولوا إن له شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوه بالحلول والاتحاد
في بدن الإنسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو في دينهم أرشدهم إلى طريق الحق
في أمر عيسى عليه السلام فقال تعالى إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله يقول إنما المسيح
هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وإنه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر وأشرك وكلمته
هي قوله تعالى كن فكان بشرا من غير أب ولا واسطة ألقاها إلى مريم يعني أوصلها إلى مريم وروح منه
يعني إنه كسائر الأرواح التي خلقها الله تعالى وإنما أضافه إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم
كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعني أنه تفضل بها وقيل الروح هو الذي نفخ فيه
جبريل في جيب درع مريم فحملت بإذن الله وإنما أضافه إلى نفسه بقوله منه لأنه وجد بأمر الله تعالى
قال بعض المفسرين إن الله خلق أرواح البشر وجعلها في صلب آدم عليه السلام وأمسك عنده
روح عيسى عليه السلام فلما أراد الله أن يخلقه أرسل بروحه مع جبريل إلى مريم فنفخ في جيب درعها
فحملت بعيسى عليه السلام وقيل إن الروح والريح متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ
جبريل عليه السلام وقوله منه يعني أن ذلك النفخ كان بأمره وإذنه وقيل أدخل التنكير في قوله
وروح منه على سبيل التعظيم والمعنى وروح أي روح من الأرواح القدسية العالية المطهرة وقوله
منه إضافة تلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتكريم وعن عبادة بن الصامت قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله
وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله
الجنة على ما كان من العمل وقوله تعالى فآمنوا بالله ورسله يعني صدقوا يا أهل الكتاب بوحدانية
الله وأنه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاؤكم به من عند الله وصدقوا بأن عيسى عليه السلام
من رسل الله فآمنوا به ولا تجعلوه إلها وقوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة يعني ولا تقولوا الآلهة
ثلاثة وذلك أن النصارى يقولون أب وابن وروح القدس وقيل إنهم يقولون إن الله بالجوهر
ثلاثة أقانيم وذلك أنهم أثبتوا ذاتا موصوفا بصفات ثلاثة بدليل أنهم يجوزون على تلك الذات
الحلول في عيسى وفي مريم فقد أثبتوا ذاتا متعددة ثلاثة وهذا هو عين الكفر ولهذا قال الله تعالى
ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم يعني يكن الانتهاء عن القول خيرا لكم من القول بالتثليث (هذا)
ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى إنما الله إله واحد ثم نزه نفسه
عن الولد فقال سبحانه أن يكون له ولد يعني أنه لا ينبغي أن يكون له ولد لأن الولد جزء من الأب وتعالى
الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث له ما في السماوات وما في الأرض يعني أنه تعالى له ملك

السماوات

(Margin: ولاهوتيه — الله)

السماوات والأرض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه
فإذا كانا عبدين له فكيف يعقل مع هذا أن له ولدا وزوجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان تنزيهه
عما نسب إليه من الولد والمعنى أن جميع ما في السماوات وما في الأرض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا
منه لأن التجزئة إنما تصح في الأجسام والله تعالى منزه عن صفات الأعراض والأجسام وكفى بالله وكيلا يعني
أنه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له إلى غيره وكل الخلق محتاجون إليه وفقراء إليه وهو غني عنهم
وقوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله وذلك أن وفد نجران قالوا يا محمد إنك تعيب صاحبنا
فتقول إنه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه ليس بعار على عيسى أن يكون عبدا لله فنزلت
لن يستنكف المسيح يعني لن يأنف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الأنفة يقال نكفت
من كذا واستنكفت منه أي أنفت منه وأصله من نكفت الشيء نحيته ونكفت الدمعة إذا نحيتها بإصبعك
من خدك والمعنى لن يتعظم ولن يمتنع ولن يأنف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون
يعني ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وأفاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل
وإسرافيل وعزرائيل أن يكونوا عبيدا لله لأنهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل إن الإلهية عند النصارى في عيسى
أنه ابن الله لحاله وإتيانه خوارق العادات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من المعجزات
أجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي وقعت للنصارى بأن عيسى من شرف قدره وكرامته لن يستنكف أن
يكون عبدا لله وقد استدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل أن الله
تعالى ترقى من عيسى إلى الملائكة والترقي من الأدنى إلى الأعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه أن الله تعالى
لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول إن الملائكة بنات الله وإنهم آلهة
كما رد على النصارى قولهم إن المسيح ابن الله وقاله أيضا ردا على النصارى فإنهم يقولون بتفضيل الملائكة
يعني كما أن المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله وقوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل لله والخضوع والطاعة من جميع خلقه
فسيحشرهم إليه جميعا يعني فسيجمعهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لأنفسهم
شيئا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم يعني يوفيهم جزاء أعمالهم الصالحة
ويزيدهم من فضله يعني ويزيدهم على ما أعطاهم من الثواب على أعمالهم الصالحة وأما الذين استنكفوا
واستكبروا يعني الذين أنفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم
من دون الله يعني من سوى الله لأنفسهم وليا يعني يليهم من عذابه ولا نصيرا يعني ولا ناصرا
ينصرهم منه ويرفع عنهم عقوبته فإن قلت في الآية تقسيم وهو أن التفصيل غير مطابق للمجمل لأن
التفصيل اشتمل على فريقين وهو قوله فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم وأما الذين
استنكفوا واستكبروا والمجمل اشتمل على فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف ويستكبر عن عبادته
والجواب أنه لا إشكال فيه فهو مثل قولك جمع الإمام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج
عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما أنه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولأن ذكر أحدهما
يدل على ذكر الثاني والوجه الثاني أن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم
فكأنه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحسرة والغم إذا رأوا أجور
العاملين له تعالى قوله عز وجل يا أيها الناس خطابا لأهل مكة قد جاءكم برهان من ربكم يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وإنما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرات
التي تشهد بصدقه ولأن البرهان دليل على إقامة الحق وإبطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان
كذلك ولأنه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق وأنزلنا إليكم نورا مبينا يعني
القرآن وإنما سماه نورا لأنه تتبين به الأحكام كما تتبين بالنور الأشياء في الظلام ولأنه سبب لوقوع

(Margin: لن يستنكف أن يكون عبدا لله والملائكة المقربون ح — ويستكبر)

نور الإيمان في القلب فسماه نور الحق المعنى **وأما الذين آمنوا بالله** يعني صدقوا بوحدانية
الله وبما أرسل من رسول وأنزل من كتاب **واعتصموا به** يعني بالله في أن يثبتهم على الإيمان ويصرف عنهم
عن زيغ الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به أي وتمسكوا بالقرآن وهو القرآن الذي أنزل على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم **فسيدخلهم في رحمة منه** يعني فيدخلهم في رحمته التي يرحمهم بها
من النعم عن أبيه قال ابن عباس الرحمة الجنة **وفضل** يعني ما يتفضل به عليهم بعد إدخالهم الجنة
مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **ويهديهم إليه صراطا مستقيما** يعني
ويوفقهم لإصابة فضله الذي تفضل به عليهم ويبصرهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل
طاعته ويرشدهم لدينه القويم الذي ارتضاه لعباده وهو دين الإسلام قوله تعالى **يستفتونك قل الله**
يفتيكم في الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري عن جابر بن عبد الله قال مرضت فأتاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين فأغمي علي فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم
ثم صب علي من وضوئه فأفقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف أصنع في
مالي كيف أقضي في مالي فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في
الكلالة وفي رواية قلت يا رسول الله إنما يرثني كلالة فنزلت آية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد
ابن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال هكذا أنزلت وفي رواية لابن المنكدر وكان لي تسع
أخوات حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ولأبي داود قال اشتكيت وعندي
سبع أخوات فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ في وجهي فأفقت فقلت يا رسول الله ألا
أوصي لأخواتي بالثلثين قال أحسن قلت بالشطر قال أحسن ثم خرج وتركني فقال يا جابر لا أراك ميتا
من وجعك هذا وإن الله قد أنزل فبين الذي لأخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول أنزلت هذه الآية
في يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وروى الطبري عن قتادة أن الصحابة أهمهم شأن الكلالة
فسألوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وروي عن ابن سيرين قال نزلت
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم في مسير له وإلى جنبه حذيفة
ابن اليمان فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه
فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجا أن يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله إنك
لعاجز إن ظننت أن إمارتك تحملني أن أحدثك فيها ما لم أحدثك يومئذ فقال عمر لم أرد هذا رحمك الله
وأما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعني يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة وقد تقدم في
أول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وأن اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى
الموروث فإن وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وإن وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه أحد
الأبوين ولا أحد الأولاد قوله تعالى **إن امرؤ هلك** يعني مات سمي الموت هلاكا لأنه إعدام في
الحقيقة **ليس له ولد** يعني ولا والد فاكتفي بذكر أحدهما عن الآخر ودل على المحذوف أن السؤال عن
الكلالة إنما كان في الكلالة وقد تقدم أن الكلالة من ليس له ولد ولا والد **وله أخت** يعني ولهذا الهالك
أخت وأراد بالأخت من أبيه وأمه أو من أبيه **فلها نصف ما ترك** يعني فللأخت الميت نصف تركته
وهو فرضها إذا انفردت والباقي المال لبيت المال إذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت
وبه قال الشافعي وعند أبي حنيفة وأهل العراق يرد الباقي عليها فإذا كانت للميت بنت أخت
النصف بالفرض وتأخذ الأخت النصف الباقي بالتعصيب لا بالفرض لأن الأخوات مع البنات عصبة
وقوله تعالى **وهو يرثها إن لم يكن لها ولد** يعني أن الأخت إذا ماتت وتركت أخا من الأب والأم أو من الأب
فإنه يستغرق جميع ميراث الأخت إذا انفردت ولم يكن للأخت ولد وهذا أصل في جميع العصبات
واستغراقهم جميع المال فأما الأخ من الأم فإنه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه

فإن كانتا

فإن كانتا **اثنتين فلهما الثلثان مما ترك** أراد أختين فصاعدا وهو أن من مات وترك أختين أو أخوات
فلهن الثلثان مما ترك الميت **وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين** يعني وإذا
كان المتروكون من الإخوة رجالا ونساء فللذكر منهم مثل حظ الأنثيين من أخواته الإناث **يبين الله**
لكم أن تضلوا يعني يبين الله لكم هذه الفرائض والأحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية أن تضلوا
وقيل يبين الله الضلالة لتجتنبوها **والله بكل شيء عليم** يعني من مصالح عباده التي حكم بها من
قسمة المواريث وبيان الأحكام وغير ذلك لأن علمه محيط بكل شيء. وعن البراء بن عازب رضي الله
عنه قال إن آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وإن آخر آية نزلت آية الكلالة وفي رواية لمسلم
قال آخر آية نزلت يستفتونك وروي عن ابن عباس أن آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت
إذا جاء نصر الله والفتح وروي عنه أن آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ويروى أن النبي
صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة
نزلت كاملة فعاش بعدها ستة أشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لأنه قد ثبت في الصحيحين من حديث
حجة في حجة أبي بكر الصديق أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي أمره عليها قبل حجة الوداع في
رهط يؤذن في الناس يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم أردف النبي
صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة فأذن معنا في أهل منى
ببراءة ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة أبي بكر هذه سنة تسع
قبل حجة الوداع بسنة فقال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في
الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم فعاش بعدها
إحدى وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وعاش النبي صلى
الله عليه وسلم بعدها إحدى وعشرين يوما هذا آخر تفسير سورة النساء والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة المائدة

نزلت بالمدينة إلا قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم فإنها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله
عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال يا أيها الناس إن سورة
المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها فإن قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم
ع هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب أن يحل
حلالها ويحرم حرامها قلت هو كذلك إنما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها وهو كقوله تعالى
في قال إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم
فأمر باجتناب الظلم في هذه الأربعة أشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل إنما خص النبي صلى
الله عليه وسلم هذه السورة لأن فيها ثمانية عشر حكما لم ينزل في غيرها من سور القرآن قال
البغوي روي عن ميسرة قال إن الله تعالى أنزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهي
قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب
وأن تستقسموا بالأزلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات
من الذين أوتوا الكتاب وتمام الطهر في قوله إذا قمتم إلى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا
الصيد وأنتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم إذا حضر
أحدكم الموت بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**
يعني العهود قاله الجماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود التي أمر الله بالوفاء بها فقال ابن جرير هذا

خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في
شان محمد صلى الله عليه وسلم وهو الايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم بالوفاء بالعقود قال ابن
عباس هي عهود الايمان وما اخذه على عباده في القران فيما احل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية
كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والموازرة على من حاول ظلمه او بغاه بشر وذلك هو معنى الحلف الذي
كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية
ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم وما يعقده الانسان على
نفسه والجمع خمس عقد اليمين عقدة وعقدة النكاح وعقدة العهد وعقدة البيع وعقدة الشركة زاد
بعضهم وعقدة الحلف قال الطبري واولى الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس ان معناه اوفوا يا ايها
المؤمنون بعقود الله التي اوجبها عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا هذا القول اولى بالصواب
لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم الله عليهم فقال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام
وهذا خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي اربع من الحيوان لا تمييز في المنطق وبعدها عن التمييز
والقوائم من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز
فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر في قول جميع اهل
اللغة واختلفوا في معنى الاية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا
القول انما اضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها كالظباء
وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام لتعريف جنس الانعام وما احل منها لانه
لو افردها فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل ويحرم من البهائم فلهذا قال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام وقال
ابن عباس هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت وذهب اكثر العلماء الى تحليلها
وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين
ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجة وفي رواية ابي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة
ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين أنلقيه ام ناكله فقال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه
وروى الطبري عن ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت
ان خرج ميتا اكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من بهيمة الانعام
وعنه ان بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام
وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلقة قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت
شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام
وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم يعني في القران تحريمه واراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى اخر
الاية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام غير محلي الصيد وانتم
حرم يعني احلت لكم الانعام كلها والوحشية اتيا من الظباء والبقر والحمر غير محلي صيدها وانتم
محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا في حال احرامه ان الله يحكم ما يريد يعني ان الله
يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض ما يشاء ان يفرضه عليهم من
احكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله نزلت في
الحطم واسمه شريح بن ضبيعة البكري اتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده
على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة
ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي
بهم وقد خرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة

يتكلم بلسان

يتكلم بلسان شيطان فلما خرج قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر
وما الرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

لقد لفها الليل بسواق حطم ... ليس براعي ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم ... باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم ... خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان في العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه
تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فقال المسلمون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية
فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس هي المناسك
وكان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدايا
المشعورة واشعارها ان يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل الدم فيكون ذلك علامة بانها هدي
وهو سنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت فتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه
وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم عليه شيء كان احل له اخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن
وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء اهل بالحج وعند ابي حنيفة
لا يجوز اشعار الهدي بل قال يكره ذلك وقال ابن عباس في معنى الاية لا تحلوا شعائر الله هي ان تصيد
وانت محرم وقيل شعائر الله معالم دينه والمعنى لا تحلوا شيئا من فرائضه التي افترضها عليكم واجتنبوا
نواهيه التي نهى عنها ولا الشهر الحرام اي ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي
كانت العرب تعظمه وتحرم القتال في الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل اكده والمراد
بالشهر الحرام هنا ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسيء
فانه كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول اني احللت كذا وحرمت كذا يقدم فيه
الاشهر فنهى الله عن ذلك وسياتي تفسير النسيء في سورة براءة ولا الهدي ولا القلائد الهدي ما
يهدى الى بيت الله من بعير او بقرة او شاة او غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة
وهي التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدي ذوات القلائد قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى ... واعناق الهدي مقلدات

وعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدي مبالغة في التوصية بها لانها اشرف الهدي المقلدة والمعنى
ولا تحلوا الهدي خصوصا المقلد منها وقيل اراد اصحاب القلائد وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا
اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يامنون بذلك فلا يتعرض لهم
احد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن نزع شيء من شجر الحرم ولا امين
البيت الحرام يعني ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها
يبتغون يعني يطلبون فضلا من ربهم يعني الرزق والارباح في التجارة ورضوانا يعني ويطلبون
رضى الله عنهم بزعمهم لان الكافر لا حظ له في الرضوان لكن بحسب زعمه وظنه ذلك طلبا للرضوان فيجوز
ان يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا ينالونه
فلا يبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل كان المشركون
يلتمسون في حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم فيها وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين
عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا فصل اختلف علماء الناسخ
والمنسوخ في هذه الاية فقال قوم هذه الاية منسوخة الى هاهنا لان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله

ولا الشهر الحرام يقتضي حرمة القتال في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام
وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن بالهدي
والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأكثر المفسرين قال الشعبي لم ينسخ
من سورة المائدة إلا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمين البيت الحرام نسختها آية براءة
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان
المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحدا أن يحج البيت أو يتعرض له
من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعد هذا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شيء سوى القلائد التي كانت الجاهلية يتقلدونها من لحى شجر الحرم
قال الواحدي وذهب جماعة إلى أنه لا منسوخ في هذه السورة وأن هذه الآية محكمة قالوا ما ندبنا
إلى أن نخيف من يقصد بيته من أهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وخص الشهر الحرام من غيره
بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا أخذ الهدي من المهديين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا
القلائد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من
نسخ هذه الآية لإجماع العلماء على أن الله عز وجل قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها
وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن له ذلك أمانا من القتل
إذا لم يكن تقدم له عقد ذمة أو أمان وكذلك أجمعوا على منع من قصد البيت بحج أو عمرة من
المشركين لقوله تعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله أعلم وقوله تعالى
وإذا حللتم يعني من إحرامكم فاصطادوا هذا أمر إباحة لأن الله حرم الصيد على المحرم حالة إحرامه
بقوله تعالى غير محلي الصيد وأنتم حرم وأباحه له إذا حل من إحرامه أن يصطاد ومثله قوله تعالى فإذا
قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض معناه أنه قد أبيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة ولا يجرمنكم
قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه ولا يكسبنكم ولا يدعونكم شنآن قوم يعني بغض قوم
وعداوتهم أن صدوكم يعني بأن صدوكم عن المسجد الحرام والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على
الاعتداء لأن صدوكم عن المسجد الحرام لأن هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد
تقدم أن تعتدوا عليهم يعني بالقتل وأخذ المال وتعاونوا على البر والتقوى يعني ليعن بعضكم
بعضا على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة ولا تعاونوا على الإثم والعدوان
يعني ولا يعن بعضكم بعضا على الإثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الإثم المعاصي والعدوان
البدعة عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال البر
حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس واتقوا الله أي واحذروا الله أن
تعتدوا ما أمركم به أو تتجاوزوا إلى ما نهاكم عنه إن الله شديد العقاب يعني لمن خالف أمره
فعصاه وعيد وتهديد عظيم قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
لما بين الله تعالى في أول السورة ما أحل للناس من بهيمة الأنعام بقوله أحلت لكم بهيمة الأنعام ثم إنه من
تعالى استثنى من ذلك بقوله إلا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة وكل
ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة أن الدم لطيف جدا
فإذا مات الحيوان احتبس ذلك الدم في العروق فيتعفن ويحصل منه ضرر عظيم والدم
هو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويها وتأكله فحرم الله
ذلك كله ولحم الخنزير وأراد به جميع أجزائه وأعضائه وإنما خص اللحم بالذكر لأنه المقصود بالأكل
وقد تقدم في سورة البقرة أحكام هذه الثلاثة أشياء وما استثنى الشارع منه من الميتة والدم وهو
السمك

السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على إباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك وقوله تعالى
وما أهل لغير الله به يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يذكرون أسماء
٢٦٤ أصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه والمنخنقة
قال ابن عباس كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس
الميتة لأنها إذا ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما أن الميتة تموت بلا سبب أحد والمنخنقة تموت بسبب
الخنق والموقوذة يعني المقتولة بالخشب وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت
ويأكلونها فحرم الله ذلك والمتردية يعني التي تتردى من مكان عال فتموت والتردي هو السقوط من سطح أو من
جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم أكلها ويدخل في هذا الحكم إذا رمى بسهمه صيدا
فتردى ذلك الصيد من جبل أو مكان عال فمات فإنه يحرم أكله لأنه لا يعلم هل مات بالتردي أو بالسهم
والنطيحة يعني التي تنطحها شاة أخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تأكل ذلك فحرمه الله
تعالى لأنها في حكم الميتة وأما الهاء في هذه الكلمات التي تقدمت أعني المنخنقة والموقوذة والمتردية
والنطيحة فإنما دخلت لأنها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة لأنها من أعم ما يأكله الناس والكلام
إنما يخرج على الأعم الأغلب ثم يلحق به غيره فإن قلت لم أثبتت الهاء في النطيحة مع أنها في الأصل
منطوحة فعدل بها إلى النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة كقولهم كف خضيب وعين كحيل
يعني كف مخضوبة وعين مكحولة قلت إنما تحذف الهاء من الفعيلة إذا كانت صفة لموصوف منطوق به
فإذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة ووضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قتيلة بني فلان بالهاء لأنك
إن لم تدخل الهاء لم يعرف أرجل هو أم امرأة فعلى هذا إنما دخلت الهاء في النطيحة لأنها صفة لموصوف
غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتي فعيلة بالهاء وهي في تأويل مفعولة تخرج مخرج الأسماء
ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة وأكيلة السبع ومررت بقتيلة بني فلان
وقوله تعالى وما أكل السبع قال قتادة كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئا فقتله أو أكل منه أكلوا
ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم لما يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس
بنابه كالأسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفي الآية محذوف تقديره وما أكل السبع منه لأن ما أكله
السبع فقد نفد ولا حكم له إنما الحكم للباقي منه إلا ما ذكيتم يعني إلا ما أدركتموه وقد بقيت فيه
حياة مستقرة من هذه الأشياء المذكورة والظاهر أن هذا الاستثناء يرجع إلى جميع المحرمات المذكورة
في الآية من قوله تعالى والمنخنقة إلى وما أكل السبع وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن وقتادة
وقال ابن عباس يقول الله تعالى ما أدركتموه من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال وقال الكلبي هذا
الاستثناء مما أكل السبع خاصة والقول الأول هو الأصح وأما كيفية إدراكها فقال أكثر أهل العلم
من المفسرين إن أدركت ذكاته بأن يوجد له عين تطرف أو ذنب يتحرك فأكله جائز قال ابن عباس إذا
طرفت بعينها أو ركضت برجلها أو تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض أهل العلم إلى أن السبع إذا جرح
فأخرج الحشوة أو قطع الجوف قطعا يؤيس معه الحياة فلا ذكاة لأن ذلك وإن كان به حركة فإنه قد صار
إلى حالة لا تؤثر فيه الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الأنباري لأن معنى التذكية أن
يلحقها وفيها بقية تشخب معها الأوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك
وإلا فهو كالميتة وأصل الذكاة في اللغة تمام الشيء فالمراد من التذكية تمام قطع الأوداج وإنهار
الدم ويدل عليه ما روي عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه
فكلوا ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة أخرجاه في
الصحيحين وأقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المريء والحلقوم وأكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم
بعد الفم وهو موضع النفس والمريء مجرى الطعام والودجان عرقان في صفحتي العنق وأما آلة الذبح

وكلما انهر الدم وفري الاوداج من حجر يرو وغيره الا السن والظفر لما تقدم من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهو قوله تعالى **وما ذبح على النصب** يعني وحرم عليكم ما ذبح على النصب والنصب يحتمل ان يكون جمعا واحده نصاب وان يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشيء المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الاصنام المنصوبة المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب او لاجل النصب فهو حرام **وان تستقسموا بالازلام** يعني وحرم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي القداح وكانت الازلام سبعة قداح مستوية مكتوب على واحد منها امرني ربي وعلى واحد نهاني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل ليس عليه شيء وكانت العرب في الجاهلية اذا ارادوا سفرا او تجارة او نكاحا او اختلفوا في نسب او امر قتيل او تحمل عقل او غير ذلك من الامور العظام جاءوا الى هبل وكانت اعظم صنم لقريش بمكة وجاءوا بمائة درهم واعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج امرني ربي فعلوا ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه واذا جالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حليفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا في الدية العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج غفل اجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشيء منها عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصا والجبت كلما عبد من دون الله عز وجل وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي بسنده الثعلبي عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن او استقسم بالازلام او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة

وقوله تعالى **ذلكم فسق** يعني ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الاية لان معنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة على الاستقسام بالازلام والاول اصح **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم** يعني يئسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في ان يعود المسلمون الى دينهم فلما قوي الاسلام ايسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع وعقد ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الاية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ولم يرد يوما بعينه وانما المعنى الان يئس الذين كفروا من دينكم كما تقول اليوم قد كبرت تريد الان قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا لم يرد يوما بعينه يعني وهو الان يجفونا ولم يقصد به اليوم قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا ... ويوم نساء ويوم نسر

اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ليوم واحد معين **فلا تخشوهم** فلا تخافوا الكفار ايها المؤمنون الذين امنوا ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم **واخشون** اي وخافوا انا لعله امروا اخلصوا الخشية لي قوله عز وجل **اليوم اكملت لكم دينكم** نزلت هذه الاية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق فبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة (ق) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين اية في كتابكم تقرؤونها

لو علينا نزلت

قال

لو علينا انزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر اني لاعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي انزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان يوم عيد لنا (خ) عن ابن عباس انه قرا اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودي فقال لو انزلت هذه الاية علينا لاتخذنا يومها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين في يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المجوس ولم تجتمع اعياد لاهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروي لما نزلت هذه الاية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذا كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة واما تفسير الاية فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يعني بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى اكملت لكم دينكم حين لم يحج معكم مشرك فخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اني اظهرت دينكم على الاديان وامنتكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل اكمال الدين لهذه الامة انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيامة وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم امنوا بكل نبي وبكل كتاب ولم يكن هذا لغير هذه الامة وقال اهل الاصول اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت اخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته فهو كما يقول القائل عندي عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات المختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها فكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجد ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما في اول وقت البعثة بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صلاح فيه فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم واما في اخر زمان البعثة فانزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال الى زمان مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى **واتممت عليكم نعمتي** يعني باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة اتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى انجز لهم ما وعدهم في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة امنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم احد من المشركين **ورضيت لكم الاسلام دينا** يعني واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لامري والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين فاكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا فيما مضى قبل نزول هذه الاية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم هذه الاية ورضيت لكم الاسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم عليها وهي نهاية الكمال واقصى الدرجات عليه فالزموه ولا تفارقوه وروى البغوي

بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل
هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري
عن قتادة قال ذكر لنا أنه يمثل لكل أهل دين دينهم يوم القيامة فأما الإيمان فيبشر أصحابه وأهله ويعدهم
في الخير حتى يجيء الإسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول إياك اليوم أقبل وبك اليوم
أجزي وقوله تعالى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم هذه الآية من تمام ما تقدم
ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى أن المحرمات وإن كانت محرمة إلا أنها قد تحل
في حالة الاضطرار إليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق إلى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض
منه تأكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة
والإسلام الذي هو الدين المرضي عند الله ومعنى الآية فمن اضطر أي أجهد وأصيب بالضر الذي لا يمكنه معه
الامتناع من أكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند
الجوع غير متجانف لإثم وهو أن يأكل فوق الشبع يعني غير مائل إلى إثم أو منحرف إليه والمعنى فمن
اضطر إلى أكل الميتة أو إلى غيرها في المجاعة فليأكل غير متجانف لإثم وهو أن يأكل فوق الشبع
وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء الحجاز فإن الله
غفور رحيم يعني لمن أكل الميتة في حال الجوع والاضطرار وقوله عز وجل يسألونك ماذا
أحل لهم روى الطبري بسنده عن أبي رافع قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليستأذن عليه
فأذن له فلم يدخل فقال قد أذنا لك يا رسول الله فقال أجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال أبو رافع فأمرني
أن أقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها
ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأمرني بقتله فرجعت إلى الكلب فقتلته فجاءوا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها قال فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح
مكلبين وروي عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي
فدخل عاصم وسعد بن خيثمة وعويم بن ساعدة على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا أحل لنا فنزلت
يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزي وأخرج حديث
أبي رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الآية أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء
الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أمسك كلبا فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا كلب حرث أو ماشية ولمسلم أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطان
كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد
الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاة
فماذا يحل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوي وهذا القول أصح في سبب نزولها وأما التفسير فقوله تعالى
يسألونك يعني يسألك أصحابك يا محمد ماذا أحل لهم أكله من المطاعم والمآكل كأنهم لما تلي عليهم
من خبائث المآكل ما تلي سألوا عما أحل لهم قل أحل لكم الطيبات يعني قل لهم يا محمد أحل
لكم الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه
من غير أن يرد بتحريمه نص من كتاب أو سنة واعلم أن العبرة في الاستطابة والاستلذاذ بأهل
المروءة والأخلاق الجميلة من العرب فإن أهل البادية منهم يستطيبون أكل جميع الحيوانات فلا
عبرة بهم ولقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فإن الخبيث هو مستطاب فصارت
هذه الآية الكريمة نص فيما يحل ويحرم من الأطعمة وقوله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين يعني

واحل صيد

يعني وأحل صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد في الكلام لدلالة الباقي عليه ولأنهم
سألوا عن الصيد وقيل إن قوله وما علمتم من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مما أمسكن عليكم وعلى هذا
القول يصح معنى الكلام من غير إضمار والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب من السباع والطير والبهائم
والفهد والكلب والبازي والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت
جوارح من الجرح لأنها تجرح الصيد عند إمساكه وقيل سميت جوارح لأنها تكسب والجوارح الكواسب
من جرح واجترح إذا اكتسب ومنه قوله تعالى الذين اجترحوا السيئات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما
جرحتم بالنهار أي اكتسبتم مكلبين يعني معلمين والمكلب هو الذي يغري الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب
الجوارح ومعلمها وإنما اشتق له هذا الاسم من الكلب لأنه أكثر احتياجا إلى التعليم من غيره من
الجوارح تعلمونهن يعني تعلمون الجوارح الاصطياد مما علمكم الله يعني من العلم الذي علمكم
الله ففي الآية دليل على أنه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو أن الرجل يعلم
الجارحة الصيد وذلك بأن يوجد فيها أمور منها أنها إذا أشليت على الصيد استشلت وإذا
زجرت انزجرت وإذا أخذت الصيد أمسكت ولم تأكل منه شيئا ومنها أن لا يفر منه إذا أراده وأن يجيبه
إذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فإذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات
فإنه يحل قتلها إذا جرحت بإرسال صاحبها وعن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت إنا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل مما
أمسك عليك إلا أن يأكل الكلب فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه وإن خالطها كلاب لم
يذكر اسم الله عليها فأمسكن وقتلن فلا تأكل فإنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفي رواية
فإنك لا تدري أيها قتل وسألته عن صيد المعراض فقال إذا أصبت بحده فكل وإذا أصبت بعرضه فقتل
فإنه وقيذ فلا تأكل وإذا أصبت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكل وإن
وقع في الماء فلا تأكل واختلف العلماء في تحريمه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس
والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وهو أصح قولي الشافعي ويدل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم فإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه ورخص بعضهم في أكله يروى ذلك عن ابن عمر
وسلمان الفارسي وسعد بن أبي وقاص وبه قال مالك لما روي عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صيد الكلب إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه أخرجه أبو
داود أما غير المعلم من الجوارح إذا أخذت صيدا أو المعلم إذا خرج بغير إرسال صاحبه فأخذ وقتل فإنه
لا يحل إلا أن يدركه حيا فيذبحه فيحل وعن أبي ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله إنا بأرض قوم أهل
كتاب أفنأكل في آنيتهم وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما
يصلح لي قال أما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وإن لم تجدوا غيرها
فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم
فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فأدركت ذكاته فكل وقوله تعالى فكلوا
مما أمسكن عليكم دخلت من في قوله مما للتبعيض لأنه إنما أحل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث
والدم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر واذكروا اسم الله عليه قال ابن عباس
يعني إذا أرسلت جارحتك فقل بسم الله وإن نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي
إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير عائدا إلى الإرسال وقيل يعني واذكروا اسم
الله عليه عند الأكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند إرسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الأكل
وسيأتي بيان هذه المسألة في سورة الأنعام عند قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه واتقوا
الله يعني واحذروا مخالفة الله يعني فيما أحل لكم وحرم عليكم إن الله سريع الحساب

إلى الصلاة من النوم وقيل هو أمر ندب لمن قام إلى الصلاة أن يجدد لها طهارة وإن كان على طهر ويدل
عليه ما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات
أخرجه الترمذي وقيل هذه علامة من الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا وضوء عليه إلا إذا قام
إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال ويدل عليه ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج يوما من الخلاء فقرب إليه طعام فقالوا ألا نأتيك بوضوء فقال إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة
أخرجه مسلم والقول الأول هو المختار في معنى الآية وفروض الوضوء المذكورة في هذه الآية أربعة
الأول غسل الوجه وهو قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واستدل الشافعي على وجوب النية
عند غسل الوجه بهذه الآية ووجهه أن الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب أن يكون منويا ولما روي
في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ
ما نوى والوضوء من الأعمال فيجب أن يكون منويا وإنما قلنا أن الوضوء مأمور به وأنه من أعمال الدين لقوله تعالى
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والإخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة
معتبرة كان أصل النية في جميع الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى معتبرا واستدل أبو حنيفة لعدم وجوب
النية في الوضوء بهذه الآية فقال إن النية ليست بشرط لصحة الوضوء لأن الله تعالى أوجب غسل الأعضاء الأربعة
في هذه الآية ولم يوجب النية فيها فإيجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن
بخبر الواحد أو بالقياس غير جائز وأجيب عنه بأنا إنما أوجبنا النية في الوضوء بدلالة القرآن وهو
قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وأما حد الوجه فمن منابت شعر الرأس إلى منتهى
الذقن طولا ومن الأذن إلى الأذن عرضا لأنه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب
إيصال الماء إلى ما تحت الحاجبين وأهداب العينين والعذارين والشارب والعنفقة وإن كانت كثة وأما
اللحية فإن كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة
الخفيفة وهل يجب إمرار الماء على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان أحدهما وبه قال أبو حنيفة
لا يجب لأن الشعر النازل عن حد الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس في المسح فكذلك حكم الشعر النازل
عن حد الوجه والقول الثاني يجب إمرار الماء على ظاهره لأن الوجه ما أخذ من المواجهة فيدخل جميع اللحية
في حكم الوجه الفرض الثاني قوله تعالى وأيديكم إلى المرافق يعني واغسلوا أيديكم إلى المرافق
والمرفق بالكسر هو من الإنسان أعلى الذراع وأسفل العضد وذهب جمهور العلماء إلى وجوب
إدخال المرفقين في الغسل ونقل عن مالك والشعبي وزفر وأبي بكر بن داود الظاهري أنه لا يجب إدخال
المرفقين في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجو
هكم وأيديكم إلى المرافق فقال الذي آمر به أن يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وحجة أصحاب هذا القول
أن كلمة إلى لانتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى
الليل ولأن الحد لا يدخل في المحدود فوجب أن لا يجب غسل المرفقين في الوضوء وحجة الجمهور أن كلمة إلى
هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي مع أموالكم ويعضده من السنة ما
في حديث أبي هريرة أنه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد
ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضى
والجواب عن حجة المتقدمة أن الحد إذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الآية لأن المرفق من جنس
المحدود وإذا لم يكن الحد من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل لأن النهار
من جنس الليل فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى وامسحوا برؤوسكم اختلف العلماء في القدر
الذي يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو أحد الروايتين عن أحمد والرواية الأخرى عنه
أنه يجب مسح أكثره وقال أبو حنيفة يجب ربعه وفي رواية أخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة أصابع

مسحه وقال

بعض منه وقال الشافعي الواجب مسح ما ينطلق عليه اسم المسح والمراد إلصاق المسح بالرأس
وما مسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالرأس فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب
الاستيعاب وأخذ الشافعي باليقين فأوجب مسح ما يقع عليه اسم الرأس وأخذ أبو حنيفة ببيان السنة
وهو ما روي عن المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين
متفق عليه وقدر الناصية بربع الرأس الفرض الرابع قوله تعالى وأرجلكم إلى الكعبين اختلف العلماء
في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح أو الغسل فروي عن ابن عباس أنه قال نزل القرآن بالمسح الوضوء
غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة أيضا ويروى عن أنس أنه قال نزل القرآن بالمسح والسنة
بالغسل وعن عكرمة ليس على الرجلين غسل إنما نزل فيهما المسح وعن الشعبي أنه قال إنما هو المسح
على الرجلين ألا ترى أنه ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل وهو مذهب الإمامية
من الشيعة أن الواجب في الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والأئمة
الأربعة وأصحابهم أن فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري
ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء في هذا
الحرف فقرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي عن عاصم وأرجلكم بنصب اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر
الذي معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وا
وامسحوا برؤوسكم وقال أصحاب هذه القراءة أنما أمر الله عباده بغسل الأرجل دون مسحها ويدل
عليه أيضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
وحمزة وأبو بكر عن عاصم وأرجلكم بكسر اللام عطفا على المسح أما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر
لأنه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف
وأما قراءة الكسر فقد اختلفوا في معناها والجواب عنه فقال أبو حاتم وابن الأنباري وأبو علي
الكسر عطف على الممسوح غير أن المراد بالمسح في الأرجل الغسل وقال أبو زيد المسح خفيف
الغسل تقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت لها وهاتي ما أتمسح به للصلاة بمعنى أتوضأ
قال أبو حاتم وذلك أن المتوضئ لا يرضى بصب الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمي
الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحان إلا أن مسح الرأس أخف والرجل
يدل على أن المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد فيه وهو قوله تعالى إلى الكعبين لأن التحديد إنما
جاء في المغسول ولم يجئ في الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم أنه في حكم الغسل وقال
جماعة من العلماء أن الأرجل معطوفة على الرؤوس في الظاهر والمراد فيها الغسل لأنه قد ينسق
بالشيء على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر: يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا
المعنى وحاملا رمحا لأن الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر: علفتها تبنا وماء باردا المعنى وسقيتها
ماء باردا فكذلك المعنى في الآية وامسحوا برؤوسكم واغسلوا أرجلكم فلما لم يذكر الغسل عطف
الأرجل على الرؤوس في الظاهر واكتفى لقيام الدليل على أن الأرجل مغسولة من مفهوم الآية والأحاديث
الصحيحة الواردة لغسل الرجلين في الوضوء وأما من جعل كسر اللام في الأرجل على مجاورة اللفظ دون الحكم
واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وإنما أخذ إعراب الضب للمجاورة فليس
بجيد لأن الكسر على المجاورة إنما يحمل لأجل الضرورة في الشعر أو يصار إليه حيث يحصل الأمن من
الالتباس لأن الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولأن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف العطف أما مع
حرف العطف فلا يتكلم به العرب وقوله تعالى إلى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الرجلين
كما في قوله تعالى وأيديكم إلى المرافق والمعنى واغسلوا أرجلكم مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلماء
في ذلك عند قوله إلى المرافق والكعبان هما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور

العلماء من أهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بالمسح على الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير
على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول أن الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي
أن يقال وأرجلكم إلى الكعاب كما في قوله تعالى وأيديكم إلى المرافق فلما قال إلى الكعبين علم أن لكل رجل
كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور **فصل** قد تقدم أن الفروض المذكورة في هذه الآية أربعة
وهي غسل الوجه واليدين إلى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين وقد تقدم أيضا استدلال الشافعي
بهذه الآية على وجوب النية في الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعي بهذه الآية ومالك وأحمد
إلى وجوب الترتيب في الوضوء وهو أن يغسل الأعضاء في الوضوء على الولاء كما ذكره الله في هذه الآية فيغسل
أولا وجهه ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب أبو حنيفة
إلى أن الترتيب في الوضوء غير واجب احتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك أن الله تعالى أمر
بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب أن يقع الفعل مرتبا كما أمر الله
تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث حجة الوداع ابدؤوا بما بدأ الله به وهذا الحديث وإن ورد في
قصة السعي بين الصفا والمروة فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولأن أفعال النبي صلى الله
عليه وسلم في الوضوء ما وردت إلا مرتبة كما ورد في نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة
توضأ منكسا أو غير مرتب فثبت أن ترتيب أفعال الوضوء كما أمر الله تعالى ونص عليه في هذه الآية
واجب واحتج أبو حنيفة لمذهبه بهذه الآية أيضا وذلك أن الواو لا توجب الترتيب فإذا قلنا بوجوب
الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز وأجيب عنه بأنه لم ينقل عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه توضأ إلا مرتبا كما ذكر وبيان الكتاب إنما يؤخذ بالسنة **فصل** في ذكر الأحاديث
التي وردت في صفة الوضوء ق عن حمران مولى عثمان بن عفان أن عثمان دعا بإناء فأفرغ على
كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه
إلى المرفقين ثلاث مرات ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات إلى الكعبين ثم قال رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من
ذنبه ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري وقيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعا بإناء فأفرغ منه على يديه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض واستنشق من كف واحد
ففعل ذلك ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه
إلى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر ثم غسل رجليه
إلى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية بعد قوله فأقبل بيديه
وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه عن عبد
خير قال أتانا علي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد إلا ليعلمنا
فأتي بإناء فيه ماء وطست فأفرغ من الإناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا
فمضمض ونثر من الكف الذي يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل
يده في الإناء فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله اليسرى ثلاثا ثم قال من سره أن
يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا
أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثا
ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه ومسح
بإبهاميه على ظاهر أذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص
فقد أساء وظلم أو قال ظلم وأساء أخرجه أبو داود عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح
برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما أخرجه الترمذي وصححه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم

رأى رجلا

٢٦٩

رأى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للأعقاب من النار م عن جابر قال أخبرني عمر بن الخطاب أن رجلا توضأ فترك
موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فأحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ
ثم صلى أخرجه مسلم عن خالد عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى
رجلا يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيد الوضوء
والصلاة أخرجه أبو داود ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى
بأعلى صوته ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثا عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرة
مرة أخرجه البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين أخرجه أبو داود
والترمذي وقال وقد روي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا عن عقبة
ابن عامر قال كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوبتي أرعاها فروحتها بعشي فأدركت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فأدركت من قوله ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم
فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة فقلت ما أجود هذا فإذا قائل بين
يديه يقول التي قبلها أجود فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب فقال إني قد رأيتك جئت آنفا قال ما منكم
من أحد يتوضأ فيبلغ الوضوء أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء م عن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة
نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه
مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر
الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب ق عن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل
وفي رواية قال رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع
في العضد ثم غسل يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في
الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتوضأ وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء فمن
استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفي رواية لمسلم قال سمعت خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ
على طهر كتب الله له به عشر حسنات أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه أخرجه أبو داود وابن ماجه وقوله تعالى **وإن كنتم**
جنبا فاطهروا أي اغتسلوا أمر بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمرأة بأحد شيئين إما
بخروج المني على أي صفة كان من احتلام وغيره أو بالتقاء الختانين وإن لم يكن معه إنزال فإذا حصل وجب
الغسل ق عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يفرغ
بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول
شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده أما قوله **وإن كنتم**
مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه فقد تقدم تفسيره وأحكامه في تفسير سورة النساء
وفي قوله تعالى منه دليل على أنه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب وقوله تعالى **ما يريد الله**
ليجعل عليكم في الدين من حرج يعني من ضيق مما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم عند عدم

الماء ولكن يريد ليطهركم يعني من الاحداث والذنوب والخطايا بالماء الوضوء لتكفير الذنوب وليتم
نعمته عليكم ببيان الشرايع والاحكام وما تحتاجون اليه من امور دينكم لعلكم تشكرون يعني
تشكرون نعمة الله عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج قوله تعالى
واذكروا نعمة الله عليكم يعني ما انعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد
الشكر لمن انعم بها والانقياد لامره وهو الله تعالى وميثاقه الذي واثقكم به يعني واذكروا عهده الذي
عاهدكم به ايها المومنون اذ قلتم سمعنا واطعنا وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على السمع والطاعة فيما احبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذي اخذه عليهم في يوم الست بربكم قالوا بلى
واتقوا الله يعني فيما اخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه ان الله عليم بذات الصدور يعني ان الله
عالم بما في قلوب عباده من خير وشر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله قال ابن عباس
يريد انهم يقومون له بحق ومعنى ذلك هو ان يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته
واجتناب نواهيه شهداء بالقسط يعني ولتشهدوا بالعدل بقول الحق في شهاداتكم لاوليائك وعدوك
ولا تمنع شهادتك اهل عدوك واعدائك اقم شهادتك لهم وعليهم بالحق وبالعدل ولا يجرمنكم
شنئان قوم ولا يحملنكم بغض قوم على ان لا تعدلوا على ترك العدل فيهم لعداوتهم اعدلوا امر الله
بالعدل في كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى واتقوا الله
ان الله خبير بما تعملون يعني ان الله تعالى خبير بجميع اعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل
قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات يعني عملوا بما وافقهم واوفوا بالعهود التي
عاهدهم عليها لهم مغفرة واجر عظيم هذا بيان للوعد كانه لما تقدم ذكر الوعد قيل اي شيء
هذا الوعد فقال لهم مغفرة واجر عظيم واذا وعدهم انجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد والذين
كفروا وكذبوا باياتنا يعني والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت
به الرسل من عند الله اولئك يعني من هذه صفته اصحاب الجحيم هذه الاية نص قاطع في ان الخلود في
النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع مع صاحب نعمه
التي انعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينهم
وبين ما ارادوه بكم ثم اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الاية وفي صفة هذه النعمة التي امر
الله اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الاية ورسول الله
صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين اراد بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلاة الخوف
وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم ان
اقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا وددنا انك فعلت ذلك فاتى النبي صلى الله عليه
وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد اريني سيفك فاعطاه اياه فجعل
الرجل يهز السيف وينظر اليه مرة والى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد
قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغمد السيف ومضى فانزل الله هذه
الاية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي
وهو احد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا
حتى لقوا عامر بن الطفيل على بير معونة وهو من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه
الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم احدهم عمرو بن امية الضمري فلم يرعهم الا الطير تحوم في
السماء يسقط من بين خراطيمها علق الدم فقال احد النفر الثلاثة قتل اصحابنا ثم تولى يشتد حتى

لقي رجلا

لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع راسه الى السماء وفتح عينيه فقال
الله اكبر الجنة ورب العالمين ورجع هاربا فلقي رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم
وبين قومهما موادعة فانتسبا الى بني عامر فقتلهما وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية
فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على
كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك
القتال وعلى ان يعينوه في الديات وقيل ارادوا ان يستقرضهم دية رجلين فقالوا نعم يا ابا القاسم قد ان لك
ان تاتينا وتسالنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سالت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الان فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه
صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش انا فجاء الى رحا عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فامسك
الله يده ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة
وقال وخرج معه علي بن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك
اصحابي فمن خرج اليك منهم وسالك عني فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى
المدينة وانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم يعني اليهود
ان يبسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش به وهو ان امدها الى المبطوش به ليقتله فكف
ايديهم عنكم يعني انه تعالى منعهم مما ارادوه بكم واتقوا الله يعني فيما امركم به ونهاكم عنه وعلى
الله فليتوكل المومنون امر الله تعالى المومنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي عباده جميع امورهم فاذا
فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم وعصمهم ممن ارادهم بسوء كما كف ايدي اليهود عنهم لما ارادوا ان
يفتكوا بهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الاية بذم اليهود وذكر قبيح افعالهم وخيانتهم وذلك
قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل لما ذكر الله في الاية المتقدمة غدرات اليهود وما ارادوا
به من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اتبعه بذكر اسلافهم وما نقضوا من المواثيق والعهود
ومعنى الاية ان الله اخذ ميثاقهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وان يعملوا بما في التورية من الاحكام والتكاليف
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اختلف العلماء في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال
قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن احوالهم لكشف
القصة في ذلك قال اصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام ان يورثه وقومه
الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فامر الله موسى ان يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة
قال اني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصرك عليهم وخذ من قومك
اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما امروا به فاختار موسى
النقباء وسار ببني اسرائيل حتى قربوا من اريحا وهي مدينة الجبارين فبعث هولاء النقباء يتجسسون له
الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وعنق امه وهي احدى بنات ادم
عليه السلام وكان طوله ثلاثة الاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع هكذا
نقله البغوي وفيه نظر لان ادم عليه السلام كان طوله ستين ذراعا وورد في الاحاديث الصحيحة ستون ذراعا
وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس
ويروى ان الماء لما طبق على الارض من جبل وغيره ما بلغ ركبتي عوج وقال لنوح عليه السلام احملني
معك في السفينة فقال نوح عليه السلام اخرج عني يا عدو الله فاني لم اومر بك وعاش عوج
ثلاثة الاف سنة حتى اهلكه الله على يد موسى عليه السلام وذلك انه اقتلع صخرة من الجبل
على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد
فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته واقبل موسى عليه وهو مصروع فقتله

قال فلما لقي عوج النقباء اخذهم وجعلهم في حجزته وكان على راسه حزمة حطب وانطلق بهم الى
امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت
امراته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا وقيل انه جعلهم في كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم
بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فاخبروهم بما رايتم وكان معنا لا وان العنقود العنب
لا يحمله الا خمسة انفس منهم بينهم في خشبة ويدخل في قشر الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس
فرجع النقباء وقال بعضهم لبعض انكم اذا اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم رجعوا عن نبي الله موسى
ولا يقاتلونهم معه اكتموا عن بني اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهارون بما رايتم فيريان رايهما
واخذ بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهد والميثاق واخبر كل
رجل سبطه بما راى الا رجلان منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وفيا بالعهود ولم ينكثا
الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله
اني معكم فيه حذف تقديره وقال الله للنقباء اني معكم بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لجماعة بني
اسرائيل والقول الاول اولى لان الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان عوده الى النقباء اولى ثم ابتدا الكلام
فقال مخاطبا لبني اسرائيل لئن اقمتم الصلاة فقوله جملة شرطية فالشرط مركب من خمسة امور وهي
قوله لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا
حسنا وجزاء الشرط قوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم فذلك اشارة الى ازالة العقاب وقوله تعالى
ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الآية لئن اقمتم الصلاة
وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلي يعني جميع رسلي وانما اخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا
مقرين باقام الصلاة وايتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال لهم الله انه لا ينفعكم ذلك ولا يحصل
المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعني ونصرتموهم واصل التعزير في اللغة
الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا اعداءهم عنهم وقيل معناه ووقرتموهم وعظمتموهم
والقول الصحيح هو الاول واقرضتم الله قرضا حسنا يعني بالصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها
فلا فائدة في تفسير هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال واقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا
حسنا لان مصدر اقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك ان اقرض
بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله انبتكم
من الارض نباتا اذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله لاكفرن عنكم سيئاتكم يعني اذا فعلتم ما امرتكم به
لامحون عنكم سيئاتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك
منكم يعني بعد اخذ العهد والميثاق فقد ضل سواء السبيل يعني فقد اخطا الطريق المستقيم
وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى الذي امر باتباعه قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم اي
بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاؤوا
من بعد موسى وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه لعناهم يعني جازيناهم على ذلك
بان ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد عن الرحمة وجعلنا قلوبهم قاسية
اي غليظة يابسة لا تلين لان القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست
خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق يحرفون الكلم عن مواضعه يعني يغيرون حدود
التوراة واحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو
تحريفهم معانيها الى الباطل بسوء التاويل ونسوا حظا مما ذكروا به يعني وتركوا نصيب انفسهم
مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته ولا تزال تطلع على خائنة
منهم قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين

على

لعناهم

٢٧١

على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خيانتهم التي ظهرت الا قليلا منهم
يعني انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب فاعف
عنهم واصفح اي فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم وعن سوء افعالهم وهذا الامر بالعفو والصفح
عن اهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التي في سورة براءة
قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا
ونقضوا فاطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل هذه الآية فلم تنسخ وذلك انه يجوز
ان يعفو عن غدرة فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من اداء الجزية والصغار وعلى هذا القول فانها غير
منسوخة فيكون معنى الآية فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف
عن مغايرتهم ما داموا باقين على العهد ان الله يحب المحسنين يعني اذا عفوت عنهم فانك محسن
والله يحب المحسنين قوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم لما ذكر نقض
اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض العهد
والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل ومن النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا
به انفسهم لا ان الله تعالى سماهم به اخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم فنسوا حظا مما ذكروا به يعني وتركوا ما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فاغرينا
يعني فالقينا واوقعنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب
الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا حدوده القى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء
في الاهواء المختلفة وفي الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة
والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول الثاني ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى
وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ان الله تعالى يخبرهم في الآخرة باعمالهم التي عملوها في الدنيا
ففيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا
وكتموا من احكام التوراة والانجيل وذلك انهم اخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرا كتابهم ولم يعلم
ما فيه فكان اظهاره لذلك اعلاما لهم الى الايمان به قد جاءكم من الله نور يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام وقيل النور هو الاسلام وكتاب مبين
يعني القرآن يهدي به الله يعني يهدي الله بالكتاب المبين من اتبع رضوانه اي اتبع ما رضيه الله
وهو دين الاسلام لانه مدحه واثنى عليه سبل السلام قال ابن عباس يريد دين الاسلام لانه دين الله
وهو السلام وسبيله دينه الذي شرعه لعباده وبعث به رسله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام
طرق السلامة وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف ويخرجهم من الظلمات الى
النور يعني من ظلمات الكفر الى نور الايمان باذنه يعني بتوفيقه وهدايته ويهديهم الى صراط
مستقيم يعني الى دين الاسلام قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قال
ابن عباس هؤلاء نصارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكية من النصارى وانهم
يقولون في المسيح ابن الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون
بالحلول وان الله قد حل في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر
الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى قل يعني يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة
فمن يملك من الله شيئا يعني فمن يقدر ان يدفع من امر الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن
مريم وامه يعني بعدم المسيح وامه ومن في الارض جميعا ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا ان المسيح

ويعفوا عن كثير يعني لم [illegible]
[illegible]

لو كان الاها كما يقولون لقدر على دفع امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك امه وغيرهما ولله ملك السماوات
والارض وما بينهما انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لانه اراد وما بين هذين النوعين والصنفين من
الاشياء فالله مالكه واهلها عبيده وعيسى وامه من جملة عبيده يخلق ما يشاء يعني من غير اعتراض عليه
فيما يخلق لانه خلق ادم من غير اب وام وخلق عيسى من ام بلا اب وخلق سائر الخلق من اب وام والله على كل
شيء قدير يعني ان الله تعالى لا يعجزه شيء اراده فلا اعتراض لاحد من خلقه قوله تعالى وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قال ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن اضا وبحري
ابن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم
نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله عز وجل فيهم وقالت
اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الاية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدي قال اما اليهود
فانهم قالوا ان الله اوحى الى بني اسرائيل ان ولدك بكري من الولد فادخلهم النار فيكونون فيها اربعين
يوما حتى تطهرهم وتاكل خطاياهم ثم ينادي مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد بني اسرائيل فاخرجهم
فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فريقا منهم يقولون المسيح ابن
الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فهذا وجه قول اليهود فانهم يعتقدون انه من حزبه ويعطف عليهم
كالاب الشفيق على الولد واما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا في المسيح انه ابن الله وادعوا انه
منهم فكانهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف
اي والمعنى نحن ابناء رسل الله واما النصارى فانهم تاولوا قول المسيح اذهب الى ابي وابيكم وقوله اذا صليتم
فقولوا يا ابانا الذي في السماء ليتقدس اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما اراد المسيح
عليه السلام ان صحت هذه المقالة عنه فان تاويلها انه في بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين
كالاب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم على سواهم
فضلا بسبب اسلافهم الانبياء حتى انتهوا في تعظيم انفسهم الى ان قالوا هذه المقالة نحن ابناء الله واحباؤه
فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم معناه ان كان
الامر كما زعمتم فلم يعذبكم الله وانتم قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم او يعذبكم اياما وهل رايتم
والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب ان يعذب حبيبه في النار بل انتم بشر ممن خلق
يعني بل انتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بني ادم تجزون بالاساءة والاحسان قوله تعالى يغفر
لمن يشاء يعني لمن تاب من اليهودية والنصرانية ويعذب من يشاء يعني من مات على اليهودية والنصرانية
وقيل معناه يهدي من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه ولله ملك السماوات والارض
وما بينهما يعني انه تعالى يملك ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي يملك المغفرة لمن يشاء
والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على انه تعالى لا ولد له لان من يملك السماوات والارض يستحيل ان يكون له شبيه
من خلقه او شريك في ملكه واليه المصير يعني والى الله مرجع العباد في الاخرة فيجازيهم باعمالهم
قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل قال ابن عباس قال معاذ
بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه
رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا
ما قلنا ذلك لكم وما انزل الله من كتاب بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده فانزل الله هذه الاية
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم احكام الدين والشرائع
على فترة من الرسل قال ابن عباس يعني على انقطاع من الرسل واختلف العلماء في قدر مدة الفترة
فروي عن سلمان قال الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة اخرجه البخاري وقال
قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة او ما شاء الله من ذلك وعنه

انها خمس

انها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة واربعون سنة وقال الضحاك اربعمائة
وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين
ميلاد عيسى وميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة وستون سنة وهي الفترة وكان بين عيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم اربعة من الرسل فذلك قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا
بثالث قال والرابع لا ادري من هو وكانت تلك السنين مائة واربعة وثلاثون سنة نبوة وسائرها فترة قال
ابو سليمان الدمشقي والرابع والله اعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي
ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازي والفائدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل
ان التحريف والتغيير كان قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وبسبب ذلك
اختلط الحق بالباطل والكذب بالصدق وصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا
الاهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله في هذا الوقت محمدا صلى
الله عليه وسلم لازالة هذا العذر فذلك قوله عز وجل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير يعني
لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في هذا الوقت فقد جاءكم بشير
ونذير يعني فقد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر والله على كل شيء قدير
يعني انه تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة اليهم واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم قال ابن عباس اذكروا عطية الله وقيل معناه اذكروا ايادي الله عندكم
وايامه التي انعم فيها عليكم قال الطبري هذا تعريف من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
قديم تمادي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة
خلافهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع اياديه والائه لديهم ومسليا بذلك
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم في ذات الله عز وجل اذ جعل فيكم
انبياء يعني ان موسى عليه السلام ذكر قومه بني اسرائيل بايام الله عندهم وبما انعم عليهم
فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذ فضلكم بان جعل فيكم انبياء قال الكلبي هم السبعون الذين جعل فيكم
اختارهم موسى من قومه فانطلقوا معه الى الجبل وايضا كان انبياء بني اسرائيل من اولاد يعقوب
بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وهؤلاء لا شك انهم من اكابر الانبياء واولاد يعقوب وهم
الاسباط انبياء على قول الاكثرين وموسى وهارون عليهما السلام وايضا فان الله تعالى اعلم موسى
انه يبعث من بعده في بني اسرائيل انبياء فانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء
فكان هذا تشريفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم وجعلكم ملوكا يعني وجعلكم احرارا تملكون
انفسكم بعد ان كنتم عبيدا في ايدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة
كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كانوا بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامراة ودابة يكتب ملكا اخرجه الطبري بغير سند
وسال رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال الست من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله الك امراة تاوي
اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال فانت من الاغنياء قال فان لي خادما قال فانت
من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا
وفيه ماء جار فهو ملك واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين يعني من عالمي زمانكم يذكرهم
ما انعم الله به عليهم في فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الماء
من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التي انعم الله بها عليهم قوله تعالى
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم لما ذكر موسى قومه ما انعم الله به عليهم
امرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة يعني المطهرة وسميت مقدسة

لأنها طهرت من الشرك وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبي صعد إبراهيم
صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والأرض هي الطور
وما حوله وقيل هي أريحاء وفلسطين وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كلها قال كعب الأحبار وجدت في كتاب
الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه وبها أكثر عباده التي كتب الله لكم يعني كتب الله لكم في اللوح
المحفوظ أنها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وأمركم بسكناها وقيل وهبها الله لكم فإن
قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم وقوله فإنها محرمة عليهم
وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه أحدها أنها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم
وعصيانهم الوجه الثاني أن اللفظ وإن كان عاماً لكن المراد منه الخصوص فصار كأنه مكتوب لبعضهم
وحرام على بعضهم فإن يوشع بن نون وكالب بن يوقنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب
الوجه الثالث أن هذا الوعد كان مشروطاً بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه
الرابع أنها محرمة عليهم أربعين سنة فلما مضت الأربعون دخلوها وكانت مساكن لهم كما
وعد الله تعالى وقوله تعالى **ولا ترتدوا على أدباركم** أي لا ترجعوا القهقرى ومن ثم تنكصوا على أدباركم إلى
ورائكم ولا تخالفوا الأمر الذي أمركم به وإن فعلتم خلاف ما أمركم الله به **فتنقلبوا خاسرين**
يعني فترجعوا خائبين لأنكم رددتم أمر الله تعالى قوله عز وجل **قالوا** يعني قوم موسى **يا موسى إن**
فيها يعني في الأرض المقدسة **قوماً جبارين** يعني قوماً عاتين لا طاقة لنا بهم ولا قوة لنا
بقتالهم وسموا أولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوي أجسام عظيمة
وأشكال هائلة وهم من العمالقة بقية قوم عاد وأصل الجبار في صفة الإنسان فعال من جبره على
الأمر يعني أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وقيل إنه مأخوذ من قولهم نخلة
جبارة إذا كانت طويلة مرتفعة لا تنال الأيدي إليها ويقال رجل جبار إذا كان طويلاً عظيماً قوياً
تشبيهاً بالجبار من النخل **وإنا لن ندخلها** يعني أرض الجبارين التي أمرهم الله بدخولها **حتى يخرجوا**
منها يعني حتى يخرج الجبارون من الأرض المقدسة وإنما قالوا ذلك استبعاداً لخروج الجبارين من
أرضهم **فإن يخرجوا منها فإنا داخلون** يعني إليها قال العلماء بالأخبار إن النقباء لما خرجوا يتجسسون
الأخبار لموسى خبر القوم وما عاينوه رجعوا إلى موسى وأخبروه خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم
موسى لا تخبروا بني إسرائيل فيجبنوا أو يضعفوا عن قتالهم وقيل إن النقباء الاثني عشر لما خرجوا من أرض
الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بني إسرائيل فلما رجعوا أخبروا موسى أمرهم أن لا يخبروا بني
إسرائيل فخالفوا أمره ونقضوا العهد وأخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى إلا يوشع بن نون وكالب بن يوقنا
فإنهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنو إسرائيل بذلك وفشا ذلك فيهم رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا
متنا في أرض مصر ولا يدخلنا الله أرضهم فيكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني
إسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأساً وننصرف إلى مصر فلما قال بنو إسرائيل ذلك وهموا بالانصراف
إلى مصر خر موسى وهارون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما فلذلك أخبر الله عنهما بقوله **قال**
رجلان من الذين يخافون يعني يخافون الله ويراقبونه **أنعم الله عليهما** يعني بالهداية والولاية حزب
بالعصمة **ادخلوا عليهم الباب** يعني قال رجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا لبني إسرائيل
ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم **فإذا دخلتموه فإنكم غالبون** لأن الله وعدكم بالنصر وإن الله
لمنجز لكم وعده **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** يعني قال الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فإنه معكم
وناصركم إن كنتم مؤمنين فإن الله ناصركم ولا يهولنكم عظم أجسامهم فإنا قد رأيناهم فكانت
أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك أراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوا
أمرهما وقالوا ما أخبر الله عنهم بقوله تعالى **قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً** يعني قال قوم موسى

إنا لن ندخل

إنا لن ندخل مدينة الجبارين أبداً يعني مدة حياتنا **ما داموا فيها** يعني مقيمين فيها **فاذهب أنت وربك**
فقاتلا إنا هاهنا قاعدون إنما قالوا هذه المقالة لأن مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجيزون الذهاب
والمجيء على الله تعالى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً قال بعض العلماء إن قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان إلى
مكان فهو كفر وإن كانوا قالوه على وجه الخلاف لأمر الله ونبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم إنما قالوه على
وجه المجاز والمعنى اذهب أنت وربك معين معك لا عن قوله فقاتلا يفسر هذا التأويل وقال بعضهم إنما
أرادوا بالرب هنا وربك أخاه هارون لأنه كان أكبر من موسى والأصح إنما قالوا ذلك جهلاً منهم بالله تعالى
وصفاته ومنه قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً
لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم
بدر فقال يا رسول الله إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون
ولكن امض ونحن معك فكأنه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لكنا نقاتل عن يمينك
وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره قوله تعالى
قال يعني موسى عليه السلام **رب** أي يا رب **إني لا أملك إلا نفسي وأخي** يعني أنا لا أملك إلا نفسي ونفس
أخي لأنه كان يطيعه وإذا كان كذلك فهو ملكه وإنما قال موسى لا أملك إلا نفسي وأخي وإن كان معه في
طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوقنا لاختصاص هارون به ولمزيد الاعتناء بأخيه ويحتمل أن يكون معناه
وأخي في الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو أخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله وأخي
ثم قال **فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** أي افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين
عن طاعتك وإنما قال موسى ذلك لما رأى من بني إسرائيل وما فعلوه من مخالفة أمر الله وهمهم بيوشع وكالب
غضب موسى لذلك ودعا عليهم فأجاب الله دعاء موسى عليه السلام **قال** عز وجل **فإنها محرمة عليهم**
يعني فإن الأرض المقدسة محرمة عليهم ومعناه أن تلك البلدة محرمة عليهم أبداً ولم يرد به تحريم تعبد
وإنما أراد تحريم منع فأوحى الله تعالى إلى موسى إني حلفت لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير
عبدي يوشع وكالب ولأتيهنهم في أرض هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التي
كانوا يتجسسون فيها سنة ولألقين جيفهم في هذه القفار وأما أبناؤهم الذين لم يعملوا الشر
فيدخلونها فذلك قوله تعالى فإنها يعني الأرض المقدسة محرمة عليهم قال أكثر أهل العلم هذا تحريم منع
لا تحريم تعبد وقيل يحتمل أن يكون تحريم تعبد فيجوز أن يكون الله تعالى أمرهم بأن يمكثوا في تلك المفازة في
تم الشدة والبلية عقاباً لهم على سوء صنيعهم **أربعين سنة** قيل إن الكلام تم عند قوله فإنها محرمة عليهم
قال أربعين سنة يتيهون في الأرض فأما المحرمة فإنها مؤبدة حتى يموتوا ويدخلها أبناؤهم وقيل معناه أن الأرض
المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة ثم يدخلونها ويفتح لهم وقوله تعالى **يتيهون في الأرض** يعني يتحيرون فيها
قيل يقال تاه يتيه إذا تحير واختلفوا في مقدار الأرض التي تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ في اثني عشر فرسخاً
وقيل تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخاً وكان القوم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يرتحلون ويسيرون يومهم أجمع
فإذا أمسوا إذا هم في الموضع الذي ارتحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبني إسرائيل ما خلا موسى
وهارون ويوشع وكالب فإن الله تعالى سهله عليهم وأعانهم عليه كما سهل على إبراهيم النار وجعلها
برداً وسلاماً فإن قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في هذا المقدار الصغير من الأرض أربعين
سنة بحيث لم يخرج منهم أحد قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات في زمان الأنبياء
غير مستبعد فإن الله على كل شيء قدير وقيل إن تفسير ذلك التحريم بالتحيير من جهة الاشتغال
لا احتمال أن الله حرم عليهم الخروج من تلك الأرض بل أمرهم بالمكث أربعين سنة في المشقة والمحنة
جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم أمر الله ولما حصل بنو إسرائيل في التيه شكوا إلى موسى
عليه السلام حالهم فأنزل الله عليهم المن والسلوى وأعطاهم من الكسوة ما هي قائمة لهم فينشؤا

الناشئ منهم فيكون معه على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه أن يسقيهم فأتى بحجر أبيض من جبل الطور وكان إذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين وأرسل الله عليهم الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أريحا ممن قال إنا لن ندخلها أبدا واختلفوا في أن موسى عليه السلام مات في التيه أم خرج منه فقيل إن موسى وهارون ماتا في التيه جميعا

قصة وفاة موسى وهارون عليهما السلام فأما هارون فإنه كان أكبر من موسى بسنة قال السدي أوحى الله عز وجل إلى موسى إني متوفي هارون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فإذا بشجرة لم ير مثلها وإذا ببيت مبني وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هارون ذلك البيت أعجبه وقال يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير فقال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال لا تخف إني أكفيك رب هذا البيت ثم قال يا موسى فنم أنت معي فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعا فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض هارون رفع البيت والسرير إلى السماء وهارون عليه وذهبت الشجرة فخرج موسى إلى بني إسرائيل وليس هارون معه فقالت بنو إسرائيل إن موسى حسد هارون فقتله لحبنا إياه قال موسى ويحكم إن هارون كان أخي أفتروني أقتله فلما أكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير عليه وعليه هارون فنظروا إليه وهو بين السماء والأرض فصدقوه ثم رجع وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه صعد موسى عليه السلام وهارون إلى الجبل فمات هارون وبقي موسى فقالت بنو إسرائيل لموسى أنت قتلته وآذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو إسرائيل أنه مات وبرأ الله موسى مما قالوا ثم إن الملائكة حملوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره أحد إلا الرخم فجعله الله أصم أبكم وأما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن إسحاق وكان صفي الله موسى عليه السلام قد كره الموت وأعظمه فأراد الله أن يحبب إليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح إليه ويقول له يا نبي الله ما أحدث الله إليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى كنت أنت تبتدئ به وتذكره لي ولا يذكر له شيئا فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه فقال ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال أي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر وفي رواية لمسلم قال جاء ملك الموت إلى موسى فقال أجب ربك قال فلطم موسى عين الملك ففقأها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محيي الدين النواوي وقال المازري وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره قال كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت وأجاب عنه العلماء بأجوبة أحدها أنه لا يمتنع أن يكون الله قد أذن لموسى في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما أراد الثاني أن موسى لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه لا أنه قصدها بالفقء قال الشيخ وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بأنه قصد فقء عينه فإن قيل كيف اعترف موسى حين جاءه ثانيا بأنه ملك الموت فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم أنه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الأولى وأما سؤال موسى الإدناء من الأرض المقدسة فلشرفها وفضل من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلماء وإنما سأل موسى الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس

لأنه خاف

٢٧٤

لأنه خاف أن يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس والله أعلم قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيئا أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال إن هذا العبد من الله لبمنزلة ما رأيت كاليوم قط أحسن منه فقالت الملائكة يا صفي الله تحب أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك ففعل واضطجع وتوجه إلى ربه عز وجل ثم تنفس أسهل نفس فقبض الله روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة سنة وبعث الله يوشع نبيا إلى بني إسرائيل فأخبرهم أن الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني إسرائيل إلى أريحا وهي مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعوها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد علي الشمس وقال للشمس إنك في طاعتي وأنا في طاعة الله وسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقف حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت كلها لبني إسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تأكلها فقال إن فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجيء برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر فدخل رجل منهم فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها فقال إن فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤوا برأس مثل رأس البقرة من ذهب فوضعها فجاءت النار فأكلتها زاد في رواية فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا أخرجه البخاري ومسلم شرح غريب هذا الحديث قوله لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن بها أي لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا قال الشيخ محيي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت إلى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال إن الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضي وقد روي أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين إحداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوي وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الإسراء حين انتظر العير حين أخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير في زيادته عن سيرة ابن إسحاق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن في جبل أفرائيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تدبيره أمر بني إسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة وقيل إن الذي فتح أريحا موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار إليهم بمن بقي من بني إسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله إليه ولا يعلم أحد قبره وهذا أصح الأقاويل لاتفاق العلماء أن موسى عليه السلام هو الذي قتل عوج بن عنق وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل عن السدي

ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل إن ملك الموت أتاه بتفاحة فشمها فقبض روحه

علينا يعني

قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي الآية فقال الله عز وجل فإنها
محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلما ضرب الله عليهم التيه ندم موسى وأتاه قومه الذين
كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فمكثوا في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى
والبقول والتقى موسى وعوج فوثب موسى في السماء عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان
طوله عشرة أذرع فأصاب كعب عوج فقتله قال الطبري ولو كان قتل موسى إياه قبل مصيره في التيه
لم يجزع بنو إسرائيل لأنه كان من أعظم الجبارين وروي عن نوف قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع
قال وإن أهل العلم بأخبار الأولين مجمعون على أن بلعم بن باعورا كان ممن أعان الجبارين بالدعاء على موسى
لأنه كان يعلم الاسم الأعظم فدعا عليه موسى وستأتي قصته في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى
وقوله تعالى **فلا تأس على القوم الفاسقين** يعني لا تحزن عليهم لأنهم أهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل
لما ندم موسى على ما دعا على قومه أوحى الله إليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز أن يكون
خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم أي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصي ومخالفة الرسل قوله عز وجل
واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق يعني اذكر لقومك وأخبرهم خبر ابني آدم وهما هابيل وقابيل في
قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك أن ابني آدم اللذين قربا القربان ما كانا ابني آدم لصلبه
وإنما كانا رجلين من بني إسرائيل ويدل عليه قوله تعالى في آخر القصة من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل
أنه من قتل نفسا بغير نفس الآية والصحيح ما ذهب إليه جمهور المفسرين لأن الله تعالى قال في آخر الآية فبعث
الله غرابا يبحث في الأرض لأن القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب أي أخبرهم خبرا ملتبسا الغراب
بالحق والصدق لأنه من عند الله وموافقا لما تقدم في الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر
وهو ذم الحسد لأن المشركين وأهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم **إذ قربا قربانا**
القربان اسم لما يتقرب به إلى الله عز وجل من صدقة أو ذبيحة أو نسك أو غير ذلك مما يتقرب به **ذكر**
قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل ذكر أهل العلم بالأخبار والسير أن حواء كانت تلد
في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته أربعين ولدا في عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته إقليما كل
وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أم المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ
ولده وولد ولده أربعين ألفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حواء بعد مهبطهما
إلى الأرض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته إقليما في بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا في بطن وقال
محمد بن إسحاق عن بعض أهل الكتاب الأول إن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت
بقابيل وأخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولا دما وقت الولادة فلما هبطا إلى الأرض تغشاها
فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان آدم إذا كبر أولاده زوج غلام هذا
البطن جارية بطن أخرى وكان الرجل منهم يتزوج أي أخواته شاء غير توأمته التي ولدت معه لأنه لم يكن يومئذ
نساء إلا أخواتهم فلما كبر قابيل وأخوه هابيل وكان بينهما سنتين فلما بلغوا أمر الله آدم أن يزوج قابيل
لبودا أخت هابيل ويزوج هابيل إقليما أخت قابيل وكانت إقليما أحسن من لبودا فذكر آدم ذلك لهما
فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي أختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض فقال أبوه
آدم لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال إن الله لم يأمرك بهذا وإنما هو من رأيك فقال لهما آدم قربا
له قربانا فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرابين إذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء بيضاء
فأكلتها وإن لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكله الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان
قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام رديء وأضمر في نفسه لا أبالي أيقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أحد
غيري وكان هابيل صاحب غنم فعمد إلى أحسن كبش في غنمه فقربه وأضمر في نفسه رضى الله فوضعا قربانهما
على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى **فتقبل**

من أحدهما

من أحدهما يعني هابيل **ولم يتقبل من الآخر** يعني قابيل فغضب قابيل لما لم يتقبل قربانه وأضمر لأخيه
الحسد إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم وأتى قابيل هابيل وهو في غنمه **قال لأقتلنك** قال
هابيل ولم تقتلني قال قابيل إن الله تقبل قربانك ورد قرباني وتريد أن تنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة
فيتحدث الناس بأنك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي فقال هابيل وما ذنبي **قال إنما يتقبل الله من المتقين**
يعني أن حصول التقوى شرط في قبول الأعمال فلذلك كان حكم القربان مقبولا من الآخر لأن التقوى من أعمال
القلوب وكان قد أضمر في نفسه الحسد لأخيه على تقبل قربانه فتوعده بالقتل وقال إنما أتيت من قبل نفسك
لانسلاخها من لباس التقوى وإنما يتقبل الله من المتقين فأجاب بجواب مختصر وقيل يحتمل أن يكون خطابا للنبي
صلى الله عليه وسلم فكان تعلق بتبيين للنبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يتقبل قربانه لأنه لم يكن متقيا وإنما
يتقبل الله من المتقين ثم قال النقي أخا وأعز هابيل **لئن بسطت إلي يدك** يعني لئن مددت إلي يدك **لتقتلني**
ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك يعني ما أنا بمنتصر لنفسي بل أستسلم لأمر الله وقيل معناه ما
كنت لأبتدئك بالقتل وذلك أن الله فرض عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم
إذا أراد الرجل أن يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل إن المقتول كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج
عن قتل أخيه فاستسلم له خوفا من الله **إني أخاف الله رب العالمين** والمعنى إني أخاف في بسط يدي إليك
أن يسخط الله علي لو قتلتك إن لم أقض على ذلك قوله عز وجل **إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك** يعني ترجع بإثم قتلي
إلى إثم معاصيك التي عملتها من قبل فإن قلت كيف قال هابيل إني أريد إرادة القتل والمعصية من الغير لا
يجوز قلت أجاب ابن الأنباري عن هذا بأن قال إن قابيل لما قال لأخيه هابيل لأقتلنك وعظه هابيل وذكره
الله واستعطفه وقال لئن بسطت إلي يدك الآية فلم يرجع قابيل ورآه هابيل قد صمم على القتل وأخذ له الحجارة
ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أي إن قتلتني ولم يقع قتلك إياي
إلا بقتلي إياك فحق يلزمك إثم قتلي إن قتلتني فكان هذا على أن هابيل وإليه أشار الزجاج فقال معناه
إن قتلتني فما أنا مريد لذلك فهذه الإرادة منه بشرط أن يكون قاتلا له والإنسان إذا أمكنه أن يكون إثم دمه
على قاتله لم يلم على ذلك وعن هذا التأويل قال العلماء معناه إني أريد أن تبوء بعقاب إثمي وإثمك فحذف
المضاف وصار بإثمك بالعقاب لذلك الإثم ذكره الواحدي وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة الإرادة
لكنه لما علم أنه يقتله لا محالة وطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكأنه صار مريدا لقتله
مجازا وإن لم يكن مريدا حقيقة **فتكون من أصحاب النار** يعني الملازمين لها **وذلك جزاء الظالمين** يعني
جهنم جزاء من قتل أخاه ظلما قوله تعالى **فطوعت له نفسه قتل أخيه** يعني زينت له وسهلت عليه
القتل وذلك أن الإنسان إذا تصور قتل النفس من أكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه
فإذا استهلت عليه نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه
قتل أخيه **فقتله** قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له إبليس وقد أخذ
طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل رأس هابيل
بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف في موضع قتله فقال ابن
عباس على جبل ثور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الأعظم وكان عمر هابيل يوم قتله
عشرين سنة وقوله تعالى **فأصبح من الخاسرين** قال ابن عباس خسر دنياه وآخرته فأما دنياه فأسخط
والديه وبقي بلا أخ وأما آخرته فأسخط ربه وصار إلى النار وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل **فبعث**
الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال أصحاب الأخبار لما قتل قابيل هابيل
تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت من بني آدم على وجه الأرض فقصدته السباع لتأكله فحمله
قابيل على ظهره في جراب أربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى أروح وأنتن فأراد الله أن يري قابيل سنته

في موتى ابني آدم في الرمل فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم القاه
فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض يعني يبحث بمنقاره ويثير
التراب على المدفون ليريه كيف يواري سوءة اخيه يعني ليريه الله او ليريه الغراب قابيل كيف يواري ويستر جيفة اخيه
فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب **قال يا ويلتا** اي لزمه الويل وحضره وهي كلمة تحسر وتلهف تقال عند
وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل
الغراب علم ان الغراب اكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل اخيه بسبب جهله وعدم معرفته فحصل
له التلهف والتحسر على ما فعله فقال يا ويلتا وفيه اعتراف على نفسه بالعجز **اعجزت ان اكون مثل**
هذا الغراب يعني مثل هذا الغراب الذي وارى الغراب الاخر **فاواري سوءة اخي** يعني فاستر جيفته
وعورته عن الاعين **فاصبح من النادمين** يعني على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل انه ندم على
قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه ابواه واخوته فندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنى جناية واقدم
على ذنب عظيم بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال
المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن آدم اخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة ايام ثم شربت
الارض دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى اين اخوك هابيل فقال ما ادري ما كنت عليه رقيبا فقال
الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض
يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا ويروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك
الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتى
الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال
بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر
فقال

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الارض مغبر قبيح

ويروى عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم
في النهي سواء ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يا بني انك
وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان
يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم
الى المتأخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه ابياتا منها

وما لي لا اجود بسكب دمع ... وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحياة علي غما ... فهل انا من حياتي مستريح

قال الزمخشري ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم
الصلاة والسلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال
فان ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى من المعلمين وكيف ينسب الى من جعل الله علمه
حجة على الملائكة قال اصحاب الاخبار فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل
بخمسين سنة ولدت له حواء شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وعلمه الله ساعات الليل
والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولي عهده واما
قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى
عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت نارا
تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به احد الا رماه بالحجارة فاقبل
ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لابيه هذا ابوك قابيل فرماه بالحجارة فقتله فقال ابن الاعمى
لابيه قتلت اباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت ابي برميتي وقتلت

ابني باللطمة

ابني باللطمة فلما مات قابيل علقت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة ووجهه الى
الشمس حيثما دارت عليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من ثلج في الشتاء فهو يعذب بذلك الى يوم
القيامة قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو من الطنبور والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو
وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى غرقهم الله جميعا بالطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من
ذرية قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة قوله تعالى **من اجل ذلك** يعني بسبب ذلك
القتل الذي حصل وقيل الاجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا اي جنى عليهم شرا **كتبنا** اي فرضنا واوحينا
على بني اسرائيل فان قلت من اجل ذلك معناه من اجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرائيل
وهو مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرائيل قلت قال
بعضهم هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك فجعله تمام الكلام الاول
اي من اجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله تمام الكلام
الاول وعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب المعاني على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس
يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو
اشارة الى ما مر ذكره في هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام فمنها قوله
فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة في الدين والدنيا والاخرة ومنها قوله
فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حصل في انواع الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك
البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل اي من اجل ذلك الذي ذكرنا في اثناء القصة من انواع
المفاسد المتولدة من القتل العمد العدوان شرعنا القصاص على القاتل فان قلت فعلى هذا يكون
شرعية القصاص حكما ثابتا في جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه ببني اسرائيل قلت ان وجوب
القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور ها هنا في حق بني اسرائيل غير ثابت
في جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم في هذه الاية ان من قتل نفسا فكانما قتل الناس جميعا ولا شك ان
المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة
اقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض
من هذه القصة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما اقدم عليه اليهود بالفتك بالنبي صلى الله عليه
وسلم وباصحابه فتخصيص بني اسرائيل في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود
[illegible] قوله عز وجل **انه من قتل نفسا** يعني فقتل نفسا ظلما **بغير نفس** يعني بغير قتل نفس
لا على وجه الاقتصاص فيستحق القتل من قتل النفس على وجه العدوان الظلم **او فساد في الارض** هو عطف
على غير نفس يعني وبغير فساد في الارض فيستحق به القتل لان القتل على اسباب كثيرة منها
القصاص وهو المراد بقوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع
الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله او فساد في الارض **فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها**
فكانما احيا الناس جميعا قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل
الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام
عدل فكانما قتل الناس جميعا ومن شد عضد نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقيل
معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها
يعني من غرق او حرق او وقوع في هلكة فكانما احيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل (القتل) بغير حقه
فكانما استحل قتل الناس جميعا لانه لا يسلم منه ومن تورع عن قتل مسلم فكانما تورع عن قتل
جميع الناس فقد سلموا منه قال اهل المعاني في قوله ومن احياها على المجاز لان المحيي هو الله تعالى
في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجا جميع الناس منه فمثل المنجي عن هذه

الآية أهون لنا كما كانت لبني إسرائيل فقال ابن الزبير لا والله غيره كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله
من دمائنا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات يعني ولقد جاءت بني إسرائيل رسلنا ببيان الأحكام والشرائع
والدلالات الواضحة ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك يعني بعد مجيء الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل بعض
في الأرض لمسرفون يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق وإنما قال تعالى
وإن كثيرا منهم لأنه تعالى علم أن منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير قوله عز وجل إنما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله قال ابن عباس نزلت في قوم من أهل الكتاب كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض فخير الله رسوله
صلى الله عليه وسلم إن شاء يقتل وإن شاء يصلب وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف
وهذا قول الضحاك أيضا وقال الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم
وادع هلال بن عويمر وهو أبو بردة الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا
فنهدوا إليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية
وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في قوم من عرينة وعكل أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه
على الإسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إبل
الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل (ق) عن أنس بن مالك أن ناسا من عكل وعرينة قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالإسلام وقالوا يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل
ريف واستوخموا المدينة فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا
من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الإسلام وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه
وسلم فبعث الطلب في آثارهم فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى
ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى
عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين أن ذلك قبل أن تنزل الحدود وفي رواية للبخاري أن
ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا
من ألبانها وأبوالها فقتلوا الراعي واستاقوا الذود فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتي بهم
فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وتركهم في الحرة يعضون الحجارة زاد في رواية قال أبو قلابة وأي شيء
أشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الإسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية أبي داود أن قوما من عكل أو قال من عرينة
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وأمرهم
أن يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا
النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من أول النهار فأرسل في آثارهم فما ارتفع النهار حتى
جيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون
قال أبو قلابة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في رواية
وأنزل الله عز وجل إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا الآية شرح
غريب هذا الحديث وحكمه قولهم إنا كنا أهل ضرع يعني أهل ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا
من أهل الريف والريف هي الأرض التي فيها زرع وخصب والجمع أرياف قوله فاستوخموا المدينة يعني
استثقلوها ولم يوافق هواؤها أبدانهم وكذا قولهم فاجتووا المدينة وهو بمعناه والذود من الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة
والحرة هي أرض ذات حجارة سود وهي هنا اسم لأرض بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمر أعينهم معناه
أنه حمى مسامير الحديد وكحلها أعينهم حتى ذهب بصرها وقوله ونهى عن المثلة أن تقطع أطراف الحيوان
وتشويه خلقته ومثلة القتيل أن يقطع أنفه وأذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء في حكم هذا

الحديث

المنتهى

الحديث فقيل هو منسوخ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة
وقيل إن هذه الآية ناسخة لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل أن تنزل الحدود فلما
نزلت الحدود وجب الأخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتعليما من الله تعالى إياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم
أن المحاربة لله غير ممكنة وفي معناها للعلماء قولان أحدهما أن المحاربين هم المخالفون لأمره الخارجون
عن طاعته لأن كل من خالف أمر إنسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون أمرهما والقول الثاني
معناه يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف ويسعون في الأرض فسادا يعني بحمل
السلاح والخروج على الناس وقتل النفس وأخذ الأموال وقطع الطريق واختلفوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين
يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول
الأوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة المكابرون في الأمصار ليس لهم حكم المحاربين
في الأمصار استحقاقا وهذا الحد الذي ذكره الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى أن يقتلوا أو
يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض وللعلماء في لفظة أو المذكورة في
هذه الآية قولان أحدهما أنه للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب
والنخعي ومجاهد وهو أن الإمام مخير في أمر المحاربين فإن شاء قتل وإن شاء صلب وإن شاء نفى من الأرض كما
هو ظاهر الآية والقول الثاني أن لفظة أو للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو
قول أكثر العلماء لأن الأحكام تختلف فترتيب هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهو كما روي عن ابن
عباس في قطاع الطريق قال إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا
وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وإذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم
يأخذوا مالا نفوا من الأرض وهذا قول قتادة والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي واختلفوا في كيفية
الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن في بطنه برمح حتى يموت وقال الشافعي يقتل أولا ويصلى عليه ثم يصلب
وإنما يجمع بين القتل والصلب إذا قتل وأخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زجرا
لغيره عن الإقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الأرض المذكور في الآية فقيل إن الإمام
يطلبهم في كل بلد وجدوا فيه وينفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام
عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة وأهل الكوفة النفي
هو الحبس لأنه إذا حبس أمن أصحابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من الأرض في الحقيقة إلا من تلك
البقعة الضيقة التي هو فيها وقال مكحول إن عمر بن الخطاب أول من حبس في السجون يعني من هذه الأمة
وقال أحبسه حتى أعلم منه التوبة ولا أنفيه إلى بلد آخر فيؤذيهم ثم قال تعالى ذلك يعني الذي في هذه
الآية من الحدود لهم يعني للمحاربين خزي في الدنيا أي عذاب وهوان وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب
عظيم هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فأما من أجرى حكم الآية على المحاربين من
المسلمين فيقتضي العذاب العظيم عنهم في الآخرة لأن المسلم إذا عوقب بجناية في الدنيا كانت عقوبته
كفارة له وإن لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشيئة إن شاء عذبه بعد ما ينتقم ثم يدخل الجنة وإن شاء عفى
عنه وأدخله الجنة هذا مذهب أهل السنة وقوله تعالى إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم يعني
لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعي في الأرض بالفساد من قبل أن تقدروا عليهم
يعني فلا سبيل لكم بشيء من العقوبات المذكورة في الآية المتقدمة فاعلموا أن الله غفور يعني لمن
تاب من الشرك رحيم يعني به إذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول مقتضى أهل التفسير أن المراد بهذا
الاستثناء المشرك المحارب إذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه يسقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله
تعالى في هذه الآية وأنه لا يطالب بشيء مما أصاب من مال أو دم قال أبو إسحاق وجعل الله التوبة للكفار

نزل عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى الدخول في الإسلام فهذا
حكم المشرك المحارب إذا آمن وأصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشيء بالإجماع وأما
المسلم المحارب إذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه فقال السدي هو كالكافر إذا آمن لم يطالب بشيء إلا
إذا أصيب عنده مال بعينه فإنه يرده على أهله وهذا مذهب مالك والأوزاعي غير أن مالكا قال يؤخذ
بالدم إذا طلب به وليه فأما ما أصاب من الدماء والأموال ولم يطلبها أولياؤها فلا يتبعه الإمام بشيء من
ذلك وهذا حكم علي بن أبي طالب في حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا ثم تاب قبل أن يقدر عليه فأمنه
على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد إلى أبي موسى الأشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعدما صلى
المكتوبة فقال يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك أنا فلان بن فلان المرادي كنت قد حاربت الله ورسوله
وسعيت في الأرض بالفساد وإني تبت قبل أن يقدر علي فقام أبو موسى فقال هذا فلان المرادي وإنه كان
حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فسادا وإنه قد تاب من قبل أن نقدر عليه فلا يتعرض له أحد
إلا بخير وقال الشافعي تسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حق الله ولا يسقط بها ما كان من حقوق بني
آدم من قصاص أو مظلمة في مال أو غيره وإن تاب بعد القدرة فظاهر الآية أن التوبة لا تنفعه وتقام
عليه الحدود وقال الشافعي ويحتمل أن يسقط كل حق لله عز وجل بالتوبة قوله تعالى يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله أي خافوا الله بترك المعاصي وابتغوا إليه الوسيلة يعني واطلبوا إليه القربة
بطاعته والعمل بما يرضيه وإنما قلنا ذلك لأن مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما أحد
النوعين ترك المعاصي وإليه الإشارة بقوله اتقوا الله والثاني التقرب إلى الله بالطاعات وإليه الإشارة
بقوله وابتغوا إليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وصل إليه إذا تقرب إليه ومنه قول الشاعر
إذ الرجال لهم إليك وسيلة ... أي قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة أي تحببوا إلى الله عز وجل وجاهدوا
في سبيله أي جاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته لعلكم تفلحون أي لكي تسعدوا بالخلود
في جنته لأن الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب قوله عز وجل إن الذين كفروا لو
أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم يعني
أن الكافر لو ملك الدنيا وما فيها ومثلها معها ثم افتدى بذلك كله نفسه من العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك الفداء ولهم
عذاب أليم والمقصود من هذا أن العذاب لازم للكفار وأنهم لا سبيل لهم إلى الخلاص منه بوجه من الوجوه
وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابا لو كانت
لك الدنيا كلها أكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي ولا أدخلك
النار وأدخلك الجنة فأبيت إلا الشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية للبخاري قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال
له أرأيت لو كان لك مثل الأرض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد كنت سئلت ما هو أيسر
من ذلك أن لا تشرك بي يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها فيه وجهان أحدهما
أنهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك قيل إذا حملتهم لهب النار إلى فوق
طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثاني أنهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم ولهم عذاب
مقيم يعني ولهم عذاب دائم ثابت لا يزال عنهم ولا ينتقل أبدا قوله عز وجل والسارق والسارقة
فاقطعوا أيديهما قال ابن السائب نزلت في طعمة بن أبيرق وقد مر ذكر قصته في سورة النساء وإنما
سمي السارق سارقا لأنه يأخذ الشيء الذي ليس له أخذه في خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا
والسارق هنا مرفوع بالابتداء لأنهم لم يقصدوا واحدا بعينه إنما هو كقولك من سرق فاقطع يده
والمراد بالأيدي المذكورة هنا اليمين قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراءة عبد الله
ابن مسعود فاقطعوا أيمانهما وإنما قال أيديهما ولم يقل يديهما لأنه أراد يمينا من هذا ويمينا من
هذه فجمع لأنه ليس للإنسان إلا يمين واحدة وكل شيء موحد من أعضاء الإنسان إذا ذكر مضافا إلى اثنين
فصاعدا

فصاعدا جمع والمراد بالأيدي هنا الجارحة وحدها عند الجمهور وأهل اللغة من رؤوس الأصابع إلى الكوع فيجب
قطعهما في حد السرقة من الكوع وقوله تعالى جزاء بما كسبا يعني ذلك القطع جزاء على فعلهما نكالا من الله
يعني عقوبة من الله والله عزيز في انتقامه ممن عصاه حكيم فيما أوجبه من قطع يد السارق فصل ٢٧٨
في بيان حكم الآية وفيه مسائل المسألة الأولى اقتضت هذه الآية وجوب القطع على كل سارق وقد قطع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في السرقة عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من
يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم
قال إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه
الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عائشة قالت أتي رسول الله صلى الله عليه أي
وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها وعن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده قال الأعمش يرون أنه بيض الحديد ويسقوف الجبل فتخطفه ريح
وأن من الحبال ما يساوي دراهم أخرجه البخاري أما السارق الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم
السرقة فلو كان حديث عهد بالإسلام ولا يعلم أن السرقة حرام فلا قطع عليه المسألة الثانية اختلف
العلماء في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب أكثر العلماء إلى أنه ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار فيقطع
وهذا قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي ويدل عليه ما روي عن
عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا
أخرجاه في الصحيحين وذهب مالك وأحمد وإسحاق إلى أنه ثلاثة دراهم أخرجه الجماعة [illegible] أو قيمتها
لما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم أخرجه الجماعة
البخاري والترمذي ويروى عن أبي هريرة أن قدر النصاب الذي تقطع فيه اليد خمسة دراهم وبه قال ابن أبي ليلى لما
روي عن أنس قال قطع أبو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه
النسائي وقال الرواية الأولى أصح وذهب قوم إلى أنه لا قطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم يروى ذلك عن ابن
مسعود وإليه ذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قطع في
مجن قيمته دينار أو عشرة دراهم أخرجه أبو داود وإذا سرق شيئا من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده
اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر
فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر أيضا عندهم وإليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم
الآية فإن قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز أو غير
حرز المسألة الثالثة الحرز هو ما يعد للسكنى وحفظ الأموال كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس
ويحفظون أمتعتهم فيها فكل ذلك حرز وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب أو مغلق
فأما ما كان في غير بناء ولا خيمة فإنه ليس بحرز إلا أن يكون عنده من يحفظه أما نباش القبور فإنه يقطع وهو قول
مالك والشافعي وأحمد وقال ابن أبي ليلى والثوري والأوزاعي وأبو حنيفة لا قطع عليه فإن سرق شيئا من غير حرز
كثمر في بستان لا حائط له أو حيوان في برية لا راعي لها أو متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن
عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من أصاب بفيه من ذي حاجة
غير متخذ خبنة فلا شيء عليه أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشيء منه فعليه
غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيئا بعد أن يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك
فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة
ثم نون وهو ما يحمله الإنسان في حضنه وقيل هو ما يأخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله وأسفله والجرين موضع التمر
الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطأ عن ابن أبي حسين المكي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فإذا آواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك
منقطعا وفي رواية من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بأن هذه الرواية عن ابن أبي الحسين عن عمرو بن شعيب
عن أبيه عن جده وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة
نفسها يقال حرس يحرس حرسا إذا سرق فقطع أنه ليس فيما يسرق من الجبل قطع وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل أن
تصل إلى مأواها والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تأوي إليه الماشية بالليل وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع أخرجه الترمذي والنسائي المسئلة الرابعة إذا سرق مالا فيه
شبهة كالولد يسرق من مال الوالد والوالد يسرق من مال ابنه والعبد يسرق من مال سيده والشريك يسرق من مال شريكه
فلا قطع على أحد من هؤلاء المسئلة الخامسة إذا سرق أول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع وإذا سرق ثانية
قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما إذا سرق مرة ثالثة فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه تقطع يده
اليسرى فإذا سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم إذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى
هذا عن أبي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في السارق إن سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم إلى
أنه إن سرق بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس وروي عن علي أنه قال إني أستحيي أن لا أدع له
يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والأوزاعي وبه قال أحمد وأصحاب الرأي قوله تعالى
فمن تاب من بعد ظلمه يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة وأصلح يعني وأصلح العمل في المستقبل فإن الله
يتوب عليه يعني فإن الله يغفر له ويتجاوز عنه إن الله غفور يعني لمن تاب رحيم به فصل وهذه
التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند أكثر العلماء لأن الحد جزاء على
الجناية ولا بد من التوبة قبل القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل عن أبي أمية
المخزومي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما إخالك سرقت فقال بلى فأعاد عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يعترف فأمر به فقطع
ثم جيء به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب إليه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب إليه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه أخرجه أبو داود والنسائي بمعناه وإذا قطع السارق يجب عليه غرم
ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده
يجب عليه أن يرده إلى صاحبه وتقطع يده لأن القطع حق الله والغرم حق الآدمي فلا يمنع أحدهما الآخر
والله أعلم قوله عز وجل ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به جميع الناس وقيل معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس أن الله له ملك
السموات والأرض يعني أن الله مدبر أمر ما في السموات والأرض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه
لا يمتنع عليه شيء مما أراده فيهما لأن ذلك كله في ملكه وإليه أمره يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء
قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء على الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته
وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب
وإنما قدم التعذيب على المغفرة لأنه في مقابلة السرقة على التوبة وهذه الآية قاطعة القدرية والمعتزلة
في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لأن الآية دالة على أن التعذيب والرحمة مفوضة إلى المشيئة
والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر وهو أنه تعالى أخبر أن له ملك السموات والأرض والمالك له أن يتصرف في
ملكه كيف يشاء وأراد لا اعتراض عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله تعالى والله على كل شيء قدير
يعني قادر على تعذيب من أراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من أراد إسعاده وإنقاذه من الهلكة من
خلقه لأن الخلق كلهم عبيده وفي ملكه قوله تعالى يا أيها الرسول هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو خطاب تشريف يعني تكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا أيها النبي في مواضع كثيرة من كتابه
بعد

ويا أيها الرسول

ويا أيها الرسول في موضعين هذا أحدهما والآخر قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وقوله تعالى لا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر يعني لا تهتم بموالاة الكفار ولا تبال بهم فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم من
الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم يعني المنافقين لأنهم أظهروا الإيمان بالقول وكتموا الكفر
وهذه صفة المنافقين ومن الذين هادوا يعني من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين أحدهما أن الكلام
تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله سماعون للكذب ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعون للكذب والوجه الثاني أن الكلام
تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب والمعنى أنهم قابلون للكذب
أي يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلون منهم والسمع يستعمل ويراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان
أي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لأجل أن يكذبوا عليك وذلك أنهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه وقوله تعالى سماعون
لقوم آخرين لم يأتوك
يعني من قريظة يعني أنهم جواسيس وعيون لقوم آخرين وهم أهل خيبر لم يأتوك يعني أهل خيبر لم يأتوك ولم
تكرار من الشارد
يحضروا عندك ذكر القصة في ذلك قال علماء التفسير إن رجلا وامرأة من أشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين
وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا إن هذا الرجل بيثرب
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فأرسلوا إلى إخوانكم بني قريظة فإنهم
جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين
إذا أحصنا ما حدهما فإن أمركم بالجلد فاقبلوا منه وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم
الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير فقالوا لهم إنكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده
وقد حدث فينا حدث وذلك أن فلانا وفلانة فجرا وقد أحصنا فنحب أن تسألوه عن قضائه في ذلك فقالت
لهم بنو قريظة والنضير إذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن
أسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل
جبريل عليه السلام بآية الرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك
وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن
فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأي رجل هو فيكم فقالوا هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل
الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فأرسلوا إليه ففعلوا فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم
أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم يهود قال كذلك يقولون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صوريا فإني
أنشدك بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى وأخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق
آل فرعون والذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل
تجدون في كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت أن ينزل علينا العذاب
إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال إذا شهد أربعة رهط عدول أنه أدخله
فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا
أنزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فما كان أول ما ترخصتم به أمر الله تعالى
فقال ابن صوريا كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا في أشرافنا
حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر في أسرة من قومه فأراد الملك رجمه فقام قومه دونه
وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا ابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على
الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو أن يجلدا أربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم تسود وجوههما
ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقال اليهود

لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت اثنينا عليك باهلا ولاكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك
فقال ابن صوريا انه قد نشدني بالتوراة ولولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فامر النبي صلى الله
عليه وسلم بهما فرجما عند باب المسجد وقال اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فانزل الله هذه الاية
وعن ابن عمر قال ان اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امراة منهم ورجلا زنيا فقال [تكرار مثل]
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في شان الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبتم
ان فيها الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على اية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له
عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها اية الرجم فامر بهما
النبي صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرايت الرجل يجنأ على المراة يقيها الحجارة وفي رواية اخرى انهما قال
اتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامراة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا نسخم [تكرار مثل]
وجوههما ونخزيهما قال فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فجاءوا فقالوا لرجل ممن يرضون اعور
اقرا فقرا حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم تلوح
فقال يا محمد ان فيها الرجم ولاكنا نتكاتمه بيننا فامر بهما فرجما قال فرايته يجانئ عليها وفي رواية اخرى فرجما
قريبا من موضع الجنائز عند المسجد عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي محمم
مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم فقالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله [بجلود]
الذي انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك انشدتني لم اخبرك نجد الرجم
ولاكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا
تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فخذوه وان امركم
بالرجم فاحذروا فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولائك هم الكافرون ولاولائك هم
الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولائك هم الفاسقون في الكفار كلها التحميم وهو تسويد الوجه
بالحمم وهو الفحم وقوله ما تجدون في التوراة في حد الزاني قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه
وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه في كتبهم ولعله صلى الله عليه
وسلم كان اوحي اليه ان الرجم في التوراة الموجودة في ايديهم لم يغيروه كما غيروا اشياء منها واخبره
بذلك من اسلم من اهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف
عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه قوله تعالى **يحرفون الكلم** يعني يغيرون حدود الله التي اوجبها
عليهم في التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعون من
النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير من الاحبار يحرفون حكم الكلم فيغيرون ذكر الحكم لمعرفة
الناس معنى به **من بعد مواضعه** يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم
حرامه فان قلت قد قال الله عز وجل هاهنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع اخر يحرفون
الكلم عن مواضعه فما الفرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا
فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتاويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه
انهم يذكرون التاويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب
واما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التاويل
الفاسد وكانوا يحرفون اللفظ من الكتاب ففي بيان قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التاويل
الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية وقوله تعالى **يقولون** يعني
اليهود **ان اوتيتم هذا فخذوه** يعني ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه **وان لم تؤتوه**
فاحذروا

فاحذروا يعني وان لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه **ومن يرد الله فتنته** يعني
كفره وضلالته **فلن تملك له من الله شيئا** يعني فلا تقدر على دفع امر الله فيه **اولائك الذين لم يرد**
الله ان يطهر قلوبهم قال ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وفي
هذه الاية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك
لامن وهذه الاية من اشد الايات على القدرية **لهم في الدنيا خزي** يعني للمنافقين واليهود اما خزي المنافقين
فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزي اليهود فباخذ الجزية والقتل والسبي
والاجلاء من ارض الحجاز الى غيرها **ولهم في الاخرة عذاب عظيم** يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود
سماعون للكذب اكالون للسحت نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا
يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه ثم يريها اياه
ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب وياكل الرشوة وهي السحت واصل
السحت الاستئصال فقال اسحته اذا استاصله وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستاصل دين
المرتشي والسحت كله حرام لم يحمل عليه شهوة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون له بركة
ولا لاخذه مروءة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك
حرمت الرشوة على الحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم
اخرجه الترمذي واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحاكم اذا ارشوته
ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعة ليرد بها
حقا او يرفع بها ظلما فاهدي اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا
الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولائك هم الكافرون قوله
عز وجل **فان جاءوك** يعني اليهود **فاحكم بينهم بما انزل الله او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك**
شيئا خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم ان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد
والسدي نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما
الاخر قال ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضيري دية وللقرظي نصف دية لانه كان من بني النضير
فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه الاية يخير نبيه صلى الله عليه وسلم في
الحكم بينهم **فصل** اختلف علماء التفسير في حكم هذه الاية على قولين احدهما انها منسوخة وذلك
ان اهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا ان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم
ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروي عن ابن عباس
وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي والقول الثاني انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان
شاءوا حكموا بينهم وان شاءوا اعرضوا عنهم وهذا القول مروي عن الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه
قال احمد لانه لا منافاة بين الايتين اما قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض
واما قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازي ومذهب
الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام
اصغارا لهم واما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل
يتخير في ذلك وهذا التخيير المذكور في هذه الاية مخصوص بالمعاهدين واذا تحاكم مسلم وذمي وجب
على الحاكم الحكم بينهما لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة والله اعلم وقوله
تعالى **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط** يعني بالعدل والاحتياط **ان الله يحب المقسطين**
يعني العادلين فيما ولوا وحكموا فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم

وما ولوا هذا من أحاديث الصفات فمن العلماء من قال فيه وفي أمثاله نؤمن بها ولا نتكلم في تأويلها ولا نعرف معناها لكن نعتقد أن ظاهرها غير مراد وأن لها معنى يليق بها وهو قول أكثر المتكلمين بالله هذا مذهب جماهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال إنها تؤول بما يليق بها وهو قول أكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضي عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والإحسان إلى اليمين وضده إلى اليسار قالوا واليمين مأخوذ من اليمن وقوله كلتا يديه يمين منبه على أنه ليس المراد اليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فإنها مستحيلة في حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفصل الذي عرض فيما تعلق له من الأحكام والله أعلم قوله تعالى **وكيف يحكمونك وعندهم التوراة** هذا تعجب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود إياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم إلى حكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لا جرم أن الله تعالى أظهر جهلهم وعنادهم ثم إنهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين ثم أعرضوا عن حكمه وفي الآية تقريع لليهود والمعنى وكيف يجعلونك حكما بينهم ويرضون بحكمك وعندهم التوراة **فيها حكم الله** يعني الرجم الذي حكموا إليك من أجله **ثم يتولون من بعد ذلك** يعني ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما في كتابهم **وما أولئك** يعني اليهود **بالمؤمنين** يعني بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما أولئك المعرضين قوله عز وجل **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور** سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين وقد تقدم بيانه والهدى هو البيان لأن التوراة مبينة للشبهات الواقع الحق كلاما والتوراة يحتمل وقيل الفرق بين الهدى والنور أن الهدى محمول على بيان الأحكام والشرائع والنور على بيان أحكام التوحيد والنبوة والمعاد **يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا** أراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك أن الله بعث في بني إسرائيل ألوفا من الأنبياء ليس معهم كتاب إنما بعثوا بإقامة التوراة وأحكامها ومعنى أسلموا انقادوا لأمر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لأنهم بعدوا عن الأحكام التي هي دين الأنبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل أن يكون المراد بالنبيين الذين أسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن عباس هذا رد على اليهود والنصارى لأن الأنبياء عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لأمره ونهيه للذين هادوا وأعني اليهود يحكم التوراة لهم وفيهم بينهم ويحملهم على أحكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا **والربانيون والأحبار** أما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة آل عمران وأما الأحبار فقال ابن عباس الفقهاء وقيل هم العلماء الأحبار واحدهم حبر بفتح الحاء وكسرها لغتان قال الفراء إنما هو حبر بكسر الحاء وإنما سمي به لكون الحبر الذي يكتب به وذلك لأنه صاحب كتاب وقال أبو عبيد إنما هو بفتح الحاء والحبر العالم لما يبقى من أثر علومه في قلوب الناس وأفعاله الحسنة التي يقتدى بها ومنه أحبار ومنه كعب الأحبار وقيل الحبر الأثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أي جماله وبهاؤه وإنما سمي العالم حبرا لما عليه من أثر جمال العلم والفرق بين الربانيين والأحبار أنه لا فيه خلاف فقيل لا فرق وقيل الربانيون الأحبار العلماء وأحدهم العلماء والفقهاء وقيل الربانيون أعلى درجة من الأحبار لأن الله تعالى قدمهم في الذكر على الأحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والأحبار

موضعه

من دلهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم على ما أراده من الحظر وقال الزجاج ج ج

هم العلماء

هم العلماء وقيل الربانيون علماء النصارى والأحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم بأحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والأحبار وقوله تعالى **بما استحفظوا من كتاب الله** بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو أن يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو أن يحفظوه فلا يضيعوا أحكامه وشرائعه وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من وجهين أحدهما أن يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسونه بألسنتهم لئلا ينسوه والثاني أن لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه فإن أهملوا ذلك كانوا قد ضيعوا حفظه **وكانوا عليه شهداء** يعني أن هؤلاء النبيين والربانيين والأحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى وأنه حق وصدق وأنه من عند الله **فلا تخشوا الناس واخشون** هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا أحدا من الناس في إظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعني في كتمان ذلك **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا** يعني ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة في الأحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الأحكام لأجل خوف الناس كذلك أنهاكم عن التغيير والتبديل لأجل الطمع في المال والجاه وأخذ الرشوة فإن كل متاع الدنيا قليل **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** يعني أن اليهود لما أنكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا إنه غير واجب عليهم فهم كافرون على الإطلاق بموسى والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الثلاث الآيات وهي قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين إن الثلاث آيات نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لأن المسلم وإن ارتكب كبيرة لا يقال إنه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روي عن البراء بن عازب قال أنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون في الكفار كلها أخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون إلى قوله الفاسقون هذه الآيات الثلاث في اليهود خاصة قريظة والنضير أخرجه أبو داود وقال مجاهد في هذه الآيات من ترك الحكم بما أنزل الله جاحدا له فهو كافر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس أيضا واختيار الزجاج لأنه قال من زعم أن حكما من أحكام الله تعالى التي أتت بها الأنبياء باطل فهو كافر وقال طاوس وليس ككفر من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا روي عن عطاء قال هو كفر دون كفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الآيات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الأمة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق وإليه ذهب السدي لأنه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره وأما من خفي عليه النص أو أخطأ في التأويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله أعلم بمراده قوله تعالى **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس** يعني وفرضنا على بني إسرائيل في التوراة أن نفس القاتل بنفس المقتول وفاء يقتل به وذلك أن الله تعالى حكم في التوراة أن على الزاني المحصن الرجم واليهود بدلوه وغيروه وأخبر أيضا أن في التوراة أن النفس بالنفس وهؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة وكان بنو النضير إذا قتلوا من قريظة أدوا إليهم نصف الدية وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي أنزل في التوراة قال ابن عباس أخبر الله تعالى بحكمه في التوراة وهو أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فما بالهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤون العينين بالعين وهذه الآية تدل على أن قاتل النفس يقتل به إذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعي أنه لا يقتل مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث أخرجه في الصحيحين وقوله تعالى **والعين بالعين** يعني تفقأ بها **والأنف بالأنف** يعني يجدع به **والأذن بالأذن**

تكرار مهمل

تفقأ بها والسن بالسن يعني تقلع به وأما سائر الأطراف والأعضاء فيجري فيها القصاص كذلك وقوله تعالى
والجروح قصاص يعني فيما يمكن أن يقتص منه وهذا التعميم بعد التخصيص لأن الله تعالى ذكر النفس والعين
والأنف والأذن والسن ثم عمم هذه الأربعة بالذكر ثم قال والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن أن
يقتص منه كاليد والرجل والذكر والأنثيين وغيرها وما لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم أو كسر في
عظم أو جراحة في بطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الأرش والحكومة واعلم أن هذه
الآية دالة على أن هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا إلا ما نسخ منه
بالتفصيل قال هذه الآية حجة في شرعنا ومن أنكره قال إنها ليست بحجة علينا وأما هذه المسألة
أن النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من قبلنا من الأنبياء فنقل
عن أصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد في إحدى الروايتين عنه أنه كان متعبدا بما صح من
شرائع من قبله بطريق الوحي إليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل أربابها واختار ابن الحاجب من المتأخرين
هذا المذهب وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعث متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الأحكام
الباقية فلا شريعة لا أنه لم يعتبر فيه الوحي وهو الحق والذي ينبغي للنزاع معنى أنه لا ينكر أحد كون النبي صلى
الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما أوحى الله إليه سواء كان من شريعة من قبله أم لا وذهب الأشاعرة
والمعتزلة إلى المنع من ذلك وهو اختيار الشيخ الإمام من المتأخرين واحتج الأولون لجهة مذهبهم أن الإجماع
منعقد على صحة الاستدلال بقوله كتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الآية مع أنه من شريعة من تقدم لأنه مذكور
في التوراة ومكتوب على بني إسرائيل ولولا أنا متعبدون بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال وقوله تعالى
فمن تصدق به يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني فهو كفارة له في هاء له قولان أحدهما أن الهاء في له
كناية عن المجروح وولي المقتول وكذا المجروح وولي المقتول إذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه
وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ويدل عليه ما روي عن أبي الدرداء قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشيء من جسده فيتصدق به إلا رفعه الله به درجة
وحط عنه به خطيئة أخرجه الترمذي وعن أنس قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع إليه
شيء فيه قصاص إلا أمر فيه بالعفو أخرجه أبو داود والنسائي والقول الثاني أن الضمير في قوله له
يعود إلى الجارح والقاتل يعني أن المجني عليه إذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا
يؤاخذ به في الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما أن القصاص كفارة له وأما أجر العافي فعلى
الله تعالى وقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون يعني لأنفسهم حيث لم
يحكموا بما أنزل الله عز وجل قوله عز وجل وقفينا على آثارهم يعني وأتبعنا على آثار النبيين الذين
أسلموا بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة يعني أن عيسى عليه السلام كان مصدقا
بأن التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فإن عيسى عليه
السلام نسخ بعض أحكام التوراة وخالفها وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور يعني فيه هدى من
الضلالة وضياء من عمى الجهالة ومصدقا لما بين يديه من التوراة هذا ليس بتكرار للأول لأن في
الأول الإخبار بأن عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الإخبار بأن الإنجيل مصدق للتوراة
فظهر الفرق بين اللفظين وأنه ليس بتكرار وهدى وموعظة للمتقين إنما قال وهدى مرة وأخرى في التوراة
لأن الإنجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وأما كون الإنجيل موعظة لما فيه من المواعظ
البليغة والزواجر والأمثال وإنما خص المتقين بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ قوله تعالى
وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه قال أهل المعاني قوله وليحكم يحتمل وجهين أحدهما أن يكون
المعنى وقلنا ليحكم أهل الإنجيل فيكون هذا إخبارا عما فرض عليهم في وقت إنزاله عليهم من الحكم بما
تضمنه الإنجيل ثم حذف القول لأن ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه

الثاني أن يكون

الثاني أن يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه أمر للنصارى بالحكم بما في كتابهم وهو الإنجيل فإن قلت فعلى هذا الوجه
كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما في الإنجيل بعد نزول القرآن قلت إن المراد بهذا الحكم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
لأن ذكره في الإنجيل موجود ووجوب التصديق بنبوته فإذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في
الإنجيل وقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون يعني فأولئك هم الخارجون عن طاعة
الله عز وجل قوله عز وجل وأنزلنا إليك الكتاب الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وأنزلنا إليك يا محمد القرآن
بالحق يعني بالصدق الذي لا شك فيه أنه من عند الله مصدقا لما بين يديه من الكتاب يعني أنه يصدق جميع الكتب
التي أنزل الله على أنبيائه ومهيمنا عليه قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي قبله ومنه قول حسان بن ثابت

إن الكتاب مهيمن لنبينا ... والحق يعرفه ذوو الألباب

يريد أنه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وإنما كان القرآن مهيمنا على الكتب التي قبله لأن الكتاب الذي
لا ينسخ ولا يغير ولا يبدل وإذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة والإنجيل والزبور وجميع الكتب
المنزلة حق وصدق وقيل المهيمن الأمين وإذا كان القرآن أمينا على الكتب التي قبله فيما أخبر أهل الكتب
عن كتبهم فإن قالوا ذلك في القرآن فصدقوا وإلا فلا فاحكم بينهم بما أنزل الله يعني إذا ترافع أهل
الكتاب إليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي أنزل الله إليك ولا تتبع أهواءهم يعني ولا تتبع أهواء
هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تأخذ بأهوائهم في جلد المحصن عما جاءك من الحق يعني ولا
تنحرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعا أهواءهم وقوله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق وإن كان
خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لأنه صلى الله عليه وسلم لم يتبع أهواءهم قط لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الخطاب في قوله منكم للأمم الثلاثة أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد
صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين بدليل أن الله عز وجل قال قبل هذه إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم
قال وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وأنزلنا إليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل أمة شريعة فللتوراة شريعة وللإنجيل شريعة
وللقرآن شريعة والدين واحد وهو التوحيد وأصل الشريعة من الشرع وهو البيان والإظهار ومعنى شرع بين
وأوضح وقيل هو من الشروع في الشيء والشريعة في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون
ويستقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الإلهية الدينية والمنهاج
الطريق الواضح قال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين
وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو أن الشريعة هي التي أمر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدي
إلى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا قال قتادة سبيلا وسنة فالسنن
مختلفة للتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللقرآن شريعة يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من
يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام
قال علي بن أبي طالب الإيمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند
الله ولكل قوم شريعة ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الأنبياء والرسل
منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا إلى قوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله
أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية
وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات أن كل ما دل على عدم التباين فهو دالة — إن الآيات التي
على أصول الدين من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فكل ذلك جاءت به الرسل من عند
الله ولم يختلفوا فيه وأما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر
العبادات فجائز أن يتعبد الله عباده في كل وقت بما يشاء فهذا طريق الجمع بين هذه الآيات والله أعلم بأسرار
كتابه واحتج بهذه من قال إن شرع من قبلنا لا يلزمنا لأن قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على أن لكل

رسولها بشريعة خاصة ولا يلزم أمة رسول الاقتداء بشريعة رسول آخر ثم قال تعالى **ولو شاء الله لجعلكم**
أمة واحدة يعني جماعة متفقة على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه **ولكن ليبلوكم** ولكن أراد أن
يختبركم **فيما آتاكم** يعني من الشرائع المختلفة هل تعملون بها أم لا فيتبين بذلك المطيع من العاصي والموافق
من المخالف **فاستبقوا الخيرات** هذا خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم يعني فبادروا يا أمة محمد بالأعمال
الصالحة التي تقربكم إلى الله تعالى **إلى الله مرجعكم جميعا** يعني المطيع والعاصي والموافق والمخالف
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون يعني فيخبركم في الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من أمر الدنيا والدين
والمعنى فيخبركم في الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصي بالثواب والعقاب
قوله تعالى **وأن احكم بينهم بما أنزل الله** قال ابن عباس إن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن
قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا
يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وإن
بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك يعني فاحكم بينهم يا محمد
بالحكم الذي أنزل الله في كتابه **ولا تتبع أهواءهم** يعني فيما أمروك قال العلماء ليس في هذه الآية تكرار
لما تقدم وإنما أنزلتا في حكمين مختلفين أما الآية الأولى فنزلت في شأن رجم المحصن وأن اليهود طلبوا منه
أن يجلده وهذه الآية نزلت في شأن الدماء والديات حين تحاكموا إليه في أمر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء
هذه الآية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وقوله تعالى **واحذرهم أن يفتنوك**
عن بعض ما أنزل الله إليك يعني واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤوا إليك أن يصرفوك ويحرفوك
بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل ببعض ما أنزل الله إليك في كتابه بسوء اتباع أهوائهم **فإن تولوا**
يعني فإن أعرضوا عن الإيمان بك والرضا بالحكم بما أنزل الله **فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض**
ذنوبهم يعني فاعلم يا محمد أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وإنما خص
بعض الذنوب لأن الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء وأخر مجازاتهم على باقي
ذنوبهم إلى الآخرة **وإن كثيرا من الناس لفاسقون** يعني اليهود لأنهم ردوا أحكام الله تعالى **أفحكم**
الجاهلية يبغون يعني أفحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية
ما كانوا عليه من الضلال والجور في الأحكام وتحريفهم إياها عما أمر الله بها وقال مقاتل كانت بين
بني النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك قبل أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
فلما بعثه وهاجر إلى المدينة تحاكموا إليه فقالت بنو قريظة بنو النضير إخواننا أبونا واحد
وديننا واحد وكتابنا واحد فإن قتل بنو النضير منا قتيلا أعطونا سبعين وسقا من تمر وإن
قتلنا منهم قتيلا أخذوا منا مائة وأربعين وسقا وأرش جراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا
وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أحكم أن دم القرظي وفاء من دم النضيري ودم النضيري
وفاء من دم القرظي ليس لأحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير وقالوا لا
نرضى بحكمك فإنك لنا عدو وإنك ما تألو في وضعنا وتصغيرنا فأنزل الله أفحكم الجاهلية يبغون
وقرئ بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد أفحكم الجاهلية تبغون **ومن أحسن من الله حكما لقوم**
يوقنون يعني أي حكم أحسن من حكم الله إن كنتم موقنين أن لكم ربا وأنه عدل في أحكامه قوله عز وجل
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية
وإن كان حكمها لجميع المؤمنين لأن خصوص السبب لا يمنع الحكم فقال قوم نزلت هذه الآية في عبادة بن
الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وذلك أنهما اختصما فقال عبادة
إن لي أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم وإني أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم
ولا مولى لي إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي بن سلول المنافق لكني لا أبرأ من ولاية اليهود فإني أخاف

الدواير

الدواير ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على
عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال إذن أقبل فأنزل الله هذه الآية وقال السدي لما كانت وقعة أحد اشتد
الأمر على طائفة من الناس وتخوفوا أن يديل عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودي وآخذ
منه أمانا فإني أخاف أن يدال علينا اليهود وقال رجل آخر أنا ألحق بفلان النصراني من أهل الشام وآخذ منه
أمانا فأنزل الله هذه الآية ينهاهما عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد
المنذر لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع
بنا إذا نزلنا فجعل أصبعه في حلقه أشار إلى أنه الذبح وأنه يقتلكم فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى أولياء أنصارا وأعوانا على أهل الإيمان بالله ورسوله وأخبر أن من اتخذهم أنصارا وأعوانا
وخلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فإنه منهم وأن الله ورسوله والمؤمنين منهم براء **بعضهم أولياء**
بعض يعني أن بعض اليهود أنصار لبعض على المؤمنين وأن النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم في دينهم
وملتهم **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** يعني ومن يتولى اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين
فهو من أهل دينهم وملتهم لأنه لا يتولى متول أحدا إلا وهو راض به وبدينه وإذا رضيه ورضي دينه صار منهم
وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الإسلام **إن الله لا يهدي**
القوم الظالمين يعني أن الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع
علمه بعداوتهم لله ورسوله والمؤمنين وروي أن أبا موسى الأشعري قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
إن لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك قاتلك الله ألا اتخذت حنيفا يعني مسلما أما سمعت قول الله عز
وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض قلت له دينه ولي كتابته فقال
لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهم إذ أبعدهم الله قلت إنه لا يتم أمر البصرة
إلا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب أنه مات فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الآن
واستغن عنه بغيره من المسلمين قوله تعالى **فترى الذين في قلوبهم مرض** يعني فترى يا محمد الذين في
قلوبهم مرض شك ونفاق **يسارعون فيهم** يعني في مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم
لأنهم كانوا أهل ثروة ويسار يحتاجون لهم ويغالون بهم لأجل ذلك نزلت في عبد الله بن أبي المنافق وفي أصحابه
المنافقين **يقولون** يعني المنافقين **نخشى أن تصيبنا دائرة** الدائرة من دوائر الدهر كالدولة التي تدول
والمعنى يقول المنافقون إنما نخالط اليهود لأنا نخشى أن يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك
المكروه الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى أن لا يتم
أمر محمد صلى الله عليه وسلم فيدور علينا الأمر كما كان قبل محمد **فعسى الله أن يأتي بالفتح أو**
أمر من عنده قال المفسرون عسى من الله واجب لأن الكريم إذا أطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد
لتعلق النفس به ورجائها له والمعنى فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على
أعدائه وإظهار دينه على الأديان كلها وإظهار المسلمين على أعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد
فعل الله ذلك بمنه وكرمه فأظهر دينه ونصر عبده وقيل أراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود
مثل خيبر وفدك وغيرهما من بلادهم أو أمر من عنده يعني أنه تعالى يقطع أهل اليهود من أرض الحجاز ويخرجهم
من بلادهم فلا يكلفه تعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما ألقى في قلوبهم الرعب فخلوا ديارهم
وأخربوها بأيديهم ورحلوا إلى الشام وقوله تعالى **فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين**
يعني فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به أنفسهم أن أمر محمد لا يتم وقيل
ندموا على دس الأخبار إلى اليهود **ويقول الذين آمنوا** يعني ويقول الذين آمنوا في وقت إظهار الله
تعالى نفاق المنافقين **أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم** وذلك أن المؤمنين كانوا
يتعجبون من حال المنافقين عندما أظهروا الميل إلى موالاة اليهود والنصارى وقالوا إن المنافقين حلفوا

بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم من انصار دينكم والان كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم
فبان كذب النفاق فيهم في ايمانهم الباطلة **حبطت اعمالهم** اي بطل كل خير يعملونه لاجل ما اضمروا من
النفاق وموالاة اليهود **فاصبحوا خاسرين** يعني انهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الاخرة
باحباط ثواب اعمالهم وحصلوا في العذاب الدائم المقيم قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا من يرتد**
منكم عن دينه يعني من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله
في الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية او النصرانية او غيرهما من اصناف الكفر فلن يضر الله شيئا وانما
ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن الاسلام
بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبر انه سياتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة
فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود
العنسي وكان كاهنا فتنبا باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي فبيته
وقتله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الغد واتى خبر قتله في اخر ربيع الاول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبا وكتب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك
فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها
من عباده من يشاء والعاقبة للمتقين وسنذكر قصة قتله فيما بعد وبنو اسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك
وحسن اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة ابي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان
يا ليل قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد يا ليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة
اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة
قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يد ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف
العلماء في المعني بقوله تعالى **فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** فقال علي بن ابي طالب والحسن
وقتادة هم ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض
ارتد عامة العرب كما تقدم تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين من بني عبد القيس فانهم
ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم ابو بكر بقتالهم
وكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقها وحسابه
على الله فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا
او قال عناقا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وقال انس بن مالك كرهت
الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج
في اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء قال ابو بكر بن عياش
سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين افضل من ابي بكر الصديق وقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل
الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بابي بكر
ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير الى بني حنيفة
باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة الكذاب على يد وحشي غلام مطعم بن عدي
الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد بذلك ان وحشي

انه في حال

٢٢٤

انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم
المراد بقوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا
يعني ابا موسى الاشعري اخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم اهل اليمن وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال
السدي نزلت في الانصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار الدين وقيل
هم احياء من اهل اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من اخلاط الناس جاهدوا
في سبيل الله يوم القادسية في خلافة عمر وعلى هذا القول تكون هذه الاية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر
على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الاية معجزة واما معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت قلبي
معرضا بان يحبه والمحبة ارادة ما تراه وتظنه خيرا ومحبة الله تعالى للعبد انعامه عليه وتوفيقه وهدايته
الى طاعته والعمل بما يرضى به وان يثيبه احسن الثواب على طاعته وان يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد
لله عز وجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وان يتحبب اليه
بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه وقوله تعالى **اذلة على المؤمنين**
اعزة على الكافرين وهذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعني انهم
ارقاء رحماء لاهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد به ذل الهوان بل اراد لين جانبهم لاخوانهم المؤمنين
وهم مع رفقهم ورحمتهم ولين جانبهم اشداء اقوياء غلاظ على اعدائهم الكافرين قال علي بن ابي طالب
اذلة على المؤمنين يعني اهل رفق على اهل دينهم اعزة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم في دينهم
وقال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته
وقال ابن الانباري اثنى الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون بالكافرين اذا لقوهم
وقيل ان الذلة هنا بمعنى الشفقة والرحمة كانه قال راحمين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع كأنه
وانما اتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لا لاجل كونهم ذليلين في انفسهم بل ذلك
التذلل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا قوله في الاية وهو قوله اعزة
على الكافرين يعني انهم اشداء اقوياء في انفسهم وعلى اعدائهم **يجاهدون في سبيل الله** يعني انهم ينصرون
دين الله **ولا يخافون لومة لائم** يعني لا يخافون عذل عاذل في نصرهم الدين وذلك ان المنافقين كانوا
يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله تعالى في هذه الاية ان من كان قويا في الدين انه لا يخاف في نصرة الدين
الله بيده ولا بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين ايمانهم لله تعالى وعن عبادة بن الصامت
قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا
ننازع الامر اهله وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال تعالى **ذلك فضل الله يؤتيه**
من يشاء ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين
وانهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تفضل به عليهم ومن احسانه عليهم
والله واسع عليم يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه قوله تعالى **انما وليكم الله ورسوله**
والذين امنوا قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عبادة بن الصامت حين تبرا من موالاة اليهود
قال اتولى الله ورسوله والمؤمنين يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في
عبد الله بن سلام وذلك انه جاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير
قد هجرونا وفارقونا واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الاية فقراها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله نبيا وبالمؤمنين اولياء وقيل الاية عامة في جميع المؤمنين
لان المؤمنين بعضهم اولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**
صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لانهم كانوا يدعون انهم مؤمنين الا انهم

لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعني باتمام
ركوعها وسجودها في مواقيتها ويؤتون الزكاة يعني زكاة اموالهم اذا وجبت عليهم اما قوله تعالى وهم
راكعون ففي هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد هنا بالركوع الخضوع والمعنى ان المؤمنين يذكرون ويصلون
وهم منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه الوجه الثاني ان يكون المراد منه ان من شانهم اقامة الصلاة
وايتاء الزكاة وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الاية نزلت وهم ركوع وقيل
نزلت في شخص معين وهو علي بن ابي طالب قال السدي مر بعلي سائل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه
فعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم اولى وان كان قد وافق نزولها صدقة
علي بن ابي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روي عن عبد الملك بن سليمان قال سالت ابا جعفر محمد بن علي الباقر
عن هذه الاية انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا من هم فقال المؤمنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي فقال هو قال هو
الذين امنوا وقوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا يعني ومن يتولى القيام بطاعة الله
ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن ياتي بعدهم فان حزب الله يعني
انصار دين الله هم الغالبون لان الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون معه
على رايه وهم القوم الذين يجتمعون لامر حزبهم يعني اهمهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا قال ابن عباس كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم
نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو
اظهارهم الاسلام باللسان قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم يعني اليهود والكفار يعني عبدة الاصنام وانما فصل بين اهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب
من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام اغلظ وافحش من كفر اهل الكتاب اولياء يعني لا تتخذوهم
اولياء والمعنى ان اهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يا معشر المؤمنين هزوا وسخرية فلا تتخذوهم انتم
اولياء وانصارا واتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني مؤمنين حقا لان المؤمن يابى موالاة اعداء الله عز
وجل قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا قال الكلبي كان منادي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا
لا صلوا ويضحكون على طريق الاستهزاء فانزل الله هذه الاية وقال السدي نزلت في رجل من النصارى كان بالمدينة فكان اذا وقيل نزلت هذه الاية
سمع المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الكاذب فدخل خادمه
ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فتطايرت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل ان الكفار
والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم يسمع بمثله فيما مضى من الامم فلئن كنت تدعي النبوة فقد
خالفت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان اولى الناس به الانبياء فمن اين لك صياح كصياح العير
فما اقبح هذا الصوت وما اسمج هذا الامر فانزل الله عز وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية وانزل
واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون يعني ان هزءهم ولعبهم
من افعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم قوله تعالى قل يا اهل الكتاب الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزوا ولعبا هل تنقمون منا يعني هل
تكرهون منا او تعيبون علينا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وهذا على سبيل التعجب
من فعل اهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا في الدين الا الايمان بالله وما انزل الينا وبما انزل الينا وبما
انزل على جميع الانبياء من قبل وهذا ليس مما ينكر او ينقم وهذا كما قال

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

يعني انه ليس فيهم عيب الا هذا وهذا ليس هو بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس اتى رسول

الله صلى الله عليه

الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وعازر وزيد وخالد وازار بن
ابي ازر واشيع فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الاية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم
اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله هذه الاية قل يا اهل الكتاب هل
تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقموه
علينا وان اكثركم فاسقون يعني انكم انما كرهتم ايماننا وتنقمونه علينا مع علمكم انا على الحق لسبب
فسقكم واقامتكم على الدين الباطل لحب الرياسة واخذ الاموال بالباطل وانما قال اكثركم لان الله علم ان
من اهل الكتاب من يؤمن بالله ورسوله قوله عز وجل قل هل انبئكم بشر من ذلك هذا جواب لليهود
لما قالوا ما نعرف دينا اشر من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل
اخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم علينا من ايماننا بالله وبما انزل علينا مثوبة عند الله
يعني جزاء فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان لانها في معنى الثواب فكيف جاءت في الاساءة
قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ومنه قوله
تعالى فبشرهم بعذاب اليم والمعنى قل هل انبئكم بشر من اهل ذلك الدين مثوبة فان قلت المثوبة
مختصة بالاحسان وهذا يقتضي ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك
ومعلوم ان الامر ليس كذلك فما جوابه قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم
فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه
ومسخ صورته شر من ذلك وقوله تعالى من لعنه الله معناه هل انبئكم بمن لعنه الله او هو من لعنه الله
ومعنى لعنه الله ابعده وطرده عن رحمته وغضب عليه يعني وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام
من العصاة وجعل منهم القردة والخنازير يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم
قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم
مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان في اصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا
بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الاية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم يا اخوان
القردة والخنازير فافتضحوا بذلك وعبد الطاغوت يعني وجعل منهم من عبد الطاغوت يعني من اطاع الشيطان
فيما سول له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هم الكهان والاحبار وجملته ان كل من اطاع احدا
في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت اولئك يعني الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين
شر مكانا يعني من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد به اهله فهو من باب الكناية وقيل اراد ان مكانهم
سقر ولا مكان اشد شرا منه واضل عن سواء السبيل يعني واخطا عن قصد الطريق المستقيم قوله تعالى
واذا جاءوكم قالوا امنا قال قتادة نزلت في اناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبروه انهم مؤمنون راضون بالذي جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكانوا يظهرون الايمان
وهم في ذلك منافقون فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشانهم وقد دخلوا بالكفر
وهم قد خرجوا به يعني انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شيء من الايمان
فهم كافرون في حال الدخول والخروج والله اعلم بما كانوا يكتمون يعني من الكفر الذي في قلوبهم
قوله عز وجل وترى كثيرا منهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وترى يا محمد كثيرا من
اليهود وكلمة من يحتمل ان تكون للتبعيض ولعل ان هذه الافعال المذكورة في هذه الاية ما كان يفعلها كل
اليهود فلهذا قال وترى كثيرا منهم يسارعون والمسارعة في الشيء المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة
المسارعة انما تستعمل في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في الخيرات وضدها العجلة ويقال في الشر والاغلب
وانما ذكرت لفظة المسارعة في قوله يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لفائدة وهي انهم

وهي انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات لانهم يبغون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحت العدوان واكل السحت فذكر الله العدوان واكل السحت بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان ما زادوه فيها والسحت هو الرشا وما ياكلونه من غير وجهه **لبئس ما كانوا يعملون** يعني لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم الى الاثم والعدوان واكلهم السحت قوله تعالى **لولا** يعني هلا وهي هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ **ينهاهم الربانيون والاحبار** قال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم والمعنى هلا نهى الاحبار **عن قولهم الاثم** يعني الكذب **واكلهم السحت** **لبئس ما كانوا يصنعون** يعني الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم واكلهم السحت لان الله تعالى ذم الذين لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه قال ابن عباس ما في القرآن اشد توبيخا من هذه الاية وقال الضحاك ما في القرآن العظيم اية اخوف عندي منها قوله عز وجل **وقالت اليهود يد الله مغلولة** نزلت هذه الاية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا اكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والاعطاء فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه قومه ورضوا بقوله لا جرم ان الله اشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما يبر به قسمه وذلك بقدر ما عبد اباؤنا العجل والقول الاول اصح لقوله ينفق كيف يشاء واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ويدل عليه قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد آلة لكل الاعمال لا سيما لدفع المال وانفاقه وامساكه فاطلقوا اسم السبب على المسبب واسندوا الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد **غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا** يعني امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله وقال الزجاج فرد الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلاء وايديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم وقيل غلت ايديهم في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة اي تشد ايديهم الى اعناقهم ويطرحون في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنهم انهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الاخرة لهم عذاب النار وقوله تعالى **بل يداه مبسوطتان** يعني انه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم عما افتروه واختلقوه على الله تعالى تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم واما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونمرها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين واهل التأويل فانهم قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندي يد اشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى اولي الايدي والابصار فسروه بذوي القوى والعقول ويقال لا يد لك بهذا الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان اي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح اي يملك ذلك اما

الجارحة

يسارعون ج

الجارحة فممتنعة في صفة الله تعالى عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع ان يكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك ان تكون يد الله بمعنى الجارحة واما سائر المعاني التي فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلماء من المتكلمين زعموا ان اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وههنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت ههنا بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق باثبات اليدين في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان واجيب عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل اجيبوا على وفق كلامهم فقال بل يداه مبسوطتان اي ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على سبيل الكمال فان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه الاشكال الثاني ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق باثبات اليدين ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة اجاب اصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن ادم بذلك وجميع الخلق مخلوقين بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبين في نعمه فلما خص الله ادم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدي دل ذلك على اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين الرازي عن ابي الحسن الاشعري قولا ان اليد صفة قائمة بذات الله تعالى وهي صفة سوى القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذي يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق ادم بيده علة الكرامة لادم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون ادم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة اخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء انتهى كلامه واجيب عن قولهم بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة بان الاسم اذا ثني لا يؤدى في كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما دون الجمع ولا يؤدى عن الجنس فلا يقال في كلام العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الدرهم اذا ثني لا يؤدى في كلام العرب الا عن اثنين باعيانهما ولكن الواحد يؤدى عن جنسه كما تقول العرب ما اكثر الدرهم في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الواحد يؤدي عن الجميع فيتضح بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا **ينفق كيف يشاء** يعني انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعله وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق انفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ خلق السماوات والارض فانه لم يغض ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث ايضا من احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف وقوله تعالى **وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا** يعني كلما نزلت عليك اية من القرآن كفروا بها فازدادوا واشتدوا في كفرهم وطغيانهم مع طغيانهم والمراد بالكثير علماء اليهود وقيل انهم على كفرهم زيادة منهم فيه **والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة** يعني القينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل العداوة بين طوائف اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى كالملكية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى حتى ذمهم به قلت هذه البدع التي حدثت في المسلمين انما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين اما الصدر الاول فلم يكن شيء من ذلك حاصلا بينهم فحسن

والتكوين

226

جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى في ذلك العصر الذين نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله يعني كلما أفسدوا اليهود وخالفوا حكم الله بعث
الله عليهم من يهلكهم فلما أفسدوا بعث الله عليهم بختنصر البابلي ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس
الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس وهم أهل الفرس ثم أفسدوا وقالوا يد الله مغلولة
فبعث الله المسلمين عليهم فلا ترى اليهود في ذلة أبدا وقال مجاهد معنى الآية كلما مكروا مكرا في حرب محمد
صلى الله عليه وسلم أطفأها الله وأخمد نارهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصر نبيه ودينه
ويسعون في الأرض فسادا يعني ويجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من
كتبهم وقيل إنهم يسعون بالمكر والكيد والحيل الشر يقدرون على غير ذلك والله لا يحب المفسدين
يعني أن الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس فيها
وهم أبغض خلق الله إليه قوله تعالى ولو أن أهل الكتاب آمنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه
فيما جاء به واتقوا يعني اليهودية والنصرانية لكفرنا عنهم سيئاتهم يعني لمحونا عنهم ذنوبهم
التي عملوها قبل الإسلام لأن الإسلام يجب ما قبله ولأدخلناهم جنات النعيم يعني مع
المسلمين يوم القيامة ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل يعني أقاموا أحكامهما وحدودهما وعملوا
بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن نعته وصفته موجودان فيهما فإن
قلت كيف يأمر أهل الكتاب بإقامة التوراة والإنجيل مع أنهما منسوخان ومبدلان قلت إنما أمرهم
الله تعالى بإقامة ما فيهما من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ
لأنه موافق لما في القرآن قوله تعالى وما أنزل إليهم من ربهم فيه قولان أحدهما أن المراد به كتب
أنبيائهم المتقدمة مثل كتاب شعيا وكتاب أرميا وزبور داود ففي هذه الكتب أيضا ذكر محمد صلى الله
عليه وسلم فيكون المراد إقامة هذه الكتب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني أن المراد فيا
بما أنزل إليهم من ربهم هو القرآن لأنهم مأمورون بالإيمان به فكأنه نزل إليهم من ربهم لأكلوا من
فوقهم ومن تحت أرجلهم يعني أن اليهود لما أصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على
كفرهم ويهوديتهم أصابهم بالقحط والشدة حتى بلغوا إلى حيث قالوا يد الله مغلولة فأخبر الله
أنهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لأكلوا لو
من فوقهم ومن تحت أرجلهم قال ابن عباس معناه لأنزلت عليهم القطر وأخرجت لهم النبات والمراد
من ذلك توسعة الرزق عليهم منهم أمة مقتصدة أي عادلة ولا اقتصاد إلا عند الرفع في العمل من غير
غلو ولا تقصير وأصله من القصد لأن من عرف مقصوده طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالأمة المقتصدة
من آمن من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي وأصحابه الذين أسلموا وكثير منهم
يعني من أهل الكتاب الذين أقاموا على كفرهم مثل كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود ساء ما يعملون
يعني بئس ما يعملون من إقامتهم على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى
الله عليه وسلم قوله عز وجل يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك الآية روي عن الحسن
أن الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف أن من الناس من يكذبه فأنزل الله
هذه الآية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الإسلام فقالوا
أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزئون به ويقولون تريد أن نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا
فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يقول لهم يا أهل الكتاب
لستم على شيء الآية وقيل نزلت هذه الآية في أمر الجهاد وذلك أن المنافقين كرهوه فكان النبي صلى
الله عليه وسلم يمسك في بعض الأحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فأنزل الله
هذه الآية وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص وما سأل عنه اليهود ومعنى الآية يا أيها الرسول
بلغ جميع

بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك مجاهرا به ولا تراقبن أحدا ولا تترك شيئا مما أنزل إليك من ربك وإن أخفيت
شيئا من ذلك في وقت من الأوقات فما بلغت رسالتي وهو قوله تعالى وإن لم تفعل فما بلغت رسالته
ومعنى هذه الآية قال ابن عباس يعني إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني أنه صلى الله
عليه وسلم لو ترك إبلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئا مما أنزل الله إليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يكتم شيئا مما أوحي إليه (ق) عن مسروق عن عائشة قالت من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتم شيئا مما أنزل إليه فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك أخرجاه في الصحيحين
بزيادة فيه وقوله تعالى والله يعصمك من الناس يعني يحفظك ويمنعك منهم والمراد بالناس
هنا الكفار فإن قلت أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته يوم أحد وقد أوذي بضروب من الأذى فكيف
يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه أنه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه
أحد أراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما
قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة
فعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال إن هذا
اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه
وجلس وفي رواية أخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع حتى إذا أتينا على شجرة
ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم
معلق بالشجرة فاخترطه فقال أتخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري في رواية أن اسم ذلك الرجل غورث بن الحارث عن عائشة رضي الله عنها
قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني
الليلة قالت فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن أبي وقاص فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت
أحرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعنها عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم
أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا إن هذه الآية
نزلت بعدما شج رأسه في يوم أحد لأن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وقوله إن الله لا يهدي القوم
الكافرين قال ابن عباس معناه لا يرشد من كذبك وأعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه إن الله لا
يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئت به من عند الله ولم ينته إلى أمر
الله وطاعته فيما فرض عليه وأوجبه قوله تعالى قل يا أهل الكتاب لستم على شيء يعني قل يا محمد
لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شيء مما تدعون أنكم عليه
مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فإنكم أحدثتم وغيرتم
قال ابن عباس جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف
ورافع بن حريملة فقالوا يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد
أنها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق
وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس فأنا بريء من أحداثكم فقالوا فإنا نأخذ بما في أيدينا فإنا على الحق
والهدى ولا نؤمن لك ولا نتبعك فأنزل الله قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل
وما أنزل إليكم من ربكم الآية وقد تقدم معنى إقامة التوراة والإنجيل وأنه يلزم العمل بما فيهما ومنه الإيمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك

طغيانا وكفرا قوله تعالى فلا تأس على القوم الكافرين يعني ولا تحزن يا محمد على هؤلاء اليهود الذين جحدوا
نبوتك ولم يؤمنوا بك فإنما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل إن الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون والنصارى لما بين الله تعالى أن أهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين في هذه الآية أن الحكم
عام في كل أهل الملل وأنه لا يحصل لأحد منهم فضيلة ولا منقبة إلا إذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
يرضاه ومن العمل الصالح الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه لا ينفع الإيمان إلا به وقد تقدم تفسير هذه
الآية في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون وكان من حق الإعراب أن يقتضي أن يقال والصابئين وكذا قراءة أبي بن
كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة ومذهب الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه أنه ارتفع الصابئون
بالابتداء على نية التأخير كأنه قيل إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل
صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف الصابئين على من
قبلهم هو أن الصابئين أشد الفرق المذكورين في هذه الآية ضلالا فكأنه قال كل هؤلاء الفرق إذا آمنوا
وأتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون فإنهم إذا آمنوا كانوا أيضا كذلك وإنما سموا
صابئين لأنهم صبوا عن الأديان كلها يعني خرجوا لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم
يتبعوا أدلة العقل ولا بينة الرسل من عند الله فلهذا قال الله تعالى في هذه الآية إن الذين آمنوا ثم قال
في آخر الآية من آمن فما فائدة هذا التكرار قلت فيه فائدتان أن المنافقين كانوا يظهرون ويزعمون
أنهم مؤمنون ففي هذا التكرار إخراجهم من قبيل المؤمنين فيكون معنى الآية إن الذين آمنوا بألسنتهم
ولا بقلوبهم ثم قال من آمن يعني من ثبت على إيمانه ورجع عن نفاقه منهم وقبل فيه وفائدة أخرى وهو أن
الإيمان يدخل تحته أقسام كثيرة وأشرفها الإيمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التنبيه على
أن أشرف أقسام الإيمان هذين القسمين وفي قوله تعالى من آمن بالله حذف تقديره من آمن بالله
واليوم الآخر منهم وإنما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين وعمل صالحا يعني
وضم إلى إيمانه العمل الصالح وهو الذي يراد به وجه الله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
يعني في الآخرة قوله عز وجل لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل يعني أخذنا العهود عليهم في
التوراة بأن يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما أمرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه
وأرسلنا إليهم رسلا يعني بتبيان الشرائع والأحكام كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
أنفسهم يعني بما يخالف أهواءهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع يخالف
فريقا كذبوا يعني من الرسل الذين جاؤوهم وفريقا يقتلون يعني من الرسل وكان فيمن كذبوا عيسى ومحمدا
صلى الله عليهما وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وإنما فعلوا ذلك نقضا للميثاق
وجرأة على الله عز وجل ومخالفة لأمره قوله تعالى وحسبوا يعني وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا
الأنبياء ألا تكون فتنة يعني أن لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك الفعل الذي فعلوه وإنما حملهم
على هذا الظن الفاسد أنهم كانوا يعتقدون أن كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم
تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا أن لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل إنما قدموا على ذلك
لاعتقادهم أن آباءهم وأسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الآخرة فعموا وصموا يعني أنهم عموا أن
عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة وكذلك الصمم
هو كناية عن منع كفر الحواس قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم وإعراضهم عن قبول
الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه السلام ثم تاب
الله عليهم يعني أنهم لما تابوا عن عبادتهم العجل تاب الله عليهم ثم عموا وصموا
يعني بعد ذلك في زمان زكريا ويحيى عليهما السلام لأنهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل إن العمى
والصمم الأول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعني ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا

يعني كثير

يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كثير منهم من اليهود لأن بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه
وسلم مثل عبد الله بن سلام وأصحابه والله بصير بما يعملون يعني من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل قوله
عز وجل لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم لما حكى الله عن اليهود وما فعلوه من نقضهم
الميثاق وقتلهم الأنبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الإخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من
فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية
من النصارى لأنهم يقولون إن مريم ولدت إلها ويقولون إن الإله جل وعلا حل في ذات عيسى واتحد به فصار إلها
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم يعني وكان المسيح
قال هذا لبني إسرائيل بل أعظم معجزته إليهم وهذا التنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى وذلك لأنه
عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والإقرار لله بالربوبية وأن دلائل الحدوث ظاهرة عليه
إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة يعني أنه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة
يعني إذا مات على شركه ومأواه النار يعني أنه يصير إلى النار في الآخرة وما للظالمين يعني وما للمشركين
الذين ظلموا أنفسهم بالشرك من أنصار يعني ما لهم من أنصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم
القيامة قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وهذا قول المرقوسية والنسطورية
من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين أنهم أرادوا بذلك المقالة
أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وأن الإلهية مشتركة بينهم وأن كل واحد منهم إله ويبين ذلك قوله
تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه إضمار تقديره إن الله
أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة آلهة قال الواحدي ولا يكفر من يقول إن الله ثالث ثلاثة ولم يرد به
أنه ثالث ثلاثة آلهة لأنه ما من اثنين إلا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى في سورة المجادلة
ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي
بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني أن المتكلمين حكوا على النصارى أنهم يقولون جوهر واحد
ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة إله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة
وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وأثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا إن الكلمة التي
هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا أن الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله
واحد واعلم أن هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فإن الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة
ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادا ولا أظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا الذي أخبر الله عنهم في
قوله لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وإن لم يصرحوا بأنه واحد من ثلاثة الكلمة
فإن ذلك لازم لهم وإنما يمتنعون من هذه العبارة لأنهم إذا قالوا إن كل واحد من الأقانيم إله فقد جعلوه ثالث
ثلاثة وقولهم بعد هذا هو إله واحد فيه مناقضة لما قالوا ولا مسخ أنه بان فساد قول النصارى ثم رد الله
عليهم فقال تعالى وما من إله إلا إله واحد يعني أنه ليس في الوجود إلا إله واحد موصوف بالوحدانية
لا ثاني له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له إلا الله تعالى وإن لم ينتهوا عما يقولون
يعني وإن لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم يعني ليصيبن
الذين أقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الذنب الذي ليس بعده ذنب عذاب وجيع في الآخرة وإنما قال تعالى منهم
لعلمه السابق أن من النصارى من يؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم أنه فاسد ثم ندب سائر النصارى
إلى التوبة من هذه المقالة فقال تعالى أفلا يتوبون إلى الله يعني من قولهم بالتثليث ويستغفرونه
وهذا استفهام بمعنى الأمر أي توبوا إلى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فإن الله تعالى يغفر الذنوب
والله غفور يعني لمن استغفره وتاب إليه رحيم له وبسائر خلقه قوله عز وجل ما المسيح ابن مريم
إلا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني أن المسيح رسول من الله عز وجل ليس بإله كما أن الرسل الذين

كانوا قبله لم يكونوا آلهة وإن أتى عيسى بالمعجزات الدالة على صدقه كما أن الذين قبله أتوا بالمعجزات الدالة
على صدقهم **وأمه صديقة** يعني أنها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لأنها صدقت بآيات ربها
وكتبه وقوله تعالى **كانا يأكلان الطعام** فيه احتجاج على قول النصارى في إلهية المسيح يعني أن المسيح وأمه
مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني آدم فكيف يكون إلها من يحتاج إلى الطعام ولا
يعيش إلا به وقيل معناه أنه لو كان إلها كما يزعمون لاستغنى عن نفسه إلى الجوع وإلى العطش وقيل هذا كناية
عن الحدث وذلك أن كل من أكل وشرب لا بد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون إلها وبالجملة
فإن فساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج إلى إقامة دليل عليه ثم قال تعالى **انظر** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
أي انظر يا محمد **كيف نبين لهم الآيات** يعني الدالة على بطلان قولهم **ثم انظر أنى يؤفكون** أي كيف
يصرفون عن استماع الحق وقبوله قوله تعالى **قل أتعبدون من دون الله** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
أي قل يا محمد لهؤلاء النصارى أتعبدون من دون الله **ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا** يعني لا يستطيع أن يضركم
مثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال ولا يقدر أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به
من صحة الأبدان وسعة الأرزاق وإن الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر
لا يكون إلها **والله هو السميع العليم** يعني أنه تعالى سميع لأقوالكم وكفركم عليم بما في ضمائركم قوله
عز وجل **قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم** الغلو مجاوزة الحد وذلك أن الحق بين طرفي الإفراط والتفريط
فمجاوزة الحد والتقصير مذمومة في الدين **غير الحق** يعني لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك أنهم
خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا في الإصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا في عيسى عليه السلام
أما غلو اليهود فالتقصير في حقه حتى نسبوه إلى غير رشده وأما غلو النصارى فمجاوزة الحد في حقه حتى
جعلوه إلها وكلا الغلوين مذموم **ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل** الأهواء جمع هوى وهو
ما تدعو إليه شهوة النفس قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن إلا ذمه وقال أبو عبيد لم نجد
الهوى يوضع إلا موضع الشر لأنه لا يقال فلان يهوى الخير إنما يقال فلان يحب الخير ويريده والخطاب في قوله
ولا تتبعوا أهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع أسلافهم
فيما ابتدعوه من الضلالة بأهوائهم وهو المراد بقوله أهواء قوم قد ضلوا من قبل فأخبر الله تعالى أنهم كانوا
على ضلالة **وأضلوا كثيرا** يعني من اتبعهم على ضلالتهم وأهوائهم **وضلوا عن سواء السبيل** يعني وأخطؤوا عن
طريق الحق قوله تعالى **لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود** قال أكثر المفسرين هم أصحاب
السبت لما اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم
قردة فمسخوا قردة وستأتي قصتهم في سورة الأعراف **وعيسى ابن مريم** يعني وعلى لسان عيسى ابن مريم
وهم كفار أصحاب المائدة فلما أكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم
خنازير فمسخوا خنازير وستأتي قصتهم وقال بعض العلماء إن اليهود كانوا يفتخرون بآبائهم ويقولون
نحن أولاد الأنبياء عليهم السلام فأخبر الله عنهم بأنهم ملعونون على ألسنة الأنبياء عليهم السلام وقيل
إن داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**
يعني ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى **كانوا لا يتناهون**
عن منكر فعلوه أي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر وقيل لا ينتهون عن معاودة منكر فعلوه ولا عن الإصرار عليه
لبئس ما كانوا يفعلون اللام في لبئس لام القسم أي أقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعني من ارتكاب المعاصي
والعدوان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما دخل
النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم
يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب
الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا

وكانوا يعتدون

٢٨٩

وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس
ما قدمت لهم أنفسهم إلى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن
على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد في رواية أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم
يلعنكم كما لعنهم أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي ونهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم
وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على
الحق أطرا قال الترمذي هذا حديث حسن غريب قوله أكيله وشريبه وهو المواكل والمشارب والقاعد فعيل
بمعنى فاعل قوله لتأطرنه على الحق أطرا العطف يعني لتعطفنه ولتردنه إلى الحق الذي خالفه والمقصود القهر على
الشيء. قوله عز وجل **ترى كثيرا منهم** يعني من اليهود مثل كعب بن الأشرف وأصحابه **يتولون الذين كفروا**
يعني يوالون المشركين من أهل مكة وذلك حين خرجوا إليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود **لبئس ما قدمت لهم أنفسهم** يعني بئس ما
قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة **أن سخط الله عليهم** يعني بما فعلوا من موالاة الكفار **وفي العذاب**
هم خالدون يعني في الآخرة **ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي** يعني ولو كان هؤلاء الذين يتولون الكفار
يؤمنون بالله ويصدقون محمدا صلى الله عليه وسلم وأنه نبي مبعوث إلى كافة الخلق **وما أنزل إليه**
يعني ويؤمنون بالقرآن الذي أنزل الله عليه **ما اتخذوهم أولياء** يعني ما اتخذوا الكفار أنصارا وأعوانا
من دون المؤمنين **ولكن كثيرا منهم فاسقون** يعني ولكن أكثرهم خارجون عن طاعة الله وأمره وإنما قال
كثيرا لأنه علم أن منهم من سيؤمن مثل عبد الله بن سلام وأصحابه قوله تعالى **لتجدن أشد الناس عداوة للذين**
آمنوا اليهود والذين أشركوا اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد إنك لتجدن أشد الناس
عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين أشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة إجابتهم
إلى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الأصنام في العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين **ولتجدن**
أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى وصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق فقال
بعضهم مذهب اليهود أنه يجب عليهم إيصال الشر إلى من خالفهم في الدين بأي طريق كان مثل القتل
ونهب المال أو بأنواع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فإن الإيذاء في مذهبهم حرام فحصل
الفرق بين اليهود والنصارى وقيل إن اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان
كذلك كان شديد العداوة لغيره وأما النصارى فإن فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة
ومن كان كذلك فإنه لا يحسد أحدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق ولهذا قال تعالى **ذلك بأن**
منهم يعني من النصارى **قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون** ولم يرد به كل النصارى فإن معظم النصارى في
عداوة المسلمين كاليهود وقيل الآية نزلت في نفر أسلموا من النصارى مثل النجاشي وأصحابه والقسيس اسم لرئيس النصارى
والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق فيه بين اللغتين يعني
بين العربية والرومية وأما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع
فإن قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت إنما مدحهم الله في
مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر أن يكون ممدوحا على الإطلاق وقيل
إنما مدح من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين عيسى إلى أن بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم فآمنوا به واتبعوه فإن قلت كفر النصارى أشد وأغلظ من كفر اليهود وأقبح فإن
النصارى ينازعون في الإلهيات فيدعون له ولدا واليهود إنما ينازعون في النبوات فيقرون ويكفرون
ببعضهم فلم ذم اليهود ومدح النصارى قلت تفاوت الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح
النصارى والذين آمنوا منهم واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة

قلت

واسمعه لصحة واصحابه الذين اسلموا معه ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الاية قال ابن
عباس وغيره من المفسرين في قوله ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى قالوا ان قريشا
ائتمرت ان يفتنوا المومنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من اسلم فيها فاذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن
منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب فلما راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه لم يقدر ان يمنعهم من المشركين ولم يومر بعد بالجهاد امر اصحابه بالخروج
الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمومنين
فرجا فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سراوهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة
وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن الاسود وزوجته ام سلمة بنت
امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضا فخرجوا
الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع
من هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنان وثمانون رجلا سوى النسا والصبيان فلما علمت قريش بذلك
وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له
ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك رهطا من
اصحابه ليفسدوا عليك قومك فاحببنا ان ناتيك ونخبرك خبرهم وان قومنا يسالونك ان تردهم اليهم
فقال حتى نسالهم فامر بهم فاحضروهم فلما اتوا باب النجاشي قالوا يستاذن اوليا الله فقال ايذنوا
لهم فمرحبا باوليا الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين ايها الملك الا ترى انا قد صدقناك
انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا انا قد حييناك
بتحية اهل الجنة وتحية الملايكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر بن ابي
طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذرا ويقول في مريم انها
العذرا البتول فاخذ النجاشي عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره
المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تقرءون شيئا مما انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقروا فقرا
جعفر سورة مريم وهناك قسيسون ورهبان وساير النصارى فعرفوا ما قرا فانحدرت دموعهم مما
عرفوا من الحق فانزل الله فيهم ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى اخر الايتين
فقال النجاشي لجعفر واصحابه اذهبوا فانتم سيوم بارضي يعني امنون فرجع عمرو واصحابه خايبين
واقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
وعلا امره وقهر اعداه وذلك في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على
يد عمرو بن امية الضمري ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل
النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى ام حبيبة يخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرت
بذلك واعطت الجارية اوضاحا كانت لها واذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله
عليه وسلم على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فارسل
اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تاخذها
وقالت ان الملك امرني ان لا اخذ منك شيئا وقالت انا صاحبة ثياب الملك وثيابه وقد صدقت بمحمد صلى
الله عليه وسلم وامنت به وحاجتي اليك ان تقريه مني السلام قالت نعم وقد امر الملك نساءه
ان يبعثن اليك بما عندهن من عود وعنبر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا ينكره قالت
ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فخرج من خرج اليه من الحبشة

واقمت

واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسايلني عن النجاشي فقرات
عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليها وانزل الله عز وجل
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان وذلك بتزويج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ام حبيبة ولما بلغ ابا سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة قال ذاك
الفحل لا يجدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ازهى في
ستين من اصحابه وكتب اليه يا رسول الله اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك
جعفر واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني ازهى وان شئت ان اتيك بنفسي فعلت والسلام عليك
يا رسول الله فركبوا في سفينة في اثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر واصحابه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر وابو جعفر من الحبشة وثمانية من الشام فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم سورة يس الى اخرها فبكوا القوم حين سمعوا القران وامنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على
عيسى عليه السلام فانزل الله هذه الاية فيهم وهي قوله ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا
نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا من اصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين
رجلا اربعين من نصارى نجران من بني الحارث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميين من اهل الشام
قال قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد
صلى الله عليه وسلم امنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين
قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن الايمان والاذعان
للحق قوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل الى الرسول يعني واذا سمعوا القران الذي انزل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ترى اعينهم تفيض من الدمع يقال فاض الانا اذا امتلا حتى يخرج منه ما فيه
وصفهم الله بسيلان الدمع عند البكا ورقة القلب عند سماع القران قال ابن عباس يريد النجاشي
واصحابه الذين لما قرا عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراة
مما عرفوا من الحق يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق يقولون يعني القسيسين والرهبان
الذين سمعوا القران من جعفر عند النجاشي ربنا امنا يعني بالقران وشهدنا انه حق وصدق فاكتبنا
مع الشاهدين يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق وما لنا لا نومن بالله
وما جاءنا من الحق قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على
تركهم دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الاية وما لنا لا
نومن بالله وما جاءنا من الحق الذي جاء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ونطمع ان يدخلنا ربنا
مع القوم الصالحين يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فاثابهم الله بما قالوا
جنات تجري من تحتها الانهار بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو
المعرفة والبكا المودنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو
الايمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سالوا يعني قولهم
فاكتبنا مع الشاهدين خالدين فيها يعني في الجنات وذلك جزاء المحسنين يعني المومنين الموحدين
المخلصين في ايمانهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا لما ذكر الله عز وجل الوعد لمومني اهل الكتاب
وما اعد لهم من الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه واهل القرابة بعد ذلك ليكون جامعا
الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قال علماء التفسير
ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من
الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم ابو بكر وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله

ابن عمر وابو ذر الغفاري وسالم مولى حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا
واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا
على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء ولا الطيب ويسيحوا في الارض فبلغ ذلك النبي صلى
الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته احق ما بلغني عن زوجك واصحابه فكرهت
ان تكذب وكرهت ان تبدي سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبا انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما
اردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني
ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا واني لست
امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة
امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الاية
يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم يعني الطيبات اللذيذات التي تشتهيها الانفس
وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الاية ان شريعة
نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغي ان تجتنب الطيبات المباحات
ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شيء احله الله فقد كفر اما من
ترك لذات الدنيا وشهواتها تواضعا وانقطاعا الى الله تعالى والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت
حق الغير ففضيلة لا منع فيها بل مامور بها وقوله تعالى ولا تعتدوا يعني ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل
معناه ولا تجبوا انفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولا تعتدوا [illegible] الاسراف في الطيبات
ان الله لا يحب المعتدين يعني المجاوزين الحلال الى الحرام وقوله تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا يعني وكلوا ايها المؤمنون من رزق الله الذي رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال عبد الله
ابن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذى ونمى فاما الجامد كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه
الا على وجه التداوي عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذا
اصبت اللحم انتشرت للنساء واخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل
وله عن ابي هريرة قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه
فنهش منها قالت عائشة وكان الذراع احب اللحم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يجد
اللحم الا غبا وكان يعجل اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذي وقوله تعالى واتقوا الله الذي
انتم به مؤمنون هذا تاكيد للوصية بما امر الله تعالى وزاده التاكيد بقوله الذي انتم به مؤمنون
لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر الله به وعما نهى عنه وفي الاية دليل على ان
الله عز وجل قد تكفل برزق كل احد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله
واذا تكفل برزق العبد وجب ان لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وانه يعول على وعد الله تعالى
هو اكرم من ان يخلف الوعد والله اعلم قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم قال ابن
عباس لما نزلت يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع

بايماننا

بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الاية لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو في الايمان في سورة البقرة وقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الايمان يعني ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق

ولست بماخوذ بلغو تقوله
اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وفي الاية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف هذه اللفظة لعلوم عند السامع
فكفارته يعني فكفارة ايمانكم التي عقدتموها اذا حنثتم اطعام عشرة مساكين من اوسط ما
تطعمون اهليكم يعني من اقصده لان من الناس من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم فامر
الله بالعدل في اداء الكفارة وقيل اراد بالاوسط في القيمة فلا يكون غاليا من اعلا الموجود ولا من خسيس
الشيء رذاله والموجود بل الوسط في القيمة وقيل اراد بالاوسط الافضل قال ابن عباس كل شيء في كتاب الله
اوسط فهو افضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون اهليكم وافضله او كسوتهم فهو معطوف
على محل اوسط اي كما تطعمون المساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم فكذلك كسوتهم من اوسط الكسوة
او تحرير رقبة يعني عتق رقبة والمراد جملة الشخص فصل في حكم الاية وفيه مسائل المسالة
الاولى في بيان الكفارة وهي اربعة انواع النوع الاول من الكفارات الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين
واختلفوا في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم لكل مسكين مدا من الطعام بمد النبي صلى الله
عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس
وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن
واليه ذهب مالك والشافعي ويروى عن عمر وعلي وعائشة انه يطعم لكل مسكين مدين من بر وهو نصف صاع
وان اطعم من غيره فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال احمد بن حنبل يطعم لكل
مسكين مدا من البر ونصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين
فلو غداهم وعشاهم لم يجزه وقال ابو حنيفة يجزيه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة في الكفارة كالدراهم
والدنانير وقال ابو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق ولا الخبز في الكفارة وقيل يجب اخراج الحب وجوزه
ابو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد في عشرة ايام النوع الثاني من الكفارة الكسوة واختلف
العلماء في قدرها فذهب قوم الى انه يكسو لكل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازارا او رداء
او قميصا او عمامة او سراويل او كساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب
الشافعي وقال مالك يجب ان يكسو لكل مسكين ما تجوز فيه الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمراة ثوبين درعا
وخمارا وقال احمد للرجل ثوبا وللمراة ثوبين درعا وخمارا وهو ادنى ما يجزئ فيه الصلاة وقال ابن عمر يجب
قميص وازار ورداء وقال ابو موسى الاشعري يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال
ابراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالملحفة النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة
مؤمنة وكذلك يجب في جميع الكفارات واجاز ابو حنيفة والثوري اعتاق الكافرة في جميع الكفارات
الا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة فيه بالايمان في كفارة القتل ومذهب الشافعي ان المطلق يحمل على
المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد في الكفارة بالاجماع ويشترط ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق في
الكفارة مكاتبا او ام ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق او اشترى قريبه الذي يعتق عليه فكل هذا لا يجزئ
في اعتاق الكفارة وجوز اصحاب الراي عتق المكاتب في الكفارة اذا لم يؤد من نجوم الكتابة شيئا وجوز
اعتاق القريب في الكفارة ويشترط ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجوز مقطوع اليد
او الرجل ولا الاعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف
لان هذه العيوب كلها لا تضر بالعمل وعند ابي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز
فيجوز عتق مقطوع احدى اليدين ولم يجز عتق مقطوع الاذنين في الكفارة النوع الرابع من الكفارات

الصوم وهو قوله تعالى فمن لم يجد يعني الكفارات فصيام ثلاثة ايام يعني فاذا عجز من لزمه كفارة اليمين
عن الاطعام والكسوة والعتق وجب صيام ثلاثة ايام وهو قوله تعالى فعليه صيام ثلاثة ايام قال
الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة
بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال ابو حنيفة يجوز له الصيام اذا لم يكن عنده
من المال ما تجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال الحسن اذا لم يجد الا درهمين صام وقال
سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام عن كفارة اليمين على قولين احدهما
انه يجب التتابع فيه قياسا على صوم كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وطاوس وعطا
وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة واحمد واحد قولي الشافعي والقول الثاني لا يجب التتابع في كفارة
اليمين فان شاء تابع وان شاء فرق والتتابع افضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثاني للشافعي
المسئلة الثانية كلمة او للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء اطعم وان شاء كسا وان
شاء اعتق وبأيها اخذ المكفر فقد اصاب وخرج عن العهدة المسئلة الثالثة لا يجوز صرف شيء
من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج فلو صرف الى ذمي او عبد او غني لا يجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها
الى اهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة لاهل الذمة لا يجوز المسئلة الرابعة اختلفوا في تقديم
الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير اخرجه الترمذي وعن عبد الرحمن
ابن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانها ان اتتك عن مسألة
وكلت اليها وان اتتك على غير مسألة اعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو
خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب
مالك والاوزاعي والشافعي الا ان الشافعي قال ان كفر بالصوم قبل الحنث فانه لا يجوز لانه بدني وانما
يجوز بالطعام او الكسوة او العتق وقال ابو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث وقوله ذلك
اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام او الكسوة او العتق او الصوم عند العجز عن الكفارة كفارة
ايمانكم اذا حلفتم يعني وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه
اشارة الى ان تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم واحفظوا ايمانكم
يعني فقللوا ايمانكم وفيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر قليل الالايا حافظ ليمينه
وصفه بانه لا يحلف وقيل في معنى الاية واحفظوا ايمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير
وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب او فعل مكروه فان حلف على ذلك فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه
ويكفر لما روي عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله
لا احلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني واتيت الذي هو خير اخرجاه في الصحيحين
قوله تعالى كذلك يبين الله لكم آياته يعني كما بين لكم كفارة ايمانكم اذا حلفتم كذلك يبين لكم
جميع ما تحتاجون اليه في امر دينكم لعلكم تشكرون يعني نعم الله التي انعم بها عليكم اي يبين
لكم آياته ومعالم دينه قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس لما انزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم وقوله مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم فبين الله
في هذه الاية ان الخمر والميسر غير داخلين في جملة الطيبات الحلالات بل هما من جملة المحرمات
والخمر ما خامر العقل وغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما في سورة البقرة والانصاب
هي الحجارة التي كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها والازلام هي القداح التي كانوا
يستقسمون بها وقد تقدم تفسير ذلك والرجس في اللغة الشيء المستقذر من عمل الشيطان

يعني من تزيينه

يعني من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليها وليس المراد انها من عمل يديه فاجتنبوه يعني كونوا جانبا منه
والضمير في قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لانه اسم جامع للكل كانه قال ان هذه الاربعة اشياء كلها رجس
فاجتنبوه لعلكم تفلحون اي لكي تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس قوله تعالى انما
يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر اختلفوا في سبب نزول هذه
الاية فروي عن ابي ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الاية في سورة البقرة
يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الاية فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر
بيانا شافيا فنزلت التي في سورة النساء يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فدعي عمر فقرئت
عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت التي في المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فدعي عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذي
من طريق غير رواية ابي ميسرة هذا الحديث واخرجه ابو داود والنسائي وروي مصعب بن سعد عن ابيه قال صنع
رجل من الانصار طعاما فدعانا فاكلنا وشربنا وذلك قبل ان يحرم الخمر حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش
فقالت الانصار نحن افضل منكم فقال سعد بن ابي وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به
انف سعد ففزره واتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية يا ايها الذين آمنوا انما
الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى
ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي اخي فلان وكانوا اخوة
ليس في قلوبهم ضغائن فانزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الاية يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم
منتهون واما تفسير الاية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء يعني انما يزين لكم
الشيطان شرب الخمر والقمار وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء
بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع
العداوة والبغضاء بين شاربيها واما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على اهله وماله فيقمر
ويقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فيورث ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم ما
فيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس
وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بامر الدين وهو قوله تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن
الصلاة لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن
الصلاة فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الاية الاولى ثم افرد الخمر والميسر
في هذه الاية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا والمقصود نهيهم
عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتأكيد تحريم الخمر والميسر فلما
كان النهي عن شرب الخمر والميسر لا جرم افردهما بالذكر في اخر الاية والله اعلم وقوله تعالى فهل انتم منتهون
لفظه استفهام ومعناه الامر اي انتهوا وهذا ابلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما للمخاطب
كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الامور ام انتم
على ما انتم عليه لانكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الاية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن
الخمر والميسر بعبادة الاصنام وعدد انواع المفاسد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابهما وقال
فهل انتم منتهون ومعناه الامر ومن صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب
اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وابو داود ما اسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام
الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر
لم تقبل له صلاة اربعين يوما صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا
فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد

في الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه الله من نهر الخبال قالوا يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد من أهل النار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وأخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه أخرجه أبو داود وقوله عز وجل **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول** يعني فيما أمركم به ونهاكم عنه **واحذروا** أي واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به ونهاكم عنه **فإن توليتم** يعني فإن أعرضتم عما أمركم به ونهاكم عنه **فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين** وهذا وعيد وتهديد لمن أعرض عن أمر الله ونهيه كأنه قال فاعلموا أنكم بسبب توليكم وإعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط قوله تعالى **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** الآية عن البراء بن عازب قال مات ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل [التحريم فقالوا] كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله أرأيت الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي لا حرج ولا إثم عليهم فيما شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار في وقت الإباحة قبل التحريم وقال ابن قتيبة يقال لم أطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر

فإن شئت حرمت النساء سواكم ... وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم **إذا ما اتقوا** يعني إذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله عليهم **وآمنوا** يعني بالله ورسوله **وعملوا الصالحات** يعني وازدادوا من عمل الصالحات **ثم اتقوا وآمنوا** يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الأولى إخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم فلا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم أمروا باتقائها والإيمان بتحريمها **ثم اتقوا** يعني ما حرم عليهم في المستقبل **وأحسنوا** يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الأول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الإحسان إليه وقيل إن المقصود من التكرير التأكيد والمبالغة في الحث على الإيمان والتقوى وضم الإحسان إليه ثم قال تعالى **والله يحب المحسنين** يعني أنه تعالى يحب المتقرب إليه بالإيمان والأعمال الصالحة والتقوى والإحسان لأن هذه المقامات من أشرف الدرجات وأعلاها عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لي أنت منهم ومعناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له إن ابن مسعود منهم يعني من الذين آمنوا وعملوا الصالحات والتقوى والإحسان [illegible] قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد** نزلت هذه الآية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا بأخذها وصيدها فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله اللام في ليبلونكم لام القسم أي ليختبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشيء من الصيد يعني بصيد البر دون صيد البحر وقيل أراد الصيد في حالة الإحرام دون الإحلال وليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تزل عندها أقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل المال والأرواح وإنما هو ابتلاء سهل كما ابتلى أصحاب السبت بصيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصطادوا شيئا في حالة الابتلاء ولم يعصم أصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير وقوله تعالى **تناله أيديكم** يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد **ورماحكم** يعني كبار الصيد مثل

حمر الوحش ونحوها قال ابن عباس في قوله تناله أيديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في إحرامهم حتى لو شاؤوا تناولوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه **ليعلم الله** أي ليرى الله فإنه قد علمه فإنه مجاز فإنه تعالى عالم لم يزل وإنما المعنى ليعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم أولياء الله **من يخافه بالغيب** يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حالة الإحرام **فمن اعتدى بعد ذلك** يعني فصاد في حالة الإحرام بعد النهي **فله عذاب أليم** يعني في الدنيا قال ابن عباس يوسع ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه وهذا قول أكثر المفسرين في معنى هذه الآية لأنه قد سمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم** جمع حرام أي لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون بالحج أو العمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال أحرم إذا عقد الإحرام وأحرم إذا دخل الحرم وقيل هما مرادان من الآية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا في الحرم نزلت هذه الآية في أبي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له ما دام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا أو لم يكن مأكولا فيجب عنده الضمان على من قتل سبعا أو نمرا أو نحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فأجاز قتلهن عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية خمس لا جناح على من قتلهن في الحرم والإحرام وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فواسق يقتلن في الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه في رواية النسائي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفأرة والغراب الأبقع والكلب العقور وقال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليها جميع ما لا يؤكل لحمه قال لأن الحديث يشتمل على أعيان بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا في معنى الهوام وإنما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الأكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب أصحاب الرأي إلى وجوب الجزاء في كل ما لا يؤكل لحمه إلا الأعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة قوله **ومن قتله منكم متعمدا** قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد مع نسيان الإحرام فعليه الجزاء أما إذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لإحرامه فلا جزاء عليه لأنه أعظم من أن يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزاء وإن تعمد القتل مع ذكر الإحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء أما إذا قتل الصيد خطأ بأن قصد غيره بالرمي فأصابه فهو كالعمد في وجوب الجزاء وهو مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهري نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ يعني ألحقت الخطأ بالعمد في وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لا أرى في الخطأ شيئا وهذا قول شاذ لا يؤخذ به **فجزاء مثل ما قتل من النعم** يعني فعليه جزاء من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة أهي في الخلقة أم في القيمة والذي عليه جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم أن المماثلة في الخلقة معتبرة لأن ظاهر الآية يدل على ذلك وما لا مثل له فالقيمة وقال أبو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة في هذه الصورة فوجب أن يكون في سائر الصور كذلك لأن اللفظ الواحد لا يجوز حمله إلا على معنى واحد وأجيب عنه بأن حقيقة المماثلة أمر معلوم وجب الاكتفاء به للضرورة وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار المماثلة بالخلقة أن الصحابة حكموا في بلدان شتى وأزمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الأيل ببقرة وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على أنهم إنما نظروا إلى ما يقرب من الصيد

تستحسان حيث الخلقة فحكموا به ولا يعتبروا القيمة ويجب في الضبع شاة وفي الارنب عناق وفي السخلة
سخلة وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمامة وكلما عب وهدر كالفواخت والقمري ونحوها من الاطيار شاة وما
سواه من الطير ففيه القيمة في المكان الذي اصيب فيه وروي عن عثمان وابن عباس انهما حكما في حمام الحرم بشاة
وروي عن عمر انه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة وقوله تعالى
يحكم به ذوا عدل منكم يعني يحكم بالجزاء في قتل الصيد رجلان صالحان عدلان من اهل دينكم وملتكم وينبغي
ان يكونا فقيهين فينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جاء اعرابي الى
ابي بكر الصديق فقال اني اصبت من الصيد كذا وكذا فسال ابو بكر ابي بن كعب فقال الاعرابي اني اتيتك اسالك
وانت تسال غيرك فقال ابو بكر ما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا
اتفقنا على شيء امرناك به وقوله تعالى هديا بالغ الكعبة يعني ان الكفارة هدي يساق الى الكعبة وكعبة
الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا
يقع في الكعبة وعندها ملاقيا انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدي بمكة ويتصدق به
على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة ان يتصدق به حيث شاء اذا وصل الهدي الى الكعبة
او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة الى ان كلمة او
في هذه الاية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال
الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة اشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين
الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن احمد روايتان
كالقولين واصل هذه المسألة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفة
مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقهاء الى ان الخيار
في تعيين احد هذه الثلاثة اشياء الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان الله اوجب عليه احد
هذه على التخيير فوجب ان يكون هذا التخيير اليه ايضا وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة التخيير الى
الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال ان لم يجد الهدي اشترى
طعاما وتصدق به وان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجعل القيمة
طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك
القيمة الى شيء من النعم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر او صاع من
غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقهاء يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال
الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف بها قوله تعالى ليذوق وبال امره يعني جزاء ذنبه والوبال
في اللغة الثقل الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمى الله ذلك وبالا
لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس لان فيه تنقيص المال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم ايضا ثقيل على النفس
لان فيه انهاك البدن عفا الله عما سلف يعني قبل التحريم ومن عاد الى قتل الصيد مرة ثانية
فينتقم الله منه يعني في الاخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزاء
في المرة الثانية والثالثة اذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد
روي عن ابن عباس والنخعي وداود الظاهري انه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزاء عليه لانه وعده
بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا يسال هل قتل قبله شيئا من الصيد فان قال
نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيئا حكم عليه فان عاد بعد
ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في
صيد وج وهو واد بالطائف والله عزيز ذو انتقام يعني ممن عصاه اذا اتلف المحرم شيئا من الصيد
الذي امثاله من النعم مثل العصفور وطاير صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشتري بقيمته

طعاما

طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم او يصوم عن كل مد يوما قوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه
المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة واما طعامه فاختلفوا فيه
فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل ويروى ذلك عن ابي بكر وعمر وابن عمر وابي ايوب وقتادة وقيل صيده الطري
وطعامه المالح ويروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي ويروى عن ابن عباس ومجاهد
كالقولين وجملة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه
وانواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي
والنسائي ولا فرق ان يموت بسبب او بغير سبب فيحل اكله وقال ابو حنيفة لا يحل الا ان يموت بسبب وما
عدا السمك فقسمان قسم يعيش في البر والبحر كالضفدع والسرطان ولا يحل اكلهما وقال سفيان ارجو ان
لا يكون بالسرطان باس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله للمحرم وذهب جمهور العلماء الى انه
من صيد البر وانه لا يحل للمحرم اكله فان اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمرة وعنه وعن ابن
عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر ايضا وقال احمد يؤكل كل ما في البحر الا الضفدع
والتمساح قال لان التمساح يفترس ويأكل الناس وقال ابن ابي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر وذهب
جماعة الى ان ما له نظير في البر مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل اكله وقوله تعالى متاعا لكم وللسيارة
يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه وقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة احدها في اول السورة
وهو قوله غير محلي الصيد وانتم حرم والثاني يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم والثالث
هذه الاية وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما كل ذلك لتاكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلماء
هل يجوز للمحرم ان ياكل لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل له ذلك بحال ويروى ذلك عن ابن عباس
وهو قول طاوس واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روي عن الصعب بن جثامة الليثي انه اهدى للنبي
صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء او بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى
ما في وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه في الصحيحين وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز
للمحرم ان ياكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا اشار اليه ولا اعان عليه وهذا قول عمر وعثمان
وابي هريرة وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي واحمد واصحاب الراي ويدل
عليه ما روي عن ابي قتادة الانصاري قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم محرمون وانا غير محرم عام الحديبية فـ
ابصروا حمارا وحشيا وانا مشغول اخصف نعلا فلم يؤذنوني واحبوا لو اني ابصرته فالتفت فابصرته
فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط والرمح قالوا
لا والله لا نعينك عليه فغضبت فنزلت فاخذتهما فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات
فوقعوا فيه ياكلونه ثم انهم شكوا في اكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبات العضد معي فادركنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسالناه عن ذلك فقال معكم منه شيء فقلت نعم فناولته العضد فاكلها وهو محرم
وله في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما هي طعمة اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال
فكلوه وفي رواية قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل منكم احد امره ان يحمل عليها او اشار اليها
قالوا لا قال فكلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيحين واجاب اصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب
ابن جثامة بانه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم لانه ظن انما صيد لاجله والمحرم لا ياكل ما صيد
لاجله واتقوا الله يعني ولا تستحلوا الصيد في حال الاحرام وفي الحرم ثم حذرهم بقوله الذي اليه تحشرون
يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل جعل الله الكعبة البيت الحرام قيل المعنى
صير وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سمي البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمي

البيت الحرام لأن الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم أن يصاد عنده وأن يختلى خلاه وأن يعضد
شجره وأراد بالبيت الحرام جميع الحرم لما جاء من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم
فتح مكة فقال إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة
لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه وقوله تعالى قياما للناس أصله قواما
لأنه سبب لقوام مصالح المسلمين في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم أما في أمر الدين فإنه به يقوم الحج ويتم
المناسك وأما في أمر الدنيا فيجبى إليه ثمرات كل شيء وكانوا يأمنون فيه من النهب والغارة فلو لقي الرجل قاتل أبيه
أو ابنه في الحرم لم يتعرض له وأما في الآخرة فإن البيت جعل لقيام المناسك التي تقام عنده أسبابا لعلو
الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه
الأشياء كانت سببا لقيام الناس والشهر الحرام يعني وجعل الشهر الحرام قياما للناس وأراد بالشهر
الحرام الأشهر الحرم الأربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الفرد الأصم يعني وكذلك جعل الأشهر
الحرم يأمنون فيها من القتال وذلك أن العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكانوا إذا دخلت
الأشهر الحرم أمسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يأمنون في الأشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح الناس
والهدي والقلائد يعني وكذلك جعل الهدي والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك أنهم كانوا يأمنون
بسوق الهدي إلى البيت الحرام على أنفسهم من لحم نحر الهدي فلا يتعرض لهم أحد ذلك لتعلموا أن الله يعلم
ما في السماوات وما في الأرض يعني أنه تعالى علم في الأزل بمصالح العباد وما يحتاجون إليه فجعل الكعبة البيت
الحرام والشهر الحرام والهدي والقلائد يأمنون بها لأنه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السماوات وما في
الأرض لأنه تعالى عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله تعالى وأن الله بكل شيء عليم يعني أنه
تعالى لا يخفى عليه خافية اعلموا أن الله شديد العقاب يعني لمن انتهك محارمه واستحلها وأن الله
غفور رحيم يعني لمن تاب وآمن ولما ذكر الله أنواع رحمته لعباده ذكر بعدها أنه شديد العقاب لأن الإيمان
لا يتم إلا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحمته وأن الله غفور رحيم قوله تعالى ما على
الرسول إلا البلاغ يعني ليس على رسولنا الذي أرسلناه إليكم إلا تبليغ ما أرسل به من الإنذار لما فيه قطع
الحجج وفي الآية تشديد عليهم في إيجاب القيام بما أمر الله وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب
عليه من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون يعني أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أحوالكم ظاهرا وباطنا قل لا يستوي الخبيث والطيب
يعني الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يعتدل الردي والجيد ولا المسلم والكافر ولا الطالح والصالح
ولو أعجبك كثرة الخبيث يعني ولو سرك كثرة الخبيث لأن عاقبته عاقبة سوء والمعنى أن أهل الدنيا
يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وأبقى لأن زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله خير يدوم
وقال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله أن رجلا قال يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي فهل ينفعني ذلك المال
إن عملت فيه بطاعة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وقال مقاتل نزلت في
شريح بن ضبيعة البكري وحجاج بن بكر وقد تقدمت القصة في أول السورة واتقوا الله يعني فيما أمركم
به ونهاكم عنه ولا تعتدوا يا أولي الألباب يعني يا ذوي العقول السليمة لعلكم تفلحون قوله
عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم اختلفوا في سبب نزول هذه
الآية فروي عن أنس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط
فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجوههم لهم خنين فقال رجل من أبي فقال فلان فنزلت هذه الآية لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وفي
رواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر
الساعة فذكر فيها أمورا عظاما ثم قال من أحب أن يسألني عن شيء فليسأل فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم

به ما دمت

به ما دمت في مقامي هذا فأكثر الناس البكاء وأكثر أن يقول سلوني فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي
فقال أبوك حذافة ثم أكثر أن يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا
وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت علي الجنة والنار في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر
قال ابن شهاب فأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة
ما سمعت بابن قط أعق منك أأمنت أن تكون أمك قارفت بعض ما تقارف أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس
فقال عبد الله بن حذافة لو ألحقني بعبد أسود للحقته زاد في رواية أخرى قال قتادة فذكر هذا الحديث عند
هذه الآية لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم أخرجاه في الصحيحين خ عن ابن عباس كان قوم يسألون
رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي فأنزل الله فيهم
هذه الآية فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية
في شأن الحج عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا قالوا يا رسول
الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله في كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فأنزل الله عز وجل يا أيها
الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن أبي هريرة قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام فسكت حتى قالها
ثلاثا ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وإنما هلك من كان قبلكم بكثرة
سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء
فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا تسألوا عن أشياء قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام
ألا ترى أنه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا قال عكرمة إنهم كانوا يسألونه عن الآيات
فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم من قبلكم فأصبحوا بها كافرين ومعنى الآية يا أيها الذين آمنوا
لا تسألوا عن أشياء جمع شيء إن تبد لكم وتبين لكم تسؤكم يعني إن أمرتم بالعمل بها فإن من سأل عن الحج
لم يأمن أن يؤمر به في كل عام فلا يقدر عليه فيسوؤه ذلك ومن سأل عن النسب لم يأمن أن يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم
بغير أبيه فيفتضح ويسوؤه ذلك وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم معناه إن صبرتم حتى
ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهي أو حكم وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون إليه ومست حاجتكم إليه
فإذا سألتم عنه فحينئذ تبد لكم ومثال هذا أن الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها
والحامل لم يكن فيه عدة التي ليست ذات قرء ولا حامل فسألوا عنها فأنزل الله عز وجل
جوابهم في قوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم الآية عفا الله عنها يعني عن مسألتكم عن الأشياء
التي سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم
يعاقبكم عليها والله غفور يعني لمن تاب منكم حليم فلم يعجل بعقوبتكم وقيل عفا عنها غفور
يعني لما كان في الجاهلية حليم يعني عن عقابكم منذ آمنتم وصدقتم وقال بعض العلماء التي يجوز
السؤال عنها هي ما يترتب عليها أمر الدين والدنيا من مصالح الدنيا وما عدا ذلك فلا يجوز السؤال عنه
وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أعظم المسلمين في المسلمين
جرما من سأل عن شيء لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسألته وعن المغيرة بن شعبة
أنه كتب إلى معاوية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال
عن معاوية أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الأغلوطات أخرجه أبو داود الأغلوطات صعاب
المسائل التي يزل فيها أقدام العلماء ويؤيد ذلك قول أبي هريرة شر الناس الذين يسألون عن شرار
المسائل كي يغلطوا بها العلماء عن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء فقال الحلال
ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما قد عفي عنه فلا تتكلفوا
عن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها

وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وترك اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان
اخرجهما في جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى قد سألها قوم من قبلكم ثم
اصبحوا بها كافرين قال المفسرون يعني قوم صالح فانهم سألوا الناقة ثم عقروها فاصبحوا بها كافرين
وقوم موسى قالوا ارنا الله جهرة فصار ذلك السؤال وبالا عليهم وقوم عيسى سألوا انزال المائدة عليهم
ثم كفروا بها فكأنه تعالى يقول ان اولئك سألوا فلما اعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسألوا انتم اشياء
فلعلكم اذا اعطيتم سؤلكم ساءكم ذلك قوله تعالى ما جعل الله اي ما انزل الله ولا امركم به ولا شرعه ولا
امر به من بحيرة البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته اذا شق اذنها فهي بحيرة فعيلة بمعنى مفعولة
ولا سائبة المسيبة المخلاة ولا وصيلة الوصيلة الناقة وكانت العرب في الجاهلية اذا ولدت
لهم ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها ولا حام والحام هو الفحل من الابل يحمي ظهره فلا يركب ولا
ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الاوصاف البحيرة هي الناقة اذا ولدت لم يركبوها ولم
يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه واكله
الرجال والنساء وان كانت انثى شقوا اذنها وتركوها وحرم على النساء منافعها وكانت منافعها
للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة اذا تابعت اثنتي عشرة سنة اناثا
سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شق
اذنها ثم سيبت مع امها وبعمل بها كما يفعل بامها وقيل السائبة البعير الذي يسيب لآلهتهم
وذلك ان الرجل من اهل الجاهلية كان اذا مرض او غاب له قريب نذر فقال ان شفاني الله او شفي مريضي
او قدم غائبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يركبها احد فهي بمنزلة
البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن نظروا ان كان السابع ذكرا نحروه واكل
منه الرجال والنساء وان كانت انثى تركوها في الغنم وان كانت ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها واستحيوا
الذكر فلم يذبحوه من اجل الانثى والحام هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا انتج من صلبه
عشرة ابطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات اكله الرجال والنساء
وعن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسائبة
كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت
عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ولمسلم عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو
ابن لحي بن قمعة بن خندف اخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار خ عن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو اول من سيب السوائب
القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الامعاء كان اهل الجاهلية تفعل هذا في جاهليتهم فلما
بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ابطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا
حام ما يحرم من بحيرة ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حمي من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكنكم
انتم فعلتم ذلك من عند انفسكم ثم عن ابن مسعود ان اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية
كانوا يسيبون وقوله تعالى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب يعني بقولهم ان الله امرنا
بها واكثرهم لا يعقلون اي ان الاكثر الاتباع لا يعقلون ان هذا كذب وافتراء من الرؤساء على الله عز وجل
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني واذا قيل لهؤلاء الذين حرموا البحائر وفعلوا
هذه الاشياء وتحيفوها الى الله كذبا تعالوا الى ما انزل الله يعني في كتابه والى الرسول يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم الذي انزل اليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه الى الله ويبين لكم من الشرائع والاحكام
وان الذي تفعلونه ليس بشيء قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا يعني قد اكتفينا بما اخذناه
عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله ردا عليهم اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون

يعني انما

يعني انما يجب الاقتداء بالعالم المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل ان اباءهم ما كانوا كذلك فبهم
اقتداؤهم بهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال
بعض العلماء هذا امر من الله تعالى ومعناه احفظوا انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على المعاصي لانك
اذا قلت عليك زيدا معنى الزم زيدا وقيل معناه عليكم انفسكم فاحفظوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله
عز وجل وانظروا لها فيما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر
اذا كنتم مهتدين واطعتم الله عز وجل فيما امركم به ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه
الاية في اهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية
واتركوهم وقيل لما قبل الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه
الاية وقيل ان المؤمنين كان يشتد عليهم تمادي الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم انفسكم واجتهدوا
في صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين اذا كنتم انتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر هذه
الاية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذي عليه اكثر الناس ان
المطيع لربه عز وجل لا يكون مؤاخذا بذنوب اصحاب المعاصي فاما وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فثابت بدليل الكتاب والسنة عن قيس بن ابي حازم عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال ايها الناس
انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب
من عنده اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه ابو داود وزاد فيه ما من قوم يعمل فيهم
بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروا ولا يغيرون الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وقال قوم في معنى الاية
عليكم انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القران نزل منه اي قد مضى تأويلهن
قبل ان ينزلن ومنه اي وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه اي ما وقع تأويلهن
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه اي يقع تأويلهن اخر الزمان ومنه اي يقع تأويلهن يوم
القيامة وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيعا ولم يذق
بعضكم بأس بعض فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم واهواؤكم والبستم شيعا
واذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الاية وقيل لابن عمر لو جلست في هذه
الايام فلم تأمر ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها
ليست لي ولا لاصحابي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ليبلغ الشاهد الغائب فكنا نحن الشهود
وانتم الغائب ولكن هذه الاية لاقوام يجيئون بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابي امية الشعباني قال
اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الاية قال اي اية قلت يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا
يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة
واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم ايام الصبر لمن صبر فيهن
قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفي رواية قيل يا رسول الله اجر
خمسين رجلا منا او منهم قال لا بل اجر خمسين منكم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل في
معنى الاية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره من ضل او هلك قال ابن عباس في قوله
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول اذا ما العبد اطاعني فيما امرته من الحلال والحرام فلا
يضره من ضل بعده اذا عمل بما امرته به وعن صفوان بن محرز قال دخل علي شاب من اصحاب الاهواء فذكر
شيئا من امره فقال الا ادلك على خاصة الله التي خص بها اولياءه يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم

لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي إلا وإلى جانبه منافق
يكره عمله وقيل في معنى الآية لا يضركم من كفر بالله وحاد عن قصد السبيل من أهل الكتاب إذا اهتديتم
أنتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في أهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت
آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت وكان ينبغي لك أن تنصرهم وتفعل فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم
أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم قال الطبري وأولى هذه الأقوال وأصح التأويلات عندنا في هذه الآية
ما روي عن أبي بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله تعالى وأداء ما لزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ
على يد الظالم لأن الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر والأخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الآية أوكد آية في
وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الله تعالى قال عليكم أنفسكم يعني أهل دينكم بأن يعظ بعضكم
بعضا بأن يرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والمنكرات والذي يؤكد ذلك أن معنى قوله عليكم أنفسكم
أي احفظوا أنفسكم وهذا أمر بأن نحفظ أنفسنا وإن لم يكن ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله
أعلم وقوله تعالى إلى الله مرجعكم جميعا يعني في الآخرة الطائع والعاصي والضال والمهتدي فينبئكم
بما كنتم تعملون يعني فيجزيكم بأعمالكم ويجازيكم عليها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا شهادة
بينكم سبب نزول هذه الآية ما روي أن تميم بن أوس الداري وعدي بن بداء خرجا من المدينة في تجارة إلى الشام
وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا
فيه جميع ما معه من المتاع والآنية في متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه أوصى إلى تميم وعدي
وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله إذا رجعا إلى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه إناء من فضة
منقوشا بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فغيباه ثم إنهما قضيا حاجتهما وانصرفا إلى المدينة فدفعا المتاع
إلى أهل البيت ففتشوه فأصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان معه فجاءوا أهل الميت إلى تميم وعدي فقالوا
هل باع صاحبنا من متاعه شيئا قالا لا قالوا إنا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وإنا
فقدنا إناء من فضة مموها بالذهب فيه ثلاثمائة مثقال فضة قالا لا ندري إنما أوصى إلينا بشيء وأمرنا
أن ندفعه إليكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأصرا على الإنكار وحلفا
فأنزل الله هذه الآية هذا قول المفسرين وروى الترمذي عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية يا أيها
الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت قال برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بداء وكانا
نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام فأتيا الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم
يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو أعظم تجارته فمرض فأوصى إليهما
أن يبلغا ما ترك أهله قال تميم فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم ثم اقتسمناه أنا وعدي
فلما أتينا أهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا ولا دفع
إلينا غيره قال تميم فلما أسلمت بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فأتيت
أهله فأخبرتهم الخبر وأديت إليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فأتوا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه
فحلف فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت إلى قوله أو يخافوا أن ترد
أيمان بعد أيمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدي قال الترمذي هذا مفاع
حديث غريب وليس إسناده بصحيح قال الترمذي وروي عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا
الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بأرض ليس بدا
بها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مموها بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فلما فاحلفهما
وجدوا الجام بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا

احق من شهادتهما

أحق من شهادتهما وإن الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر
أحدكم الموت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وأخرج هذه الرواية الأخيرة البخاري في صحيحه وأما
٢٩٧ التفسير فقوله شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لأن الشهادة إنما يحتاج إليها عند وقوع التنازع
والتشاجر إذا حضر أحدكم الموت يعني إذا قارب حضور الموت حين الوصية اثنان لفظه
الخبر ومعناه الأمر يعني ليشهد اثنان عند حضور الموت وإرادة الوصية ذوا عدل منكم يعني من أهل
دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية
الموصي وقيل هما الوصيان لأن الآية نزلت فيهما ولأنه تعالى قال فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل
الوصية اثنين تأكيدا فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت أو آخران
من غيركم يعني من غير أهل دينكم وهذا قول ابن عباس وأبي موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير
والنخعي والشعبي وابن سيرين وشريح وأكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون
واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال إبراهيم النخعي وجماعة هي منسوخة وكانت شهادة أهل الذمة
مقبولة في الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لأن إجماع الأمة على أن شهادة
الفاسق لا تجوز فشهادة الكفار وأهل الذمة لا تجوز بطريق الأولى وذهب قوم إلى أنها ثابتة لم تنسخ وهو
قول ابن عباس وأبي موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال أحمد بن حنبل قالوا
إذا لم يجد مسلمين يشهدهما على وصيته وهو في أرض غربة فليشهد كافرين أو ذميين أو من أي دين كان لأن
هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بأرض غربة لم يجد مسلما يشهده على وصيته فليشهد كافرين على أي دين
كان من أهل الكتاب أو من عبدة الأصنام فشهادتهم جائزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على
مسلم بحال إلا على وصية في سفر ولا يجد فيها مسلما وعن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا
هذه ولم يجد أحدا من المسلمين حاضرا يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة
فأتيا أبا موسى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال أبو موسى هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وأنها
لوصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما أخرجه أبو داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من عشيرتكم
وحيكم أو آخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم والآية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهري
وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من الأحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة غير أن أبا
حنيفة أجاز شهادة أهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بأن هذه الآية محكمة بأن سورة المائدة
من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من أجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بأن الله تعالى قال في أول
الآية يا أيها الذين آمنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم فعلم
بذلك أنهما من غير المؤمنين ولأن الآية دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين وأجمع المسلمون على أن
الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين ولأن الميت إذا كان في أرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع
ماله وربما كان عليه ديون أو عنده وديعة فيضيع ذلك كله وإذا كان كذلك احتاج إلى إشهاد من حضره
من أهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذي أبيح له أكل الميتة
في حال الاضطرار والضرورات قد تبيح شيئا من المحظورات واحتج من منع ذلك بأن الله تعالى قال ممن ترضون
من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدول فشهادتهم غير مقبولة في حال من الأحوال وقوله تعالى
إن أنتم ضربتم في الأرض يعني إن أنتم سافرتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت يعني نزل بكم
أن أسباب الموت فأوصيتم إليهما ودفعتم مالكم إليهما تحبسونهما يعني إن اتهمهما بعض الورثة
وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن يوقفهما من بعد الصلاة يعني من بعد صلاة العصر لأن جميع أهل
الأديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة أهل دينهما لأنهما

اذا كانا كافرين لا يحضرون صلاة العصر فيقسمان بالله اي يحلفان بالله قال الشافعي الايمان تغلظ في
الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة
بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وفي بيت المقدس فعند الصخرة وفي سائر البلاد في اشرف
المساجد واعظمها ان ارتبتم يعني ان شككتم ايها الورثة في قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما
وهذا اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع لا نشتري به ثمنا
قليلا يعني لا نبيع عهد الله بشيء من الدنيا لا نحلف بالله كاذبين لاجل عوض نأخذه او حق نجحده ولو كان
ذا قربى يعني ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وانما خص القربى بالذكر لان الميل اليهم اكثر من غيرهم ولا
نكتم شهادة الله انما اضاف الشهادة الى الله لانه امر باقامتها ونهى عن كتمانها انا اذا لمن الآثمين يعني
ان كتمنا الشهادة او خنا فيها ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا
تميما وعديا وحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يخونا شيئا مما دفع اليهما فحلفا على ذلك
فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الاناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الاناء بمكة فقالوا
اشتريناه من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بني سهم فاتوهما في ذلك فقالا انا كنا
اشتريناه منه فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا شيئا من متاعه فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر
لكم فكتمنا لذلك فرفعوهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فان عثر يعني فان اطلع وظهر والعثور الهجوم
على امر لم يهجم عليه غيره وكل من اطلع على امر كان قد خفي عليه قيل قد عثر عليه على انهما استحقا
اثما يعني الوصيين ومعنى الآية فان حصل العثور والوقوف على ان الوصيين كانا استوجبا الاثم بسبب
خيانتهما وايمانهما الكاذبة فآخران يعني من اولياء الميت واقربائه يقومان مقامهما يعني مقام الوصيين
في اليمين من الذين استحق عليهم يعني من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى ان ظهرت
خيانة الحالفين وبان كذبهما يقوم اثنان آخران من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته الاوليان
يعني بامر الميت وهم اهله وعشيرته فيقسمان بالله اي يحلفان بالله لشهادتنا احق من
شهادتهما يعني ايماننا احق واصدق من ايمانهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ولما نزلت هذه
الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وهما من اهل الميت وحلفا بالله بعد العصر ودفع
الاناء اليهما وانما ردت اليمين على اولياء الميت لان الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الاناء وانكر ورثة الميت
ذلك ومثل هذا ان الوصي اذا اخذ شيئا من مال الميت وقال انه اوصى له به وانكر ذلك الورثة ردت
اليمين عليه ولما اسلم تميم الداري بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء
فانا اتوب الى الله واستغفره وقوله تعالى ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها يعني ذلك الذي
حكمنا به من رد اليمين على اولياء الميت بعد ايمانهم ادنى اي اجدر واحرى ان يأتوا بالشهادة على وجهها
يعني يأتي الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد
ايمانهم اي واقرب ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم
فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم واتقوا الله اي خافوا الله ان تحلفوا
ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة
والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعيد
لمن خالف حكم الله تعالى او خان امانته او حلف ايمانا كاذبة وهذه الآية الكريمة من اصعب ما في القرآن من
الآيات نظما واعرابا وحكما والله اعلم باسرار كتابه قوله عز وجل يوم يجمع الله الرسل قال
الزجاج هي متصلة بما قبلها تقديره واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي
القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل
انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكروا واحذروا يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة فيقول ماذا

اجبتم

اجبتم يعني فيقول تبارك وتعالى للرسل ما الذي اجابتكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار
الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفائدة هذا السؤال توبيخ الامم لان الانبياء الذين كذبوهم قالوا يعني الرسل لا علم
لنا قال ابن عباس معناه لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا
فعلمك فيهم انفذ من علمنا وابلغ وعلى هذا القول انما نفوا العلم عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار
كلا علم عند علم الله وقال في رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علم انت اعلم به منا وهذا القول فيه حسن الادب وقيل
معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن امر انت اعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة
امرهم لانا انما نعلم ما كان من ظاهر امرهم واقوالهم وقد كنا لا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما
احدثوا من بعدنا ومنه ما اخبر عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما
توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي الحوض
رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك
زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة اهوالا وزلازل
تزول فيها القلوب عن مواضعها فيعزب عنهم من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم
يشهدون على اممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف وتكلف لان الله تعالى قال في حق الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر
وذكر الامام فخر الدين وجها آخر وهو ان الرسل عليهم الصلاة والسلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل
وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فرأوا ان الادب في السكوت وفي
تفويض الامر الى علم الله تعالى وعدله فقالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب يعني انك تعلم ما غاب
عنا من باطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انه لا يخفى عليك ما عندنا من
العلوم وان الذي سألتنا عنه ليس يخفى عليك لانك انت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات
على تفاوتها الذي لا يخفى عليه خافية وبناء فعال للتكثير ودلت الآية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى
كما يجوز اطلاق العالم عليه قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك قال بعضهم
ان اذ قال الله يا عيسى صلة لماذا اجبتم ولما كان المراد بقوله للرسل ماذا اجبتم توبيخ الامم المكذبة
ومن تمرد منهم على الله وكان اشد الامم احتياجا وافتقارا الى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون
انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك انما كان صنعهم في انبيائهم التكذيب لهم وطعن هؤلاء
النصارى تعدى الى جلال الله حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد فذكر الله في هذه
الآية من انواع نعمه على عيسى عليه السلام التي تدل على انه عبد وليس باله والفائدة في ذكر هذه الحكاية
تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الامم
يوم القيامة ما خص الله عيسى عليه السلام به من الكرامة وقيل موضع اذ رفع بالابتداء على القطع ومعناه
اذكر اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظه واحد والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه
في هذه الآية والمراد من ذكرها شكرها وعلى والدتك يعني نعمته على مريم عليها السلام انه تعالى
انبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال تعالى
اذ ايدتك بروح القدس يعني بجبريل عليه السلام لان القدس هو الله تعالى واضافه اليه على سبيل
التشريف والتعظيم كاضافة البيت المعمور وناقة الله وقيل اراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح
تختلف باختلاف الماهية فبعضها روح طاهرة مقدسة نورانية وبعضها روح خبيثة كدرة ظلمانية
فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة النورانية المشرقة تكلم الناس في المهد يعني تكلمهم
طفلا في حال الصغر وكهلا يعني وفي حال الكهولة من غير ان يتفاوت كلامه في هذين الوقتين
وفي هذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة ليست لاحد قبله قال ابن عباس ارسل الله عيسى عليه السلام
وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه واذ علمتك الكتاب والحكمة يعني

الكتابة وهي الخط والحكمة يعني العلم والاطلاع على اسرار العلوم والتوراة والانجيل اي وعلمتك التوراة
التي انزلتها على موسى والانجيل الذي انزلته عليك واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني يعني واذ
تجعل وتصور من الطين كصورة الطير باذني فتنفخ فيها ذكر هنا فيها وفي سورة آل عمران فيه فالضمير
في قوله فيها يعود الى الهيئة ويجعلها مصدرا كما دفع اسم الخلق على المخلوق وذلك ان النفخ لا يكون في
الهيئة انما يكون في المهيا في الهيئة ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها مؤنثة قال الله تعالى اولم يروا
الى الطير فوقهم صافات واما الضمير المذكور في آل عمران في قوله فيه فيعود الى الكاف يعني في ذلك
الشيء المماثل كهيئة الطير فتكون طيرا باذني وانما كرر قوله باذني تاكيدا لكون ذلك الخلق واقعا
بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لان المخلوقين لا يخلقون شيئا انما الخالق للاشياء كلها
هو الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا
قوله تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني يعني وتشفي الاكمه وهو الاعمى المطموس من البصر والابرص
معروف ظاهر واذ تخرج الموتى يعني من قبورهم احياء باذني تفعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه
الاشياء في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبرئ للاكمه والابرص وهو محيي الموتى وهو على كل شيء قدير
وانما كانت هذه الاشياء معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله وقدرته وقوله تعالى واذ كففت
بني اسرائيل عنك يعني واذكر نعمتي عليك اذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين ارادوا قتلك
اذ جئتهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكر في هذه الاية وذلك ان عيسى
عليه السلام لما اتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى السماء
فقال الذين كفروا منهم يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يومنوا بهذه المعجزات
ان هذا الا سحر مبين يعني ما جاءهم به عيسى من المعجزات قوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين
يعني الهمتهم وقذفت في قلوبهم فهو وحي الهام كما اوحى الى ام موسى والى النحل والحواريون اصحاب
عيسى وخواصه ان آمنوا بي وبرسولي يعني عيسى عليه السلام قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون
لما وفقهم للايمان قالوا آمنا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من اعمال القلوب والاسلام هو
الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى انهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم قوله تعالى اذ قال الحواريون
يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك قال المفسرون وهذا على المجاز ولا يجوز ان يتوهم على الحواريين
انهم شكوا في قدرة الله تعالى لانه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع ان تقوم معي مع علمه بانه
يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل يخف ان تقوم معي فكذلك معنى
الاية لان الحواريين كانوا مومنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم
مزيد الطمانينة كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ولا شك ان في مشاهدة هذه الاية
بتواتية مزيد الطمانينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقالوا
غلطة وقالوا ذلك قبل استحكام الايمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله
عليهم غلطهم بقوله اتقوا الله ان كنتم مومنين يعني اتقوا الله ان تشكوا في قدرة الله عز وجل والقول
الاول اصح وقيل في معنى الاية هل يفعل ربك وهل يطيعك ربك باجابة دعائك سؤالك ان ينزل المائدة
فعل ورد في بعض الاثار من اطاع الله اطاعه ان ينزل علينا مائدة من السماء المائدة الخوان الذي عليه
الطعام ولا يسمى مائدة ان لم يكن عليه طعام انما يقال له خوان وطبق واصلها من ماد يميد اذا تحرك كانها
تميد بما عليها من الطعام قال يعني عيسى مجيبا للحواريين اتقوا الله ان كنتم مومنين يعني اتقوا
الله في هذا السؤال ان كنتم مومنين لانه سؤال تعنت وقيل امرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال
ومعناه ان كنتم مومنين حقا فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسألوه شيئا لم يسأله
احد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الايات بعد الايمان قالوا نريد ان ناكل منها يعني قال الحواريون

مجيبين لعيسى

مجيبين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المائدة علينا لان ناكل منها فان الجوع قد غلب علينا وقيل
معناه نريد ان ناكل منها للتبرك بها لا لحاجة وتطمئن قلوبنا يعني وتسكن قلوبنا وتستيقن قدرة الله
تعالى لانا وان علمنا قدرة الله بالدليل فاذا شاهدنا نزول المائدة ازددنا اليقين وقويت الطمانينة ونعلم
ان قد صدقتنا يعني ونزداد ايمانا ويقينا بانك رسول الله ونكون عليها من الشاهدين يعني لله
بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك من الشاهدين عند بني اسرائيل اذا رجعنا اليهم
فلما قالوا ذلك امرهم عيسى ان يصوموا ثلاثين يوما قال لهم انكم ان صمتم ذلك وافطرتم فلا تسألون الله
شيئا الا اعطاكم ففعلوا ذلك وسالوا نزول المائدة بعد ذلك قال عيسى ابن مريم اللهم قيل انه اغتسل
ولبس المسح وصلى ركعتين وطاطا راسه وبكى ثم دعا فقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون
لنا عيدا لاولنا واخرنا يعني عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور واصله من عاد
يعود اذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجي من
بعدنا فنزلت في يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه ياكل منها اول الناس كما ياكل
اخرهم وآية منك يعني وتكون المائدة دلالة على قدرتك ووحدانيتك وحجة بصدق رسولك وارزقنا اي
ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة وانت خير الرازقين يعني وانت خير من تفضل
ورزق قال الله عز وجل مجيبا لعيسى اني منزلها عليكم يعني المائدة فمن يكفر بعد منكم يعني بعد
نزول المائدة فاني اعذبه عذابا يعني جنسا من العذاب لا اعذبه احدا من العالمين يعني من عالمي زمانهم
فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون هذا العذاب في الدنيا ويجوز ان يكون
موخرا الى الاخرة قال عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة
وآل فرعون واختلف العلماء في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله لما اوعدهم
على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل عليهم
فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى اني منزلها عليكم ان سالتم نزولها والصحيح الذي عليه جمهور العلماء
والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف في خبره
ووعده ولما روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة من السماء خبزا
ولحما وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير اخرجه
الترمذي وقال وروي عن عمار من غير وجه موقوفا وهو الاصح قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام قال لهم
صوموا ثلاثين يوما ثم اسالوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا
لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة
ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم وقال سلمان الفارسي
لما سال الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة الاية فنزلت سفرة
حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي اليهم منقضة حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود
ينظرون الى شيء لم ينظروا مثله ولا وجدوا ريحا اطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم
عملا فيكشف عنها ويسم الله تعالى فقال شمعون الصفار راس الحواريين انت اولى بذلك منا فقام عيسى
عليه السلام فتوضا وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير
الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك ولا فلوس تسيل من الدسم وعند راسها
ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى
الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا
هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء افتعله الله

بغير ثمن العافية كلوا مما سالتم يمددكم ويزيدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها فقال عيسى
معاذ الله ان اكل منها ياكل منها من سالها فخافوا ان ياكلوا منها فدعى لها اهل العاهة والمرضى والبرص والجذام
والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الهنا ولغيركم البلا فاكلوا منها وهم الف وثلاثمائة رجل وامراة
من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم شباع واذا السمكة بحالها حين انزلت ثم طارت المايدة
صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت ولم ياكل منها فمكثت اربعين صباحا تنزل ضحى واذا انزلت اجتمع
اليها الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والنساء ياكلون منها ولا تزال منصوبة يوكل منها حتى يفيء الفيء
فاذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل غبا يوما ويوما لا تنزل فاوحى الله عز
وجل الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا
الناس فيها وقالوا اترون المايدة حقا تنزل من السماء فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني شرطت
ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلاثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم
مع نسائهم على فرشهم ثم اصبحوا خنازير يسعون في الطرقات ياكلون العذرة من الكناسات والحشوش
فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت
تطوف به فجعل عيسى يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة
ايام ثم هلكوا وقال كعب انزلت المايدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل
شيء الا اللحم وقال ابن عباس انزل على المايدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليها خبز ارز وبقل
وقال وهب بن منبه انزل الله اقرصة من شعير وحيتانا فكان القوم ياكلون ويخرجون ثم يجيء اخرون فياكلون
حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني
اسرائيل وقال الكلبي ومقاتل انزل سمكا وخمسة ارغفة فاكلوا منها ما شاء الله والناس الف ونيف
فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد
الله به خيرا ثبته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امراة فمكثوا ثلاثة
ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ قوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى
ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الاهين من دون الله اختلف المفسرون في وقت هذا
القول فقال السدي قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السماء بدليل ان حرف اذ للماضي وقال سائر
المفسرين انما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك
يوم القيامة واجيب عن حرف اذ بانها قد تجيء بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقال الراجز

ثم جزاك الله عني اذ جزا … جنات عدن في السماوات العلا

ولفظ الاية في قوله ءانت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى
عليه السلام فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فما وجه هذا السؤال له مع علم
الله بانه لم يقله قلت وجه هذا السؤال التثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم في ادعائهم ذلك
عليه وانه امرهم به فهو كما يقول القايل لاخر افعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما اراد تعظيم
ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف
بالعبودية وانه ليس باله كما زعموا وادعت فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالاهية
مريم فكيف قال اتخذوني وامي الاهين من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت في عيسى انه اله
وان امه ولدته لزمهم هذه المقالة على سبيل التبعية قوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام
قال سبحانك يعني تنزيها لك عن النقائص وبراءة لك من العيوب قال ابو روق لما سمع عليه السلام
هذا الخطاب وهو قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الاهين من دون الله تعرقت مفاصله وانفجرت من

اصل كل

اصل كل شعرة من جسده عين من دم فقال مجيبا لله تعالى سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي كيف
اقول هذا الكلام ولست باهل له ولست استحق العبادة حتى ادعوا الناس اليها ولما بين انه ليس له ان
يقول هذه المقالة وهذا المقام مقام التواضع والخضوع لعظمة الله تعالى شرع في بيان ذلك هل وقع
ذلك منه ام لا فقال ان كنت قلته فقد علمته اي فوض العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب
والاظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك يعني تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل
معناه تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا اعلم ما يكون منك في دار الاخرة وقيل معناه تعلم ما اخفي ولا
اعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشيء يقال
نفس الشيء وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع
ما اعلم من حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وانما ذكر
هذا الكلام على طريق المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال انك انت علام الغيوب
يعني انك تعلم ما كان وما سيكون وهذا تاكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
انك انت علام الغيوب قوله تعالى اخبارا عن عيسى ما قلت لهم الا ما امرتني به يعني ما قلت لهم الا قولا
امرتني به ان اعبدوا الله يعني قلت لهم اعبدوا الله ربي وربكم يعني وحدوه ولا تشركوا به شيئا
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم يعني وكنت اشهد ما يفعلون واحضر ما دمت مقيما فيهم
فلما توفيتني يعني لما رفعتني الى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت كنت انت الرقيب عليهم
يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء وانت على كل شيء شهيد
يعني انت شهدت مقالتي التي قلت لهم وانت الشهيد عليهم بعدما رفعتني اليك لا يخفى عليك خافية
فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون ويجوز ان يكون الشهيد بمعنى العليم يعني انت
العالم بكل شيء فلا يعزب عن علمه شيء قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم
عبادك لا يعترضون عليك مع ضر نبيهم ولا جلب نفع لتقدمهم وانت العادل فيهم انك اوضحت لهم
طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا وان تغفر لهم يعني لمن اقلع منهم بان تهديه الى الايمان فان
ذلك بفضلك ورحمتك فانك انت العزيز يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك
ما تريده الحكيم في افعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان هذا القول من الله
عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة واما على قول جمهور المفسرين
انما هذا السؤال يقع يوم القيامة ففيه قوله وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وهو انه
لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه بان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب
عن هذا الاشكال من وجوه احدها انه ليس على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم
ولكنه على التسليم للامر الى الله وتفويضه الى مراده فيهم لانه العزيز المالك الحكيم في فعله ويجوز في حكمته
وسعة مغفرته ورحمته انه يغفر للكفار لكنه تعالى اخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن امن منهم
وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي
الاهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز ان
يسال له المغفرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول
الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك الاية وقال عيسى
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال
الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فاساله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فساله فاخبره

يا

رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك
في امتك ولا نسوءك. عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم. قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم اتفق جمهور العلماء ان المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم ينفعهم في الدنيا
في الاخرة لانه يوم الاثابة والجزاء. فاما نفع صدقهم في الدنيا فيتبين نفعه يوم القيامة قال قتادة
متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لانه يقول ما قصه الله عليهم ما قلت
لهم الا ما امرتني به الاية فكان صادقا في الدنيا والاخرة فنفعه صدقه واما المتكلم الاخر فابليس
فانه يقوم فيقول وقال الشيطان لما قضي الامر الاية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه (ما قصه الله عليهم بقوله)
وقال عطاء هذا يوم من ايام الدنيا لان الاخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ان هذه الاية
ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول هو اقرب لمذهب الكلبي حيث يقول ان هذه المخاطبة
جرت مع عيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم
من الثواب على صدقهم فقال تعالى لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه اشارة
الى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء. رضي الله عنهم يعني بطاعتهم له
ورضوا عنه يعني بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته ذلك اشارة الى ما ذكره من ثوابهم الفوز
العظيم يعني انهم فازوا بالجنة برضوانه عنهم ونجوا من النار لله ملك السماوات والارض
وما فيهن عظم الله عز وجل نفسه عما قال فيه النصارى يعني الذي له ملك السماوات والارض هو الذي
يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من الاهية عيسى المسيح ولانه من جملة من في السماوات والارض
فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسؤال مضمر في الكلام كانه لما وعد الصادقين بالثواب
العظيم فقيل من يعطيهم ذلك فقال الذي له ملك السماوات والارض ومن فيهن وهو على كل شيء
قدير والله اعلم

تفسير سورة الانعام

فصل في ذكر نزولها روى مجاهد عن ابن عباس ان سورة الانعام مما نزل بمكة وهو
قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام
جملة ليلا بمكة وحولها سبعون الف ملك وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة
واحدة ونزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست ايات منها فانها مدنيات وهي قوله تعالى قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الثلاث ايات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الاية وقوله تعالى ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي الى اخر الايتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد ايتين
وهي قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق الاية وقوله تعالى الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الاية وروي عن ابن عباس وقتادة انهما قالا هي
مكية الا ايتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي انشا جنات
معروشات وغير معروشات الاية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون الف ملك قد سدوا
ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي
العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا قاله البغوي وروي عنه مرفوعا من قرا سورة الانعام
صلى عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره وذكره بغير سند والله سبحانه وتعالى اعلم
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق السماوات والارض

قال كعب الاحبار هذه الاية اول اية في التوراة واخر اية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
الاية وفي رواية عنه ان اخر اية في التوراة اخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد لله
فقال الحمد لله الذي خلق السماوات والارض وختمه بالحمد فقال تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب
العالمين وفي قوله الحمد لله تعليما لعباده كيف يحمدونه اي قولوا الحمد لله وقال اهل المعاني لفظه خبر
ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه جمع
الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله ابلغ وقد تقدم معنى الحمد في تفسير سورة
فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السماوات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم المخلوقات فيما
يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها ايضا العبر والمنافع
وجعل الظلمات والنور الجعل هنا بمعنى الخلق اي وخلق الظلمات والنور قال الحسن يريد بالظلمات
ظلمات الليل وبالنور نور النهار وقال السدي يعني بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعني بالظلمات
الجهل وبالنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السماوات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور
وخلق الجنة قبل النار وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه
في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل ذكره البغوي بغير سند
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون يعني ان الذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يعدلون يشركون واصل العدل
مساواة الشيء بالشيء والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة
مع اقرارهم ان الله خلق السماوات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله بربهم بمعنى عن اي عن ربهم
يعدلون ويميلون من العدول عن الشيء وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون دليل على معنى
لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدول وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثاله ان تقول
لرجل اكرمتك واحسنت اليك وانت لا تشكرني وتجحد احساني فيكون ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله
قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين يعني انه تعالى خلق ادم من طين وانما خاطبهم بذلك لانه اصلهم
وهم من نسله وذلك لما انكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهي رميم اعلمهم بهذه الاية
انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدي لما اراد الله عز وجل ان يخلق
ادم بعث جبريل الى الارض ليأتيه بقبضة منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك ان تنقص مني فرجع ولم
ياخذ منها شيئا فقال يا رب عاذت بك فبعث الله ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت
منه فقال وانا اعوذ بالله ان اخالف امره واخذ من وجه الارض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت
الوان بني ادم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت اخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم
جبريل وميكائيل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك. عن ابي موسى الاشعري
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع
الارض فجاء بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث
والطيب اخرجه ابو داود والترمذي واما قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فاختلف
العلماء في معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل
الثاني من وقت الموت الى وقت البعث وهو البرزخ ويروى نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل احد اجلان
اجل الى الموت واجل من الموت الى البعث فان كان الرجل تقيا برا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث
في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله وما يعمر
من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول اجل الدنيا والاجل
الثاني اجل الاخرة وقيل الاجل هو الوقت المقدر فاجل كل انسان مقدر معلوم عند الله لا يزيد ولا
ينقص والاجل الثاني هو اجل القيامة وهو ايضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه الا الله تعالى وقال

في سائر مخلوقاته ترغيبا بهم في رحمته وإحسانه إليهم فقال تعالى كتب على نفسه الرحمة يعني أنه تعالى
أوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للمتولين عنه إلى الإقبال عليه وإخبار بأنه رحيم
بعباده وأنه لا يعجل بالعقوبة بل يقبل التوبة والإنابة ممن تاب وأناب وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي وفي البخاري
إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش وفي رواية لهما
إن الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتابه كتبه على نفسه فهو موضوع عنده
زاد البخاري على العرش ثم اتفقا إن رحمتي تغلب غضبي م عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا
واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه زاد البخاري في
رواية له ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله لم يأمن من العذاب ولمسلم إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة
واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها
وأخر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وعن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها
في الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها
بهذه الرحمة وعن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى قد
تحلب ثديها إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار وهي تقدر أن لا تطرحه فقلنا لا والله يا رسول الله
فقال الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها وقوله تعالى ليجمعنكم اللام في قوله ليجمعنكم لام القسم
تقديره والله ليجمعنكم إلى يوم القيامة يعني في يوم القيامة وقيل معناه ليجمعنكم في قبوركم إلى
يوم القيامة لا ريب فيه أي لا شك فيه أنه آت الذين خسروا أنفسهم يعني بالشرك بالله أو غبنوا
أنفسهم وغبنوها باتخاذهم الأصنام فعرضوا أنفسهم لسخط الله وأليم عقابه فكانوا كمن خسر
شيئا وأصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل إذا غبن في بيعه فهم لا يؤمنون يعني لما سبق عليهم القضاء
بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع من الإيمان قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار يعني وله
ما استقر وقيل وله ما سكن وما تحرك فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل إنما خص السكون بالذكر لأن
النعمة فيه أكثر وقال ابن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد
منه جميع ما حصل في الأرض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد
الحصر والمعنى أن جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره وهو السميع لأقوالهم وأصواتهم العليم
بسرائرهم وأحوالهم قوله عز وجل قل أغير الله أتخذ وليا قال مقاتل لما دعي رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى دين آبائه فأنزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد أغير الله أتخذ وليا يعني ربا ومعبودا
وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه الإنكار أي لا أتخذ غير الله وليا فاطر السماوات والأرض
أي خالق السماوات والأرض ومبدعهما ومبتدئهما وهو يطعم ولا يطعم يعني وهو يرزق ولا يرزق
وصف الله عز وجل نفسه بالغنى عن الخلق وباحتياج الخلق إليه لأن من كان صفته أن يطعم الخلق لاحتياجهم
إليه وهو لا يطعم لاستغنائه سبحانه وتعالى عن الإطعام ومن كان كذلك وجب أن يتخذ ربا وناصرا ووليا
ومعبودا قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم يعني من هذه الأمة والإسلام بمعنى الاستسلام يعني
استسلم
أمرت أن أستسلم لأمر الله وانقاد لطاعته ولا تكونن من المشركين يعني وقيل لي يا محمد لا تكونن من المشركين
قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يدعونك إلى
عبادة غير الله إن ربي أمرني أن أكون أول من أسلم ونهاني عن عبادة شيء سواه وإني أخاف إن عصيت ربي فعبدت

شيئا سواه

شيئا سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة من يصرف عنه يعني العذاب يومئذ يعني يوم القيامة
فقد رحمه يعني بأن أنجاه من العذاب ومن أنجاه من العذاب فقد رحمه وأناله الثواب لا محالة وإنما ذكر الرحمة مع صرف
العذاب لئلا يتوهم أنه صرف العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب عنه وذلك الفوز المبين يعني
أن صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر يعني بشدة وبلية
والضر اسم جامع لما ينال الإنسان من ألم ومكروه وغير ذلك مما هو في معناه فلا كاشف له إلا هو يعني
فلا رافع لذلك الضر إلا الله عز وجل وإن يمسسك بخير يعني بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال
الإنسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير يعني من دفع الضر وجلب الخير
وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لأنه هو القادر على أن يمسك
بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على إيصال الخير إليك وأنه لا يقدر على ذلك إلا الله فاتخذه
وليا وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل أحد والمعنى وإن يمسسك
الله بضر أيها الإنسان فلا كاشف لذلك الضر إلا هو وإن يمسسك بخير أيها الإنسان فهو على كل شيء قدير
من دفع الضر وإيصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام
إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن
بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت
على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف أخرجه الترمذي زاد
فيه تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه وإن استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل
فإن لم تستطع فاصبر فإن الصبر على ما تكره خير كثير واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب
وأن مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين [illegible] وفرجا نحو هذا أو مثله بطوله في مسند أحمد
ابن حنبل قوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون
تحت قدرته وهو القاهر والقهار ومعناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم
ويثقل ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع أحد من خلقه رد تدبيره والخروج من
تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله تعالى لأنه هو القادر والقاهر الذي لا يعجزه شيء أراده
ومعنى فوق عباده هنا أن قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم من الاقتدار
والقهر الذي لا يقدر أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة
وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وإنما قال فوق عباده لأنه تعالى وصف نفسه
بقهره إياهم ومن صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام إذا والله الغالب عباده المذلل
العالي عليهم بتذليله إياهم فهو فوقهم بقهره إياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء
الذي تفرد به الله عز وجل وهو الحكيم يعني في أمره وتدبيره عباده الخبير يعني بأعمالهم وما يصلحهم
قوله عز وجل قل أي شيء أكبر شهادة قال الكلبي أتى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا محمد أرنا من يشهد أنك رسول الله فإنا لا نرى أحدا يصدقك ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا أنه ليس عندهم ذكر فأنزل الله عز وجل قل يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون
نبوتك من قومك أي شيء أكبر شهادة يعني أعظم شهادة فإن أجابوك وإلا قل أنت يا محمد الله
شهيد بيني وبينكم قال مجاهد أمر الله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسأل قريشا أي شيء أكبر شهادة
ثم أمره أن يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لي بالحق وعليكم بالباطل الذي تقولونه وإن قيل
إنهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوة فبين الله تعالى في هذه الآية أنه أكبر الأشياء شهادة
هو الله تعالى ثم بين أنه يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به
يعني أن الله عز وجل يشهد لي بالنبوة لأنه أوحى إلي هذا القرآن وهو معجزة لأنكم أنتم الفصحاء البلغاء

واعجاز اللسان وقد عجزتم عن معارضته وكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله علي شهادة من الله بانه
رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعني اوحي الي هذا القران لاخوفكم به واحذركم مخالفة امر الله عز وجل
ومن بلغ يعني وانذر من بلغه القران ممن ياتي بعدي الى يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من ساير
الامم وكل من بلغه القران وسمعه فالنبي صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظي من
بلغه القران فكانما راى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال انس بن مالك لما نزلت هذه الاية كتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل خ عن عبد الله بن
عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسراييل ولا حرج
ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار شرح ما يتعلق بهذا الحديث فيه الامر بالابلاغ ما
جاء به صلى الله عليه وسلم الى من بعده من قران وسنة وقوله حدثوا عن بني اسراييل ولا حرج الحرج
الضيق والاثم ومعناه مهما قلتم عن بني اسراييل فانهم كانوا على حال اكثر مما قلتم واوسع وليس الحديث خالك
فيه اباحة الكذب في الاخبار عن بني اسراييل لكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ
وان لم يتحقق ذلك لانه امر قد تعذر لبعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله بيقل
صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرا سمع مني شيا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ اوعى له من سامع
اخرجه الترمذي وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرا
سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس
بفقيه عن ابن عباس قال قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم اخرجه ابو داود موقوفا
وقوله تعالى ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى يعني قل يا محمد لهولاء المشركين الذين يجحدون
نبوتك واتخذوا الهة غيري ائنكم ايها المشركون لتشهدون ان مع الله الهة اخرى يعني الاصنام التي
كانوا يعبدونها وانما قال اخرى لان الجمع يلحقه التانيث كما قال تعالى ولله الاسماء الحسنى وقال
القرون الاولى ولم يقل الاول ولا الاولين قل لا اشهد يعني قل يا محمد لهولاء المشركين لا اشهد بما تشهدون
به ان مع الله الهة اخرى بل اجحد ذلك وانكره قل انما هو اله واحد يعني قل لهم انما هو اله واحد
ومعبود واحد لا شريك له وبذلك اشهد التوحيد انني بريء مما تشركون وانا بريء من كل
شيء تعبدونه سوى الله وفي هذه الاية دليل على اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه
لان كلمة انما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح في التوحيد ونفي الشريك فثبت بذلك ايجاب التوحيد
وسلب كل شريك والتبري من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لمن اسلم ان ياتي بالشهادتين
ويتبرا من كل دين خالف الاسلام لقوله تعالى وانني بريء مما تشركون قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم المراد بالذين اوتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين كانوا
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا سالنا
عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس عندهم ذكرك وانكروا معرفتك فبين الله عز وجل ان شهادة تقوم
له كافية في صحة نبوته وبين في هذه الاية انهم يعرفونه وانهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة واسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب
ان الله عز وجل انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني
ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر وكيف ذلك قال اشهد انه رسول الله حقا ولا
ادري ما يصنع النساء قوله تعالى الذين خسروا انفسهم يعني اهلكوا انفسهم وغبنوها واوبقوها
في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين خسروا انفسهم قولان احدهما انه
صفة للذين الاولى ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين يجحدون محمدا صلى الله عليه وسلم

ويجحدون نبوته

ويجحدون نبوته وهم كفار اهل الكتابين فهم لا يؤمنون يعني والقول الثاني انه كلام مبتدا لا تعلق له
بالاول وهم كفار مكة الذين لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا في معنى الخسران وجهين احدهما
١٠٤ انه الهلاك الدايم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني
انه جعل لكل واحد منهم منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل
الكفار في الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار فذلك هو الخسران قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا يعني ومن اشد عنادا واخطا فعلا واعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا بان له شريكا من خلقه والها
يعبد من دونه كما قالت المشركون من عبدة الاصنام او ادعى ان له صاحبة وولدا كما قالت النصارى او كذب
باياته يعني كذب بحججه واعلام ادلته التي اعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبياء وقيل
معناه وكذب بايات القران التي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم انه لا يفلح الظالمون يعني لا ينجح القايلون
على الله الكذب والمفترون على الله الباطل ويوم نحشرهم جميعا اي اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين
وهو يوم القيامة ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون يعني انها تشفع لكم عند
ربكم قوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة
فلما كان سوالهم تجربة لاظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف
وذلك ان الرجل يفتتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرا من محبوبه فيقال لم تكن فتنتك الا حبك المحبوب
فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ثم لما راوا العذاب تبروا منها يقول الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم
للاصنام الا ان تبروا منها وهو قوله تعالى الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وذلك اذا شاهدوا يوم
القيامة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد
فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال تعالى
هولا انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتامل الى حال المشركين كيف كذبوا
على انفسهم يعني باعتذارهم بالباطل وتبريهم من الاصنام والشرك الذي كانوا عليه واستعمالهم الكذب
مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله وضل عنهم يعني زال عنهم وذهب ما كانوا
يفترون يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك
اليوم قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الاية قال الكلبي اجتمع ابو سفيان بن حرب وابو جهل
ابن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية بن خلف والحارث
ابن عامر يستمعون القران فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد قال ما ادري ما يقول الا اني اراه يحرك
لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون
الماضية واخبارها فقال ابو سفيان اني لارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا نقر بشيء من هذا وفي
رواية الموت اهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعني الى كلامك وقولك يا محمد
وجعلنا على قلوبهم اكنة يعني اغطية جمع كنان ان يفقهوه يعني ليلا يفقهوه وكراهية ان يفقهوه
وفي اذانهم وقرا وجعلنا في اذانهم صمما وثقلا وفي هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح
بعضها للهدى وللايمان بقلبه ويجعل بعضها في اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به وان يروا كل اية
لا يؤمنوا بها يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها يعني لا يصدقوا بها ولا
يقروا انها دالة على صدقك حتى اذا جاءوك يجادلونك يعني انهم اذا راوا الايات واستمعوا القران
انما جاءوا ليجادلونك ويخاصمونك لا يؤمنوا بها يقول الذين كفروا ان هذا يعني ما هذا القران الا
اساطير الاولين يعني احاديث الاولين من الامم الماضية واخبارهم واقاصيصهم وما سطروا يعني
وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطارة وقيل واحدها سطر واسطار جمع اساطير جمع
الجمع فمعنى هذا القول انهم عابوا القران وجعلوه اساطير الاولين وما سطر الاولون في كتبهم الحكم

والعلوم النافعة وما لا يعاب قايله واجيب عنه انهم لما نسبوا القرآن الى اساطير الاولين بمعنى
ليس يوحى من الله تعالى وانما هو اخبار مجردة كما نرى اخبار الاولين وقيل في معنى اساطير الاولين انها
الترهات وهي عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة يقول قايلهم اخذنا في الترهات بمعنى
عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذي لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا
يتضح من الامور المشكلة الغامضة التي لا اصل لها قوله عز وجل وهم ينهون عنه يعني ينهون الناس
عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينأون عنه يعني ويتباعدون بانفسهم نزلت في كفار مكة كانوا
يمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القرآن
وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت في ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين
عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به يعني ليبعد
حتى روي انه اجتمع اليه رؤوس المشركين وقالوا خذ شابا من اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا فقال ابو
انصفتموني ادفع اليكم ابني تقتلوه واربي لكم ابنكم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا
ابا طالب الى الايمان فقال لولا تعيرني قريش لاقررت بها عينك وقال في ذلك ابياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
ودعوته دينا قد علمت بانه ... من خير اديان البرية دينا وعرضت دينا
لولا الملامة او حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وقوله تعالى وان يهلكون الا انفسهم يعني بما يرجع وبال كفرهم الا عليهم وما يشعرون يعني بذلك
قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار يعني في النار وقع على موضع في كقوله على ملك سليمان اي
في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون
عنك وينأون عنك في تلك الحالة لرايت امرا عجيبا وموقفا فضيعا فقالوا يعني الكفار يا ليتنا
نرد يعني الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين تمنوا ان يردوا الى الدنيا مرة اخرى
حتى يومنوا ولا يكفروا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من
قبل يعني ليس الامر كما قالوا انهم لو ردوا الى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر
والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فلما شهدت عليهم جوارحهم وكفرهم
وكتموه فاظهر الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما
اخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الاية في المنافقين ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون
يعني في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
وما نحن بمبعوثين وهذا خبر عن حال منكري البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبر الكفار عن
احوال القيامة واهوالها وما اعد الله في الآخرة من الثواب للمومنين المطيعين وما اعد الله من العقاب
للكفار والعاصين قالوا يعني الكفار ان هي الا حياتنا الدنيا اي ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما
نحن بمبعوثين يعني بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا خبر من الله عن هولاء الكفار الذين
وقفوا على النار انهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله عز وجل
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم يعني على حكم ربهم وقضائه وقال مقاتل عرضوا على ربهم قال
اليس هذا بالحق اي يقول الله يوم القيامة هذا البعث والنشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا
وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشر حقا قالوا بلى وربنا يعني انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا وقالوا
بلى والله انه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله اليس هذا الحق يعني البعث حقا فلما اجابوا بقولهم

بلى وربنا

بلى وربنا قال ابن عباس للقيامة مواقف ففي موقف منها ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين
وفي موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه في الدنيا قال فذوقوا العذاب اي يقول الله لهم ذلك والخزنة
تقول لهم ذلك بامر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدون الم العذاب وجدان الذايق في شدة
الاحساس بما كنتم تكفرون يعني هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعد الموت قوله تعالى
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى وبالبعث
بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم المقيم وحصول العذاب الاليم في دركات
الجحيم حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة يعني فجاة تهم القيامة فجاة وسميت القيامة ساعة لانها
تفجأ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها احد الا الله تعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لان
حساب الخلايق يوم القيامة يكون في ساعة او اقل من ذلك قالوا يعني منكري البعث وهم كفار قريش ومن
سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد يا حسرتنا يعني يا ويلنا والحسرة التلهف على الشيء الفايت وذكرت
على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه الخاطيين على ما وقع بهم من الحسرة على ما فرطنا فيها يعني في الدنيا
لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها في دار الدنيا
وقال محمد بن جرير الطبري الهاء والالف في قوله فيها تعود الى الصفقة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسر
الذين كذبوا بلقاء الله تعالى عليها من ذكرها اذ كان معلوما ان الخسران لا يكون الا في صفقة بيع قد جرى ومعنى عليهما
الاية قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذي يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر
الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة
بغتة وراوا ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبري بسنده عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال يرى اهل النار منازلهم في الجنة فيقولون يا حسرتنا
وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم يعني اثقالهم على ظهورهم والاوزار الخطايا والذنوب واصل الوزر
الثقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب اوزار لانها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدي
ان المومن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورة واطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا
عملك الصالح فاركبني فقد طالما ركبتك في الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
يعني ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شيء صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك
الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فانا اليوم اركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم
وقال عمرو بن هاني يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح كلما راى هولا من اهوال يوم القيامة زاده خوفا
فيقول له بيس الجليس انت فيقول انا عملك طالما ركبتني فانا اركبك اليوم حتى اخزيك على رووس الخلايق فيركبه
ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه فذلك قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل
كما يذكر في الوزن يذكر في الحال والصفة يقال ثقل علي كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى انهم يقاسون
من الم عذاب ذنوبهم مقاساة يثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم
مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الاية ان اوزارهم لا تزايلهم كما تقول شخصه نصب عيني
اي ذكره ملازم لي الا ساء ما يزرون يعني بيس الشيء شيئا يحملونه وقال ابن عباس بيس الحمل حملوا قوله
عز وجل وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو اي باطل وغرور لا بقاء لها وهذا فيه رد على منكري البعث
في قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله ردا عليهم ومكذبا لهم وما الحياة الدنيا الا
لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المومن والكافر فيه قولان احدهما ان المراد بها حياة الكافر لان المومن اثبات
لا يزداد بحياته في الدنيا الا خيرا لانه يحصل في ايام حياته من الاعمال الصالحة والطاعة ما يكون سببا
لحصول السعادة في الآخرة واما الكافر فان كل حياته في الدنيا وبال عليه قال ابن عباس يريد حياة اهل
الشرك والنفاق والقول الثاني ان هذا عام في حياة المومن والكافر لان الانسان يلتذ باللعب واللهو ثم عند

انقضاؤه يحصل له الحسرة والندامة لأن الذي كان فيه من اللعب واللهو سريع الزوال لا بقاء له فبان بهذا
التفسير أن المراد بهذه الآية حياة المؤمن والكافر وأنه عام فيهما وإنما شبه الحياة الدنيا باللعب
واللهو لسرعة زوالها وقصر عمرها كالشيء الذي يلعب به وقيل معناه أن أمر الدنيا والعمل فيها
لعب ولهو فأما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة وإن كان وقوعه في الدنيا وقيل معناه وما أهل
الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو لأنه لا يحرز شيئا ولاشتغالهم عما أمروا به تسمية إلا لعب ولهو وقوله
تعالى وللدار الآخرة يعني الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله للدار الآخرة خير يعني من الدنيا
وأفضل لأن الدنيا سريعة الزوال والانقطاع للذين يتقون يعني الشرك وقيل يتقون اللعب واللهو
أفلا تعقلون أن الآخرة خير من الدنيا فيعملون لها قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون
يعني قد نعلم يا محمد إنه ليحزنك الذي يقول المشركون لك قال السدي التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل
ابن هشام فقال الأخنس لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس هنا أحد يسمع
كلامك غيري فقال أبو جهل والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية
والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فأنزل الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال
أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت به فأنزل الله هذه الآية
عن علي بن أبي طالب أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل
الله فيهم فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون أخرجه الترمذي من طريقين قال لأنهم كانوا
يعرفون صدقه وأنه ليس بكذاب وإنما حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم فإنهم لا يكذبونك
يعني لا يكذبونك في السر لأنهم قد عرفوا أنك صادق ولكن الظالمين يعني الكافرين بآيات الله يجحدون
يعني في العلانية وذلك أنهم جحدوا القرآن بعد معرفتهم صدق الذي أنزل عليه لعنادهم وكفرهم كما قال
تعالى في حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر الآية يدل على أنهم لم
يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وإنما جحدوا آيات الله وهي القرآن الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى
فإنهم لا يكذبونك فإنهم قد عرفوا صدقك وإنما جحدوا صحة نبوتك ورسالتك قوله عز وجل ولقد
كذبت رسل من قبلك يعني ولقد كذبت الأمم الخالية رسلهم كما كذبوك قومك فصبروا على ما
كذبوا وأوذوا يعني أن الرسل عليهم الصلاة والسلام صبروا على تكذيب قومهم إياهم وصبروا على أذاهم
فاصبر أنت يا محمد على تكذيب قومك وأذاهم لك كما صبر من قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم وإزالة حزنه على تكذيب قومه وأذاهم إياه حتى أتاهم نصرنا يعني بإهلاك من كذبهم
ولا مبدل لكلمات الله يعني ولا ناقض لما حكم الله به من إهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون قال الله كتب الله لأغلبن
أنا ورسلي لا خلف فيما وعد الله به وقوله تعالى ولقد جاءك من نبإ المرسلين يعني ولقد أنزلنا عليك في
القرآن من أخبار المرسلين ما فيه تسلية لك وتسكين قلبك وقال الأخفش من هنا صلة كما تقول أصابنا
من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لأن الواصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الأنبياء وأخبارهم
كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قوله تعالى وإن كان كبر عليك إعراضهم
ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية أن الحارث بن عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من
قريش فقال ائتنا بآية كما كانت الأنبياء تأتي قومها بالآيات فإن فعلت آمنا بك فنزلت هذه الآية
رواه أبو صالح عن ابن عباس ومعنى الآية وإن كان عظم عليك يا محمد إعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك
والإيمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على إيمان قومه أشد الحرص وكانوا إذا سألوه آية
أحب أن يريهم الله ذلك طمعا في إيمانهم فقال الله عز وجل فإن استطعت أن تبتغي يعني تطلب وتتخذ
نفقا في الأرض يعني سربا في الأرض والنفق سرب في الأرض تخلص منه إلى مكان آخر أو سلما في السماء

أو تتخذ

أو تتخذ مصعدا إلى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة فتأتيهم بآية يعني بالآية التي
سألوا عنها ومعنى الآية وإن كان كبر وعظم عليك إعراض قومك عن الإيمان بك فإن قدرت أن تذهب في الأرض
٣٠٦
أو تصعد إلى السماء فتأتيهم بآية تدلهم على صدقك فافعل وإنه حسن حذف جواب الشرط لأنه معلوم عند
السامع والمقصود من هذا أن يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن إيمانهم ولا يتأذى بسبب
إعراضهم عنه وعن الإيمان به ويترك الحرص عليه قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى أخبر الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم إنما تركوا الإيمان وأعرضوا عنه وأقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ
قضائه فيهم وأنه لو شاء لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين يعني بأنه لو شاء الله لجمعهم على
الهدى وأنه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه ولا يشتد تحسرك على تكذيبهم ولا تجزع من
إعراضهم فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وإنما نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا
حزب
له عن هذه الحالة قوله عز وجل إنما يستجيب الذين يسمعون يعني المؤمنين الذين فتح الله
أسماعهم قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله على
سمعه وقلبه وهو قوله والموتى يعني الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون يبعثهم الله يعني يوم القيامة
ثم إليه يرجعون فيجزيهم بأعمالهم وقالوا يعني رؤساء كفار قريش لولا يعني هلا نزل عليه
آية من ربه يعني الملك ليشهد لمحمد بالنبوة وقيل الآية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الأنبياء
قل يعني قل لهم يا محمد إن الله قادر على أن ينزل آية يعني أنه تعالى قادر على إيجاد ما طلبوه وإنزال
ما اقترحوه من الآيات والمعجزات الباهرات ولكن أكثرهم لا يعلمون يعني ما عليهم في إنزالها من
العذاب إن لم يؤمنوا بها وقيل معناه أنهم لا يعلمون أن الله قادر على إنزال الآيات وقيل إنهم لا يعلمون
وجه المصلحة في إنزالها قوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم
قال العلماء جميع ما خلقه الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين إما أن يدب على وجه الأرض أو يطير
في الهواء حتى لقد ألحقوا حيوان الماء بالطير لأن الحيتان تسبح في الماء كما أن الطير تسبح في الهواء وإنما خص
ما في الأرض بالذكر دون ما في السماء وإن كان ما في السماء مخلوقا له لأن الاحتجاج بالمشاهد أظهر
وأولى مما لا يشاهد وإنما ذكر الجناح في قوله بجناحيه للتوكيد كقوله كتبت بيدي ونظرت بعيني
إلا أمم أمثالكم قال مجاهد أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير
أمة والدواب أمة والسباع أمة تعرف بأسمائها مثل بني آدم يعرفون بأسمائهم كما يقال الإنس
والناس ويدل على أن كل جنس من الدواب أمة ما روي عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا
أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم أخرجه الترمذي والنسائي فإن قلت
ثبت بالآية والحديث أن الدواب والطير أمم أمثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فما يطلب
لنا فما وجه هذه المماثلة قلت اختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقيل إن هذه الحيوانات
تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلي له كما أنكم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل
إنها مخلوقة لله عز وجل كما أنكم مخلوقون لله عز وجل وأنها يفهم بعضها عن بعض ويألف بعضها بعضا
كما أن جنس الإنسان يألف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل أمثالكم في طلب الرزق وتوقي
المهالك ومعرفة الذكر والأنثى وقيل أمثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب
حتى يقتص للجماء من القرناء وهو قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني في اللوح المحفوظ
لأنه يشتمل على جميع أحوال المخلوقات وقيل إن المراد بالكتاب القرآن يعني أن القرآن مشتمل على جميع
الأحوال ثم إلى ربهم يحشرون يعني الدواب والطير قال ابن عباس حشرها موتها وقال
أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدله أن يأخذ
للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا م عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

تودي الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء قوله عز وجل والذين
كذبوا باياتنا يعني بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وادلته على توحيده
صم يعني لا يسمعون الخير بكم يعني عن التكلم به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع
ولا يتكلم ولهذا شبههم الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم في الظلمات يعني في ظلمة الكفر
حائرين مترددين فيها لا يهتدون سبيلا من يشا الله يضلله يعني عن الايمان ومن يشا يجعله
على صراط مستقيم يعني ومن يشا يجعله على دين الاسلام وفي هذه الاية دليل على ان الهادي والمضل
هو الله تعالى فمن اراد هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان ومن اراد ضلالته تركه على كفره
وهذا عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قوله تعالى قل ارايتكم
يعني قل يا محمد لهولاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبروني
تقول العرب ارايتك بمعنى اخبرني عن حالك واصله ارايتم والكاف فيه للتاكيد ان اتاكم عذاب
الله يعني قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والمسخ والصواعق ونحو
ذلك من العذاب او اتتكم الساعة يعني القيامة اغير الله تدعون يعني في كشف العذاب
عنكم ان كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعنى الاية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا
الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام فقيل لهم اترجعون الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه
ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء بل اياه تدعون يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف
ما نزل بكم فيكشف ما تدعون اليه ان شاء يعني فيكشف الضر الذي من اجله دعوتموه وانما
قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها بمشيئة الله تعالى وتنسون ما
تشركون يعني وتتركون دعاء الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع
وقيل معناه في تركهم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا معنى قول الحسن كانه قال وتعرضون عنها
اعراض الناسي لها قوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك يعني في الاية محذوف والتقدير ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوا وكفروا وحسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع
فاخذناهم بالباساء يعني بالفقر الشديد واصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل الباساء
شدة الجوع والضراء يعني الامراض والاوجاع والزمانة لعلهم يتضرعون يعني يخضعون ويتوبون
والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد واصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود الاية
ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد ارسل من قبله رسلا الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان
اخذوا بالباساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وفيه تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم فلولا يعني فهلا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع فلم يتضرعوا
ولكن قست قلوبهم فيه تقبيح ولكن غلظت قلوبهم فلم تخضع ولم تخشع بل قاموا على
كفرهم وتكذيبهم رسلهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني من الكفر والتكذيب
وتزيين الشيطان اغواؤه لما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين لهم الشيطان الضلالة
التي كانوا عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل قوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا
ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما امرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشيء
معرض عنه لانه قد صيره بمنزلة ما قد نسي فتحنا عليهم ابواب كل شيء يعني بدلنا مكان
الباساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش ومكان الضر الصحة والسلامة في الابدان والاجسام
والمعيشة وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى فلما فتح الله عليهم
ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كما فرح قارون
بما اوتي من الكنوز الدنيا اخذناهم بغتة يعني جاءهم عذابنا فجاءة من حيث لا يشعرون

قال الحسن

أنكى

ونهى

وذلك استدراج منه لهم ... فتحنا عليهم ... كل شيء ... حتى اذا فرحوا بما اوتوا ... الدنيا والصحة ...

قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما اخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون اشد
لتحسرهم على ما فاتهم من السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فاخذناهم في امن ما كانوا واعجب
ما كانت عليهم فاذا هم مبلسون اي ايسون من كل خير وقال الفراء المبلس اليائس المنقطع رجاؤه
ولذلك يقال للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن
والحسرة وقال ابو عبيدة المبلس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك
استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الاية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري وقوله فقطع
دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم الذين يدبرهم يقال دبر فلان القوم اذا كان اخرهم والمعنى
انهم استوصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية والحمد لله رب العالمين قال الزجاج حمد الله نفسه
على ان قطع دابرهم لان قطع دابرهم نعمة انعم الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليما للرسل
ومن امن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ربهم
اذا اهلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على
رسله واهل طاعته باظهار حججهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستيصالهم بالعذاب قوله تعالى
قل ارايتم اي قل يا محمد لهولاء المشركين ان اخذ الله سمعكم يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى
لا تسمعوا شيئا وابصاركم يعني واخذ ابصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا شيئا اصلا وختم
على قلوبكم يعني لا تفقهوا شيئا اصلا ولا تعرفون من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضاء
الثلاثة لانها اشرف اعضاء الانسان واذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد امره وبطلت
مصالحه في الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان
القادر على ايجاد هذه الاعضاء واخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها وهو
قوله تعالى من اله غير الله ياتيكم به يعني بما اخذ الله منكم ان الضمير في به يعود على
معنى الفعل ويجوز ان يعود على الشيء الذي ذكر اولا ويندرج تحته غيره انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم ويدخل معه غيره اي انظر يا محمد كيف نصرف الايات اي كيف نبين لهم العلامات الدالة على
التوحيد والنبوة ثم هم يصدفون يعني يعرضون عنها مكذبين لها قل ارايتكم ان اتاكم عذاب
الله بغتة يعني فجاءة او جهرة يعني معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس ليلا او نهارا هل يهلك
الا القوم الظالمون يعني المشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك قوله عز وجل وما نرسل المرسلين
الا مبشرين يعني لمن امن بالثواب ومنذرين يعني لمن اقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس في ارسالهم
ان ياتوا الناس بما يقترحون عليهم من الايات انما ارسلوا بالبشارة والنذارة فمن امن واصلح يعني
امن بهم واصلح العمل لله فلا خوف عليهم يعني حين يخاف اهل النار ولا هم يحزنون اي اذا حزن غيرهم
والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب يعني يصيبهم العذاب بما كانوا يفسقون يعني بسبب
ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة قوله تعالى قل لا اقول لكم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني
قل لهولاء المشركين لا اقول لكم عندي خزائن الله نزلت حين اقترحوا عليه الايات فامره الله تعالى
ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا اقول لكم عندي خزائن الله جمع خزانة وهو اسم للمكان
الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي والمعنى ليس عندي خزائن رزقه فاعطيكم
منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه
ان يوسع علينا عيشنا ويغني فقراءنا فاخبر ان ذلك بيد الله لا بيدي ولا اعلم الغيب يعني
فاخبركم بما مضى وما سيقع في المستقبل حتى تستعدوا لتحصيل المصالح ودفع المضار واجابهم
بقوله ولا اعلم الغيب اخبركم بما تريدون ولا اقول لكم اني ملك وذلك انهم قالوا ما لهذا

٣٠١

واستاصلناهم ... ومعنى ... قطع ...

وذلك انهم كانوا ... لمصالح ما ... المستقبل

الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتزوج النساء، فأجابهم بقوله **ولا أقول لكم إني ملك** لأن الملك
يقدر ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون، والمعنى لست أقول شيئا من ذلك ولا أدعيه فتنكرون قولي
وتجحدون أمري، وإنما نفى عن نفسه الشريفة هذه الأشياء تواضعا لله واعترافا له بالعبودية وأن لا يقترحوا
عليه الآيات العظام **إن أتبع إلا ما يوحى إلي** يعني ما أخبركم إلا بوحي من الله أنزله علي ومعنى الآية
أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلمهم أنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي وأنه لا يعلم الغيب
فيخبر بما كان وما سيكون وأنه ليس بملك حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر إنما يتبع ما يوحى إليه
من ربه عز وجل فما أخبر عنه من غيب فبوحي إليه وظاهر الآية يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما
كان يحكم في شيء من الأحكام بل جميع أوامره ونواهيه إنما كانت بوحي من الله إليه **قل هل يستوي**
الأعمى والبصير يعني المؤمن والكافر والضال والمهتدي والعالم والجاهل **أفلا تتفكرون** يعني
إنهما لا يستويان قوله عز وجل **وأنذر به** يعني وخوف بالقرآن والإنذار إعلام مع تخويف **الذين يخافون**
أن يحشروا إلى ربهم قال ابن عباس يريد المؤمنين لأنهم يخافون يوم القيامة وما فيه من
شدة الأهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وإنما خص الذين
يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وإن كان إنذار النبي صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لأن الحجة عليهم أوكد
من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لأنهم لا يعتقدون صحته ولذلك
قال يخافون أن يحشروا إلى ربهم وقيل المراد به الإنذار جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر
وكل كافر منكر له لأنه ليس أحد إلا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه أو كان يشك فيه ولأن دعوة النبي
صلى الله عليه وسلم وإنذاره لجميع الخلق **ليس لهم من دونه** يعني من دون الله **ولي** أي قريب ينفعهم
ولا شفيع يشفع لهم وهذا فيه إشكال وهو أن فسرنا الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم أن المراد
بهم الكفار فلا إشكال فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وإن فسرنا الذين يخافون أن
يحشروا إلى ربهم أن المراد بهم المؤمنون ففيه إشكال لأنه قد ثبت بصحيح النقل الشفاعة لنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم للمذنبين من أمته وكذلك تشفع الملائكة والأنبياء والمؤمنون بعضهم لبعض
والجواب عن هذا الإشكال أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله لهم في الشفاعة فإذا أذن الله لهم فيها
كان للمؤمنين ولي وشفيع **لعلهم يتقون** يعني ما نهيتهم عنه قوله تعالى **ولا تطرد الذين يدعون**
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه قال سلمان وخباب بن الأرت فينا نزلت هذه الآية
جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله
عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله
حقروهم فأتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم
وكانت عليهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا
فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا
فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك كتابا قال فأتوا بالصحيفة ودعا
عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم
إلى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا
فأتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم
قام وتركنا فأنزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته
فإذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني

حتى أمرني

٣٠٨

حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات. وروي عن سعد بن أبي وقاص قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال
وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
أخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له يعني أشراف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا أفعل قالوا فاجعل
المجلس واحدا وأقبل علينا وولّ ظهرك إليهم فأنزل الله هذه الآية قال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم
عبد يعني ابن مسعود لبايعناك فأنزل الله هذه الآية وقال ابن مسعود مر ملأ من قريش بالنبي صلى الله
عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء
بدلا من قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم فلعلك إن طردتهم أن
نتبعك فنزلت هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن
نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا طالب
لو أن ابن أخيك محمدا يطرد عنا موالينا وحلفاءنا فإنما هم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم في صدورنا وأطوع
له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له قال فأتى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه
به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون وإلى ما يصيرون من قولهم فأنزل الله عز وجل
هذه الآية وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم إلى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين فجاء عمر فاعتذر من
مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الأولى عن سلمان وخباب بن الأرت فرق كثير وبعد عظيم
وهو أن إسلام سلمان كان بالمدينة وكان إسلام المؤلفة قلوبهم بعد الفتح وسورة الأنعام مكية والصحيح
ما روي عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة في ذلك ويعضده حديث سعد بن أبي وقاص المخرج في صحيح مسلم من أن
المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء يعني ضعفاء المسلمين والله أعلم وأما معنى الآية
فقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ولا تطرد هؤلاء
الضعفاء عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لأجل ضعفهم وفقرهم ثم مدحهم فقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى
عنه أن المراد منه الصلوات الخمس وإنما ذكر هذين الوقتين تنبيها على شرفهما لأنهم مواظبون عليهما
مع بقية الصلاة لفضل الوقتين قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الإمام ابتدر الناس
القاص فقال سعيد بن المسيب ما أسرع الناس إلى هذا المجلس فقال مجاهد يتأولون قوله تعالى يدعون
ربهم بالغداة والعشي قال أو في هذا هو إنما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن وقال ابن عباس إن
ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من أشراف الناس نؤمن لك وإذا صلينا
فأخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذكر والمعنى أنهم كانوا
يذكرون ربهم ويدعونه طرفي النهار يريدون وجهه يعني يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين
في عبادتهم وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى **ما عليك من حسابهم من شيء وما من**
حسابك عليهم من شيء يعني لا تكلف أمرهم ولا يكلفون أمرك وقيل ليس عليك حساب رزقهم
فتملهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم إنما الرازق لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك
فتطردهم فتكون من الظالمين يعني بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفي
وهو قوله ما عليك من حسابهم من شيء وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وهو قوله ولا تطرد
الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا
إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يطرد الفقراء عن مجلسه لأجل الأشراف عاتبه الله على ذلك
ونهاه عن طردهم وذلك يقدح في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب

عن هذا الاحتجاج أن النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا همّ بطردهم لأجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وإنما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بهؤلاء الأشراف في إدخالهم في الإسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه فأعلمه الله أن إدناء هؤلاء الفقراء أولى من الهم بطردهم فقربهم منه وأدناهم وأما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه فيكون المعنى أن أولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلا تهم بطردهم عنك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الأفضل والأولى لا من باب ترك الواجبات والله أعلم قوله عز وجل **وكذلك فتنا بعضهم ببعض** يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقير والفقير بالغني والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف فكل أحد مبتلى بضده فكان ابتلاء الأغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم إلى الإسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الإسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم وأما فتنة الفقراء بالأغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة لهم **ليقولوا** يعني الأغنياء والشرفاء والرؤساء **أهؤلاء من الله عليهم من بيننا** يعني من على الفقراء والضعفاء بالإسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فأجابهم بقوله **أليس الله بأعلم بالشاكرين** يعني أنه تعالى أعلم بخلقه وبأحوالهم وأعلم بالشاكرين من الكافرين قوله تعالى **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم** قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه عن طردهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال عطاء نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والأرقم بن أبي الأرقم وأبي سلمة بن عبد الأسد وقيل إن الآية عامة في كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من مقالته التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما أردت إلا الخير فنزلت وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم **كتب ربكم** يعني فرض ربكم وقضى ربكم **على نفسه الرحمة** وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا أنه تعالى يتصرف في عباده كيف يشاء وأراد فأوجب على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لأنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين **أنه من عمل منكم سوءا بجهالة** قال مجاهد كل من عمل ذنبا أو خطيئة فهو بها جاهل واختلفوا في سبب هذا الجهل فقيل لأنه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته من الثواب وقيل إنه وإن علم أن عاقبة ذلك السوء والفعل القبيح مذمومة إلا أنه آثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل ومن آثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل إنه لما فعل فعل الجهال نسب إلى الجهل وإن لم يكن جاهلا **ثم تاب من بعده** يعني من بعد ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه **وأصلح** يعني أصلح العمل في المستقبل وقيل أخلص توبته وندم على فعله **فأنه غفور** يعني لمن تاب من ذنوبه **رحيم** بعباده قال خالد بن دينار كنا إذا دخلنا على أبي العالية قال وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية عن أبي سعيد الخدري قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا إذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ لنا يقرأ علينا وكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم قال فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحدا غيري ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون

الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام أخرجه أبو داود قوله عز وجل **وكذلك نفصل الآيات** يعني وكما فصلنا لك يا محمد في هذه السورة دلائلنا على صحة التوحيد وإبطال ما هم عليه من الشرك كذلك نميز ونبين لك أدلتنا وحججنا وبراهيننا على تقرير كل حق ينكره أهل الباطل **ولتستبين** قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ولتظهر لك الحق يا محمد وتبين لك **سبيل المجرمين** يعني طريق هؤلاء المجرمين وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة إذا صاروا إلى النار قوله تعالى **قل** أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين **إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله** يعني نهيت أن أعبد الأصنام التي تعبدونها أنتم من دون الله وقيل تدعونها أنتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لأن الجمادات أخس من أن تعبد أو تدعى وإن كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله تعالى **قل لا أتبع أهواءكم** يعني في عبادة الأصنام وطرد الفقراء **قد ضللت إذا** يعني إن عبدتها **وما أنا من المهتدين** يعني لو عبدتها **قل** يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين **إني على بينة من ربي** قال ابن عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى إني على بيان وبصيرة من عبادة ربي **وكذبتم به** يعني وكذبتم بالبينات التي جئت بها من عند ربي وهو القرآن والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك **ما عندي ما تستعجلون به** يعني هذا العذاب وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد ائتنا بما تعدنا يعني من نزول العذاب فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما عندي ما تستعجلون به لأن إنزال العذاب لا يقدر عليه إلا الله تعالى ولا يقدر أحد على تقديمه ولا تأخيره وقيل كانوا يستعجلون بالآيات التي طلبوها واقترحوها فأعلم الله أن ذلك عنده ليس عند أحد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها **إن الحكم إلا لله** يعني الحكم الذي يفصل بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصي أي ما الحكم المطلق إلا لله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بإنزال العذاب إذا شاء **يقص الحق** قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لأن كل ما أخبر به فهو حق وقرئ يقض بالضاد المعجمة من القضاء يعني أنه تعالى يقضي القضاء الحق **وهو خير الفاصلين** يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين المحق والمبطل لأنه لا يقع في حكمه وقضائه جور ولا حيف على أحد من خلقه **قل لو أن عندي ما تستعجلون به** يعني من إنزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت العجلة مذمومة والإسراع تقريب الشيء في وقته فلذلك كانت السرعة محمودة والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستعجلين بنزول العذاب لو أن عندي ما تستعجلون به لم أمهلكم ساعة ولكن الله حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة وقوله تعالى **لقضي الأمر بيني وبينكم** يعني لانفصل ما بيني وبينكم ولأتيتكم بما تستعجلون به من العذاب **والله أعلم بالظالمين** يعني أنه أعلم بما يستحقونه وقيل علم أنه سيؤمن بعض من كان يستعجل بالعذاب فلذلك أخره عنهم وقال والله أعلم بالظالمين وبأحوالهم قوله عز وجل **وعنده مفاتح الغيب** المفتاح الذي يفتح به المغلاق وجمعه مفاتيح ويقال فيه مفتح بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الأشياء فهي مفتح وجمعه مفاتح وعنده مفاتح الغيب يحتمل أن يكون المراد منه المفاتيح التي يفتح بها ويحتمل أن يكون المراد منه الخزائن فعلى التفسير الأول فقد جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتيح هي التي يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل إلى ما فيها فهو عالم وكذلك هاهنا لأن الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها وما لم يغب عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون المعنى وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلف أقوال المفسرين في قوله وعنده مفاتح الغيب **لا يعلمها إلا هو** فقيل مفاتح الغيب خمس وهو ما روي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

فالمفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله تعالى لا يعلم أحد ما يكون في غد إلا الله ولا يعلم ما يكون في الأرحام
إلا الله ولا تعلم نفس ما تكسب غدا ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا يعلم أحد متى يجيء المطر وفي رواية أخرى
لا يعلم أحد ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي
أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى الساعة إلا الله أخرجه البخاري وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن
الأرض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الآجال وعلم أحوال
العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هو ما لم يكن بعد أن يكون أو لا يكون وكيف يكون لو كان كيف
يكون وقال ابن مسعود أوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء إلا مفاتح الغيب وقال ابن عباس إنها
خزائن غيب السماوات والأرض من الأقدار والأرزاق **ويعلم ما في البر والبحر** قال مجاهد البر المفاوز
والقفار والبحر القرى والأمصار لا يحدث فيهما شيء إلا وهو يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر والبحر
المعروف لأن جميع الأرض إما بر وإما بحر وكل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل
على عظيم قدرته وسعة علمه **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها** يريد ساقطة وثابتة والمعنى أنه
يعلم عدد ما يسقط من الورق وما يبقى على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن إلى أن تسقط على الأرض
ولا حبة في ظلمات الأرض قيل هو الحب المعروف يكون في بطن الأرض قبل أن ينبت وقيل هي الحبة
التي في الصخرة التي في أسفل الأرضين **ولا رطب ولا يابس** قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية
وقال ابن يزيد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحي واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء
لأن جميع الأشياء إما رطبة وإما يابسة فإن قلت إن جميع هذه الأشياء داخلة تحت قوله وعنده مفاتح
الغيب فلم أفرد هذه الأشياء بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال الله تعالى وعنده مفاتح الغيب على
سبيل الإجمال ذكر من بعض ذلك الإجمال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الأشياء المحسوسة لتدل بها على
غيرها فبدأ بذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقرى والقفار والجبال وكثرة ما فيهما
من المعادن والحيوانات وأصناف المخلوقات ما يعجز الوصف عن إدراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو أقل من ذلك
وهو مشاهد لكل أحد لأن الورقة الساقطة والثابتة يراها كل أحد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها إلا
الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثلا يجمع الكل وهو الرطب
واليابس فذكر هذه الأشياء وأنه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الأمثال منبهة
على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير قوله تعالى **إلا في كتاب مبين** فيه قولان
أحدهما أن الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يتغير ولا يبدل والثاني أن المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ
لأن الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السماوات والأرض وفائدة إحصاء الأشياء كلها في هذا
الكتاب لتقف الملائكة على إنفاذ علمه وأنه نبه بذلك على تعظيم الحساب وأعلم عباده أنه لا يفوته شيء
مما يصنعونه لأن من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع
قوله تعالى **وهو الذي يتوفاكم بالليل** يعني يقبض أرواحكم إذا نمتم بالليل **ويعلم ما جرحتم** ما كسبتم
بالنهار ثم يبعثكم فيه أي يوقظكم فيه أي في النهار **ليقضى أجل مسمى** يعني أجل الحياة إلى
الممات يريد استيفاء العمر على التمام **ثم إليه مرجعكم** في الآخرة **ثم ينبئكم** أي يخبركم **بما كنتم
تعملون وهو القاهر فوق عباده** يعني وهو العالي عليهم بقدرته لأن كل من قهر شيئا وغلبه فهو
مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان يعني أنه أقدر منه وأغلب هذا مذهب
أهل التأويل في معنى لفظة فوق في قوله وهو القاهر فوق عباده وأما مذهب السلف فيها فإقرارها
كما جاءت من غير تكييف ولا تأويل بلا حلول ولا جهة والقاهر هو الغالب لغيره المذلل له والله تعالى هو
القاهر لخلقه فهو قهر كل شيء بقدرته وقهر الحياة بالموت والإيجاد بالإعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة
وقوله تعالى **ويرسل عليكم حفظة** يعني أنه من جملة قهره لعباده إرسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة

الملائكة

٣١

الملائكة التي يحفظون أعمال بني آدم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الأقوال والأفعال قيل
إن مع كل إنسان ملكين ملك عن يمينه وملك عن شماله فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين وإذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر لعله يتوب منها فإن لم يتب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفائدة جعل
الملائكة موكلين بالإنسان أنه إذا علم أن له حافظا من الملائكة موكلا به يحفظ عليه أقواله وأفعاله في صحائف تنشر
له وتقرأ عليه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد كان ذلك زاجرا له عن فعل القبيح وترك المعاصي وقيل المراد بقوله
ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بني آدم ويحفظون أجسادهم وقال قتادة حفظة يحفظون
على ابن آدم رزقه وأجله وعمله **حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا** يعني أعوان ملك الموت الموكلين
بقبض أرواح البشر فإن قلت قال الله تعالى في آية أخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال هنا توفته
رسلنا فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت وجه الجمع بين هذه الآيات أن المتوفي في الحقيقة هو الله
تعالى فإذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه ولملك الموت أعوان من الملائكة فيأمرهم بنزع
روح ذلك العبد من جسده فإذا وصلت إلى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه فحصل الجمع بين الآيات
وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده يشاء وجعلت له أعوان ينتزعون الأنفس ثم يقبضها منهم
وقال العلماء من الخارجين يشعرون لا مرد إلا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل إن الأرواح إذا كثرت
عليه يدعوها فتستجيب له وقوله **وهم لا يفرطون** يعني الرسل لا يقصرون فيما أمروا ولا يضيعون قوله
عز وجل **ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق** يعني ثم ردوا العباد بالموت إلى الله في الآخرة وإنما قال مولاهم
الحق لأنهم كانوا في الدنيا تحت أيدي موال باطلين والله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق **ألا له الحكم**
يعني لا حكم إلا له **وهو أسرع الحاسبين** يعني أنه تعالى أسرع من حسب لأنه لا يحتاج إلى فكر وروية وعقد
يد فيحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض قوله تعالى **قل من ينجيكم من ظلمات البر** يعني
يا محمد قل لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الأصنام من دون الله من ذا الذي ينجيكم من ظلمات البر **والبحر** إذا
ضللتم فيه وتحيرتم وأظلمت عليكم الطرق ومن ذا الذي ينجيكم من ظلمات البحر إذا ركبتم فيه فأخطأتم
الطريق وأظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد والأهوال
وقيل حمله على الحقيقة أولى فظلمة البر هو ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل من ذلك
الخوف الشديد لعدم الاهتداء إلى الطريق الصواب وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب
وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة فيحصل من ذلك الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك
فالمقصود أن عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان فيها إلا إلى الله
سبحانه وتعالى لأنه هو القادر على كشف الكروب وإزالة الشدائد وهو المراد من قوله تعالى **تدعونه
تضرعا وخفية** فإذا اشتد بكم الأمر تخلصون له الدعاء تضرعا منكم إليه واستكانة جهرا وخفية
يعني سرا وحالا وتقولون **لئن أنجيتنا من هذه** يعني قائلين في حال الدعاء والتضرع لئن أنجيتنا من هذه الظلمات
وخلصتنا من الهلاك **لنكونن من الشاكرين** يعني لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع
القيام بحقها لمن أنعم بها **قل الله ينجيكم منها** يعني من الظلمات والشدائد التي أنتم فيها **ومن كل
كرب** يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب أيضا والكرب هو الغم الشديد الذي يأخذ بالنفس **ثم أنتم
تشركون** يريد أنهم يقرون بأن الذي أنجاهم من هذه الشدائد هو الله تعالى ثم إنهم بعد ذلك الإقرار
تشركون معه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع قوله عز وجل **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا
من فوقكم** أي قل يا محمد لقومك إن الله هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني الصيحة
والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود ولوط **أو من تحت أرجلكم** يعني الرجفة
والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني أئمة السوء
والسلاطين الظلمة أو من تحت أرجلكم يعني عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعني من قبل كباركم

أو من تحت أرجلكم يعني السفلة أو يلبسكم شيعا الشيع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة
وأتباع وأصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم
الإنسان قال الزجاج في قوله أو يلبسكم شيعا يعني يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم
فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا ويذيق بعضكم بأس بعض قال ابن عباس في قوله أو يلبسكم شيعا
يعني الأهواء المختلفة ويذيق بعضكم بأس بعض يعني أنه يقتل بعضكم بيد بعض وقال مجاهد يعني أهواء
مختلفة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف قال ابن زيد هو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف
والأهواء وسفك بعضهم دم بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عني بهذه الآية فقال قوم عني بها المسلمين
من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت هذه الآية قال أبو العالية في قوله قل هو القادر على أن
يبعث عليكم عذابا من فوقكم الآية قال هن أربع وكلهن عذاب فجاء اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخمس وعشرين سنة ثم ألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان وهما لا بد واقعتان يعني
الخسف والمسخ وعن أبي بن كعب نحوه هن أربع خلال وكلهن واقع قبل يوم القيامة مضت اثنتان بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ثم ألبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض وثنتان
واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم أو من تحت أرجلكم لأمة محمد فأعفاهم
منه أو يلبسكم شيعا ما كان بينهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم بأس بعض
يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عن جابر قال لما نزلت
هذه الآية قل هو القادر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم
على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم
قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذا أهون أو هذا أيسر
(م) عن عامر بن سعد عن أبيه وقاص أنه أقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى إذا مر
بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال سألت
ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا
يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها عن خباب بن الأرت قال
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فأطالها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال أجل
إنها صلاة رغبة ورهبة إني سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك
أمتي بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق
بعضهم بأس بعض فمنعنيها أخرجه الترمذي وقوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات أي انظر يا محمد
كيف نبين دلائلنا وحججنا لهؤلاء المكذبين لعلهم يفقهون يعني يفهمون ويعتبرون فيزدجروا
ويرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب قوله تعالى وكذب به قومك يعني بالقرآن وهو الحق
يعني في كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير في به يرجع إلى العذاب وهو الحق يعني في أنه
نازل بهم إن أقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع إلى تصريف الآيات وهو الحق لأنهم
كذبوا كونها من عند الله قل لست عليكم بوكيل أي قل يا محمد لهؤلاء المكذبين لست عليكم بحافظ
حتى أجازيكم على تكذيبكم وإعراضكم عن قبول الحق بل إنما أنا منذر والله هو المجازي لكم على أعمالكم
وقيل معناه إنما أدعوكم إلى الله وإلى الإيمان به ولم أومر بحربكم فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة
بآية السيف وقيل في معنى الآية قل لست عليكم بوكيل يعني حفيظ إنما أطالبكم بالظاهر من الإقرار
والعمل لا بما تحويه الضمائر والأسرار فعلى هذا تكون الآية محكمة لكل نبإ مستقر أي لكل خبر من أخبار
القرآن حقيقة ومنتهى ينتهي إليه ما في الدنيا وما في الآخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان
يقع فيه من غير خلف ولا تأخير فكان ما وعدهم به من العذاب في الدنيا وقع يوم بدر وسوف تعلمون
يعني صحة هذا الخبر إما في الدنيا وإما في الآخرة قوله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا

الخطاب في

الخطاب في وإذا رأيت للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى إذا رأيت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يخوضون في
آياتنا يعني القرآن الذي أنزلناه إليك والخوض في اللغة هو الشروع في الماء والعبور فيه ويستعار في الأخذ
في الحديث والشروع فيه يقال تخاوضوا في الحديث وتفاوضوا فيه لكن أكثر ما يستعمل الخوض في الحديث
على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وقيل الخطاب في وإذا رأيت لكل فرد
وتفاوضوا
من الناس والمعنى وإذا رأيت أيها الإنسان الذين يخوضون في آياتنا وذلك أن المشركين كانوا إذا جالسوا
المؤمنين وقعوا في الاستهزاء بالقرآن وبمن أنزله وبمن أنزل عليه فنهاهم الله عن أن يقعدوا معهم
في وقت الاستهزاء بقوله فأعرض عنهم يعني فاتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره
يعني حتى يكون خوضهم في غير القرآن والاستهزاء به وإما ينسينك الشيطان يعني فقعدت معهم
فلا تقعد بعد الذكرى يعني إذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد مع القوم الظالمين يعني المشركين
وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية وإذا رأيت الذين
يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد في المسجد الحرام أو نطوف بالبيت وهم
يخوضون وفي رواية قال المسلمون إنا نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم فأنزل الله هذه الآية
وما على الذين يتقون أي يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شيء يعني
ليس عليهم شيء من حسابهم ولا آثام ولكن ذكرى يعني ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن
عليكم أن تذكروهم لعلهم يتقون يعني لعل تلك الذكرى تمنعهم من الخوض والاستهزاء فصل
قال سعيد بن المسيب وابن جريج ومقاتل هذه الآية منسوخة بالآية التي في سورة النساء وهي قوله
تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وذهب الجمهور إلى أنها محكمة
لا نسخ فيها لأنها خبر والخبر لا يدخله النسخ لأنها إنما دلت على أن كل إنسان إنما يختص بحساب نفسه
لا بحساب غيره قيل إنما أباح لهم القعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تكون منسوخة قوله
عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وذر يا محمد
هؤلاء المشركين الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعني اتخذوا دينهم الذي أمروا به ودعوا إليه وهو
دين الإسلام لعبا ولهوا وذلك حين سخروا به واستهزءوا به وقيل إنهم اتخذوا عبادة الأصنام لعبا
ولهوا وقيل إن الكفار كانوا إذا سمعوا القرآن لعبوا ولهوا عند سماعه وقيل إن الله جعل لكل قوم عيدا
فاتخذ كل قوم دينهم يعني عيدهم لعبا ولهوا يلعبون ويلهون فيه إلا المسلمين فإنهم اتخذوا عيدهم
صلاة وتكبيرا وفعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة وغرتهم الحياة الدنيا
يعني أنهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لأجل أنهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فأعرضوا
عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا ولهوا ومعنى الآية وذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وأعرض عنهم
ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضي الإعراض عنهم ثم نسخ ذلك الإعراض بآية السيف
وهو قول قتادة والسدي وقيل إنه خرج مخرج التهديد فهو كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا وهذا قول
مجاهد فعلى هذا تكون الآية محكمة وقيل المراد بالإعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك
الإنذار والتخويف ويدل عليه قوله تعالى وذكر به يعني وذكر بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين
أن تبسل نفس بما كسبت أي لئلا تبسل نفس وأصل البسل في اللغة التحريم وضم الشيء
ومنعه وهذا عليك بسل أي حرام ممنوع ومعنى تبسل نفس بما كسبت أن ترتهن وتحبس في جهنم
وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الآثام وقال ابن عباس تبسل تهلك وقال قتادة تحبس
يعني في جهنم وتحرق في النار وقال ابن زيد تؤخذ يعني بما كسبت وقيل تفضح والمعنى وذكرهم

بالقرآن ومواعظه وعرفهم الشرع لكيلا تهلك نفوس وترتهن في جهنم بسبب الجنايات التي اكتسبت في الدنيا وتحرم الثواب في الآخرة **ليس لها** يعني لتلك النفوس التي هلكت **من دون الله ولي** ولا قريب يلي أمرها **ولا شفيع** يعني يشفع لها في الآخرة **وإن تعدل كل عدل** يعني وإن تفتدي بكل فداء والعدل الفدا **لا يؤخذ منها** يعني ذلك الفداء وذلك العدل والفدية **أولئك الذين** إشارة إلى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا **أبسلوا بما كسبوا** يعني أسلموا إلى الهلاك بسبب ما اكتسبوا **لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** ذلك لهم بسبب كفرهم قوله تعالى **قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا** يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك إلى دين آبائك أندعوا يعني نعبد من دون الله يعني الأصنام التي لا تنفعهم لمن عبدها ولا تضر من ترك عبادتها **ونرد على أعقابنا** يعني ونرد إلى الشرك **بعد إذ هدانا الله** يعني إلى دين الإسلام والتوحيد **كالذي استهوته الشياطين في الأرض** يعني كالذي ذهبت به الشياطين فألقته في هوية من الأرض وأصله من الهوي وهو النزول من أعلا إلى أسفل **حيران** يقال حار فلان في الأمر إذا تردد فيه فلم يهتد إلى الصواب ولا إلى الخروج منه **له أصحاب يدعونه إلى الهدى** يعني لهذا المتحير الذي استهوته الشياطين أصحاب على الطريق المستقيم **ائتنا** يعني يقولون ائتنا وهذا مثل ضربه الله لمن يدعوا إلى عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ولمن يدعوا إلى عبادة الله عز وجل الذي يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل في رفقة ضل به الغول والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل أصحابه من أهل رفقته يدعونه إليهم يقولون هلم إلى الطريق المستقيم وجعل الغيلان يدعونه إليهم فبقي حيران لا يدري أين يذهب فإن أجاب الغيلان ضل وهلك وإن أجاب أصحابه اهتدى وسلم **قل إن هدى الله هو الهدى** يعني أن طريق الله التي أوضحها لعباده ودينه الذي شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الأصنام وفيه زجر عن عبادة غيره كأنه يقول لا تفعل ذلك فإن هدى الله هو الهدى لا هدى غيره **وأمرنا لنسلم** أي وأمرنا أن نسلم ونخلص العبادة **لرب العالمين** لأنه هو الذي يستحق العبادة لا غيره **وأن أقيموا الصلاة واتقوه** يعني وأمرنا بإقامة الصلاة والتقوى لأن فيهما ما يقرب إليه **وهو الذي إليه تحشرون** يعني في يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم قوله عز وجل **وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق** يعني لإظهار الحق وعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام لأنه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكمال قدرته وشمول علمه وإتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على أن كلام الله ليس بمخلوق لأنه لا يخلق مخلوق بمخلوق **ويوم يقول كن فيكون** قيل إنه راجع إلى خلق السماوات والمعنى اذكر يوم قال للسماوات والأرض كن فيكون وقيل يرجع إلى القيامة ويدل على سرعة البعث والحساب كأنه قال ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون **قوله الحق** يعني أن قول الله تبارك وتعالى للشيء إذا أراد كن فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة **وله الملك يوم ينفخ في الصور** إنما أخبر عن ملكه يومئذ وإن كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والآخرة لأنه لا منازع له يومئذ يدعي الملك وأنه المنفرد بالملك يومئذ وأن من كان يدعي الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بأن الملك لله الواحد القهار وأنه لا منازع له فيه وعلموا أن الذي كانوا يدعونه من الملك في الدنيا باطل وغرور واختلف العلماء في الصور المذكور في الآية فقال قوم قرن ينفخ فيه وهو لغة أهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ما روي عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكأن ذلك ثقل على أصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله

توكلنا

توكلنا وربما قال توكلنا على الله أخرجه الترمذي وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيه إحياء وهو نفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الأول أصح لما تقدم في الحديث ولقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى يعني آية أخرى يوم ينفخ فيه أخرى ولإجماع أهل السنة أن المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل نفختان نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى **عالم الغيب والشهادة** يعني أنه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شيء **وهو الحكيم** يعني في جميع أفعاله وتدبير خلقه **الخبير** يعني بكل ما يفعلونه من خير أو شر قوله تعالى **وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر** يعني واذكر يا محمد إذ قال إبراهيم لأبيه آزر ...

وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل وقوله وكذلك نري إبراهيم لأنه تعالى كان أراه بعين البصيرة أن أباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بأن أراه بعد ذلك ملكوت السماوات والأرض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس يعني خلق السماوات والأرض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني آيات السماوات والأرض وذلك أنه أقيم على صخرة وكشف له عن السماوات حتى رأى العرش والكرسي وما في السماوات من العجائب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله وآتيناه أجره في الدنيا يعني أريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الأرض حتى نظر إلى أسفل الأرضين ورأى ما فيها من العجائب قال البغوي روي عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال لما رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال الله تبارك وتعالى يا إبراهيم أنت رجل مجاب الدعوة فلا تدعوا على عبادي فإنما أنا من عبدي على ثلاث خلال إما أن يتوب إلي فأتوب عليه وإما أن أخرج منه نسمة تعبدني وإما أن يبعث إلي فإن شئت عفوت وإن شئت عاقبت وفي رواية وإن تولى فإن جهنم من ورائه قال قتادة ملكوت السماوات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار واختلف في هذه الرؤية هل كانت بعين البصر أو بعين البصيرة على قولين أحدهما أنها كانت بعين البصر الظاهر فشق لإبراهيم السماوات حتى رأى العرش وشق له الأرض حتى رأى ما في بطنها والقول الثاني أن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لأن ملكوت السماوات والأرض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف إلا بالعقل فبان بهذا أن الرؤية كانت بعين البصيرة إلا أن يقال المراد بملكوت السماوات والأرض وقوله تعالى **وليكون من الموقنين** عطف على المعنى ومعناه وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لأن الإنسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة وشك فإذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلا له الأمر سره وعلانيته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله تعالى إنك لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فمعنى الآية على هذا القول وكذلك أريناه ملكوت السماوات والأرض ليكون ممن يوقن علم كل شيء حسا وخبرا قوله تعالى **فلما جن عليه الليل** يقال جن الليل وأجن إذا أظلم وغطى كل شيء وجنه الليل وجن عليه إذا ستره بسواده **رأى كوكبا قال هذا ربي** ذكر أهل العلم في ذلك قال أهل التفسير والأخبار والسير ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء وقال السدي رأى نمرود في منامه كأن كوكبا قد طلع فذهب بنور الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك أهل بيتك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة في ناحيته وأمر

بعزل النساء على الرجال وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فإذا حاضت المرأة خلا بينها وبين
زوجها لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا طهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع آزر فوجد امرأته
قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بإبراهيم وقال محمد بن إسحاق بعث نمروذ إلى كل امرأة حبلى بقرية
فحبسها عنده إلا ما كان من أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحبلها لأنها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل في
بطنها وقال السدي خرج نمروذ بالرجال إلى العسكر وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فمكث
بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من قومه إلا آزر فبعث إليه فأحضره
عنده وقال له إن لي إليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم أبعثك فيها إلا لثقتي بك فأقسمت عليك
أن لا تدنو من أهلك فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجته
ثم قال لو دخلت على أهلي فنظرت إليهم فلما دخل على أم إبراهيم ونظر إليها فلم يتمالك حتى
واقعها فحملت من ساعتها بإبراهيم قال ابن عباس لما حملت أم إبراهيم قال الكهان لنمروذ إن الغلام
الذي أخبرناك به قد حملت به أمه الليلة فأمر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم إبراهيم وأخذها
المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة
ووضعته في حلفاء ثم رجعت فأخبرت زوجها بأنها ولدت وأن الولد في موضع كذا فانطلق إليه أبوه
فأخذه من ذلك المكان وحفر له سربا في النهر فواراه فيه وسد عليه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه
تختلف إليه فترضعه وقال محمد بن إسحاق لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة كانت
قريبا منها فولدت فيها إبراهيم وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة
ثم رجعت إلى بيتها وكانت تختلف إليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص إبهامه قال أبو روق قالت
أم إبراهيم لأنظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع سمنا ومن أصبع عسلا
ومن أصبع تمرا وقال محمد بن إسحاق وكان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما
فمات فصدقها وسكت عنها وكان إبراهيم يشب في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة فلم يمكث
في المغارة إلا خمسة عشر شهرا حتى قال لأمه أخرجيني فأخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السماوات والأرض
وقال إن الذي رزقني وأطعمني وسقاني لربي الذي ما لي إله غيره ونظر في السماء فرأى كوكبا فقال هذا ربي خلقني
ثم أتبعه بصره ينظر إليه حتى غاب فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي
وأتبعه بصره ينظر إليه حتى غاب ثم طلعت الشمس فقال هكذا إلى آخره ثم رجع إلى أبيه آزر وقد
استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه إلا أنه لم يبادئهم بذلك فلما رجعت به أمه
أخبرته أنه ابنه وأخبرته بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل إنه مكث في
السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب إبراهيم
وهو في السرب قال لأمه من ربي قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبي قالت
اسكت ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذي كنا نتحدث أنه يغير دين أهل الأرض
فإنه ابنك ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه آزر فقال له إبراهيم يا أبتاه من ربي قال أمك قال فمن
رب أمي قال أنا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال اسكت فلما جن
عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكبا فقال هذا ربي ويقال إنه قال لأبويه
أخرجاني فأخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر إبراهيم إلى الإبل والخيل والغنم فسأل أباه ما ٧ بـ
هذه فقال إبل وخيل وغنم فقال إبراهيم ما لهذه بد من أن يكون لها إله وهو ربها وخالقها ثم نظر
فإذا المشتري قد طلع ويقال إنه الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر
فرأى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل يعني ستر بظلامه رأى كوكبا قال هذا
ربي ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ أو بعده

على قولين

٣١٣

على قولين أحدهما أنه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن لهذا القول
الذي صدر من إبراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لأن الأحكام إنما تثبت بعد البلوغ
وقيل إن إبراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر إلى السماء وما فيها من العجائب ونظر إلى الأرض وما
فيها من العجائب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد لهذا
الخلق من خالق ومدبر وهو الإله الخالق ثم نظر في حال تفكره فرأى الكوكب وقد أزهر فقال هذا ربي على ما سبق
إلى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل أصحاب
هذا القول على صحته بقوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك
لا يكون إلا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لأن الأنبياء
معصومون في كل حال من الأحوال وأنه لا يجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الأوقات
إلا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل معبود سواه بريء وكيف يتوهم هذا
على إبراهيم وقد عصمه وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السماوات والأرض أفيراه الكوكب فقال
معتقدا هذا ربي حاشا إبراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لأن منصبه أعلى وأشرف من ذلك صلى الله
عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه جمهور المحققين أن هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ إبراهيم
وحين شرفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة ثم اختلف أهل هذا القول في تأويل الآية ومعنى ما
قد ذكروا فيها وجوها الأول أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم
جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لأنهم كانوا يرون أن كل الأمور إليها فأراهم إبراهيم
أنه معظم ما عظموه فلما أفل الكوكب والقمر والنجوم والشمس أراهم النقص الداخل على النجوم بسبب
الغيبوبة والأفول ليثبت خطأ ما كانوا يعتقدون فيها من الألوهية ومثل هذا كمثل الحواري الذي
ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فأظهر تعظيمه فأكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رأيه في كثير من
أمورهم إلى أن دهمهم عدو فاجتمعوا يتشاورون في أمر هذا العدو فقال الرأي عندي أن ندعو هذا الصنم
حتى يكشف عنا ما قد نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون إليه فلم يغن شيئا فلما تبين لهم أنه
لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الحواري وأمرهم أن يدعوا الله عز وجل ويسألوه أن يكشف عنهم ما
نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا جميعا الوجه الثاني أن إبراهيم
عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام إنكار وتوبيخ لقومه تقديره أهذا ربي
الذي تزعمون وإسقاط حرف الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى أفإن مت فهم الخالدون يعني
أفهم الخالدون والمعنى أيكون هذا ربي ودلائل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث أن إبراهيم عليه السلام
قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان إلها كما تزعمون لما
غاب ونحوه كقوله ذق إنك أنت العزيز الكريم يعني عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام
بقوله تعالى وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا يريد إلهك بزعمك الوجه الرابع أن في هذه الآية
إضمارا تقديره يقولون هذا ربي وإضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم
القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أي يقولون ربنا تقبل منا الوجه الخامس أن الله تعالى قال في
حقه وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل
والفاء تقتضي التعقيب فدل هذا على أن هذه الواقعة كانت بعد أن أراه الله ملكوت السماوات والأرض
وبعد الإيقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الشريفة لا يليق بحاله أن يعتقد الكواكب ويتخذها
ربا وأما الجواب عن قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فإن الأنبياء عليهم السلام لم
يزالوا يسألون الله التثبيت ومنه قوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام وأما قوله تعالى فلما أفل
يعني غاب والأفول غيبة النيران قال يعني إبراهيم لا أحب الآفلين يعني لا أحب ربا يغيب ويطلع

بقوله

لان امارات الحدوث فيه ظاهرة قوله تعالى فلما رأى القمر بازغا يعني طالعا منتشر الضوء قال هذا
ربي معناه ما تقدم من الكلام في الكوكب فلما افل يعني غاب قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من
القوم الضالين يعني ان لم يثبتني ربي على الهدى ليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزالوا على
الهداية من اول الفطرة وفي الآية ما يدل على ان الهداية من الله تعالى لان ابراهيم اضاف الهداية الى الله تعالى
فلما رأى الشمس بازغة يعني طالعة قال هذا ربي يعني هذا الطالع او انه اشار الى الضياء والنور لانه
رأى الشمس اضوأ من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تأنيث الشمس غير حقيقي فلهذا
اتى بلفظ التذكير هذا اكبر يعني من الكوكب والقمر فلما افلت يعني فلما غابت الشمس قال يا قوم
اني بريء مما تشركون يعني انه لما اثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم
ليست بآلهة ولا تصلح للربوبية تبرأ منها واظهر لقومه انه بريء مما يشركون ولما اظهر خلاف قومه
وتبرأ من شركهم اظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال اني وجهت وجهي يعني صرفت وجه عبادتي
وقصدت بتوحيدي للذي فطر السماوات والارض يعني للذي خلقهما وابتدعهما حنيفا يعني مائلا عن
عبادة كل شيء سوى الله تعالى واصل الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف
هو الذي يستقبل الكعبة في صلاته وما انا من المشركين تبرأ من الشرك الذي كان عليه قومه قوله عز وجل
وحاجه قومه يعني وخاصمه قومه وذلك لما اظهر ابراهيم عليه السلام عيب الهتهم التي كانوا
يعبدونها واظهر التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه في ذلك فقال اتحاجوني في الله يعني
اتجادلونني في توحيدي له وقد هداني وقد تبين لي طريق الهداية الى توحيده ومعرفته وقال البغوي
لما رجع ابراهيم الى ابيه وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذابحين وضمه آزر الى نفسه فجعل
آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه
فلا يشتريها احد واذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب رؤوسها وقال اشربي استهزاء بقومه
وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه واهل قريته فحاجه قومه يعني خاصمه وجادله
قومه في دينه قال يعني ابراهيم اتحاجوني في الله وقد هداني يعني الى توحيده ومعرفته ولا اخاف
ما تشركون به وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فانا نخاف ان تمسك بخبل او جنون لعيبك اياها
فاجابهم بقوله ولا اخاف ما تشركون به فانها جماد لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر
على النفع والضر وهو قوله الا ان يشاء ربي شيئا يعني لكن ان يشاء ربي شيئا كان ما يشاء لانه قادر على النفع
والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وايام عمره ما يكرهه
فلو اصابه مكروه لنسبوه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة بقوله الا ان يشاء ربي شيئا يعني ان اصابني
مكروه فليس هو من الاصنام في شيء والمعنى لكن ان يشاء ربي شيئا كان وسع ربي كل شيء علما يعني
احاط علمه بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه افلا تتذكرون يعني افلا تعتبرون وتعلمون ان هذه الاصنام
جماد لا تضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الذي خلق السماوات والارض ومن فيهما وكيف اخاف ما
اشركتم يعني وكيف اخاف الاصنام التي اشركتموها لانها جماد لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع
ولا تخافون انكم اشركتم بالله يعني وانتم لا تخافون وقد اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب ما لم
ينزل به عليكم سلطانا يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون
يعني بقول ايّ اولى بالامن من العذاب في يوم القيامة الموحد ام المشرك الذين آمنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم وهذا ابتداء خطاب الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذين يستحقون الامن يوم القيامة
هم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام ابراهيم في المحاجة لقومه والمعنى ان الذين
يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق
ذلك على

ذلك على المسلمين وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو
الشرك الم تسمعوا قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون
انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشيء
من معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه او يترك ما امر الله به فعلى هذا تكون الآية على
العموم لان الظلم يجمع به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور في هذه الآية هو الشرك
لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم ههنا بالشرك وفي الآية دليل
على ان من مات لا يشرك بالله شيئا كان عاقبته الامن من النار لقوله اولئك يعني الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم لهم
الامن يوم القيامة من عذاب النار وهم مهتدون يعني الى سبيل الرشاد قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها
ابراهيم على قومه يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول
وقيل لما قالوا لابراهيم اما تخاف عليك من آلهتنا ان تمسك اياها فقال الا تخافون انتم اياها اذ سويتم بين
الصغير والكبير في العبادة ان يغضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال اي الفريقين احق بالامن
من يعبد الها واحدا مخلصا له الدين والعبادة ام من يعبد اربابا كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا فقضوا على
انفسهم فكانت حجة ابراهيم عليهم نرفع درجات من نشاء يعني بالعلم والفهم والعقل والفضيلة
كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء بالنبوة في الدنيا والعلم
والحكمة وفي الآخرة بالثواب على الاعمال الصالحة ان ربك حكيم عليم يعني انه تعالى حكيم في جميع
افعاله عليم باحوال خلقه لا يفعل شيئا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل ووهبنا له اسحاق ويعقوب لما اظهر
ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التي فهمه
الله تعالى اياها واهداه اليها عدد نعمه عليه واحسانه اليه بان رفع درجته في عليين وابقى النبوة
في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعني لابراهيم اسحاق يعني ابنا لصلبه ويعقوب يعني ابن
اسحاق وهو ولد الولد كلا هدينا يعني هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد ووفقناهم الى طريق الحق والصواب
ونوحا هدينا من قبل يعني من قبل ابراهيم ارشدنا نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية
ومن ذريته اختلفوا في هذا الضمير الى من يرجع فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم داود
وسليمان وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين لان الضمير يرجع الى اقرب مذكور ولان الله تعالى ذكر
في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن اخي ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان هاء الكناية ترجع الى نوح
وقال الزجاج كلا القولين جائز لان ذكرهما جميعا قد جرى وداود هو ابن ايشا وكان ممن آتاه الله الملك والنبوة
وكذلك سليمان ابن داود وايوب هو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم ويوسف هو ابن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وموسى هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهارون هو اخو
موسى وكان اكبر منه بسنة وكذلك نجزي المحسنين يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره على
اذى قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم وزكريا هو ابن ادن بن بركنا ويحيى هو ابن زكريا وعيسى هو ابن
مريم بنت عمران والياس قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل وقال محمد بن اسحاق
هو الياس بن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران وهو الصحيح لان اصحاب الانساب يقولون ان ادريس
جد نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجعله
من ذريته كل من الصالحين يعني ان كل من ذكرنا من الصالحين واسماعيل هو ابن ابراهيم وانما اخر ذكره
الى ههنا لانه ذكر اسحاق وذكر اولاده من بعده على نسق واحد ولهذا السبب اخر ذكر اسماعيل الى ههنا
واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على
العالمين يعني على عالمي زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء افضل من الملائكة لان العالم
اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضي ان الانبياء افضل من الملائكة واعلم ان الله

هنا

تعالى ذكر ثمانية عشر نبياً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل
لأن الواو لا تقتضي الترتيب ولكن هنا لطيفة أوجبت هذا الترتيب وهي أن الله تعالى خص كل طائفة من
طوائف الأنبياء عليهم السلام بنوع من الكرامة والفضل فذكر أولاً نوحاً وإبراهيم وإسحاق ويعقوب لأنهم
أصول الأنبياء وإليهم يرجع أنسابهم جميعاً ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان
وقد أعطى الله تعالى داود وسليمان من ذلك حظاً وافراً ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدائد
وقد خص الله بهذه أيوب عليه السلام ثم عطف بهاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام
فإنه صبر على البلاء والشدة إلى أن أعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل
الأنبياء عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام
من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا والإعراض عنها وقد خص الله بذلك من
الصالحين زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بأنهم من الصالحين ثم ذكر الله من
بعد هؤلاء الأنبياء من لم يبق له أتباع ولا شريعة وهم إسماعيل واليسع ولوطاً فإذا اعتبرنا هذه
اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شيء يذكر والله أعلم بأسرار كتابه قوله تعالى ومن آبائهم
يعني ومن آباء الذين سميناهم ومن هنا للتبعيض لأن من آباء بعضهم لم يكن مسلماً وذرياتهم يعني ومن
ذرياتهم لأن عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح وإخوانهم يعني من
إخوانهم والمعنى أن الله تعالى هدى من آباء المذكورين ومن إخوانهم وذرياتهم للهداية وخالص الدين وهو
قوله واجتبيناهم يعني اخترناهم واصطفيناهم وهديناهم يعني وأرشدناهم إلى صراط مستقيم
إلى دين الحق ذلك هدى الله قال ابن عباس ذلك دين الله الذي كان عليه هؤلاء الأنبياء وقيل المراد
بهدى توحيد الله وتنزيهه عن الشركاء والأضداد والأنداد يهدي به من يشاء من عباده يعني يوفق الله
من يشاء من عباده ويرشده إلى دينه وطاعته وخلع الأضداد والشركاء ولو أشركوا يعني هؤلاء
الذين سميناهم لحبط يعني لبطل وذهب عنهم ما كانوا يعملون من الطاعات قبل ذلك لأن الله تعالى لا يقبل
مع الشرك من الأعمال شيئاً قوله عز وجل أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة يعني أولئك
الذين سميناهم من الأنبياء أعطيناهم الكتاب الذي أنزلنا عليهم وآتيناهم العلم والفهم وشرفناهم
بالنبوة وإنما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وإن كانت النبوة هي الأصل لأن منصب النبوة
أشرف المناصب فذكر أولاً الكتاب والحكم لأنهما يدلان على النبوة فإن يكفر بها هؤلاء يعني المراتب
من يجحد بآيات التوحيد والنبوة كفار قريش فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين قال ابن
عباس هم الأنصار وأهل المدينة وقيل هم المهاجرون والأنصار وقال الحسن وقتادة هم الأنبياء
الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقال رجاء العطاردي هم الملائكة وفيه بعد لأن اسم القوم لا يطلق إلا على بني آدم وقيل هم
الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكاً أو نبياً أو من الصحابة أو التابعين وفي
الآية دليل على أن الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوي دينه ويجعله غالباً على الأديان وقد
جعل ذلك فهو إخبار عن الغيب قوله تعالى أولئك الذين هدى الله يعني النبيين الذين تقدم ذكرهم
لأنهم هم المخصوصون بالهداية فبهداهم اقتده إشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعني فبشرائعهم
وسننهم اعمل وأصل الاقتداء في اللغة طلب موافقة الثاني للأول في فعله وقيل أمره أن يقتدي بهم
في أمر الدين الذي أمرهم أن يجتمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن جميع النقائص التي
لا تليق بجلاله في الأسماء والصفات والأفعال وقيل أمره الله أن يقتدي بهم في جميع الأخلاق الحميدة
والأفعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم وقيل
أمره أن يقتدي بشرائعهم إلا ما خصه الدليل آخر فعلى هذا القول يكون في الآية دليل على أن شرع من قبلنا

شرع لنا

٣١٥

فهو شرع لنا فصل احتج العلماء بهذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء
عليهم السلام وبيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال
على أذى قومه وكان إبراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في الله عز وجل وكان إسحاق ويعقوب من أصحاب
الصبر على البلاء والمحن وكان داود وسليمان عليهما السلام من أصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم
اعملوا آل داود شكراً وكان أيوب صاحب صبر على البلاء قال الله فيه إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه
أواب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعني الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة
والمعجزات الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى وإلياس من أصحاب الزهد في الدنيا وكان إسماعيل صاحب صدق
وكان يونس صاحب تضرع وإخبات ثم إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهم وجمع
له جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان أنه صلى الله عليه وسلم كان أفضل الأنبياء
لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم والله أعلم وقوله قل لا أسألكم عليه
أجراً يعني قل يا محمد لا أطلب على تبليغ الرسالة جعلاً وقيل لما أمر الله تعالى بأن لا يقتدي بالنبيين وكان من
جملة هداهم عدم طلب الأجر على إيصال الدين وإبلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم فقال لا أسألكم عليه
أي أجراً إن هو يعني ما هو يعني القرآن إلا ذكرى للعالمين يعني أن القرآن موعظة وتذكير لجميع العالم من
الجن والإنس وفيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثاً إلى جميع الخلق من الجن والإنس وأن دعوته
عمت الخلائق قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس ما عظموا الله حق عظمته وعنه
أن معناه ما آمنوا أن الله على كل شيء قدير وقال أبو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال الأخفش
ما عرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشيء إذا حزره وسبره وأراد أن يعلم مقداره يقال قدره يقدره
بالضم قدراً ثم يقال لمن عرف شيئاً هو يقدر قدره وإذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه إنه لا يقدر قدره
فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه المذكورة في معناه إذ قالوا ما أنزل الله
على بشر من شيء يعني الذين قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق
اذ لو عرفوه حق معرفته — معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء فيمن نزلت الآية على قولين أحدهما أنها نزلت في كفار
قريش وهذا على قول من يقول إن جميع هذه السورة مكية وهو قول السدي ويروى ذلك عن مجاهد
ومحمد الطبري قال لأن من أول السورة إلى هذا الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الأصنام وكان قوله
وما قدروا الله حق قدره موصولاً بذلك غير مفصول عنه فلا يكون قوله إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من
شيء خبراً عن غيرهم وأورد فخر الدين الرازي على هذا القول إشكالاً وهو أن كفار قريش ينكرون نبوة جميع
الأنبياء فكيف يمكن إلزامهم بنبوة موسى وأيضاً فما بعد هذه الآية لا يليق بكفار قريش إنما يليق بحال
اليهود وأجاب عنه بأن كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم أن موسى جاء بالتوراة
وبالمعجزات الباهرات وإنما أنكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن إلزامهم بقوله قل من أنزل
الكتاب الذي جاء به موسى وأجاب عن كون هذه الآية لا يليق بحال اليهود بأن كفار قريش كانوا مشتركين واليهود
في إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد أن بعض الآية يكون خطاباً لكفار قريش وبعضها خطاباً
لليهود والقول الثاني في سبب نزول هذه الآية وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت في اليهود
وهذا على قول من يقول إن هذه الآية نزلت بالمدينة وإنها من الآيات المدنيات التي في السور المكية
قال ابن عباس نزلت سورة الأنعام بمكة إلا ست آيات منها وما قدروا الله حق قدره فإنها نزلت
بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الآية فيه فقال سعيد بن جبير
جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه
أنشدك — وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين وكان حبراً
سميناً فغضب فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى

فقال والله ما انزل الله على بشر من شيء. فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شيء. قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الاية قال البغوي وفي القصة ان مالك
ابن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس الله انزل التورية على
موسى فلم قلت ما انزل الله على بشر من شيء. فقال مالك بن الصيف اغضبني محمد فقلت ذلك
فقالوا له وانت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن
الاشرف وقال السدي نزلت هذه الاية في فنحاص بن عازورا اليهودي وهو القايل هذه المقالة
وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما انزل الله
كتابا من السما. فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء. قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى الاية وقال محمد بن كعب القرظي جاء ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه
وسلم وهو محتبي فقالوا يا ابا القاسم الا تاتينا بكتاب من السما. كما جاء به موسى الواحا
يحملها من عند الله فانزل الله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما. الاية التي في سورة
النسا. فلما حدثهم باعمالهم الخبيثة جثى رجل منهم وقال ما انزل الله عليك ولا على موسى ولا على
عيسى ولا على احد شيئا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء. واورد
الرازي على هذا اشكالا ايضا وهو انه قال ان اليهود مقرين بانزال التورية على موسى فكيف يقولون ما
انزل الله على بشر من شيء. مع اعترافهم بانزال التورية ولم يجب عن هذا الاشكال بشيء. واجيب عنه بان
مراد اليهود انكار انزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من
الاقرار به من انزال التورية على موسى وقال تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى يعني قل يا محمد
لهولا. الذين انكروا انزال القران عليك لقولهم ما انزل الله على بشر من شيء. من انزل التورية على
موسى وفي هذا الالزام توبيخ لليهود وتبكيت على سوء جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر نورا
وهدى للناس يعني التورية ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك
قبل ان تبدل وتغير تجعلونه قراطيس يكتبونه في قراطيس تبدونها يعني القراطيس المكتوبة
وتخفون كثيرا يعني وتخفون كثيرا مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله
عليه وسلم ونعته في التورية ومما اخفوه ايضا اية الرجم وكانت عندهم مكتوبة في التورية
وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لليهود ومعناه انكم
علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين
يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قل الله هذا راجع الى قوله قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى فان اجابوك يا محمد والا فقل انت الله الذي انزله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون يعني دعهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون في باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستهزءون
ويسخرون وقيل معناه يا محمد انك اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ
العظيم فحينئذ لم يبق عليك من امرهم شيء. فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد
وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ باية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد
والوعيد قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك يعني وهذا القران كتاب انزلناه من عندنا عليك
يا محمد كثير الخير والبركة دائم النفع يبشر المومنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية
واصل البركة النما والزيادة وثبوت الخير مصدق الذي بين يديه يعني من الكتب الالهية المنزلة
من السما على الانبيا يعني انه موافق لما في التورية والانجيل وساير الكتب لانها اشتملت جميعا على التوحيد
والتنزيه من كل عيب ونقيصة ويدل على البشارة والنذارة فثبت بذلك كون القران مصدقا لجميع الكتب
المنزلة ولتنذر قرئ بالتا. يعني ولتنذر يا محمد وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب ام القرى يعني مكة وفيه

ما لم تعلموا انتم ولا اباوكم
من قبل قال الحسن جعل
لكم علم ما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم

حذف

حذف تقديره ولتنذر اهل ام القرى وسميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل
لانها اقدم القرى واعظمها بركة وقيل لانها قبلة اهل الارض ومن حولها يعني جميع البلاد والقرى التي
حولها شرقا وغربا والذين يومنون بالاخرة يومنون به يعني والذين يصدقون بقيام الساعة وبالمعاد
والبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول
صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذي يومن بالاخرة يومن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان
كذلك فانه يرغب في تحصيل الثواب ودفع العقاب عنه وذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر
علم بالضرورة ان دين محمد اشرف الاديان وشرعه اعظم الشرايع وهم على صلاتهم يحافظون
يعني يداومون عليها في اوقاتها والمعنى ان الايمان بالاخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
وذلك يحمل على المحافظة على الصلوات وانما خص الصلاة بالذكر دون ساير العبادات لانه تنبيه
على انها اشرف العبادات بعد الايمان بالله تعالى فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات
والطاعات قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني ومن اعظم خطا واجهل فعلا ممن
اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا وهو في زعمه كذاب مبطل او قال اوحي الي ولم يوح
اليه شيء. قال قتادة نزلت هذه الاية في مسيلمة الكذاب وهو ابو ثمامة مسيلمة بن ثمامة
وقيل مسيلمة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن
وزعم ان الله اوحى اليه وكان قد ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتشهدان ان مسيلمة نبي قالا نعم فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل
لضربت اعناقكما وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نايم اذ اوتيت خزاين
الارض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا
فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذي قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم رايت في المنام كان في يدي سوارين فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي يقال لاحدهما مسيلمة
صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعا قوله فاوحي الي ان انفخهما يروى بالحا. المهملة ومعناه الرمي
والدفع من نفحت الدابة برجلها اذا رمت برجلها ويروى بالخا. المعجمة من النفخ بالفم وهو اشبه لانه نفخهما
فطارا عنه وهو قريب من الاول واما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قومه
من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات فاغتر قومه بذلك وقتل مسيلمة الكذاب في زمن خلافة ابي بكر الصديق
قتله وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب فكان وحشي يقول قتلت خير الناس يعني حمزة وقتلت شر الناس
يعني مسيلمة واما الاسود العنسي فهو عبهلة بن كعب وكان يقال له ذو الحمار ادعى النبوة باليمن
في اخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم حي لم يمت وذلك قبل موته بيوم وليلة
واخبر اصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاز فيروز يعني بقتله الاسود
العنسي عن قال الزهري الاية يعني قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه
شيء. نزلت في مسيلمة الكذاب والاسود العنسي لان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة وهو قول بعض
علما. التفسير تقدم ذكره في اول السورة ومن قال ان هذه الاية مكية قال انها نزلت في شانهما يقول انها
خبر عن غيب فوقع ذلك فيما بعد والله اعلم وقوله تعالى ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال السدي
نزلت في عبد الله بن ابي سرح القرشي وكان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى
عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين املاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق
الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا انزلت فشك
عبد الله بن ابي سرح وقال ان كان محمد صادقا فقد اوحي الي بمثل ما اوحي اليه فارتد عن الاسلام ولحق

بالمشركين ثم رجع عبد الله بن سعد إلى الإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل
بمر الظهران وقال ابن عباس في قوله ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله نزلت في المستهزئين وهو جواب
لقولهم ولو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمن
وبعده لأنه لا يمنع خصوص السبب عموم الحكم **ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت** يعني
ولو ترى يا محمد حال هؤلاء الظالمين إذ نزل بهم الموت لرأيت أمرا عظيما وغمراته وشدائده وسكراته
وغمرة كل شيء معظمه وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره
والملائكة باسطوا أيديهم يعني بالعذاب يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل باسطوا أيديهم
لقبض أرواحهم **أخرجوا أنفسكم** يعني يقولون أخرجوا أنفسكم فإن قلت إنه لا قدرة لأحد على إخراج
روحه من بدنه فما فائدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم كرها لأن المؤمن
يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا أنفسكم من هذا العذاب إن قدرتم على
ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لأنهم لا يقدرون على خلاص أنفسهم من ذلك العذاب في ذلك الوقت
اليوم تجزون عذاب الهون يعني الهوان **بما كنتم تقولون على الله غير الحق** يعني ذلك العذاب الذي
تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق **وكنتم عن آياته تستكبرون** يعني وبسبب ما
كنتم تتعظمون عن الإيمان وعن القرآن لا تصدقونه قوله تعالى **ولقد جئتمونا فرادى** يعني وحدانا لا مال
معكم ولا زوج ولا ولد وهذا إخبار من الله عز وجل عن حال الكافرين يوم القيامة وكيف يحشرون
إليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكافرين ولقد جئتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لأنهم
صرفوا همتهم في الدنيا إلى تحصيل المال والولد والجاه وأفنوا أعمارهم في عبادة الأصنام فلم يغن عنهم
كل ذلك شيئا في يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا **كما خلقناكم أول مرة** يعني
جئتمونا حفاة عراة غرلا يعني قلفا كما ولدتكم أمهاتكم في أول مرة لا شيء عليكم ولا معكم وعن ابن
عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس إنكم محشورون إلى الله
حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين وعن عائشة قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر
بعضهم إلى بعض قال الأمر أشد من أن يهمهم ذلك وروى الطبري بسنده عن عائشة أنها قرأت قول الله عز وجل
ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت يا رسول الله واسوأتاه إن الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر
بعضهم إلى سوأة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر
الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال شغل بعضهم عن بعض وقوله تعالى **وتركتم ما خولناكم**
وراء ظهوركم يعني وتركتم الذي أعطيناكم وملكناكم من الأموال والأولاد والخدم والخول كل ما أعطى
الله العبد وخوله فيه من المال وراء ظهوركم يعني في الدنيا **وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم**
أنهم فيكم شركاء يعني أن المشركين زعموا أنهم إنما عبدوا هذه الأصنام لأنها تشفع لهم عند
الله يوم القيامة لأنها شركاء لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فإذا كان يوم القيامة وبخ الله
المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى **لقد تقطع بينكم** قرئ بنصب النون من بينكم ومعناه لقد
تقطع ما بينكم من الوصل ويكون معناه لقد تقطع الأمر بينكم وقرئ برفع النون ومعناه لقد تقطع
وصلكم والبين من الأضداد يكون وصلا ويكون هجرا **وضل عنكم ما كنتم تزعمون** يعني وذهب وبطل ما
كنتم تكذبون في الدنيا قوله عز وجل **إن الله فالق الحب والنوى** لما تقدم ذكر الكلام في تقرير التوحيد
وتقرير النبوة أردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها بذلك على أن المقصود
الأعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وأفعاله وأنه مبدع الأشياء وخالقها ومن كان كذلك
كان هو المستحق للعبادة لا هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها وتعريف منه خطأ ما كانوا عليه من الإشراك

الذين كانوا

الذين كانوا عليه وأن المعبود الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي فلق الحبة عن النبات والنواة عن النخلة
وفي معنى فالق قولان أحدهما أنه بمعنى خالق ومعنى الآية على هذا القول إن الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في
رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل ذهبوا بفالق مذهب فاطر وأنكر الطبري هذا القول وقال لا يعرف في
كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى خلق ونقل الأزهري عن الزجاج جوازه قال وقيل الفلق الخلق وإذا تأملت الخلق
تبين لك أن أكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام أن جميع الأشياء كانت قبل الوجود في العدم فلما أوجدها الله
تعالى وأخرجها من العدم إلى الوجود فكأنه فلقها وأظهرها والقول الثاني وهو قول الأكثرين أن الفلق هو الشق
ثم اختلفوا في معناه على قولين أحدهما وهو مروي عن ابن عباس قال يفلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة
وهو قول الحسن والسدي وابن زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا أخضر
والقول الثاني وهو قول مجاهد أنه الشقان اللذان في الحب والنوى والحب هو الذي ليس له نوى كالحنطة والشعير والأرز

وما أشبهه والنوى فيه نوات وهي ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما أشبهه

وما أشبه ذلك ومعنى قوله فالق الحب والنوى وذلك إذا وقعت الحبة أو النواة في الأرض الرطبة ثم مر على ذلك
قدر من الزمان أظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا أخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر
من النواة شجرة صاعدة في الهواء وعروقا ضاربة في الأرض فسبحان من أوجد جميع الأشياء بقدرته وإبداعه وخلقه
وقوله تعالى **يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي** قال ابن عباس في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا
حيا ويخرج النطفة الميتة من الحي وهذا قول الكلبي ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمة الحية من النطفة
الميتة ويخرج الفرخ من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحي وقال ابن عباس في رواية أخرى
يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الإيمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن
وقيل معناه يخرج الطائع من العاصي والعاصي من الطائع وقال السدي يخرج النبات من الحب والحب من النبات
وهذا اختيار الطبري قال لأنه عقب قوله إن الله فالق الحب والنوى فإن قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي
بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي وما السبب في عطف الاسم على الفعل قلت قوله ومخرج الميت
من الحي عطف على قوله فالق الحب والنوى وقوله يخرج الحي من الميت كالبيان والتفسير لقوله تعالى فالق الحب والنوى
لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامي من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي من النبات في حكم
الحيوان **ذلكم الله** يعني ذلكم المدبر الخالق الصانع لهذه الأشياء المحيي المميت هو الله **فأنى تؤفكون** يعني
فأنى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي هو خالق الأشياء كلها وفيه دليل أيضا على صحة البعث بعد الموت
لأن القادر على إخراج البدن من النطفة قادر على إخراجه من التراب للحساب قوله تعالى **فالق الإصباح**
أي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والإصباح مصدر سمي به الصبح وقال الزجاج الإصباح
والصبح واحد وهما أول النهار فإن قلت ظاهر الآية يدل على أنه تعالى فلق الصبح والظلمة هو الذي تنفلق
بالصبح فما معنى ذلك قلت ذكر العلماء فيه وجوها الأول أن يكون المراد فالق ظلمة الإصباح وذلك أن
الصبح صبحان الصبح الأول هو البياض المستطيل الصاعد في الأفق كذنب السرحان وهو الذئب ثم تعقبه
ظلمة وبعد ذلك يسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لأنه يبدو في الأفق الشرقي ثم يضمحل ويذهب ثم
يطلع بعده الصبح الثاني وهو الضوء المستطير في الأفق الشرقي ويسمى الفجر الصادق لأنه ليس بعده
ظلمة والحاصل أن يكون المعنى فالق ظلمة الصبح الأول بنور الصبح فكذلك يشق نور الصبح بضياء النهار

الثاني

فيكون معنى قوله فالق الإصباح بنور النهار الوجه الثالث أن يراد فالق ظلمة الإصباح وهي الغبش
في آخر الليل الذي يلي الصبح الوجه الرابع أن يكون المعنى فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر إذا انصدع
الفجر وانفلق وسمي الفجر فلقا بمعنى مفلوق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعني خالق الإصباح وعلى
هذا القولين والأشكال والصبح هو الضوء الذي يبدو أول النهار والمعنى أنه تعالى مبدئ ضوء الصبح وخالقه
ومنوره وقوله تعالى **وجاعل الليل سكنا** السكن ما سكنت إليه واستروحت به يريد أن الناس يسكنون
في الليل سكون راحة لأن الله تعالى جعل لهم الليل كذلك قال ابن عباس إن كل ذي روح يسكن فيه لأن الإنسان

فوانقه لنفسه في النهار باختلاف الزمان ليستريح فيه ويسكن عن الحركة وذلك هو الليل والشمس والقمر
حسبانا يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحساب معين قال ابن عباس يجريان الى اجل
جعل لهما يعني هذه الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى ينتهيا
الى اقصى منازلهما ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره في هذه الاية من الاشياء التي خلقها بقدرته وكمال
علمه وهو المراد بقوله ذلك تقدير العزيز العليم فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة
الى كمال علمه قوله عز وجل وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر جعل
هنا بمعنى خلق يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم ادلة لتهتدوا بها اذا ضللتم عن الطريق
وتحيرتم فيه فامتن الله على عباده بان جعل لهم النجوم ليهتدوا بها الى المسالك والطرق في البر والبحر
الى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم ايضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة
الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها ايضا ان الله تعالى خلقها زينة للسماء كما قال ولقد
زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين قد فصلنا الايات يعني قد بينا
الايات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا لقوم يعلمون يعني ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار
وكمال علمه وقدرته قوله تعالى وهو الذي انشاكم من نفس واحدة يعني والله الذي ابتدا خلقكم ايها
الناس من ادم عليه السلام فهو ابو البشر كلهم وحوا مخلوقة منه وعيسى ايضا كان ابتدا خلقه من مريم
وهي من بنات ادم فثبت ان جميع الخلق من ادم عليه السلام فمستقر ومستودع قرئ فمستقر
بكسر القاف ومعناها فمنها قار في مكانه واستقر بفتح القاف فالمستقر بمعنى القار والمعنى منكم
مستقر يعني في الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالمستقر بمعنى المقر ويكون المعنى لكم
مقر واما المستودع فهو مثل المودع فيجوز ان يكون اسما للانسان الذي استودع ذلك المكان
ويجوز ان يكون المكان نفسه فمن قرا فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى ولكم
مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني
منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر اقرب الى الثبات
من المستودع لان المستقر من الاقرار والمستودع معرض بان يزول ولهذا اختلفت عبارات
المفسرين في معنى هذين اللفظين فروي عن ابن عباس المستقر في ارحام الامهات والمستودع
في اصلاب الاباء قرا ونقر في الارحام ما نشاء ويدل على هذا القول ان النطفة لا تبقى في صلب الاب
زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام اكثر من صلب
الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروي عنه انه قال بالعكس يعني ان المستقر
صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول ان النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام
فوجب حمل المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن ادم انت مستودع في
اهلك وانك لتوشك ان تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر اما في الجنة واما في
النار لان المقام فيهما يقتضي الخلود والتابيد قد فصلنا الايات يعني قد بينا الدلايل الدالة
على التوحيد والبراهين الواضحة والحجج القاطعة لقوم يفقهون يعني لقوم يفهمون عن الله اياته
ودلايله الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم قوله عز وجل وهو الذي انزل من السماء ماء يعني المطر
وقيل ان الله ينزل المطر من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرجنا به يعني بالماء الذي
انزلناه من السماء غذاء كل شيء نبات كل شيء يعني من كل شيء ينبت وينمو من جميع اصناف النبات
وقيل معناه اخرجنا بالماء الذي انزلناه من السماء غذاء كل شيء من الانعام والبهائم والطير والوحش
وارزاق بني ادم واقواتهم مما يتغذون به فيعيشون عليه وينمون فاخرجنا منه خضرا يريد الاخضر
والاخضر هو جميع الزرع والبقول الرطبة نخرج منه حبا متراكبا يعني نخرج من ذلك

الاخضر

الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وساير
الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية وان حاجة الناس اليه اكثر لانه القوت المالوف
ومن النخل من طلعها قنوان دانية يعني من ثمرها يقال اطلعت النخل اذا اخرجت طلعها وطلعها
كيزانها قبل ان ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا ايضا وهو ما يكون في قلب الطلع والطلع
اول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العذق فاذا انشق عنه كيزانه يسمى عذقا وهو القنو
وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية يعني قريبة المتناول ينالها القايم والقاعد وقال مجاهد متدلية
وقال الضحاك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره من النخل ما قنوانها دانية قريبة
ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لسبقه الى الافهام بها ولانها اسهل تناولا
من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة وبيان وجنات من اعناب يعني واخرجنا من ذلك بساتين من اعناب
والزيتون والرمان يعني واخرجنا شجر الزيتون وشجر الرمان مشتبها قال قتادة مشتبها ورقها
مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وغير متشابه يعني ومنها غير متشابه في الورق
والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية اربعة انواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم النخلة على غيرها
لان ثمرتها تجري مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة
لانه من اشرف انواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لما فيه من البركة ايضا لانه فاكهة وادام ثم قال تعالى
انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه يعني ونضجه وادراكه والمعنى انظروا نظر استدلال واعتبروا
كيف اخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله ان
في ذلكم لايات لقوم يؤمنون يعني ان الذي اخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على ان يحيي
الموتى ويبعثهم وانما احتج الله عليهم بتصريف ما خلق ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه
قطعا ويشاهدونه من احياء الارض بعد موتها واخراج ساير انواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر
على ذلك احد الا الله تعالى كذلك هو قادر على ان يحييهم بعد موتهم ويبعثهم يوم القيامة وانما احتج
عليهم بهذه الاشياء لانهم كانوا ينكرون البعث وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن قال الحسن
معناه اطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله وقال الكلبي نزلت في الزنادقة اثبتوا
الشركة لابليس في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع
والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السايب ونقله الرازي عن ابن عباس هذا قول الزنادقة
لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زرادشت انه نزل من السماء سماه بالزند والمنسوب
اليه يسمى زندي ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما في هذا العالم من
الخير فهو من يزدان يعني النور وجميع ما في العالم من الشر فهو من الظلمة يعني ابليس ثم اختلف المجوس
فالاكثرون منهم على ان ابليس محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبة والاقلون منهم قالوا انه قديم وعلى
القولين فقد اتفقوا على انه شريك لله في تدبير هذا العالم فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فمن
ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول انهم اثبتوا لله شريكا واحدا وهو
ابليس فكيف حكى الله عنهم انهم جعلوا لله شركاء قلت ان ابليس له اعوان من جنسه وحزبه وهم
ذرية ابليس الجن يعملون اعماله فصح ما حكى الله عنهم من انهم جعلوا لله شركاء الجن ومعنى الاية وجعلوا
الجن شركاء لله واختلفوا في معنى هذه الشركة فقيل ان الاية في كفار العرب قال انهم لما اطاعوا الجن فيما
امروهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركاء لله ومن قال انها في المجوس فقد اثبتوا الاهين اثنين
النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملايكة بنات الله وهم شركاؤه فعلى هذا القول فقد جعلوا
الملايكة من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله وخلقهم في معنى الكناية قولان احدهما انه يعود
الى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثاني ان الكناية

تعود الى الجاعلين لله شركا فيكون المعنى وجعلوا لله الذي خلقهم شركا لا يخلقون شيئا وهذا كالدليل
القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما في
الكون فامتنع ان يكون له شريك في ملكه وخرقوا له بنين وبنات بغير علم اي اختلقوا وكذبوا
يقال اختلقوا واخترقوا على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادعوا ان لله ابنا
وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم كالتنبيه
على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزأ ولا يتبعض
بل فساد قول من يدعي ان لله ولدا ولما نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة
فقال تعالى سبحانه وتعالى عما يصفون فقوله سبحانه فيه تنزيه عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله
تعالى يعني المتعالي اي اعتقاد ما لا يليق به ويكون المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد والشريك وقوله
عما يصفون يعني عما يصفونه من الكذب قوله عز وجل بديع السماوات والارض الابداع عبارة
عن تكوين الشيء على غير مثال سبق والله تعالى خلق السماوات والارض على غير مثال سبق انى يكون
له ولد يعني من اين يكون له الولد ولم تكن له صاحبة لان الولد لا يكون الا من صاحبة انثى ولا ينبغي
ان يكون له صاحبة لانه ليس كمثله شيء وخلق كل شيء يعني ان الصاحبة والولد في جملة من خلق
لانه خالق كل شيء وليس كمثله شيء فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه
فقد جعل له مثل والله متعال عن المثلية وهذه الاية حجة قاطعة على فساد قول النصارى وهو
بكل شيء عليم يعني انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شيء وعلمه محيط بكل شيء قوله تعالى
ذلكم الله ربكم يعني ذلكم الله الذي من صفته انه خلق السماوات والارض وابدعهما على غير مثال
سبق وانه بكل شيء عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة لا من تدعون من دونه من الاصنام لانها جماد
لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع لا اله الا هو خالق كل شيء
فاعبدوه يعني انه هو الذي يستحق العبادة له فاعبدوه واطيعوه وهو على كل شيء وكيل يعني انه
تعالى على كل شيء حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه قوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته والابصار ترى
الباري جل جلاله ولا تحيط به كما ان القلوب تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله
لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به
وقد تمسك بظاهر الاية قوم من اهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان
الله تبارك وتعالى لا يراه احد من خلقه وان رويته مستحيلة عقلا لان الله اخبر ان الابصار لا تدركه وادراك
البصر عبارة عن الروية اذ لا فرق بين قوله ادركته ببصري وبين قوله رايته ببصري فثبت بذلك ان قوله لا
تدركه الابصار بمعنى لا تراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب اهل السنة ان المومنين يرون ربهم يوم
القيامة وفي الجنة وان رويته غير مستحيلة عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم بظاهر ادلة الكتاب
والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات روية الله تبارك وتعالى للمومنين في
الاخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ففي هذه الاية دليل على ان
المومنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي
رحمه الله حجب قوما بالمعصية وهو الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال مالك
لو لم ير المومنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكفار بالحجاب وقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وفسروا هذه الزيادة بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة واما دليل السنة فما روي
عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر
وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا

عن صلاة

عز وجل

٢١٩

عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
الغروب اخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون
في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم ترونه كذلك
اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي وليس عنده في اوله ان ناسا قالوا الى اخره لابي داود ونحوها سحاب
عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت
وما اية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله
اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود واما الدلائل العقلية
فقد احتج اهل السنة ايضا بهذه الاية على جواز روية المومنين ربهم يوم القيامة وتقريره انه تعالى
تمدح بقوله لا تدركه الابصار ولو لم يكن جائز الروية لما حصل هذا التمدح لان المعدوم لا تصح رويته
فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على ان كونه تعالى جائز الروية وتحقيق هذا
ان الشيء اذا كان في نفسه بحيث تمتنع رويته فحينئذ لا يلزم من عدم رويته مدح وتعظيم اما اذا كان
في نفسه جائز الروية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان
هذه الاية دالة على انه تعالى جائز الروية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المومنين يرونه يوم القيامة
لان موسى صلى الله عليه وسلم سال الروية بقوله ارني انظر اليك وذلك يدل على جواز الروية اذ لا
يسال نبي مثل موسى ما لا يجوز او يمتنع وقد علق الله الروية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه
فسوف تراني واستقرار الجبل جائز والجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الاية على نفي والمعلق على الجائز جائز
الروية فاعلم ان الادراك غير الروية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته والروية
المعاينة للشيء من غير احاطة وقد تكون الروية بغير ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال اصحاب
موسى انا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد راوا قوم موسى ولم يدركوهم [illegible] ادراكهم
اياهم فنفى موسى الادراك مع اثبات الروية بقوله كلا والله تعالى يجوز ان يرى في الاخرة من غير ادراك
ولا احاطة لان الادراك هو الاحاطة بالمرئي وهو من كان محدودا او له جهات والله تعالى منزه عن الحد والجهة جهات
لانه العظيم الذي لا نهاية لوجوده فعلى هذا انه يرى ولا يدرك وقال قوم ان الاية مخصوصة بالدنيا
قال ابن عباس في معنى الاية لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الاخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك
والروية قالوا ويدل على هذا التخصيص وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناضرة مقيد
بيوم القيامة وعلى هذا يمكن الجمع بين الايتين وقال السمع والبصر لجواز ان يحصل روية ويحصل علم فمعنى
لا تدركه الابصار لا يدركه علم العلماء ونحيره ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن ايضا والله اعلم وقوله
تعالى وهو يدرك الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها
ويعلم حقيقتها ومطلع على ما فيها فهو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركها وهو اللطيف
الخبير قال ابن عباس اللطيف باوليائه الخبير بهم وقال الازهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو
الموصل الشيء اليك برفق ولين وقيل هو الذي ينسي عباده ذنوبهم لئلا يخجلوا واصل اللطف دقة
النظر في الاشياء وقال ابو سليمان الخطابي هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل
اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال الازهري اللطيف في اسماء الله تعالى معناه الرفيق
بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يامر عباده بفوق طاقتهم وينعم عليهم بفوق استحقاقهم
وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند
المعصية وقيل هو اللطيف بعباده ان لا تدركه الابصار وهو يدركها قوله تعالى قد جاءكم
بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى

قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل
إن الآيات والبراهين لم تبصر بأنفسها بصائر إلا أنها لقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف
على حقائقها فلما كانت هذه الآيات والحجج والبراهين أسبابا لحصول البصائر سميت الآيات بصائر
فمن أبصر يعني فمن عرف الآيات واهتدى بها إلى الحق **فلنفسه** يعني فلنفسه أبصر ولها عمل
لأنه يعود نفع ذلك عليه **ومن عمي** يعني ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها **فعليها**
يعني فعلى نفسه عمي ولها ضر وكان وبال ذلك العمى عليه لأن الله تعالى غني عن خلقه **وما أنا
عليكم بحفيظ** يعني وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم إنما أنا رسول من
ربكم إليكم أبلغكم ما أرسلت به والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأحوالكم
وقيل معناه لا أقدر أن أدفع عنكم ما يريد الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالإيمان أخذ
الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الأمر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف
وعلى القول الأول لا تكون منسوخة والله أعلم قوله عز وجل **وكذلك نصرف الآيات** يعني وكما
بينا الآيات ونصرفها في كل وجه كما صرفناها وبيناها من قبل **وليقولوا درست** يعني وكذلك
نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا درست يعني قرأت على غيرك يقال درست الكتاب أدرسه
دراسة وقيل معناه لئلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة أمرهم أن يقولوا
درست يعني قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة إذا أكثر قراءته وذلله للحفظ قال
ابن عباس وليقولوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعني تعلمت من يسار وجبر وكانا
عبدين من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ
دارست بالألف يعني قارأت أهل الكتاب من المدارسة التي هي بين اثنين يعني يقولون قرأت على أهل
الكتاب وقرؤوا عليك وقرئ درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه أن هذه الأخبار
التي تتلوها علينا قديمة قد درست وامحت من قولهم درس الأثر إذا امحى وذهب أثره **ولنبينه
لقوم يعلمون** يعني القرآن وقيل معناه نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد أولياءه
الذين هداهم إلى سبيل الرشاد وقيل معنى الآية وكذلك نصرف الآيات ليسعد بها قوم ويشقى
بها آخرون فمن أعرض عنها وقال للنبي صلى الله عليه وسلم درست أو دارست فهو شقي ومن تبين
له الحق فيها وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال أبو إسحاق السبب الذي أداهم إلى أن قالوا درست
هو تلاوة الآيات عليهم وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة يعني صار عاقبة أمرهم إلى أن
قالوا درست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل على أن الله تعالى جعل تصريف الآيات سببا
لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم قوله تعالى **اتبع ما أوحي إليك من ربك** الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك وهو القرآن واعمل به
وبلغه إلى عباده ولا تلتفت إلى قول من يقول لك درست أو دارست وفي قوله اتبع ما أوحي إليك من ربك تقوية
لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم درست ودفع لقوله تعالى
لا إله إلا هو يعني أنه تعالى واحد فرد صمد لا شريك له وإذا كان كذلك فإنه تجب طاعته
ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين وقوله تعالى **وأعرض عن المشركين** قيل
المراد منه في الحال لا على الدوام وإذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون
الأمر بالإعراض منسوخا بآية القتال قوله عز وجل **ولو شاء الله ما أشركوا** قال الزجاج معناه
لو شاء الله لجعلهم مؤمنين وفيه أنهم ما أشركوا إلا بمشيئة الله تعالى خلافا للمعتزلة لم يرد من
أحد الكفر والشرك والآية رد عليهم **وما جعلناك عليهم حفيظا** يعني وما جعلناك يا محمد على هؤلاء
المشركين رقيبا لا حافظا تحفظ عليهم أعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطاء وما جعلناك عليهم حفيظا

تمنعهم

تمنعهم مني ومعناه إنك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب إنما بعثت مبلغا فلا تهتم بشركهم
فإن ذلك بمشيئة الله تعالى **وما أنت عليهم بوكيل** يعني وما أنت بمقيم تقوم بأرزاقهم وما أنت عليهم
بمسيطر فعلى هذا التفسير لا تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة قوله عز وجل
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم الآية قال ابن عباس لما نزلت
إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم
الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون أوثان الكفار فيردون
ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال السدي لما حضر
أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فإنا نستحيي أن
نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث
وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن أبي البختري إلى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب
أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه
فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب إن هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما يريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك فقال له أبو طالب قد أنصفك قومك فاقبل منهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيتم إن أعطيتكم هذا فهل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت
لكم العجم وأدت لكم الخراج فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي فقال قولوا لا إله إلا الله
فأبوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي فقال يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها
في يدي ما قلت غيرها إرادة أن يؤيسهم فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ونشتمن من يأمرك
فأنزل الله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولا تسبوا أيها المؤمنون الأصنام التي يعبدها المشركون
فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لأنهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا
عن ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الأصنام التي كانت تعبدها المشركون قال ابن الأنباري هذه الآية
منسوخة أنزلها الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قواه الله نسخ هذه الآية
ونظائرها بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل إنما نهوا عن سب الأصنام وإن كان في سبها
طاعة وهو سب رسوله لأن ذلك من أعظم المعاصي التي هي أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله
فلذلك نهوا عن سب الأصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا آلهتهم
فيسبوا ربكم فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الآية وإن كان نهيا عن سب الأصنام فحقيقته
النهي عن سب الله تعالى لأنه سبب لذلك وقوله تعالى **كذلك زينا لكل أمة عملهم** يعني كما زينا لهؤلاء
المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر
والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله
خلق الكفر وتزيينه وهو قوله تعالى **ثم إلى ربهم مرجعهم** يعني المؤمن والكافر والطائع والعاصي
فينبئهم بما كانوا يعملون يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك قوله عز وجل **وأقسموا بالله
جهد أيمانهم** قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان
له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منها اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى فأتنا بآية حتى
نصدقك ونؤمن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي شيء تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث
لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز
وجل أن يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل فقال ما شئت إن شئت أصبح ذهبا ولكن لم يصدقوك لنعذبنهم وإن

إن

وهو سباح لما يترتب عليه من المعاصي التي هي أعظم من ذلك وهي

وإن شئت تركتهم حتى يتوبوا تاب بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فأنزل الله عز وجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم يعني وحلفوا بالله جهد أيمانهم يعني أوكد ما قدروا عليه من الأيمان وأشدها قال الكلبي ومقاتل إذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه **لئن جاءتهم آية** يعني كما جاءت من قبلهم من الأمم **ليؤمنن بها** يعني ليصدقن بها **قل** يعني قل يا محمد **إنما الآيات عند الله** يعني أن الله تعالى قادر على إنزالها **وما يشعركم** يعني وما يدريكم ثم اختلف العلماء في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين أقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله **أنها إذا جاءت لا يؤمنون** فقرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم إنها بكسر الألف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم [illegible] على معنى وما يدريكم ما يكون منهم ثم ابتدأ فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون فمن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم أنها إذا جاءت آمنوا لأن المؤمنين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله أن يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتدأ فقال تعالى أنها إذا جاءت لا يؤمنون وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم بأنهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون أنها بالفتح وجعلوا الخطاب في ذلك للمؤمنين لأن المؤمنين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنزال الآيات حتى يؤمن المشركون بها إذا رأوها لأن المشركين كانوا حلفوا أنهم إذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنزال الآيات لذلك فقال الله تعالى وما يشعركم يعني أيها المؤمنون أن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فعلى هذا اختلفوا في لفظة لا من قوله لا يؤمنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها وفيه حذف والمعنى وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون وقيل أن بمعنى لعل في قوله أنها إذا جاءت وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب لعلها إذا جاءت وهذا سائغ في كلام العرب تقول العرب ائت السوق أنك تشتري لنا شيئا بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد

أعاذل ما يدريك أن منيتي ... إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

يعني لعل منيتي قوله تعالى **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم** قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الإيمان فلو جئناهم بالآيات التي سألوها ما آمنوا بها والتقليب هو تحويل الشيء وتحويله عن وجه إلى وجه آخر لأن الله تعالى إذا صرف القلوب والأبصار عن الآيات بقيت على الكفر **كما لم يؤمنوا به أول مرة** يعني كما لم يؤمنوا قبل ذلك من الآيات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات الباهرات وقيل أول مرة يعني الآيات التي جاء بها موسى وغيره من الأنبياء وقال ابن عباس المرة الأولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا نقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة قبل مماتهم وفي الآية دليل على أن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء وأن القلوب والأبصار بيده وفي تصرفه يقلبها كيف شاء فيهدي ويزيغ ما أراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فمعنى قوله ونقلب أفئدتهم نزيغها عن الإيمان ونقلب أبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة الصواب وإذا جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله فعلى هذا تكون الكناية به عائدة عن الإيمان بالقرآن أو بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل سؤالهم الآيات التي اقترحوها وقوله تعالى **ونذرهم في طغيانهم يعمهون** يعني ونترك هؤلاء المشركين الذين سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون في تمردهم على الله واعتدائهم عليه يترددون ولا يهتدون إلى الحق قوله عز وجل **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة** قال ابن جريج نزلت في المستهزئين وذلك أنهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما تقول

حزب

أم باطل

٣٢١

أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا فنزلت هذه الآية جوابا لهم والمعنى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة يعني يشهدون لك بالرسالة **وكلمهم الموتى** يعني كما سألوا **وحشرنا عليهم كل شيء قبلا** يعني وجمعنا عليهم كل شيء قبيلا وقيل القبيل الكفيل بصحة ما تقول ما آمنوا وهو قوله تعالى **ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله** يعني إلا أن يشاء الله منهم الإيمان وفيه دليل على أن جميع الأشياء بمشيئة الله تعالى حتى الإيمان والكفر وموضع المعجزة أن الأشياء المحشورة منها ما هو ناطق ومنها صامت فإذا أنطق الله الكل حتى يشهدوا له بصحة ما يقول كان ذلك في غاية الإعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء مواجهة ومعاينة ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله أخبر الله أن الإيمان بمشيئة الله لا كما ظنوا أنهم متى شاءوا آمنوا ومتى لم يشاءوا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليؤمنوا هم أهل الشقاء إلا أن يشاء الله هم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أنهم يدخلون في الإيمان وحكى الطبري بقول ابن عباس قال لأن الله عم بقوله ما كانوا ليؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم استثنى منهم أهل السعادة وهم الذين شاء لهم الإيمان وقوله تعالى **ولكن أكثرهم يجهلون** يعني يجهلون أن ذلك كذلك ويحسبون أن الإيمان إليهم متى شاءوا آمنوا ومتى شاءوا كفروا وليس الأمر كذلك بل الإيمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاء له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب أهل السنة أن الأشياء كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة في قولهم أن الله أراد الإيمان من جميع الكفار قوله تعالى **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا** قيل هو نسق على قوله تعالى وكذلك زينا لكل أمة عملهم أي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الأنبياء أعداء كذلك جعلنا لك أعداء وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له يقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا ليعظم ثوابه على ما يكابده من أذى أعدائه وعدو واحد يراد به الجمع يعني جعلنا لكل نبي أعداء **شياطين الإنس والجن** اختلف العلماء في معنى شياطين الإنس والجن على قولين أحدهما أن المراد شياطين من الإنس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متمرد من الجن والإنس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الإنس أشد تمردا من شياطين الجن لأن شيطان الجن إذا عجز عن إغواء المؤمن الصالح وأعياه ذلك استعان على إغوائه بشيطان الإنس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس قلت يا رسول الله وهل للإنس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند وأسنده الطبري وقال مالك بن دينار إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي القول الثاني أن الجميع من ولد إبليس وأضيف الشياطين إلى الإنس على معنى أنهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الإنس التي مع الإنس وشياطين الجن التي مع الجن وذلك أن إبليس قسم جنده فريقين فبعث فريقا منهم إلى الجن وفريقا إلى الإنس والفريقان شياطين الجن والإنس يعني أنهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين أعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ولأوليائه من المؤمنين والصالحين ومن ذهب إلى هذا القول قال حجته أن لفظ الآية يقتضي إضافة الشياطين إلى الإنس والجن والإضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا تكون الشياطين نوعا مغايرا للإنس والجن وهم أولاد إبليس وقوله تعالى **يوحي بعضهم إلى بعض** يعني يلقي ويسر بعضهم إلى بعض ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها المزين على إغوائه فعلى القول الأول شياطين الإنس والجن يسر بعضهم إلى بعض ما يفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني أن أولاد إبليس يلقي بعضهم إلى بعض في كل حين فيقول شيطان الجن لشيطان الإنس أضللت صاحبي بكذا وكذا فأضل

إنما حابيك بمثله ويقول شياطين الجن لشياطين الإنس كذلك فذلك وحي بعضهم إلى بعض وقوله زخرف القول
يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشي بالكذب وقيل كل شيء حسن مموه فهو
زخرف غرورا يعني أن الشياطين يغرون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك أن الشياطين يزينون الأعمال
القبيحة لبني آدم ويغرونهم بها غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه يعني ما فعلوا الوسوسة التي يلقونها
الشياطين في قلوب بني آدم والمعنى أن الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين من إلقاء الوسوسة إلى الإنس والجن
ولكن الله يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم أنه الأجزل له في الثواب إذا صبر على المحنة فذرهم وما يفترون
يعني فخلهم يا محمد وما يزين لهم إبليس وغرهم به من الكفر والمعاصي فإني من ورائهم قوله تعالى ولتصغى
إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة قال ابن عباس ولتميل إليه وأصل الصغو في اللغة الميل يقال أصغى
الرجل إذا مال إليه ويقال صغوت أصغو وأصغيت أصغي إصغاء قال ابن الأنباري اللام في ولتصغى متعلقة
بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم ذلك كي تصغى إلى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام
متعلقة بيوحي تقديره يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول ليغروا بذلك ولتصغى إليه أفئدة الذين
لا يؤمنون بالآخرة والضمير في إليه يرجع إلى زخرف القول والمعنى أن قلوب الكفار تميل إلى زخرف القول
وباطله وتحبه وترضى به وهو قوله وليرضوه يعني ويرضون بذلك الزخرف القول الباطل وليقترفوا
ما هم مقترفون يعني وليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل أفغير الله أبتغي
حكما أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين أفغير الله أطلب حكما فاصلا يقضي بيني وبينكم وذلك أنهم كانوا
يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فأمر الله تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب والحكم
والحاكم واحد عند أهل اللغة إلا أن بعض أهل المعاني قال الحكم أكمل من الحاكم من شأنه أن يحكم والحكم
أهل أن يتحاكم إليه وهو الذي لا يحكم إلا بالحق فالله حكم لا يحكم إلا بالحق فلما أنزل الله على محمد القرآن
فقد حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا يعني مبينا فيه أمره ونهيه
ووعده ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم والذين آتيناهم الكتاب يعني علماء اليهود والنصارى
يعلمون أنه منزل من ربك بالحق يعني يعلمون أن هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما قام عندهم
بالدلائل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤساؤهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي
ونظرائهم يعلمون أن هذا القرآن منزل من ربك بالحق فآمنوا به وهو قوله فلا تكونن من الممترين
يعني فلا تكونن يا محمد من الشاكين أن علماء أهل الكتاب يعلمون أن هذا القرآن حق وأنه منزل من عند الله
وقيل معناه فلا تكونن في شك مما قصصنا عليك أنه حق وصدق وهو من باب التهييج لأنه صلى الله
عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وإن كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد به غيره
والمعنى فلا تكونن أيها الإنسان السامع لهذا القرآن في شك أنه منزل من عند الله لما فيه من الإعجاز الذي
لا يقدر على مثله إلا الله تبارك وتعالى قوله تعالى وتمت كلمات ربك وقرئ كلمات ربك على الجمع فمن قرأ على
التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة إذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر
في كلمته يعني في قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة لأنه شيء واحد في إعجاز النظم وكونه حقا وصدقا
ومعجزا ومن قرأ بالجمع قال إن الله قال في سياق الآية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع في اللفظ الأول
اتباعا للثاني صدقا وعدلا يعني صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم وقيل إن القرآن مشتمل على
الأخبار والأحكام فهو صادق فيما أخبر عن القرون الماضية والأمم الخالية وعما هو كائن إلى
قيام الساعة وفيما أخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعقاب العاصي في النار وهو عدل فيما حكم
من الأمر والنهي والحلال والحرام وسائر الأحكام لا مبدل لكلماته يعني لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه
ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام في قوله وتمت كلمات ربك والتمام في كلمات الله
لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال الله تعالى لا مبدل لكلماته لأنها مصونة عن التحريف والتغيير

والتبديل

لا تبديل لكلمات الله

والتبديل باقية إلى يوم القيامة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على أن السعيد لا ينقلب شقيا والشقي لا ينقلب
سعيدا فالسعيد من سعد في الأزل والشقي من شقي في الأزل وورد على هذا أن الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم
فينقلب سعيدا بإسلامه وأجيب عنه بأن الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة فقد كان في كتب
سعيدا في الأزل ومن ختم له بالشقاء فقد كان شقيا في الأزل والله أعلم قوله تعالى وهو السميع
يعني لما يقول العباد العليم يعني بما هو الحق قوله عز وجل وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك
عن سبيل الله قال المفسرون إن المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في أكل الميتة
وذلك أنهم قالوا للمسلمين كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم وإن تطع أكثر من في الأرض في أكل الميتة وكان الكفار يومئذ أكثر أهل الأرض يضلوك عن
سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذي شرع لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعهم في معتقداتهم
الباطلة فإنك إن تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم أخبر عن حال
الكفار وما هم عليه فقال تعالى إن يتبعون إلا الظن يعني أن هؤلاء الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم
الذي هم عليه إلا الظن ولم يكونوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا بقاطعين أنهم على حق لأنهم اتبعوا
أهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن والجهل وإن هم إلا يخرصون يعني
يكذبون وأصل الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة إذا حزر كم تمرتها على الظن من غير يقين وسمي
الكذب خرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل إن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص لأن قائله لم يقله
عن علم ويقين إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد إن ربك هو
أعلم منك ومن جميع خلقه أي الناس يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وهو أيضا أعلم من كان
على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه فأخبر تعالى أنه أعلم بالفريقين الضال والمهتدي
وأنه يجازي كلا بما يستحق قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هذا جواب لقول المشركين حيث
قالوا للمسلمين إنما تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا أنتم مما ذكر
اسم الله عليه من الذبائح إن كنتم بآياته مؤمنين وقيل كانوا يحرمون أصنافا من النعم ويحلون الميتة
فقيل لهم كلوا ما أحل الله لكم ودعوا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الآية خطابا للمشركين وعلى القول الأول
تكون الآية خطابا للمسلمين وهو الأصح لقوله في آخر الآية إن كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا
مما ذكر اسم الله عليه يعني وأي شيء لكم من أن لا تأكلوا وما يمنعكم من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله
عليه وهذا تأكيد في إباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره وقد فصل لكم ما حرم عليكم وقد
بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم
المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وأورد الإمام
فخر الدين الرازي ها هنا إشكالا فقال في سورة الأنعام مكية وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى
بالمدينة فقوله وقد فصل لكم يجب أن يكون المفصل متقدما على هذا المجمل والمدني متأخر عن المكي فيمتنع
كونه متقدما ثم قال بل الأولى أن يقال المراد قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم
يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير وهذه الآية وإن كانت مذكورة بعد هذه بقليل
إلا أن هذا القدر من التأخر لا يمنع أن يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه وهو أن الله
لما علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة الأنعام في الترتيب لا في النزول حسن عود الضمير في قوله
وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله
أعلم بمراده وقوله تعالى إلا ما اضطررتم إليه يعني إلا أن تدعوكم الضرورة إلى أكله بسبب شدة
المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم يعني وإن كثيرا
من الذين يجادلونكم في أكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم أتأكلون ما تقتلون ولا تأكلون

ما لم يحرمه الله وإنما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون أهواءهم
ليضلوا أنفسهم وأتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لأنه أول من بحر
البحائر وسيب السوائب وأباح الميتة وغير دين إبراهيم عليه السلام إن ربك هو أعلم بالمعتدين
يعني إن ربك يا محمد هو أعلم بمن تعدى حدوده فأحل ما حرم الله وحرم ما أحل الله فهو يجازيهم على سوء
صنيعهم قوله عز وجل وذروا ظاهر الإثم وباطنه يعني وذروا أيها الناس ما يوجب الإثم
وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع بن أنس نهى الله عن
ظاهر الإثم وباطنه أن يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الآية الظاهر منه قوله تعالى
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ونكاح المحارم من الأمهات والبنات والأخوات والباطن
الزنا وقال السدي أما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن أصحاب الرايات وأما الباطن فالمرأة يتخذها
الرجل صديقة فيأتيها سرا وقال الضحاك كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ذلك حلالا
ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الإثم التجرد من الثياب والتعري في
الطواف والباطن الزنا وقال الكلبي ظاهر الإثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه طواف النساء صواب
بالليل عراة وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك إلى أن جاء الإسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل إن هذا النهي
عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الأصح لأن تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز
فعلى هذا القول يكون معنى الآية وذروا ما أعلنتم به وما أسررتم من الذنوب كلها قال ابن الأنباري وذروا
الإثم من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الإثم الإقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك
الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر الإثم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب
فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب وإرادة السوء للمسلمين ونحو ذلك وقوله تعالى إن الذين
يكسبون الإثم يعني أن الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم الله عليهم من المعاصي
وغيرها سيجزون يعني في الآخرة بما كانوا يقترفون يعني بما كانوا يكتسبون في الدنيا من الآثام وظاهر
هذا النص يدل على عقاب المذنب إلا أنه مخصوص بمن لم يتب لأن المسلمين أجمعوا على أنه إذا تاب المؤمن من
الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وأهل السنة في ذلك قالوا إذا لم يتب فهو في خطر المشيئة إن
شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه بفضله وكرمه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
قال ابن عباس الآية نزلت في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطاء الآية
في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام فصل اختلف العلماء في ذبيحة
المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم إلى تحريمها سواء تركها عامدا أو ناسيا وهو قول
ابن سيرين والشعبي ونقل الإمام فخر الدين عن مالك ونقل عن عطاء أنه قال كل ما لم يذكر اسم الله
عليه من طعام أو شراب فهو حرام واحتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثوري وأبو حنيفة إن ترك
التسمية عامدا لا تحل وإن تركها ناسيا حلت وقال الشافعي تحل الذبيحة سواء ترك التسمية
عامدا أو ناسيا ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن أحمد روايتين فيما إذا ترك
التسمية عامدا وإن تركها ناسيا حلت فمن أباح أكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها
قال المراد من الآية الميتات وما ذبح على اسم الأصنام بدليل أنه قال تعالى في سياق الآية
وإنه لفسق وأجمع العلماء أن آكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا أيضا
في إباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله إن هنا
أقواما حديثا عهدهم بشرك يأتوننا بلحم لا ندري يذكرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا أنتم
اسم الله وكلوا قالوا لو كانت التسمية شرطا للإباحة لكان الشك في وجودها مانعا من أكلها
كالشك في أصل الذبح وقول الشافعي في أول الآية وإن كان عاما بحسب الصيغة إلا أن آخرها لما
حصلت فيه

لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم
وإن أطعتموهم إنكم لمشركون علمنا أن المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق ذكر اسم غير الله في
الذبح كما قال في آخر السورة قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلى قوله أو فسقا أهل لغير الله
به فصار هذا الفسق الذي أهل لغير الله به مفسرا لقوله وإنه لفسق مخصوص بما أهل لغير الله به والله
أعلم وقوله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم يعني أن الشياطين ليوسوسون
إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك أن المشركين قالوا يا محمد
أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها قال الله قتلها قالوا أفتزعم أن ما قتلت أنت
وأصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقال عكرمة
لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة كتبت فارس وهم المجوس إلى مشركي قريش أن خاصموا محمدا وقولوا إن ما
تذبح فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فأنزل الله وإن الشياطين يعني مردة الإنس وهم المجوس ليوحون
إلى أوليائهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد
بالوحي المكاتبة خفية وإن أطعتموهم يعني في أكل الميتة وما حرم الله عليكم إنكم لمشركون
يعني أنكم إذا مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل
الله فهو مشرك وإنما سمي مشركا لأنه أثبت حاكما غير الله عز وجل أومن كان ميتا فأحييناه
يعني أومن كان ميتا بالكفر فأحييناه بالإيمان وإنما جعل الكفر موتا لأنه جعل الإيمان حياة لأن الحي
شبهه صاحب بصر يهتدي به إلى رشده ولما كان الإيمان يهدي إلى الفوز العظيم والحياة الأبدية شبهه بالحياة وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس يعني وجعلنا له نورا يستضيء به في الناس ويهتدي به إلى قصد السبيل
قيل النور هو الإسلام لأنه يخرجه من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات إلى النور وقال قتادة
هو كتاب الله القرآن لأنه بينة من الله مع المؤمنين بها يعمل كمن مثله في الظلمات يعني كمن
وظلمة هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة عمي البصيرة ليس بخارج منها يعني من تلك الظلمات وهذا
مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فأحياه وأعطاه نورا
على الدوام يستضيء به في مصالحه وأن الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون
متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المثالين هل هما مخصوصان بإنسانين معينين أو هما
عامان في كل مؤمن وكافر فذكروا في ذلك قولين أحدهما أن الآية في رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما
فقال ابن عباس في قوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله
عليه وسلم كمن مثله في الظلمات يريد بذلك أبا جهل بن هشام وذلك أن أبا جهل رمى النبي صلى
الله عليه وسلم بفرث فأخبر حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات
يريد بذلك أبا جهل بن هشام وذلك أن أبا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وكان
حمزة قد رجع من صيده وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فأقبل حمزة غضبانا حتى علا أبا جهل وجعل يضربه
بالقوس وجعل أبو جهل يتضرع إلى حمزة ويقول أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا
وخالف آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمدا رسول الله فأسلم حمزة يومئذ فأنزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب
وأبي جهل وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله
عليه وسلم وأبي جهل وذلك أن أبا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا نحن وهم
كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نؤمن به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت هذه الآية والقول
الثاني وهو قول الحسن أن هذه الآية عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لأن المعنى
إذا كان حاصلا في الكل دخل فيه كل أحد وقوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون قال أهل

الحسنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه قوله زينا لهم أعمالهم ولأن حصول الفعل يتوقف على حصول
الدواعي وحصوله لا يكون إلا بخلق الله تعالى فدل ذلك على أن المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين
هو الشيطان ويرده ما تقدم وقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها يعني وكما
جعلنا في مكة أكابر وعظماء وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون
كذلك جعلنا في كل قرية أكابر جمع الأكبر ولا يجوز أن يكون مضافا لأنه لا يتم المعنى بل في الآية تقديم
وتأخير تقديره كذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر وإنما جعل المجرمين أكابر لأنهم أقدر على المكر والغدر
وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وإنما جعل ذلك لأجل رياستهم وذلك سنة الله أنه جعل في
كل قرية أتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم أكابرهم ليمكروا فيها قال أبو عبيدة المكر
الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والأيمان الكاذبة وترويج الباطل
قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر
ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا
مكرهم وما يمكرون إلا بأنفسهم يعني وما يحيق هذا المكر إلا بهم لأن وبال مكرهم يعود عليهم
وما يشعرون يعني أن وبال ذلك المكر يعود عليهم ويضرهم قوله عز وجل وإذا جاءتهم آية قالوا
لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله يعني من النبوة وذلك أن الوليد بن المغيرة قال للنبي
صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت أنا أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا
فأنزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا
صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه
فأنزل الله هذه الآية وإذا جاءتهم آية يعني حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم
قالوا يعني الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام أو كل واحد من رؤساء الكفر ويدل عليه الآية التي قبلها
وهي قوله وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها فكان من مكر كفار قريش أن قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله يعني النبوة وإنما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي
صلى الله عليه وسلم وفي قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله قولان أحدهما وهو المشهور أن القوم
أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأن يكونوا متبوعين لا أتباعا
والقول الثاني وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس أن المعنى وإذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع
محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعني لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله يعني حتى
يوحى إلينا ويأتينا جبريل ويصدقك بأنك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وإنما طلبوا
أن تخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وأنه رسول من الله تعالى وعلى القول الأول أنهم طلبوا أن
يكونوا أنبياء ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته
يعني أنه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من ليس لها بأهل وأنتم
ليستم لها بأهل لأن النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال أهل
المعاني الأبلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم لأن الطعن كان يتوجه
عليهم فيقال إنما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم لأجل ذلك فكان الله تعالى أعلم بمن يستحق
الرسالة فجعلها ليتيم أبي طالب دون أبي جهل والوليد وغيرهما من أكابر قريش ورؤسائهم وقوله
تعالى سيصيب الذين أجرموا صغار أي ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذي يتصغر المرء لأجله
فيه عند الله يعني هو من عند الله وقيل معناه أن هذا الصغار ثابت لهم عند الله وعلى هذا
القول إنما يحصل لهم الصغار في الآخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار وحكم الله حكم به عليهم
في الدنيا وعذاب شديد يعني في الآخرة بما كانوا يمكرون يعني إنما حصل لهم هذا الصغار دائم

والعذاب

جعلنا في كل قرية الأكابر وعظماء أمر أكابر

والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقونه قوله تعالى فمن يرد الله أن
يهديه يشرح صدره للإسلام يقال شرح الله صدره فانشرح يعني وسعه لقبول الإيمان
والخير فتوسع وذلك أن الإنسان إذا اعتقد في عمل من الأعمال أن نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر
مال بطبعه إليه وقوي ميله وطلبه فيسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح الصدر وقيل
الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان أمره إذا أوضحه وأظهره وشرح المسألة إذا كانت مشكلة
فأوضحها وبينها فقد ثبت أن للشرح معنيين أحدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدرا
أي فتحه لقبوله ومنه قوله تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله أفمن شرح الله صدره للإسلام
يعني فتحه ووسعه لقبوله والثاني أن الشرح نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فيعرف بذلك النور
الحق فيقبله وينشرح صدره له ومعنى الآية فمن يرد الله أن يهديه للإيمان بالله وبرسوله وبما جاء به
من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهونه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به
وإحسانه إليه فعند ذلك يستنير الإسلام في قلبه فيضيء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه
الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح
له وينفسح قيل فهل لذلك أمارة قال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزول الموت وأخرجه الطبري عن ابن مسعود قال قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
نزلت هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ما حقيقة ذلك قال إذا دخل النور
القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من آية يعرف بها قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل نزول الموت ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يعني يجعل صدره
ضيقا حتى لا يدخله الإيمان وقال الكلبي ليس فيه للخير منفذ وقال ابن عباس إذا سمع ذكر الله
اشمأز قلبه وإذا سمع ذكر الأصنام ارتاح لذلك وقرئ عند عمر بن الخطاب هذه الآية وعنده أعرابي
من كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية
ولا وحشية ولا شيء فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير وأصل الحرج الضيق وهو
مأخوذ من الحرجة وهي الأشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل إليها شيء وقرأ ابن عباس هذه الآية
فقال هل هنا أحد من بني بكر فقال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي
لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال أهل المعاني لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات
وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح والانفساح ونوره فيقبل ما أودعه من الإيمان بالله
ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذي هو خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك على أن الله تعالى
صير قلب الكافر بحيث لا يعي علما ولا استدلالا على توحيد الله تعالى والإيمان به وفي الآية دليل على أن
جميع الأشياء بمشيئة الله وإرادته حتى إيمان المؤمن وكفر الكافر وقوله تعالى كأنما يصعد في السماء
يعني أن الكافر إذا دعي إلى الإسلام كأنه قد كلف أن يصعد إلى السماء ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز أن يكون
المعنى كأن قلب الكافر يصعد إلى السماء نبوا عن الإسلام وتكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد إلا أن
يصعد إلى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل هو المشقة وصعوبة الأمر فيكون المعنى أن الكافر إذا دعي
إلى الإسلام فإنه يتكلف مشقة وصعوبة في ذلك كمن يتكلف الصعود إلى السماء كذلك يجعل الله الرجس
على الذين لا يؤمنون الكاف في كذلك تفيد التشبيه وفيه وجهان الأول معناه أن جعله الرجس عليهم
كجعله صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني قال الزجاج أي مثل ما
قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس والرجس ما لا خير فيه وفي رواية ابن عباس أن الرجس العذاب وقال الزجاج
الرجس في الدنيا اللعنة وفي الآخرة العذاب قوله عز وجل وهذا صراط ربك مستقيما يعني وهذا
الذي بينا لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك يعني دينه الذي شرعه

قلب

من

الله

والمعنى كما جعلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك الرجس

لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيما يعني الإسلام وقال ابن مسعود يعني القرآن بالوعد والوعيد والثواب
والعقاب طريق الاستقامة والصراط لأنه يؤدي بمن تبعه وعمل به إلى طريق الاستقامة والسداد **قد**
فصلنا الآيات يعني قد جعلنا آيات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والأمر
والنهي وغير ذلك من أحكام القرآن **لقوم يذكرون** يعني لمن يتذكر ويتعظ بما فيها من المواعظ
والعبر قال عطاء يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان **لهم دار السلام عند**
ربهم يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال الحسن والسدي السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى
السلام في أسماء الله تعالى ذو السلام وهو جمع سلامة لأنه تعالى ذو السلامة من جميع الآفات وا
النقائص فعلى هذا القول أضيفت الدار إلى السلام الذي هو اسم الله تعالى إضافة تشريف وتعظيم
كما قيل للكعبة بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وأنه لما قام عبد الله يدعوه وأيضا
لجنة هذا أن إضافة الدار إلى الله تعالى في غاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الإضافة مبالغة في تعظيم
أمرها وقيل إن السلام صفة للدار لأن معناه أن السلامة الدائمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى
السلامة كأنه قال لهم دار السلامة التي لا يلقون فيها شيئا يكرهونه وقيل التسمية بذلك لأن جميع
حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما
وقوله عند ربهم يعني أن الجنة مهيأة معدة لهم عند ربهم حتى يوصلهم إليها **وهو وليهم بما**
كانوا يعملون يعني أنه تعالى يتولى أمرهم وإيصال المنافع إليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه
إنه يتولاهم في الدنيا بالتوفيق والهداية وفي الآخرة بالجزاء والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني
أنه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم في الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها إليه
في الدنيا قوله عز وجل **ويوم يحشرهم جميعا** أي واذكر يا محمد يوم نحشر العادلين بالله الأصنام
مع أوليائهم من الشياطين يعني نحشر المشركين والشياطين جميعا في يوم القيامة **يا معشر الجن**
فيه حذف تقديره يقول لهم يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين **قد استكثرتم**
من الإنس يعني من إضلالهم وإغوائهم وقال ابن عباس معناه أضللتم كثيرا من الإنس وهذا التفسير
لا بد له من تأويل لأن الجن لا يقدرون على إضلال الإنس وإغوائهم بأنفسهم لأنه لا يقدر على إجبار أحد
إلا الله تعالى لأنه هو المتصرف في خلقه بما شاء فوجب أن يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء إلى
الإضلال مع مصادفة القبول من الإنس **وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض**
يعني استمتع الجن بالإنس والإنس بالجن فأما استمتاع الإنس بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية
إذا سافر ونزل بأرض قفر وخاف على نفسه من الجن قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت
في جوارهم وأما استمتاع الجن بالإنس فهو أنهم قالوا قد سدنا الإنس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون
شرفا في قومهم وعظما في أنفسهم وقيل استمتاع الإنس بالجن هو ما كانوا يلقون إليهم
من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الأمور التي كانوا يهوونها وتسهيل سبيلها عليهم
واستمتاع الجن بالإنس طاعة الإنس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع
الإنس بالجن فيما كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات وأصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع
الجن بالإنس هو طاعة الإنس للجن فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤساء للإنس والإنس
كالأتباع وقيل إن قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الإنس خاصة لأن استمتاع
الجن بالإنس وبالعكس أمر نادر ولا يكاد يظهر أما استمتاع الإنس بعضهم ببعض فظاهر فوجب بعضهم
حمل الكلام عليه **وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا** يعني أن ذلك الاستمتاع كان إلى أجل معين
ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الأجل الموت وقيل هو وقت البعث
الحساب

الحساب في يوم القيامة **قال النار مثواكم** يعني أن النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم إليها **خالدين**
فيها يعني مقيمين في نار جهنم أبدا **إلا ما شاء الله** اختلفوا في معنى هذا الاستثناء فقيل معناه خالدين
فيها إلا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب إلى حين دخولهم إلى النار لأن هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار
وقيل المراد من هذا الاستثناء هو أوقات نقلهم من عذاب إلى عذاب آخر وذلك أنهم يستغيثون من النار فينقلون
إلى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون إلى النار فكان مدة نقلهم هو المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور
المفسرين عن ابن عباس أنه قال إن هذا الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون ويصدقون
النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا القول يكون ما في قوله إلا ما شاء الله بمعنى من يعني
إلا من شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس أنه كان يتأول هذا الاستثناء أن الله عز وجل جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ
عذابهم إلى مشيئته وقال في هذه الآية إنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا
قال الزجاج والقول الأول أولى لأن معنى الاستثناء إنما هو من يوم القيامة لأن قوله ويوم نحشرهم جميعا هو يوم
القيامة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم
إن ربك حكيم يعني في تدبير خلقه وتصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال وغير ذلك من أفعاله وقيل
حكيم فيما يفعله من ثواب المطيع وعقاب العاصي وفي سائر وجوه المجازاة **عليم** يعني بعواقب أمور
خلقه وما هم إليه صائرون كأنه قال إنما حكمت لهؤلاء الكفار بالخلود في النار لعلمي أنهم يستحقون ذلك
قوله عز وجل **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا** الكاف في وكذلك كاف التشبيه تقتضي شيئا تقدم
ذكره فالتقدير كما أنزلت العذاب بالجن والإنس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين
بعضا أي نسلط بعضهم على بعض فنأخذ من الظالم بالظالم كما جاء في الأثر من أعان ظالما سلطه الله عليه
وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فالمؤمن ولي المؤمن حيث كان وأين كان والكافر ولي الكافر حيث كان وأين
كان وفي رواية أخرى عن قتادة ونتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الإنس
ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الإنس يعني نكل بعضهم إلى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية هو أن
الله تعالى إذا أراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم وإذا أراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول
إن الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عليهم ظالما مثلهم فمن أراد أن يتخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك
الظلم وقوله تعالى **بما كانوا يكسبون** يعني نسلط عليهم من يظلمهم بسبب أعمالهم الخبيثة التي
اكتسبوها قوله تعالى **يا معشر الجن والإنس** المعشر كل جماعة أمرهم واحد والجمع المعاشر **ألم يأتكم**
رسل منكم اختلف العلماء في معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسل أم لا فذهب أكثر العلماء إلى أنه لم يكن
من الجن رسول وإنما كانت الرسل من الإنس وأجابوا عن قوله رسل منكم يعني من أحدكم وهم الإنس فهو من
المضاف فهو كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب وإنما
جاز ذلك لأن ذكرهما قد جمع في قوله مرج البحرين وهو جائز في كل ما اتفق في أصله فلذلك لما اتفق
ذكر الجن مع الإنس جاز مخاطبتهما بما ينصرف إلى الواحد من الفريقين وهم الإنس وهذا قول الفراء والزجاج
ومذهب جمهور أهل العلم قال الواحدي وعليه دل كلام ابن عباس لأنه قال يريد أنبياء من جنسكم ولم يكن
من جنس الجن أنبياء وذهب قوم إلى أنه أرسل إلى الجن رسلا منهم كما أرسل إلى الإنس رسلا منهم قال
الضحاك من الجن رسل كما من الإنس رسل وظاهر الآية يدل على ذلك لأنه تعالى قال ألم يأتكم رسل منكم فخاطب
الفريقين جميعا وأجيب عن ذلك بأن الله قال يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون
الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع وإذا كان الرسل من الإنس كان الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع فكان هذا
القول أولى من حمل اللفظ على ظاهر هذه الآية فثبت بذلك كون الرسل من الإنس لا من الجن ويحتمل أيضا أن يقال
إن كافة الرسل كانوا من الإنس لكن الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل
من الإنس ثم يأتوا قومهم من الجن فيخبرونهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى وإذ صرفنا

إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين فكان أولئك النفر من الجن
رسلاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومهم وهذا مذهب مجاهد فإنه قال الرسل من الإنس والنذر
من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وأبو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون إلى الجن من الجن ولا حسن
بواسطة رسل الإنس والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وقوله تعالى **يقصون عليكم آياتي** يعني
يخبرونكم بما أوحي إليهم من آياتي الدالة على توحيدي وتصديق رسلي **وينذرونكم لقاء**
يومكم هذا يعني ويحذرونكم ويخوفونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة
وذلك أن الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والإنس على سبيل التوبيخ والتقريع ما أخبر في
كتابه وهو قوله يا معشر الجن والإنس الآية فيجيبونه بما أخبر عنهم في قوله تعالى **قالوا** يعني
كفار الجن والإنس **شهدنا على أنفسنا** اعترفوا بأن الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم
وأنذروهم لقاء يومهم هذا وأنهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم
جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى **وغرتهم الحياة الدنيا** يعني إنما كان ذلك بسبب أنهم
غرتهم الحياة الدنيا ومالوا إليها **وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين** يعني في الدنيا
فإن قلت كيف أقروا على أنفسهم بالكفر في هذه الآية وجحدوا الشرك والكفر في قوله والله
ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيامة يوم طويل والأحوال فيه مختلفة فإذا رأوا ما حصل للمؤمنين
من الخير والفضل والكرامة أنكروا الشرك لعل ذلك الإنكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين
فح يختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله وشهدوا على أنفسهم
أنهم كانوا كافرين فإن قلت لم كرر شهادتهم على أنفسهم قلت شهادتهم الأولى اعتراف
منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفي قوله وشهدوا على أنفسهم
ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لأنفسهم وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا
ولذاتها فكان عاقبة أمرهم أنهم اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم والمقصود من شرح حالهم
تحذير السامعين وزجرهم عن الكفر والمعاصي قوله عز وجل **ذلك** إشارة إلى ما تقدم من ذكره من بعثة
الرسل إليهم وإنذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل
وأمر عذاب من كذبهم **أن لم يكن ربك** يعني لأنه لم يكن ربك **مهلك القرى بظلم وأهلها**
غافلون قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل أن تأتيهم الرسل فتنهاهم ولما
أتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز أن يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم جان رجعوا
منه وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلاً للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها
وعلى قول الفراء أنه لو أهلكهم قبل بعثة الرسل إليهم كان ظالماً والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الأول
أصح لأنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لأحد عليه في أفعاله غير أنه أخبر أنه لا يعذب قبل شيء من انه
بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظلماً منه قوله تعالى **ولكل درجات مما عملوا** يعني ولكل
عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات يعني منازل يبلغها بعمله إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر
وإنما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا إنما يكون في الثواب
والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا فمنهم من هو أعظم ثواباً ومنهم من هو أشد عقاباً وهذا قول
جمهور المفسرين وقيل إن قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص بأهل الطاعة لأن لفظ الدرجة لا يليق
إلا بهم وقوله تعالى **وما ربك بغافل عما يعملون** مختص بأهل الكفر والمعاصي ففيه وعيد وتهديد
لهم والقول الأول أصح لأن علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والعاصي
وأنه عالم بأعمالهم على التفصيل التام فيجزي كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب وعقاب قوله
عز وجل **وربك الغني** يعني عن خلقه وذلك أنه تعالى لما بين أن لكل عامل بطاعة أو معصية درجة على

قدر عمله

قدر عمله بين أن تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لكونه محتاجاً إلى طاعة المطيع
أو منتفعاً بمعصية العاصي بل هو الغني على الإطلاق وأن جميع الخلق فقراء إليه **ذو الرحمة** قال ابن
عباس بأوليائه وأهل طاعته وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز عنهم فمن رحمته تأخير العذاب عن المذنبين
لعلهم يتوبون ويرجعون **إن يشأ يذهبكم** يعني يهلككم والخطاب لأهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم
ويستخلف يعني وينشئ ويخلق **من بعدكم** يعني من بعد إهلاككم **ما يشاء** يعني خلقاً غيركم أمثل وأطوع
منكم **كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين** اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي
يعني آباءهم الماضين قرناً بعد قرن ونحوه قال الواحدي وصاحب الكشاف يعني من أولاد قوم آخرين
لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام وقال الإمام فخر الدين الرازي في قوله
تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد إذهابكم لأن الاستخلاف لا يكون إلا على طريق البدل من فائت
وأما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث ورابع واختلفوا فقال بعضهم خلقاً آخر من أمثال الجن والإنس
قال القاضي وهذا الوجه أقرب لأن القوم يعلمون بالعادة أنه تعالى قادر على إنشاء أمثال هذا الخلق فمتى
كان خلق ثالث ورابع يكون أقوى في دلالة القدرة فكأنه تعالى نبه على أن قدرته ليست مقصورة على جنس دون
جنس من الخلق الذين يحول لرحمته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق أنه تعالى لرحمته لهؤلاء الأقوام
الحاضرين أبقاهم وأمهلهم ولو شاء لأماتهم وأفناهم وأبدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوله فقدرته
على ذلك فقال كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين كان المراد أنه لو علم أنه تعالى خلق الإنسان من نطفة
ليس فيها من صورة قليل ولا كثير فوجب أن يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة وإذا كان كذلك فلا ...
على نحو من هذه الأجسام بمولد الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم خلقاً آخر مخالفاً لهؤلاء آخر كلامه
وقال الطبري في قوله كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين يقول كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين
كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع للتعقيب كما يقال في الكلام أعطيتك من دينارك ثوباً يعني مكان
الدينار ثوباً لأن الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما أنشأكم لم يرد بإخبارهم هذا
الخبر أنهم نشؤوا من أصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا أنهم أنشئوا مكان قوم آخرين قد
هلكوا قبلهم قوله تعالى **إن ما توعدون لآت** يعني ما توعدون به من مجيء الساعة والبعث بعد الموت
والحشر والحساب يوم القيامة لآت يعني إنه كائن قريب **وما أنتم بمعجزين** يعني بفائتين حيث ما كنتم
يدرككم الموت قوله عز وجل **قل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد **يا قوم** أي قل لقومك ١٠
من كفار قريش **اعملوا على مكانتكم** وقرئ مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدراً يقال مكن مكانة
إذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم
يحتمل أن يكون معناه اعملوا على حالتكم التي أنتم عليها كما يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حالة مكانك
يا فلان أي اثبت على ما أنت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم **إني عامل** يعني
إني عامل على مكانتي التي أنا عليها وما أمرني به ربي والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر والعداوة
فإني ثابت على الإسلام والمصابرة فإن قلت ظاهر الآية يدل على أمر الكفار بالإقامة على ما هم
عليه من الكفر وكأنه قال أقيموا على ما أنتم عليه من الكفر إن رضيتم لأنفسكم العذاب الدائم فهو كقوله تعالى
اعملوا ما شئتم وفيه تفويض أمر العمل إليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس فيه إطلاق لهم على ما أراده
من الكفر والمعاصي وقوله تعالى **فسوف تعلمون** يعني لمن تكون العاقبة المحمودة لنا أو لكم وقيل معناه
فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم أينا كان على الحق في عمله نحن أم أنتم **من تكون له عاقبة**
الدار يعني فسوف تعلمون يوم القيامة لمن تكون له عاقبة الدار وهي الجنة **إنه لا يفلح الظالمون**
قال ابن عباس معناه إنه لا يسعد من كفر بي وأشرك ثم في الآية قولان أحدهما أنها محكمة وهذا
على قول من يقول إن المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول الثاني أنها منسوخة

وذا دل الآخرين قلت معنى هنا
الا ابو عبيد والتهديد
والمبالغة في ... جمعها ...
عليه ... الحكي ... غال

بأنه السميع وهذا على قول من يقول إن المراد بها ترك القتال قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والأنعام نصيبا الآية لما بين الله عز وجل فيما تقدم قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من إنكار البعث وغير
ذلك عقبه بذكر أنواع من جهالاتهم وأحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم وجهلهم بما
كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ يعني من الخلق مما خلق من الحرث يعني الزرع والثمر
والأنعام يعني ومن الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم نصيبا يعني قسما وجزءا قال المفسرون كان
المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم وأنعامهم وسائر أموالهم نصيبا وللأصنام
نصيبا فما جعلوه من ذلك لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين وما جعلوه للأصنام أنفقوه عليها وعلى
خدمها فإن سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه وقالوا إن الله غني عن هذا وإن
سقط شيء من نصيب الأوثان قالوا إنها محتاجة إليه وكانوا إذا هلك شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان وقالوا
وإذا انتقص شيء من نصيب الأوثان جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم يعني بقولهم الذي هو غير حقيقة لأن معنى زعم حكاية قول
يكون مظنة الكذب ولذلك يجيء في موضع الذم وإنما نسبوا إلى الكذب في قولهم هذا لله
بزعمهم وإن كانت الأشياء كلها لله لأنهم أفردوا نصيبا لله مع نصيب الأصنام وهو قولهم وهذا لشركائنا
يعني الأصنام وإنما سموا الأصنام شركاء لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها فما كان
لشركائهم يعني ما جعلوه لها من الحرث والأنعام فلا يصل إلى الله يعني فلا يعطونه المساكين
ولا ينفقونه على الضيفان وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم والمعنى أنهم كانوا يفرقون ما جعلوه
للأصنام مما جعلوه لله ولا يفرقون ما جعلوه لله مما جعلوه للأصنام وقال قتادة كانوا إذا أصابتهم
سنة قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركائهم ولم يأكلوا منه
شيئا وقال الحسن والسدي كانوا إذا هلك ما جعلوه لشركائهم أخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون
ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال ساء ما يحكمون يعني لبئس ما يحكمون ويقضون
وذلك أنهم رجحوا جانب الأصنام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل إن الأشياء
كلها لله عز وجل وهو خالقها فلما جعلوا للأصنام جزءا من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع
نسبوا إلى الإساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الأحكام
الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص واستحسنوها بعقولهم قوله عز وجل وكذلك عطف على قوله وجعلوا
لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا يعني كما جعلوا هؤلاء نصيبا كذلك زين لكثير منهم قتل أولادهم
شركاؤهم والمعنى أن جعلهم لله نصيبا من أموالهم ولشركائهم نصيبا وذلك في غاية الجهل بمعرفة
الخالق المنعم لأنهم جعلوا الأصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك إقدامهم على قتل أولادهم
في غاية الجهالة أيضا كأنه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا وخطأ وضلالا كذلك زين
يعني حسن لكثير من المشركين قتل أولادهم يعني دفن البنات أحياء مخافة الفقر والعيلة
شركاؤهم يعني شياطينهم أمروهم أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء
لأنهم أطاعوهم فيما أمروهم به من معصية الله وقتل الأولاد فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم
وأضيف الشركاء إلى المشركين لأنهم أطاعوهم واتخذوهم أربابا وقال الكلبي شركاؤهم سدنة آلهتهم
يعني خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الأولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم
فيحلف لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا
القول الشركاء هم السدنة وخدام الأصنام سموا شركاء لأنهم أشركوهم في الطاعة ليردوهم
يعني ليهلكوهم بذلك الفعل الذي أمروهم به والإرداء في اللغة الإهلاك قال ابن عباس ليردوهم
في النار وليلبسوا عليهم دينهم يعني وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك
في دينهم

في دينهم وكانوا على دين إسماعيل عليه السلام فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وإنما يفعلون ذلك ليزيلوهم
عن الحق الذي كان عليه إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام فوضعوا لهم هذه الأوضاع الفاسدة وزينوها
لهم ولو شاء الله ما فعلوه يعني ولو شاء الله لعصمهم من ذلك القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث
والأنعام وقتل الأولاد أخبر الله عز وجل أن جميع الأشياء بمشيئته وإرادته إذ لو لم يشأ لما فعلوا ذلك
فذرهم يعني فاتركهم يا محمد وما يفترون يعني وما يختلقون من الكذب على الله فإن الله لهم بالمرصاد
قوله تعالى وقالوا يعني المشركين هذه أنعام وحرث حجر أي حرام وأصله المنع لأنه منع من الانتفاع منه
بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لأنهم كانوا يحبسون أشياء من أنعامهم وحروثهم لآلهتهم وقال
مجاهد يعني بالأنعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم يعني
يأكلها خدام الأصنام والرجال دون النساء وأنعام حرمت ظهورها يعني الحوامي وهي الأنعام التي حموا
ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها يعني لا يذكرون اسم الله عليها
عند الذبح وإنما كانوا يذكرون عليها أسماء الأصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير
لأنه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير افتراء عليه يعني أنهم كانوا
يفعلون هذه الأفعال ويزعمون أن الله أمرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل سيجزيهم بما
كانوا يفترون فيه وعيد وتهديد لهم على افترائهم على الله الكذب قوله عز وجل وقالوا ما في بطون
هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا يعني نساءنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي
أراد أجنة البحائر والسوائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا أكله الرجال
والنساء جميعا وهو قوله وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء وإنما أنث الخالصة للتأكيد والمبالغة كقولهم
رجل علامة ونسابة وقال الفراء أنث لتأنيث الأنعام لأن ما في بطونها مثلها فأنث لتأنيثها
وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل إن الهاء عبارة عن مؤنث جاز تأنيثه
على المعنى وتذكيره على اللفظ كما في هذه الآية فإنه أنث خالصة على المعنى وذكر ومحرم على اللفظ
سيجزيهم وصفهم يعني سيكافيهم بسبب وصفهم على الله الكذب إنه حكيم عليم فيه وعيد
وتهديد يعني أنه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر استحقاقهم قوله تعالى قد خسر الذين قتلوا أولادهم
سفها بغير علم قال عكرمة نزلت فيمن يقتل البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيي
جارية وتئد أخرى فإذا كانت الجارية التي توأد غدا الرجل أو راح من عند امرأته وقال لها أنت علي كظهر
أمي إن رجعت إليك ولم تئديها فتخد لها في الأرض خدا وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها
حتى إذا أبصرته راجعا دستها في حفرتها ثم تسوي عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع
أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه أما سبب الخسران المذكور
في قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم أن الولد نعمة عظيمة أنعم الله بها على الوالد فإذا تسبب الرجل في
إزالة هذه النعمة عنه وأبطلها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والآخرة أما خسرانه في الدنيا
فقد سعى في نقص عدده وأزال ما أنعم الله به عليه وأما خسرانه في الآخرة فقد استحق بذلك العذاب
العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول
هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لأن الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبذلك سموا جاهلية وقوله تعالى وحرموا ما رزقهم الله يعني البحائر والسوائب والحام وبعض الحروث وبعض
ما في بطون الأنعام وهذا أيضا من أعظم الجهالة افتراء على الله يعني أنهم فعلوا هذه الأفعال المذمومة
وزعموا أن الله أمرهم بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا من أعظم الجهالة لأن الجراءة على الله والكذب عليه
من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا قال تعالى قد ضلوا يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد وما كانوا
مهتدين يعني إلى طريق الحق والصواب في فعلهم ثم عن ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق

الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما
كانوا مهتدين قوله عز وجل **وهو الذي انشا جنات معروشات** يعني والله الذي ابتدع وخلق جنات
يعني بساتين معروشات **وغير معروشات** يعني مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات واصل العرش
في اللغة شي مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته
تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعترش العنب العريش اذا علاه وركبه واختلفوا في معنى
قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر مما
يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع
وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لا يعرش بل يبقى على
وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات ما عرشه الناس في البساتين واهتموا به بعرشه من
كرم وغيره وغير معروشات هو ما انبته الله في البراري والجبال من كرم او شجر **والنخل والزرع** يعني
وانشا النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقتات وتدخر **مختلفا اكله** يعني لاختلاف الطعوم
في الثمار كالحلو والحامض والجيد والردي ونحو ذلك **والزيتون والرمان متشابها** يعني في المنظر **وغير
متشابه** يعني في المطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه
ورق الرمان ولكن ثمرهما مختلفة في الجنس والطعم **كلوا من ثمره اذا اثمر** لما ذكر الله ما انعم
به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع من الثمار ذكر ما هو المقصود الاصلي وهو
الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر هذا امر اباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الامر قد
يرد في غير الوجوب لان هذه الصيغة مفيدة لرفع الحرج وقال بعضهم المقصود منه اباحة
الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل ان يحرم على المالك ان
ياكل منها شيئا لمكان شركة الفقراء والمساكين معه فاباح الله ان ياكل قبل اخراج الحق الواجب
فيه لان رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة
الامر ليعلم ان المقصود من هذه الاشيا التي انعم الله بها على عباده هو الاكل **وآتوا حقه
يوم حصاده** يعني يوم جذاذه وقطعه واختلفوا في هذا الحق المامور باخراجه فقال ابن عباس
وانس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهو قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب
ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله وآتوا حقه يوم حصاده هو الصدقة المفروضة ذكر لنا
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء والعين السائحة او سقاه النيل او البعل
العول كان بعلا العشر كاملا وان سقي بالنضح او سانية فنصف العشر وهذا فيما يكال من الثمرة
او الزرع وبلغ خمسة اوسق وذلك ثلاثمائة صاع وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس
في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا التفسير
اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله وآتوا حقه
على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس انه قال وقتادة ان هذه
الاية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الاية محكمة نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه
مكية تكون منسوخة باية الزكاة لانه قد روي عن ابن عباس انه قال نسخت اية الزكاة كل
صدقة في القران وقيل في قوله وآتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد
وهو اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والثمر وهذا قول علي بن الحسين وعطا ومجاهد
وحماد قال ابراهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يعلقون العذق
عند الصرام فياكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان اهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالعذق
فيعلقونه في جانب المسجد فيجي المسكين فيضربه بعصاه فما سقط منه اكله فعلى هذا القول

هل هذا

هل هذا الامر امر وجوب او استحباب او ندب فيه قولان احدهما انه امر وجوب فيكون منسوخا باية الزكاة
ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع والقول الثاني امر ندب واستحباب
فيكون الاية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يومر باخراجه في ابتداء الاسلام ثم صار منسوخا
بايجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت الزكاة كل نفقة في القران واختار هذا القول الطبري وغيره واختار
الواحدي والرازي القول الاول وحجته فان قلت فعلى القول الاول كيف تودى الزكاة يوم الحصاد والحب
في السنبل وانما يجب الاخراج بعد التصفية والجفاف قلت معناه فقدروا الاخراج منه يوم الحصاد فانه
قريب من التصفية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول
عليه لانه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه واتوا حقه الذي وجب عليكم يوم حصاده
بعد التصفية وقيل انما ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله
في يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه وقوله تعالى **ولا تسرفوا** الاسراف تجاوز
الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق اشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك وسرف المال انفاقه في
غير منفعة ولهذا قال اياس بن معاوية ما انفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس
في رواية عنه عن ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله
شيئا فانزل الله تعالى هذه الاية ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تعطوا اموالكم وتقعدوا فقرا قال الزجاج
فعلى هذا لو اعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ بمن
تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتاويل الاية على هذا القول لا تجاوزوا الحد
في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة فهذان القولان يشتركان في ان المراد من الاسراف
مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطا والثاني في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام
في الحرث والانعام وهذا القول ايضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من اشرك الاصنام في الحرث والانعام
فقد جاوز ما حد له وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما
قصرت به في حق الله عز وجل ولو كان ابو قبيس ذهبا فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت
درهما او مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب بهذا السلطان نهي ان ياخذ من رب المال
فوق الذي الزم الله ماله يقول الله عز وجل للسلاطين لا تسرفوا اي لا تاخذوا بغير حق فكانت الاية بين
السلطان وبين الناس وقوله تعالى **انه لا يحب المسرفين** فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شي لان من
لا يحبه الله فهو من اهل النار قوله تعالى **ومن الانعام** يعني وانشا من الانعام **حمولة** وهي كل ما يحمل عليها
من الابل **وفرشا** يعني صغار الابل التي لا تحمل قال ابن عباس الحمولة هي الكبار من الابل وقال في رواية اخرى عنه
ذكره الطبري اما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شي يحمل عليه واما الفرش فالغنم وقال الربيع
ابن انس الحمولة الابل والبقر والفرش الضان والمعز فالحمولة كل ما يحمل عليها من الانعام والفرش ما لا
يصلح للحمل سمي فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره **كلوا مما رزقكم الله** يعني كلوا
مما احل الله لكم من هذه الانعام والحروث **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** يعني لا تسلكوا طريقه
واثاره في تحريم الحرث والانعام كما فعله اهل الجاهلية **انه** يعني الشيطان **لكم عدو مبين** يعني
انه مبين العداوة لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل **ثمانية ازواج** يعني وانشا
من الانعام ثمانية ازواج يعني ثمانية اصناف والزوج في اللغة الفرد اذا كان معه اخر من جنسه لا ينفك
عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللانثى زوج **من الضان اثنين**
يعني الذكر والانثى والضان ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن
ومن المعز اثنين يعني الذكر والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع
ماعز **قل آلذكرين حرم ام الانثيين** اصنف هذا ام انثاه واي علينا لحم ام لحوما. الجهلة الذكرين

من الضأن والمعز حرم الله عليكم أم الأنثيين فإنها إن كان حرم الذكرين من الغنم فكل ذكورها
حرام وإن كان قد حرم الأنثيين منها فكل أنثى حرام أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين يعني
أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز فإنها لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى
نبئوني أي أخبروني وفسروا لي ما حرم منها بعلم إن كنتم صادقين يعني أن الله حرم ذلك عليكم
ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وهذه الأربعة أزواج أخر بقية الثمانية قل آلذكرين
حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين وتفسيرها كتفسير ما تقدم وفي هذه
الآيتين تقريع وتوبيخ من الله تعالى لأهل الجاهلية بتحريمهم ما لم يحرمه الله تعالى وذلك أنهم كانوا
يقولون هذه أنعام وحرث حجر وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على
أزواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء
وبعضها على النساء دون الرجال كما أخبر الله عنهم في كتابه فلما جاء الإسلام وثبتت الأحكام
جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي فقال يا محمد بلغنا أنك
تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم أصنافا
من الغنم على غير أصل وإنما خلق الله هذه الأزواج للأكل والانتفاع بها فمن أين جاء التحريم من — الثمانية
قبل الذكر أم من قبل الأنثى فسكت مالك بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمالك
يا مالك لا تتكلم فقال بل تكلم وأسمع منك قال المفسرون فلو قال جاء التحريم من قبل الذكر — أنث
بسبب الذكورة وجب أن يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الأنوثة وجب أن يحرم جميع الإناث وإن
كان باشتمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل لأن الرحم لا يشتمل إلا على ذكر أو أنثى وأما تخصيص — الكل
التحريم بالولد الخامس أو السابع أو بالبعض دون البعض فمن أين ذلك التحريم فاحتج الله على
بطلان دعواهم بهذه الآيتين وأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن كل ما قالوه من ذلك وأضافوه
إلى الله فهو كذب على الله وأنه لم يحرم شيئا من ذلك وأنهم اتبعوا في ذلك أهواءهم وخالفوا أمر
ربهم وذكر الإمام فخر الدين في معنى الآية وجهين آخرين ولخصهما الواحدي فقال إن هذا الكلام
ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الإنكار يعني أنكم لا تقرون
بنبوة نبي ولا تعرفون شريعة شارع فكيف تحكمون بأن هذا حلال وهذا حرام والوجه الثاني أنكم
حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام مخصوصة بالإبل فالله تعالى بين أن النعم عبارة عن
هذه الأنواع الثلاثة وهي الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الإبل بهذا الحكم دون هذه الأنواع — والإبل
الثلاثة قوله تعالى أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين يزعمون أن الله حرم عليهم ما حرموا على أنفسهم من الأنعام
والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فإنكم لا تقرون بنبوة أحد من الأنبياء فكيف
تثبتون هذه الأحكام وتنسبونها إلى الله تعالى ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين أنهم لا
مستند لهم في ذلك قال تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم
يعني فمن أشد ظلما وأبعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله إلى الله
ليضل الناس بذلك ويصدهم عن سبيل الله جهلا منه لأنه ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي
ابتدعه ونسبه إلى الله ويقال إن الله أراد بهذا عمرو بن لحي لأنه هو الذي أول من بحر
البحائر وسيب السوائب وغير دين إبراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على
طريقته وابتدع شيئا لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك إلى الله تعالى لأن اللفظ عام فلا
وجه للتخصيص فكل من أدخل في دين الله ما ليس منه فهو داخل في هذا الوعيد إن الله لا يهدي القوم
الظالمين يعني أنه لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله وأضاف إليه ما لم يشرعه لعباده قوله عز وجل

قل لا أجد

٣٢٩

قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه اعلم أنه لما بين الله تعالى فساد طريقة أهل
الجاهلية وما كانوا عليه من التحريم والتحليل من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما أحلوه وحرموه
من المطعومات أتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين أن التحريم والتحليل لا يكون إلا بوحي سماوي
وشرع نبوي فقال تعالى قل أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند
أنفسهم لا أجد فيما أوحي إلي وقيل إنهم قالوا فما المحرم إذا فنزل قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على
طاعم يطعمه يعني على آكل يأكله إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا يعني سائلا مصبوبا أو لحم
خنزير فإنه رجس أي نجس أو فسقا أهل لغير الله به يعني ما ذبح على غير اسم الله تعالى
فبين الله تعالى في هذه الآية أن التحريم والتحليل لا يكون إلا بوحي منه والمحرمات محصورة في الأربعة
أشياء المذكورة في هذه الآية وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله
وهذا مما يفيد أن التحريم لا يخرج عن هذه الأربعة أشياء وذلك لأنه ثبت أنه لا طريق إلى معرفة المحرمات
إلا بالوحي وثبت أن الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الأربعة أشياء ولهذا اختلف العلماء في حكم هذه
الآية فذهب بعضهم إلى ظاهرها وأنه لا يحرم شيئا من سائر المطعومات والحيوان إلا ما ذكر في هذه الآية
ويروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ذلك بأن هذه
الآية وإن كانت مكية لكن يعضدها آية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة إنما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وكلمة إنما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة للآية
المكية في الحكم وذهب جمهور العلماء إلى أن هذا التحريم لا يختص بهذه الأشياء المنصوص عليها في هذه
الآية فإن المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الآية وقد حرمت السنة أشياء وجب القول بها منها تحريم
الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير عن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله
فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما حرم الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ولأبي داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما
وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب
من السباع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله
إلا أن — أن يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا فبعث
الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فما أحل فهو حلال وما حرم فهو
حرام وما سكت عنه فهو عفو وتلا قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة الآية
أخرجه أبو داود عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وكل
ذي مخلب من الطير عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن أكل لحوم الحمر الأهلية
وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في الخيل وفي رواية أكلنا زمن
خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الأهلي عن جابر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه أخرجه أبو داود وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد
ومن الدم الكبد والطحال وأباح أكل ذلك وقد تقدم ذلك والأصل في ذلك عند الشافعي أن كل ما لم يرد
فيه نص بتحريم أو تحليل فإن كان الشرع أمر بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم
وهي الحية والعقرب والفأرة والحدأة والكلب العقور وروي عن سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله
عليه وسلم أمر بقتل الوزغ أخرجه البخاري ومسلم زاد فيه وسماه فويسقا وعن ابن عباس قال نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد أخرجه أبو داود

فهو حرام لا يحل اكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فما يستطيبه الاغلب
منهم فهو حلال وما يستخبثه الاغلب منهم ولا يأكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله احل لكم
الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقرير ما يحل وما يحرم من المطعومات واما الجواب عن
الاية الكريمة فمن وجوه احدها انه يكون المعنى لا اجد محرما مما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر
والسوائب وغيرها الا ما اوحي الي في هذه الاية الوجه الثاني ان يكون المراد وقت نزول هذه الاية
لم يكن محرما غير ما ذكر فيها ثم حرم بعد من ذلك اشياء اخر الوجه الثالث يحتمل
ان هذا اللفظ العام خصص بدليل اخر وهو ما روي في السنة الوجه الرابع ما ذكر في هذه الاية
محرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله اعلم تفرع الاية
احكام في قوله تعالى او دما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة او عند الذبح فان ذلك الدم
حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد والطحال فانهما حلال لانهما دما جامدان وقد ورد الحديث باباحتهما
واما اختلط باللحم من الدم فانه غير سائل قال عمران بن حدير سالت ابا مجلز عما يختلط باللحم من
الدم وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا باس بذلك انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم
النخعي لا باس بالدم في عرق او مخ الا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الاية لتتبع المسلمون
الدم من العروق كما تتبعه اليهود وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد لما بين المحرمات
في هذه الاية ثم اباح اكلها عند الاضطرار من غير بغي ولا عدوان وفي قوله فان ربك غفور رحيم
دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار وقوله تعالى وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا
كل ذي ظفر قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وكل ما لم يكن مشقوق الاصابع
من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير
وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما يعني شحم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين الا ما حملت ظهورهما
يعني الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدي
وابو صالح الالية مما حملت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس له الية او
الحوايا وهي المباعر في قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدتها حاوية وحوية وقيل الحوايا
المباعر والمصارين وهي الدوائر التي تكون في بطن الشاة والمعنى ان الشحم الملتصق بالمباعر
والمصارين غير محرم على اليهود او ما اختلط بعظم يعني شحم الالية لانه اختلط بالعصعص
وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والراس والعين فكل ذلك حلال على اليهود
فحاصل هذا ان الذي حرم عليهم هو شحم الثروب وشحم الكلية وما عدا ذلك فهو حلال لهم ق
عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله
حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانها يطلى
بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومهما جملوه ثم باعوه
واكلوا ثمنه قوله جملوه يعني اذابوه يقال اجملت الشحم وجملته اذا اذبته وجملته اكثر
واجود وقوله ذلك جزيناهم اي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة ببغيهم يعني بسبب ظلمهم
وبغيهم وهو قتلهم الانبياء واخذهم الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وانا لصادقون
يعني في الاخبار عن بغيهم وفي الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم فان كذبوك يعني فان
كذبوك اليهود يا محمد فيما اخبرناك انا حرمنا عليهم واحللنا مما بيناه في هذه الاية المتقدمة
فقل ربكم ذو رحمة واسعة يعني بتاخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسيء والمحسن

ولا يعجل

فلا يعجل بالعقوبة على من كفر به او عصاه ولا يرد باسه يعني ولا يرد عذابه ونقمته اذا جاء وقتها
عن القوم المجرمين يعني الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود قوله عز وجل سيقول الذين اشركوا
لما الزمهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله اخبر الله تعالى
عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين اشركوا يعني مشركي قريش والعرب لو شاء الله ما اشركنا
ولا اباؤنا يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شاء الله ما اشركنا حجة على اقامتهم على الكفر
والشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا انه رضي بما نحن عليه
واراده منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك ولا حرمنا من شيء يعني ما حرموه من البحائر والسوائب وغير
ذلك فقال عز وجل ردا عليهم وتكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم يعني من كفار الامم الخالية
الذين كانوا مثل قومك كذبوا انبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء حتى ذاقوا باسنا يعني عذابنا قال
اصحاب القدرية والمعتزلة بظاهر الاية فقالوا ان القوم لما قالوا لو شاء الله ما اشركنا كذبهم الله
ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وايضا فان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريح مذهب
الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه
ثبت انه مريد له واذا اراده منا امتنع تركه منا واجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هؤلاء
الكفار انهم قالوا لو شاء الله ما اشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب
ليس هو في قولهم لو شاء الله ما اشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله
امرنا به ورضي ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
اباءنا والله امرنا بها فرد الله عليهم ذلك بقوله ان الله لا يامر بالفحشاء والدليل ان التكذيب في
قولهم ان الله امرنا بها ورضيه منا لا في قولهم لو شاء الله ما اشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم
بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم في قولهم لو شاء الله ما اشركنا لقال كذلك كذب الذين
من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسين بن الفضل لو ذكروا هذه
المقالة تعظيما لله واجلالا له ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه
المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل في معنى الاية انهم كانوا يقولون الحق
بهذه الكلمة وهو قوله لو شاء الله ما اشركنا الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه
حجة لهم في ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان امر الله بمعزل عن مشيئته وارادته فان مشيئته
لا تكون عذرا لاحد فان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في فعله فهو تعالى
يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى له ولا يامر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد ويامره بالايمان وورود
الامر على خلاف الارادة غير ممتنع فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشيئة الله في
شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله
تعالى في كل الامور دفع دعوة الانبياء عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى قل هل عندكم من علم
اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما اشركنا ولا حرمنا ما نحن عليه من الشرك وتحريم
ما احل الله هل عندكم من علم بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم
فتخرجوه لنا اي فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطا قولكم وفعلكم وتناقض
ذلك واستحالته في العقول ان تتبعون الا الظن يعني فيما انتم عليه من الشرك وتحريم ما لم
يحرمه الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانما هو باطل وان انتم الا تخرصون يعني وما انتم في
ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة يعني قل يا محمد
لهؤلاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم او حجة فلله الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بانزال الكتاب
وارسال الرسل قال الربيع بن انس لا حجة لاحد عصى الله او اشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة

بانه تعالى مريد لجميع الكائنات غير امر بجميع ما يريد والعبد ان يتبع امره وليس له ان يتعلق بمشيئته لان مشيئته

يعني التامة على خلقه عباده ولو شاء لهداكم أجمعين يعني ولو شاء الله لوفقكم
أجمعين للهداية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل على أنه تعالى لم يشأ إيمان الكافر ولو شاء
لهداه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قل هلم شهداءكم الذين يشهدون يعني هاتوا
وادعوا شهداءكم وهلم كلمة دعوة إلى الشيء يستوي فيه الواحد والاثنين والجمع والذكر
والأنثى وفيه لغة أخرى يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا وللأنثى هلمي واللغة الأولى
أفصح أن الله حرم هذا وهذا تنبيه من الله باستدعاء الشهود من الكافرين على تحريم ما حرموه
على أنفسهم وقالوا إن الله أمرنا به ليظهر أن لا شاهد لهم على ذلك وإنما اختلقوه من عند أنفسهم
فإن شهدوا فلا تشهد معهم وهذا تنبيه أيضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد
أنت يا محمد معهم لأنهم في شهادتهم كاذبين ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا يعني إن وقع
منهم شهادة فإنما هي باتباع الهوى فلا تتبع أنت يا محمد أهواءهم ولا تكن تتبع ما أوجب العيب
من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذين لا يؤمنون بالآخرة أي ولا تتبع أهواء
الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون يعني يشركون قوله عز وجل قل تعالوا أتل ما
حرم ربكم عليكم لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا أن الله أمرهم بتحريم ما حرموه
على أنفسهم فكأنهم سألوا وقالوا أي شيء حرم الله فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن محرما
يقول لهم تعالوا من التعالي الذي هو علو وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه
ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل أصله أن يدعو الإنسان إلى مكان مرتفع وهو من العلو وهو أن تعلو
المنزلة فكأنه دعاه إلى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا أيها
القوم أتل يعني أقرأ ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك فيه ولا ظنا
ولا كذبا كما تزعمون أنتم بل هو وحي أوحاه الله تعالى إلى نبيه ألا تشركوا به شيئا فإن قلت
ترك الإشراك واجب فما معنى قوله لا تشركوا به شيئا لأنه كالتفصيل لما أجمله من قوله حرم ربكم
عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من وجوه الوجه الأول أن يكون موضع أن رفع ومعناه
هو أن لا تشركوا به الوجه الثاني أن يكون محله النصب واختلفوا في وجه انتصابه فقيل معناه
حرم عليكم أن تشركوا وتكون لا صلة وقيل إن حرف لا على أصلها ويكون المعنى أتل عليكم تحريم
الشرك أي لا تشركوا أو يكون المعنى أوصيكم أن لا تشركوا لأن قوله وبالوالدين إحسانا محمول على
أوصيكم بالوالدين إحسانا الوجه الثالث أن يكون الكلام قد تم عند قوله ربكم ثم قال
عليكم أن لا تشركوا على الإغراء أو يجعل فرض عليكم أن لا تشركوا به شيئا ومعنى هذا الإشراك
الذي حرمه الله ونهى عنه هو أن يجعل لله شريكا من خلقه أو يطيع مخلوقا في معصية الخالق
أو يرى بعبادته ربا أو منفعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقوله تعالى وبالوالدين إحسانا
أي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين إحسانا وإنما ثنى بالوصية بالإحسان إلى الوالدين لأن أعظم
النعم على الإنسان نعمة الله لأنه هو أخرجه من العدم إلى الوجود وخلقه وأوجده بعد أن لم يكن
شيئا ثم تلي نعمة الله نعمة الوالدين لأنهما السبب في وجود الإنسان ثم ما لهما عليه من
حقوق التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره ولا تقتلوا أولادكم من إملاق
يعني من خوف الفقر والإملاق الافتقار والمراد بالقتل وأد البنات وهن أحياء كانت العرب تفعل
ذلك في الجاهلية فنهاهم الله عن ذلك وحرمه عليهم نحن نرزقكم وإياهم يعني لا تئدوا بناتكم
خوف العيلة والفقر فإني رازقكم وإياهم لأن الله تعالى إذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد
القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في أمر الرزق على الله عز وجل ولا تقربوا الفواحش يعني الزنى
ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنى في العلانية

ولا يرون به

ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله الزنى في السر والعلانية وقيل إن الأولى حمل لفظ الفواحش على العموم
في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنى وغيره لأن المعنى الموجب لهذا النهي كونه فاحشة هو
فحمل اللفظ على العموم أولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وأيضا فإن السبب إذا كان خاصا لا يمنع
من حمل اللفظ على العموم وفي قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي أن الإنسان إذا احترز عن
المعاصي في الظاهر ولم يحترز منها في الباطن دل ذلك على أن احترازه عنها ليس لأجل عبودية الله
وطاعته فيما أمر به أو نهى عنه ولكن لأجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق
العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لأجل خوف الله وتعظيما لأمره استوجب رضوان الله
وثوابه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق حرم الله تعالى قتل النفس إلا بالحق وقتلها من
جملة الفواحش المتقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش وإنما أفرد قتل النفس بالذكر تعظيما
لأمر القتل وأنه من أعظم الفواحش والكبائر وقيل إنما أفرده بالذكر لأنه تعالى أراد أن يستثني منه
ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش إلا بالإفراد فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله إلا بالحق والحق الذي يبيح قتلها ردة أو قصاص أو زنى بعد إحصان وهو الذي يوجب الرجم وعن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله
وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة
وقوله تعالى ذلكم يعني ما ذكر من الأوامر والنواهي المتقدمات وصاكم به يعني أمركم به وأوجبه عليكم
لعلكم تعقلون يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فتعملوا بها قوله تعالى
ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن يعني ولا تقربوا مال اليتيم إلا بما فيه صلاحه وتثميره
وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو أن يبتغي فيه ولا يأخذ من ربحه شيئا
هذا إذا كان القيم بالمال غنيا غير محتاج فلو كان الوصي فقيرا فله أن يأكل بالمعروف حتى يبلغ
أشده يعني احفظوا مال اليتيم إلى أن يبلغ أشده فإذا بلغ أشده فادفعوا إليه ماله وأما الأشد
فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهى في الشباب إلى حد الرجال قال الشعبي ومالك
الأشد الحلم حتى تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال أبو العالية حتى يعقل وتجتمع
قوته وقال الكلبي الأشد هو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة وقال الضحاك الأشد عشرون سنة وقال
السدي الأشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الأشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الأقوال التي نقلت
عن المفسرين في هذه الآية إنما هي نهاية الأشد لا ابتداؤه وهذا هو المختار في تفسير هذه
الآية وقوله وأوفوا الكيل والميزان بالقسط يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان لا نكلف
نفسا إلا وسعها يعني طاقتها وما يسعها في إيفاء الكيل والميزان أي إنه لم يكلف المعطي
أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضى بأقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل
واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه وإذا قلتم فاعدلوا يعني في الحكم والشهادة ولو كان ذا
قربى يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل إن الأمر بالعدل في القول هو أعم من الحكم
والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان
وأداء الأمانة وغير ذلك من جميع الأقوال التي يعتبر فيها العدل والصدق وبعهد الله أوفوا
يعني ما عهد إلى عباده ووصاهم به وأوجبه عليهم أو ما أوجبه الإنسان على نفسه كنذر ونحوه
فيجب الوفاء به ذلكم يعني الذي ذكر في هذه الآيات وصاكم به يعني بالعمل به لعلكم تذكرون
يعني لعلكم تتعظون وتتذكرون فيما أخبرتكم لما أمرتكم به قوله عز وجل وأن هذا صراطي مستقيما
يعني وأن هذا الذي وصيتكم به وأمرتكم به في هذه الآيات هو صراطي يعني طريقي وديني الذي
ارتضيته لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل إن الله تعالى

إلى ثلاثين سنة

والمراد بالأشد في هذه الآية هو الابتداء وبلوغ الحلم مع إيناس الرشد وهذا أصل

نفسا

ما

على

لما يرجع الا بيمن المتقدم متيقنا وصرح به مجملا اجمل في هذه الاية اجمالا يقتضي دخول الجميع ما تقدم ذكره
فيه ويدخل فيه ايضا جميع احكام الشريعة وكلما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام
هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الغرا ارتضاه لعباده المومنين وامرهم باتباع جملته
وتفصيله ولا تتبعوا السبل يعني الطرق المختلفة والاهوا المضلة والبدع الردية وقيل السبل المختلفة
مثل اليهودية والنصرانية وساير الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام فتفرق بكم عن سبيله يعني
فيميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن
ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه
وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرا وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية ذلكم وصاكم به يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا عوج فيه
لعلكم تتقون يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة وقال ابن عباس هذه الايات محكمات في جميع
الكتب لم ينسخهن شي وهن محرمات على بني ادم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن
تركهن دخل النار وعن ابن مسعود قال من سره ان ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله
عليه وسلم فليقرا هولا الايات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الايات الى قوله لعلكم تتقون اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ثم اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فان قلت
اتينا موسى الكتاب كان قبل نزول القران وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك قلت فيه خلاف
ثم لتاخير الخبر لا لتاخير النزول والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله
لعلكم تتقون ثم اخبركم انا اتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات العشر ورد في قوله تعالى اتل ما حرم
ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرائع فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يا بني ادم
قديما وحديثا ثم بعد ذلك اتينا موسى الكتاب يعني لعله ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد انا اتينا موسى الكتاب فجرى لفظه على الدلالة
الكلام عليه وقوله تعالى تماما على الذي احسن اختلف اهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على
المحسنين من قوم موسى فيكون الذي بمعنى من اي تماما على من احسن من قومه لانه كان فيهم محسن ومسي ويدل على
قراءة ابن مسعود تماما على الذين احسنوا وقيل معناه تماما على كل من احسن اي اتممنا فضيلة موسى
بالكتاب على المحسنين وهم الانبيا والمومنون اي اتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي احسن
هو موسى فيكون الذي بمعنى ما اي على ما احسن وتقديره واتينا موسى الكتاب اتماما للنعمة عليه
لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره
واتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه
تماما مني على احساني الى موسى وتفصيلا لكل شي يعني وفيه بيان لكل شي يحتاج اليه من
شرائع الدين واحكامه وهدى يعني فيه هدى من الضلالة ورحمة يعني انزلناه عليهم رحمة مني
عليهم لعلهم بلقاء ربهم يومنون قال ابن عباس لكي يومنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب
والعقاب قوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه مبارك يعني القران لانه كثير الخير والنفع والبركة
والبركة ولا يتطرق اليه النسخ فاتبعوه يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام
واتقوا يعني مخالفته لعلكم ترحمون يعني لكي يكون الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا
على جزاء التقوى ان تقولوا يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا يعني انزلناه اليك الكتاب
كراهية ان تقولوا انما انزل الكتاب وقيل يجوز ان تكون ان متعلقة بما قبلها فيكون المعنى
واتقوا ان تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة ان تقولوا انما انزل الكتاب اسم
جنس لان المراد به التوراة والانجيل على طائفتين من قبلنا يعني اليهود والنصارى وان كنا

اي وقد كنا وقيل وانه كنا عن دراستهم يعني قراءتهم لغافلين يعني لا علم لنا بما فيها لانه ليس بلغتنا والمراد
بهذه الاية اثبات الحجة على اهل مكة وقطع عذرهم بانزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم
والمعنى وانزلنا القران عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل انزلا على طائفتين من قبلنا بلسانهم
ولغتهم فلم نعرف ما فيهما فقطع الله تعالى عذرهم بانزال القران عليهم او تقولوا لو انا انزل علينا بلغتنا
الكتاب لكنا اهدى منهم وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو انزل علينا ما انزل على اليهود والنصارى
لكنا خيرا منهم واهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة افهامهم وذهنهم قال الله
عز وجل فقد جاءكم بينة من ربكم يعني هذا القران فيه بيان وحجة واضحة لمن يعرفها وهو حجة وهدى يعني
من الضلالة ورحمة يعني وهو رحمة ونعمة انعم الله بها عليكم فمن اظلم اي لا احد اظلم واكبر ممن كذب
بايات الله وصدف عنها يعني واعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب
يعني اسوء العذاب واشده بما كانوا يصدفون اي ذلك العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم
بايات الله قوله تعالى هل ينظرون يعني هل ينتظر هولاء بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القران وصدهم
عن ايات الله وهو استفهام معناه النفي وتقدير الاية انهم لا يومنون بك الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور
الثلاثة فاذا جاءتهم احداها امنوا وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم الا ان تاتيهم الملائكة يعني لقبض
ارواحهم وقيل ان تاتيهم بالعذاب او ياتي ربك يعني للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم
الكلام في معنى الاية في سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه
كفاية وان المجي والذهاب محال على الله فيجب امرارها بلا تكييف او ياتي بعض ايات ربك قال المفسرون
يعني طلوع الشمس من مغربها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة
الارض اخرجه مسلم وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله او ياتي بعض ايات ربك قال
طلوع الشمس من مغربها اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عرضه او قال يسير الراكب في عرضه اربعين او سبعين
سنة خلقه الله يوم خلق السماوات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس
من مغربها فاذا راها الناس امن من عليها وفي رواية فاذا طلعت وراها الناس امنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع الناس
نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا اخرجاه عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع رسول
الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها
عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف
خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم م عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها
والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم انسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول
الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى
على اثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الاية قال يصبحون والشمس
والقمر من هاهنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما اتدرون اين تذهب الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال انها تذهب الى مستقرها

لها

تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال ارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها
ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي
وارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها لا ينكر الناس منها شيئا حتى تنتهي فتخر ساجدة
في مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعي من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أتدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذاك اليوم الذي لا ينفع
نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ولمسلم عن أبي ذر قال كنت ردف
النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر إلى الشمس حين غربت فقال إنها تغرب في
عين حمئة تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فإذا أراد أن يطلعها من مغربها
حبسها فتقول يا رب إن مسيري بعيد فيقال لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا
إيمانها لم تكن آمنت من قبل وروى البغوي بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات
فقال لهم عباد الله توبوا إلى الله فإنكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب
فإذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوي العمل فقال الناس هل لذلك من آية يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم آية تلك الليلة أن تطول قدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له
ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى إذا استيقظوا والليل
مكانه فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فإذا أصبحوا وطال عليهم رأوا أعينهم
طلوع الشمس فبينما هم ينتظرونها إذ طلعت عليهم من قبل المغرب فإذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا
إيمانها لم تكن آمنت من قبل قال ابن عباس لا ينفع مشركا إيمانه عند الآيات وينفع أهل الإيمان عند
الآيات إن كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك قال ابن الجوزي وقيل إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها أن
الملحدة والمنجمين زعموا أن ذلك لا يكون فيريهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما أطلعها
من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة أو يأجوج ومأجوج أو طلوع الشمس
من مغربها ويروى عن ابن مسعود أنه قال التوبة معروضة على ابن آدم أن يقبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث
الدابة أو طلوع الشمس من مغربها أو يأجوج ومأجوج ويروى عن عائشة إذا خرج أول الآيات طرحت
التوبة وحبست الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال ويروى عن أبي هريرة في قوله تعالى أو يأتي بعض
آيات ربك قال هي مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض ورواه
مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل
أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض وأصح الأقوال في ذلك ما
تظاهرت عليه الأحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن طلوع الشمس من
مغربها وقوله تعالى **يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**
يعني لا ينفع من كان مشركا إيمانه ولا تقبل توبته فإنه عند ظهور الآية العظيمة التي تضطرهم
إلى الإيمان والتوبة **أو كسبت في إيمانها خيرا** يعني أو عملت قبل ظهور هذه الآية خيرا من
عمل صالح وتصديق قال الضحاك من أدرك بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل الله منه
العمل بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك فأما من آمن من شرك أو تاب من معصية عند ظهور
هذه الآية فلا يقبل منه لأنها حالة الاضطرار كما لو أرسل الله عذابا على أمة فآمنوا وصدقوا
فإنهم لا ينفعهم ذلك لمعاينتهم الأهوال والشدائد التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة وقوله تعالى
قل انتظروا يعني ما وعدتم به من مجيء الآية وغيره وتهديد **إنا منتظرون** يعني ما وعدكم
ربكم به من العذاب يوم القيامة أو قبلها في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا إنما يتضح من تأخر
في الوجود من المشركين والمكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الوقت والمراد بذلك الشرك

آيها ناه تكن
توبوا الى الله

إنما يمهلون في مدة الدنيا فإذا ماتوا أو ظهرت الآيات لم ينفعهم الإيمان وحلت بهم العقوبة
اللازمة أبدا وقيل إن قوله فانتظروا إنا منتظرون المراد منه الكف عن قتال الكفار فتكون الآية منسوخة
بآية القتال وعلى القول الأول تكون الآية محكمة قوله عز وجل **إن الذين فرقوا** قرئ فارقوا **دينهم**
وكانوا شيعا يعني أحزابا متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم أنهم لم يجتمعوا عليه وكانوا
مختلفين فيه ومن قرأ فرقوا دينهم يعني جعلوا دينهم وهو دين إبراهيم الحنيفية السمحة أديانا
مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبادة الأصنام ونحو ذلك من الأديان المختلفة ومن قرأ فارقوا
دينهم قال معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشيء وقيل إن معنى القراءتين يرجع إلى شيء واحد
في الحقيقة ثم اختلفوا في المعني بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لأن بعضهم عبد الأصنام
وقالوا هذه شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبد الملائكة وقالوا إنهم بنات الله وبعضهم عبد
الكواكب فكان هذا هو تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي
والضحاك هم اليهود والنصارى لأنهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال أبو هريرة في هذه الآية
هم أهل الضلالة من هذه الأمة ويروى ذلك مرفوعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة
من هذه الأمة أخرجه الطبري وعلى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة
وأن لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع المضلة وروي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لعائشة يا عائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع والأهواء من
هذه الأمة ذكره البغوي بغير سند عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب
فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع
والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور
فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة أخرجه أبو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة
ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية
سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله
أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بني إسرائيل تفرقت
على ثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة قالوا من هي يا رسول
الله قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي أخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا الحديث دلالة على أن هذه
الفرق غير خارجة من الملة والدين إذ جعلهم من أمته وقوله تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه
التجاري تفاعل من الجري وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبيها بجري الفرس والكلب
قال ابن مسعود إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور
محدثاتها أخرجه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقوله تعالى **لست منهم في شيء** يعني في
قتال الكفار فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القتال وهذا على قول من يقول إن المراد من الآية اليهود
والنصارى والكفار ومن قال المراد من الآية أهل الأهواء والبدع من هذه الأمة قال معناه لست منهم
في شيء أي أنت منهم بريء وهم منك براء تقول العرب إن فعلت كذا فلست منك ولست مني أي كل واحد
بريء من صاحبه **إنما أمرهم إلى الله** يعني في الجزاء والمكافأة **ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون**
يعني إذا وردوا القيامة قوله تعالى **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** يعني عشر حسنات

وهو أن تؤمن ببعض دينه وتكفر
ببعضه وإن كان بعضه
جارٍ في دينه في الحنيفية